

مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة اطروحات الدكتوراه (1)

التعريب وتنسيقه في الوطن العربي

الدكتور محمد المنجي الصيادي



التعريب و تنسيقه
في الوطن العربي



مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة اطروحات الدكتوراه (١)

التعريب وتنسيقه في الوطن العربي

الدكتور محمد المنجي الصيادي

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» شارع ليون ص. ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣ ـ بيروت ـ لبنان
تلفون: ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٦٩١٦٤ برقياً: «مرعربي»
تلكس: ٢٣١١٤ مارابي. فاكسيميلي: ٨٦٥٥٤٨ (٩٦١١)
٤٧٨١٣٠٣ (٢١٢ ـ ١)

الطبعة الأولى: بيروت، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٠
الطبعة الثانية: بيروت، آب/ اغسطس ١٩٨٢
الطبعة الثالثة: بيروت، شباط/ فبراير ١٩٨٤
الطبعة الرابعة: بيروت، أيار/ مايو ١٩٨٥
الطبعة الخامسة: بيروت، آذار/ مارس ١٩٩٣

المحتويات

توطئة

من العسير على كل مؤلف أن يتوقع بروز عمله إلى الوجود بالشكل الذي كان يطمح إليه. فمنذ أن رسخت قدم الطباعة في العالم المتحضر عامة وفي وطننا العربي خاصة ظل شعور المؤلف أو الكاتب يتنقل بين اليأس والأمل، في أن يظهر عمله يوماً إلى النور، وكان من العسير أيضاً أن تنشر الدراسات الجامعية بعد عدة سنوات من اتمامها. لكن عزم مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت كان الأساس المتين الذي يلجأ إليه كل من درس قضية من قضايا الوطن العربي لم يسبق أن ألّف فيها أو نشر عنها.

وهذا ما تم فعلاً لهذه الدراسة التي أسعفها الحظ، فتيسّر إبرازها إلى الوجود. إذ كان انتقاؤها من قِبَل المركز حافزاً على مراجعتها وتهذيبها وتنقيح ما وجب تنقيحه، وأخيراً نقلها إلى العربية من اللغة الفرنسية التي كتبت بها أصلاً، بحيث صار موضوع التعريب هو الأصل فيها. وقد تجلّى خلال ذلك الدور الرئيسي الذي يقوم به مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، الذي يعمل برعاية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وبما زوّده به من توجيهات مديرها العام الأستاذ الدكتور محيي الدين صابر.

أما المنهجية المتوخاة لإعداد هذه الدراسة، فقد وضعنا نصب أعيننا أول ما وضعنا، اضفاء نظرة شمولية تجمع الخطوط الكبرى الواضحة معالمها، المتساندة في تكامل مواضيع الأبحاث المنشورة في مجلة «اللسان العربي» التي يصدرها سنوياً مكتب تنسيق التعريب، لا لأن هذه الدورية فريدة في نوعها، في ميدان المجلات اللغوية العربية فحسب، بل إننا اعتمدناها أيضاً مرجعاً رئيسياً في تحليل الأوضاع اللغوية العربية، رغم كثرة مجلداتها، لارتباطها الوثيق بقضايا التعريب، ولجدة الفترة التاريخية التي نشأت وترعرت فيها، فغذّت حركة التعريب في أقطار المغرب العربي، حديث العهد بالتحرر اللغوي والفكري من سيطرة اللغات والمفاهيم الحضارية الأجنبية. فرتبنا مواضيعها في وحدات متناسقة، وحاولنا قدر المستطاع استخلاص ما ورد في أبحاثها من طرافة فكرية تجدد المفاهيم المعمول بها في منهجية

البحث اللغوي العربي، مبدين رأينا كلما أتيح لنا ذلك، إذ لا يمكننا الادعاء بأننا قادرون على تبويب أبحاثها وتحليلها وتقييمها، وأيضاً القيام بعمل نقـدي يتطلب مجلدات ومجلدات. لكن أملنا وطيد في أن يكـون هذا التـأليف فاتحـاً لتدقيقـات علمية أخـرى تخوض في تقييم نقـدي صريح لأعداد المجلة.

والعمل من أجل التعريب إنما يعني خدمة الأمة العربية والاتجاه بها نحو توحيد المنـاهج الفكرية والعلمية، ويعني كذلك الانتماء إلى كيان حضاري واحـد تعوقـه عوائق اللهجـات أو اللغات الأجنبية.

وفي ضـوء هذه الغـاية الكبـيرة جاءت المسـاعدة القيمـة التي تلقاهـا البحث من جانب مكتب تنسيق التعريب في الرباط وخاصة عند الشروع في هذه الدراسة، وقد فتـح لنا المـركز مشكوراً بمساعدة مديره الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله، خزائن وثائقه وأخباره، ثم كـان فضل مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت ومديره العام الدكتور خير الـدين حسيب، أن تلقف هذه الدراسة بصدر رحب وأمدنا بجميع المساعدات الممكنة، راعياً هذا الكتاب بعين يقظة، استهدفت الانجاز الملموس.

وهكذا يكون التكامل والتآزر والالتحام، جسراً وصل بين جناحي العروبة، بين المغرب والمشرق، فتمخضت الدراسة في الرباط ثم رأت النور في بيروت.

المؤلف

مقدمة
منهجية المصطلحات العلمية

تمهيد: إشكالية تعريب التدريس العلمي

أنشئت الجامعات في العهد الوسيط، في البلاد الشرقية الإسلامية أو الغربية المسيحية (في المشرق العربي، جامعة الأزهر وفي المغرب العربي، جامعة الزيتونة وجامعة القرويين. أما في أوروبا، فقد اشتهرت جامعات صالرنو وبولونيا وباريس وغيرها). وقد خضعت هذه الجامعات في مناهجها واتجاهاتها العلمية للشرائع الدينية. ثم بدأ العمل مع ظهور ما عرف بعصر النهضة في أوروبا، بنواة للطريقة التجريبية العلمية. ولم تبدأ فعلاً الانطلاقة العلمية الغربية واللجوء إلى الاختبار العلمي عن طريق البحث المستمر إلّا في القرن التاسع عشر، بعد قيام الثورة الصناعية.

ومن المعلوم أن الجامعات تخطط اليوم لمعاهدها ومؤسساتها المختصة في البحث العلمي، ما ينبغي عمله بلوغاً لأهداف علمية معينة مستخلصة من الأبحاث الجارية المقررة مثلاً، للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في اطار قطر معين، وصار هذا الاتجاه ضرورة ملحة في ميدان التعليم والتربية حيث يخطط لإنشاء المدارس على أصنافها.

والأمر أكثر إلحاحاً بالنسبة إلى الأقطار العربية الراغبة في الخروج من التخلف في أقرب وقت والسائرة في طريق التنمية الشاملة، هو حاجة ماسة متزايدة إلى إعداد الكفاءات في شتى الميادين، فعملت هذه الأقطار وما زالت تعمل على تشجيع الطلاب، وتمكينهم من فرص متكافئة لمواصلة دراساتهم العالية في جامعاتهم أو في الجامعات الأجنبية للتخصص. وقد استوجب تعميم الدراسة العليا لمن هم أهل لها، فتح المعاهد والمنشآت الجامعية في عدة جهات من القطر الواحد، خاصة وأن تقدم العلم فرض على الحكومات تعديد الاختصاصات المقررة وبرامج البحث التي يجب التنسيق بينها وبين خطط التنمية القطرية. لكن الملاحظ أن رواسب المناهج الأجنبية التي كانت منفذة في الأقطار العربية، أو على الأقل

حقيقة أن المناهج الوطنية استوحت موادها منها، أثرت في الاختيارات الدراسية الطلابية، فتبين أن عدداً هاماً من الطلبة اتجه باستمرار إلى العلوم الاجتماعية والانسانية، وتحول عن العلوم التطبيقية، أو أنه فشل في متابعة الدراسة فيها. لكن البحث الصرف أو التطبيقي أساسي في المرحلة العليا، بل ينبغي توجيه مشاريع البحث إليه، تلافياً للإهدار في الطاقات والنفقات، وربطها بحاجات المجتمع القطري، والقومي العربي. وإن كان البحث العلمي في حاجة إلى النظريين دون منازع، فإنه في حاجة أشد إلى المختصين والتقنيين الذين يحسنون التصرف في المشاغل اليومية البسيطة نظرياً، لكنها تتطلب حلًا فورياً. فقد أكدت احصائية من مصر أن ٦٠ بالمئة من الأبحاث تتم داخل الجامعات، وأن ١٧ بالمئة منها تتم في المراكز المختصة، وتنجز البقية في المختبرات[1].

يترتب على ذلك أن البحث العلمي الذي لا نجد له هياكل هامة قطرية أو اقليمية أو عربية، تتمتع بصلاحيات وامكانات تتفق وقضايا الوطن العربي، يواجه مصاعب هامة، منها بالخصوص اشكالية اللغة العربية العلمية التي بدأ يتحدّد مفهومها ويتضح، من ذلك ما ذكرته وزارة التعليم الابتدائي والثانوي في الجزائر في هذا الصدد، بعد أن أحصت المشكلات المرتبطة بالمصطلحات القديمة وقابلتها مع اليونانية والسريانية، وبحثت كيفية الاستفادة من التراث العلمي القديم، وابراز جوانب الدقة والغموض في المصطلحات، ومقارنتها بمقابلاتها الأجنبية. والمهم هو تنسيق الجهود الرامية إلى تطوير العربية، بأن يتم احصاء الهيئات العربية العاملة في هذا الاتجاه بصورة متكاملة مثمرة. وذلك لكي نتلافى الفشل عند التخلي عن اللغة الأجنبية بعد مرحلة الحصول على الاجازة التي كانت فيها العربية أداة عمل.

وقد وافق مؤتمر صنعاء (١٩٧٢) وهو المؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب، على وثيقة تضمنت استراتيجية جديدة للتعليم. ومفادها أن المواضيع الكبرى التي ينبغي أن يشتغل بها البحث العلمي، ترتبط بما يواجهه الوطن العربي حالياً من تحديات في مجال الرقي والتنمية والكفاح من أجل حياة أفضل، في ضوء التفجر السكاني المقدر نموه بنسبة ٣ بالمئة سنوياً. والسلوك المناسب يتمثّل في تأسيس البحث على معطيات دقيقة، منها ظاهرة الهجرة إلى المدن، واختلال التوزيع السكاني على المساحات الأرضية، وغلبة عنصر الشباب بين السكان. فإن كانت الموارد العربية مرتفعة، فإن الملامح الواضحة في المجتمعات العربية تتمثل في امكان نشوب النزاعات الطبقية، وعناصر التفكك التي تحدّ من الطموح إلى الوحدة، تلك الوحدة التي لا يمكن تشييدها على اللغة والتاريخ والتراث، والمحافظة على القيم الأصيلة فقط، بل أيضاً على العلم والتقنيات.

إن الارتباط وثيق بين الإصلاح التربوي الشامل وإصلاح مفهوم التعليم في جملته، دون الدخول في الهامشيات. وبما أنه إصلاح شامل، فلا مفر له من الاتساع إلى جميع الأعمار، ضمن التجدّد الثقافي وتحديث المجتمع. وينبع هذا الاصلاح من اتجاه جديد يتيح

---

(١) اللسان العربي، السنة ١٢ (١٩٧٥)، ج ١، ص ٣٣٣.

التنسيق بين المشاريع العروبية في التربية، وتخطيط البرامج، وتنظيم الإدارة التربوية[٢]. ولا يتصور هذا التجديد إلّا وأداته اللغة القومية التي لا يمكن للغة الأجنبية أن تقوم مقامها، أو أن تحقق غرضها الأهداف القومية ومنها مقاومة الأمية، ونشر الثقافة والقيم الخاصة بالمجتمع العربي. ذلك ما أكده وصادق عليه تقرير لجنة اليونسكو، التي اعتمدت عدة تجارب أنجزت في بلدان كثيرة، وقدرت أنه لا عائق يعوق لغة معينة لتعبر عن الحضارة الحديثة، فإذا كانت هذه اللغة الأم قادرة على أن تكون أداة للتعليم العالي والتقني، فإنه ينبغي استخدامها لهذا الغرض، بعد الاحتياط كله لتنسيق المصطلحات العلمية[٣]. ونضيف في هذا الباب ما قاله مدير مكتب تنسيق التعريب، في ندوة استراتيجية التربية والتعريب (الجزائر، ٥ ـ ٨ مايو/ أيار ١٩٧٥)، إشارة إلى ما دار من «مساومات» بين الهيئات العربية، «على حساب قيمة الكلمة علمياً أو جزالتها وحيويتها»[٤] بينما الدول العظمى تبتكر وتتحكم في مصير المصطلح العلمي والتقني، لأن المخترع المنتمي إليها يفرض نفسه في سوق اللغة العلمية. فكيف يمكن أن تؤثر الخلافات الاصطلاحية إلى حد أن تؤول إلى مساومات بدافع التعصب إلى الرأي الفردي ذلك أن «سر الخلاف كامن في اختلاف اللغتين اللتين يستند إليهما كمصدر للتوليد أو التعريب»[٥]. والحل هو: «إن الاستعمال الالزامي هو القوام الحقيقي لحياة هذا الكائن الذي هو المصطلح»[٦]، وتوحيد الكتاب العلمي. ثم إن الاطارات (الكوادر) العربية العليا والمتخصصة تأهلت في مدارس الغرب وفي لغات غربية مختلفة، ومن المفيد أن تنصهر في بوتقة التفكير العربي بعد أن تتخلص من هذه الموازاة المخيفة المتمثلة في أن بعض المفكرين العرب يعبرون بالعربية، ويفكرون في آن واحد باللغة الأجنبية، فيترتب على ذلك غموض في التفكير.

وبالإضافة إلى فقدان اللغة العلمية العربية، على الأقل في عدة اختصاصات، لا وجود لهيكل قابل لأن يكون أداة للبحث العلمي، مما أدى إلى تحوّل الأدمغة العربية إلى الخارج، وحتى الاستقرار في أقطار أوروبية وأمريكية، بحثاً عن جهاز بحثي يلم شتاتهم. ونظراً إلى ترابط حلقات المعرفة، صار الانفراد بتحرير الأبحاث العلمية المتخصصة باللغة العربية وكأنه مضيعة للوقت والجهود، واعتبر البحث ترفاً في الأقطار العربية، رغم حاجتها الملحة إلى المتخصصين. ومن جهة أخرى، منهم من تعلل بأن إجبار المدرس على القاء درسه بالفصحى يتنافى والواقع الموضوعي، لأنه تأكد لديهم أن اللغة الأم هي فعلاً اللهجة التي يستعملها الطالب والأستاذ معاً في حوارهما، ويخصصان اللغة الأجنبية لدقائق اللغة العلمية. أما

---

(٢) «نحو استراتيجية جديدة للتربية في البلاد العربية،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (١٩٧٣)، ج ١، ص ٢٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٨.

(٤) **اللسان العربي**، السنة ١٢ (١٩٧٥)، ج ١، ص ٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ٦، و«استراتيجية التعريب،» **اللسان العربي**، السنة ١٢ (١٩٧٥)، ج ١، ص ٥.

(٦) **Abdel Aziz Benabdallah, «Arabisation rationnelle de l'enseignement et de l'administration,»** **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ج ٦، ص ١٨ (بالفرنسية).

الفصحى، فقد تميزت بضعفها في مجال انتاج النصوص العلمية والابتكارات، في ندرة المجلات العلمية والمؤتمرات المتخصصة في الأبحاث المنشورة التي تكتسي قيمة عالية أو حتى اقليمية، لقلة انتشار العربية في الخارج، وندرة من يتعلمها من الأجانب لأغراض علمية.

والتعليم العلمي ينبغي تعميمه، بشرط تقدير أموره وتوفيقه ومسايرته للأغراض الوطنية والتربوية، وذلك بأن يجتث التردد في التنفيذ، وأن تقصى أنصاف الحلول بفضل ما صح العزم عليه عزماً واحداً في شأن البرامج المخططة. وفي هذه المرحلة بالذات، تظهر الحلول الممكنة، فتتحفز روح المبادرة للسعي مثلاً إلى تصنيف تأليف يكون مرجعاً للكتاب العلمي المقرر في المناهج المحلية. والنتيجة أن العمل الذي يمثل هذا الحل الجذري، يكون مثالاً يحتذى لتوحيد المفردات اللازمة لتدريس علم معين، توحيداً نهائياً (ولو من الوجهة النظرية الكتابية)، وتصبح فكرة التقريب بين مناهج إعداد المعلمين قابلة للتحقيق، بحيث يُعدّ المدرسون من جميع الأصناف للتدريس بالفصحى، رغم أنهم تأهلوا في اختصاصهم في الخارج وباللغة الأجنبية(٧). وهذه المنهجية ينبغي اخضاعها للعامل الزمني، وتحديد فترة «يراعى فيها أن تتسع لإصدار الكتب العلمية في التخصصات التي يحتاجون إليها سواء في سبيل التأليف أو الترجمة»(٨). والأسباب الخاصة بالطرق التدريسية ونجاعتها ومردود التدريس الجامعي، هي التي تؤيد استخدام اللغة الوطنية في التعليم العالي. ودرءاً لكل تردد، وربط ما عليه الوضع الدراسي الجامعي، من حيرة أو قصور، بعجز اللغة العربية عن تأدية المفاهيم العلمية في مستوى التعليم العالي، وتأجيل القرار الحاسم إلى أن ترتفع العربية إلى المستوى العلمي العالمي، نقول إنها كلها عوائق نفسانية أكثر منها عملية، إذ لا يوجد «تناقض أو غضاضة في أن يقوم باحث عربي في جامعة عربية بكتابة أطروحة الدكتوراه مثلاً بالعربية الفصحى في موضوع علمي أو تقني، مستخدماً المراجع والدوريات والمجلات العلمية من ثلاث أو أربع لغات. ثم كيف يعقل أن يكتب الباحث العربي أطروحته باليابانية أو بالروسية في تلك البلاد، ثم لا نقبلها منه بالعربية في وطننا؟»(٩).

وترقباً لمثل هذه الحلول التي اتّسمت بالواقعية العربية والحق يقال، فإن الثنائية اللغوية أو تعدد اللغات توجد في واقع الحال، في التعليم الثانوي والعالي وحتى الابتدائي، والرأي السائد في المغرب مثلاً، ان اللجوء إلى اللغة الأجنبية لتمتين العربية بصورة مؤقتة هو عامل قائم أيضاً في المشرق، لكن في الجامعات، التي ترغب في متابعة التطور العلمي بأداة مخصصة لذلك، حتى يحافظ الوطن العربي على مستوى جامعي موازٍ للمستوى الأوروبي، فيمكن بذلك تنمية اللغة العربية واستكمال مفاهيمها عاجلاً، وجعلها أداة لنقل العلم، مثلما هي حال اللغات الدولية(١٠).

---

(٧) **مؤتمر وزراء التربية والتعليم العرب، الرابع، صنعاء، ٢٣ - ٢٨ كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢، التقرير النهائي والمكتبي**، ص ١ - ١٤ و٢٥ - ٢٩.

(٨) **اللسان العربي**، السنة ١٣ (١٩٧٦)، ج ١، ص ٨٠.

(٩) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ١، ص ٢٠٢.

(١٠) Benabdallah, «Arabisation rationnelle de l'enseignement et de l'administration,» p. 18.

لقد مارست الأقطار العربية عملية التعريب لقناعتها أنه ينبغي بادىء ذي بدء حل قضية تكييف العربية بالعلم الحديث، وربطها بعدة وسائل تعبيرية أخرى، حتى تقوى فعاليتها التدريسية قبل كل شيء. فكان عليها أن تتخلى عن كل اعتبار عاطفي، وتطبع نظامها التعليمي بخطة محكمة تستوحي مبادئها من حتميات الساعة فحسب(١١).

كانت سوريا في مقدمة حركة التعريب، واقتنع لبنان بالطاقات الكامنة في العربية لاستيعاب المفاهيم العلمية، إلّا أن الدولة اللبنانية وافقت على نظام جامعي متنوع، فأنشئت إلى جانب الجامعة اللبنانية المعرّبة إلى حد ما، جامعة تدرس باللغة الانكليزية وأخرى تدرس بالفرنسية، وبذلك تفوّق البعد الثقافي على الشعور الوطني في هذا القطر.

وكما أشرنا إلى ذلك سابقاً، فإن قرار تنمية التعليم العالي العلمي خاصة يرتبط وثيق الارتباط بإعداد اطارات التدريس. فبالنسبة إلى الكويت والأردن والسعودية، يرتبط قرار فتح كليات جديدة بتزويدها بأساتذة معربين، بينما في مصر (من المعروف أن مدرسة الطب بأبي زعبل درست بالعربية قبل مجيء الانكليز)، وفي المغرب (بما فيه ليبيا)، جرت العادة التربوية، بوعي أو دونه، أن تستخدم اللغة الأجنبية. فهل ننسب ذلك إلى رأي مسبق عن نجاعة العربية كلغة علمية، أو أن ذلك كان خشية المغامرة بمستوى التدريس، أو لجهل الأمر، أو لضعف كامن في العربية يمنع المدرس من استعمالها؟(١٢).

كان تنظيم التدريس العلمي حوالى سنة ١٩٣٠ في سوريا، ثم في لبنان، يعد حدثاً إذا تمّ بالعربية، مع أن سوريا ومصر عملتا به من أمد بعيد. والواقع أن استخدام اللغة الأجنبية في عدة صور مسموح به، مع أن النظم الجامعية، تفرض استخدام العربية في مصر وسوريا والعراق. لكن مجالس الكليات ووزارات التربية تقرر هذا الاستخدام. وقد اختلف حجم الدروس المقدمة بالانكليزية والفرنسية، من قطر إلى آخر، وربما من جامعة إلى أخرى. فمثلاً في بغداد، قدمت كلية الطب في سنة ١٩٤٩، تدريساً أساسياً بالانكليزية(١٣).

وقد اطلع مستعرب فرنسي في فترة ١٩٣٠ على ذلك الوضع الجامعي وعبّر عن انطباعاته قائلاً: «... أما في بيروت بالذات، التي غادرتها السنة الماضية، كانت محاولة تدريس الرياضيات أو الفيزياء بالعربية بمثابة التفكهة اللطيفة. وفي السنة التالية، ولقناعتي بعدم تصديقي الأمر، أتيحت لي الفرصة بامتحان بعض المترشحين في مادة الفلسفة. فلم يعد ممكناً التهادي على اعتبار مثل هذا التدريس أمراً مستحيلاً»(١٤). لكنه لاحظ صعوبات تمثّلت في فقدان دروس منتظمة وكتب مدرسية صنّفت على المناهج الفرنسية. وبالفعل، كان على المدرس أن يحرر الدرس بوسائل تعليمية محدودة

---

(١١) المصدر نفسه، ص ١٨.

(١٢) أحمد شوكت الشطي، «العربية لغة خلّدها القرآن،» اللسان العربي، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ١٨٦.

(١٣) ساطع الحصري [أبو خلدون]، «المعاهد التعليمية لغة التعليم،» حولية الثقافة العربية، السنة ١ (١٩٤٩)، ص ٣٧.

(١٤) *Revue Africaine* (1931), p. 125.

حتماً. وتبعا لهذه التجربة، فإن اللغة العربية الحديثة فرضت نفسها رغم الازدهار الواضح الذي أفادت منه لغات أخرى في بيروت، كالانكليزية والفرنسية والروسية أيضاً، واليونانية والتركية، ورغم الصعوبات اللغوية والعلمية في الوقت ذاته. ذلك أنها كانت عوائق البداية، وقد اعترف المفكر اللبناني جميل صليبا أنه كان عليه منذ ذلك الوقت أيضاً، الخيار بين المصطلحات الكثيرة الرائجة قبل أن يتمكّن من تحرير درس في الفلسفة. وقد توخّى طريقة اقتصر بموجبها قدر المستطاع على المفردات الفصيحة، ثم إنه كان يتوسّع بعد ذلك في دلالاتها ويحيد عنها إلى حد ما. وفي المقام الثاني، كان يستخدم بصورة متّسعة المصطلحات التي وافق عليها الأتراك والتي كانت عربية الأصل، كما هو معلوم(١٥). ومجمل القول ومن وجهة علمية، فإن إبداء حكم عن عجز العربية في المجال العلمي لا يمكن أن يستند منطقياً إلاّ إلى فشل هذه التجربة. والواقع أن القول بالانهزامية اللغوية المستمرة ليس إلاّ حكماً واهياً يقدم الايمان على التجربة واليأس على العمل(١٦).

لكن الوضع الممتاز الذي كانت عليه اللغات الأجنبية في تلك الفترة في الشرق الأوسط، تخلت عن قسم منه إلى اللغة العربية الحديثة. فقد أمكن لمصر مثلاً أن تبتكر مصطلحات إدارية ضرورية لسير أجهزة الدولة، وقد أثّرت فيها إلى حد ما النظم الانكليزية(١٧)، وذلك بفضل وجود لغة عربية محوّرة برزت كرمز للتطور الطارىء على الفكر، وعلى ما جد من وعي سياسي. ذلك أن مستقبل العربية الحديثة ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالمصير السياسي الذي كان في ذلك العهد متقلباً في بلدان الشرق الأوسط، فلم يمكن التنبؤ بفوزه أو تأكيد ضعف ادعائه(١٨).

والحقيقة الماثلة لدينا اليوم، وبعد مرور تلك الفترة العصيبة التي عاشتها أقطار المشرق العربي قبل الحرب العالمية الثانية، أنه ليس عسيراً حل قضية المصطلحات الضرورية للمرحلة الابتدائية والثانوية. ومن الغريب أن يدور الحديث عن مصطلحات لازمة لمبادىء العلوم في الصفوف الابتدائية، أو أخرى ضرورية لتدريس التاريخ في التعليم الثانوي، لأن المفردات المفيدة لهاتين المادتين ليست كثيرة جداً. ففي هذا المستوى، يمكن الحديث عن تزويد الأطفال بحقائق علمية متبلورة باللغة العربية. ومن المتيسّر فعلاً مراجعة المعلومات العلمية في هذه الدرجة، قبل تقرير إعادة طبع الكتب المدرسية(١٩).

أما في خصوص التعليم العالي، فإن الازدواجية السائدة هي التي توجد بين وضع اللغة القومية ووضع اللغة الأجنبية في التعبير العلمي. فلم يعد كافياً التعلق بالإيمان بمصير اللغة القومية كأساس للعمل الجوهري الذي يمكن للعربية القيام به، تاركة للغات الأخرى

---

(١٥) المصدر نفسه، ص ١٣٠.

(١٦) *Revue d'études islamiques* (1933), p. 323.

(١٧) المصدر نفسه، ص ٤٩٤.

(١٨) المصدر نفسه، ص ٣٠٤.

(١٩) «المملكة المصرية: نبذة تاريخية،» حولية الثقافة العربية (١٩٤٩)، ص ٣٦٦.

دور المساعد للغة الأم[20]. وبقبولنا وضعاً آخر، فإنه يمكن تعطيل المنهجية وروح البحث الجاري العمل به في اللغة العربية. فإذا رضينا بالتبعية الثقافية المقررة لفترة وقتية محدودة في أهدافها يمكن أن تتحوّل تلك الفترة إلى وضع عادي بعد أن كان في الحسبان أنها مرحلة انتقالية، ويترتّب على هذا الموقف أن يصير وضعاً لا رجعة فيه. لذا، يتحتّم وضع خطة محكمة تعوّض بموجبها اللغة العربية اللغات الأخرى، وتستعيد رسالتها كاملة. ذلك أن واقع البلاد السائرة في طريق النمو لا يحتاج إلى غذاء مشكّل من كتابات مذهبية مستوردة، بل إنه في حاجة إلى الافادة من التجارب التقنية، والعمل على أساس منهجية علمية ناقدة قائمة على التاريخ وعلم الاجتماع والعلوم السياسية والاقتصادية، وجمع كل ذلك جمعاً شمولياً[21].

والمهم أنه كان مفيداً العمل على استعراض الحلول التي تبدو نظرية والمتجهة إلى الشروع في إقحام العربية في شعب التعليم العالي. والواضح أن الحل لا بد أن يندرج ضمن الوضع التدريسي النوعي الخاص بكل قطر عربي. ولكل قطر أن يقرر العمل من أجل هذا الهدف الذي وافق عليه الوطن العربي منذ أمد بعيد. لأن تحمّل مثل هذه المسؤولية يعني حتماً إعداد العدة لما يتوقّع من تأثيرات على تأهيل الأجيال المقبلة بلغتهم القومية. لكن على كل قطر أيضاً أن يقيّم الامكانات الموجودة فعلاً لديه في النطاق المحلي، بما في ذلك التدريس بلغة أجنبية أو أكثر، يبدأ تلقينها منذ المرحلة الثانوية. وحبذا لو أن تعلمها يوصل بالاختصاصات المقررة للطلاب في التعليم العالي، خاصة في السنة الثانوية النهائية، تحديداً لحجم التمارين المقررة لاستيعاب الحد الأدنى في اللغة الأجنبية. وتتجلّى فائدته في التعليم العلمي العالي، حيث يتاح للطلاب حضور محاضرات وتمارين تطبيقية يشرف عليها أجانب، أما المصطلحات فيمكن أن تقدم بالعربية وتدعم بمقابلاتها في اللغة الأجنبية[22].

ولو عدنا قليلاً إلى الماضي الحضاري العربي البعيد، لقدرنا أن طاقة العربية المعروفة في تأدية المفاهيم العلمية خلال عصر المأمون، قد عاشها مئات من العلماء الذين حدّدوا مبادىء العلم العربي الذي أتاح لأوروبا معايشة نهضتها بفضل ما نقل إلى اللاتينية، وإلى لغات أخرى، من كتب عربية.

ويبدو أن لهذا التراث ثلاثة أوجه: وجه علمي يتمثّل في «أن للخطوات والطرق التي اتّبعت في تعريب العلوم في الماضي فائدة كبيرة حيث تزوّدنا بنتائج تلقي الضوء على التجربة الجديدة وتعيننا على تذليل الصعوبات»[23]. وكذلك وجه قومي حيث يتعذّر ظهور نهضة حقّة دون النهوض بالتراث.

---

(20) كمال يوسف الحاج، فلسفة اللغة ([بيروت]: دار النشر للجامعيين، [1956])، ص 292 و307.

(21) محمود عبد المولى، «التحليل العلمي والنظر المعياري الشامل يجب أن يكونا أساس الفكر العربي الحديث المجرد من كل تبعية ثقافية،» اللسان العربي، العدد 7 (كانون الثاني/ يناير 1970)، ج 1، ص 342 - 348.

(22) مجلة المجمع العلمي العربي (دمشق) (1967)، ص 6.

(23) ياسين خليل، التراث العلمي العربي (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، 1978)، ج 1، المقدمة، ص 3.

وأخيراً، وجه عالمي هو ما تحقق من تفاعل بين العبقرية العالمية والعربية والموروث الأعجمي.

لقد استخدم هؤلاء العلماء العرب فعلاً المعرفة العلمية في لغة مرنة أدت المدارك الكونية، واستحقت أن تترجم إلى اللغة التي سادت في العهد الوسيط، نعني اللغة اللاتينية التي كانت الأداة العلمية الأولى عند الدارسين والمدرسين في مختلف الجامعات الأوروبية. إلاّ أن اللغة العربية خضعت لظرفية تاريخية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، فتقلص نفوذها في الأقطار العربية بالذات، رغم أن بعض أعلامها مثل رفاعة رافع الطهطاوي وبطرس البستاني وفارس الشدياق ومحمد عبده وناصيف اليازجي وجرجي زيدان قاموا بمحاولة جدية لتكييف العربية وابتكار المصطلحات المولدة في زمانهم(٢٤).

وبعد انعتاق الأقطار العربية، استرجعت العربية حقوقها التاريخية في نقل المعرفة الانسانية. وبدأ هذا الاتجاه يتضح في فترة ١٩٣٠، بصدور مجلة مجمع القاهرة للغة العربية، الذي جاء بعد صدور مجلة مجمع دمشق، كذلك لما ذاعت المصطلحات المتنوعة، واللغة العلمية عامة، في الندوات والمؤتمرات المعقودة لغرض ابتكارها وتوليدها(٢٥).

واستندت هذه النهضة العلمية إلى حرية البحث وانتفاء العسف الموجه إلى المثقفين، كما عاشه كوبرنيك أو غاليليو مثلاً. وقد وصلت النهضة ابن الهيثم بالانكليزي بيكون، وجابر بالشاعر بروست في خصوص النسب في الكيمياء. لكن لا نغفل أن المشرق العربي كان قد بدأ يتخلّى عن تراثه العلمي في القرن السابع الهجري (الثالث عشر). وقد نلاحظ اليوم أن رواسب الماضي بتقهقره العلمي أرهقت اليوم الطالب العربي المعاصر الذي تحوّل عن التجريب الملموس، والنتائج والاستخلاص العلمي الصارم، إلى فائدة الجري وراء العموميات، لكن، ليس في مقدوره التصريح بالفرضيات العلمية دون أن يستنبط ذلك من التجربة المعاشة أو الملاحظة. ولذا، يتعيّن بلا شك قلب التصور القديم للتدريس العلمي القائم على المشافهة، واستبداله بموقف جديد نشيط ينبغي غرسه في المتعلم، حتى يرسخ في ذهنه ويصوره له جهازه العصبي تصويراً آلياً(٢٦).

ويتمثّل حل آخر في تدريس العلوم بالعربية، وفي الوقت نفسه تقديم بعض المسائل المقررة في المناهج، بلغة أخرى، وبذلك يمكن الامتحان عليها في تلك اللغة مباشرة. أما القسم الآخر من المقرر، «المتيسر»، فيقع تدريسه بالعربية، دون اللجوء إلى الترجمة التي تتسبب في الغموض في أذهان الطلاب، فيعجزون لذلك عن تأدية الأشغال التطبيقية. ذلك أنهم فاقدون لأداة التعبير العلمي، إلى حد أنه لوحظ ـ مثلاً ـ أنه لم تطلب أية دورية تصدر

---

(٢٤) محمد العربي الخطابي، «اللغة العربية والتطور،» اللسان العربي، السنة ١ (حزيران/ يونيو ١٩٦٤)، ص ٣٠.

(٢٥) مؤتمر التعريب، الجزائر، ١٩٧٣، بحث الدكتور المنتصر، ص ١ ـ ٦.

(٢٦) محمد يحيى الهاشمي، «العرب والكشوف العلمية،» اللسان العربي، السنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٧)، ص ٧ ـ ١٧.

بالفرنسية أو الانكليزية ولو بحثاً طبياً محرراً باللغة العربية[٢٧]. وأكثر من ذلك يرجع الطلاب والمدرسون إلى أبحاث مقتبسة، نقلها مستشرقون اعتمدوا مخطوطات قديمة لعلماء من العهد الوسيط. وبذلك يكونون قد درسوا مؤلفات التراث في لغة أجنبية، لأن التردد الذي يعيشه الاختصاصيون العرب، يتمثّل في تساؤلهم عن القيام بالبحث والتدريس، أو ترجمة الكتب التدريسية العلمية. لقد قبل هذا الحل دون مناقشة، وأثار بدوره تساؤلاً آخر: ما هي اللغة الحيّة التي ينبغي استخدامها؟ ذلك أن لبعض اللغات فعلاً سمعة دولية تبقى لمدة ما، ثم تتخلى عن موقعها، تاركة المجال للغة علمية أخرى، لأنها فقدت من أهميتها على الصعيد العلمي. فما هو المقياس أو سلم القيم الذي ينبغي توخيه في العمل بلغة أجنبية أخرى؟ أم هل يقع التمادي في العمل باللغة السابقة؟ ولذا، اتضح أن الاجماع على اللغة القومية يشكّل حلاً رئيساً[٢٨].

على أن متطلبات التعليم العلمي متعددة، إذ ينبغي أن تكون للبحث العلمي الوسائل الكافية المناسبة، كالمخابر والأجهزة والمكتبات المتخصصة. لكن المؤلفات الأساسية العلمية لم تترجم كلها، بينما توجد في أوروبا مبادلات في الأبحاث ونتائجها، هي مفقودة في اللغة العربية، مثل الحاجة إلى الدوريات لمختلف المواد العلمية[٢٩].

فعلى سبيل المثال، في العراق «سار التعريب بخطوات متزنة ولم يكن أمام وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، إلّا أن تحثّ الخطى وتغذّ السير على الرغم من الصعوبات التي تتمثل في الكتب المنهجية والمساعدة والمصطلحات واعداد تدريسيين قادرين على تنفيذ عملية التعريب»[٣٠] كما يمكن الاشارة إلى «تجربة مجمع اللغة العربية الأردني في تعريب التعليم العلمي الجامعي»[٣١].

إلى جانب ذلك ينبغي أن تتجه النية إلى نشر أساليب ومناهج تربوية في كل المستويات بقصد تأهيل الطلاب لاكتساب الذهنية العلمية، وذلك بعد ازالة العقبات القائمة في وجه النشاط العلمي. وقد نظر المؤتمر الثقافي العربي الثامن (القاهرة، ٢٠ ـ ٣٠ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٩)[٣٢] في ظروف اعداد العلميين، وأوصى أن تكون اللغة العربية أداة لتدريس

---

(٢٧) منذر الدقاق، «الاتصال بحلقات التطور العالي يستلزم اتقان لغة أجنبية بجانب اللغة العربية،» اللسان العربي، السنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٧)، ص ١٣٤.

(٢٨) فاضل الطائي، «فعالية اللغة العربية في الحقل العلمي ولكن لا بد من لغة حية ثانية في البحث الجامعي،» اللسان العربي، السنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٧)، ص ١٥٥ ـ ١٥٧، والعربي حصار، «انطلاق رائع للتعليم العلمي العربي يجب أن يعزز بفتح معاهد التخصص أمام المكونين بالعربية،» المصدر نفسه، ص ١٨٨.

(٢٩) الطائي، المصدر نفسه، ص ١٥٥ ـ ١٥٧.

(٣٠) أحمد مطلوب، «تعريب التعليم العالي في العراق،» مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة ٨، العددان ٢٥ ـ ٢٦ (تموز/ يوليو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٤).

(٣١) عبد الكريم خليفة [وآخرون]، الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة العربية الأردني (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٣).

(٣٢) توصيات المؤتمر الثقافي العربي الثامن، و/ المكتب.

العلوم، حتى يرتبط الاخصائيون بأقطارهم وتتاح لهم الفرصة للبحث في الحاجات القطرية. ومن البديهي أنه يمكن تنفيذ هذه الخطة خلال سنين عدة، بعد تجميع الجهود التي تبذلها المجامع العلمية العربية، ووضع مخطط للتأهيل العلمي. أما بخصوص التعليم العام، فيجب الإلحاح على التطبيق التجريبي، وتشجيع التلاميذ على السير في هذا الاتجاه، بعد اصلاح المناهج التعليمية. ويكون ربط ذلك بالمناهج الجامعية، عند تنسيق الأبحاث والإفادة من الامكانات الموجودة، المتمثلة في المخابر والأجهزة، والربط بين الاختصاص ومحددات التنمية. ولا مجال للنجاح في هذا التدبير إلّا إذا بقي العلميون العرب في أقطارهم، بعد أن توفر لهم الامكانات المادية للعمل، ومراجعة البحث المحلي والاقليمي، وتطوير الخدمات في التوثيق العلمي، والتمويل المشترك لمشاريع بحثية نافعة، حتى نواجه التحدي الذي فرضته علينا حتمية التنمية العلمية[٣٣].

فلا مفر بالضرورة من تعبئة الكفاءات العلمية، وتجنيبها تبذير طاقتها في الأعمال التقليدية المتمثّلة في البحث عن مقابلات عربية للكلمات الأجنبية. بل ليخول لهؤلاء التفرغ إلى البحث في ميدان اختصاصهم، وليعوضوا بلغويين أعدوا للعمل في حقل تصنيف المصطلحات العلمية. ذلك أن المساعدة التي يقدمها «الأدبيون» لا يمكن إلّا أن تفيد في دعم النشاطات العلمية. إن مثل هذه البادرات لو اتخذت، لساعدت منذ أمد طويل، على تحسين المردود في البحث المتخصص. وقد أنشئت بعض المراكز العلمية لهذا الغرض، وتبين أن نشاطها يبدو بادرة ارتجالية كأنما لم يخطط له بعناية. وينبغي أن يلاحظ أنه منذ أن أنشئت هذه المراكز في بعض الأقطار العربية تأخر ظهور النتائج المقنعة الحاسمة، ولا شك أن ذلك كان بسبب قلة الموارد والمختصين، ومنهم الأجانب الذين لم يقيموا في قطر ما إلّا بصورة مؤقتة تقطع حبل المداومة على البحث والاستنتاج.

وقد تعطل كل تقدم فعلي بسبب تشتت هذه الجهود، وهروب الأدمغة العربية التي لم تجد البنى العلمية المساعدة على الاستمرار في البحث العلمي. فيحسن إنشاء منظمة عليا عروبية للبحث العلمي لها من الامكانات ما يساعد على إعداد مشاريع الأبحاث، وإسداء المساعدة للأقطار التي قررت تخطيط برامج التنمية الاقتصادية. وللمنظمة المذكورة التنسيق بين مراكز البحث والتعاون العلمي بواسطة عقد مجلس ولجان توجه الأبحاث والباحثين. ولا يخفى أن تعدد الأبحاث والدوريات ونمو عدد الباحثين، لا يلبث أن يقيم الأسس لنشأة حضارة علمية، أداتها هي اللغة العربية[٣٤]. إذ إن التخصص يشكل عامل رقي علمي، والاخصائي فحسب، قادر على التأكيد باطلاعه على اختصاصه، اطلاعاً كافياً في لغات عدة، وفي مقدوره الحديث عن ذلك الميدان.

---

(٣٣) محمد يحيى الهاشمي، «حاجتنا إلى التعبئة العلمية،» اللسان العربي، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ٥٩ - ٦٧.

(٣٤) الخطابي، «اللغة العربية والتطور،» ص ٣٠.

لكن الاخصائي العربي غير قادر على مطالعة كل الأبحاث في أصولها. وهنا يكون للترجمة دور همزة الوصل، ضمن جهاز مستقل يتضمن المختصين واللغويين العارفين بقواعد التعريب، تعريب الكلمات والأفكار[٣٥].

وقد عزمت الجامعة العربية على السير في هذا الاتجاه (في مذكرة وضعتها في آذار/ مارس ١٩٧٠)، فقررت تنسيق أعمال الترجمة العلمية واحصاءها، بفضل تشكيل لجنة من المختصين كلفت بالإشراف على الترجمات، واقتراح عدد من الكتب والمؤلفات الكبرى في العلوم الأساسية الصرف أو التطبيقية، التي تعتمد مصادر[٣٦] جاهزة للعمل. ثم إن انتقاء منهجية صالحة يعني ضمان النجاح لمشروع البحث. فمثلاً، نجد أن العلوم الأجتماعية تستخدم العربية لغة أساسية، بينما كانت اللغات الأجنبية في السابق أداة لتدريس علم الاجتماع. لكن المختصين العرب في هذا العلم يستخدمون منهجية مقتبسة عن المنهجية الغربية لأن ليس في مقدورهم تصنيف طريقة خاصة بهم في البحث. ولذا، كان محتماً أن تستخدم الطرق الأوروبية بتبصر، لأن سياق أبحاثها يخالف السياق العربي. ومن المعلوم أن المغرب العربي يطبق المنهجية الفرنسية القائمة على الموضوعية البحت، بينما ليس من اليسير على الباحث المغربي التخلّص من التزامه تجاه المجموعة التي ينتسب إليها[٣٧].

ودون التعلّق بالمنهجية الغربية تعلقاً آلياً، لا يمكن أيضاً ربط البحث الحديث بالظروف العربية القديمة التي حصرت الدراسات العربية في قواعد محنطة. وهذا أمر واضح في الحقل اللغوي، حيث عانت العربية عيوباً نطقية، لما تمازجت الأجناس وتمخض عن ذلك المجتمع العربي الاسلامي في العهد الوسيط. وقد احتاج الطلبة في عصر سيبويه والكسائي إلى استيعاب النحو العربي وحفظه في خلاصات. فاستخدمت أساليب الترسيخ في الذاكرة لحفظ اللغة، وآل ذلك إلى توسيع الشقة أكثر فأكثر بين الأساليب المستخدمة للتدريب على العربية وبين طرق تعلم اللغات الأوروبية. فأدى ذلك الموقف التعليمي التقليدي إلى استثناء اللغة العربية من تيار التجديد التربوي والنتائج التي أسفرت عنها مناهج اللغويات التطبيقية. وفي الجملة، لا يوجد تعليم يميز العربية على درجات، عند تعليمها للصغار والكهول والأجانب. فبالنسبة إلى الأطفال، ينبغي تحديد كمية المفردات واعتبارها أساساً لغوياً يتضمن كلمات فصيحة وكلمات عامية فصيحة الأصل، ويشكل كل ذلك القاعدة اللغوية في تعليم الصغار. ويرتبط تعليم العربية للكبار باللغة المتداولة الفصيحة المستعملة في الحياة اليومية. أما الأجانب، فلعل أحسن طريقة لتدريبهم على العربية هي أن يدفعوا إلى كشف نقط الاتفاق

---

(٣٥) عبد الغني ماجد السروجي، «التعريب أهم وسائل تقدمنا العلمي،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ٦٨ - ٧٣.

(٣٦) «تعريب العلم بترجمة الانتاج الفكري والتقني الانساني،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ١٤٤.

(٣٧) محمد عبد المولى، «ملاحظات منهجية حول الدراسات الاجتماعية في الوطن العربي،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ١٥٨.

والاختلاف بين العربية ولغتهم الأصلية، لمساعدتهم على المقارنة[٣٨].

ويدعم التعليم اللغوي بجهاز تعليمي، منه المعجم الحي الذي أوصى بانتاجه مؤتمر ١٩٦١، على أن تكون كلماته مشكولة تامة الشكل، ويُحلّى بالصور، يضاف إليه كتاب دراسي مبسّط يتضمن القواعد النحوية الأساسية، ويلفت الانتباه إلى الأخطاء اللغوية والتداخل بين اللغات، وأيضاً تجديد الكتاب المدرسي، ونشر كتب مصورة للأطفال تعالج الظواهر الطبيعية، وتوسع من آفاقهم العلمية دون التغاضي عن كتابتها بأسلوب جذّاب يناسب ضرورة الكشوف العلمية التي لا يمكن أن يقبل على معرفتها الأطفال، إلّا إذا كانت الصورة والنص الشارح لها تامّي الوضوح، إذا رغبنا طبعاً في إشعارهم بمختلف مظاهر التقنية الحديثة ومنجزاتها، فتلك هي القاعدة اللازمة للتعليم العلمي. وتكييف الوسائل السمعية البصرية مكمل من مكملات الجهاز التعليمي المجدد الذي يمكن أن نضعه في خدمة التدريب العلمي وترويج الاكتشافات. إنه عمل عروبي جماعي يتطلب تمويلاً هاماً، لكنه ضروري، لرسوخ الفكر التقني[٣٩].

كانت الكتب العلمية نادرة في الماضي، لأنه نشر مثل هذه الكتب وترويجها كان يفتقر إلى الدعم المالي، فكان ذلك عائقاً صارخاً أمام تعميم المعارف العلمية لدى الجماهير، التي كانت تثقف ثقافة منقوصة، خطرة على النهوض باللغة العربية العلمية، بينما لا توجد معارضة ازاء استخدامها لغة علمية[٤٠]. والملفت للنظر بعد التنقيب هو تفاوت مستوى الكتاب العربي في مراحل التعليم. ذلك أن الكتاب العلمي في المدرسة الابتدائية لا يتضمن إلا ٨٠٠ مفهوم مقابل ١٥٠٠ في الكتاب الأوروبي، والواضح أن الكسب العلمي للطفل العربي يضاهي نصف ما يحصل عليه الطفل الأوروبي الذي يجد مصادر أخرى تخبره وتثري معارفه. فيؤثر هذا الوضع في الدراسة الثانوية ويضرّ بالدراسات العلمية العليا، كما تقررت في الجامعات الأجنبية. ولرفع المستوى العلمي للطفل العربي، لا بد من مراجعة الكتب المدرسية الرائجة، واعداد غيرها في الحساب ومبادىء العلوم[٤١].

وللتحري في مسألة التعريب العلمي ومقتضياته على صعيد الجامعات[٤٢]، نظم مكتب تنسيق التعريب في الرباط «استفتاء» (١٩٦٦) حول هذا الموضوع. فوجه خمسة أسئلة إلى شخصيات ومؤسسات علمية عربية يستفهمها في الأمر المتمثل في مدى نجاعة اللغة العربية في تأديتها المعرفة العلمية. وفحوى هذه الأسئلة يدور حول منشأ القضايا الناجمة عن تطور العربية، والتي يتوقع أن تحدّ من الانتشار السريع لهذه اللغة، والحلول الممكنة لذلك. ثم

---

(٣٨) مؤتمر ١٩٧٣، بحث تمام حسان، ص ٢٠ ـ ٢٣.

(٣٩) و/ المكتب، حصة بالإذاعة المغربية (بالفرنسية)، ١ ـ ١ ـ ١٩٦٧.

(٤٠) *Revue d'études islamiques* (1933), p. 497.

(٤١) اللسان العربي، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ١١.

(٤٢) عبد العظيم حفني صابر، «المصطلح العلمي في التعريب،» مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)، العدد ٥٠ (أيار/ مايو ١٩٨٣)، ص ١٧١.

وقع التساؤل عن وضع العربية في الدراسات والأبحاث الجامعية، وما يجده الأساتذة من صعوبات في التدريس وكيفية التغلّب عليها في التعليم العالي، وهذا واقع سائد في كافة الأقطار العربية بدرجات متفاوتة، منها مصر التي مارست «قضية التعريب في التعليم العالي والجامعي (التي) ترتكز على محاور أو اهتمامات ثلاثة هي الأستاذ والكتاب والطالب»[٤٣]. وهل أن الحل موجود في وضع المصطلح العلمي، بحيث يحل وجوده تلك القضايا التدريسية[٤٤]. ووردت الأجوبة عن هذا الاستفتاء من مصادر مختلفة، كالمعاهد العلمية العربية (معهدان)، ومن سبع منظمات عروبية، ومن المجامع والكليات العلمية، ووزارات التربية والثقافة... أما من البلدان الأجنبية، فقد شارك مستشرقون من جامعة باريس ولايد، ومن الاتحاد السوفياتي. وساهم أيضاً علماء ومجمعيون وجامعيون عرب وأجانب ينتسبون إلى أحد عشر قطراً وتسع عشرة كلية[٤٥]. وساعدت صحف ومجلات عدة على التعريف بهذا الاستفتاء، محللة قضايا اللغة العربية، فنشرت حوارات مع العلماء والأدباء، وشرحت الأجوبة. وقدمت الاذاعة المغربية من جانبها ردوداً كثيرة، وعقدت اجتماعات لإثارة الرأي العام في المسائل التي خاض فيها الاستفتاء. وكلف سفراء المغرب الأقصى التعريف بقائمة الأسئلة، سواء كان ذلك في بغداد أو كراتشي أو وارسو، ووزعوه بمساعدة الاتحاد البريدي العربي وإداراته الاقليمية المتنوعة[٤٦]. وقام المسؤولون في الوزارات العربية للتربية والاعلام بتوزيع هذا النص على نطاق واسع، شمل أعضاء المجامع في القاهرة ودمشق وبغداد، وكذلك علماء اللغة المعروفين، منهم الأب فليش من جامعة القديس يوسف في بيروت، وقد أكّد في جوابه[٤٧]:

«إنه توجد قضية أساسية تتمثّل في الكتابة العربية التي ما زالت تخضع لوضع اختزالي. ولا أدعو إلى التخلي عن الخط العربي، بل أدعو إلى تكييفه بالحركات. ولم تصبح اللغة العربية الحديثة بعد أداة صالحة لضمان استمرار البحوث الجامعية ونموّها، إذ لا يوجد في العربية ما يكفي من أدوات العمل»[٤٨].

وبعد هذه النظرة المجملة إلى محتوى الاستفتاء، يحسن استعراض الصعوبات الخاصة بالعربية والحلول المقترحة. إن حصيلة أجوبة المشاركين تسمح باستخراج نظرة شاملة عن

---

(٤٣) محمود حافظ، «تعريب التعليم العالي والجامعي،» (محاضرة ألقاها ضمن وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية (القاهرة) في الدورة ٥١). انظر: عدنان الخطيب في: **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ٩، العددان ٢٨ - ٢٩ (تموز/ يوليو - كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٥)، ص ٢٠٩ - ٢٤٠.

(٤٤) شحادة الخوري، «تعريب التعليم العالي وصلته بالترجمة والمصطلح،» **اللسان العربي**، العدد ٢١ (١٩٨٣)، ص ١٣٧ - ١٥٦.

(٤٥) «نتائج الاستفتاء حول اللغة العربية،» **اللسان العربي**، السنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٧)، ص ٨٩.

(٤٦) نشر هذا الاتحاد: **قاموس المصطلحات البريدية (فرنسي - انكليزي - عربي)** (دبي: [د. ن.]، ١٩٨٥).

(٤٧) «أنباء المكتب الدائم للتعريب،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٦٠٢.

(٤٨) و/ المكتب: رسالة، ١٤/٥/١٩٦٧.

الصعوبات التي تعترض سبيل انتشار اللغة العربية في العالم، والحلول المتنوعة التي ينبغي العثور عليها، فيمكن مثلاً احصاء الأقطار العربية والاسلامية والمراكز الاسلامية الموجودة في بقية العالم[٤٩]. وفي المقدمة علينا إبراز الملامح العلمية والثقافية، وكذلك الملامح الاقتصادية والمالية والسياسية والاجتماعية، وبعبارة أقوى تقليب الأمر من كل وجوهه. وإن أغفل بعض الأجوبة المظهرين الأولين، فإن أكثرها ألحّ على هذه النقطة فاكتسبت طابعاً موضوعياً في تحليل القضايا، وساعدت على البحث عن الحلول العلمية، وبالتالي الوصول إلى سياسة تجديد العربية وربطها بضرورات العصر. ومع أن الأجوبة تباينت في تقدير القضايا والصعاب التي تحد من انتشار العربية في العالم[٥٠]، وتعطل اتساع التعليم العالي بها، فقد عددت حلولاً عدة، وأثارت قضايا متواترة عدة[٥١]. فمن المشاكل التي تحدّ من انتشار العربية: تخلف المستوى العلمي، اغفال نشر العربية في العالم، عائق اللهجات، ضعف طرق التعليم، قلة المراجع العلمية والتأليف العلمي العربي، قلّة التنسيق العلمي والثقافي، وما يترتب على هذه الأمور من أوضاع. والحلول تتجسّم في تبسيط اللغة عند تعليم قواعدها، واهتمام الحكومات بنشرها في الخارج، والتشدّد في المجال الاعلامي عند استخدام العربية، والعناية بالكتاب المدرسي، وترجمة المراجع العلمية، وبناء صرح التوحيد الثقافي العربي، وصد التيارات المضادة لهذه اللغة «إن من الأهداف الكبرى لهذا المجال السعي لاستعادة اللغة العربية والثقافة العربية الاسلامية دورهما التاريخي في التواصل بين الأمة العربية وبين الشعوب الاسلامية بصفة خاصة، وفي تقوية وتعزيز اتصال المهاجرين العرب في الخارج بالثقافة العربية الاسلامية وباللغة العربية»[٥٢].

وقد أقرّ هذا الاستفتاء أيضاً الصلة العضوية القائمة بين التعريب بجميع صنوفه وفي مختلف مراحله، وبين وضع المصطلح العلمي. فإذا اعتبرنا أن اللغة العربية ثرية، وإن ثراءها يجعلها صالحة للتعليم العلمي، بما في ذلك التعليم العالي، وأنه يمكن مثلاً تصنيف قاموس علمي تقني بهذه اللغة واستخدامه في الكليات العلمية، اتضح لنا أن الزاد اللغوي العلمي موجود لكنه شائع على الصعيد القطري، فكان سبباً في الاختلاف الاصطلاحي وعائقاً في طريق التعميم التعريبي. فعلى الرغم من أن الخبراء مبتكري المصطلحات هم أصحاب كفاءات عالية، فإن قاعدة وضعهم للمصطلحات تنطلق من البيئة اللغوية التي مارسوا فيها نشاطهم اللغوي، فلا تنفع الحلول المقترحة عن طريق استفتاء أو غيره من أساليب التوعية الاصطلاحية، طالما أن التميز اللغوي القطري يسعى إلى التفوق على الوضع

---

(٤٩) محمد السيد غلّاب [وآخرون]، «المراكز الحالية والمقبلة لانتشار اللغة العربية،» **اللسان العربي** (١٩٨٠)، ج ١٠، ص ١٢٤ - ١٣٩.

(٥٠) معين الدين الأعظمي، «انتشار اللغة العربية،» **اللسان العربي**، العدد ٢٢ (١٩٨٣)، ص ٣٣٨ - ٣٤٠.

(٥١) «نتائج الاستفتاء حول اللغة العربية،» ص ٩٠ - ٩٥.

(٥٢) «تنمية اللغة العربية ونشر الثقافة العربية الاسلامية في الخارج،» **اللسان العربي**، العدد ٢٤ (١٩٨٥)، ص ٢٥٥ - ٢٥٧.

الاصطلاحي العروبي، اضافة إلى الفروق في المناهج والمشارب التربوية[٥٣].

ومن خلال الحوارات التي بثتها اذاعة المغرب الأقصى بصدد الاستفتاء[٥٤]، يمكن تبين مواقف الخبراء المستجوبين الذين شرحوا وعلّلوا قلة انتشار العربية، التي لم تسهم في العصر الحديث اسهاماً فكرياً جديداً في انماء الفكر الانساني، بحيث يميل إليها غير العرب، رغم عسر تعلمها، للنهل من نتاجها الفكري والأدبي. فلو يسرنا لهم سبل تعلمها، لأقبلوا على تدارسها. وفي مقابل ذلك، يمكن أن يقبل طلبتنا المتخصصون والمتفرغون للبحث، على دراسة لغات أجنبية عدة لمتابعة الحركة العلمية في الخارج، بينما ينجح التعريب، لو استمر العمل جدياً، بتنفيذ ما وحّد من مصطلحات علمية.

ومن المستشرقين من أوضح رأيه في هذه المسائل (في محاضرة بمدينة فاس ألقاها الأستاذ بـلّا) قائلاً إن تخلّف العرب العام يتضمن تخلّف لغتهم. وللقضاء على هذا الوضع، من المناسب اللجوء إلى وسائل جاهزة للتنمية اللغوية، منها استخدام كلمات عامية لا توجد بالفصحى (أسماء الحِرَف)، واستعادة ما اقتبسته في العهد الوسيط اللغات الأخرى، وتعريف الألفاظ الأجنبية التي يمكن وزنها على الصيغ العربية (فِلْم، تلفزة، غاز)، واعتماد الألفاظ اللاتينية في علم الحيوان وعلم النبات، والبحث عن الألفاظ المولّدة التي استخدمت في العهد الوسيط دون أن تدوّنها المعاجم القديمة، والتوسّع في الألفاظ القديمة بأن يضفى عليها المعنى الجديد، وتصنيف قاموس عام موحد. فكانت هذه الأفكار بمثابة المقترحات القابلة للتطبيق، وإن نظر صاحبها إليها عبر منظار فكره الغربي اللاتيني، فلا حرج من ذلك إذا هي خدمت حقاً التنمية العلمية ومهدت للعمل التعريبي الجاد، وهي تندرج في نطاق احصاء العقبات وحلولها. وكما هو الشأن في كل استجواب أو استفتاء، من حق كل من يوجّه إليه السؤال بذل جهده الشخصي وإبداء رأيه. وقد تمخّض عن ذلك تبويب دقيق للمسائل، فوقع احصاؤها وترتيبها حسب أهميتها. إن فقدان المراجع العلمية العربية أمر معروف في التعليم الجامعي، حتى في المواد الإنسانية والاجتماعية (كتب الفلسفة وعلم النفس والاجتماع، والقانون. . .) ومع اعتبار رأي المختصين في كل علم من هذه العلوم، نرى أنه بالإمكان، وباستثناء كتب التاريخ والجغرافيا التي تتطلب إعداداً محلياً أو قطرياً يندرج في إطاره العربي الاسلامي، تصنيف المؤلفات العلمية المتخصصة على الصعيد العربي، بتجميع جهود الخبرات الوطنية الممتازة في جلسات عمل يومية وتخصيصها في التأليف في الفروع العلمية الموضوعية العالمية التي لا تخضع لأية اعتبارات محلية ضيقة. وإلاّ فكيف يمكن أن تتابع حركة التعريب العروبية، التطور السريع الذي يوجد عليه اليوم العلم وتفرعاته التقنية، إذا لم تعمد إلى وضع خطة محددة الآجال والأهداف العملية؟ تجيبنا الأصوات الناقدة أن هناك عجزاً اصطلاحياً ينبغي تلافيه أولاً، يضاف إليه ما راج من ألفاظ قطرية مختلفة في ما بينها، مدلولاً

---

(٥٣) عبد الحق فاضل، «الأنثى والنملة والنسناس،» اللسان العربي: السنة ١٤ (١٩٧٦)، ج ١، ص ١٢ ـ ١٤، والسنة ١٣ (١٩٧٦).

(٥٤) و/ المكتب: حصة بالعربية، ١٩٦٦/٢/١٦.

ووزناً. وكل هذا يعني تشخيصاً للداء يمكن القضاء عليه لـو اتفقت النيّات عـلى حد أدنى من منهجية العمل والانجاز المخطط. ويضاف إلى هذه الاختلافات ما عرف عن صعوبة الكتـابة والنحو العربي. وقد اهتم بهذا الأمر مؤتمر ١٩٦١، وصادق على توصية تحثّ عـلى تبسيطهـما. وتبعاً لذلك، فلا وجود لطرق وأساليب قيِّمة لتدريس العربية لأهلها ولغيرهم. وفي الحالتين، تختلف الطرق التعليمية لبث اللغة العربية في البلدان الاسلامية والأجنبية. ويؤيد هذا الـرأي أقوال المشاركين الذين طالبوا بالعمل على تأهيـل مدرّسي المـرحلة الابتدائيـة، وتأليف الكتب حسب قواعد تكوّن الفكر، والنظر في التجارب الأجنبيـة «إعداد قوائم المفردات المستعملة في المواد المدرسية في المرحلة الابتدائية مثلاً عند بعض الدول الأوروبية للمقارنة مع ما يوجد في مثيلاتها بالعربية»[٥٥].

أما تعليم العربية للأجانب، فلا بد من تهيئة الجو النفساني التربوي في الأقطار الأخرى بمساعدة السفارات العربية وفتح مراكز ثقـافية، خـاصة في البلدان الاسـلامية، أو التي تضم كثيراً من المسلمين (يدرس القرآن في نيجيريا بـاللغة الانلكيـزية، وقـد وزّعت في شمال هـذه البلاد كراسات الخط العربي). أما في البلدان الأخرى، فيبدو أنه لا يمكن نشر العربية إلاّ بين المثقفين، لأن هذه اللغة لا تتيسر بها حتماً وفي الوقت الحاضر، سبل العيش.

وتثـار القضية الكـبرى في التدريس العلمي بصـدد التعليم العالي طبعـاً، لأن الأستـاذ والكتاب يمثلان معاً قضايا قائمـة بالـذات تستوجب الحـل. فإمـا أن يكون الأستـاذ مختصاً في مادته ضعيفاً في العربية، وإما أن يتولى التدريس الجـامعي أستاذ متمكن من اللغـة العربيـة، فيجـد كتباً جـامعية سيئـة اللغة والـطبع، أسعـارها بـاهظة تتنـافى وما تنتجـه عادة دور النشر والطباعة الجامعية المتخصصة في الكتب الرائجة في التعليم العالي.

وكما بيّنا، فقضية المصطلحات قديمة عاشها الماضي الحضاري العربي منذ القرن الثـالث الهجـري، وفي عصر الأصمعي، ثم في زمن ابن جِنّي (توفي سنـة ٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م) الـذي أكّد أن كل وزن قيس عـلى أوزان العرب فهـو من أوزانهم، وبيّن ذلـك في كتابـه **الخصائص** (ج ٢)، في فصل عقده على شجاعـة اللغة العـربية، التي أتيـح لها قبـول عدة كلمات غـريبة عنها.

وبمـا أن الحوار ذو شجـون في هـذا المقـام أيضـاً، فـإن ربط هـذه القضـايـا بـالتخلف الحضاري العربي الذي يحدّ من انتشار العربية، والتفكير في اقامة وحدة ثقافيـة، ويعطل كـل مشروع للاصلاح اللغوي والعلمي، إنما هـو وعي حتميات التشـابك والتـلاحم بين المـلامح المختلفـة للقضية الـواحدة. وهـو وعي منهجي يستهدف دائـماً وحدويـة مقررات الجـامعـات والكتب الدراسية والمجـامع اللغـوية، وأيضـاً أهداف البحث العلمي، إذ لا اعتبـار لجامعـة تقتصر فحسب على تأهيل الاطارات العليا، بل إن البحث هو أساس وجودها، لأن البـاحث يتجه إلى وضع مصطلحات عمله[٥٦].

---

(٥٥) «نتائج الاستفتاء حول اللغة العربية،» ص ٩٠ - ٩٥.

(٥٦) و/ المكتب: حصة اذاعية، ١٩٦٧/٣/٨.

وقد ساهم التقنيون أيضاً في هذا الاستفتاء، مثلاً استاذ بكلية الهندسة بالقاهرة أكّد ما أحاط اللغة العربية من وعي في مؤتمرات المهندسين والأطباء والمحامين، الذين تتاح لهم فرص استخدام الاصطلاحات والترويج لها على الصعيد العروبي على أقل تقدير. ذلك أن العلم عبارة عن نسيج من الحقائق يمكن التعبير عنها بصيغ مختلفة. فإذا كان لا يمكن وضع مقابلات عربية للألفاظ الأجنبية، فإن وسيلة صرفية عرفت باسم التعريب (اللفظي) عملت في الماضي والحاضر على قولبة الكلمة الغريبة في وزن عربي، بحيث لا يستنكف منها الذوق اللغوي العربي السليم(٥٧).

وشاركت أيضاً الأجهزة الحكومية في الاستجواب، مثلاً وزارة البريد في الكويت(٥٨)، التي ألحّت على فرض العربية في جميع المجالات، ودعم الفصحى بمراسلة الأقطار الأخرى بالعربية، والعمل على تأهيل المعلمين، والإسراع والمثابرة على ترويج المصطلحات العلمية، لأن ذلك يضعها على محك الاستعمال والتداول، أي الرسوخ لا الزوال.

كل هذه الحلول والمقترحات تندرج ضمن الاهتمام بالنهضة العلمية التي تكون أداتها اللغة العربية، كأن تترجم كتب الدراسة والمصادر العلمية الجامعية المنتقاة على الصعيد القطري العربي، والتشجيع على البحث وكتابة التآليف العلمية، ونشر قاموس لغوي وآخر علمي بإشراف المؤسسات العلمية واللغوية، وذلك إعداداً لتعريب التعليم العالي، وسنرى كيف حقّق مؤتمر ١٩٧٧ في طرابلس بعضاً من خطة التعريب الجامعي في بعض العلوم. ولا شك أن ترجمة مواد موافق عليها على الصعيد العروبي، من المصادر العلمية الأساسية بلغة عربية غير معقدة، بل إن تيسير الفهم على الدارس من الطلاب أو الأساتذة المتخصصين في مادتهم وغير المتبحرين في اللغة العربية، عامل أساسي في ترويج وترسيخ المعرفة العلمية، على أن يكون ذلك العمل مثلاً بإشراف الجامعات العربية المنضوية في اتحادها. لكن هذا التيقظ العلمي احتياط لكل ما يتوقع من ترجمات سيئة باسم التبسيط اللغوي. ويحسن دعمه باحتياط آخر درءاً لخطر يتمثّل في تفجير الفصحى إلى لغات علمية اقليمية عدة، لو وقع قبول بعض الألفاظ الأجنبية في شكلها اللاتيني، كما هي رائجة في اللغات الأخرى، بما فيها اللغة الروسية، فيتحدّد بذلك تعريبها في وزنها الحرفي، وذلك مدعاة إلى تعميق الخلافات الاصطلاحية العربية. لكن يمكن للتعريب «الحرفي» أن يشمل الكلمات الدولية، مثلاً مصطلحات علم الحيوان وعلم النبات الرائجة باللاتينية في العالم قاطبة. أما بقية الألفاظ العلمية، فينبغي اشتقاقها من الأساليب العربية، كالاشتقاق والتوليد والاستعارة... ولو أردنا التعجيل بالعمليات التعريبية، وعملاً بما اقترحه المشاركون في الاستفتاء، وللحاق بركب الرقي العلمي السريع، فكر المكتب في استخدام امكانات تسمح بها عمليات التصرف الآلي الرائجة في المؤسسات العصرية.

---

(٥٧) و/ المكتب: حصة اذاعية، ١٩٦٧/٤/٦.

(٥٨) و/ المكتب: حصة اذاعية، ١٩٦٧/٣/١٦.

أما عن القضية الثالثة التي أثارها المشاركون، فهي تتعلق بإنشاء وحدة ثقافية عروبية قائمة على وحدة المناهج والكتب المدرسية، ووحدة المؤسسات المجمعية، وعقد المؤتمرات العلمية العروبية الموحدة، وهي مهام من اختصاص الجامعة. وقد انعقد فعلاً سنة ١٩٦٤ في الجزائر مؤتمر المصطلحات العلمية، لكن لم يحصل أي اتفاق اصطلاحي، اعتماداً لما قدم لخبرائه من معاجم مراجعة، بغية تقرير استخدامها استخداماً شاملاً في الأقطار العربية. وذلك هو خط السياسة الرامية إلى توحيد الاصطلاحات، وهي تصطدم دائماً بأسبقية الألفاظ القطرية في الرواج والاستعمال المدرسي اليومي. وإن تم الاتفاق، فعن طريق التوصيات التي لا يتبعها التنفيذ السريع أو حتى مجرد التفكير فيه. من ذلك ما نعلمه عن قضية تيسير النحو (والكتابة)، وأكداس المشاريع التي ظهرت ولم تدخل حيّز التطبيق، أو حتى التجريب على الصعيد القطري، فما بالك بالصعيد العروبي. لكن السنين الأخيرة بدأت تسجل وعياً هاماً ولو محلياً بالاصلاحات الواجب أدخالها. وقد لاحظ مؤتمر ١٩٦١ في الرباط أن كتب النحو محدودة القيمة التربوية في مواضيعها ومادتها اللغوية، وكذلك الأمر بالنسبة إلى قصص الأطفال. فقد ضاقت وتقلّصت معلومات الطفل العربي، لأنه بقي يطالع كتباً لم تعد مسايرة لمتطلبات العصر، وتحدد بموجب ذلك زاده اللغوي، وأخطر من ذلك، تضاءلت آفاقه الفكرية. فالتنمية الفكرية للفتيان وكذلك التفاعل الوجداني يفرض وجود كتب للمطالعة، وكتب نصوص أدبية متنوعة دسمة منتقاة، من شأنها أن تحبب إليه المطالعة والقراءة. وفي هذا الخصوص، استوجب توحيد الألفاظ المدرسية ومقارنتها بالزاد اللغوي الرائج في المدرسة الابتدائية في الدول المتقدمة في ميدان التربية والتعليم. فقد طالب المكتب وزارات التربية الأجنبية (فرنسا، انكلترا، ايطاليا) تزويده بالكتب المقررة في الحساب ومبادىء العلوم والقصص، واقترح جرد مثل هذه الكتب في مصر لكثرة انتاجها المدرسي[٥٩].

وقضية تنظيم التعليم العلمي العالي وتعريبه اختصت به بقية الاستفتاء. فتبين أن العلوم الانسانية أداتها الفعلية هي اللغة العربية، ويكاد يكون الأمر شاملاً في مختلف الأقطار العربية. واقتراح تعريب العلوم الصحيحة ربط بين استخدام العربية ولغة أجنبية. لكن الأساتذة يعانون مصاعب مع الطلبة، خاصة بفقدان المصادر وكتب الدراسة، والضعف اللغوي والتغافل عن تحرير الأبحاث بالعربية، وانعدام التنسيق بين الكليات والجامعات، إلى غير ذلك من المعوقات. فلو عملنا على تنمية المكتبات العلمية العربية، ومراقبة ترجمة المؤلفات العلمية المختارة بمساعدة اللغويين والخبراء، وإصدار دوريات علمية متخصصة، لتحسن وضع التعليم العالي المعرب، بفضل ما جدّ ويجدّ من توحيد اصطلاحي، ولو على الصعيد القطري في مرحلة أولى، بمساعدة المجامع العربية التي في مقدورها تقييم عمل العلميين وتحديد المدلولات اللغوية لكل اصطلاح، بحيث يتم التضامن الاصطلاحي المشروع المركز بين ما ابتكره الخبير العلمي وما وافقت عليه اللجان المجمعية المختصة. ولا مانع من دعوة الاخصائيين والتقنيين والصناعيين غير الجامعيين، والاستفادة بخبرتهم الحية، وربما أمدونا

---

(٥٩) فيفري، «استشارات التعداد،» **اللسان العربي**، السنة ٢ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥)، ص ٧٦.

بكلمات رائجة في اللغة المحلية غير موجودة في الفصحى، وكذلك استخراج الألفاظ القديمة المكنونة في القواميس واحيائها من جديد، خاصة وأن اللغات الأخرى اقتبستها عن اللغة الفصحى في الماضي.

والآن كيف يعلل ما نادى به في الوطن العربي رجال السياسة أو الفكر من ضرورة النهوض باللغة العربية، وإعطائها ما هي حقيقة به من مكانة، خاصة في أقطار المغرب العربي، بعد حصولها على الاستقلال؟ الواقع أنه لا يمكن اعتبار هذا الاتجاه علامة على الإفراط في تقدير مزايا هذه اللغة أو استنقاص للغات الأخرى، الأمر الذي يمكن أن يكون بمثابة المؤشر على عزم قريب بالتخلي عن الإفادة من اللغات الأجنبية في الوطن العربي. لكن لا ينبغي أن تؤول الأهمية الممنوحة لتلك اللغات إلى الإضرار باللغة القومية، بصفتها أداة التثقيف وتثبيت جذور الشباب في أوطانهم. ولنتذكر في هذا الباب ما جدّ من أحداث في مقاطعة «كيبيك» في كندا سنة ١٩٦٧، خلال زيارة الجنرال ديغول لها، وكذلك المظاهرات الدامية في الهند بغية فرض لغة قومية في شبه القارة الهندية، والخصومات اللغوية بين السكان الفلامان والوالون في بلجيكا... ذلك أنه من حق الوطن العربي انتقاء اللغات الأجنبية بمحض اختياره، لأنه يعتبرها صالحة لإرساء نموه المادي والفكري، دون أن يسود الغموض في علاقاته الخارجية، فيتحوّل التعاون الثقافي المتبادل إلى تبعية مقنعة[٦٠].

وما كشفه هذا الاستفتاء هو اتاحة الفرصة للعلماء العرب للتعبير عن أفكارهم، وتأييد استخدام لغتهم القومية في مجال الفكر والبحث والاكتشافات العلمية، واستعدادهم للاستمرار في هذه المنهجية التعريبية، والعمل على بثّ اللغة العلمية العربية في التآليف المخصصة للطلاب، وهو حل يخفف من وطأة الجهد اللازم لترجمة الكتب الأجنبية، غير المخطط إلى حد أنه بذلت جهود في سبيل ترجمة ونشر التآليف نفسها أو الموضوع نفسه في أقطار عربية متعددة. وبتبلور هذه المشارب المتجسمة في المقترحات المعروضة، اتضحت مواقف تجاه اللغة ذاتها. فكان لها حماة يدافعون حفاظاً على القواعد القديمة وكأنها امتيازات، فحصروا العربية في اطار عتيق، وعطلوا كل محاولة تطويرية لغوية أو دلالية. وكان فريق آخر يروم تبسيط القواعد وتحويل اللغة إلى نمطية حوارية بحذف الحركات الأخيرة، بغية بلوغ مرحلة اللغة الوسطى. ويبدو أن الشاعر العراقي معروف الرصافي هو الذي استخدم هذه التسمية لأول مرة. فذاعت الفكرة القائلة إن هذه اللغة «الوسطى» إنما هي لغة مبسطة، يمكن لكل عربي استعمالها وفهمها، من الخليج إلى المحيط.

والفريق الثالث، على الرغم من أنه غير متبحر في الدراسات اللغوية وعلوم العربية، سواء عن طريق التحرير أو الخلق أو الترجمة، فإنه يمارس اللغة عبر التدريس وما يتصل به من نشاطات تحريرية محدودة، تتميز بتفشي الأخطاء في ما يقوم به أفراده من ترجمات مثلاً، لكن هذه الترجمات تضيف رغم عيوبها إلى الثقافة والفكر العربي وتثريها أيما إثراء.

---

(٦٠) محمد فاضل الجمالي، «العربية بين حماتها وغزاتها،» اللسان العربي، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٢٣ - ٣٣.

أما «غزاة» اللغة، فإنهم يواجهون الفرق الأخرى، مقترحين تعويض الفصحى باللهجات أو بلغة أجنبية (واستعمال الحروف اللاتينية)، ولا شك أنهم يستهدفون بذلك تفكيك أواصر اللغة والقضاء على الخط العربي الذي يعتبر فناً كاملاً. ومنهم من ادعى أن العربية لغة غير متطورة، ليس في مقدورها القيام بأعباء البحث العلمي. فكيف يعلل ما كان عليه العلم من ازدهار في العهد الوسيط وحتى في عصر النهضة الحديث؟

وتواجهنا نزعة أخرى ذات طابع نفساني اجتماعي، تدّعي أن استخدام اللغة الأجنبية يعني الانتماء إلى النخبة، بينما يدل استعمال اللغة الوطنية على انتماء وضيع للشخص. لقد تخلّت اسرائيل قبل نشأتها عن هذه العقدة «وعندما افتتحت الجامعة العبرية أكد اليهود عزمهم على أن تكون العبرية لغة الجامعة، الأمر الذي جعل بلفور يحتفي بتلك المناسبة ويصفها بأنها فريدة وتكهّن بنجاحها. ولم يخطىء ظنه فقد أصبحت العبرية لغة التعليم في جميع المجالات وعلى جميع المراحل»[٦١].

وهذا الاتجاه واضح لدى الشباب، الذي يميل بطبعه إلى الاتجاهات الجديدة، ولو كانت سطحية لا تستند إلى أي أساس قديم. من ذلك ما نسمعه من حوارات شبابية تختلط فيها العربية بالانكليزية أو الفرنسية حسب الأقطار. لكن، إذا أتحنا للعربية فرصة بلوغ المرتبة الأولى، كأداة معبّرة عند الناطقين بها، واعتباراً للتقارب المستمر بين العامية والفصحى ولصالح هذه الأخيرة لكونها لغة وسطى، وعملاً بمقترحات تيسير الأساليب النحوية والكتابية، وتعريباً للمرحلة الابتدائية كضرورة من ضرورات العمل الوطني، وعلى الأقل العلوم الانسانية النحوية والاجتماعية بالتعليم الثانوي (ترقباً لتعريب بقية المواد)، وتقريراً للعربية كلغة أساسية في التعليم العالي، وتشجيعاً للتلاميذ على التحادث بالفصحى في جميع البيئات، واستفادة من وسائل الاعلام، وتعجيلاً بالترجمات العلمية وتحفيزاً لهمم المختصين على نشر أبحاثهم بالعربية، ووضعاً مستمراً فورياً للمصطلحات العلمية، وتعريباً للبيئة الاجتماعية ـ إذا أخذنا بهذا كله ـ فإنه يمكن التغلب على الصعوبات القائمة في طريق اقحام العربية في العصر.

ولا شك أن هناك مشاكل تعطل التطور لم نأت على ذكرها. من ذلك ما نجد من تميز بين أصناف الأشخاص المغاربة الذين تشربوا بالثقافة العربية أو بالثقافة الفرنسية أو باللغتين. ولنضف إلى ذلك تعدد التفاعلات الوثيقة التي توحد بين الناطقين بالعربية. ومن رأي بعضهم إقامة فصل واضح بين الفصحى كأداة للتعبير عن المعرفة البشرية الشاملة، نقلت العلوم الدينية والآداب وعلوم الطبيعة حتى نهاية العهد الوسيط، فكانت العربية لغة «ناجعة» في ذلك العصر. فهل بقيت على ذلك النحو إلى يومنا هذا؟ وهل يمكن أن تكون وسيلة إبلاغ وخلق في المجال العلمي؟ فليست الترجمة بوسيلة كافية، وإن كانت ضرورية، للتحفيز على

---

(٦١) خضر بن عليان القرشي، «تعريب العلوم ووضع المصطلحات،» **اللسان العربي**، العدد ٢٢ (١٩٨٣)، ص ١٤١ ـ ١٤٩، انظر أيضاً: عفيف دمشقية، «دور اللغات القومية في الدراسات العليا والبحث العلمي،» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ٩، العدد ٢٧ (كانون الثاني/ يناير ـ حزيران/ يونيو ١٩٨٥)، ص ١١١ ـ ١٤٣.

الابتكار العلمي والاكتشافات، لأنها لم تحل قضية تعصير اللغة. بل إن الحل موجود في اعداد الباحثين الأكفاء الذين يبلغون نتائج ملموسة تضاهي ما لزملائهم في الغرب من كفاءات علمية. والأساس هو استخدامهم لعربية علمية سلسة حتى يعبروا عن أفكارهم أدق تعبير، ويحرروا الأبحاث والكتب العلمية. والعربية العلمية، سواء كانت وسطى أم فصحى ميسرة، فإنها فارضة وجودها لا محالة على صعيد البحث الدولي، حالما تثبت نجاعتها بإسهامها في النشاط العلمي الدولي والرقي الشامل(٦٢).

وبذلك، فإن ما ورد على المكتب من مقترحات، إنما هي أجوبة «مسؤولة» (عددها ٧٠)، لأنها لم تحاول إخفاء النقائص اللغوية التي تحول دون تطوير العربية وفعاليتها، التي دونها لا يمكن لحركة التعريب إلا أن تتباطأ، ولا يمكن أن نأمل لهذه اللغة اقتحام الميدان العالمي بوجودها العلمي الخلاّق(٦٣).

وفي هذا الباب، ينبغي أن نسجل أن «انتاجية» المصطلحات نسبتها عكس عدد ما يجدّ من اكتشافات واختراعات في العالم. ومع أن الثراء الاصطلاحي ملموس لأنه صادر عن الخبراء والمجمعيين والصحفيين والجامعيين، لكنه معطل للفكر العلمي الخلاّق لما يسوده من كثرة تشوش على المفهوم العلمي من الوجهة الادراكية والاستيعابية، وهما الركيزتان المعدتان للمتعلمين، أي أول المنتفعين باللغة العلمية على اختلاف مستوياتهم الدراسية. ذلك أن الطالب يواجه تسميات مختلفة لتصور علمي واحد، سواء تلقفها عن الأستاذ أو من الكتب العلمية العربية التي تبث، رغم ندرتها، البلبلة في أفكار الدارسين، لكثرة ما تعرّض من مقابلات عربية لمصطلح أجنبي واحد، اضافة إلى الصعوبات اللغوية والنحوية التي تغطي المعاني الواردة في النص العلمي العربي(٦٤).

أما من وجهة المنهجية المتبعة في استفهام الناطقين بالعربية عن صلاحيات هذه اللغة في التدريس أو في استخدامها في الحياة العامة، فإن ذلك يشكل عملية مبدئية حصلت على الاجماع الشامل، لكنها في الوقت نفسه أتاحت الفرصة لبلورة مسائل عدة كانت تخامر الأذهان، مثل التعجيل بالتعريب عامة أو التريث فيه بالنسبة إلى الدارسين باللغات الأجنبية، الذين تعودوا التدريس بهذه اللغة أو تلك، فيتعذر عليهم لأسباب نفسية، مراجعة أنفسهم وتحويل وجهتهم الفكرية. أما بعض الاقتراحات الدقيقة، فقد تمثّلت في تخصيص التعريب الجامعي للجامعيين أنفسهم الذين عليهم أن يقوموا بأعباء هذا العمل لصالح طلبتهم، كأن تشكل لجنة جامعية لتنظيم الدروس المعرّبة الميسّرة، بينما تقوم الهياكل الجامعية بوضع القوائم الاصطلاحية الدقيقة. ومن المقترحات الأخرى، نشر معجم المصطلحات العلمية والتقنية

---

(٦٢) أحمد العايد، «مجلة المجلات في اللغة العربية،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ص ٥٤٨ ـ ٥٥١.

(٦٣) «المكتب الدائم ينظم: الموسم العلمي لسنة ١٩٦٧،» **اللسان العربي**، السنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٧)، ص ٣٣٣.

(٦٤) صبحي الصالح، **دراسات في فقه اللغة** (بيروت: ١٩٧٠)، ص ٣٤٩.

المتعددة اللغات، اعتباراً لضرورة استخدام الحروف اللاتينية لنقل الرموز العلمية(٦٥).

لقد جرّب الجامعيون الممارسون لعملهم مؤلفات علمية أجنبية في التدريس، ففي إمكانهم انتقاء أحسنها للترجمة(٦٦). وقد كانت أصداء هذا الاستفتاء كثيرة في الجزائر، التي شرعت في تحقيق تعريب هياكلها التعليمية. فنشرت المقالات والمناقشات الصحفية التي دامت أسابيع عدة، ودحضت الحجج الواهية القائلة بتحوير اللغة العربية، خاصة وأنه ليس من الشجاعة الفكرية التحدّث عن صعوبات العربية دون اقتراح ما ينبغي من اصلاح وتطوير، كأن نستغني عن آلاف الكلمات المهجورة النادرة المنسية التي وردت في المعاجم العربية القديمة، وكأن نتخلى عن تلقين القواعد التي لا تبررها وظيفة نحوية واضحة، فنخفف بذلك من عبء المناهج على التلميذ. وساد الشعور في الجزائر بأن إصلاح العربية أمر ماثل فعّال، لأن القاعدة اللغوية في ذلك القطر ما زالت طرية العود، حيث إنه استعاد هويته القومية منذ بضع سنين، فعاد إلى ربط الصلة الفكرية بلغته العربية(٦٧).

وفي الجملة يمكن القول إن التعريب ككل مشروع حضاري يواجه صعوبات تتمثل في قلّة المدرسين المعرّبين في التعليم العالي، واعتراض جانب منهم على تنفيذ المشروع التعريبي والقصور الإعلامي وقلّة الدعم المادي والمعنوي. كما أنه لا يخلو من محاسن هي إثراء العربية بالمصطلحات العلمية وتيسير استيعاب المادة العلمية، وتدمير الوقت المبذول لتعليم اللغات الأجنبية(٦٨).

ويبدو أن التعريب انحصر نشاطه في المجال العلمي حتى قيل «إن التعريب بمعناه الشامل، إنما يعني نقل العلم والتقنية إلى مجتمعاتنا، وهذا يعني استقطاب وتكوين الكفاءات العلمية والتقنية القادرة على بعث العلم وتجذير التقنية فيها»(٦٩).

١ ـ تحديد المصطلح العلمي وتمييزه

سبق أن لمحنا إلى كنه المصطلحات العلمية. والواقع أن دلالاته متعددة، فلا يمكن تحديده إلّا مع ابداء بعض الاحترازات العلمية، كما فعل ذلك مصطفى جواد المجمعي العراقي(٧٠): «فالمصطلح لا يعني تسمية جامعة للمسمى، كما يظن الذين لم يدرسوا علوم اللغات، بل يرمز

(٦٥) المصدر نفسه، ص ٣٥١.

(٦٦) المصدر نفسه، ص ٣٥٣.

(٦٧) «مجلة المجلات،» اللسان العربي، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٥٩٦.

(٦٨) ابراهيم خضر، «التعريب تجربة ثورية علمية وقومية،» الجامعة (الموصل)، العدد ٧ (نيسان/ ابريل ١٩٨٠).

(٦٩) محمد حسين صفوري، «كلمة في تعريب العلوم،» مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ـ حزيران/ يونيو ١٩٨٥)، ص ٤٩ ـ ١٣٠.

(٧٠) مصطفى جواد، المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية العصرية (القاهرة: المطبعة العصرية، ١٩٥٥)، ص ١١٣.

رمزا لصلته بين الرمز والمرموز إليه، وهذه الصلة تختلف قوة وضعفاً على حسب الأحرف المؤدية للمعنى. فالاصطلاح مقصر دائماً عن الإحاطة بمعنى الشيء المسمى اصطلاحياً». وبذلك، ندرك أن ما اصطلح على تسميته، وإن أدى المعنى المطلوب أو الموجود في الشيء، فإنه لا يمكن أن يستقصي كل دقائق المفهوم. وكذلك، نجد أن رأي مجمعي آخر من بغداد، هو ساطع الحصري الذي لمح إلى افتقار اللغة العربية إلى مقومات اللغة الاصطلاحية، رغم ثراء هذه اللغة. قال: «فيما نرى بعض اللغويين لا يزالون يدعون أن العربية هي أغنى لغات العالم، نرى بعض المفكرين يذهبون إلى عدم قابليتها لتكوين المصطلحات العلمية التي يحتاج إليها العصر الحاضر»[٧١]. ومن المعلوم أن العمل الاصطلاحي ناجم عن دافع حاجاتنا إلى وضع المصطلحات، وإن الحاجة ولدت النتيجة. وقد علّل الحصري أن اغفالها أدّى إلى فقدها. وبيّن ذلك قائلاً: «ولهذا السبب، عندما انقطع الناطقون بالضاد عن التفكير في مواضيع العلوم، توقف نمو اللغة ونشوء الاصطلاحات بطبيعة الحال. وأما عندما التفتنا إلى العلوم الحديثة، صرنا ندرسها باللغات الأخرى، ولم نترجم منها إلا مبادئها»[٧٢].

أما الأمير مصطفى الشهابي المجمعي السوري، فقد نهج نهجاً تمثل في انتقاء ألفاظ النبات والحيوان في التصانيف العربية القديمة، ووضع ما يقابلها في اللغات الأجنبية، وكذلك وضع مقابلات عربية أو معرّبة لأسماء النباتات الأجنبية، حسب طريقة شخصية. فكان يعتمد على المعنى الأساسي للنباتات، فيترجمه أو يعرّبه، إذا دلت تلك النباتات على أعلام. وقد تمثّلت هذه الطريقة في «الرجوع إلى أصول الأسماء العلمية الدالة على هذه النباتات وترجمة تلك الأسماء بمعانيها الأصلية، أو تعريبها إذا كانت تدل على أعلام»[٧٣]. ذلك أن الشهابي يعتبر المصطلح لفظاً وافق عليه العلماء للدلالة على مفهوم علمي. وبذلك، يمنح هذا الاصطلاح المقرر دلالات جديدة للألفاظ، مغايرة للمعنى اللغوي أو الأساسي. ومن الضروري قطعاً وجود علاقة مطابقة أو مقارنة بين الدلالة اللغوية والدلالة الاصطلاحية، للمحافظة على المعنى الأول الأساسي، لكن لا ينبغي أن يغرب عن الأذهان أن العربية هي لغة اشتقاقية أصلاً. لكن علينا تنمية الوسائل اللغوية الجاهزة بوسائل أخرى مشروعة. «ولا بد لنا من الرجوع إلى المجاز، في وضع عدد كبير من مصطلحات العلوم والمخترعات الحديثة. وكلنا نعرف بعض ألفاظ مجازية وضعت حديثاً كالقطار والقاطرة»[٧٤]. وهكذا يجمع الشهابي بين الأساليب اللغوية الممكنة، لاستغلالها في التنمية الاصطلاحية الحديثة.

والحقيقة أن المفهوم الأجنبي يقدم تحدياً إلى اللغة العربية، ويدفع بها إلى وضع المقابلات التي تتضمن دلالة جديدة، تكون بمثابة الامتداد للمعنى أو للمعاني الأولية، لكلمة

---

(٧١) المصدر نفسه، ص ١١٣.

(٧٢) المصدر نفسه، ص ١١٤.

(٧٣) «كلمة الدكتور عبد الحليم منتصر،» مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)، السنة ٢٤ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٢٩٢.

(٧٤) الباحث، السنة ٣؛ «محمد كرد علي: حياته وآثاره،» مجلة المجمع العلمي العربي (دمشق) السنة ٣٠ (نيسان/ ابريل ١٩٥٥)، ج ٢، ص ٢١٢.

معينة تكتسي شحنة دلالية تشكّل تصوّراً جديداً للفكرة الأصلية. وبذا، يتغيّر المعنى القديم للكلمة، بواسطة اللجوء إلى استعمال مختلف الوسائل المجازية، وإذا به يكتسي الدلالة العلمية الحديثة التي طرأت على المفهوم، نظراً لأن المجاز وسيلة تستخدم الكلمة لمعنى مغاير للمعنى الذي وضع للكلمة أساساً. وبذلك تستوعب اللغة المصطلحات العلمية، بنقل الكلمات من معانيها الأصلية إلى معنى جديد يكتسي دلالة علمية. وقد استخدمت هذه الوسيلة منذ بداية الاسلام، في لغة الفقه (صلاة، زكاة...). وللقضاء على كل غموض في الألفاظ الاصطلاحية المتعددة المعاني، ميّز اللغويون القدامى جيداً بين الدلالات المختلفة للكلمة. فمثلاً، كان لكلمة فاعل معنى عام يراد به من يعمل شيئاً ما، فصار اصطلاحاً نحوياً يدل على اسم أو ضمير مرفوع على الفاعلية، يسبقه فعل أسند إلى المعلوم... وقد وضعت ألفاظ الفلسفة والمنطق والطب في العصر العباسي بفضل استغلال هذه الوسيلة اللغوية المشروعة. وتمادينا في ذلك في العصر الحديث، فقد وقع احياء ألفاظ قديمة للدلالة على مفاهيم عصرية (مثلاً: برق = تلغراف، وهاتف = تلفون). وفي صور أخرى، تنوّعت درجات الوضوح والابهام من الوجهة الدلالية، بحسب ما دلّت عليه الألفاظ من معنى لا غبار عليه، وما كان لها من علاقة وثيقة بالمعاني الاصطلاحية التي وضعت من أجلها. لكن، لا لزوم أن يدل المصطلح على المعنى بجميع وجوهه، بالنسبة إلى مقابله الأجنبي الذي لا يأتي بدوره على مختلف الدلالات والذي ينبغي عليه أن يتضمنها. «مثال ذلك أن كلمة أنيمومتر الفرنسية، معناها الأصلي مقياس الريح، على حين أن هذا المقياس يبين اتجاه الريح وسرعتها»[٧٥]. فكان من المفيد جداً مقارنة الألفاظ الموضوعة في لغات أجنبية عدة، ذلك أن مثل هذا العمل المتّجه إلى مقابلة لفظين أجنبيين، كثيراً ما يؤدي إلى ايجاد اللفظ العربي المعادل لهما. ويؤول العمل على تحميل الاستقصاء الدلالي ما لا طاقة له بذلك، إلى أن تفقد الكلمة صفتها الاصطلاحية، وتصير كلمة «لغوية». فتحتم العمل بقاعدة أساسية تحترم وحدة التصور والفكرة المطابقة لوضع مصطلح وحيد. ومن هذه الميزة، يمكن أن نستنبط أنه لا يمكن للمصطلح العلمي اكتساء دلالة تامة، فينبغي في هذه الصورة اختيار أقرب معنى، فيكون المصطلح متميزاً بنوعيته ويخص لفظه بميزة معينة. والملاحظ أن تقليب الرأي في شأن وضع المصطلحات الذي هو عمل مجتمعي بالدرجة الأولى، إنما يرمي إلى تهيئة العمل لتصنيف المعاجم التي نحن في حاجة مستمرة إليها في أعمالنا اليومية، المتزايد تشعبها وتخصصها يوماً بعد يوم، فلا يفيد المعجم بخلاف القاموس الجامع، إلاّ إذا تضمن قوائم الاصطلاحات الخاصة بعلم أو فرع علمي معين، بحيث إن المستعمل يقصد المعجم العلمي أو التقني أو الحضاري الذي هو مدرج في نطاق مشاغله الفكرية العملية[٧٦]. يقول عمر فروخ في بحثه المقدَّم إلى مؤتمر مجمع القاهرة في دورته السابعة والأربعين «إن العربية لغة واحدة يستطيع المرء أن يبيِّن بها عن شتَى الأغراض

---

(٧٥) عبد العزيز بنعبد الله، «طبقات الأطباء بالمغرب الأقصى،» اللسان العربي، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ١٥١.

(٧٦) جميل الملائكة، مؤتمر ١٩٧٣، و/ المكتب.

والمعارف، وإذا استثنينا مصطلحات العلوم من جهة، ومعالم البيان ومحسنات اللفظ من جهة ثانية، فإن لغة العلم تبقى هي نفسها لغة الأدب»(٧٧).

ويدلّ المصطلح طبعاً على تصوّر محسوس أو مجرد ينبغي توضيحه في اللغة الأصلية، حتى يرسخ في الذهن، الادراك الفكري (لا الشيء ذاته) الناقل للصورة المحسوسة. وعلى هذا النحو، تثير كلمة شمس فينا صورة لكوكب ندرك مفهومه فكرياً أيضاً. والكلمة تدرج في قائمة المصطلحات العلمية، بعد تطبيق القواعد اللغوية عليها، إذا صنفت في علم معين. وبالتالي، فإن البحث والتنقيب اللغوي يعني آخر الأمر احصاء الألفاظ والعبارات الحضارية(٧٨).

وما ينبغي أن يتميّز به اللفظ العلمي، ويعد لترويجه وإدراجه ضمن اللغة، هو أن يكون بسيطاً في دلالته عن الفكرة العلمية. وهذا البعد الدلالي واضح وحساس بصورة خاصة في الكتب المخصصة للتعليم الابتدائي والثانوي(٧٩)، الموزعة على ملايين التلاميذ المتعلمين الذين يثقون ثقة تامة في ما ورد بتلك المؤلفات من مدارك حضارية وعلمية وغيرها، يستوعبونها بصورة تكاد تكون حاسمة، لأن بدايتهم العلمية تحتم عليهم أن يقبلوا بها مفاهيم راسخة تكتسي دلالة دائمة. لذلك كان متحتماً علينا أن نكون مسؤولين عن مضمون هذه الكتب من الوجهة اللغوية والتربوية. فلا نتعلل بأن حاجتنا إليها تبرر التعجيل بإعدادها واخراجها إلى الطلاب في أسرع الآجال، ولو على حساب التكوين الحضاري والعلمي. «وهذه الكتب، لا تقتصر على تدوين العبارات المستعملة في السابق، بل انها تؤدي أيضاً مقترحات مؤلفيها. فلا يمكن اعتبارها مجموعات واصفة للمادة العلمية، بل انها إسهام في التسوية اللغوية»(٨٠).

فإن وجب أن يكون المصطلح مبسّطاً متيسراً في الاستعمال، ينبغي أن نضعه أيضاً موجزاً دقيقاً، خاصة بالنسبة إلى الألفاظ الكثيرة الاستعمال والرواج. ومثل هذه الميزات موجودة في أغلب الكلمات الأجنبية المختصرة اليسيرة النطق. فلا يمكن فعلاً نشر العلوم واستعمال تراكيب لا حد لها، خاصة وأن العربية لغة الايجاز، وهي في ما يبدو، ترفض طريقة النحت، إذا ما كان استعمالها اعتباطياً مستمراً، لكنها تقبلها لوضع بعض الألفاظ. فهل أن العربية ستلجأ إلى الألفاظ الأجنبية، دون وضعها على وزن عربي؟ وفي صورة ثبوت هذه الفرضية، فإن خطرها واضح على اللغة ذاتها. ذلك أن المؤسسات اللغوية كالمجامع وغيرها ستكون بالمرصاد للألفاظ الأجنبية التي تقتحم العربية دون أساس، ومع ذلك فإننا نقبل جميعاً بإدخال التحسينات الضرورية لاستكمال المفاهيم العلمية(٨١). من ذلك أن الخبراء

---

(٧٧) عدنان الخطيب، «وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الدورة السابعة والأربعين،» مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة ٤، العددان ١٣ - ١٤ (تموز/ يوليو - كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨١)، ص ٨٨ - ١٢٦.

(٧٨) خير الدين حقي، مؤتمر ١٩٧٣، و/ المكتب.

(٧٩) وجيه السمان، مؤتمر ١٩٧٣، و/ المكتب.

(٨٠) *Encyclopédie de l'Islam* (1960), p. 591.

(٨١) جواد، المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية العصرية، ص ٩٠.

أصحاب البادرة الاصطلاحية الفردية تابعوا دراساتهم المتخصصة بتلك اللغات الأجنبية، فإن طالبناهم بالتعريب، بدا أنهم سيقومون بتغذية العربية بألفاظ «شخصية»، بينما موضوعية الاصطلاح العلمي والتقني لا تحتاج إلى برهان. فيروجون البلبلة الاصطلاحية من حيث أرادوا الإسهام في العمل التعريبي. لكن مآل التسرع والارتجال يتمثّل في شيوع الإبهام العلمي الذي نعانيه في المؤلفات والدروس الجامعية وحتى في مراحل التعليم والبحث على جميع أصنافها. ومن نتائج هذا السلوك الاصطلاحي الفردي أيضاً، أن يصبح المفهوم الأجنبي غامضاً بالعربية، بعد أن بدأت دلالته دقيقة واضحة في لغته الأصلية. وزيادة على ذلك، لا يوجد تضامن علمي بين المؤسسات العلمية والمجامع العربية، ولا تستخدم المقاييس نفسها في وضع المصطلحات. ويبدو أن المجامع لم تكثر من الإفادة من الزاد اللغوي الذي في امكانه إلى حد ما أن يعوّض علينا ترويج الكلمات المولدة أو المعربة أو المترجمة. ذلك أنه بعد استيفاء ذلك الزاد الاصطلاحي القديم، يمكن منطقياً الاستعانة باللفظ المولّد، ثم بالمعرّب الذي وزن على الأوزان العربية، اعتماداً على المقاييس الصوتية والصرفية، وكذلك ضمن قابلية الفصحى وأبنيتها لذلك، دون أن ننسى أن الترجمة الحرفية تمثل أضعف الوسائل الاصطلاحية دون شك، لأنها تحبس اللفظة في جمود لا غبار عليه(٨٢).

ونظراً إلى هذه المساوىء التي لم نذكر طبعاً إلّا أبرزها، لا يمكن لاخصائي فرد وضع المصطلحات العلمية والتقنية في عصرنا الحاضر، لأنه حتى التخصص تشعب وتنوّع إلى ما لا نهاية، إلى حد أنه لم يعد ممكناً التفرغ لمهنة خبير متخصص في مجموع العلوم والتقنيات، أو حتى بعضها. والواقع أن معرفة اللغة لا تعوض الكفاءة العملية، بل بالعكس. لكن التخصص يستوجب تعدد المنشآت الاصطلاحية في الوطن العربي، وهي التي تعمل دائماً على الموافقة واستيعاب المقابلات العربية للمفاهيم الأجنبية، فترتب على ذلك ابتكار صيغ كثيرة مشتتة استخدمت للدلالة على مفهوم وحيد. ولذا، فمن الواضح أن بالإمكان ابتكار منهجية جديدة لوضع الاصطلاحات العلمية(٨٣) بالاعتماد على مبادىء مجربة تضع في حسابها الواقع اللغوي الراهن، وتستعد بنظرة مستقبلية إلى الامكانات المقبلة التي ستتاح للعربية(٨٤).

ولا شك أنه لا يمكن التعبير بصورة لا ابهام فيها، عن بعض المفاهيم العلمية والتقنية باللغة العربية، لفائدة الاختصاصيين الذين يهمهم الأمر. والسبب في ذلك أن الفوضى السائدة في ميدان المصطلحات العلمية، حتى في حدود القطر الواحد، لم يقع القضاء عليها قضاء كاملاً. فما سبب ذلك؟ «لقد أصبح كبيراً عدد المتصدين لوضع المصطلح العلمي في اللغة العربية، وأضحى داءً من ادواء لساننا العلمي العربي اختلاف المصطلحات الموضوعة لمدخل علمي واحد»(٨٥). وقد

---

(٨٢) تمام حسان، مؤتمر ١٩٧٣، و/ المكتب.

(٨٣) انظر: أحمد الأخضر غزال، المنهجية الجديدة لوضع المصطلحات العربية (الرباط: معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، [د. ت.])، القسم الأول: البحث عن الألفاظ الموجودة في بطون اللغة.

(٨٤) المكتب: رسالة الأمين العام لمجمع القاهرة، ١٩٦٩/٢/١٩.

(٨٥) أنور محمد الخطيب، «منهج بناء المصطلح العلمي العربي،» اللسان العربي، العدد ٢٠ (١٩٨٣)، ص ٨٥ - ١٠١.

تفاقم الوضع لأنه ينبغي أن تترجم إلى العربية الألفاظ التقنية اليونانية أو اللاتينية التي تساعد الخبراء في الغالب على التفاهم على الصعيد العالمي. وكثيراً ما نجد كلمات عدة رائجة تدلّ على الشيء نفسه. ثم إن للكلمة نفسها مدلولات متنوعة نجدها عند مؤلفين مختلفين، وأحياناً لدى المؤلف نفسه. ومهما كان الأمر، فإن تقنين المصطلحات العلمية صار قضية أساسية في اللغة العربية الحديثة، وقد طرأ على الأمر تطور ملموس(٨٦).

٢ ـ وضع المصطلح العلمي

ترتب في الوقت الحاضر المصطلحات في المرتبة الثانية، بعد وسائل الطباعة، على صعيد المعرفة الانسانية. لقد كان العلم في الماضي يخزن في الذاكرة، بينما يدون اليوم في لغة واضحة دقيقة ينبغي شكلها شكلاً تاماً بالحركات، إذا خصصنا الموضوع في اللغة العربية. وقد أتيح للقدامى ابتكار مئات من الكلمات دلالة على الابل والخيل، وذلك عامل ايجابي مشجع بالنسبة إلى الجيل الحاضر، وينبغي علينا الافادة منه. لكن ما دأبنا عليه إلى الآن وما حققناه في المجال الاصطلاحي، تميّز ببطئه، بسبب ما يجد يومياً من مصطلحات عالمية خاضعة للدقة في الاستعمال العلمي لم يعرفها المعجم العربي في الماضي، ولم تعايشها أو تمارسها الذهنية العلمية القديمة التي غاب عنها تصور طريقة ونظرية اصطلاحية تعمل أيضاً في اتجاه تنسيق ما بينها من مفردات راجت في العالم العربي الاسلامي(٨٧). ولا ينبغي أن يغيب عن بالنا أن الأقطار التي تأثرت باللغة الانكليزية(٨٨) وضعت مصطلحاتها مطابقة بين الألفاظ الانكليزية ومقابلاتها بالعربية، بينما سلكت الأقطار المغربية المتأثرة بمنهاج اللغة الفرنسية، طريق وضع المصطلح انطلاقاً من اللغة الفرنسية(٨٩). وسنرى في الفصل المخصص للحركة المعجمية التنسيقية كيف عالج المكتب بالاتفاق مع المنظمة هذه القضية، فأضاف اللغة الثالثة، لفائدة المصطلح العربي الموضوع ووضوحه، بفضل ما يجد من مقارنات في اللغتين.

ويبدو لأول وهلة أن هذا الوضع الاصطلاحي الشائك أدى بالمتشكّكين إلى الاعتقاد بأن وضع المصطلحات سيبقى بأيدي المختصين أصحاب البادرة الفردية، لمدة طويلة، وسيتنافسون بتلك الصورة مع الأساتذة المجمعيين، فنجم عن ذلك تراكم وتنوع في الألفاظ العلمية لتأدية الفكرة الواحدة. إن لكل خبير مختص فعلاً من القناعة ما يجعله يقول بصحة طريقته في وضع مصطلحاته، اعتماداً على الصورة التي بها عالج اللفظ الأجنبي، والتي طابقت تصوره الشخصي لابتكار المصطلحات. وهو يميل إلى أساليب الوضع الاصطلاحي كلها أو بعضها، وربما يحبّذ استخدام الترجمة والاشتقاق والنحت أو التعريب، حسب الحالات

---

(٨٦) *Encyclopédie de l'Islam*, p. 592.

(٨٧) أنيس فريحة، **نحو عربية ميسرة** (بيروت: دار الثقافة، ١٩٥٥)، ص ٢٧.

(٨٨) رياض فايز حسين، «لغة التعليم العالي في الجامعات العربية: دور الانكليزية في سباق التعريب،» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ١١، العدد ٣٣ (تموز/ يوليو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٧)، ص ٦٥ ـ ١٠٨.

(٨٩) غزال، **المنهجية الجديدة لوضع المصطلحات العربية**، ص ١٠.

ولتفضيل شخصي لأحدها. أما اللغوي، فيسخرها كلها أو واحدة واحدة حسب الصور الطارئة، ليضع المصطلح في خدمة من يحتاج إليه، ولو احتياجاً نظرياً[٩٠]. فاتسعت دائرة النقاش إلى أن اعتبر وضع المصطلحات قضية برمتها، بعدما كان الأمر منحصراً في شعب المجامع المتخصصة، وبعدما كنا ننظر إلى هذه العملية نظرة فنية صرف لا يمكن أن تعوق التعريب. ذلك أن «المصطلحات واللغة كلتاهما وسيلة لا غاية، والمهم هو الاستعمال، والعلماء والمتخصصون والمؤلفون والمترجمون هم الذين يصوغون المصطلحات بحسب الحاجة العلمية إليها... وما الفائدة من تكديس مجاميع المصطلحات والمعاجم الفنية الضخمة لتبقى حبيسة الرفوف دون استعمال، ونظل نجادل في أيها الأصلح والأفصح ـ الزيت أم البترول أم النفط ـ لا أدري هل سيؤدي هذا النقاش إلى أية نتيجة، بينما نستمر في التعليم بالانجليزية والفرنسية؟»[٩١].

وقد تضافر الاختلاف في الدلالة ووسائل الوضع الفردية لخلق إبهام في وسائل صنع المصطلحات، وذلك على الرغم من أن البحث اللغوي كشف عن تعدد بنى العربية التي تمكّنت من إنماء حجم الأفكار فيها، استناداً إلى التراكيب الأصيلة الرائجة[٩٢]. لكن اللغة تتضمن وسائل كافية لوضع المصطلحات المناسبة، إذ «تعمل العربية بدرجة عالية من الصرفية... حيث إن نسباً ضئيلة فقط من المصطلحات وضعت في العربية عن طريق الاقتراض والنحت»[٩٣]، ومن رأي جميل صليبا أن انشاء مجمع واحد يمكننا من فرض المصطلح النوعي المنتقى من القوائم المعروضة عليه للموافقة، وادراجه في اللغة العلمية دون أن يبادر المجمع الموحد بدوره إلى ابتكار لفظ جديد[٩٤]. هذا اقتراح عرض للنظر منذ سنة ١٩٥٣، ولم تزل المجامع العربية الثلاثة تعمل في دائرة اختصاصاتها القطرية إلى الساعة، ذلك أن النظرة القطرية المحلية في الصعيد اللغوي أو الاصطلاحي ما زالت غالبة على النظرة القومية العروبية. ويبدو، بعد تحليل الوضع بحذر، أن ما تشابك من خلافات قائمة بين المجامع والمؤسسات العلمية والبادرات الفردية، في خصوص وضع اللفظ العلمي لم تكتس إلّا مظهراً شكلياً بحتاً، تجاه المفهوم العلمي الأجنبي الواحد. فهي لا تمس الفكرة المجردة، ولا الشيء المحسوس الذي يعبر عنه بلفظ معين[٩٥]. وفي الجملة، يمكن أن نقول إن وضع المصطلحات يتم، إما عبر

---

(٩٠) مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث (القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٥٥)، ص ١٣٠.

(٩١) جميل الملائكة، «استخدام اللغة العربية في التعليم العالي،» اللسان العربي، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ١، ص ٢٨٠.

(٩٢) مصطفى جواد، «دراسة المعجمات اللغوية: المصباح المنير،» مجلة مجمع اللغة العربية (بغداد)، السنة ٦ (١٩٥٩)، ص ٢٨٦.

(٩٣) وجيه حمد عبد الرحمن، «اللغة ووضع المصطلح الجديد،» اللسان العربي، العدد ١٩ (١٩٨٢)، ج ١، ص ٦٧ ـ ٧٨.

(٩٤) جميل صليبا، «تعريب الاصطلاحات العلمية،» مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)، السنة ٢٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٥٣)، ص ٢١.

(٩٥) «معاجمنا في الميزان: ملاحظات المجامع والمجالس العليا للعلوم والجامعات،» اللسان العربي، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ٢٦١.

انتقاء كلمات عربية وإما بصياغتها، انطلاقاً من جذور يونانية أو لاتينية، تلافياً لقبول الكلمة الأجنبية، وذلك على الرغم مما ينشأ عن هذه الوسيلة من مصاعب تعوق أولئك الذين تابعوا دراسات علمية باللغات الأجنبية[٩٦]. «وفي جميع كل هذه المحاولات لوضع مصطلحات موحدة في الميدان التقني والعلمي، ليست الصعوبة الحقيقية لا محالة في ابتكار عبارات جديدة بقدر ما هي ضمان استخدامها من طرف المختصين المعنيين. ولا ننكر ما لحركة المحافظة على اللغة من تأثير على العربية في الوقت الحاضر، مع أنه وقعت المبالغة في القدرة على ترويج المصطلحات التقنية بين الأوساط المختصة. ويمكن أن نلاحظ في عدة صور معينة أنه وقع قبول كلمات صيغت صياغة اصطناعية، في لغة الصحفيين والكتّاب»[٩٧].

وإلى جانب الصعوبات الخاصة باللغة العربية، والناجمة عن ابداء العزم على وضع المصطلحات، توجد عوامل ذاتية تعوق الوضع الجيد للألفاظ العلمية. وعلى هذا النحو عنّ لبعض المعجميين الذين كان لهم باع في سن الطريق السوي للوصول إلى المصطلحات، أن يفوقوا جهدهم الفردي لا غروراً منهم، بل لأنهم اعتقدوا عن حسن طوية بأن منهجهم برهن على استقامته اللغوية ونجاعته الاصطلاحية، فقننوه، وابتكروا طريقة اصطلاحية خاصة بهم. من ذلك ما أبداه مصطفى الشهابي من اجتهاد في هذه السبيل، بمناسبة اعداده لمعجم عن المصطلحات الزراعية. فقد اقترح منهجية تبدأ بالبحث عن اللفظة العربية التي تتضمن معنى معادلاً للكلمة الأجنبية. وإن كان اللفظ الأجنبي مولداً، فلا يوجد بداهة ما يقابله في العربية، فينبغي ترجمته قدر الامكان. وإلا يقع اشتقاقه، بأن يوضع أقرب اصطلاح من الأصل العربي. وبعد استيفاء هذه الوسائل، فلا يبقى إلاّ وضع كلمة معربة طبق أحد الأوزان العربية. وقد استهدف هذا المؤلف طبعاً تفضيل الكلمة العربية القديمة المتضمنة للمعنى المطلوب. أما بصدد النباتات، فقد استخدم أصول الألفاظ العلمية الدالة على الصنف؛ وللحشرات، وضعت أسماء مطابقة لما تتغذى به تلك الحشرات. أما عن أسماء الأجسام الكيميائية فطبقت قاعدة التعريب اللفظي، فأتاح ذلك استخدام السوابق واللواحق[٩٨]. والملاحظ أن ابتكار أسماء للأصناف الحيوانية والنباتات يسّر الأمر، إذ لا يقدر الشخص الناطق بالعربية على النطق الصحيح بالكلمات الأجنبية المنحوتة، خاصة وأنه يجهل اليونانية واللاتينية[٩٩]. وقد استوحى الشهابي طريقته في وضع الألفاظ الجديدة بالعربية، من قواعد الاشتقاق التي سطّرها مجمع القاهرة. وقد سبق في واقع الأمر المصطلح على شرحه، لأن علماء النبات يفضلون بالخصوص الحصول على اللفظ الاصطلاحي، ويمكنهم الاطلاع

---

(٩٦) مجلة مجمع اللغة العربية (بغداد) (١٩٥٢)، ص ١٣٤.

(٩٧) *Encyclopédie de l'Islam*, p. 591.

(٩٨) انظر: التهامي الراجي الهاشمي، «كيفية تعريب «السوابق» و«اللواحق» في اللغة العربية،» اللسان العربي، العدد ٢١ (١٩٨٣)، ص ٦٣ - ٩٦، وانظر أيضاً: محمد المغنم، «مسألة السوابق واللواحق وطرق معالجتها،» اللسان العربي، العدد ٢٤ (١٩٨٥)، ص ٩٥ - ١٠٢.

(٩٩) مصطفى الشهابي، معجم الألفاظ الزراعية: فرنسي - عربي، ط ٢ منقحة ومزيدة (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٥٧).

على الجزئيات في المؤلفات الأجنبية[١٠٠]. وقد حدّد الشهابي الصفات التي يجب أن يكون عليها الخبير القادر على وضع الكلمات العلمية. وبالفعل، عليه أن يتقن اللغة الأجنبية، ووسائلها الاشتقاقية. كذلك ينبغي أن يكون جيد الاختصاص في الشعبة العلمية التي يصنف لها المصطلحات باللغة العربية. ولا بد له أن يكون واعياً مستوعباً قواعد اللغة العربية، والمصطلحات الخاصة بمادة اختصاصه. ومن النادر أن نجد شخصاً وحيداً قادراً على القيام بمثل هذا العمل الذي يتطلب وضع المعاجم بلغتين. ولذا أنشئت المجامع وعقدت المؤتمرات الاقليمية والدولية، وناقشت هذه المسائل، ووافقت على الألفاظ الصالحة، لأن الاختصاص يشمل علماً معيناً وأيضاً اللغة[١٠١].

ومن رأي الشهابي أن يمارس وضع الألفاظ العلمية، ويقع التحري في قيمتها الدلالية والاشتقاقية مدة طويلة، حتى يحصل المرء على خبرة واسعة يضيف إليها جانباً من الموهبة الأدبية تسمح لمن يضع المصطلحات العربية بأن يكون على علم تام بوسائل الاشتقاق والمجاز والاستعارة والنحت والتعريب. وبالإضافة إلى ذلك، ينبغي التعرّف على الوسيلة التي تناسب أكثر، لفظة ما، ولا تصلح لمصطلح غيرها[١٠٢]. وفي الجملة، «يشكل عائق المصطلحات الفنية قضية عسيرة تواجه كل المختصين في جميع الفروع التقنية والعلمية، وتفرض عليهم الإسهام في الابتكار اللغوي وترويج المصطلحات التقنية التي وضعوها»[١٠٣]. لكن أساليب وضع المصطلحات قد تطورت تطوراً واضحاً، وفي الامكان تطبيق وسائل التحري عن اللفظ الأجنبي ذاته، قصد التثبت من مستواه الدلالي واحتمالات خطأ نقله إلى العربية، اعتباراً لما يظهر من صور مشكولة خاصة بقطر أو أقطار عربية عدة. ولنتعرض لما عليه كلمة Work و Energy وأصلها من اليونانية Ergon، وهي جديرة بعنايتنا. يعني هذا اللفظ العمل والجهد المبذول للقيام به، وقد ترجمت الكلمتان فعلاً إلى (شغل) و (طاقة). وتستخدم كلمة طاقة أيضاً بمعنى القدرة الفاعلة، لكنها لا توحي بفكر الجهد. بل إن (طاقة) تمدنا بفكرة الاستقرار أكثر من فكرة الحركة الماثلة في ما نبذل من فعل يطابق ما تصوره كلمة جهد. ولا تندر الأخطاء عند تطبيق بعض الصور الأخرى، وهي مترتبة على جهل باستعمال السوابق واللواحق، مثل Meta التي تعني بين، على. من ذلك أن Meta center ترجمت في قولهم (مركز بيني)، ولكن الصحيح أن نقول (مركز فوقي).

وانشغالاً بالتيسير المفرط، استخدم مفهوم دقيق معبر عن معنى جديد يقابل معنى عادياً في اللغة العربية يخطىء الفكرة العلمية. لكن اللغات الأوروبية تستخدم الجذور اليونانية أو

---

(١٠٠) مصطفى الشهابي، «جملة من المصطلحات النباتية،» مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)، السنة ٢٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٥١)، ج ١، ص ٢٦.

(١٠١) مصطفى الشهابي، «نظرة في معجم عطية،» مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)، السنة ٢٥ (كانون الثاني/ يناير ١٩٥٠)، ج ١، ص ٣٣.

(١٠٢) مصطفى الشهابي، «ضرورة توحيد المصطلحات العربية،» اللسان العربي، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ٣٤٢.

(١٠٣) *Encyclopédie de l'Islam*, p. 591.

اللاتينية تجنّباً لكل إشكال أو إبهام بالكلمات الرائجة، واضفاء على اللفظة العلمية معنى خاصاً يكتسي دلالة علمية صارمة. ومن المناسب أيضاً التمييز في العربية بين المعنى العادي والمعنى النوعي. وهو أمر متيسر خاصة وأن تواتر اللفظة العادية بالنسبة إلى الكلمة المعجمية يقدر من واحد إلى عشرة. ومن باب أحرى، يتفاقم الإبهام إذا كانت لفظة واحدة (مثل صرف) تستخدم للدلالة على ألفاظ اصطلاحية عدة في الوقت نفسه. وينبغي تجنب مثل هذه الوسيلة في المعاجم العلمية التي تنزع مثلاً إلى ترجمة كلمة Power في الفيزياء، قدرة، وكذلك بكلمات أخرى منها طاقة التي سبقت أن خصصت لنقل Energy. وكذلك الأمر بالنسبة إلى كلمة Laboratory التي اختلفت ترجمتها باختلاف الأقطار العربية، فكان ذلك على النحو التالي: العراق، مختبر ـ سوريا، مخبر. وهكذا، نرى أن الاشتقاق هو محل النزاع، وهو الذي قرر تفضيل وزن فعلي على أوزان أخرى. ونجد مقابل Pendulum تنوعاً اصطلاحياً عربياً نجمله في ما يلي: رقّاص، نوّاس، خطّار، بندول. ومن المؤكد لا محالة أنه ينبغي تفضيل الكلمة العربية الأصيلة على اللفظ المعرّب. ذلك أن الكلمة العربية ترفض كل تحريف وتنافر بين الحروف، حالما وجدت الوزن المناسب لها، وهي ترفض أيضاً كل مغالاة في استخدام النحت. فمثلاً، يفضل استخدام انتباذي أو نابذ مقابل Centrifuge، على مركزي[١٠٤]. وبهذا الصدد، زيدت لاحقة Logie إلى بعض الألفاظ، وهي اللاحقة الدالة على العلم والبحث والنظر، لكن الذوق اللغوي العربي رفضها[١٠٥]. وقد رشحت في مؤتمر ١٩٧٣، عدة مقترحات تحسيناً لوضع السوابق واللواحق الموصولة بالمصطلحات العلمية التي وردت بالمعاجم التي أعدها المكتب، وتدارستها لجان مختصة، لأن القضية تهم كل الاخصائيين[١٠٦]. واقترح مراسلون من اللغويين والعلميين على المكتب تحسينات لوضع المصطلحات. ذلك أنهم لاحظوا أن اللغات المتفرعة عن اللاتينية تملك أصولاً ثابتة للدلالة على مفاهيم بواسطة اللواحق والسوابق المناسبة. فمثلاً، إذا استخدمنا السابقة Télé، يمكن وضع مصطلحات عديدة، بينما نجد في العربية جذوراً مختلفة تدل على تلفون وتلغراف وتلفزة. . . والواقع أن الجهد الاصطلاحي المبذول، سواء على الصعيد المجمعي أو الفردي هو سبب الابهام الاصطلاحي والفوضى في استيعاب المفاهيم العلمية. إن جهاز الصور المرئية (تلفاز) مطابق لوزن موجود في العربية، ولذلك فهو يتيح فرصة لانتاجية اصطلاحية جيدة، فيمكن اشتقاق فعل تلفز، والاسم والصفة. . . ولنذكر مثالاً آخر، هي اللاحقة Itis التي تستمد منها سلسلة من الأمراض، منها Hepatitis (كباد)، لكن لا يمكن تعميم وزن فعال، فأمكن الاستعانة بحل اصطلاحي قديم، هو لفظ ذات، القادر على الدلالة عن المفهوم، فيقابل مثلاً Hépatite ذات الكبد[١٠٧].

---

(١٠٤) مؤتمر ١٩٧٣، بحث جميل الملائكة، و/ المكتب.

(١٠٥) مجموعة البحوث والمحاضرات، الدورة ٣١، ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ (القاهرة)، ص ٢٩.

(١٠٦) مؤتمر ١٩٧٣، ١٢ ـ ١٩٧٣/١٢/٢٠.

(١٠٧) اللسان العربي، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ١، ص ١٠.

وقد وقع الخوض في جلسات مؤتمر ١٩٧٣، في قضية وضع المصطلح[١٠٨]، فاستعرضت الأساليب المعروفة في وزن المصطلحات على الأوزان العربية، سواء عن طريق الاشتقاق أو إحياء اللفظ القديم أو التوليد أو النحت أو التعريب. ولا يعني ذكرها على هذا النحو الأهمية التي يجدها كل أسلوب اصطلاحي لدى اللغويين المعاصرين، ومنهم ساطع الحصري الذي استعرض في نظرة تاريخية شاملة ضمن النهضة العربية الحديثة، تطور العمل الاصطلاحي[١٠٩]. وقد أثبت أن المصطلحات وليدة الحاجات الحضارية عامة، والعلمية خاصة. وهو لم يتخوف من تكاثرها ولا من اختلافها. قال: «إننا نرى هذه الاختلافات طبيعية نوعاً ما، ولا نجد فيها ما يستوجب قلقاً كبيراً، لأننا لا نشك في أن هذه الكلمات المختلفة ستغربل وتتصفى، وسيبقى في ساحة الاستعمال أوفقها وأصلحها. ولذلك نحن لا نخشى تعدد الآراء والاقتراحات والاستعمالات، بل نعتقد أنها لا تخلو من بعض الفوائد، لأنها تفسح مجالاً أوسع «للاصطفاء الارتقائي» بحكم قانون «بقاء الأصلح»، فلا مجال للتخوّف إذن من شيء ما خلا الركود والجمود»[١١٠]. وقد أفادنا أن طريقة العمل التي درجت عليها اللجان في وقته (١٩٢٠) لوضع الاصطلاحات المدرسية وغيرها، كانت تعتمد النشيبة (ويقال اليوم الجذاذة). ويذكر بهذه الجذاذة: أصل الكلمة واشتقاقها، مقابلاتها في اللغات الأوروبية، ما استعمل منها في العربية قديماً وحديثاً، ما دوِّن منها قريباً في معناها بالقواميس[١١١]. وما أشبه الأمس باليوم، لكن اجتماعات اللجان في ذلك الحين تحوّلت اليوم إلى مؤتمرات لتوحيد المصطلحات العلمية، منها مؤتمر عقد في الجزائر (١٢ - ١٤ شباط/ فبراير ١٩٦٤) وصادق على توصيات منهجية في توحيد المصطلحات: «لكل مصطلح أجنبي مصطلح عربي واحد دون مرادف، ويحتفظ بالمادة اللغوية نفسها من مشتقات هذا المصطلح»[١١٢].

ومع أن الحصري لم يبدِ تخوفاً في خصوص ما اختلف عليه الخبراء من اصطلاحات في ذلك الوقت، نظراً إلى عددها المحدود، فإن مفعول هذا الاختلاف كان شديداً، وما زال ضرره إلى اليوم بالغاً. «وتجسم ذلك في كتاب ألّفته صدر عن اليونسكو في الرياضيات الحديثة لفائدة العالم العربي، على أن يقع نقله إلى اللغة العربية. فترجم مع الأسف إلى خمس لغات علمية عربية حتى الآن!! فهناك الترجمة المصرية، والترجمة العراقية، والترجمة السورية، والترجمة الكويتية، ثم الترجمة الأردنية. وكل ترجمة تستعمل رموزاً ومصطلحات تختلف عما استعملته الترجمة الأخرى، بحجة أن اجتهادها هو الصائب في نظرها...»[١١٣]. وقد كان من الممكن تلافي مؤثرات الاختلاف على سير الدراسة العلمية على الأقل، لو تخلّى كل مجمع عن سياسة الوضع القطري للمصطلحات، وسما بها إلى مستوى الوطن العربي، فعمل ضمن قواعد الوضع التي نشأت في اللغة العربية منذ أن بدأت الحركة العلمية تزدهر في العصر العباسي، حيث ازدهرت لغة الحضارة ولغة العلم معاً، ويمكن

---

(١٠٨) اللسان العربي، السنة ١٢ (١٩٧٥)، ج ١، ص ٩ - ١٥.

(١٠٩) المصدر نفسه، ص ٣٦ - ٤٩.

(١١٠) المصدر نفسه، ص ٣٧.

(١١١) المصدر نفسه، ص ٣٨.

(١١٢) «أنباء المكتب الدائم للتعريب،» اللسان العربي، السنة ٢ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥)، ج ٢، ص ١٤٢.

(١١٣) اللسان العربي، السنة ١٢ (١٩٧٥)، ج ١، ص ٥١.

توظيفها في النهضة العلمية[114]. لكن تفاقم الوضع في الوقت الراهن بعث وعياً جديداً في اللغويين والعلميين، وتأكد ذلك في مؤتمرات التعريب والندوات المتخصصة. وقد يتمخض هذا الوعي عن ظهور لغة علمية معاصرة[115] وتجاوز عائق المصطلحات كما بيّن رئيس مجمع القاهرة قائلاً: «على حين أن قضية المصطلح... ليست بصميم المشكلة، بل قد تكون ـ على ما لها من شأن ـ أهون جوانبها، وإنما صميم المشكلة هو الاقتدار على وعي المعاني العلمية وتصوّرها، ثم الإبانة عنها»[116]. وبذا يمكن تخطي صعوبات التعريب[117].

٣ ـ وضع المصطلحات بالوسائل التقليدية

إن القاعدة الأساسية التي شحن بها العمل الاصطلاحي تمثّلت في أن العربية قادرة كل القدرة على الاستجابة لحتميات العلوم والتقنيات. وكانت القاعدة البدائية الفردية أن يلاحظ الشخص الشيء وأن يبحث وينقب في اللغة، ليجد الطريقة التي بها يمكن الدلالة على إحدى مميزات ذلك الشيء. ثم إنه يزن أو يضع الاسم على وزن معروف يروق له سماع حروفه المتناغمة التي لا نفرة فيها، دون أن يفكر في طريقة قياسية أو ترويجية بادىء ذي بدء. ذلك أن طريقة وضع الكلمة بطريقة الاقتباس، تتيح وزن اسم نبات أو حيوان مجهول في اللغة، على اسم معروف، اشتقاقه عربي. والملاحظ أن الأوزان المشتقة من الأسماء المستعملة بكثرة، والموزونة على هذا النحو، تكتسي صبغة إسمية أكثر مما تكتسي صبغة الاسم الموصوف، بينما نجد المشتقات القياسية أقرب إلى الوصفية منها إلى الاسمية. واعتماداً لهذه المعطيات، في الامكان احياء الاسم العربي الأصيل، بعد التحري جيداً في دلالته بين طيّات المعاجم والمؤلفات اللغوية، والمقصود من ذلك التثبت من وضع الكلمة التاريخي، وهل سبق استخدامها صراحة للدلالة على مدلول دقيق. وإذا تمت الموافقة على ترويج لفظة أجنبية، فإنه ينبغي آنذاك البحث عن أصلها ونوعها (من أصل يوناني أم لاتيني). فإن كانت من أصل «محلي»، ودلت على نبات معين أو حيوان ما في بلاد ما، فينبغي تعريبها طبق وزن عربي. وإن تركبت تلك اللفظة من كلمتين أو ثلاث، ولا يمكن ايجاد مقابل عربي لها، فيحسن قولبتها طبق وزن عربي، أو تركيبها نحتياً على وزن معروف. وخلافاً لذلك، تستخدم الكلمة العربية، خاصة إذا دلت على أشياء عدة، وينبغي ايجاد مقابل عربي واحد

---

(١١٤) عبد الكريم خليفة، دور التراث العلمي في نهضتنا الحديثة، الموسم الثقافي الثالث لمجمع اللغة العربية الأردني (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٥)، ص ١٦٥ ـ ٢٠٥، وعبد السلام هارون، تجربتي مع التراث العربي، الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة العربية الأردني (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٣)، ص ١٠١ ـ ١٢٨.

(١١٥) ابراهيم مدكور، «لغة العلم المعاصر،» مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة ١٠، العدد ٣٠ (كانون الثاني/ يناير ـ حزيران/ يونيو ١٩٨٦)، ص ٩ ـ ٢٦.

(١١٦) المصدر نفسه، ص ٢٦.

(١١٧) جميل الملائكة، «الصعوبات المفتعلة على درب التعريب،» مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة ١٠، العدد ٣٠ (كانون الثاني/ يناير ـ حزيران/ يونيو ١٩٨٦)، ص ٩ ـ ٢٦.

لها. ويبدو أن التراكيب المنحوتة التي لا تدل على دلالة ما أو صفة معينة موجودة في الشيء، لا تنقل إلى العربية، فيجب تعريبها. الواقع إنها عبارة عن تراكيب مزجية صالحة خاصة في علم تشخيص الأمراض وعلم التشريح[118].

وحين توضع الألفاظ العلمية، يتواجه المصطلح المستعمل الرائج واللفظ الناتج من اصطلاح مجمعي[119]، فيجد الإبهام المستديم الذي تحدثنا عنه، ويحبس المفهوم اللاتيني أو اليوناني في دلالة غامضة. ثم ان الجذور اليونانية واللاتينية تشكل الأساس الذي عليه تنقل الألفاظ العلمية إلى العربية، لكنها تعطي مفاهيم منقوصة الدلالة. والواقع أن الكلمة العربية لم تبق في الحدود المقررة لها من طرف المفهوم الأجنبي، بل إنها تطورت معه، مجارية الحركة العلمية والفكرية. لكن محاولة وضع المصطلح العربي هذه القائمة على الجذور اليونانية واللاتينية، من شأنها استنباط لفظ لا مضمون له فاقد للدلالات الجديدة التي كسبها المدرك الأجنبي ذاته[120]. وعلى هذا النحو، نقلت كلمة Métal وراجت عبر لفظ صار فصيحاً، هو معدن، في حين أن المصطلح المجمعي المنشور المروج له هو «فلز» أو مستعدن الذي يدل في الواقع على المعدن الخام (Métalloide = شبه معدن)[121]. وكذلك، فقد اشتبه الأمر بين مادة الأمونياك والأمونيم. فراج بالنسبة إلى الكلمة الأولى نشادر (كلمة سنسكريتية انتقلت إلى الفارسية)، في حين أن هذين العنصرين في علم الكيمياء، أصبحا رائجين في اللغة العربية، ونطقا نطقاً لاتينياً. أما لفظة Polymerisation، فكثيراً ما كانت محل نقاش في لجنة الكيمياء، (بالمؤتمر العلمي العربي الثالث). وتفوقت آخر الأمر لفظة حوشية (بَلْمَرَ)[122].

وما يمكن استخلاصه من هذه الوسائل المستعملة على اختلافها، هو أن العيوب

---

(118) اسماعيل مظهر، تجديد العربية بحيث تصبح وافية بمطالب العلوم والفنون (القاهرة: مكتبة النهضة، [د. ت.])، ص ٦١ ـ ٧٧.

(119) عبد الوهاب النجم وصباح صليبي الراوي، «المصطلح العلمي بين الترجمة والتعريب،» **اللسان العربي**، العدد ٣٢ (١٩٨٩)، ص ٨٥ ـ ١٠٠، حسب استجواب قام به المؤلفان بخصوص أجزاء السيارة تبين لهما أن المصطلحات المعربة كانت شائعة قبل الألفاظ المترجمة.

(120) **مجلة مجمع اللغة العربية** (بغداد) (١٩٥٢)، ص ١٢٩.

(121) عادل أحمد جرار، «قضايا تعريب الكيمياء ومشاكله،» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ٢، العددان ٥ ـ ٦ (أيار/ مايو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٩)، ص ٧٥ ـ ٨٩. والالتزام بالتراث الكيميائي العربي قائم. انظر: محمد يوسف حسن، «التسميات العربية للمعادن،» **اللسان العربي**، العدد ١٧ (١٩٧٩)، ص ٢٧١ ـ ٢٩٠. هذا العمل يعتبر «إحياء للتراث بكل ما فيه من ثروات لغوية وعلمية». وما يقترحه المؤلفان هو «ضرورة الالتزام بهذه المصطلحات العربية الأصيلة ومحاولة احيائها من جديد في المؤلفات وفي التدريس ومقاومة موجة التعريب والنقل»، ص ٢٧٢. أما علم المعادن العربي فهو أصيل، انظر: عبد القادر عابد وعبد الله حسين، «مصطلحات تراثية في علم المعادن،» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ٩، العددان ٢٨ ـ ٢٩ (تموز/ يوليو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٥)، ص ١٥٥ ـ ١٧١.

(122) محمد يحيى الهاشمي، «نحن على مفترق الطرق،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٨٣ ـ ٨٤.

الموجودة في وضع الألفاظ والعبارات العلمية لا يمكن أن تكون إلاّ ذات طابع لغوي، بالإضافة إلى أن الاخصائي يفتقد عدداً من الاصطلاحات، كلما عزم على تحرير أو تقديم بحث باللغة العربية. لكن التعريب اللفظي ليس الوسيلة الوحيدة التي يمكن استخدامها. بل في مقدورنا اعتماد الاشتقاق والألفاظ القديمة وحتى النحت عند الضرورة، وكلها حلول جاهزة لتحسين وضع المصطلحات. ويبدو أن بعض المؤلفين ـ منهم يعقوب صروف وأحمد زكي ـ أقدموا على وضع مؤلفات وتحرير أبحاث في علم الفلك(١٢٣) والرياضيات والكيمياء وعلم طبقات الأرض والفيزياء وعلم النبات، فكانت لغتهم سليمة نظراً إلى تأهيلهم في العربية التي خوّلت لهم تحرير لغة علمية شيّقة تبدو في أيامنا عملاً خارقاً معجزاً(١٢٤).

ولقد ظهرت في فترة الستينيات مجموعة وفيرة من معاجم اللغة العربية، ومعاجم اللغتين وغيرها، فكان ذلك بمثابة العمل الخارق الذي لم تحدده سياسة لغوية واضحة(١٢٥)، خاصة وأنه كان متفاوت القيمة. فقد كان موضوعها اللغة عامة أو علماً معيناً، وقد أسهمت في إدخال تحويرات على البنى الثقافية واللغوية والفكرية في الوطن العربي. ذلك أنه إذا صارت اللغة العربية لغة علمية(١٢٦)، فلا يمكن أن تبقى ملكاً لأعضاء المجامع، الذين عليهم الإسراع بوضع قواعد لصوغ المصطلحات وتعريب ما ينبغي تعريبه منها، وخاصة التعجيل بمجاراة الانتاج العلمي الوفير في العالم وترويج المصطلحات العلمية والتقنية في حينها. وكذلك لا يمكن لهذه اللغة العلمية أن تبقى وقفاً على اللغويين وحدهم، بل ينبغي أن تنتج من مجموع الإسهامات الايجابية لكل الفئات الاجتماعية القادرة على الإدلاء بدلوها، وأولاً وبالذات العلميين أنفسهم. ذلك أن علماء اللغة انطلقوا من مبدأ تبين خطأه في ما بعد، وهو أنه في العربية يوجد مقابل لكل مفهوم، وأنه ينبغي البحث عنه واكتشافه(١٢٧). ولذلك، كان أنشط عمل ظهر في بداية النهضة العربية الحديثة، هو ترجمة ألفاظ العلوم والحضارة، لكن النتيجة كانت سلبية. فما زالت قطاعات كبرى في الوطن العربي تعمل بواسطة اللغات الأجنبية. والسبب في ذلك هو أن النشاط اللغوي والاصطلاحي كان يعوزه البعد العلمي والنظرة الواقعية. لكن اللغة أفادت، دون شك، من ذلك النشاط، وصارت مرنة جاهزة

---

(١٢٣) عبد الرحيم بدر، **علم الفلك عند العرب**، الموسم الثقافي الثالث لمجمع اللغة العربية الأردني (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٤)، ص ٥ ـ ٣٩.

(١٢٤) «حوار في العراق حول اللغة كأداة للتعبير في عصر التكنولوجيا،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٦٤ ـ ٦٦.

(١٢٥) علي القاسمي، «تخطيط السياسة اللغوية في الوطن العربي ومكانة المصطلح الموحد،» **اللسان العربي**، العدد ٢٣ (١٩٨٤)، ص ٤١ ـ ٥٨.

(١٢٦) محمد أبو عبده، «مشاكل التعريب اللغوية،» **اللسان العربي**، العدد ١٩ (١٩٨٢)، ج ١، ص ١٠٣ ـ ١١٠، انظر أيضاً: ياسر سليمان، «التراث اللغوي العربي والدراسات اللغوية الحديثة،» **اللسان العربي**، العدد ٢١ (١٩٨٣)، ص ٣١ ـ ٣٥.

(١٢٧) عبد الرحمان الحاج صالح، **تكنولوجيا اللغة والتراث العربي اللغوي الأصيل**، الموسم الثقافي الثاني لمجمع اللغة العربية الأردني (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٤).

بفضل الاستنباط الاشتقاقي والقياسي، ومختلف الامكانات الصرفية(١٢٨).

ويبدو أن الوسيلة اللغوية التي نالت رضى المحافظين على سلامة اللغة هي الرجوع إلى استعمال القديم من مصطلحات وكلمات حضارية، والمقصود بها «تلك المصطلحات السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية الشائعة الاستعمال على ألسنة المواطنين، وفي وسائل الاعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية»(١٢٩)، وطبعاً اضفاء التصورات الحديثة الراهنة على ذلك الزاد، بمعنى أنه يجب احياء القديم. وتندرج هذه النظرة في شمول الحضارة العربية التي لا تقبل الانفصام بين حقبها التاريخية. لقد اعتاد القدماء مثلاً تحوير المعنى السابق للكلمة وتضمينها دلالة جديدة. وكانوا يشتقون كذلك ويولّدون ألفاظاً من الأصول العربية أو المعرّبة لبلوغ الهدف ذاته المتمثّل في وضع الألفاظ المبتكرة الجديدة. فكانوا يترجمون كلمات أجنبية ويحتفظون بمعناها الأصلي، أو يعربون منها ويضمّون ذلك إلى قائمة الكلمات المعرّبة. وفي العصر الحديث ورثت المجامع مهمة الاصلاح اللغوي. فنجد مثلاً مجمع القاهرة خاصة، يضبط قوائم الألفاظ القديمة ويعتبرها صالحة للاستعمال، صحيحة لا تشوبها شائبة. فقد صادق عليها المجمع المذكور دون تردد، معتبراً أنها كلمات مهملة ينبغي إحياؤها بعد أن عوضتها ألفاظ حديثة مقتبسة عن العامية أو اللغة الأجنبية. وفي صورة إعادة وضعها والاستشهاد بها، يقع ترويجها في مجلدات المجمع وبالوسائل الممكنة الأخرى. وفي صورة عدم وجود ألفاظ قديمة نحن في حاجة إليها، ورغم الأبحاث والتنقيبات لاكتشافها في المؤلفات القديمة، يمكن اللجوء إلى توليد كلمات أخرى توليداً قياسياً مطابقاً للقواعد الصرفية والأوزان المعروفة(١٣٠).

وقد وضع مجمع دمشق قواعد لاستعمال الكلمات القديمة استهدفت البحث عنها في الكتب القديمة، بالمعاني التي نريد التعبير عنها. لكن لا يمكن اعتماد الكتب اللغوية فحسب، لانتقاء الألفاظ العلمية، واستخراج الألفاظ المدفونة فيها، والتي لم تعد صالحة ولا مقبولة في الوقت الحاضر، ذلك أن تلك الألفاظ ربما اكتست دلالات غامضة أو متضاربة، أو أنها حددت تحديداً غير علمي(١٣١). فمن المعقول أن نطالب بأن يكون اللفظ القديم ذا مدلول مطابق تمام المطابقة للدلالة الجديدة، أو أنه يمكن وجود لفظ قديم يقارب في معناه اللفظ الأوروبي الحديث. وفي هذه الصورة يمكن تحويره وتوسيعه إلى المعنى الحديث. وبالتالي، يمكن البحث عن لفظ جديد تعبيراً عن تصور جديد، مع احترام وسائل الاشتقاق ووضع المصطلح

---

(١٢٨) أحمد شفيق الخطيب، «وضع المصطلحات العلمية وتطور اللغة،» اللسان العربي، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ٢، ص ٣ - ٥.

(١٢٩) القاسمي، «تخطيط السياسة اللغوية في الوطن العربي ومكانة المصطلح الموحد،» ص ٥١.

(١٣٠) «جلسة الافتتاح لمؤتمر المجمع،» مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)، السنة ٥ (١٩٤٨)، ص ١٨٦.

(١٣١) حسني سبح، «حول معجم المصطلحات الطبية،» مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)، السنة ٣٤ (كانون الثاني/ يناير ١٩٥٩)، ج ١، ص ٩٦.

العلمي[132]. ونلجأ أخيراً إلى اقتباس الكلمة الأجنبية ووزنها على وزن عربي (هُرمية Hormique وراد Radium)[133].

هذا وقد أرجع مجمع القاهرة القرارات التي يتخذها في المجال اللغوي إلى الوسائل الصرفية المعروفة، نعني التعريب والاشتقاق والتضمين والتوليد. وقد عمل المكتب بهذه السبل، كلما أتيح له في سد فارق موجود في حقل المصطلحات الجاهزة والمصطلحات المفقودة بالعربية، وإن تكن رائجة في اللغات الأخرى المعتمدة في الحقل العلمي. ويتمثل عمله حينئذ في التحري المعجمي الاستقصائي الذي يحيط بمحتويات المعاجم الأجنبية المتخصصة. ويقبل المجمع أيضاً باشتقاق المصطلحات[134] من الموصوفات، وأن تصاغ أسماء المكان على وزن مَفْعَلة، وأن ندل على الحركة بوزن قياسي (فَعَلان)، وفِعْلَة للحرف، وفَعَّال للصناع، واشتقاق أسماء المصادر بحروف النسبة، وكل ذلك أساليب تقليدية لوضع المصطلحات[135].

ومن هذه الوجهة يسبق كل اقتباس[136] من اللغة القديمة، عمل احصائي متبوع بعمل تنسيقي ترويجي. وبعد ذلك نبدأ في إحياء اللفظ القديم الفصيح الذي اكتسى دلالة نوعية والذي استخرج من المعاجم. وقد ثبت بالتجربة فعلاً أن القدامى لم يسلكوا طريقة واضحة في صوغ المعربات، حتى ان الوزن العربي الذي وزنت به الكلمة الأجنبية أفقدته خاصياته. وليس من اليسير على اللغوي أن يستخرج الأصل الأجنبي الذي صار تبعاً لذلك كلمة مخضرمة لا يمكن ترتيبها في لغتها الأصلية ولا في اللغة العربية[137]. أضف إلى ذلك أن العمل على تصنيف الكلمات القديمة في علم أو فن ما، تصنيفاً فورياً، لا يدفع إلى وضعها وضعاً سليماً، بسبب ما يوجد من حتميات في الترويج العلمي. ولذا، يجب ابداء التحريات في خصوص انتقاء الألفاظ العربية القريبة من اللفظ الأجنبي، بصورة واسعة، في ما يتعلق بالاستمرار على استخدام الأصول اليونانية واللاتينية، وكذلك التآليف القديمة. وانتقاء

---

(١٣٢) صليبا، «تعريب الاصطلاحات العلمية،» ص ٢١ ـ ٢٥.

(١٣٣) عبد الحليم منتصر، «التراث العلمي العربي،» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**، السنة ٢٤ (١٩٦٩)، ص ١٨.

(١٣٤) حول الاشتقاق، انظر: عبد الجبار محمد علي، «من أجل مفهوم أدق للاشتقاق،» **اللسان العربي**، العدد ٢٥ (١٩٨٥)، ص ١٥ ـ ٢٦. حيث أبرز المؤلف الفرق بين الاشتقاق والتصريف؛ شحادة الخوري، «التنمية اللغوية ودور الاشتقاق فيها،» **اللسان العربي**، العدد ٢٩ (١٩٨٧)، ص ٩ ـ ٢١، وحامد صادق قنيبي، «الاشتقاق وتنمية الألفاظ،» **اللسان العربي**، العدد ٣٤ (١٩٩٠)، ص ٧٩ ـ ٩٠.

(١٣٥) مصطفى الشهابي، «مشكلات العربية،» **اللسان العربي**، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ٣٥٩.

(١٣٦) عبد الحق فاضل، «تعريب أم اقتباس؟» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ٢، العددان ٥ ـ ٦ (أيار/ مايو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٩)، ص ١٠٦ ـ ١٢٤، يرى أن اقتباس اللفظ الأجنبي هو استعماله على حالته الأعجمية، أما تعريبه، فيعني نطقه على وزن عربي.

(١٣٧) منتصر، «التراث العلمي العربي،» ص ١٨.

الكلمات العربية القريبة في معناها من الكلمة الأعجمية أجدى، إذا تمّ في حدود تصون المعنى والادراك الذي يطالب به المستعمل، ومن حقه أن يتشدّد في خصوص وضع المصطلحات الجديدة(١٣٨).

وتثار الخلافات في جملتها لدى المجامع بخصوص سلامة اللغة العربية التي ينبغي تجنيبها غزو الدخيل والأعجمي من المفردات(١٣٩). وقد رفض بعض الأعضاء الموافقة على هذا النوع من الكلمات الدخيلة والمعرّبة. وقدر غيرهم من المجمعيين أن على العربية إدراج الكلمات الأجنبية لدعم كيانها، وذلك بأن تنصهر هذه الكلمات في بوتقتها، ومن نتائج ذلك أن تصير العربية أكثر طواعية لمواجهة متطلبات العلم والحضارة، تلك هي النظرة المجملة التي أبداها الأمين العام في تقرير قدمه إلى مؤتمر مجمع القاهرة(١٤٠). لربما وقع تجاوز هذه الأفكار في الوقت الحاضر، وبذلك صارت الفكرة الأساسية التي تدفع باللغويين والمختصين في الوقت نفسه، متمثّلة في الإحاطة بالمفهوم العلمي قبل وضعه، بأقصى ما يمكن من الدقة التي يفرضها اتجاه العلم إلى القياس. فمثلاً، يترتب على تحليل الماء علمياً وفي كل جزئياته، عملاً كيميائياً يتصل بتركيب هذا السائل، ولا يدعو سلوك هذه السبيل عدداً مرتفعاً من المصطلحات التي لا يمكن حفظها. فلم يعد مقبولاً كيان العربية كلغة عرفت بأنها ثرية في العهد الوسيط، لأنها غير مطابقة في وقتنا إلى معطيات القياس المعمول بها في العلوم. وإذا طابقت مصطلحات عديدة حالياً الدلالة المناسبة التي اندمجت فيها تماماً، فقد خضعت مصطلحات أخرى إلى ترجمة حرفية خطّأت المعنى المقصود أحياناً. والحلول الخاصة بالقضاء على هذه المساوىء ليست قليلة، خاصة وأن تلك العيوب تعوق التطابق الكامل بين الدال والمدلول. من ذلك أن الحروف الزائدة على الأوزان الفعلية والاسمية تشكّل حلاً يمكن أن يمتد إلى المصطلحات العلمية، مثلاً في صورة الكلمات المنحوتة، ولا يمكن قصره على بعض الكلمات فقط. فلا يمكن القضاء مسبقاً على تراكيب قابلة لأن تستوعب اللغة منها الآلاف، وبينها ما قد وزن وزناً جيداً (تلفن، تلفز). وبذلك يمكن انتقاء أحسنها وطرح الكلمات الشاذة(١٤١).

ولا مجال لإغفال الحروف والحركات التي لها دور تقوم به، بالإضافة إلى الأوزان. وقد كانت خصائص الحروف موضوع أبحاث منذ القرن الثاني الهجري وإلى الآن، في حقل

---

(١٣٨) مجلة مجمع اللغة العربية (بغداد) (١٩٥٢)، ص ١٣٢.

(١٣٩) منان مهدي الموسوي، «المعرّب والدخيل في اللغة العربية،» اللسان العربي، العدد ٣٤ (١٩٩٠)، ص ٩٩ - ١٢٠.

(١٤٠) محمد عزة دروزة، «محاولة في تقدير زمن استواء اللغة العربية الفصحى،» مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)، السنة ١٣ (١٩٦٨)، ص ٣١٦.

(١٤١) مؤتمر ١٩٧٣، بحث اسماعيل حقي.

البلاغة والتعبير[١٤٢]، كذلك الأمر بالنسبة إلى الحركات[١٤٣] (مثلاً حركة عين المضارع تقرر حسب قواعد الاستعمال التقريبية) التي تنزل منزلة السماع في كثير من الصور الصرفية، رغم انفرادها بوظيفة دقيقة جداً. فمثلاً يبدو أن الضمة في الكلمة المرفوعة تتمتع بحرية معينة (الفعل اللازم، الإسناد إلى نائب الفاعل، صورة المفعول الذي يتّخذ حركة الفاعل، وكذلك بالنسبة إلى الجملة الاسمية حيث يكون المبتدأ والخبر مرفوعين ويحذف الفعل)[١٤٤].

وبإضفاء معانٍ عدة على الجذر، فلا شك انه يقع اثراؤه من وجهة الدلالة. والأصل العربي يوسّع تنوعه المسموع والمكتوب بالاشتقاق، ذلك الأسلوب الصرفي الذي وقع النظر فيه منذ بدأ التأليف في النحو. وقد تميّز الاشتقاق بعدة صور: فالاشتقاق الصغير يسمح باستخراج كلمة من أخرى وتحويرها، مع المحافظة على دلالات متماثلة بينهما وحروف أصلية مشتركة تبقى بالترتيب نفسه. أما الاشتقاق الكبير أو الأكبر الذي سمّاه ابن جِنّي كُبار، بينما يشير كُبَّار إلى وسيلة النحت، فالمقصود منه استخراج كلمة من كلمة أخرى، بتنويع في ترتيب الحروف، ومعان متماثلة وحروف أصلية مشتركة، لكن المظهر الصوتي يتغير[١٤٥]، وقد صار الاشتقاق في الوقت الحاضر أمراً حتمياً في اللغة العلمية. فمن كلمة كهرباء، وزنّا فعل كهرب، ومن مغناطيس، صغنا اشتقاقاً، فعل مَغْنَطَ أو مَغْطَسَ[١٤٦].

وقد أتاحت وسيلة «التحريك الداخلي» في الكلمة هذه، الاستجابة للحركة العلمية بمخترعاتها ومكتشفاتها، وقد أقيمت على الأصول القديمة أو الأصول الجديدة. لكن لا يمكن الاشتقاق أن يحلّ بمفرده صعوبات تكيف اللغة بالمفردات العلمية من أصل لاتيني أو يوناني، والواقع أن الاشتقاق يقوم بدور هام ويساهم في تلوين المعاني، مضفياً عليها ميزات دلالية متنوعة. فنجم عن ذلك صلة عضوية بين الأصل ومشتقاته من جهة، وبين الكلمات المشتقة من جهة أخرى. فأتاح ذلك رسوخ حركة خاصة باللغة العربية عرفت بها، فسميت «لغة

---

(١٤٢) انظر: حسن عباس، «حول معاني حروف المعاني وأصول استعمالها،» **اللسان العربي**: العدد ٣٣ (١٩٨٩)، والعدد ٣٤ (١٩٩٠)، ص ٣٧ - ٥٨. «فكان حرف العين بذلك أكثر الحروف العربية لوستقراطية، قد جمع إلى نفسه خلاصة أخبار أصوات الحروف العربية من خصائص وايحاءات معانٍ» (ص ٥٦). وانظر: حسن عباس، «الحروف العربية والحواس الست،» **اللسان العربي** (١٩٧٩)، ج ١، ص ١٢٣ - ١٣٦. أما من الوجهة الصوتية، انظر: ادوار يوحنا، «الراء في العربية: دراسة صوتية،» **اللسان العربي** (١٩٧٩)، ج ١، ص ٨٠ - ٨٤.

(١٤٣) محمد محمود محمدين، «رأي في تسمية الحركة العربية وأسباب هذه الحركة،» **اللسان العربي** (١٩٨٠)، ص ١٦١ - ١٦٩. «والخلاصة التي نراها هي أن حركات الإعراب في الأسماء تحدد وظيفتها وحركات الأفعال تحدّد أبعادها الزمانية من جهة وعدد الكم الشخصي لأدائها من جهة أخرى،» (ص ١٦٧).

(١٤٤) محمد بن الحسن بن دريد، **الاشتقاق**، تحقيق وشرح عبد السلام هارون (القاهرة: مؤسسة الخانجي، ١٩٥٨)، ص ٢٨.

(١٤٥) الشهابي، **المصطلحات العلمية في اللغة الغربية في القديم والحديث**، ص ١٢.

(١٤٦) أحمد عبد الرحيم السايح، «العربية فلسفة وحياة،» **اللسان العربي**، السنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٧)، ص ٤٣.

الاشتقاق». أضف إلى ذلك أن دور الحركات حاسم لإكساء اللفظ «شخصية» دلالية تبوّئه فعلاً مكانة معينة في اللغة الحالية الرائجة(١٤٧).

أما على الصعيد العلمي، فلا يحدد المصطلح تحديداً مطلقاً حاسماً، ولا يخضع كذلك لتحويرات دائمة تؤول به إلى التفكك. لكن الاشتقاق يتضمن مثلاً وحدة الكلمة المشتقة، فلا يقبل لفظتين متلاصقتين، وإلا كان نحتاً غريباً عن اللغة العربية وعن عبقريتها. ذلك أن الكلمة المشتقة تقبل بيسر النسبة. فمثلاً نجد رئـوي Pneumatic مشتقاً من رئة Pneuma(١٤٨)، وفي وضع المصطلحات عامة، من المفيد الحفاظ على الصلة القائمة بين الألفاظ العربية والألفاظ الأعجمية لأسباب عملية واضحة. فمثلاً من المعلوم أن أجهزة القياس تتركب من جزءين، الجزء الأول يدل على الظاهرة، ويدل الثاني على اسم مخترع الآلة. فلزم الحفاظ على ذات التركيب بالعربية لاستمرار الدقة المتناهية الضرورية في المؤلفات الدراسية(١٤٩).

ومع أن العربية لا تتضمن إلّا عدة آلاف من الأفعال والجذور المستعملة، فللاشتقاق امكانات غير محدودة، إذا ما استخدم ضمن الأوزان الفعلية والاسمية الموجودة في اللغة، والتي تشكّل مصدراً للابتكار الاصطلاحي المدلّل عليه تدليلاً احصائياً. وهكذا، فإن اضافة حرف من الحروف العشرة المجموعة في قولك «سألتمونيها»، إلى الفعل أو الاسم في تراكيب مقبولة، يتيح الحصول على عشرة آلاف وزن. ويمكن تخصيص وزن مِفعال إلى آلات القياس، وبذلك نعوض عبارة مقياس الطيف مثلاً بمطياف Spectromètre. أما الأوزان الأخرى مثل مِفْعَلَة، فإنه يمكن استخدامها لوضع أسماء الآلات التي لا تقوم بعمل مباشر، مثل محبرة التي هي آلة تخزن الحبر ولا تنتجه، في حين إن مِفْعَل يدل على الآلة التي تقوم بالعمل (مبرد). ونحصل على اسم الآلة استنباطاً من القواعد وتطبيقاً لها. ويصاغ أيضاً بطريقة غريبة قائمة على السببية المنطقية التي تستخدم نادراً الاستنباط اللغوي، بل إنها تفرض ضوابط وقواعد متشعبة تحد من الاستعمال الاصطلاحي. فمن المؤكد أن ضرورة المكتشفات الحديثة أدّت إلى تجاوز القواعد التي أملاها النحاة، والتجديد في حقل وضع المصطلحات، من ذلك أن وزن فَعَالَة مقبول في صوغ اسم الآلة، حتى قبل أن يقرر ذلك أحد المجامع(١٥٠).

---

(١٤٧) كيفورك ميناجيان، «مصطلحات العنفات،» اللسان العربي، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ٢، ص ٤٣.

(١٤٨) مؤتمر ١٩٧٣، بحث وجيه السمان.

(١٤٩) محمد بهجت الأثري، «الآلة والأداة في اللغة،» مجلة مجمع اللغة العربية (بغداد)، السنة ١٠ (١٩٦٣)، ص ٩ و٢٨، ومحمد حسين الاعرجي، «الآلة والأداة للرصافي ومستدرك السامرائي،» مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)، السنة ٦٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٩١)، ج ١، ص ١٠٧. «وهو معجم يقوم على الاشتقاق مرة وعلى التعريب مرة أخرى في ما يخص الآلات والأدوات».

(١٥٠) مؤتمر ١٩٧٣، بحث اسماعيل حقي.

وتتحدّد التراكيب الجديدة والمعاني المختلفة انطلاقاً من الفعل الذي يضبط معناه في المصدر، ويحدد الوزن ما للفعل من وظيفة، ثم إن المظهر الدلالي الفعلي لا ينبغي أن يغيب عن الأذهان، وإلا لم يعد ممكناً أن يقوم الاشتقاق بوظيفته[١٥١]. وإن لم نصل إلى نتيجة ملموسة عن طريق الاشتقاق، فقد وجدت في اللغة سبل أخرى أشرنا إليها سابقاً، من بينها التوليد. ومن المعلوم أن المولّد يدل على الأشخاص والكلمات التي ليست عربية أصيلة. وقد أشارت المعاجم القديمة إلى ذلك، لكن حجم الألفاظ المولدة في الوقت الحاضر في تزايد ملفت الانتباه[١٥٢].

وللتوليد الذي نتصوره وضعاً لمصطلحات جديدة لم ترج في اللغة الفصحى زمن ازدهارها، مكان في الحقل الدلالي، كذلك في اللغة. ويبدو أنه ظهر في آخر القرن الأول الهجري بمثابة الظاهرة الحديثة في اللغة العربية، وقد نما في بداية القرن الثاني دون شك، لكن التوليد لم يكن محل أبحاث معينة. وقد فهم المولّد حتى القرن الثالث الهجري بأنه تغيير طرأ على الكلمات والألفاظ المبتكرة أو التي أصلها عربي، لكنها صارت محرّفة بمفعول المسلمين حديثي العهد باللغة العربية. وحدّد المولّد في القرن الرابع الهجري بأنه لفظ وضع حديثاً. ومصدر هذه الوسيلة الاصطلاحية ارتجال في الاشتقاق المستمد من جذر عربي طُبّق وزن مقبول أو وزن لم يعرف به بعد، لكن استخدم تجاوزاً. فقد اشتق مثلاً من فعّال حرّار أي بائع الحرير. وإن قبلت الكلمات المولّدة من وجهة الدلالة، فلم تقع الموافقة عليها من الوجهة الصرفية، ذلك أنها لم تكن معروفة ولا رائجة في اللغة العربية الفصحى، مدة تدوين اللغة والاستشهاد بفصيح الكلم، الذي امتد حتى أواسط القرن الثاني الهجري، رافضاً ما وضع بعد ذلك العصر من ألفاظ مولّدة، بعد أن وقف علماء اللغة من ذلك موقفاً معيناً، حددت المعالم التي سيتطور في محيطها هذا القسم من اللغة العربية. وقد حكم على كلمات مولدة عدة بأنها غير صحيحة، واعتبر غيرها سلبياً، أو أن بعضها لم يجد تجاوباً بالمرة، فكانت الأحكام المسلطة على ما ولد من مفردات متنوعة بتنوع الفترات، وتعلّق الأمر بمشيئة علماء اللغة، في حين لم يتدخل في الأمر الناطقون باللغة وبمولداتها. ثم إن هذه الكلمات المولدة وضعت عن طريق التعريب أو توسعاً في الدلالة Semantic shift شمل هذا النوع من الألفاظ. والنظرة المعاصرة تمثلت الآن في الاعتراف بمشروعية اجتماعية لكل ظاهرة تطورية في اللغة. أما العربية، فقد خضعت للظواهر الدينية عبر تاريخها، فصارت سلطة النحاة عليها بمثابة سلطة الفقهاء في الدين، فكانوا يقننون ما عنّ لهم من آراء تخص قضاياها، عملاً باعتبارات شخصية انتهائية، تمثّلت في مدرسة البصرة، «وكانت المحافظة شعار البصرة، لذلك كانوا يقفون عند طلب الشواهد الكثيرة، لا يكفيهم الواحد والاثنان منها، فإذا اجتمع لديهم منها ما يطمئنون إليه أسسوا عليه

---

(١٥١) مصطفى الشهابي، «انتحال الألفاظ المولدة واقرار الصالح منها،» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**، السنة ٤٠ (تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٦٥)، ج ٤، ص ٧١٦.

(١٥٢) **اللسان العربي**، السنة ١٢ (١٩٧٥)، ج ١، ص ٣٧.

قواعدهم واعتبروا ما عداه شاذاً، بينما كان الكوفيون يكتفون بالسماع الصحيح ويستدلّون بـالحديث المروي عن الرسول ﷺ، وعندهم الشاذ قليل»[153].

وقد تساءل النحاة دائماً عن جواز كل قاعدة لغـوية، وعن تعـطيل تـطور قواعـد وضع المصطلحات، خاصة وانهم قرروا أن الشعر الجاهلي هو أكمل صورة للغة العربية. ويبدو من المفيـد تسجيل الـظروف والأوقات النـادرة التي أذنوا فيهـا لبعض المولـدات بـالبقـاء، فتغتنم الفـرصة لـترتيب الأعداد التي صـادقوا عليهـا حسب العصـور، وذلـك لمتـابعـة الأوزان التي وضعت بها الكلمات المولدة والتعرّف على تطورها[154].

وقد أذن للمكتب في «توليد» ألفاظ صالحة كانت مفقودة في العربية، فلم يعثر على أثـر لمقابلاتها، رغم رواجها في اللغـات الأجنبية. لكن وجب سلوك منهجيـة معمول بهـا. فتمثل العمل في الترويج للكلمة المولدة ودعمها بالقواعد التي اعتمدت لتوليـدها، تضـاف إلى ذلك الاعتبارات الدلالية والصرفية التي تؤيد وضعها. ومن بين العبارات الموضوعة، ألفاظ متعلقة بعلم اللغة ذاته، مثلاً حروف النبر، تَعَنٍّ (مشتقة من معنى) وهو لفظ معوض لعبـارة مطولـة هي علم دلالـة الألفـاظ، أو علم تـطور المعـاني (Sémantique)، انتســاخ (Transcription, Translittération)[155]. وفي هذا الباب، تعلّقت رغبة مجمع القاهرة بترجمة العبارات ومعناهـا في كلمة عربية واحدة مقبولة. وخلافاً لذلك، يمكن التعريب. فبخصوص أسماء النبات، أي الأسـماء الموصـوفة والصفـات النوعيـة في الأغلب، تعوض الـترجمة تعـريب اللفـظة. ويكتب الاسم بالعربية ثم بالحروف اللاتينية بين قوسين في البحوث والكتب العلمية، طبقـاً لقرارات هذا المجمع، الخاصة بانتساخ الأصوات المفقودة في العربية[156]. وقد بيّن المستشرق الايـطالي نـالينو (Nallino)، في أحـد اجتماعـات مجلس المجمع، انـه ينبغي استخدام المد في انتسـاخ الأسماء من الأعلام الأجانب، وذلك لتوضيح النبر[157].

أمـا وسيلة التعريب التي تستخـدم عنـد الضرورة لإدمـاج اللفـظة الأعجميـة في أحـد الأوزان العربية، بغية تيسير الاتصال بالحضارات الأجنبية، وذلك في حالة ما إذا فقد المقابـل

---

(١٥٣) محمد عيد، «العوامل الطارئة على اللغة: دراسة لقضايا اللحن والتصحيف والتوليد والتعريب في ضوء علم اللغة الحديث،» اللسان العربي، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ص ٢٠ ـ ٢٧ و٤٠ ـ ٤٢.

(١٥٤) عبـد الحق فاضـل، «مستحدثـات،» اللسان العـربي، السنة ٧ (كـانون الثـاني/ ينايـر ١٩٧٠)، ج ٢، ص ٥٢ ـ ٥٥.

(١٥٥) مجمع اللغة العربية في ثلاثين عـاماً (١٩٣٢ ـ ١٩٦٢)، مجمـوعة القـرارات العلمية من الـدورة الأولى إلى الدورة الثامنة والعشرين (القاهرة: المجمع، ١٩٦٣)، ص ٩٠.

(١٥٦) «مصطلحات علم الأمراض التي أقرت في هـذه الدورة،» مجلة مجمـع اللغة العـربية (القـاهرة)، السنة ٥ (١٩٤٨)، ص ٣٢٦.

(١٥٧) مصطفى الشهابي، «ألفاظ الحياة العامة ومعجم الحضـارة لمؤلفه محمـود تيمور،» مجلة مجمـع اللغة العربية (دمشق)، السنة ٣٧ (تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٦٢)، ج ٤، ص ٥٤١.

العربي، أو أنه لم يمكن وضع اللفظ المولد، فقد كان اللفظ المعرب بمثابة الوسيلة المكملة لإثراء اللغة، لكنها تأتي بعد الوسائل الأخرى (اشتقاق، مجاز، تضمين، إحياء القديم)[١٥٨]، وهو أسلوب حساس دخيل على اللغة، حتى انه وجب تمييزه عن الأساليب الأخرى وإفراده. فمثلاً ذكر ساطع الحصري الفرق بين التعريب والاشتقاق: «لا يُذهب إلى الاشتقاق في وضع كلمة حديثة إلّا إذا لم يعثر في اللغة على ما يؤدي معناها، بخلاف التعريب، فإنه يجوز تعريب كلمة أعجمية مع وجود اسم لها في العربية، كما هو الشأن في كثير من المعربات الموجودة في اللغة»[١٥٩]. والطريقة المتبعة قديماً في تعريب اللفظ الأعجمي هي أن يتبع بالشرح المناسب المأنوس لدى الشخص الذي يكون في حاجة إليه، وتوحيداً لدلالته في ذهنه. وما كان معمولاً به لتقعيد المعرّب، هو أن لا يقع اللجوء إليه إلّا عند عجز الوسائل الأخرى على إجابة رغبة المستخدم للغة. وقد أتاح المعرّب انتساخ أسماء علماء من الأعاجم دون حدود، كذلك وحدات القياس، التي سُمّيت بأسماء مخترعيها الأعاجم، وكذلك عناصر الذرة[١٦٠] ذلك أن مجمع القاهرة قرّر تعريب الأعلام غير العربية. وعلى الرغم من هذا العمل التقعيدي الذي أحاط بالمعرّبات، فقد كان وما زال إلى اليوم محل نقد لاذع يوجهه لها الغيورون على سلامة اللغة: «أما ما يقع الآن في عدم مراعاة الأوزان المنبثقة من عبقرية اللغة بإدماج الكلمة الأجنبية التي فيها حركات ثقيلة متوالية مثل «تلفيزيون» فهذا ما يمنحه الذوق السليم وترفضه عبقرية هذه اللغة ويستهجنه الوقع الموسيقي، لما فيها من ثقل الحركات المتوالية بالكسر ثم الانتقال منها إلى الضمة»[١٦١].

واستكمال الكلمات المعرّبة والإفادة منها في دقائق الحقل العلمي تطلب التفكير في استخدام ما عرف من حروف من أصل لاتيني أو يوناني تسبق الكلمة أو تتلوها، تطويراً لمعانيها واستكمالاً للمفاهيم العلمية، نعني ما سمي بالسوابق (أو الصدور) واللواحق (أو الكواسع)، علماً بأن التصرف داخل الكلمة بحشو حرف أو أكثر تغييراً للمعنى طريقة صرفية نابعة من عبقرية العربية، فلا حاجة بنا إلى تفصيل الحديث عنها. وقد خاض الخبراء في هذه المسألة خلال جلسات مؤتمر ١٩٧٣، وذلك عند تدارس توحيد المعاجم الستة (في الفيزياء والكيمياء والرياضيات وعلم الحيوان وعلم النبات وعلم طبقات الأرض) التي رشحها المكتب للموافقة عليها واستخدامها في التعليم الثانوي العام، كما سنرى ذلك مفصلاً في الفصل الخاص بالمنهجية المتبعة في تنسيق محتويات المعاجم. وقد كان موقف العلماء متجهاً إلى التحري عن موضوع الصدور واللواحق من زوائد الحروف الأعجمية، لما عسى أن يدخل من تغيير على وزن الكلمة العربية. فقد أيّد مصطفى الشهابي المعرّبات في الكيمياء خاصة، وسبق الترجمة على التعريب في العلوم الأخرى. وقد أثبتت التحريات تفوّق استخدام العربية اللواحق في المعرّبات «لأنها تؤدي وظيفة تمييزية تسمح بالتمييز بين مختلف العناصر الكيماوية التي تكاثرت

---

(١٥٨) **اللسان العربي**، السنة ١٢ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٥)، ج ١، ص ٣٨.

(١٥٩) مؤتمر ١٩٧٣، بحث وجيه السمان.

(١٦٠) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ١، ص ١٣٤.

(١٦١) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ٢، ص ١٨٩ - ١٩٥.

وتنوّعت حتى أصبح من الضروري تمييز خصائصها باللواحق، لا سيا إذا تشابهت أصولها»(١٦٢). وقد بذلت الجهود لحصر هذين العنصرين المكملين للدقة في اللغة العلمية العربية. من ذلك اهتمام المؤسسات بهذا الموضوع، مثلاً ما أعده اتحاد أطباء العرب من قائمة في السوابق واللواحق(١٦٣)، خدمة لتعريب التعليم الطبي العربي الذي مرّ بمراحل تجريبية قطرية. والدافع إليه أن «تعريب التعليم الطبي وجه من أوجه التحرر العربي، والتحرر السياسي والتحرر الثقافي، وتأكيد للذات العربية، واللغة جوهرها، في معركة الوجود والحضارة والتقدم»(١٦٤). وحتى لا يقع العلميون العرب تحت الطائلة المعروفة في حقل وضع المصطلحات المدققة، فلا مفر من البحث عن حل حاسم لهذه القضية، وهو ما عرض على مؤتمر ١٩٧٣ «(أ) أن تستقرأ كل الصدور واللواحق العربية القديمة الموروثة عن اللغة السامية المشتركة وعن اللغات السامية المجاورة، وعن اليونانية واللاتينية القديمتين، حتى نتمكن من إحصائها وتخصيصها عند الاقتضاء لتأدية الصدور واللواحق الأوروبية. (ب) أما الوجهة الأخرى، فهي تنحصر طبعاً في استقراء جميع الصدور واللواحق الأوروبية من لغاتها ومقارنتها مع ما يوجد من العربية قديماً وحديثاً، وذلك لوجود أو لوضع مقابلات عربية قديمة أو حديثة يتفق عليها»(١٦٥). وقد أضيف إلى القائمة السابقة ٥٦ صدراً و٤٧ لاحقة. ولوحظ أن ثلث الصدور المستخدمة وردت بمعجم الفيزياء ومعجم الكيمياء. والسابقة المستعملة بكثرة هي أداة النفي (لا) الرائجة، مثل «إيّة» في الفلسفة (مقابل Isme، وصولية = Arrivisme). لكن تبين أنها وسيلة محدودة إذا كان استخدامها متسعاً في العربية. فكلمة شخص مثلاً، يلحق بها نسبة (إية)، فينجم عائق متمثل في غموض من وجهة الدلالة (شخصية، تستخدم صفة). وتعني هذه اللفظة أيضاً في ما يقابلها من ألفاظ أعجمية: Personnalité وحتى Personnalisme (ومع ذلك، راجت أيضاً كلمة شخصانية). وقد ترجمت كلمة Expérimental إلى تجريبي التي تعني أيضاً Empirique. واستمر الإشكال في كلمات يعتقد أنها معروفة (جاء في منجد بيلو، اختباري مقابل Empirique)، ذلك أن الترجمة تستخدم لغة واحدة، في حين أن المقارنة تكون متينة لو اعتمدت لغتين أجنبيتين، والنتيجة موفقة لأن توازي مفهومين، مثلاً، من اللغة الانكليزية واللغة الفرنسية، يؤول حتماً إلى وضع مدرك عربي دقيق(١٦٦). «وقد لوحظ احتمال مفاده أن الاقتباس اللفظي تتاح له فرصة البقاء، لو اقتبس بالتوازي من الفرنسية والانكليزية، وكان وزنه متقارباً في هاتين اللغتين، فيؤول ذلك الاحتمال إلى أن يصير مبدأ منهجياً»(١٦٧).

---

(١٦٢) محمد رشاد الحمزاوي، «الصور واللواحق وصلتها بتعريب العلوم ونقلها إلى العربية الحديثة،» **اللسان العربي**، السنة ١٢ (١٩٧٥)، ج ١، ص ١٢٥.

(١٦٣) **اللسان العربي**، السنة ١٢ (١٩٧٥)، ج ١، ص ١٢٨.

(١٦٤) شحادة الخوري، «تعريب التعليم الطبي والصيدلي في الوطن العربي،» **اللسان العربي**، العدد ٣٠ (١٩٨٨)، ص ٩٧ - ١٤٢.

(١٦٥) مؤتمر ١٩٧٣، بحث وجيه السمان.

(١٦٦) Gérard Lecomte. «Réflexions sur un vocabulaire technique en formation: Contribution à la connaissance de l'arabe moderne.» *Orient*, vol. 5 (1961), p. 22.

(١٦٧) ادريس بن الحسن العلمي، «مزالق التعريب،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ج ١، ص ١٤٤. انظر: **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة)، العدد ٥١ (أيار/ مايو ١٩٨٣) حيث نشرت أبحاث عن لغة الصحافة في بلاد الشام لعدنان الخطيب (ص ٢٩ - ٤٤)، وفي القطر الجزائري لأحمد توفيق المدني (ص ٦٣ - ٧٨)، وفي الأردن لابراهيم القطان (ص ١٧٩ - ١٨٥). وفي مصر منذ ظهور الصحافة في القرن =

وهذه الملاحظة تقودنا إلى الحديث عن الاقتباس، وقد استوجب توضيحاً بعد أن كان الحديث عن الاشتقاق والتعريب اللفظي الذي امتزج في عصرنا بالترجمة من اللغات الأوروبية، وما طرأ على اللغة العربية من عوامل المسخ وضعف التراكيب وركاكتها، خاصة في ما نقرأه في صحفنا السيارة من ابتكارات عرجاء اعتبرها اللغويون «مزالق التعريب»(١٦٨). فحتى في المصطلحات اللغوية، لا بد من تدقيق الرأي والقول، في المفاهيم المحيطة بالعمل اللغوي. فإن تأكدنا ان الاشتقاق هو عملية لاستخراج كلمة عربية عن أصل عربي فصيح، وان التعريب يعني عامة ادراج كلمة أعجمية في المعجم العربي، إن هي وافقت أحد الأوزان الصرفية، وان الترجمة في معناها العام والخاص تعني تأدية المعنى كما ورد في لغة غير العربية، واعتبار المفهوم في الألفاظ دون الصورة الحرفية للكلمة(١٦٩)، وان التوليد يعني ابتكار كلمة جديدة غير موجودة لا في اللغة القديمة ولا في اللغة الحديثة، ويندرج مجموع كل هذه العمليات اللغوية في قياسها على الأوزان العربية، بحيث يقع اخضاعها للتقنيات الصرفية، ويستثنى من ذلك طبعاً احياء اللفظ القديم، لتأكد لدينا أنه ينبغي أيضاً تحديد مفهوم الاقتباس في اللغة، ونوعيته في مجالات معينة، نعني علوم الفيزياء، والعلوم الانسانية، وأخيراً الأدب. ومن هذه الوجهة، تتبين حاجات هذه العلوم في اللغة الحديثة إلى مثل هذه الوسائل، ويتضح أيضاً حجم الصعوبات عند نقل القوالب المقتبسة عن الفرنسية والانكليزية(١٧٠). ومن رأينا أن الاقتباس يقع بين الترجمة التي تتخذ العبارة الأجنبية نصاً لها، وبين التعريب الذي يقحم الكلمة في المعجم العربي. ويتعلق الاقتباس بذلك، بالفكرة أكثر من تعلقه باللفظة، على الأقل في مفهومنا العصري (اقتباس مسرحية = تكييفها نصاً وأسلوباً مع التفكير العربي والقواعد اللغوية العربية). إن العربية لم تتردد قديماً في البحث والتنقيب عن الكلمات التي تعوزها، فلجأت إلى أخذها من اللغات القديمة، كاللغات السامية، مثل السريانية (١٢١١ كلمة من الآرامية والعبرية)، واليونانية (٢٥٠)، واللاتينية (٢٧٧). أضف إلى ذلك ما أخذ من الكلمات الفارسية الكثيرة التي عربت، وكذلك ما اقتبس عن اللغة المصرية القديمة والحبشية والهندية. وينبغي اضافة الكلمة المستوعبة والمحورة والمقلوبة، والأفعال والأسماء المشتقة من تلك الأصول(١٧١). وفي المقابل، اقتبست تلك اللغات من

= الماضي لمحمد عبد الغني حسن (ص ١٣٩ ـ ١٥٢). انظر أيضاً: محمد عزيز الحبابي، «لغة الصحافة،» (ص ٧٩ ـ ٨٥). وعبد الله كنون، «الصحافة وتجديد اللغة،» (ص ١٢٥ ـ ١٣٢). «ومنذ أن كتب الشيخ ابراهيم اليازجي مقالاته المعنونة بلغة الجرائد والناس يعتقدون أن كتّاب الصحف من أردأ الناس لغة» (ص ١٢٥).

(١٦٨) *Annuaire de l'école pratique des hautes études* (1966-1967), p. 144.

(١٦٩) انظر: محمد ديداوي، «الترجمة إلى العربية،» اللسان العربي، العدد ٢٤ (١٩٨٥)، ص ٥٥ ـ ٧٥، و «طرائق الترجمة: مدخل إلى علم الترجمة،» اللسان العربي، العدد ٢٦ (١٩٨٦)، ص ١٠١ ـ ١١٤.

(١٧٠) ادي صليبا، «الدواعي لغنى اللغة العربية،» المشرق، السنة ٢ ـ ٣ (١٥ آب/ اغسطس ١٩٠٠)، ص ٧٢٤.

(١٧١) رفائيل نخلة اليسوعي، غرائب اللغة العربية (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٠)، ص ١٣٢.

العربية كلمات وفيرة شملت ٣٧ لغة، كما ورد باحصائية حديثة. وقد ضبطت قوائم في الكلمات الفرنسية والانكليزية والروسية واليونانية والأرمنية والمجرية وطبعاً الاسبانية. . . المقتبسة عن العربية(١٧٢). ولا نعجب إذا عادت بعض تلك الكلمات إلى لغتها الأصلية العربية (عادت كلمة جمهورية من التركية(١٧٣)، ولسان الحال من الفارسية). ويقدر ما اقتبسته اللغات الأوروبية من العربية من كلمات، بالآلاف، حددها قاموس «ليتري» في ملحق تحديداً جزئياً فحسب. إن التبادل بين اللغات، أي الأخذ والعطاء، سنة ترمز إلى التلاقح بين الأمم، وقد اعترف علماء الألسن الآن بتأثير العربية في اللغات الأوروبية، لا سيما اللاتينية منها، عبر جسر لغوي امتد من الاسبانية إلى الفارسية والتركية وغيرهما(١٧٤). ولا شك أنه يتعين تقسيم العمل بين المؤسسات اللغوية العربية في المشرق والمغرب (مثلاً كأن يتفرغ اللغويون في المغرب العربي، إلى استقصاء المفردات العربية في اللغة الاسبانية وفي لغات افريقية عدة)، في حين تعمل المؤسسات بالمشرق العربي على تقصي تلك الكلمات في اللغات الشرقية المحيطة بها، مثلاً البحث الوافي عن الكلمات العربية الموجودة في الأردية(١٧٥). . . العمل في سبيل الكشف من جديد وإحياء هذه الألفاظ، والإفادة منها في حقل المصطلحات العلمية واللغة(١٧٦).

وفي الجملة، يعمل الخبراء في نطاق الاقتباس على تنظيم تعريب عكسي يستمد ما أخذته اللغات الأخرى من اللغة العربية، دفعاً جديداً مثرياً لهذه اللغة، وذلك بالإضافة إلى مهمتهم الأساسية المتعلقة بتعريب المصطلحات العلمية الواجب تعميمها، على نحو يشمل الألفاظ الجديدة التي مصدرها الأصول اليونانية واللاتينية. والتعريب اللفظي متحتم في الصور الآتية: كلمات من أصل يوناني أو لاتيني، كلمات موجودة ضمن ترتيب، وكل كلمة منحوتة(١٧٧). لقد اقتصر دور اللغويين القدامى على تهذيب الألفاظ الأعجمية، طبقاً لقواعد العربية التي لا تقبل التنافر والنطق العسير (كأن يحول التاء إلى طاء مثلاً)، ويتمثل ذلك في تغيير الهاء في آخر الكلمات الفارسية، إلى قاف وجيم وكاف. ولذا، وقع تغيير بعض الأحرف الأعجمية، وزيد أو قلل عددها، لتيسير النطق بها وتوضيح الكلمات كتابة ونطقاً(١٧٨).

---

(١٧٢) مبارك الباكستاني، «الكلمات العربية في اللغة الادارية،» مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)، السنة ٢٩ (نيسان/ ابريل ١٩٥٤)، ج ٢، ص ٢٥٢.

(١٧٣) خيمر صالح، «الألفاظ العربية في اللغة التركية،» اللسان العربي، العدد ٣٢ (١٩٨٩)، ص ١٦١ - ١٧٣.

(١٧٤) انظر: Henriette Walter, *Dictionnaire des mots étrangers* (Paris: Larousse, 1991)

(١٧٥) أبو فارس «مصطلحات أجنبية أصلها عربي،» اللسان العربي، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٤٣٠.

(١٧٦) *Mélanges de l'institut dominicain d'études orientales* (1956), p. 462.

(١٧٧) جواد، المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية العصرية، ص ١٠١.

(١٧٨) Lecomte, «Réflexions sur un vocabulaire technique en formation: Contribution à la connaissance de l'arabe moderne,» p. 24.

وطابقت هذه العملية تعريب الكلمات الموضوعة ازاء مفاهيم غير موجودة قبل ذلك في اللغة العربية. وبذلك، من خطل الرأي، حسب بعض الناس، الحكم على اللغة الشائعة باسم السلامة اللغوية المحدّدة تحديداً مجمعياً(١٧٩)، أو باسم نظرة قومية ضيقة، القضاء على استخدام كلمات متنسخة من اللغات الغربية، القضاء المبرم، ذلك أنهما يشكلان مصدرين لا ينضبان لم تستغن أية أمة من الأمم عنهما، مهما كان نصيبهما من النضج العلمي. والأيسر أن يستمر التقنيون اللغويون العرب الشبان في أبحاثهم، وأن يتركوا للزمان فرصة للعمل(١٨٠). تلك كانت نظرة أبداها مستعرب فرنسي يمكن اعتباره ثورياً من الوجهة اللغوية وعلى الصعيد المجمعي، ومع ذلك يوجد من بين المجمعيين أفراد تفتحوا للتطوير المعجمي. ويبدو المعرب في نظر اللغويين وسيلة يحسن تجنبها، بحيث لا تستخدم في الجملة إلا بعد استيفاء الوسائل الأخرى التي تسمح بها اللغة.

ومن الغريب أن نلاحظ أن المعرب يعتبر من الدخيل، أي المولد، ومجموع الكلمات الموضوعة. ويتيسّر التعرف عليه لأنه لا يتكيّف عادة بالأوزان العربية. ويتيح النظر لا محالة في الكلمات المعرّبة إحصاء أمور ذات طابع حضاري، كذلك الاطلاع على العلاقات القائمة بين الأقطار العربية ومع الأمم الأخرى. كذلك فهي مؤشر على طبيعة حاجات اللغة في الاقتباس من غيرها من اللغات حسب العصور، وعلى الانتقال في المعنى، وعلى التحويرات الطارئة على الكلمة الأعجمية بعد قولبتها على وزن عربي(١٨١). إنها لا محالة وسيلة يقدرها حق قدرها بعض الخبراء، قبل الترجمة التي تكون باعثاً دائماً على خلق الاشتباهات، والتي تعتبر أضعف وسيلة تستخدمها العربية لاستيعاب الألفاظ المولدة، خاصة إذا ترجمنا، دون تبين للمعاني، ترجمة حرفية عادية آلية(١٨٢). وفي هذا الباب اكتسى التعريب اللفظي طابعاً أكثر اتقاناً من الترجمة التي بلغت لا محالة مرتبة الفن الذي يتطلب في آن واحد تخصصاً وثقافة عامة، وكذلك مستوى متكافئاً في اللغتين. وبالفعل، إن الضعف البيّن في إحدى اللغتين يسيء إلى انتشار الأفكار عامة والتعبير عن المبادىء العلمية خاصة. وإذا كان للخبير(١٨٣) درجة متعادلة في الأداتين اللتين يعمل بهما، فيمكن أن يوفق في مهمته تلك، لكن الواقع أثبت أن

---

(١٧٩) محمد علي الخولي، «العلاقة بين طول الكلمة وشيوعها في اللغة العربية،» **اللسان العربي**، العدد ٢١ (١٩٨٣)، ص ١١ - ١٩. يرى المؤلف أن «العلاقة بين طول الكلمة العربية وشيوعها علاقة سالبة، أي علاقة عكسية. وهذا يعني أنه كلما طالت الكلمة قلّ شيوعها، وكلما قصرت زاد شيوعها» (ص ١٥٣).

(١٨٠) سعيد الكرمي، «اللغة والدخيل فيها،» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**، السنة ١ (كانون الثاني/ يناير ١٩٢١)، ص ١٣١ - ١٣٨.

(١٨١) الخطيب، «وضع المصطلحات العلمية وتطور اللغة،» ج ٢، ص ٣ - ٥.

(١٨٢) انظر: *La Traduction: De la théorie à la didactique*, travaux et recherches, études présentées par Michel Ballard (Lille III: Presses universitaires de Lille, 1984), et Michel Ballard, *La Traduction: De l'anglais au français* (Paris: Nathan, 1987).

(١٨٣) عمرو أحمد عمر، «المترجم: ما له وما عليه،» **اللسان العربي**، العدد ٢٧ (١٩٨٦)، ص ١٥١ - ١٦١، وعبد الفتاح أبو سيدة، «الحاسب الآلي والترجمة،» **اللسان العربي**، العدد ٢٨ (١٩٨٧).

المختص في علم ما الخبير بدقائقه، يكون مستـواه في اللغة العـربية دون الحـد المطلوب. وفي هذا الصدد تأكد أن النجاح في هذا الباب كان حليف بعض الأدبـاء الذين تخصّصـوا في مادة علمية، فكانت نتائجهم ايجابية في ترجمة مؤلفات علمية إلى العربية.

والملاحظ أن «الأولى عند نشر كتـاب علمي مترجم إلى العـربيـة أو مؤلف بهـا أن يـذيّـل بُقـائمـة للمصطلحات الأجنبيـة مترجمـة إلى العربيـة ومرتبـة وفق حروف الهجـاء العربيـة، مع اخـلاء المتن من الكلمات الأجنبيـة. . . أما عنـد نشر المصطلحـات بقصد عـرضهـا للدراسـة أو التمحيص أو للرجوع إليهـا للإفـادة منها فينبغي أن تكـون مرتّبـة وفق حروف الهجـاء الأجنبية»[١٨٤]. أمـا النصوص ذات الصيغـة التقنية، فمن العسير أن نطالب الخبير الذي يقوم بترجمتهـا بالتمكن من الاختصـاص إلى أقصى درجة، وفي الوقت نفسه أن يكون مقتدراً في لغته العربية بحيث يكون تفكيره علمياً وتعبيره فصيحاً سليماً من كل عيب[١٨٥].

وعلى الرغم مما تقرر من تحديدات للتعريب اللفظي، كان الاتجاه إلى الألفاظ الأعجمية ضرورياً بغية الاستجابة إلى حاجات الابتكار العلمي. وقد استوعبت اللغة اليومية بعضـاً من الألفاظ المعرّبة أو المترجمة التي راجت في اللغة العـامية، لأن الكلمـة الفصحى لم ترض رغبـة الاختصاصيين[١٨٦].

وللإحاطة بحركات الترجمة، جدّت محاولات لتحقيق اتفاق الاختصاصيين حول أحسن الترجمات الممكنـة للمفردات المـرتبطة بحقـل اختصاصهم[١٨٧]. فكـان ذلك اجـراءاً منقوصـاً لضمان ترجمة سليمة صحيحة، إذ يعسر ارضاء مقـاييس الدقـة العلمية والحفـاظ على سـلامة اللغة في الآن نفسه[١٨٨]. فتمثلت النتيجة في تحول المعنى تحـوّلاً عاديـاً حين يقـع ايجاد المقـابل العربي للكلمة الأجنبية، بسبب ما يحيط وضع تلك الكلمة من دقـة قليلة عند تعـريبها. وفي هذا الصدد بالذات، وجه النقد إلى الترجمة، واقتصرنا على استخدام وسيلة التعريب وتطبيقها على اللفظة الأجنبية[١٨٩]. ذلك أن هـذه اللفظة تـتطلب بحثاً كـاملاً قبـل تعريبهـا، يمكن أن يدوم ساعات عدة، كما أنه يمكن أن يستمر أياماً. فهي تفرض عـلى المعرب جهـداً في البحث عن أصلهـا اليونـاني أو اللاتيني، وعن الـدلالة التي أرادهـا لها المؤلف، وعن المـرادفات[١٩٠].

---

(١٨٤) عبد الحافظ حلمي محمد، العدد ١٨ (١٩٨١)، ج ٢، ص ٢٧١.

(١٨٥) جواد، المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية العصرية، ص ٥٥.

(١٨٦) سعـد عبد الكـريم، «معجم الجيولـوجيا،» مجلة مجمـع اللغـة العـربيـة (القـاهـرة)، السنـة ١٧ (١٩٦٥)، ص ١٣٩.

(١٨٧) انـظر: Edmond Cary, *Comment faut-il traduire?* (Lille: Presses universitaires de Lille, 1985), et André Roman, *Théorie et pratique de la traduction littéraire du français à l'arabe* (Paris: Klincksieck, 1981).

(١٨٨) علّال الفاسي، «تحريف الدلالة،» اللسان العربي، السنة ١ (حزيران/ يونيو ١٩٦٤)، ص ٨.

(١٨٩) مصطفى الشهابي، «بعض المؤلفات الحديثة في المصطلحـات العلمية،» مجلة مجمـع اللغة العـربية (دمشق)، السنة ٣٧ (نيسـان/ ابريل ١٩٦٢)، ج ٢، ص ١٧٨.

(١٩٠) Lecomte, «Réflexions sur un vocabulaire technique en formation: Contribution à la connaissance de l'arabe moderne,» p. 21.

ويتشعب المشكل إذا كانت الترجمة متعلقة بالفكـرة: «فإذا كـان لا مندوحـة من ترجمـة الجملة، لأن التعبير العربي غالباً ما يرتبط بالجمل، فيبدو أن الفوضى تبلغ القمة»(١٩١). وبالفعل، تزايـد مفعول البنيـة المسيطرة للجملة الانكليزية أو الجملة الفرنسيـة، على الجملة العـربية. وهـذه الأخيرة طـالت بفضل جمل اعتراضية وجمل موصولة. وكثيراً ما تغير موضع العناصر غـير الأساسيـة في الجملة العـربية: المفعـول به، المفعـول المطلق، الحـال، التمييـز، الاسم المجـرور. . . وكـل هـذه التحويرات ناتجة من الترجمة والاقتباس من البنى الغربية عن العربيـة. ويمكن القول في نـظرة مستقبلية لفقه اللغة: إن اللغة العربية ستحتفظ، في ما يبدو، بحـركات الإعـراب والتراكيب الاسمية، وتستمر على ميزاتها الأساسية، فتقبل بالتالي التحويرات الأسلوبية. ويمكن مراجعـة هذا التصور، لأن بعض الأوزان لا تلبث أن تتحـول عن القاعـدة القديمـة، بسبب استخدام قياس خاطىء. وتصير التحريفات بدورها رائجة، فيعسر بعد ذلك اجتثائها من الاستعـمال. وكما قال الأستاذ أحمد الأخضر غزال، مدير معهد التعريب في الرباط: «فإن يبدو أن اللغة العربية المستعملة واحدة في العالم العربي في نظر غير الملمين بالقضية، فالحقيقة أن الفـروق الهامـة السائـدة تميز العـربية الفصحى في الأقطار العربية»(١٩٢).

فلو أمكن احياء العربية يوماً ما، ولـو قررت هـذه اللغة اقتحـام الحياة العصريـة، ولو صارت لغة الكلام والخطب، ولغة الحياة الاجتماعية (في البيت والشـارع) على صعيـد الوطن العربي، فحينئذ تصير حقاً اللغة المشتركة(١٩٣). الواقع ان ادخال الألفاظ الأجنبية على العربيـة يمكن أن يمس وحـدة هذه اللغـة، وتتمخض عنه نتـائج خـاصة بـالرسم والإعـراب ووضـع الكلمات. وكـذلك تـرجمة الـتراكيب المختلطة (تـركيب مـزجي) عن طـريق انتسـاخ اللفـظة الأوروبية بالأحرف العربيـة، من شأنـه أن يبعث البلبلة في نظام القـراءة. وترجمـة مثل هـذه الـتراكيب المزجيـة يمكن أن تكرر إلى مـا لا نهاية الإبهـامات في الـدلالة، خـاصـة وأن بعض الكلمات ستكتسي دلالات متعددة، سواء كانت منفردة أو مركبة صحبـة ألفاظ أخـرى. وقبل أنّ نترجم، ينبغي أن نتحرى دون شـك عن المعاني المختلفـة التي تضمنها الـتركيب الجديـد، ذلـك بعد النـظر في قيمته بـالرجـوع إلى أصله. وأحسن حل يتمثّـل في الرجـوع إلى الصـور القديمة التي استخدم فيها التركيب، ليمكن وضع عبارات منحوتـة وضعاً جيـداً. ذلك أن في العهد الوسيط، كان يزاد حرف مثلاً (لا النافية تضم إلى الاسم أو إلى المصـدر). أما اليـوم، فقد ساد الاتجـاه إلى العمل بتحـوير داخـلي يطرأ عـلى بنية كلمتـين أو أكثر (to hydrolyse = يحلل بالماء = يُحَلْمِيء)، كأن يزاد الحرفان الأولان للفظ الأول إلى اللفظ الثـاني Préhistoire: قبل التاريخ = قبتاريخ). والغاية التي يرمي إليها هذا الحل تيسير الاشتقاق ووضع المولّدات.

---

(١٩١) *Al-Istiqlal* (Rabat) (14 mars 1959).

(١٩٢) ابراهيم أنيس، محاضرات عن مستقبل اللغة العربية المشتركة، ألقيت على طلبة قسم الـدراسات الأدبيـة والنغويـة، ١٩٥٩ (القاهـرة: جامعـة الدول العـربية، معهـد الدراسـات العربيـة العـاليـة، ١٩٦٠)، ص ٦٣.

(١٩٣) بنا ناهي، «أساليب ومناهج صياغة اللفظ في التعبير العربي،» اللسان العـربي، السنة ٨ (كـانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ١٨١ - ١٨٥.

وفي بعض الصور، يفقد اللفظ الثاني الهمزة في أول الكلمة (حمض + أمين = حمضين: Acide aminé أو أن يحتفظ اللفظان بسلامتهما الحرفية في شكل منحوت (يا + نصيب = يانصيب: Loterie). وأهمية هذه الوسيلة لفتت الانتباه إلى الخطر الناجم عن اقحام التراكيب المزجية أي المنحوتة نحتاً حرفياً في العربية دون تكييفها، وذلك أمر يسيء إلى العربية أكثر مما يفيدها[١٩٤]. لكن لا يعني ذلك العدول تماماً عن هذه الوسيلة[١٩٥]، لأن هذا الموقف يؤدي بنا إلى وضع عبارات متشعبة، وهو ما وقع فعلاً في باب النحت في الوقت الحاضر: التهاب القلب أيسر حفظاً من اقتبال (افتعال)[١٩٦]. ويرى بعض الخبراء أن نحت لفظة علمية متركبة بأكثر من كلمة، من شأنه أن يقلل من امكانات ذيوعها، لأنه يعسر تصريفها، خلافاً للكلمة الأجنبية الموضوعة عامة طبق وسيلة نحتية تبلغ أحياناً درجة كبيرة من التشعب. ولذا، لم يقع الافراط في استخدام النحت في اللغة العربية، ويبرِّر هذا الموقف بأن الإفراط في النحت يقلل من مرونة العربية[١٩٧].

أما المجمعيون، فقد انقسموا إلى مؤيدين ومعارضين في استخدام النحت، وبحثوا في الشروط التي بموجبها يمكن تطويع النحت والاتساع في تطبيقه (كما هو الأمر بالنسبة إلى وسيلة التعريب اللفظي أو المعرب). وقد اعترف بعضهم أن «الضرورة العلمية» (وهي الشرط الذي فرضه مجمع دمشق لتخويل استخدام النحت) وعجز الوسائل الأخرى، تبيح العمل بالنحت. وقد امتنع فريق آخر منهم عن استخدامه، مدعياً أن الكلمات الخاضعة للنحت، لكل منها، منعزلة، دلالة قوية ينبغي اعتبارها في التطبيق، وقد شرع غيرهم من غير الاختصاصيين في علم معين، في استخدام النحت، مستعينين بمعلوماتهم الجامعية وبمعاشرتهم لغات أخرى. ولو حاولنا تحديد المطلوب من هذه الوسيلة اللغوية الغريبة على العربية، لقلنا إن تعريب اللغة العلمية يفرض نحت عبارات عربية مماثلة للعبارات الأجنبية، إن كان ذلك ضرورياً، وهو يستجيب لمقاييس الذوق العربي السليم[١٩٨].

وقد أنكر الأب فليش وجود النحت والعمل به في اللغة العربية وقال: «إن نظام العربية يجعلها غير قادرة على وضع الكلمات المنحوتة بصورة سوية. ولا يمكنها كذلك وضع سوابق ولواحق جديدة، ذلك أن طريقتها الأساسية في ابتكار المفردات هي التحوير الداخلي

---

(١٩٤) عبد المنعم التونجي، «المصطلحات العلمية يجب أن تجمع بين البساطة والدقة،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ص ٨ ـ ٩.

(١٩٥) فارس فندي البطانية، «النحت بين مؤيديه ومعارضيه،» **اللسان العربي**، العدد ٣٤ (١٩٩٠)، ص ١٢١ ـ ١٤٠.

(١٩٦) المكتب، رسالة من بغداد ١٩/١/١٩٧٢.

(١٩٧) مصطفى الشهابي، «مدى النحت في اللغة العربية،» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**، السنة ٣٤ (تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٥٩)، ص ٥٤٨.

(١٩٨) Henri Fleisch, «Arabe classique et arabe dialectical,» *Travaux et jours*, no. 12 (juin 1969), p. 51.

فعلاً[١٩٩]. ويشرح انفراد العربية، بذلك، لفقدان الوصلة بين كلمتين، فيقول: «إن الصعوبة المتمثلة في وضع الكلمات المنحوتة تزيد حدة، لأن الوصلة أو الخط الواصل بين الكلمات لا وجود له في العربية، في حين أن هذه الوسيلة اتسع استخدامها كثيراً في اللغة العلمية العصرية»[٢٠٠].

والصعوبة واضحة في الكيمياء[٢٠١]. ذلك أنه يجب أن يوضع عدد كبير جداً من المصطلحات نحتاً، فكان العجز يحول دون وضعها بالعربية، رغم ارادة المترجم والخبير. وفي صورة الترجمة، يعسر اشتقاق الكلمات العربية، مثلاً عبارة متركبة من كلمتين أو صورة الإضافة. وإن نحتت الكلمة كما هي، فيتعذر على الناطقين بها والقارئين لها التعود على النطق الأعجمي. فتجب محاولة البحث عن مقابل لها يخول الاشتقاق والصفة[٢٠٢].

ومن المستحسن استعراض الحلول التي توختها اللغة العربية تجاه النحت، في الماضي وفي الوقت الحاضر، خاصة وأن «فقدان النحت جرّ وجوباً استخدام عبارات اسمية مركبة، إما باستعمال صيغ اضافية، وإما باستخدام شبه الجملة، كما كان رائجاً في الغرب في مطلع هذا القرن»[٢٠٣]. والعربية لغة تملك بنية صرفية خاصة بها، فتغير النحت فيها. أما عند القدامى، فقد كان النحت وسيلة متشعبة تبتكر أصواتاً غير مسموعة، بينما كان عامل رقي في اللغات الهندية ـ الأوروبية. ولم يوضع في العربية إلا ما يقرب من مائة لفظة منحوتة، من بينها نميز العبارات النحتية التي تشكل لفظاً وحيداً مركباً من كلمتين أو كلمات عدة، ونميز كذلك تركيباً مزدوجاً (مزجياً) ناتجاً عن تلاصق كلمتين.

وقد حاول مراسل المكتب بموسكو، لأول مرة في ما يبدو، تحليل العملية النحتية من الوجهة التاريخية، خاصة وأن القدامى طبقوا النحت بكلمات رباعية وكلمات متركبة من خمسة أو ستة حروف. إذ لم يحدد النحت بكلمات نوعية، لكن وقع احترام ترتيب الحروف والحركات. والوزن المعروف هو فعلل، لكن ضرورات الإسراع بالتطور العلمي في الوقت الحاضر فرضت من جديد استخدام النحت بصورة متسعة، وفي الوقت نفسه جدت محاولة رامية إلى ايجاد قواعد لوضع الكلمات المنحوتة، إسداء لكل عون يحتاج إليه الاختصاصيون،

---

(١٩٩) المصدر نفسه، ص ١٥.

(٢٠٠) محمد صلاح الدين الكواكبي، «النحت والمصطلحات العلمية،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (دمشق)، السنة ٣٩ (تموز/ يوليو ١٩٦٤)، ج ٣، ص ٥٠٧، وشكري فيصل، «قضايا اللغة العربية المعاصرة،» **المجلة العربية للدراسات اللغوية**، السنة ٢، العدد ١ (آب/ اغسطس ١٩٨٣)، ص ٩ ـ ٣٦.

(٢٠١) انظر: مصطفى ديبون، «لغة الكيمياء وكيمياء النفط،» **اللسان العربي**: العدد ٢٣ (١٩٨٤)، ص ١٩٩ ـ ٢١٦؛ العدد ٢٧ (١٩٨٦)، ص ٢٧٥ ـ ٢٨٨، والعدد ٢٨ (١٩٨٧)، ص ١٩٣ ـ ٢١٥. أما عن تدريس الكيمياء، فانظر: **اللسان العربي** (١٩٨٠)، ج ١، ص ٢٠٦ ـ ٢١٧. كما أن قضية تعريب الدراسة الكيميائية كانت موضوع ندوة عقدت في نابل (تونس) ونظّمها اتحاد الكيميائيين العرب (٣ ـ ٥ تموز/ يوليو ١٩٧٨)، **اللسان العربي** (١٩٧٩)، ج ١، ص ٢٧٦ ـ ٢٨٠.

(٢٠٢) , *Études* (1964), p. 7.

(٢٠٣) كيفورك ميناجيان، «النحت قديماً وحديثاً،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ١٦٢ ـ ١٧٩.

إلا إذا اعترض المحافظون على سلامة اللغة، وأرادوا حل عوائق النحت بتركيب جمل مطولة تعبيراً عن المفاهيم العلمية المتشعبة، وسيؤدي هذا الموقف إلى الحد من استخدام النحت. وحتى التعريب للألفاظ الأعجمية يبعث على وضع ألفاظ منحوتة في العربية Voltmètre, Ampéremètre، الخ . . .). فلا مفر من تحديد الصور المختلفة لتطبيق النحت، انطلاقاً من المعاجم والكتب الدراسية الحديثة، وأقل من ذلك في قوائم المصطلحات التي تضعها المعاجم، بغية التحري عن الصور التي تستخدم فيها هذه الوسيلة[٢٠٤].

والخطر الذي يتهدّد الكلمة المنحوتة هو أنها لا تطابق الدلالة الموجودة في المصطلح الأجنبي الذي لم يعد بسبب ذلك قابلاً للترويج بين المصطلحات العلمية العربية، فيشكل هذا الأمر عائقاً آخر في طريق المختصين العلميين والتقنيين. أضف إلى ذلك أن قواعد وضع الألفاظ المنحوتة ليست دقيقة، بل تقريباً، يتصرف فيها الخبراء بمبادراتهم التي تتنوع بتنوع الصور الماثلة أمامهم. وقد أيد المجمعي السوري صلاح الدين الكواكبي النحت وتحمس له، ووجد حلاً لوضع الكلمات المنحوتة، بأن استخدم التركيب المزجي (كهربائي مغناطيسي، يمكن تحويله إلى تركيب مزجي موجز مختصر، فنقول كهرطيسي)[٢٠٥].

٤ ـ منهجية المجامع

لا شك أن المجامع العربية وعت كل الوعي منذ البداية الدور الذي يجب عليها القيام به والمسؤوليات الملقاة على عاتقها. وقد عكست الأبحاث والأشغال التي صنفت داخل المجامع أو خارجها، والتي ينبغي أن تتوافق على نتائجها، والمتمثلة في ضبط قوائم المصطلحات التي وضعتها مؤسسات عربية أخرى ـ أقول، لقد عكست تماماً الوجهة التي قررت المجامع السير في ضوئها بخصوص المحافظة على اللغة العربية الفصحى، وفتح الباب بحذر للمبتكرات العلمية والتقنية، وما تولد عنها من مصطلحات. والمجامع وعت مهمتها كل الوعي، خاصة وأنها مقتنعة بأن ما حققته أكثر مطابقة للنواميس الأدبية العامة، وأنها قادرة على إرضاء الرغبات اللغوية الاصطلاحية، وفي الوقت نفسه الاستجابة لحتميات العصر، في حقل المصطلحات العلمية[٢٠٦].

---

(٢٠٤) مؤتمر ١٩٧٣.

(٢٠٥) أنيس المقدسي، «الكلام المولد في معاجمنا الحديثة،» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**، السنة ٤٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥)، ج ٢، ص ١٨١.

(٢٠٦) محمد الشهام، «تاريخ المجامع اللغوية في العالم العربي،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ج ١. انظر: أحمد شفيق الخطيب، «منهجية وضع المصطلحات العلمية الجديدة،» و«ترجمة السوابق واللواحق،» **اللسان العربي**، العدد ١٩ (١٩٨٢)، ج ١، ص ٣٧ ـ ٦٦. و«الدقة والوضوح من أهم ميزات لغة العلم ـ لذا ينبغي التدقيق في مصطلحات أجنبية في مراجع مدرسية وعامة بمرادفات تخالف مدلولاتها المتعارف عليها في السياق المختص» (ص ٣٨).

ولو عدنا إلى «تاريخ المجامع اللغوية في العالم العربي»[٢٠٧]، لتبينا أنها أنشئت في محيط وعى، كل الوعي، سبب تأسيسها والأهداف التي ترمي إليها، من نهضة باللغة العربية وتطويرها حتى تساير أنماط الحضارة المعاصرة، وانها بدأت تشتغل من أجل بلوغ ما يصبو إليه الوطن العربي من طموح إلى اكتساب العلوم الحديثة بما لديه من حماس، خاصة إذا نقلتها لغته القومية. ذلك أن الواقع الثنائي المتركب من العلوم، من جهة، واللغة الأجنبية من جهة أخرى، من شأنه أن يؤول إلى الفشل. كذلك الأمر إذا نقلت العلوم برمتها ودون سابق تفكير إلى اللغة القومية. بل إن المقصود من نظرتنا الجديدة إلى الوضع التربوي العربي العام يفرض علينا الوصول إلى اتزان تدريسي يسمح بإيجاد المقابل العربي للمفهوم العلمي الأوروبي، بغية خلق الحاجة إلى استخدام ما جدّ من اكتشافات أو مخترعات في الحياة العربية، والعمل على ادماج ذلك بصورة واقعية ملموسة في تيار اللغة القومية[٢٠٨]. ومع ذلك ينبغي الاعتراف بأن توليد اللغة العلمية لم يكن أمراً صالحاً كل الصلاحية وبالأحرى كاملاً كل الكمال[٢٠٩]. كذلك كان الأمر بالنسبة إلى القوائم التي نظر فيها المؤتمر الرابع للاتحاد العلمي العربي الذي سلك منهجاً سيئاً، خاصة وإن قسماً من تلك المصطلحات عرض على مجمع القاهرة، حيث يؤكد رئيسه الحالي ابراهيم مدكور أن هناك شروطاً يجب توفّرها في خبير المصطلحات وصانعها: «أن يعرف جيداً لغته وما اشتملت عليه من مصطلحات قديمة وحديثة. ويتمكّن منها كل التمكّن، وبذا يستطيع أن يلجأ إليها أولاً ويستمد منها ما هو في حاجة إليه من الألفاظ قبل أن يلجأ إلى لغة أجنبية»[٢١٠]. واستخرج قسم آخر من المؤلفات القديمة، أما الباقي فقد كثرت أخطاؤه، ولم يشكّل في الواقع سوى مصطلحات محتملة[٢١١]. وقد أبدى الأمير مصطفى الشهابي تشاؤمه، وطبعاً بعض المستشرقين الذين ما انفكوا يشككون في قدرة المصطلحات العربية على استيعاب المدارك العلمية الدولية. فقد اعتبر المستشرق الفرنسي ليفي بروفانسال أن لغة الصحافة هي اللغة الأساسية المتأثرة بالأساليب الغربية، وهو يرى «أن المصطلحات العلمية لن تروج في العالم العربي إلا بالصورة التي انتشرت بها في مواضع أخرى، يعني ذلك أنها لن تستخدم أبداً إلا من قبل أقلية صغيرة»[٢١٢]. لا شك أن هذه النظرة التي أبداها صاحبها بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٤٨) قد تجاوزتها الأحداث، ذلك أن كميات المصطلحات بدأت تتدفق على العالم العربي خلال تلك الفترة، وبدأت المرحلة التالية تهيىء لها أسباب الرواج الكافي، فشملت جمهوراً زاد حجمه شيئاً فشيئاً. وقد تغيّرت الأفكار إثر ذلك، وها نحن نطالع في مجلة غربية أخرى رأياً

---

(٢٠٧) هانس روبرت رويمر، «الشرق الاسلامي في البحث التاريخي،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (دمشق)، السنة ٤٧ (نيسان/ ابريل ١٩٧٢)، ج ٢، ص ٢٨٣.

(٢٠٨) *Études* (1964).

(٢٠٩) مصطفى الشهابي، «المصطلحات العلمية المعروضة على المؤتمر الرابع للاتحاد العلمي العربي،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (دمشق)، السنة ٣٦ (تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٦١)، ص ٦٨٠.

(٢١٠) **اللسان العربي**، العدد ٣٤ (١٩٩٠)، ص ١٣٥.

(٢١١) *Bulletin d'études arabes* (septembre - octobre 1948), p. 147.

(٢١٢) Lecomte, «Réflexions sur un vocabulaire technique en formation: Contribution à la connaissance de l'arabe moderne,» p. 14.

مناقضاً: «ويمكن القول، بعد الاطلاع على منشورات مختلف كليات الطب العربية ومختلف المعاجم المختصة، إن لغة العلوم الطبيعية وعلوم الحياة، بصدد التسوية في الوقت الحاضر، بدأت تثبت قدمها»[٢١٣]. ولا فائدة من التذكير بأن الوطن العربي عاش فترة من التأخر العلمي والتقني والصناعي، واستعان، ولا يزال، بالتقنيات الغربية، وأفاد تبعاً لذلك بما نقلته تلك الصناعات المتقنة من مختلف المصطلحات الدقيقة والموضوعة وضعاً علمياً، مكّنها من الرسوخ على الصعيد الرسمي والشعبي، حتى أنه «لم يعد التمييز دائماً ممكناً في خصوص المصطلح العلمي الرائجة أصنافه، وما إذا كان قد لحق بالعدد غير القليل من المصطلحات الأخرى التي استحقت البقاء في أوساط المتخصصين»[٢١٤].

ويبدو أن النهج الذي سارت عليه المجامع الثلاثة كان متقارباً في أهدافه وفي الواقع، علماً أن منهج مجمع القاهرة يتصف بالدقة القائمة على الخبرة الطويلة في صياغة اللغة العلمية، إذ «حين تتصدى اللجان العلمية بالمجمع لترجمة مصطلح أو تعريبه تدرس المصطلح معنى ومبنى، وأصله اللاتيني أو اليوناني، وتبحث عن أفضل المقابلات له، وقد ترجع في ذلك إلى المعاجم اللغوية القديمة والحديثة، وقد تجد مقابلاً أو مأثوراً دقيقاً غير مطروق في الكتب القديمة، فتأخذ به ليشيع استعماله، ويمر المصطلح بمراحل عدة من الدراسة والمناقشة والتمحيص في اللجان العلمية ومجلس المجمع ومؤتمره السنوي، كفيلة بصقله وصوغه الصياغة المثلى وإقراره»[٢١٥]. ومع ذلك فلا مفر من تقدير الميزات النوعية المتصلة بالسياق الذي نشأت فيه كل مؤسسة. ولا شك أن التصنيف لا بد وأن يفيد من هذه الفروق العملية، خاصة في حقل إعداد المعاجم العلمية. ذلك أن الاختلاف مثلاً على بعض المصطلحات، أو ابتكارها بثلاث كلمات من شأنه أن يساعد على تنسيقها وتوحيدها واستنباط المصطلح المناسب الذي وقع انتقاؤه بغرضٍ نشره على صعيد الوطن العربي: وفي ذلك تمثل عمل المكتب. وعلى ذلك، اتجه ـ مثلاً ـ عزم مجمع دمشق إلى المصادقة على الكلمات الأعجمية التي ترجع إلى أصل عربي، وقرر ترويجها على نطاق واسع جداً. فهذا العمل يندرج في نطاق خطة إحياء القديم من الكلمات العربية، ولا شك أنها ستطعم وتغذي اللغة الحديثة بما فيها اللغة العلمية العربية. وبذا، لا يتعارض هذا العمل والغرض العام العامل على تطوير اللغة العربية الحديثة[٢١٦]. وهذا المجمع قدر أن مثل تلك الكلمات لا نجدها في العربية رغم ما تم من أبحاث معجمية مستقصية لها، فيحسن التحري في شأنها ووزنها على أوزان عربية وتحوير أحرفها إلى حروف عربية، بحيث تحور الحروف والحركات تيسيراً

---

(٢١٣) H. Wehr. *Supplement zum Arabischen Wörter-buch für die Schrift spracshe der Gegenwart* (Wiesbaden: O. Harrossowitz, 1959), p. IV.

(٢١٤) «الوضع والتعريب،» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**، السنة ٢ (كانون الثاني/ يناير ١٩٢٢)، ص ٤٩.

(٢١٥) محمود حافظ، «مجمع اللغة العربية ولغة العلم،» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**، العدد ٥٢ (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٣)، ص ٤٣. انظر أيضاً: محمود مختار، «مجمع اللغة العربية والمصطلح العلمي،» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**، العدد ٥٣ (شباط/ فبراير ١٩٨٤)، ص ٤٥ ـ ٥٢.

(٢١٦) شحادة الخوري، «اللغة العربية والتقدم العلمي والتكنولوجي في هذا العصر،» **اللسان العربي**، العدد ٢٦ (١٩٨٦)، ص ٤٨. إن التعريب «يخدم كذلك المعاصرة التكنولوجية إذ لا اكتساب صحيح للمعرفة إلّا باللغة الأم وبالتالي لا إبداع في مجال العلم... إلا من خلال اللغة القومية».

لنطقها. وبصورة عامة، واعتماداً لتوضيحات رئيس هذا المجمع المرحوم محمد كرد علي، تتلخص مهام مجمع دمشق، طبق ما ورد في تقرير قدمه في سنة ١٩٢٧: «في بذل الجهد في ايجاد ألفاظ جديدة إثراء للغة التقنيات الحديثة، وتصحيح بعض المصطلحات الادارية، وذلك قدر المستطاع، وأخيراً تصحيح عدد من أخطاء الكتّاب والشعراء. . .»(٢١٧).

وفي الجملة، إن حركة تأسيس هذه المجامع التي بدأت في العقد الثاني من القرن العشرين، قصد منها «العمل لإعداد لغة قومية شاملة في مفرداتها واصطلاحاتها الاستعمالية لاستيعاب المعاني الحضارية المستجدة، وقامت هذه المجامع اللغوية، تعضدها جهود لغويين كثر، بإنجازات مشكورة ولكنها لم تحقق الهدف الذي من أجله وجدت»(٢١٨). أما مجمع بغداد، فقد اتجه إلى النظر في المصطلح واللغة التي وضع فيها، تحرياً لأصله وتوضيحاً للصورة التي عرفه بها الخبراء، ثم يدعو المجمع الخبراء لانتقاء المقابلات العربية الصالحة. ويتم البحث عنها في الكتب القديمة والحديثة، وفي كتب اللغة أو الكتب المختصة. فإن وجد اللفظ الموضح للدلالة الاصطلاحية، واتصف بالمرونة والدقة، يقرر المجمع استخدامه ويصبح الأمر نهائياً بعد أخذ رأي الأقطار العربية الأخرى. ذلك أن المجمع العراقي لا رغبة له في الانفراد بالقرار الاصطلاحي، بل يحاول تقرير المصطلحات ضمن قرار اجماعي توحيدي عروبي. وهو لا يدون أي لفظ إلا بعد مرور فترة نصف سنة يدرس خلالها الآراء والمقترحات والانتقادات الخاصة بمصطلح معين(٢١٩). ولن تصير قراراته حاسمة إلّا بعد انقضاء فترة التفكير تلك، وذلك حتى يضمن النجاعة اللازمة للمصطلحات المصادق عليها، والتي استنبطت من الأفكار التي أبداها القدامى والخبراء المعاصرون(٢٢٠). فمثلاً، بالنسبة إلى ألفاظ الرياضيات، فضلت اللجنة المختصة المصطلح العربي المستمد من كلمات قديمة وقع إحياؤها، طبعاً إذا طابقت دلالتها ما جد في دلالات الألفاظ الأجنبية. وكذلك، يفضل مجمع بغداد اللفظ العربي الأصيل على المولّد الذي يقبل بدوره قبل كل لفظ حديث، إلا إذا كان اللفظ العصري شائعاً. ولا يأذن في استخدام التعريب والنحت إلا بشروط، منها أن يكون اللفظ الأعجمي من أصل عربي أو

---

(٢١٧) *Bulletin d'études orientales* (1947-1954), p. 162.

(٢١٨) عبد الكريم خليفة، «وسائل تطوير اللغة العربية العلمية،» **اللسان العربي**، السنة ١٢ (١٩٧٥)، ص ٥٩. انظر أيضاً: علي زوين، «العربية والمصطلح الدلالي،» **المنبر الجامعي** (٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٩). «وكانت مشكلة المصطلح الدلالي وتعريب الألفاظ الأجنبية من المهمات التي اكتسبت الأولوية في المجامع العربية وبخاصة مجمع القاهرة. ووضعت أسس مهمة لمعالجة الموضوع وكان الشغل الشاغل (للقاهريين) أن يكون للعربية معجم اكسفورد وابتدأوا يخطون الخطوات الأولى، ولكن بعد ثلاثة عقود أو أكثر توقف العمل فيه فأصبحت العربية تفتقر إلى هذا المعجم الذي لو استكملوه لكان خير معين لهم في (تقعيد) لأصول ووضع الأسس التي تستند إليها في مسألة البت في المصطلح الدلالي ولا سيما معربات العلوم والفنون». (فالفيصل هو المجتمع اللغوي لا المجمع اللغوي).

(٢١٩) **مجلة مجمع اللغة العربية** (بغداد) (١٩٥٥)، ص ٣٦٨.

(٢٢٠) «معاهد التربية والتعليم، المدارس الثانوية، السنة الدراسية ١٩٤٩ ـ ١٩٥٠،» **حولية الثقافة العربية** (١٩٥١ ـ ١٩٥٢)، ص ٢٩.

مشتق منه(٢٢١). وفي الجملة، كانت خطته كما يلي: «إن وضع الكلمات الحديثة في اللغة يجري، إما على طريقة الاشتقاق وإما على طريقة التعريب، ولا مانع في الجمع بينهما، ويرجع إلى النحت عند الحاجة... يرجع الشائع المشهور من المولد والدخيل على الوحشي المهجور من الكلمات التي في معاجم اللغة»(٢٢٢).

وقد توسّع مجمع القاهرة كثيراً في وضع منهجية له، وذلك في مناسبات عدة، ونشر ذلك في مجلته التي اعتبرت «تجربة ثمينة لتاريخ اللغة العربية، في موضوع ترسيخ الجذور الثقافية لحضارة أخلاقية صرف وتقليدية، ووصلها بأشكال الحضارة التقنية المتحركة إلى الخلق والانتشار المستمر»(٢٢٣). وبرزت أعمال مجمعية هامة، كالتي قام بها مصطفى الشهابي، ودونت الأشغال الكثيرة المتنوعة في محاضر جلسات اللجان، وحوصلت النتائج المحققة بمناسبة ذكرى ثلاثينية انشاء هذا المجمع (١٩٣٢ - ١٩٦٢)، وتحدد ذلك في قرارات اتخذها مجلسه، وأخيراً في ما تنشره مجلة المجمع من قوائم للألفاظ الاصطلاحية والتقنية المصادق عليها. أما طريقته في وضع المصطلحات، فهو يبدأ «بالتنقيب عنها أولاً في كتب اللغة والعلم القديمة، فإذا وجدها اعتمدها. وإذا لم يجدها، لجأ إلى الاشتقاق أو المجاز أو النسب أو التصغير، أو نحو ذلك من القوانين اللغوية، حتى تكون ثروة مستمدة من أصولها ومواردها، فنستغني بها عن سواها... ويجيز المجمع استعمال بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب...»(٢٢٤).

وبذلك، نكون قد استعرضنا، استعراضاً بسيطاً جداً، حتى لا نخرج عن نطاق هذه الدراسة، ما يمكن أن نعتبره منهجاً تسير على هديه المجامع العربية الثلاثة، التي أكدت جميعاً على إحياء القديم قبل التعجيل بابتكار الجديد. والمهم هو استفادة المؤسسات الأخرى من لغوية وعلمية وغيرها أحسن استفادة، من امكانات مجمعية صالحة لتغذية الأبحاث الاصطلاحية، بفضل ما تضعه وتقرره سنوياً من قوائم ألفاظ علمية وحضارية(٢٢٥). إن هذا الجهد المبذول المستمر ينبغي استغلاله بغية تحسين العمل الاصطلاحي التنسيقي التوحيدي. والمظاهر المنهجية المعمول بها تفيد كذلك الباحثين على جميع أصنافهم، وهي تتمثل في استنباط المصطلحات من اللغة الفصحى القديمة، والاشتقاق، والتعريب، والنحت(٢٢٦). والواقع أن العمل المجمعي أكثر تشعباً من مجرد السير على نهج هذه المبادىء اللغوية التي تعتمد إحياء القديم في الأول، وإلا فينتقل الجهد الاصطلاحي إلى الامكانات اللغوية الأخرى، وذلك حتى تستنبط ما ينبغي من مصطلحات تثري اللغة العربية، من موارد اللغة

(٢٢١) جميل الملائكة، «بعض القواعد التي سارت عليها لجنة وضع المصطلحات الهندسية،» مجلة مجمع اللغة العربية (بغداد)، السنة ١٧ (١٩٦٩)، ص ٢٩ - ٣٤.

(٢٢٢) اللسان العربي، السنة ١٢ (١٩٧٥)، ج ١، ص ٦٠.

(٢٢٣) *Études* (1964), p. 5.

(٢٢٤) اللسان العربي، السنة ١٢ (١٩٧٥)، ج ١، ص ٦٠.

(٢٢٥) عبد الكريم خليفة [وآخرون]، دور المجامع اللغوية في الحياة العلمية العربية المعاصرة، الموسم الثقافي الثاني لمجمع اللغة العربية الأردني (عمان: مجمع اللغة العربية الأردني، [د. ت.])، ص ١٣٧ - ١٦٧. حول منجزات هذا المجمع انظر: مجمع اللغة العربية الأردني في التقرير السنوي الرابع حول منجزات المجمع عام ١٩٨٠، في: اللسان العربي، العدد ١٩ (١٩٨٢)، ج ١، ص ٢٢٩ - ٢٣١. كما يمكن التعرف على أكاديمية المملكة المغربية، في: اللسان العربي، العدد ٢٤ (١٩٨٥)، ص ٢٩٤ و٢٩٧.

(٢٢٦) مجلة جمعية المستشرقين الاسبان، السنة ٢ (١٩٦٦)، ص ٢٦٤.

لذات، التي عليها أن تقاوم الغزو الاصطلاحي الأجنبي، وتعفي العربية من اللجوء إلى لغات والوسائل التي يمكن أن تحيد بها عن ميزاتها الأساسية[٢٢٧]. ويكفي لإدراك هذا شاغل، المحافظة على سلامتها، والتمعن في جهود المجامع، المركز على وضع المصطلحات لعربية لكل فرع من العلوم والفنون، هو في حاجة إلى ألفاظ يعبر بها عن أبحاثه ومشاغله. مثلاً يدون مجمع القاهرة الألفاظ بعد إحصائها على جذاذات، ويضيف إليها الشروح ضرورية ويعرضها على جلسات المؤتمرات التي يعقدها سنوياً. وقد تدخل أحد أعضائه أجانب لنقد المنهجية المتبعة في خصوص إحياء القديم من الألفاظ العلمية التي اعترف بأن لماء كباراً ابتكروها، لكنها ضاعت من الأذهان بعد مرور القرون[٢٢٨].

لكن ارتجال بعض الألفاظ العلمية والتقنية غير المعروفة سابقاً في العربية التي لم تتهيأ ذا العمل المباغت (مثلاً ألفاظ الطباعة، والرسم، والطلاء، والكهرباء) أكّد لدى مجمع ناهرة أن هذه الألفاظ المولدة ينبغي ترويجها بالفصحى حتى تروج ترويجاً سليماً عند خبراء ذه الصناعات، بحيث يرتبط أوثق ارتباط المعنى بالتعبير. وبالبحث عن المفردات في تراث، أراد هذا المجمع اقامة علاقات متينة مع الحضارة العصرية، محاولاً في آن واحد تياء ما جد وراج من مصطلحات في حضارة الماضي[٢٢٩].

وقد استهدف مجمع القاهرة أيضاً الحيلولة دون تكاثر المصطلحات، وبخاصة في ميدان كيمياء مثلاً. ذلك أنه ينبغي الاشارة إلى العناصر الكيميائية بعدد من السوابق واللواحق ي تضاف إلى الأسماء بغية ايجاد مسميات المادة الجديدة[٢٣٠]. ولذا، ضبط المجمع قواعد ضع مثل هذه الاصطلاحات، وكان حريصاً على التمييز بين لغة العلم ولغة الحضارة لأدب. فلغة العلم لا بد أن تكون سليمة حتى توافق الحتميات العلمية، ولا يمكن لهذا سبب أن تحدد بمقاييس تشبهها باللغة الأدبية، إلّا إذا كان ذلك غير مخالف للنواميس علمية. ولعل هذا المجمع جد في البحث عن اللغة العلمية الحية التي توازي في تطورها علوم العصرية، وربما أراد أيضاً التدليل على ثراء العربية وقدرتها على استيعاب المخترعات لاكتشافات، وهذا هدف يبدو أنه أكثر مطابقة لمهمة المجمع. وهو الأمر الذي خوّل له اتخاذ

---

(٢٢٧) «محضر جلسة الافتتاح،» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**، السنة ٥ (١٩٤٨)، ص ٦. انظر: يه حمد عبد الرحمن، «منهجية وضع المصطلحات الجديدة في الميزان،» **اللسان العربي**، العدد ٢٤ (١٩٨٥). مساعدة على ذلك ينبغي «تعريب» الجذور التي تعرف سوابق ولواحق في اللغات الهندية الأوروبية تقدر ٥٠٠ في حين أن أسرة اللغات السامية تتوفر على ٩٢٧٣ جذراً» (ص ٦٤). انظر أيضاً: أحمد شفيق طيب، «ملاحظات وأفكار حول ورقة عمل ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات،» **اللسان العربي**، لد ٢٤ (١٩٨٥)، ص ١١٣ - ١٢٥. قال معجمي لبناني في الندوة: «إن موضوع المصطلح في اللغة العربية مشكلة الانسان العربي وليس في الواقع مشكلة اللغة العربية» (ص ١٢٣).

(٢٢٨) «قائمة الأعلام الجغرافية في السودان المصري والحبشة والصومال وشمال افريقية وغرب آسيا،» **ة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**، السنة ٥ (١٩٤٨)، ص ١٧.

(٢٢٩) «جلسة الافتتاح،» ص ٨٥.

(٢٣٠) الشهابي، **المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث**، ص ٩١.

سلسلة من التدابير المتعلقة بقواعد القياس والترجمة والتعريب العامل على وضع معربات للألفاظ الأعجمية، وانتساخ الأعلام الأوروبية، ووضع المعاجم وانتقاء الألفاظ، وتيسير النحو والكتابة العربية(٢٣١).

لكن مجمع القاهرة أدرك بوضوح أنه لم يعد ممكناً الاقتصار على الوسائل التقليدية لوضع المصطلحات العربية. فقدر أن الوقت قد حان لإعداد قواعد جديدة(٢٣٢). ويبدو أن منهجيته بدأت تتطور بعد مرور ذكرى ثلاثين عاماً على تأسيسه، سنة ١٩٦٢. وقد كان المجمع في بدايته غير متميز بطريقة خاصة به في العمل، بل إنه تردد مدة طويلة بين تدوين المصطلحات ووضعها، وتردد بين التعريب وإحياء القديم، وبين العامية والفصحى، وتردد بين أن يقبل العمل بالنحت أو أن يرفضه. أما على صعيد دلالة الألفاظ، فقد عزم على احترام المعادلة المتمثلة في إعطاء دلالة فريدة مقابل مفهوم وحيد دقيق واضح يمكن اشتقاقه ويقبل النسبة. وقد استنكف من ترجمة الكلمة الأعجمية إلى عدة ألفاظ عربية أو بواسطة عبارة(٢٣٣). وقد استعان المجمع بعلماء في اللغة، متخصصين في النصوص العلمية القديمة، لوضع مصطلحات، انطلاقاً من فهرسة ألفاظ تلك المؤلفات التراثية التي سيفيد منها التعريب. ولم يعد المجمع متردداً الآن في جمع الألفاظ الفنية التي يستخدمها العمال والتجار والمزارعون، وفي التفكير في جمعها في معاجم، بعد إصلاح ما ينبغي إصلاحه(٢٣٤). وقد اتضحت منهجيته وتدققت وتبلورت في مراحل لجمع الألفاظ التي وضعها الأخصائيون، ثم يقع التحري في قيمتها الدلالية التصورية ضمن لجان مختصة، والبحث عن احترامها لقواعد اللغة. ثم يطلع عليها مجلس المجمع في مرحلة ثالثة، قبل إحالتها على المؤتمر العام الذي يبدي رأيه فيها. ذلك أن مجموع تلك الألفاظ التي تخطت مراحل الانتقاء المتنوعة، ستدخل طبعاً حيّز الرواج والاستعمال في الأقطار العربية، ويكون رواجها مقرراً لمصيرها. إن المجمع يعمل دائماً على نشر القوائم الاصطلاحية ويوزعها على المؤسسات المعنية دون استثناء(٢٣٥). أما عمل اللجان فهو يرمي إلى تقديم تعريف مختصر للألفاظ المنتقاة، كما يجري العمل في القواميس، إذا كانت طبعاً ألفاظاً رائجة. وإذا كانت اللفظة قليلة الاستعمال، فهي تدوّن على جذاذة وتوزع على جميع المؤسسات العلمية وتنشر بمجلة المجمع. وبعد النظر في الملاحظات الواردة على المجمع، يتم تحديد الألفاظ التي صادق عليها المجمع تحديداً نهائياً،

---

(٢٣١) «استجواب مع معالي سفير الجمهورية العربية السورية حول قضايا التعريب في سوريا،» **اللسان العربي**، السنة ٢ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ٢٩١.

(٢٣٢) محمد كامل حسين، «القواعد العامة لوضع المصطلحات العلمية،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة)، السنة ١١ (١٩٥٩)، ص ١٣٩ - ١٤١.

(٢٣٣) محمد رضا الشبيبي، «توحيد المصطلحات،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة)، السنة ٨ (١٩٥٥)، ص ١٣١.

(٢٣٤) ابراهيم مدكور، **مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً: ماضيه وحاضره** (القاهرة: المجمع، ١٩٦٤)، ص ٥٤ و١٣٧ - ١٣٨.

(٢٣٥) **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ٣١٩.

وتـدرج بالمعـاجم. أما مـا تبقى من مصطلحـات، فيعرض عـلى نظر المجلس ثم عـلى مؤتمـر المجمع[٢٣٦]. وجاء وقت شعر فيه المجمـع أنه يجب تـدوين ما وافق عليـه الخبراء من ألفـاظ، وعليه جمع الألفـاظ القديمـة التي لم تعد تسـاير ضرورات العصر، وقـد تمكّن المجمع من نشر قرابة ألفي لفظة كل سنة[٢٣٧]. ونظراً لصعـوبة التعبير عن التصورات العلميـة الجديـدة حتى على أوروبا، فقد تعذّر، وربمـا استحال، البحث عن أصـول عربيـة تقابلهـا. فكيف السبيل إلى ايجـاد مقابـلات عـربيـة لكلمات مثـل Microscope, Thermomètre, Méson, Neutron, Électron في المعاجم القديمة، بينما المعاجم المتعددة اللغـات (من لغتين إلى ست) مستمـرة في الصدور[٢٣٨].

إن مشكل المصطلحات أوسع، وهو يتجاوز كثيراً المدى المجمعي، «وعنـد مجابهـة مشكلة المصطلح العلمي في قضية التعريب والتدريس والتأليف والبحث العلمي والتطبيقات العملية، تجابه الجـامعات العـربية أعتى وأقسى مـا تمر بـه من مشاكـل، فالمصـطلحات ضرورة آنيـة ليس لمجـرد تبـادل الحـديث والـطرح والمناقشة، في لغة الإفصاح والإبانة، ولكنها جسر للتفكير أيضاً»[٢٣٩].

ونخلص إلى منهجية هذا المجمع، فنقول إنها تقوم على وضوح المفهوم ودقتـه ودلالته، وهي عوامل تحول دون إحاطة الكلمة بجانب من الغموض والإبهـام، وترفض كـل شذوذ أو تهور في التعبير عن المبادىء العلمية. لكن ذلك لم يمنع مجمع القاهرة من قبول بعض الألفـاظ النادرة أو من أصل عامي سليم محدد. فإن تأكدت قيمة المصطلح عند الاستعمال، فإنه لا بد أن يحصل أيضاً عـلى إجماع المستعملين لـه، من الاخصائيـين وعلماء اللغة، ولا يمكن اعتبـاره مقبولاً قبولاً نهائياً إلا بعد أن يحصل على موافقة المجمع[٢٤٠].

٥ ـ منهجية المكتب في تنسيق المصطلحات

إن كان للمجامع منهجية تكـاد تكون مستقـرة فإن تـطورت أو تغيّرت، فـإنما لأسبـاب علمية موضوعية على أحسن تقدير، فإن مكتب تنسيق التعريب، وهو مؤسسة تابعة للجامعـة العربية عـامة وللمنـظمة العـربية للثقـافة والـتربية والعلوم تحـديداً، يخضـع أيضاً للنـواميس العلمية، وهو يخضـع بالخصـوص للتراتيب العروبيـة السياسيـة والثقافيـة. ولا تقوم منهجيتـه العلمية على وضع المصطلحات بتاتـاً، بل تنحصر مهمتـه أساسـاً في التنسيق والتوفيق بـين ما يجـد من ألفاظ علميـة وتقنية في الـوطن العربي. وهـو يشكل بـالتالي الأداة العـروبية الفعـالة

---

(٢٣٦) المصدر نفسه.

(٢٣٧) مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)، السنة ١٨ (١٩٦٥).

(٢٣٨) مؤتمر ١٩٧٣، بحث د. المنتصر.

(٢٣٩) محمـود محمـد الحبيب، «مشـاكـل وصعـوبـات التعـريب،» اللسـان العـربي (١٩٧٩)، ج ١، ص ١٧٧ ـ ١٩٥.

(٢٤٠) ابراهيم مدكور، «المجمع في خدمة اللغة العربية،» مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)، السنة ٨ (١٩٥٥)، ص ١٣١.

لتحقيق مراحل التعريب في الأقطار العربية عموماً، والعمل على المساعدة المباشرة لتحقيق التعريب في المغرب العربي بالخصوص، الذي هو في حاجة أكيدة إلى ترسيخ جذور أصالته في الواقع العربي على الصعيد الحضاري والعلمي والثقافي.

وإن عدنا إلى المراحل التاريخية الحديثة التي مرّ بها الوطن العربي، فإننا نجد جذور فكرة التوحيد الاصطلاحي منذ أن انفصلت سوريا والعراق وبلاد العرب عن السلطة التركية، في نهاية الحرب العالمية الأولى[٢٤١]. وبهذا، اعتبر التوحيد مسؤولية قومية عروبية تشترك فيها كل الأقطار العربية بجهودها ومنجزاتها في حقل التعريب. ويجسد ذلك المجهود في وضع مصطلحات واحدة ضمن معجم، لغته هي العربية، تضاف إليها لغة أجنبية على الأقل. وينبغي أن تحدد ألفاظه تحديداً علمياً مختصراً يرتبط بالحجم والأهمية المقررة لذلك المعجم، الذي يجب أن يحتوي على الألفاظ الأكثر قابلية ومحسوسية في العربية. ويضمن رواجه بفضل تعهد الحكومات باستعماله في كل مؤسساتها[٢٤٢]. ولو تحقق مشروع توحيد المجامع العربية، لأمكن تجسيد هذا المعجم بيسر وفي أقرب الآجال[٢٤٣]. وذلك ما وافق عليه مجلس الجامعة في دورته العشرين بقرار ١٩٥٤/١/٢٦[٢٤٤]. لكن الوحدة اللغوية ما انفكت تتعرض للعوائق «التي زادت من الغموض، بسبب اعادة الشباب إلى اللغة الفصحى حتى تنسجم ومتطلبات الحياة العصرية»[٢٤٥]. وقد رأى مصطفى الشهابي المجمعي السوري، ذلك الرجل الذي شيّد صرحاً عظيماً للأزهار والخيل والنبات في الأدب وفي اللغة العربية[٢٤٦]، أن وضع المصطلحات سيبقى لمدة طويلة من صنع البادرات الفردية، بالإضافة إلى عمل المؤسسات. ويشكل ذلك مصدراً لا ينفد من الخلافات الاصطلاحية التي ستطور وتتكاثر تكاثر الأفكار الشخصية والطرق المستعملة، كذلك بما يوليه هؤلاء وأولئك من أفضليات اصطلاحية[٢٤٧]. وقد بدا أن الاتحاد العلمي العربي قرّ عزمه على إنهاء هذه الحالة، فشجع على بعث وحدة المفاهيم، بشرط موافقة الخبراء على كل لفظة صارت مكتسبة للصبغة «العالمية» في كل اللغات، وبذلك يمكن ادراج الرموز والمصطلحات في قاموس اللغة العربية، مع الاشارة إلى تدخل النحت والاقتباس في ترجمة المختلف عليه بين الأقطار واللغات[٢٤٨]. وكما هو معلوم لا توجد سلطة

---

(٢٤١) الشبيبي، «توحيد المصطلحات،» ص ١٣١، والشهابي، **المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث**، ص ١١٦.

(٢٤٢) محمد كرد علي، «عالمان عربي وغربي».

(٢٤٣) **حولية الثقافة العربية** (١٩٥١ ـ ١٩٥٢)، ص ٨٤٢ ـ ٨٤٥.

(٢٤٤) «في طريق انشاء المجمع العربي الموحد: تكوين لجنة مجمعية في اطار المكتب الدائم للتعريب،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ج ٣، ص ٣٤٤.

(٢٤٥) *Al-Istiqlal* (21 mars 1959).

(٢٤٦) أنور الجندي، «الأمير مصطفى الشهابي وكتابة المصطلحات العلمية في اللغة العربية،» **اللسان العربي**، السنة ٤ (١٩٦٦)، ج ٤، ص ١٢٨.

(٢٤٧) **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)** (١٩٥٤)، ص ١٥٩.

(٢٤٨) زهير الكتبي، «المخطوطات الايجابية في توحيد المصطلحات العلمية،» **اللسان العربي**، السنة ٤ (١٩٦٦)، ج ٤.

ولا نص يفرض توحيد المصطلحات بين الأقطار العربية. ويبدو أن أقرب حل للمعقول تمثّل في نشر المصطلحات المصادق عليها في المؤتمرات المختصة، ضمن المؤلفات حتى تكسب أوسع رواج ممكن[٢٤٩].

وقد وعت الأمانة العامة للجامعة فعلاً حتمية الحل العاجل القاضي بتوحيد المصطلحات في الوطن العربي. فأدرج من طرفها مادة في اللائحة الأساسية للمكتب يكون بمقتضاها (مادة ٩)، مأذوناً له في القيام بمهمة اصطلاحية توحيدية متناسقة الحلقات، وذلك بالتدخل لدى مؤسسات مختلفة بغية طلب مساعدتها. وقد أيد المكتب في ذلك مؤتمر وزراء التربية (الكويت، ١٧ ـ ٢٢ شباط/ فبراير ١٩٦٨)، فحدّد له اتمامها إلى نهاية المرحلة الثانوية، كما أن الجامعة ساندت هذا العمل في دورتها المنعقدة في أيلول/ سبتمبر ١٩٦٩. ذلك أن الجمهورية العربية المتحدة وقتها أعدت من جهتها مشروع معجم علمي عام (مائة ألف مصطلح) يعتمد مرجعاً لكل الخبراء، وتساهم فيه المجامع. وقد قرَّ عزم الجامعة فعلاً على توزيع القوائم الاصطلاحية المعروضة على مؤتمر ١٩٧٣، في العالم أجمع، بعد الحصول على المصادقة النهائية، فقدم المكتب مذكرة لدورة الجامعة الخامسة والخمسين، مقترحاً اعتبار سنة ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ عاما للموافقة على قوائم المصطلحات التي ستصنف إلى معاجم، وذلك بعد تدارسها في ثلاث ندوات بثلاث عواصم عربية: في مادة الكيمياء والرياضيات، وفي الفيزياء وطبقات الأرض، وفي علم الحيوان والنبات، وقدرت تكاليف هذا العمل بمبلغ ٣٤,٦٠١ دولار وتم توزيع فعلي لهذه المشاريع تمهيداً للنظر فيها من طرف الأقطار العربية. وقد تبلورت منهجية المكتب منذ ١٩٦٦ حيث تأكد لديه أن جوهر عمله يتمثل في تجميع المصطلحات العربية المطابقة لمثيلاتها الأوروبية، اعتباراً لما وضعته المؤسسات العربية. ثم ينظر خبراء المكتب في تلك القوائم وينتقون أقومها، ويتقرر ترويجها حينئذ على صعيد الوطن العربي. لقد ركَّزت المؤتمرات التعريبية الأولى (الأول والثاني والثالث) على توحيد مصطلحات مرحلة التعليم الثانوي. أما المؤتمر الرابع فعُني بمصطلحات التعليم التقني والمهني، وأعد المؤتمر الخامس العدّة لمشاريع معجمية مخصصة للتعليم العالي[٢٥٠]. ويمكن تعليل هذه المنهجية بأن الوحدة اللغوية تعد للوحدة الفكرية، بفضل ما يتم من نسق اصطلاحي علمي تجني ثماره وحدة الكتاب ووحدة المعجم. ولكل قطر أن يقرر نشر كتاب علمي يمكن اعتباره

(٢٤٩) ابراهيم مدكور، «لغة العلم،» مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)، السنة ٤ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥)، ج ١، ص ٢٢.

(٢٥٠) انظر: «خطة تنسيق التعريب (١٩٦٩ ـ ١٩٨٣)،» اللسان العربي، العدد ١٧ (١٩٧٩)، ج ١، ص ٣٣. و«نشاط مكتب تنسيق التعريب،» اللسان العربي، العدد ٤١ (١٩٨٣)، ص ٣٤١ ـ ٣٤٢. انظر أيضاً: وقائع مؤتمر التعريب الخامس والتوصيات المنبثقة عنه وبالخصوص «منهجية التعريب: إعداد، دراسة، إقرار،» في: اللسان العربي، العدد ٢٦ (١٩٨٦)، ص ٣٢٩ ـ ٣٣٣. وتتمثّل هذه المراحل في الآتي: استقصاء القديم من الكتب المتخصصة والمعاجم لإحياء المصطلحات المبثوثة في كتب التراث العلمي العربي وجمع المصطلحات الحديثة التي أقرتها المجامع واستعملتها مؤسسات التعليم العالي أو وردت في المعاجم الحديثة.

مرجعاً قياسياً يسير على هديه مؤلفو الكتب العلمية في الأقطار العربية الأخرى، وهذا بالنسبة إلى كل علم[251].

أما على الصعيد الدولي، فقد اهتم المدير العام السابق لليونسكو، «رينيه ماهو»، بالأهداف التي يرمي إليها النهج الذي سار عليه المكتب، والذي اتجه إلى «وضع خطة شاملة وتنسيق الجهود العامة والخاصة التي تبذل في الأقطار العربية، خاصة في أمر توحيد الاصطلاحات العلمية والتقنية، والطرقُ الحديثة لتعليم اللغة العربية»[252].

وما يمكن استخلاصه منذ الآن هو أن الاهتمام بالمصطلحات عام شامل في الوطن العربي، على الصعيدين الرسمي والشخصي. بقي أن يتحفز الناس للتعاون، والتنظيم بغية الخروج من دائرة التخصص الضيقة، والمساهمة في العمل القومي العلمي التطويري. لكن ما هو المنهاج الواجب سلوكه؟ فإذا تقرر نقل المفهوم الأوروبي كما هو، دون محاولة إدماجه أو إعادة وضعه، فذلك اعتراف ضمني بعجز العربية على التكيّف، ولذلك يتعينَ على الخبراء الإسهام في هذه المهمة، وكذلك كل من أطلع على ما للتراث من قيمة وأهمية في بعث الكلمة العربية الأصلية وإحيائها من جديد، مع العلم بأن الأسبقية تكون للدقة والوضوح العلمي، ولو على حساب إحياء القديم. إن حل قضية التوحيد الاصطلاحي لا يمكن التحدّث عنه إلا على صعيد عروبي، ضمن مشاريع مدققة برعاية الأمانة العامة للجامعة. من ذلك مقترح اعداد معاجم تضم قوائم المصطلحات الخاصة بالتعليم الثانوي (قدرت تكاليفه بنحو ٣٠ ألف دولار)، وهو قيد الدرس منذ ١٩٦٧، وقد حددت له منهجية لتقويمه قبل نشره في المدارس، وذلك بتوصية من وزراء التربية المجتمعين في الكويت. وانطلاقاً مما أعد في مصر للمناهج في التعليم الثانوي، تستكمل المعاجم المقترحة بما هو رائج في مناهج الأقطار العربية، ويشار إلى ذلك بعلامة خاصة (٧)، وأتيحت امكانية زيادة مصطلحات جديدة ومقابلاتها بالفرنسية والانكليزية. توجه المعاجم المذكورة إلى الخبراء في كل قطر، فيسجلون مقترحاتهم على صفحات معجمية يعيدونها إلى المكتب. تلك هي أهم الخطوط المنهجية التي سطّرها المكتب بغية ادخال كل إصلاح علمي على اللغة العلمية المخصصة للتعليم الثانوي، التي انطلقت من مصطلحات «مصرية». وقد أدخل المكتب تحسينات على منهجيته على مرّ السنين، وحدد بموافقة المنظمة فترات العمل المعجمي الاصطلاحي، بحيث لا يطرأ أي خلل على العمل التنسيقي من الوجهة الزمنية، ويمكن للمنظمة أن تفي بتعهداتها لدى الحكومات العربية[253]. ويبين التحري دائماً أنه حتى عمل الخبراء يتطلب مراجعة كمية ونوعية. وتجد اشكالات بخصوص اللغة الأجنبية المستعملة، إذ يعسر عادة على أقطار تستخدم الفرنسية (سوريا، لبنان، المغرب) أن تنظر في قوائم اصطلاحية انكليزية عربية، فيتأخر إرجاع

---

(٢٥١) «رحلة الأمين العام عبد العزيز بنعبد الله إلى العواصم العربية: مقابلات مع صحف عربية،» اللسان العربي، السنة ٤ (١٩٦٦)، ج ٢، ص ٦٢.

(٢٥٢) المكتب، رسالة، ١٩٦٨/٧/٨.

(٢٥٣) اللسان العربي، السنة ١٣ (١٩٧٦)، ص ٣٦٦.

المعاجم المصححة، فتحمّل المكتب مسؤولية اتمامها (من ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ لفظة اضافية لكل مشروع معجمي)، فيؤدي هذا الحل إلى عقد ندوات متخصصة لكل مادة يخول لها النظر في القوائم التكميلية. وتعقد ندوات متخصصة لدراسة وتنقيح مصطلحات مشاريع المعاجم المقدمة إلى مؤتمر التعريب السادس[٢٥٤].

وتأتي المشاركة من مصادر مختلفة، من السودان مثلاً، حيث أسهم خبير من اليونسكو في إعداد المدرسين بمعهد التربية العالي في أم درمان (المدرسين العلميين)، بقسطه في ادخال تحسينات على المشاريع المعجمية[٢٥٥]. ومنذ ١٩٧١، قررت وزارة التعليم العالي في العراق استخدام المعاجم الستة في المدارس الثانوية (بمقابلاتها في اللغة الانكليزية)، وأضافت المصطلحات الناقصة بالعربية والانكليزية. وقد لاحظت لجنة الكيمياء مثلاً استعمال حامض وحُمض في وقت واحد (رقم ٤٢٨١، بالقائمة، ص ٤٦)، بينما راج (حامض) في الأقطار العربية[٢٥٦]. وأوضحت لجنة الفيزياء في سوريا أن مصطلح إلكترود المعرب، أكثر ذيوعاً من قطب. فاقترحت اللجنة الاحتفاظ بالمصطلحات الدولية: إلكترود عوض قطب كهربائي، والكترون، وبروتون، أما بخصوص Isotope، فقد تردّد المكتب بين نظير ومتماكن[٢٥٧]. فتبين عامة أن مشروع معجم الكيمياء تضمن ألفاظاً كان إعدادها سيئاً، إذ لم تخضع لقاعدة مستقرة في الاشتقاق تسهل العمل لكل من رغب في ترجمة المصطلحات الأعجمية. ولوحظ في تقارير خصصت لقوائم المصطلحات الكيماوية وقوائم الفيزياء والرياضيات ومتمماتها[٢٥٨] أن تعريف الألفاظ لا يوضح دلالة المفهوم الرياضي. ويضاف إلى ذلك انتساخ الرموز الذي لم يخضع إلى قاعدة معينة (g = ج أو غ)، ثم إن اللفظ الفرنسي لا يطابق اللفظ الانكليزي بصورة مستمرة. ولنأخذ مثلاً اللفظ رقم ١٣٦٠: تفاعل، بمعجم الفيزياء، فهو يطابق Interaction بالانكليزية. أما بالفرنسية، فقد أدرج Contraction interne وهي عبارة ترجمت إلى (تقلص داخلي). ولم ينج النص من أخطاء الشكل التي زادت من الإبهام (لَدْن ولَدِن مقابل Plastique وظهر خطأ آخر تمثل في التوسّع في الترجمة العربية بصورة لم يسمح بها اللفظ الأجنبي، أو أن يفضل اللفظ العربي النادر على اللفظ الرائج (Size = قدّ، وقامة هو الرائج)، أو أن يقع الإكثار من المقابلات العربية، مما يؤدي إلى ادراج لفظ غير صالح (-Cal cul infinitésimal = حساب التكامل أو حساب التفاضل).

وقد تكررت عمليات التحري حسب همة الخبراء في كل قطر. فمثلاً، أعيدت مراجعة معجم الكيمياء ثلاث مرات في الكويت ومعجم الرياضيات أربع مرات، وقد أوصت لجنة الرياضيات في هذا القطر باستخدام المصطلحات المتفق عليها بصورة جماعية، وأيدت مبدأ

---

(٢٥٤) اللسان العربي، العدد ٢٨ (١٩٨٧)، ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

(٢٥٥) المكتب، رسالة رقم ٣٦٩، ١٩٧٢/١٠/٧.

(٢٥٦) المكتب، رسالة، ١٩٧٢/٤/٢٠.

(٢٥٧) المكتب، رسالة، ١٩٧٢/٧/١.

(٢٥٨) المكتب، رسالة رقم ٥٤٠١، ١٩٧٢/٢/٢٦.

العمل بمقابلات متعددة للدلالة عن المفهوم الواحد، شريطة أن لا يعوض مفهوم ما غيره من المفاهيم (مثلاً تطبيق أو دالة مقابل Function، منحى واتجاه = Direction، لكن اتجاه يقابل The sense). وأكدت أن المصطلح العلمي الجيد هو الذي يشتق اشتقاقاً صحيحاً ويوضع طبق القواعد، ويتكيّف في الوقت نفسه بالفكرة العلمية وبالصياغة المنطقية للألفاظ الأجنبية القريبة لغوياً، لكنها مختلفة في دلالتها العلمية (مثلاً، يقابل Théorème مبرهنة، ويقابل Théorie نظرية أو قضية)(٢٥٩). وبصدد الحديث عن القضية في الرياضيات، فلنشر إلى أن قضية توحيد المصطلحات العلمية أثيرت منذ سنة ١٩٦٣، على الأقل على الصعيد المغربي(٢٦٠). ولقد عاشت تونس تجربة التعريب العمودي الذي لم يعمم، لأنه شمل شعبة معربة واحدة في التعليم الثانوي (عرفت بشعبة أ) بداية من اصلاح التعليم الذي دخل حيز التنفيذ بداية من تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٥٨. فتقرر طبعاً وضع المصطلحات العلمية العربية الموافقة للمناهج، وتم الأمر على الصعيد القطري(٢٦١). وعرّب المغرب الأقصى برامجه التعليمية، بإشراف المركز الوطني المغربي للتعريب، وأسهم المكتب في وضع معجم رياضي مرفوق بإعداد مقدمة حول المنهجية التعريبية في الرياضيات المعمول بها، فكانت تجربة قطرية أخرى(٢٦٢). وسنرى بالتفصيل كيف تطورت حركة التعريب في الأقطار المغربية، لنلاحظ أن كل قطر انفرد بخطته دون تنسيق مع القطر الآخر. واستمرت تونس في خطتها سنة ١٩٦٤، المطالبة بتوحيد المصطلحات التقنية، التي تحقق مادة مادة(٢٦٣). وكان الحافز على ذلك وجود المكتب منذ مدة قصيرة في هذه البلدان، فأتيح له بذل المساعدة، إذ كانت توجه من هناك ومن الخارج نداءات لتنسيق التعريب الاصطلاحي، معترفة له بالخبرة الفعلية في هذا الميدان، رغم أنه لم يشرع في العمل إلاّ منذ سنة أو سنتين. وقد استعانت به الوفود العربية في اليونسكو للتغلّب على الصعوبات التي تلاقيها أثناء مداولات هذه المنظمة العالمية، وطلبت منه تعريب وثائق «البرامج والميزانية»، التي تتطلب استخدام عدد كبير من الاصطلاحات الخاصة، وذلك استعداداً لأن تحتل اللغة العربية المكانة اللائقة بها في هذا المحفل، وتستخدم كأداة عمل(٢٦٤). وكما بيّنا كلفت الجامعة المكتب بتوحيد المصطلحات العلمية في التعليم الثانوي، اعتماداً على المشاريع المعجمية الستة(٢٦٥). كان من المقرر تقديم هذا العمل إلى ندوة محددة لفترة ما بين ٢٠ و٣٠ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٩، لكن المكتب اتصل بالمعاجم في

---

(٢٥٩) المكتب، رسالة، ١٩٧٢/١/٢ عن الكيمياء، ورسالة ١٩٧٢/١٢/٦ عن الرياضيات.

(٢٦٠) انظر: «منهجية المكتب في تنسيق وتوحيد المصطلحات العلمية،» في: محمد أفسحي، «مكتب تنسيق التعريب: منجزات وأهداف (١٩٦١ ـ ١٩٩١)،» اللسان العربي، العدد ٣٤ (١٩٩٠)، ص ٢١٩.

(٢٦١) انظر: Mohammad Mongi Al-Sayyadi, «L'Enseignement de la langue arabe en Tunisie,» (Thèse, Paris III, 1972).

(٢٦٢) المكتب، رسالة في ١٩٦٣/١٠/٢٢، لكاتب الدولة التونسي للتربية القومية.

(٢٦٣) المكتب، رسالة ١٩٦٤/٥/١١، لكاتب الدولة التونسي للتربية القومية.

(٢٦٤) المكتب، رسالة رقم ٦٧٦، ١٩٦٨/١٠/١٧.

(٢٦٥) معجم الكيمياء، معجم الحيوان، معجم النبات، معجم الفيزياء، معجم الرياضيات، ومعجم الأرض.

فترة لاحقة، فلم تعقد الندوة[٢٦٦]. ولم يمنع ذلك المكتب من تقديم تقرير في الأمر وإبداء الرأي وتوضيح عمله المنهجي المتمثّل في تنسيق الألفاظ على جذاذات تكون بمثابة المرجع في اللغة العربية الحية، وترتيب ذلك وضبط الفراغات والنقائص، بالنظر إلى المصطلحات العالمية المحددة بـ ١٨,٢٥٠ لفظة كل سنة، حسب احصائية أصدرتها منظمة اليونسكو.

وكان على المكتب في المرحلة الأولى أن يجرد جرداً دقيقاً الألفاظ الرائجة والمولدة في الوطن العربي (ما نشرته المجامع، مثلاً مجمع القاهرة منذ ١٩٥٧). وشمل هذا الجرد أيضاً الألفاظ التي صادق عليها مجمع بغداد (في الالكترون والفضاء والسكك الحديدية والري والحرف والبحرية والطيران والنفط والتربية. . .)، وما حفظه مجمع دمشق (في علوم الزراعة والغابات. . .) وحقق المكتب كذلك ما وضعته الجامعات والأفراد. فجرد أعمال المؤسسات المصرية (في الرياضيات والعلوم والكيمياء. . .)، والكويتية (في طبقات الأرض والكيمياء. . .)، ومعجم الاتحاد البريدي العربي، والمعجم العسكري (مصر).

وقد أتيح للمكتب منذ ١٩٧٠ الحصول على قوائم المصطلحات المنشور منها وغير المنشور، والتي تزوده بها المؤسسات أو المراسلون، وبذلك يمكنه مراجعة حصيلته من المصطلحات باستمرار. ويبدو أن جذاذاته أصبحت تعد أربعمئة ألف ويزيد، فصار بناء على ذلك على اتصال دائم بالانتاج اللغوي في الوطن العربي. وشملت دائرة عمله في جرد القواميس القديمة، كيلا تضيع منه فرصة استخراج الألفاظ التي تتضمن مفهوماً جديداً، أو تسمح بتصحيح لفظ مولد. وستغذي قرابة خمسين ألف جذاذة معجم المعاني، وهو معجم مبوّب على مفاهيم دقيقة تتعلق بمواضيع معينة، يبحث عنها في الموسوعات العربية والأجنبية (انكليزية وفرنسية)، وقد عزم المكتب لأول مرة على استخدام اللغة الألمانية والروسية. وببلوغه هذه المرحلة الثالثة الاستطلاعية، يكون المكتب في وضع يتيح له سد عجز المصطلحات العربية بمساعدة لغات أخرى. وقطعت الخطوة الأولى لبلوغ هذا الهدف عند جرد الكتب المدرسية في المحادثة والحساب ومبادىء العلوم. ونشر معجم الحساب على سبيل التجربة، وقد تم إعداده بفضل ما كان من عمل مقارن شمل سبعة آلاف لفظة، واعتمد ما استخدم من مصطلحات حسابية بفرنسا. وساهمت مصر من جهتها في فحص كتب التعليم الابتدائي المستعملة عندها، عملاً بما قررته الجامعة من الحصول على اتفاق الأقطار العربية على المفاهيم التي ينبغي أن يكسبها الأطفال في المرحلة الابتدائية، وانتقاء أحسنها دلالة. وقد استمرت الادارة الثقافية بالجامعة في متابعة ذلك، خاصة مشروع إعداد المعاجم الستة التي ذكرنا، والتي وضعتها مصر في نشرة أولى، منذ آذار/ مارس ١٩٦٩. وقبلت ستة أقطار مراجعتها (الكويت، ليبيا، العراق، العربية السعودية، السودان، الأردن)، وعملت على تحوير ما ينبغي تحويره. وتحدّد العمل حتى آخر حزيران/ يونيو ١٩٧٣. ومن المعلوم أن المغرب العربي يستخدم الفرنسية في التدريس العلمي، فترتب على ذلك أن التنسيق الاصطلاحي بعد المرحلة الأولى التي تمّت في مصر، يفرض اللغة الفرنسية لغة ثالثة. وتعبيراً

(٢٦٦) المكتب، رسائل إلى المدير المكلف بالثقافة في الجامعة، تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٦٩.

عن هـذه المنهجية العـروبيـة المتكـاملة، نشر المكتب معـاجـه في الكيميـاء والعلوم الـطبيعيـة والرياضيات والأشغال العـامة، بثـلاث لغات، رغم أن هـذا التثليث اللغوي يعـطل العمل نوعاً، ويرفع من النفقات التي تتجاوز مـا تقرر في الميـزانية[٢٦٧]. واستمـراراً في سلوك المنهجية العلميـة، تبين لخـبراء المكتب فقدان فصلين (حـرف H وحرف I)، وعـدم صـلاحيـة بعض المفـاهيم وغياب وتكـرار البعض الآخر (أدرجت ١٤ لفـظة لترجمة Frein). وبالاعتـماد عـلى القواميس العالمية (التي سنلمح إليها في الفصل الثالث)، كما كان بالنسبة إلى الكيمياء مثـلاً، تأتى للمكتب اضافة قوائم تكميلية وافقت الجامعة على ادماجها في المعاجم المقررة، نـظراً إلى أنها تجـاوزت أهميتها أحيـاناً حجم تلك المعـاجم الستة. فـالمكتب لا يعرب إلا المصـطلحات العالمية، وحتى في صورة نشوب خلاف، يفصل مؤتمر التعريب في ذلـك النزاع الاصـطلاحي فصلاً علمياً[٢٦٨].

أمـا بخصوص منهجيـة التنسيق فقد أكـد المكتب، في مداخلتـه أمـام المؤتمـر السـادس للتعريب، على أن يتواصل التعريب عبر مراحل التعليم الثلاث انطلاقاً من المرحلة الابتـدائية إلى العليا أو العكس، ضمن مخطط التعـريب العمودي. أمـا عند الالـتزام بالتعـريب الأفقي «بمعنى أن يمسّ التعريب التدريجي كـل المستويـات في آن واحد حسب مـا تـسمح بـه الوسـائل البشريـة والتقنية المتوفرة»، وقد أوصى المؤتمر المذكور في هذا الموضوع «بأن يتبع مكتب تنسيق التعريب منهجية للعمل في مشروعات تعريب المصطلحات تتناول مراحل العمل جميعها في الإعداد والدراسة والإقرار»[٢٦٩].

وفي الجملة، يحـاول هـذا المكتب المنسق للتعـريب العـروبي استقـصـاء الأعـمال الاصطلاحية، متحرياً في الألفاظ الموضوعـة بالعربية مقابل المفاهيم الأعجمية، متمماً مشاريع المعاجم، مضيفاً إليها اللغة الثالثة (الانكليزية أو الفرنسية حسب الأحـوال)، وحتى الروسيـة والألمانية، إذا اكتسى المعجم قيمة تقنية دولية ثابتة. وبالإضافة إلى هـذه الأشغال الاعتيـادية، يعد المكتب للمؤتمرات التعريبية (مثلاً مؤتمر ١٩٧٣ ومؤتمر ١٩٧٧)، فيفرض عليه ذلك عقـد جلسات عمل مع ممثلي السفارات العربية بالرباط، بغية تدارس الـوضع الاصـطلاحي، على صعيد توحيد الألفاظ والرموز العلمية التي تستخدم في التعليم الثانوي. ولهـذا الغرض، نشر قوائم المصطلحات الخاصة بمشاريع المعاجم الستة الموضوعة في مصر في طبعتـين وغرضـه من وراء ذلك القضاء عـلى الثنائيـة الفرنسيـة ـ الانكليزيـة المسيطرة عـلى اللفظ العلمي العربي. فمثلاً لوحظ أن الدلالة تختلف فيهـما بالنسبـة إلى معجم الطيران المـدني. ولذا كـان يلح على العمل في كل معجم مصادق عليه[٢٧٠].

ولا يبدو مثلاً أن مؤتمر ١٩٧٣ قد قضى على التميز الفاصل بصورة تقليدية وعملية بـين

---

(٢٦٧) عبد العزيز مطر، «علماء الأصوات العرب سبقوا اللغويـين المحدثـين في ابتكار نـظرية التماثل،» اللسان العربي، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ٥٦ ـ ٦٠.

(٢٦٨) المكتب، رسالة رقم ٢٨٩، ١٢/٤/١٩٧٠، إلى مدير الثقافة في الجامعة.

(٢٦٩) اللسان العربي، العدد ٣١ (١٩٨٨)، ص ٢١ ـ ٢٥.

(٢٧٠) محضر ١٣/٢/١٩٧٣، وثائق المكتب.

اللفظة من أصل انكليزي ومثيلتها المستقاة من أصل فرنسي، ويهم هذا الاشكال أقطار المغرب، وإلى حد ما سوريا ولبنان. ذلك أن هذا التمايز اللغوي الدلالي مصدر للغموض الجاثم على المفاهيم العلمية المعربة، وبالتالي على القدرة التعبيرية للغة العربية العلمية التي ما زالت تبحث عن سبيل لها، وكذلك على أساليب التدريس العلمي في التعليم الثانوي.

ومن خطل الرأي القول إن التنسيق عملية غير منتجة، لكن لا مفرّ من التوفيق بين المبدأ وواقع التنسيق، وذلك بمزيد من التحام التنسيق بالتعريب حسب الآتي:

«١ ـ تنسيق واعداد وسائل التعريب في تناسق مع مختلف مراحل التعريب.

«٢ ـ التنسيق بين الجهود المبذولة في مختلف الأقطار العربية.

«٣ ـ التنسيق بين مختلف مصادر المعرفة»(٢٧١).

فحتى أسماء العلوم تحمل وزر تلك الفروق التي تكلمنا عنها من ذلك أن الفيزياء تسمى تارة علم الطبيعة (مصر) وطوراً فيزياء (سوريا، العراق، الأردن، لبنان). ويا حبذا لو وقع القضاء المبرم على هذه الفروق التي تبدو بسيطة لأول وهلة، لكنها مشحونة بأصداء كبرى لفروق دلالية على صعيد المنهجية العلمية العروبية. فهل يتقرر بصورة حاسمة الاتفاق على أن يقابل اسم هذا العلم «فيزيقا»، والتخلّي عن «طبيعة» الذي يطابق Nature؟ على أن ما ينقل إلى العربية لا يكسد، رغم ما يجدّ من اختلاف في الدلالة يلحق ضيماً بوضوح المفهوم، لأن هذه الفروق التي تروج حيناً، والتي تشبه إلى حد ما اجتهاد الفقهاء في القديم، تسهم في تحسين المصطلحات (مثلاً: Absorption = امتصاص ثم صار تجمع سطحي وأخيراً امتزاج). وقد أثمر حصاد المصطلحات في مؤتمر ١٩٧٣ على النحو التالي: ١٠,٧٩٧ مصطلحاً توزعت كما يلي: في علم النبات٤٠٥٢، وفي الفيزياء ٢٦٥٨، وفي علم الحيوان ٢٦٠٢، وفي علم طبقات الأرض، ٢٤٨٦، وفي الكيمياء ٢٠١٦، وفي الرياضيات ١٩٥٦ بالإضافة إلى ١٥٠ لفظ جديد.

واعتباراً لكونها نتائج ملموسة في صدد وضع المصطلحات العلمية، صادقت المنظمة على تكليف المكتب بجمع مصطلحات العلوم الأساسية في التعليم العالي، والتنسيق بين الألفاظ العربية(٢٧٢)، واستكمال العمل التوحيدي في المرحلة الثانوية بالنسبة إلى الرياضيات العصرية، والجغرافيا والتاريخ والفلك والجسم البشري وصحة الانسان والفلسفة والمنطق وعلم الاجتماع وعلم النفس، بينما يقتصر في التعليم العالي على الرياضيات والعلوم الطبيعية، استناداً إلى لغات التدريس، وتقرر الانتهاء من هذا العمل في أيار/ مايو ١٩٧٥. أما المنهجية التي ينبغي سلوكها، فتستغل حصيلة القوائم القطرية التي ترتب وتنشر في شكل كراسات في شهر تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٧٥، ثم توجه إلى وزراء التربية وتعاد إلى المكتب في كانون

---

(٢٧١) اللسان العربي، العدد ٣١ (١٩٨٨)، ص ٢٢. مداخلة المكتب في المؤتمر السادس للتعريب.
(٢٧٢) محضر، ١٩٧٤/٤/٢٤.

الثاني/ يناير ١٩٧٦. وتعمل لجان المنظمة حتى أيار/ مايو ١٩٧٦ للنظر في القوائم المذكورة، وينشرها المكتب مشاريع معجمية ويوجهها إلى خبراء مؤتمر التعريب المقبل (١٩٨٠؟) للتحري فيها قبل مصادقة المؤتمر عليها نهائياً. وفي المرحلة التالية (١٩٧٧)، يشرع المكتب في إعداد مصطلحات التعليم التقني والمهني.

والملاحظ أن المكتب يعمل وفق: «منهجية محددة في توحيد المصطلحات، إذ يبادر إلى تحديد الموضوع العلمي المراد تحديد مصطلحاته، ويؤلف قائمة بالمصطلحات الانكليزية والفرنسية التي تمثل مفاهيم ذلك الموضوع» واضعاً لها المقابلات العربية المناسبة[٢٧٣]. وبذا، فهي منهجية في تطور وتحسن مستمرين، إذ تحرّت مرات في القوائم، قبل تقديمها إلى مؤتمر التعريب، بينما تمّ تدارسها، في مؤتمر ١٩٧٣، ضمن لجان متخصصة قررت ما ينبغي اصلاحه في المعاجم الستة للتعليم الثانوي. من ذلك أن التقرير العام الذي أعدته اللجنة المتحرية، في معاجم الكيمياء والنبات والحيوان وطبقات الأرض، تضمن حصيلة من الملاحظات والأعمال تمت بمساعدة خبراء من العراق. وقد تبين أن الاتفاق على أسس تعريب تلك العلوم مفروغ منه. لكن الآراء اختلفت بخصوص الكيمياء والحيوان، وقد بتّ فيها المؤتمر العام. وقد لوحظ أن الشروح المصاحبة عادة للمصطلحات كانت خاطئة منقوصة، لكن ندرتها جنبت تضخيم المعجمين، ذلك أنه لم يعد عملياً تعريب المصطلحات بعبارات، خاصة وأنه يمكن استنباطها انطلاقاً من مفاهيم ومرادفات. وبوحي من المنهجية العراقية، صادقت اللجنة الباحثة في هاتين المادتين دون تغيير يذكر، على الألفاظ الرائجة الدولية التي تثري اللغة دون أن تسيء إليها وتروج اللحن. وقد كانت الأفضلية للمصطلح الانكليزي، ولذلك اقترحت اللجنة عقد مؤتمر آخر في بغداد بعد عام أو عامين، وذلك حتى يستمر العمل على وتيرته. ومن رأي هذه اللجنة الفصل بين اللغات الثلاث في العمل الاصطلاحي تجنباً لكل تكرار، وان القوائم ليست نهائية ولو صادق عليها مؤتمر التعريب، بل يخصص للمصطلحات فترة اختبار وانتقاء[٢٧٤].

ولاحظت لجنة طبقات الأرض من جهتها الخلاف في المطابقة بين الألفاظ الانكليزية والألفاظ الفرنسية. ووجد في اللغة الانكليزية مفردات قليلة الرواج، فحذفت من القائمة، كما حذفت كلمات فرنسية غير معربة. ولفت النظر إلى تكرار المفاهيم، فآل الأمر إلى اختلاط لفظي تداخلت فيه علوم أخرى مثل الجغرافيا والكيمياء والفيزياء والرصد الجوي. فاقترحت اللجنة نشر معجم طبقات الأرض على الهجاء اللاتيني في ثلاثة أعمدة (ثلاث لغات)، وشكل الألفاظ تجنباً لكل ابهام في الدلالة الاصطلاحية[٢٧٥]. وأوصت لجنة الكيمياء بانتهاج

---

(٢٧٣) علي القاسمي، «إشكالية توحيد المصطلحات العربية: النظرية والتطبيق،» اللسان العربي، العدد ٣٢ (١٩٨٩)، ص ٧٧ - ٨١. انظر أيضاً: محمد بنزيان، «مصطلحات مولدة مقترحة: المقابل العربي،» اللسان العربي، العدد ١٧ (١٩٧٩)، ص ٢٣٩، الذي ذكر أن «من فائدة الشروح (للمصطلحات) أنها مرشدة إلى انتماء كل مصطلح إلى مجاله الخاص علمياً وتقنياً كمجالات الزراعة مثلاً والتلفزة والفيزياء النووية...».

(٢٧٤) مؤتمر ١٩٧٣، وثيقة ٠١١٠، ١٩٧٣/١٢/١٤.

(٢٧٥) مؤتمر ١٩٧٣، وثيقة ٠٥٠، ١٩٧٣/١٢/١٩.

الهجاء اللاتيني والعربي معاً[٢٧٦]. ولاحظت لجنة علم النبات تكرار الألفاظ في مواضيع عدة، وعدم التطابق بين الكلمات الانكليزية والفرنسية، وتعدد المصطلحات مقابل مفهوم علمي واحد. هذا بالاضافة إلى قلة الوضوح في انتقاء الألفاظ، بسبب ضعف الترجمة في اللواحق. واتضح اتجاهان ضمن هذه اللجنة، أحدهما يفضل الكلمة من أصل عربي (بما في ذلك المولد من الألفاظ)، والآخر يميل إلى الألفاظ من أصل لاتيني. وقد التجأت إلى حل توفيقي، بإضافة المفردة الثانية بين قوسين. وأوصت بمراجعة القوائم التي صادق عليها الخبراء، مضيفين إليها أحدث المصطلحات[٢٧٧]. أما لجنة علم الحيوان، فلم تضم سوى خبير واحد، وكان أغلب أعضائها من الأطباء أو اللغويين، منهم من كان يجهل اللغات الأجنبية، وبعد حضور خبيرين في علم الحيوان من سوريا، شرعت في العمل في فريقين. ولم يتكامل النظر بما ينبغي من دقة في معجم هذه المادة الذي رتب على الهجاء الانكليزي. ولم يخل من مساوىء: فروق بين المفهوم الانكليزي والفرنسي، فترتب عن ذلك أن اللفظة العربية لا توافق إلا مفهوم إحدى اللغتين. فاستوجب على اللجنة البحث عن الألفاظ المطابقة، وطرح الشروح الفاقدة لكل أهمية. فاقترحت مراجعة المعجم والاستعانة بخبراء أجانب متعددي اللغات[٢٧٨]. واقترحت لجنة الرياضيات ألفاظاً أخرى مستمدة من مصادر مطبوعة أو مخطوطة. فقد لاحظت هي أيضاً تكرار بعض الألفاظ العامة: (Madrier, Age, Barte)، وتغير المفهوم لكونه جذراً (Symétrie = تناظر) أو مشتقاً (Symétrique = متقابل) وأضافت ١٥٠ مصطلحاً. واقترحت ادماج لغة الرياضيات الحديثة في المعجم، وعقد مؤتمرات دورية في الرياضيات التي ينبغي تصنيف موسوعة لها، وانشاء جمعية عربية في الرياضيات[٢٧٩]. وأبدت لجنة الفيزياء رأياً مفاده أنه يجب ترجمة مؤلفات ذات قيمة عالمية، ونشر المعاجم المصادق عليها، وعقد مؤتمر لتعريب العلوم في التعليم العالي، وبعث صناعات لصنع الأجهزة العلمية[٢٨٠].

مرت سنوات وقضية المواصفات الخاصة بالمنتوجات وتوحيد الرموز العلمية بقيت قائمة برمتها. فمنذ مؤتمر ١٩٦١، قررت الجامعة عقد مؤتمر لهذا الغرض، واقترحت أمانتها العامة انتساخ الأصوات اللاتينية على النحو التالي: g = ج، غ gramme = غرام أو جرام. أما علامات الصيغ الرياضية والمعادلات والقواعد، فقد اقترح البعض أن تكون لاتينية، واقترح آخرون تعريبها. ومن المعلوم أن الأرقام العربية الأصيلة مستخدمة منذ سنين في المغرب العربي، بينما استعملت الأرقام الهندية في المشرق. وتبعاً لذلك أثير أمر كتابة الكسور (فمثلاً هل نكتب في كسر ٢/١، الواحد يميناً أو يساراً؟ وهل نفصل بينهما بخط أفقي (–) أو مائل

---

(٢٧٦) مؤتمر ١٩٧٣، وثيقة ٠٥١، ١٩٧٣/١٢/١٩.
(٢٧٧) مؤتمر ١٩٧٣، وثيقة ٠٤٧، ١٩٧٣/١٢/١٩.
(٢٧٨) مؤتمر ١٩٧٣، وثيقة ٠٥٥، ١٩٧٣/١٢/١٩.
(٢٧٩) مؤتمر ١٩٧٣، وثيقة ٠٥٦، ١٩٧٣/١٢/١٩.
(٢٨٠) مؤتمر ١٩٧٣، وثيقة ٠٥٧، ١٩٧٣/١٢/٢٠.

(/) أو بفاصل، أو بنقطة؟) كذلك الأمر في الأعداد العشرية. أما عن الحروف العربية المتعددة الأشكال: ق ٤، ك ٤، ن ٥، ور ٣، فإن النقطة المميزة لها تثير مشاكل عند استخدامها رموزاً. والصفر الذي يكون نقطة مصدر إبهام فمثلاً هل ٣٠ و٣٠ هو رقم بقوة ٢ أو رقم ٢٠؟

فلا مفر إذن من ايجاد الحلول الناجعة التي تخول العمل المنهجي السريع في الحقل العلمي المتركز أساساً في الوقت الحاضر على الرياضيات والأرقام. فتدخلت المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس[٢٨١]، ورشحت مشروعاً ومعجماً لمراقبة الانتاج. وعقدت ندوة (القاهرة، ١٩ ـ ٢٢ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٠) وأوصت بتعريب الألفاظ التقنية الخاصة بمراقبة نوعية الانتاج بحيث يكون المصدر معجم المنظمة العربية[٢٨٢]. وعرضت المنظمة العربية للمواصفات في الندوة الجهوية لتطوير المواصفات في الأقطار العربية تقريراً عن التجربة المكتسبة في هذا الحقل، التي أتاحت إعداد المعجم العربي الذي راجعه المكتب وأشار بشكله شكلاً تاماً[٢٨٣]. ويبدو أن الرأي أجمع على استخدام ج أو غ مقابل g، وكذلك الرموز العالمية بالحروف اللاتينية، والصفر (٠) بالأرقام العربية الأصلية. أما عن الآحاد والعشرات والمئات. . .، فتكتب الأجزاء حذو الوحدة الأساسية. وبخصوص انتساخ الأصوات العربية، ذكرت مجلة المكتب الطريقة التي تنتسخ بها تلك الأصوات في الروسية والألمانية والايطالية والاسبانية والفرنسية، وبالمقابل، تحتم حل قضية الأصوات الأعجمية المنتسخة في العربية (g, gu, p, v, w...)[٢٨٤]. ويبدو أن حرف g يتشعب انتساخه في العربية. فقد نقل إلى (ج) في المغرب الأقصى، بينما انتسخته (غ) الأقطار العربية الأخرى، على الطريقة القديمة، وطبقاً لقرار مجمع القاهرة الذي روجه في منشوراته. وأجمع القوم آخر الأمر على استخدام ج وغ نقلاً لحرف g. وبذلك نكتب جزولين وغزولين[٢٨٥]. وقد اختلف الانتساخ حسب الأقطار. استخدمت سوريا الرموز اللاتينية في المرحلة الثانوية والعليا. وقرر المجلس العلمي الأعلى بها، التخلي عن العمل بالرموز العربية في المعادلات الكيماوية. واعتبرت شعبة الأردن أنه ينبغي استخدام الأصوات الفارسية مقابل الأصوات اللاتينية (v, p, g). وتلك طريقة اقترحها المستشرق الألماني بروكلمان، إذ امتنع عن العمل بصوتين من الحرف اللاتيني مقابل

---

(٢٨١) «المواصفات القياسية العربية،» اللسان العربي، السنة ٨، العدد ٢ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ص ١٩.

(٢٨٢) «تقرير المنظمة كما تم تنفيذه في قرارات المؤتمر الثالث لوزراء التربية والتعليم الذي عقد في الكويت عام ١٩٦٨،» في: جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، توصيات مؤتمرات وزراء التربية والتعليم العرب (القاهرة: المنظمة، [د. ت.]).

(٢٨٣) خليل سمعان، «أسبقية العربية الفصحى على العامية،» اللسان العربي، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ص ٢٩٥.

(٢٨٤) «المعاجم العلمية العربية،» اللسان العربي، السنة ١ (حزيران/ يونيو ١٩٦٣)، ص ٨٥ ـ ٨٨.

(٢٨٥) عبد العزيز بنعبد الله، «طبقات الأطباء بالمغرب الأقصى،» اللسان العربي، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ١٥١.

صوت عربي واحد، وقضى على كل اشكال. فاعتمد على الأصوات الانكليزية لانتساخ الأصوات العربية المقابلة. وبذلك، اقترحت هذه اللجنة گـ من الفارسية مقابل g (p = ب بثلاث نقاط)، وv (= ف بثلاث نقاط)[٢٨٦]. أما نقطة الصفر، فينبغي تكبيرها قضاء على كل خطأ، ترقباً للاستفادة من التجربة المغربية في حقل استخدام الأرقام العربية. وينبغي أيضاً المحافظة على العدد الكامل إلى اليسار في العد العشري، ورقم الكسور يميناً، وتفريق الرقمين بفاصل أو حرف الواو[٢٨٧]. وقد رشحت منظمة المواصفات العربية إلى مؤتمر ١٩٧٣ مشروعاً لدرس الاختلاف في انتساخ وحدة الوزن (غرام) التي تكتب على ثلاث صور، بدل كتابة كل الرموز طبق ما يجب من توضيح في النصوص العلمية. واقترح أيضاً حذف تسعة حروف (ت، خ، ذ، ض، ف، ق، ن، وكذلك ج، وع) من المعادلات الرياضية وحذف نقطة الصفر، وخط الكسور الذي يكتب (يميناً أم يساراً؟) أساساً على اليمين، وعكس فاصل الأعداد العشرية. . .»[٢٨٨]. وأمام هذه المقترحات المتراكمة، تقرر في مؤتمر ١٩٧٣ التوصية باستخدام الأرقام العربية الدولية، فيعفينا ذلك مثلاً من ترجمة الجداول الرياضية، وييسر استخدام المصادر الأصلية. وأوصت لجنة الرموز في المؤتمر المحافظة على بضع عشرات من الرموز العالمية المستخدمة في التعليم العالي، مع تقديم شروحها بالعربية. أما بخصوص العمل بالأصوات اللاتينية، فقد راقت المقترحات الأردنية، وتم الاجماع على ما يلي: p (ب بثلاث نقاط)، ش (مثل Chairman = ج بثلاث نقاط) (گـ الفارسية)، v (ف بثلاث نقاط). وتعين البحث مستقبلاً في الحركات القصيرة والطويلة المقتبسة عن اللغات الأخرى في ندوة مختصة لهذا الغرض[٢٨٩].

ولو أجملنا في خصوص أبرز مهمة تقوم عليها منهجية المكتب، لقلنا إنه ينبغي تحديد مفهوم التنسيق الذي أحاط بقضية التعريب في الوطن العربي. وذلك ما تبلور في طيات السنين التي اختمرت خلالها الفكرة المنهجية العلمية التي تطورت إلى مفهوم التنسيق كما عرفه الوطن العربي، منذ انعقاد المؤتمر التعريبي الأول في الرباط في سنة ١٩٦١. وقد أجملها المكتب اعتماداً على ما قام به من أشغال اصطلاحية، واجتهد البعض في تعريب التنسيق التعريبي قائلاً: «وما يرجى من عملية تنسيق المصطلحات، هو ايجاد قدر مناسب من المصطلحات يتفق عليها ولا بأس أن يكون هناك أكثر من مصطلح لتعبير واحد فالفرق بين الحمولة القصوى، والحدية وحمل الانهيار، أو حمل الخضوع ليس كبيراً، وكثيراً ما يستعمل تعبير منها في مجال آخر»[٢٩٠].

---

(٢٨٦) «ملاحظات ومقترحات مجمع اللغة العربية بالقاهرة،» **اللسان العربي**، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ٢٨٦.

(٢٨٧) المكتب، مكتوب ١٩٧٢/١١/٢٨ موجه إلى المنظمة، مؤتمر ١٩٧٣، وثيقة ٠٢٠، ١٩٧٣/١٢/١٥.

(٢٨٨) رينهارت دوزي، «المعجم المفصل لأسماء الملابس عند العرب،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ٢، ص ٣١.

(٢٨٩) المكتب، رسالة المنظمة رقم ٤٠٦، ١٩٧٢/٧/٨.

(٢٩٠) **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ج ١، ص ٨١.

وهـذا الإجمال في التعـريـف التنسيقي القائم عـلى أمثلة محسوسـة لا مفر من استكـمالـه وتدقيقه، والتأكيد بأن التنسيق هو العنصر العلمي الكفيل بترك المصطلحات وترسيخها بقـدر مـا تكون صـالحة لمن يفيـد منها في المؤسسـات وبين الأفـراد. وقد أوضـح المكتب «فلسفتـه» المنهجية في هذا الصدد مبيناً رأيه: «وهكذا يضطر المكتب توفيقاً بين المشرق العربي الذي ينطلق غالباً من الانجليزية في التعريب وبين المغرب العربي الـذي يستند إلى اللغـة الفرنسيـة، فيطرح أمـام الخبراء في مشـاريعه المعجمية المفهومـين معاً، إزاء المصـطلحين لـدراستهما في نـدوة وتنطلق من اختيـار علمي رصين، . . . وبـذلك سيصبح المفهوم العلمي للكلمة الأجنبية واضحاً وربما موحداً بين شقي العروبة»(٢٩١).

فبقدر ما يكـون مفهوم التنسيق في التعـريب متبلوراً، تتسع الآفـاق، ويمكن التفكير في مبادرات أخرى تواكب سرعة التطور المتجه إلى سنـة ٢٠٠٠. فهل يفيـد تعليم مادة جـامعية جديدة وادراج علم المصطلح في المناهـج؟(٢٩٢) فما عسى أن تكـون ماهيـة هذا العلم واتسـاقه بمتـطلبات التعـريب؟ وقبل ذلـك يجب تحديـد حاسم للمصـطلح وأبعاده، إذ «الكلمـة عمادهـا السياق، أما المصطلح فله معنى محدد يتم إلحاقه بنظام محدد من التصـورات»(٢٩٣).

فعلاً، إن هذا العلم يخضع ككل علم إلى قواعد تشتملها نظرية عامة تتحكم في وضع المصطلح، وبالتالي توحيده في اللغة الواحدة، وبالنظر إلى المفاهيم الشائعة في اللغات العلمية الدولية. وبذا، فلا «يقتصر تدريس النظرية العامة لعلم المصطلحات على الجامعات، فـالحاجـات المتزايـدة تستدعي تنظيم برامج تدريبية قصيرة لتطوير مهارات العاملين في حقل المصـطلحات، يشرف عليهـا خبراء عـلى معرفة جيدة باللسانيات التطبيقية وأصول صناعـة المعجم، ومبادىء وضـع المصطلحـات ومعالجتهـا»(٢٩٤). ولو أردنا تحديد هذا العلم عالمياً لاعتمدنا المفهوم الذي سنّته المنظمـة العالميـة للتقييس التي تعرِّف علم المصطلح بأنه «دراسة ميدانية لتسمية المفاهيم التي تنتمي إلى ميادين مختصة من النشاط البشري باعتبـار وظيفتها الاجتماعية»(٢٩٥).

قبل هذا التوجه المصطلحي العالمي نظّمت ندوات مصطلحية عربية(٢٩٦) من أجل بلورة

---

(٢٩١) اللسان العربي، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ١، ص ١٧٧.

(٢٩٢) محمد حلمي هليل، «نحو تعليم المصطلحيات والتدريب عليها: مشروع للعالم العـربي،» اللسان العربي، العدد ٣٢ (١٩٨٩)، ص ١٠١ ـ ١٢١.

(٢٩٣) محمد حلمي هليل، «التصورية والـدلالية: مقـارنة في المنهـج وفحص في صلاحيـة الاستعمال في مجـال المصطلحيـة،» اللسان العـربي، العدد ٢٩ (١٩٨٧)، ص ١١١ ـ ١٢٥. انـظر أيضـاً: عـلي القـاسمي: «النظرية العامة والنظرية الخاصة في علم المصطلح،» اللسان العـربي، العدد ٢٩ (١٩٨٧)، ص ١٢٧ ـ ١٢٩، و «المصطلح الموحد ومكانته في الوطن العربي،» اللسان العربي، العدد ٧ (١٩٨٦)، ص ٨١ ـ ٩١.

(٢٩٤) علي القاسمي، «النـظرية العـامة لـوضع المصـطلحات وتـوحيدهـا وتوثيقهـا،» اللسـان العـربي، العدد ١٨ (١٩٨٠)، ج ١، ص ٧ ـ ٢٠.

(٢٩٥) علي القاسمي، «علم المصطلح بين علم المنطق وعلم اللغة: العناصر المنطقية والوجـودية في علم المصطلح،» اللسان العربي، العدد ٣٠ (١٩٨٨)، ص ٨١ ـ ٩٦. انظر: محمد حلمي هليـل، «المصطلحيـة في عالم اليوم،» اللسان العربي، العدد ٣٠ (١٩٨٨)، ص ٢٠١ ـ ٢١٧.

(٢٩٦) مثلاً، ندوة توحيد منهجيـات وضع المصـطلح العلمي العربي (الـرباط ١٨ ـ ٢٠ شبـاط/ فبرايـر =

القواعد الاصطلاحية الوضعية حيث: «(١) لا يشترط في المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمي. (٢) يجب النظر إلى المدلول العلمي للمصطلح الأجنبي قبل معناه اللغوي. (٣) يجتنب الاصطلاح بلفظ واحد لمدلولات علمية مختلفة. (٤) يلزم الاحتراز من استعمال عدة مصطلحات لمعنى واحد. (٥) لا يتخذ المصطلح من ألفاظ لغوية شائعة الدلالة والاستعمال. (٦) يفضّل اتخاذ مصطلح عربي على المصطلح المعرّب أو الأجنبي. (٧) يفضّل تجنّب استعمال النافر الغريب من الألفاظ. (٨) وأخيراً، لا يلجأ إلى النحت إلّا إذا دعت إليه ضرورة ملزمة»[٢٩٧].

كل هذه الخطوات والخبرات تجسّمت في بعث مشاريع معجمية تجمع شتات ما توفّر من مفردات علم المصطلح باللغات الثلاث. وما يراد من مثل هذا العمل المعجمي «هو سرد عدد من المصطلحات الأساسية المستعملة في علم المصطلحات وفي علم وضع المعاجم»[٢٩٨].

١٩٨١)، **اللسان العربي**، العدد ١٨، [١٩٨١]، ج ١، ص ١٧٥ - ١٧٨. انظر أيضاً: جميل الملائكة، «في أساليب اختيار المصطلح العلمي ومتطلبات وضعه،» **اللسان العربي**، العدد ٢٤ (١٩٨٥).

(٢٩٧) الملائكة، المصدر نفسه، ص ٣٦.

(٢٩٨) «معجم مفردات علم المصطلح (انكليزي - فرنسي - عربي)،» **اللسان العربي**، العدد ٢٤ (١٩٨٨)، ص ٢٠٣ - ٢٤٣. انظر أيضاً: مؤسسة ايزو، «معجم مفردات علم المصطلح التي تقوم على ترجمتها المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس،» **اللسان العربي**، العدد ٢٢ (١٩٨٣)، ص ٢٠١ - ٢١٣.

الفصل الأول

التعريب ومفهومه في الوطن العربي

أولاً: تصور التعريب

١ ـ الملامح المتكاملة لمفهوم التعريب

تضمنت كلمة (تعريب)، كما وردت في الكتب، دلالات متنوعة. فلو رجعنا إلى **القاموس المحيط** للفيروزبادي، لوجدنا تحديداً مفاده أن التعريب يعني «تهذيب المنطق من اللحن». أما في **لسان العرب** لابن منظور، فإن التعريب يخص الكلمة غير العربية (الأعجمية). وبذلك، يعرف التعريب (اللفظي) بأنه عملية صرفية قياسية تعتمد لفظة أصلها غير عربي تضم إلى اللغة العربية، بشرط وزنها على أحد الأوزان العربية. وقد أيّد الزبيدي صاحب **تاج العروس** هذا التحديد. وإذا بلغنا عصر السيوطي، نجد أن مفهوم التعريب شحن شحنات دلالية متعددة زادته تشعباً. ويبدو أن الرأي القائل بأن الكلمة المعربة هي فكرة استخدمها الناطقون بالعربية في معانٍ غير موجودة في لغتهم، على الأقل في بداية حركة التعريب، تمثّل أقرب إحاطة بهذا المفهوم[1]. وقد جمع ساطع الحصري بين التعريب والإعراب لكون معناهما واحداً في اللغة، بحيث يكون تعريب الاسم الأعجمي أن تقوله العرب على أوزانها. أما صور استخدامه، «فالتعريب قد يكون آخر ما يلجأ إليه في النقل عندما لا توجد كلمة عربية تترجم بها الكلمة الأعجمية، أو يشتق منها اسم أو فعل، أو يتجوز منها مجاز أو ينحت منها لفظ»[2]. وبتطور المفهوم التعريبي عبر العصور، اكتسى التعريب معنى عصرياً استهدف العمل الاصطلاحي المتمثل اليوم في ايجاد مقابلات عربية للألفاظ الأجنبية، لتعميم اللغة العربية

---

(١) مجموعة البحوث والمحاضرات لمجمع القاهرة، الدورة ٣٠، ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤ (القاهرة: مجمع اللغة العربية)، ص ٢٨.

(٢) اللسان العربي، السنة ١٢ (١٩٧٥)، ج ١، ص ٥٧.

واستخدامها في كل ميادين المعرفة البشرية، وبهذه النظرة الجديدة التي قدمت التعريب النفسي الفكري على التعريب اللفظي المعروف قديماً يكون المفهوم قد اكتسى صبغة انسانية شاملة تعنى بالفرد العربي وبمصيره الكوني، إذ «لا يفيد تعريب الألفاظ إذا ما بقيت العجمة هي المسيطرة على العقلية، وإذا ما انسلخ الفرد تدريجياً عن المجموعة التي إليها ينتمي»[٣] ذلك أنه حالما شرع في وضع المصطلحات العلمية، بدأت تظهر الأبحاث حول قضية التعريب، فتحدّد التعريب اللفظي الآلي في وضع اقتضته ضرورات مستعجلة، وأفسح المجال للبحث في ماهية هذا المفهوم الذي رافق النهضة العربية منذ مطلع القرن العشرين. وبالرغم «مما وُجّه من نقد إلى النهضة العربية التي جدّت في القرن التاسع عشر، فقد أعدّت العدة للعصر الحاضر، وقد اقترحت مثل كل نهضة العودة إلى الأصول»[٤]. فتطور لذلك المدرك تطوراً دلالياً وتاريخياً. فبدأ الحديث عن تعريب التعليم وتعريب الادارة والتعريب الاجتماعي والفكري...[٥]. واتضح أنه توجد إلى جانب التصريح العام بالفكرة التعريبية ـ مدارك أكثر تبلوراً ودقة تشمل حياة الانسان العربي برمته. «إن مقصود التعريب ليس فقط البحث عن حلول مشاكل معينة تعترضه، بل مقصوده وموضوعه هو الانسان نفسه وأداته الأساسية المتحكّمة في تكوينه، أي اللغة. وبهذا أصبح التعريب علماً وتقنية في آن واحد، ينبني الكل على أسس واضحة هي الصرامة والموضوعية والتطبيق المنهجي والشعور المتزن واعتبار الانسان»[٦]. أما من الوجهة الاجتماعية التاريخية، فيبدو أن المسار الذي استند إليه التعريب هو اعتماد تعريب الديوان ونُظُم الدولة رسمياً؛ فقد استخدمت العربية في جو الحماس للعروبة، وذلك منذ العصر الأموي الذي رأى فيه التعريب النور، حيث إن قيم البادية التي نقلتها العربية، سيطرت على التاريخ الثقافي في الوطن العربي في ذلك العصر[٧].

كان العربي في ذلك العصر متشبعاً بلغة دينه، وكان طلق اللسان. فلم يخش تعريب الكلمات الأعجمية وصوغها على أوزان عربية، واخضاعها لقواعد لغة صارت مقدسة بقداسة القرآن. وقد أجمع فقهاء اللغة العربية على أن التعريب سماعي، إذ لم تدخل العربية عن طريق التعريب إلا بضع مئات من الكلمات الأعجمية[٨]. ولزم ترقب فترة قريبة العهد، ليبدأ علماء اللغة في القرن الثامن عشر في العمل بالتعريب بنيّة النقل (أو الترجمة) للألفاظ والأفكار الأعجمية الغربية عن العربية[٩]. ويبدو أن الأولوية التعريبية أفادت منها الكلمات المعربة التي

---

(٣) محمد سويسي، «خواطر حول وضع اللغة العربية،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ج ١، ص ١٧٧.

(٤) هشام جعيط، **الشخصية العربية الاسلامية والمصير العربي**، ترجمة محمد المنجي الصيادي (بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٤).

(٥) المكتب، بحث د. جليلي، مؤتمر ١٩٧٣، ص ٦.

(٦) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ٣، ص ٧٥.

(٧) André Miquel, *La Littérature arabe* (Paris: Presses universitaires de France, 1969), p. 28.

(٨) أحمد الاسكندري، «افتتاح دور الانعقاد الثاني،» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**، العدد ٢، (أيار/ مايو ١٩٣٥)، ص ٦.

(٩) مصطفى الشهابي، «في المجلات،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ١٥٠.

شملت الألفاظ الأعجمية غير المنقولة كما هي عليه في لغاتها الأصلية. فتواصل التعريب وسيلة لغوية أخضعت الكلمة الأعجمية إلى قواعد اللغة العربية، وقواعد الاستعمال اللغوي والذوق السليم أيضاً. وتمّ ذلك إما بحذف أحد حروف الكلمة الأعجمية (V = ف أو ب، g الفارسية = ك أو ق) أو بتحوير الصيغة بحيث تندمج في أحد الأوزان المعروفة في الصرف العربي، وذلك حتى لا يلحق العربية ضرر الافراط في استعمال هذه الوسيلة[10]. ذلك أنه رغم حاجة العصور الاسلامية القديمة إلى العلم، فإن اللغويين لم يقرروا ضرورة تعميم استخدام اللفظ الأعجمي كلما دعت الحاجة إلى ذلك، بينما اليوم نجد أن «المعرب والدخيل ضروريان لازدهار اللغة»[11]. وترتب على ذلك، الامتناع عن نقل حرفي للألفاظ الأجنبية وإدراجها في المعجم العربي[12]. وقد اعتبر المعرب دخيلا بالضرورة، لاقتباسه عن لغة أخرى ودخوله اللغة العربية ورواجه فيها على وزن مستعمل طبق القواعد الصرفية والصوتية العربية (فلسفة، سفسطة). لكن لا يمكن أن يشتبه علينا المعرّب بالكلمة المترجمة التي هي لفظة منتقاة من العربية، تعبيراً عن مفهوم أو فكرة جديدة دخلت اللغة عبر هذه الوسيلة[13]. وبذلك، يكون التعريب متضمناً لرموز التبادل الحضاري الذي تتشارك فيه أمم مختلفة، اعتباراً لكونه من تراث البشرية جمعاء[14].

لقد كان التعريب محل دراسات متبحرة. ذلك أن للعرب علاقات قديمة بالشعوب الأخرى منذ العصر الجاهلي، وصلتهم بالبلدان المجاورة، فأدى ذلك إلى قيام مبادلات متنوّعة، من بينها طبعاً مبادلات لغوية. وروي أن شعراء ذلك العصر استعملوا غريب الألفاظ في قصائدهم. وتجلّت الكلمات المعربة في القرآن الكريم، وذلك على الرغم من وجود نظرية استهدفت استنكار ذلك، حفظاً للكتاب من كل عجمة، وقد دافع عن ذلك الإمام الشافعي وابن فارس والطبري والرازي وغيرهم كثير، لكن الحديث عن وجود المعرب من الألفاظ في القرآن دليل على رواجها وقبولها والاطلاع عليها. ويبدو أن الألفاظ المعرّبة مصدرها عشر لغات (الحبشية، الفارسية، الهندية، السريانية، العبرية، النبطية، القبطية، التركية، ثم لغة البربر ولغة بيزنطة). وما يمكن ملاحظته في هذا الصدد هو أن التحري ضروري عند التصريح بمثل هذه الفرضيات دون تأسيسها على قواعد علمية، ولا يمكن طبعاً الاستناد إلى بعض الأخبار المتقطعة للتدليل على وجود غريب الكلم في النص القرآني. لكن المعاجم أدرجت هذه الألفاظ، ذلك أنه منذ القرن الثاني الهجري، ربما اتجهت دلالة الألفاظ العربية إلى وضع اصطلاحي، واقتحمت الكلمات الأعجمية ما ترك من فراغ لغوي بسبب

---

(١٠) مجلة كلية المعلمين (الجامعة الليبية)، السنة ٧ (١٩٧٠)، ص ٢٠٠.

(١١) نور الدين حمود، «المعرب والدخيل ضروريان لازدهار اللغة،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ج ١، ص ١٨٦.

(١٢) المكتب، رسالة رقم ٤٩٣، ١٩٧٣/٧/٣.

(١٣) عبد الهادي التازي، «الأرقام المغربية أرقام عربية أصيلة،» **اللسان العربي**، السنة ٢ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥)، ص ٣٩.

(١٤) *Revue du monde musulman* (1924), p. 151.

مواقف علماء اللغة المتصلبة المحدّدة للتنمية اللغوية العربية. فبحث الفقهاء والمفسّرون عن معاني الكلمات المعرّبة في القرآن، وعمل النحاة على تقعيدها على القواعد النحوية والصرفية والإعرابية. وبداية من القرن السادس، بدأت تظهر كتب في المعرّب (ومنها ما ظهر باسم كتب في الدخيل)، فأبدت أفكاراً محددة حول ما ينبغي العمل به في الحقل الصرفي والدلالي، عند تعريب الألفاظ فحسب. ينقل اللفظ بدلالته بشرط أن يروج في الواقع اللغوي، وأن يكون قد سبق تدوينه في عصر الاستشهاد. وخلافاً لذلك، يكون اللفظ من المولّد. ثم إن المعرّب يخضع لقرار فقهاء اللغة الذين يحدّدون ما يجب تطبيقه من قواعد، بعد أن يكون اللفظ قد راج واستخدم. ومن الطبيعي أن تلك القواعد ليست خاضعة لمسعى استنباطي صارم، ولا تشمل التعريب بمختلف صوره، بل لفظاً لفظاً. وبذلك توفر الشرط الذي يمكن بموجبه انتقاء اللفظ المعرب، بحيث يقع إلحاقه إذا طابق الوزن العربي أو أن الاجتهاد اللغوي أتاح إقحامه في وزن عربي (درهم يطابق هِجْرَع)، وتحوير حروفه وحركاته الأعجمية، وتمييزه عن اللفظ العربي[١٥].

أما في العصر الحديث، وكما ألمحنا إلى ذلك، فقد صار التعريب ضرورة قصوى في الأقطار العربية. وأثيرت بصدده قضايا لغوية حللته بحثاً وتنقيباً من زاوية الاقتباس من اللغات الأجنبية (Borrowing) وتداخل اللغات وتأثر بعضها ببعض الآخر. وذلك ما درسه اللغوي الفرنسي (Vendryes) معتبراً أن كل اللغات تتداخل في ما بينها إلى حد معين، وأضاف أن المتكلم ليس في مقدوره إلّا الحديث بلغة واحدة في الوقت نفسه. ثم إنه لا مندوحة من اعتبار اللغات المنضوية في أسرة واحدة واللغات المنضوية في أسر مختلفة، يعني ذلك وجود لغات مميزة ولغات غير مميزة. وفي الصورة الأولى، يقع اقتباس الكلمات، بينما في الحالة الثانية يشمل الاقتباس البنى اللغوية والأفكار. هذا ولا يتضمن اقتباس الكلمات أن يستعمل المتكلم اللغة التي اقتبس عنها. فإذا عزمنا على تعريب المصطلحات، يفرض جهاز لغة الاستقبال قواعده الراسخة على لغة الإرسال التي يمكن أن يبقى جهازها التقعيدي دون مفعول على اللغة العربية. واعتماداً لهذه المعطيات العلمية الحديثة، فإنه يتبين أن فقهاء اللغة العربية القدامى أدركوا في عصرهم، وبالفطرة، كيف أن أوزانهم الصرفية الأصيلة هي التي تقرر دخول اللفظ الأعجمي إلى قاموس العربية، وإن عجز الوزن عن ذلك يقرر رفضه اللفظة الغريبة، حماية للغة من كل غزو أعجمي. ومن ناحية أخرى، يمكن قائل أن يقول إن رسوبات لغة الاستشهاد المقننة في الشعر الجاهلي والآيات القرآنية والأحاديث النبوية أقامت حاجزاً منيعاً حمى اللغة من كل زحف أعجمي عشوائي، لكنه في الوقت نفسه منع تداخل اللغات، وأوقف العمل المتجه إلى توفير المصطلحات العلمية بصورة مستمرة تتخطى العصور والعقبات. وعلى الرغم من ذلك لم يستمر العمل دوماً بقواعد المعرّب بصورة تامة، بل أتيحت الفرص للمعرّب أن يتجاوزها مراراً. وما أفدناه من تشدّد النحاة القدامى تمثل في

---

(١٥) محمد عيد، «العوامل الطارئة على اللغة: دراسة لقضايا اللحن والتصحيف والتوليد والتعريب في ضوء علم اللغة الحديث،» اللسان العربي، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٢٨ - ٣٦.

عصرنا في زوال الخشية من استعجام المفردات العربية، بل إن معاجمنا العربية ثنائية أو ثلاثية اللغة شاهد على إقبال علماء العرب في اللغة، على حافز استخدام اللغات العلمية الأجنبية، وتوفير المعرّبات ضمن الوزن العربي أو حتى بإبقائها على وضعها الأعجمي، إذا غلبت دلالتها العلمية البحت على شكلها اللغوي المغاير لنوعية الألفاظ العربية الصميمة، أو حتى إذا غطت تماماً اللفظة العربية ذاتها[١٦].

وضمن الحديث عن العودة إلى الأصول، تمخضت نظرية في الوقت الحاضر تستهدف حماية القيم العربية الاسلامية من مخاطر المادية الملحدة، وذلك عبر مفاهيم معربة دخيلة على الفكر العربي، تقتحم اللغة باسم العلمانية والمبادىء العلمية الأكثر تقدماً، مع فصل قضية التعريب عن المفاهيم الاسلامية الحضارية. إن «اقتران التعريب بالخوف من الانغلاق هو أصلاً نتيجة المرحلة التاريخية بعد الاستعمارية التي لم تتبلور فيها امكانية البديل للثقافة الاستعمارية»[١٧]. من ذلك ما جد في ندوة التعريب وملامحه الثقافية والتربوية في المغرب العربي (١١ أيار/ مايو ١٩٧٧، باريس، بإشراف الأستاذ جاك بيرك). «وكان من أهم ما طرح على البحث موضوع مقصد التعريب، هل هو نقل الأفكار والمعاني بكل معطياتها من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية، أم يتوخى الاستفادة من مادة الموضوع مع تغيير عقليته، وعرضه بطريقة عربية «أي بوجهة نظر الفكر الاسلامي»؟»[١٨]. وجوهر تلك النظرية إبراز العلاقة الحتمية بين التعليل العلمي الحديث للظواهر الطبيعية وما ورد في القرآن من أفكار حول هذا الأمر وذلك بغية مكافحة الحجة التي تدّعي وجود تناقض بين معطيات العلم والقواعد الأبدية في الدين. وللوهلة الأولى، ينبغي إزالة سوء تفاهم يقول إن القرآن كان سباقاً وأعلن عن الكشوفات العلمية، وأنه يجب النظر في أبحاث تفاسير القرآن المستندة إلى معطيات علمية، كما حاول ذلك الباحث المصري الشيخ طنطاوي جوهري، الذي دلّل على وجود ٦٧٠ آية «علمية»، أي ما يناهز عشر القرآن (مقابل ١٥٠ آية فقهية). وكانت تلك الآيات عبارة عن كلام واضح وصف وصفاً بسيطاً الكون والطبيعة، كما أعاد اكتشافها علم الفيزياء الحديث. وقيل إن مبادىء علم الفلك والفلسفة والرياضيات غذّت ـ بداية من القرن العاشر ـ النهضة الأوروبية، بما استوحته من التفسير القرآني. وهكذا تمثّل هذه الاشكالية الجديدة رد فعل على ما بلغته الحضارة الحديثة من رخاء، الأمر الذي شكل نوعاً من التحدي للعالم الاسلامي ولقيمه الحضارية التي نقلتها اللغة العربية المحفوظة من اكتساح المعربات لها، وما تنقله من مفاهيم علمية وغير علمية، خاصة وأن الشك والحيرة اجتاحتا كل مناحي الحضارة الحديثة، أي الحضارة الغربية وما تمخض من حملات التغريب التي وجهتها على الأقطار العربية بواسطة أفراد من المتشيعين لها المتغربين ذهنياً عن واقعهم العروبي، «ولو كانوا درسوا أبعاد قضية اللغة العربية وصلتها بالقرآن الكريم الذي حماها من دخول المتحف... لقصروا في

---

(١٦) المصدر نفسه، ص ٤٢ ـ ٤٤.

(١٧) الطاهر لبيب، «العجز عن التعريب في مجتمع تابع،» المستقبل العربي، السنة ٤، العدد ٢٩ (تموز/ يوليو ١٩٨١)، ص ٢٤.

(١٨) اللسان العربي، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ١، ص ٧.

باطلهم، وتوقفوا عن غيهم»[19]. وقد ذكر أيضاً أن القرآن يحفز على تدارس العلوم، في ٦٤ آية، بينما كان الرجعيون يعترضون على طلب العلوم في العهد الوسيط. والمستخلص من هذا السند القرآني العودة إلى الأصالة العلمية، كما تقمصها الاعلام في العصور الاسلامية الزاهرة. ولا أحد يؤكد أن القرآن نص على منهجية البحث العلمي والتجريب بالمفهوم العصري، أو أنه تضمن النظريات العلمية الكبرى والقواعد العلمية. فليس ذلك مقصده، إلّا أنه تولى الدعوة إلى طلب العلم بطريق التلميح والتعميم، محذراً من مغبة التحوّل من العلم إلى الإشراك بالله والكفر[20].

وقد أتاح إقبال العصور الزاهرة الاسلامية على المعرفة العلمية، إنشاء مراكز للتعريب أشعّت في العصر الأموي والعباسي خاصة[21] على العالم الاسلامي. وقد عملت تلك المراكز على الصعيد الفكري السامي الذي يبثّ الحكمة أنّى وجدها، وحيث تقرّ الفكرة مجردة بفضل كلمات صلبة وجذور دائمة يمكن إدراكها طبق جدلية قائمة في ذاتها من الوجهة اللغوية. واللغة لا ترضى إلّا بتقنينات معينة داخلية في أحشائها، نعني تقلب الجذر على حروفه الأصلية ارتباطاً بالمعنى الذي يلونه ما يطرأ من تغيير على الحركات بغية بلوغ دلالة ما[22]. فإن وفقت العربية في أن تصير لغة الثقافة والحضارة ذات الصبغة الدينية في بدايتها، فقد وقع تجاهلها قصداً أم عن غير قصد، كلغة تشكل أداة معتبرة لنقل العلم في العصور الماضية، وهي تجتهد اليوم في استعادة دورها هذا. ذلك أن وضع المصطلحات بدأ باكراً قبل العهد الوسيط، ونستدل على ذلك بمخلفات العربية في اللغة التركية والهندية والفارسية والملاوية. وبذلك يكون من الزيف التصريح والاعتراض على عدم صلاحيتها في الحقل العلمي[23]. ويكفينا أن نعود إلى ما كتبه الغربيون أنفسهم عن التاريخ العلمي العربي، وما عقد لهذا الغرض من ندوات عروبية[24].

واعتماداً للسوابق العلمية العربية الراسخة جذورها في التاريخ[25]، لا يمكن أن ننكر أن طول الممارسة العلمية سمح بنشوء منهجية أفاد منها التعريب اللفظي أو الفكري، فاندمج بأشكال الرقي العلمي والحضاري اندماجاً نجني ثماره اليوم من التراث العلمي العربي، الذي كشف النقاب عنه، والذي بقي راسباً مخطوطاً زمناً طويلاً في خزائن المكتبات العالمية[26].

---

(١٩) اللسان العربي، السنة ١٣ (١٩٧٦)، ص ١٢٦.

(٢٠) طه الولي، «العلوم الطبيعية في القرآن،» *اللسان العربي*، السنة ٨ (١٩٧١)، ج ١، ص ٢١٩ - ٢٢٤.

(٢١) اللسان العربي، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ١، ص ١٨٤.

(٢٢) *Revue du monde musulman*, vol. 57 (1924), p. 10.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ١٧.

(٢٤) دعوة الحق (نيسان/ ابريل ١٩٧١)، ص ١٣٠.

(٢٥) محمود الجليلي، تجارب في التعريب، الموسم الثقافي الثاني لمجمع اللغة العربية الأردني (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٤)، «تطور مفهوم التعريب حسب العصور»، ص ٩.

(٢٦) اللسان العربي، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ١، ص ٧٠.

وبذلك يتخذ المفهوم التعريبي تصوراً شاملاً موحداً للتعبير عن أبعاده الحضارية المتجسّدة في الكفاح من أجل الكرامة والرقي الذي ينتظره الوطن العربي من مبادرات مفكريه وعلمائه. وكل تأخير في بلوغ هذا الهدف يشكل خطأً ومسؤولية تجاه الأمة والأفراد الطامحين إلى تحسين ظروف عيشهم في ظرفية تاريخية مناسبة[٢٧].

لكن النيّة الصادقة وحدها لا تكفي لتحقيق هذه الأمانة، ذلك أن التعريب لم يعالج، في رأي بعضهم، معالجة جادة هو جدير بها، يعني أن تصور التعريب ينبغي أن يقوم على التربية والإبلاغ والإرساء الثقافي. ولا يمكن علاجه كموضوع خطابي للمزايدات في الحقل القطري أو العروبي. ومع هذه العوائق، فإن التقدم والدفع الذي نالته العربية كلغة ناقلة للمعرفة العلمية، وحتى كلغة مبتكرة، أمر واقع[٢٨]. ومثل هذه التصريحات المقرّة بحتمية التعريب غيّرت من التصور القديم، الذي اقتصر على فهم التعريب كعملية صرفية يتم بموجبها إدخال كلمة أعجمية في اللغة العربية، بعد وزنها على وزن عربي. بينما نجد مفهوم التعريب يكتسي اليوم دلالة شاملة تخص سياسة الحكومة في الحقل التربوي التعليمي، وتشكل اختياراً حضارياً ثقافياً يربط به مصير الأجيال الحاضرة والمقبلة. «على أن التعريب في مؤسسات التعليم يتجاوز استعمال لغة أجنبية إلى مسائل تتعلق بمدى قدرتها على استيعاب الحقائق الثقافية القومية وتمثّلها لقيمها وفضائلها وسعيها في المشاركة الايجابية والإبداع العلمي في الحضارة المعاصرة»[٢٩]. فصار التعريب موضوعاً تعقد من أجله المؤتمرات (مؤتمر وزراء وزارة التربية في صنعاء، ٢٣ ـ ٣٠ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٢). فقد أيّد هذا المؤتمر استخدام العربية أداة للتعبير الفكري والتعبير الشعوري، والتعبير عامة عن إرادة الفرد العربي، واستخدامها كذلك في التعليم، بحيث تستعمل أداة اللغة، وتيسر خدمة لقضية تعريب الفكر والشعور[٣٠]. وهذا التصور مجال للتباحث والاتفاق حول تنفيذ المنهج التعريبي، والاستفهام حول العدول عن العمل باللغات الأخرى، أو أن تترجم المفاهيم غير العربية في المجال العلمي، تلك المفاهيم التي خرجت من حيّز الفكرة إلى حيّز الواقع[٣١]. وبمفهومنا العصري، يعني التعريب بصورة مباشرة

---

(٢٧) خير الدين حقي، «وحدة المصطلح العلمي،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥)، ص ٣١.

(٢٨) Jacques Berque, *Les Arabes* (Paris: Sindbad, 1973), p. 135.

انظر: ادريس بن الحسن العلمي، «اللغة العربية في مواجهة التعريب،» **اللسان العربي**، العدد ٣٤ (١٩٩٠)، ص ١٥٥ ـ ١٦١.

(٢٩) عبد العزيز بنعبد الله، «التعريب واعتماد العربية الفصيحة،» **اللسان العربي**، العدد ٢٤ (١٩٨٥)، ص ٢٥٣.

(٣٠) مؤتمر وزراء التربية والتعليم العرب، صنعاء، ٢٣ ـ ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٢ (القاهرة: جامعة الدول العربية، ١٩٧٢).

(٣١) «استجواب معالي سفير دولة الكويت بالمغرب،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ٢٨٨، و«استجواب مع معالي سفير الجمهورية العربية المتحدة،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٥.

أن العربية هي لغة التعليم، وهي لغة الكتاب المدرسي والامتحان والحديث والحياة اليومية[٣٢]. وينبغي أن يكون المدرسون قد أتقنوا اللغة الفصيحة، وأن تكون مواضيع الدراسة هي الفنون والآداب العربية، كذلك الأمر بالنسبة إلى التاريخ وعلم الاجتماع والسياسة والاقتصاد والموارد[٣٣]. وذلك هو مفهوم التعريب الشامل الذي يكتنف كل مناحي الحياة والفرد في مختلف نشاطاته. وهذا رأي خبير أشرف على مسار المنظمة الثقافية العربية لسنوات طويلة، حيث يقول: «التعريب ليس قضية لغة، بل هي قضية حضارية أساسية تواجهنا حالياً. اللغة ليست ألفاظاً بل فكراً. وبالتالي، لا بد من تطوير المجتمع العربي واستيعاب حضارة العصر، وذلك لا يتم إلّا عبر اللغة كوسيلة وأداة»[٣٤].

ولنطرح مثلاً من بلدين، أحدهما تمتع بباع طويل في ميدان التعريب، والثاني لم يزل في بداية الطريق. والقطر الأول هو مصر التي يبدو أن مفهوم الأمة القائمة على وحدة الوطن واللغة، بدأ لديها في الظهور في نهاية القرن الثامن عشر، وقد قيل إن ذلك بتأثير من الحملة الفرنسية[٣٥]، وكذلك الأمر في لبنان ـ حيث تفوّقت العربية وازدهرت علومها، خاصة في انتاج المعاجم الحديثة، رغم المؤثرات الخارجية التي اكتسحت هذا القطر الذي تميّز بتنوّع الجماعات البشرية المقيمة على أرضه. والرأي أن التعريب في مصر لم يشكل قضية قائمة ينبغي حلها على صعيد الأمة جمعاء، وأنها تتصل بمصير القطر الثقافي، بل إن التعريب المصري شكّل مظهر الاتصال القائم مع الحضارات الأخرى، والنهل من تراثها؛ وانتقاء أحسن ما فيه وتعريبه، بينما في قطر مغربي مثل الجزائر، يشكّل حلّ قضية التعريب أمراً مصيرياً لشعب برمته وجماعة بشرية تطمح إلى استعادة كيانها وعزتها، والتعبير عن مقوماتها الحضارية بواسطة لغتها القومية.

ولمزيد من السيطرة على هذا المفهوم المتعدد الأبعاد، لا مناص من استعراض أهم الآراء الرسمية منها، رأي مدير عام المنظمة السابق، الذي يحاول الإحاطة، بالقدر البالغ، بالمدرك الذي شاع تصوره الاجتماعي القطري والقومي: «التعريب والمصطلح مفهومان متداخلان، والتعريب أوسع وعاء ـ فلا مصطلح عربياً بالضرورة في خارج اطار التعريب، وللتعريب دلالات كثيرة ـ فهو قد يعني التعريب اللساني الذي هو الترجمة إلى العربية من أي لغة أخرى، وقد يعني التعريب الاجتماعي، بمعنى سيادة اللغة في البلد العربي، في التعبير عن كل جوانب الحياة...»[٣٦].

لكن المثل الأعلى مطمح عسير المنال، إذ نجد الجامعات العربية، كما بيّنا ذلك آنفاً، تقدم مقرراً علمياً يحلّل النظريات العلمية باللغات الأجنبية، فيتغذّى الطلاب بذلك الزاد

---

(٣٢) عمار بوحوش، «لغتنا العربية جزء من هويتنا،» المستقبل العربي، السنة ٤، العدد ٣٥ (كانون الثاني/ يناير ١٩٨٢)، ص ١٢١. تصور التعريب: ترجمة الكلمات المستعملة يومياً والمصطلحات الأجنبية إلى العربية، استعمال اللغة العامية الشعبية وخصوصاً الاستغناء عن تعليم اللغات الأجنبية وهو رأي شائع جداً.

(٣٣) مجلة الثقافة العربية، العدد ٢ (١٩٧٤)، ص ١٦.

(٣٤) محيي الدين صابر في: اللسان العربي، العدد ٢٢ (١٩٨٣)، ص ٣١٩.

(٣٥) *Revue d'études islamiques* (1938), p. 62.

(٣٦) محيي الدين صابر، «التعريب والمصطلح،» اللسان العربي، العدد ٢٨ (١٩٨٧)، ص ١٠.

العالمي، وما يتضمنه من مقومات حضارية وتيارات فكرية يعسر فصلها عن المفاهيم العلمية البحتة[٣٧]. وتسلك المجامع الاتجاه نفسه، وتعرّب بحذر المصطلحات، كما هو ديدن مجمع القاهرة حفاظاً على صفاء اللغة. إن هذا المجمع يصادق على المعرّبات ومشتقاتها من الأفعال والصفات[٣٨]. لكنه اجتهد، حتى في صورة تعريب شامل، في الحد من دخول الألفاظ الأجنبية حتى لا تطغى بالآلاف على اللغة الفصحى وعلى التراث الديني من قرآن وحديث وأدب. كما أن الأزهر وفروعه ومدارس المعلمين ودار العلوم لا تفرط في مسؤوليتها في هذا المضمار[٣٩].

وإلى حد الآن لا يعتقد أن تصور التعريب بجميع احتمالاته وإشكالاته قد وقع استقصاؤه استقصاءً علمياً مجرداً من الأهواء والتأويلات العاطفية التي لا تنفك تطغى عليه، وذلك بغية تحديده تحديداً واضحاً، واعتباره الظاهرة الفريدة المعاصرة، التي لها جذور أصيلة قديمة، والتي هي ابتكار عربي صميم في ادراك الأبعاد الحضارية ووعيها ثم أدائها باللغة القومية. ولذلك، تكاثرت التعريفات التعريبية، لكنها رغم كثرتها لم تحدث قطيعة فكرية، بل يمكن اعتبار كل هذه التعريفات اقليمية تترقب الفرصة السانحة لتسمو إلى الصعيد العروبي، وتؤسس معالم صريحة واضحة لتصور التعريب بحثاً ونظراً وعملاً. ولا شك في أن الأقطار العربية وعت على الصعيد القطري القضية، وأدركت النقص من جهة في اللغة المعربة الجاهزة، سواء كان ذلك في المجال الحضاري أو العلمي، والوفرة المؤدية إلى الفوضى أحياناً، التي طغت على المصطلحات العلمية من جهة ثانية. وما رسخ في الوعي الباطن لدى المهتمين بإشكالية التعريب هو أن المفهوم الحضاري والعلمي المعاصر يشمل العالم بأسره. وانطلاقاً من هذه البديهية، تركزت الجهود العربية على وضع لغة علمية قابلة للذيوع على الصعيد العالمي، على الأقل من الوجهة النظرية.

وقد أدى الاهتمام المركّز بقضية التعريب إلى توفير التحديدات المحيطة بقصوره، حيث بتنا نجد أفكاراً رائجة عن التعريب المشرقي، وأخرى عن التعريب المغربي. ثم نتدنى من هذا المستوى الاقليمي إلى الصعيد القطري المحلي، فندرك أبعاد ما يعبر عنه المسؤولون من آراء، مثلاً رأي الشيخ الابراهيمي رئيس جمعية العلماء في الجزائر الذي يعرّف التعريب بأبعاده، فإما أن يكون جزئياً قطاعياً، وإما أن يكون شاملاً. وفي التعريب الجزئي، تنفذ العربية إلى المنطوق والمكتوب، فيعرب الانتاج الفكري (خطب، مؤلفات...). أما في التعريب الشامل، فإن الحياة المقتدية بالنموذج العربي هي التي تعرّب. فيرتبط التعريب

---

(٣٧) محمد يحيى الهاشمي، «حاجتنا إلى التعبئة العلمية،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ٢٦ - ٥٩.

(٣٨) ابراهيم مدكور، **مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً: ماضيه وحاضره** (القاهرة: المجمع، ١٩٦٤)، ص ٤٤.

(٣٩) «القسم الرسمي أعمال المجمع وقراراته في دور الانعقاد الثاني،» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**، العدد ٢ (أيار/ مايو ١٩٣٥)، ص ٥٠.

الفكري في رأي الشيخ ـ الذي كان عضو مجمع القاهرة ـ بالتربية الأخلاقية التي تجسّدها الأعمال البطولية والتاريخ والخصال العربية[٤٠]. وإذا حاذينا القضية اللغوية، نتبين دائماً من خلال التجربة الجزائرية المستجدة الطريفة أن «التعريب يعني عملية نقل للمعاني من لغات غير عربية إلى اللغة العربية، تصاغ في ألفاظ متناسبة ومتناسقة في صياغة فنية تعطي المعاني المنقولة شكلاً معوضاً أصالة عن الشكل السابق، وقد يعطيها الشكل الجديد المعرّب قوة، وقد يكسبها جدّة، فتصبح منقولة وكأنها لم تنقل، وهذا هو المعنى الثقافي للتعريب، وهو المنهج الذي اتبعه العرب الأوائل في تعريب العلوم والآداب والفنون...»[٤١]. وبذلك يتضح أن وجهة التعريب تستهدف قبل كل شيء العودة إلى الأصالة المفقودة لأسباب تاريخية طرأت على مجموع الأمة العربية، فعاقتها عن مواصلة الاستزادة من القيم الحضارية الأصيلة[٤٢].

وإن حاولنا الإحاطة أكثر فأكثر بالمظهر المدرسي التربوي لمفهوم التعريب على الصعيد المغربي، للاحظنا أنه يطابق ما يمارس من تمارين يومية تجسم في لفظة (Thème). وهذا التمرين يقصد منه التحري عن كفاءة التلميذ في تركيب جمل وشكلها، انطلاقاً من نص يقدم له باللغة الأجنبية (الفرنسية)، فعليه أن يعرّبه. ونرى أنها تسمية خاطئة، حيث ينبغي القول إنها ترجمة لنص أجنبي إلى العربية، خاصة وأن هناك تمريناً ثانياً يقابله هو النقل أو التعجيم، ويقصد منه تحويل نص من العربية إلى اللغة الأجنبية. وقد تطور الأمر من مجرد تمرين مدرسي، فصار قضية وطنية ثقافية، قدمت كمطلب من مطالب التحرر الوطني من الهيمنة الأجنبية، رغم ما كان من اعتراض العرب المزعوم على بعث لغة علمية موجودة دولياً، لكونها فكرة استعمارية ترمي إلى القضاء على مقدسات اللغة الفصحى[٤٣].

وبذلك، وكما أوضح الأستاذ محمد الفاسي في مؤتمر مجمع القاهرة (١٩٦٠)، فالتعريب هو ترجمة كل ما هو أجنبي إلى العربية (بالمفهوم المغربي)، وأيّده في ذلك مصطفى الشهابي، عندما قال: «فما يستعملونه في المغرب صحيح وما نستعمله نحن صحيح أيضاً، ولكن لا بد لنا من الاتفاق على كلمة نستعملها، فعند نقل اللفظ الأجنبي على حاله نقول عرّبناه، وعندما نترجمه إلى لفظة عربية نقول نقلناه إلى العربية أو ترجمناه بالعربية»[٤٤]. وقد جاءت هذه البلورة الثمينة في محلها، حيث إن الاتفاق العروبي حول المدلول التعريبي وكيفية تصوره فكراً وواقعاً، وتنفيذه سياسياً واجتماعياً سيتحقق في أول مؤتمر للتعريب (١٩٦١) عقد بالرباط. وفي المغرب كذلك نبعت فكرة

---

(٤٠) كمال حمدي، «محاولة في البحث عن ايديولوجية اللغة،» اللسان العربي، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ٥٤ و٩٦.

(٤١) المهدي البو عبدلي، «عبد الرحمن الأخضري وأطوار السلفية في الجزائر،» الأصالة، العدد ٥٧، (أيار/ مايو ١٩٧٨)، ص ٢٧.

(٤٢) انظر: محمد المنجي الصيادي، «التعريب في الوطن العربي،» ورقة قدّمت إلى: التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظّمها مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٢).

(٤٣) *Travaux et jours* (avril 1969), p. 82.

(٤٤) محمد الفاسي، «التعريب ووسائل تحقيقه،» الأصالة، العددان ١٧ ـ ١٨ (١٩٧٣ ـ ١٩٧٤)، ص ١٠٨.

التعريب الشامل الذي لا يقتصر على وضع المصطلحات، بل الأمر يتعدى تلك العملية الفنية الاستكمالية للمفاهيم الذائعة في العالم حضارياً وعلمياً، ويستهدف نشر اللغة العربية في التعليم والادارة والمجتمع بصورة عامة. ومن المهم توضيح مدلول الكلمة ووحدتها في أذهان المتكلمين الذين ربما يختلفون في إدراكها على الصعيد الدراسي والاداري والحواري والاصطلاحي، فتحجب عنهم بذلك الرؤية السليمة التي تتيح التصور الشامل الجامع الكامن في كلمة تعريب(٤٥).

مرّت فترة على المشرق العربي سادت خلالها الطريقة التي سنّها مجمع القاهرة، حلاً لقضية التعريب. فقد احتفظ التعريب بمعنى أصلي تقليدي تمثل في قبول اللفظة الأعجمية في المعجم العربي، في حين أن نقل المؤلفات العلمية قديماً شكّل في العصر العباسي الترجمة. فترتب واستمر الرأي على حاله لتصور القضية تصوراً ثنائياً بين جناحي الوطن العربي، دام أكثر من نصف قرن، فشكّل ذلك إشكالاً تصورياً، رسّخ مدلولاً فنياً لغوياً للتعريب، كما ينظر إليه شرقاً عند علماء اللغة قديماً وعند المجمعيين حديثاً، وهو يكتسي طابعاً جزئياً مؤقتاً، بينما رسخت فكرة التعريب مغرباً، على أنها قضية تحررية وطنية يواجه بها المستعمر لإرساء الهوية العربية لأي قطر مغربي على قواعدها الأصلية، فآل ذلك إلى تعبئة المغرب لبلوغ هذه الغاية التي قررها لنفسه، وبالفعل، فالقضية تستند أيضاً إلى مرجعية نفسية لأن «الاشكالية التي تواجه عملية التعريب واستخدام المصطلحات العلمية تكاد تكون إشكالية نفسية أكثر منها عملية، فمعظم شعوب الأرض عملت على تدريس العلوم بلغاتها القومية ونقلت إليها العلوم المختلفة»(٤٦) أما التعريب المشرقي، فليس سوى عملية تقنية لغوية محدودة النتائج، ولم تكن قضية حضارية أو قضية وطنية وبالأحرى قومية عروبية تريد تغليب التصور الحضاري القومي على التصورات التغريبية(٤٧). واعتباراً لكل هذه التقديرات، فليس التعريب رجوعاً إلى حضارة ولغة العهد الوسيط بقدر ما هو استعادة للكيان القومي(٤٨).

ونستخلص من ذلك كله ما طرأ على هذا المفهوم من غموض، وما أحاط به من تأويلات المتسائلين والمستفهمين، وما أثار من ردود عاطفية ربما ترجع إلى ما اكتنفه من غموض ساد الأفكار والأقطار، فكان مفهوماً مشحوناً بالدلالات، متنوع الأغراض والخيارات الموجهة للبنية الثقافية الوطنية. وقد أثار هذا المفهوم قبل التئام مؤتمر ١٩٦١ مناقشات في المغرب، وأريد للتعريب تعويض اللغة الفرنسية والاسبانية باللغة العربية التي ينبغي تنميتها بالمصطلحات العلمية مدرسياً وإدارياً. وكان المقصود من ذلك إعادة العربية إلى مكانتها

---

(٤٥) محمد الشامي، «تاريخ المجامع اللغوية في العالم العربي،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ص ١٩٥.

(٤٦) مناف مهدي حمد، «المصطلح العلمي العربي قديماً وحديثاً،» **اللسان العربي**، العدد ٣٠ (١٩٨٨)، ص ١٥٢.

(٤٧) و/ المكتب: تحقيق حول المدلول للغوية التعريب، ٣٠ آذار/ مارس ١٩٦١.

(٤٨) **المجاهد**، ١٩٧٢/٤/٢٢.

الأولى التي هي حقيقة بها. فكان العمل اللغوي، رغم ما اتسم به من مواقف يشوبها بعض الارتجال، يوزع الألفاظ إلى مجموعات من الكلمات الموحدة المستقرة، التي تشترك فيها الأقطار العربية (كتاب، سماء. . .) والرائجة في جميع الأوساط وبين كل الفئات. وتوجد كمية أخرى من الألفاظ الفصيحة تختلف حسب الأقطار (قسم، صف، فصل، طبقة. . .). وإلى جانب ذلك، عدد من المفردات الأعجمية لم تجد بعد مقابلات لها في العربية وهي متعلقة بالمظاهر الحضارية والأسماء العلمية. فإذا فقدت في الفصحى ألفاظ الحضارة، فإن اللغة العامية أو الأجنبية تعوضها ما فاتها، مما يبعد الشقة اللغوية الموجودة بين الأقطار العربية. وفي خصوص المصطلحات العلمية، يستحسن البحث عن حلول جديدة ومقاييس علمية راسخة لترويجها وتحديدها فكرياً ولغوياً، بحيث تكون مفاهيم معبرة دالة(٤٩).

إن التسرع الذي طغى على الرقي العلمي والتقني في وضع المصطلحات عملاً بالاقتباس والتعريب اللفظي، وهما من الوسائل التي تهذب اللفظ الأعجمي وتكسيه وزناً عربياً، أو أن يترجم إن وجد له مقابل في العربية، فقد ترتب عليه ألفاظ تعوزها الدقة، والإبهام مسيطر عليها، وذلك يناقض استيعاب المعرفة العلمية لدى الدارسين. لقد تركّزت جهود المجامع أساساً على الاشتقاق، لكنها لم تقدر على مجاراة حركة الكشوفات السريعة، ولم تعمل المجامع على تعميم انتاجها الاصطلاحي، والخوض في غمار الحياة العملية بواقعها الصناعي والاقتصادي، فربما أدّى ذلك إلى إبقاء العربية في دائرة الخاصة العارفة بقضاياها، وربما قلّل ذلك من ذيوعها بين الطبقات المحدودة الثقافة. وجد التساؤل حول تجديد اللغة، فهل يعني ذلك تخصيصها في رموز مبهمة، أم هل ينبغي تكييفها؟ ذلك هو التساؤل الثنائي الذي يجد فيه بعضهم خطراً على مستقبل العربية، ويجد فيه البعض الآخر خطراً على المستقبل العلمي العربي(٥٠). وحتى العلميين والتقنيين وجدوا أنفسهم في غربة علمية لما قفلوا راجعين إلى أقطارهم، بعد التخصص في البلدان الأجنبية. من ذلك أنهم لم يتكيّفوا سريعاً بالبيئة العلمية التي وجدوها، ولا كذلك بالأجهزة والآلات التي وردت عليهم من أقطار لم يمارسوا بها نشاطهم العلمي والتقني، فعجزوا عن إيجاد أسماء لها باللغة العربية الفصحى، فما كان منهم إلاّ أن وصفوها بالعامية على هواهم، فزاد ذلك في البلبلة العلمية السائدة قبلهم. وهذا واضح في ما جد من ترجمات للمؤلف الواحد في علم أو اختصاص معين: «وسندرك أن نفس الآلة يتغير اسمها من ترجمة إلى أخرى، وأن نفس الصيغة العلمية يطرأ عليها تحوّلات لا حد لها ولا طائل من ورائها، إضافة إلى أن المترجم يضيف من عنده ما يضيف»(٥١).

وقد ردّت الأقطار العربية على ذلك الوضع رداً مختلفاً اختلاف المفاهيم العلمية فيها. فمنها من أبقى أو دعم ما كان من موازاة بين الرقي التقني والرقي اللغوي. ومنها من درس بالعربية، ما عدا في التعليم العالي والتعليم التقني. ومنها من واجه صعوبات، فحافظ على

---

(٤٩) أحمد الأخضر غزال، وثيقة عمل لدرس مشاكل التعريب العامة (الرباط: ١٩٦١)، ص ٨.

(٥٠) *Travaux et jours* (avril 1969), p. 17.

(٥١) *Jeune Afrique*, no. 119 (28 janvier 1963), p. 2.

التعليم التقليدي، إلى جانب تعليم سائر على منهج نشيط يقدم باللغة الأجنبية، مع الاجتهاد في إعداد تعليم حديث باللغة العربية. وفي كل هذه الصور، حافظت اللغة الأجنبية بدرجات متفاوتة على وضعها. والحل الذي ينبغي التفكير فيه منذ زمن طويل، كان يعني مواجهة الضرورات المتزايدة للمصطلحات العلمية، والموافقة على برنامج تعريبي بحيث نبلغ النتيجة نفسها إذا نفذناه في قطرين لكلٍّ منهما نظام تعليمي متميز(٥٢). ولنا أن نحاول الآن ايجاد أساس علمي للتعريب، عملاً بما تتيح لنا معطيات علم النفس وعلم اللغة من إمكانات تساعد على تحديد درجة الادراك والرسوخ للمعرفة العلمية المتزايدة، إن هي وزعت باللغة العربية. ذلك أنه تبين أن العلماء وأهل الاختصاص هم في حاجة أكثر من غيرهم إلى استخدام اللغة أو اللغات الأجنبية لتطوير أبحاثهم، واضفاء بعد عالمي عليها. أما في المستويات الأخرى، فإنه يمكن الاقتصار على اللغة القومية(٥٣). فهذا يعني تصوراً جديداً للتعريب أسِّس على العودة إلى الأصالة المفقودة إلى حين. وينبغي أن تقوم وسائل الاعلام بالتعريف بمفهوم الأصالة هذا الذي ارتبط بالتعريب، ثم توسع من دائرة نشاطها لتساعد على مقاومة الاختلافات الاصطلاحية، كأن تصد الكلمات الأعجمية الدخيلة الرائجة في لغة الحديث، وأن تقضي على الكلمات الهامشية وتستبدلها بالألفاظ السليمة. فالصحافي والقارىء والسامع وكذلك المشاهد ارتبطوا بصلات تغذى فوراً وفي آن واحد بلغة متجددة دوماً، جاهزة باستمرار(٥٤). وتاريخ الصحافة العربية شاهد على ما لاقته من صعاب في نقل الأساليب الأدبية الغربية. ذلك أن المترجم لجأ إلى الترجمة الحرفية، متغافلاً عن الأساليب المميزة في العربية. فسادت الفوضى ورافقت دخول التراكيب والعبارات الجديدة التي غزت العربية. فيكفي أن نكون عارفين بلغة أخرى حتى ندّعي اتقان الترجمة، وقد أساء ذلك إلى التعريب، لأن نقل المصطلحات العلمية صار من عمل المبادرات الخاصة التي لم تنبن على قدرة مشهود بها في اللغة العربية(٥٥).

فإن تركنا اللغة العربية وشأنها، فإنها ستستمر في مسيرتها لا محالة، لكنها سترهق في ملاحقة المسيرة الهائلة للعلوم والتقنيات. والحل يتمثّل في تنفيذ حلول وتدابير عاجلة واضحة ضمن ما يعقد من مؤتمرات عروبية عامة أو متخصصة، بغية اللحاق بالركب العلمي الدولي والقضاء على رسوبات الفوضى الاصطلاحية. وبذلك يكون دور وسائل الاعلام حاسماً (بما في ذلك المسرح والسينما) لدعم الثقافة الجماهيرية (مثلاً شكل الصحف)، عملاً بمقتضيات الرقي العلمي ذاته الذي سخّر لصالحنا الاذاعة والتلفزة لتعليم اللغة الصحيحة، مستعينين

---

(٥٢) و/ المكتب: وثيقة عمل، الرباط، ١٩٦١.

(٥٣) أحمد طالب الابراهيمي، «الثورة الثقافية تعريب والتعريب ثورة ثقافية،» الأصالة، العددان ١٧ - ١٨ (١٩٧٤)، ص ٣٥.

(٥٤) محاضرات الندوة الاعلامية المشتركة (١ - ٣ نيسان/ ابريل ١٩٨٠) (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، [د. ت.]).

(٥٥) *Bulletin d'études arabes* (mars-avril 1946), pp. 51-53.

بما أعدّته الوسائل السمعية البصرية من موضحات. وفي هذا المقام أيضاً، يعسر على الأفراد أو الهيئات أو حتى الحكومات القطرية القيام بأعباء مثل هذه المهمة، إلاّ إذا تقرر الأمر تخطيطاً وتمويلاً على الصعيد العربي، مع اعتبار تجارب كل قطر في ميدان رفع الأمية والتثقيف العلمي[٥٦].

بعد هذه الإحاطة، التي من المفروض أن تكون شاملة ومحددة، بالظروف التاريخية والاجتماعية، يمكن النظر إلى مستقبل المفهوم ضمن نظرية «التعريب المواكب»[٥٧]، ومفاده أن التعريب «ليس فقط البحث عن حلول لمشاكل معينة تعترضه، بل مقصوده وموضوعه هو الانسان نفسه، وأداته الأساسية المتحكمة في تكوينه، أي اللغة. وبهذا أصبح التعريب علماً وتقنية وفناً في آنٍ واحد. ينبني الكل على أسس واضحة هي الصرامة والموضوعية والتطبيق المنهجي والشعور المتزن واعتبار الانسان»[٥٨].

٢ ـ الأبعاد التاريخية للتعريب

لقد كانت أعمال المستشرقين الخاصة بالحضارة العربية الاسلامية في العهد الوسيط حافزاً بالنسبة إلى الباحثين العرب الذين نادوا بالإفادة من التراث العلمي العربي. على أن تقدير ذلك التراث لا يعني المبالغة في انفراده بأهمية لا تحدّ، إذ ينبغي ادراجه في الخط الحضاري البشري العام، بحيث يكون حلقة حاسمة في التقدم العلمي، في سير التاريخ البشري[٥٩]. ومن المستشرقين أيضاً من استنقص هذا التراث وحدّ قيمته، عن جهل بكل ملامحه وأبعاده الحضارية[٦٠]. فقد اعتبروا أن العلم العربي ما هو سوى تقليد بحت للفكر اليوناني، وأن العرب لم يضيفوا شيئاً على ذلك الزاد العالمي[٦١]. ولعلهم قارنوا ذلك بما عليه العلم اليوم من تقدم[٦٢]، لكن من المعلوم أن الفكر القديم ثم الفكر الانساني في العهد الوسيط ـ سواء كان ذلك في العالم الاسلامي أو العالم المسيحي ـ لم ينفك يغوص في الاتجاه المدرسي التقليدي حتى ظهور عصر النهضة الأوروبية. وتبين أن المفاهيم المذهبية انحلّت ضمن لغة مجمدة. ولذا، تحتّم تحطيم ذلك الإطار، تعبيراً عن مجموعة من الأفكار الغريبة

---

(٥٦) و/ المكتب: وثيقة عمل لدراسة نظريات التعريب في المضمار التقني (الرباط، ١٩٦١).

(٥٧) عفيف دمشقية، «أدوات التعريب المواكب ووسائله من منظور وحدوي،» **اللسان العربي،** العدد ١٩ (١٩٨٢)، ج ١، ص ٩٥ ـ ١٠٢.

(٥٨) أحمد الأخضر غزال، «المنهجية العامة للتعريب المواكب،» (الرباط، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٧)، ص ٨٢.

(٥٩) انظر: رمضان عبد التوّاب، «تراثنا اللغوي في حاجة إلى التهذيب،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة)، العدد ٥١ (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٣)، ص ٣٥ ـ ٤٨.

(٦٠) *Arabica* (1968), p. 218.

(٦١) ياسين خليل، «العلوم على مذهب العرب،» **مجلة المجمع العلمي العراقي** (بغداد)، السنة ٣١ (تموز/ يوليو ١٩٨٠)، ج ٣، ص ١ ـ ٤١. حيث يبين المؤلف أن المقصود من هذا الموضوع جملة المعارف العلمية المرتبطة بحياة العربي ضمن أسلوبه في المحاولة والاختبار.

(٦٢) **مجلة معهد المخطوطات العربية،** السنة ١ (أيار/ مايو ١٩٦١)، ص ١٢٩ ـ ١٣٥.

عن الوطن العربي[٦٣]. وقد استقصى المؤلفون في الغرب الفكر اليوناني طبعاً، وخصصوا للعلوم اليونانية ما شاء الله من المؤلفات التي ما زالت تستخدم إلى اليوم في الدراسات، ناهيك عمّا كان من اهتمام باللغة اليونانية والحكمة اليونانية وتأثيرهما في الفكر الغربي. وقد تبيّن أن الفكر اليوناني توزّع عند الأبيقوريين وعند الرواقيين، الذين لم يتعلقوا كثيراً بالعلوم، إذ كان همهم الأول تدريس الأخلاق وتحديد القواعد الحياتية، بل إنه من المنطق القول إنهم لم يتحفزوا كثيراً للبحث العلمي. لكن الأبيقوريين قاوموا الاتجاه الأسطوري وأعدّوا العدّة للبحث عن الحق، خلافاً لما كان عليه الرواقيون الذين جروا وراء الأوهام. وبالإضافة إلى ذلك، فقد أدركت الفلسفة اليونانية باكراً جداً التناقض الموجود بين المادة والروح[٦٤]. وبذلك نتفهم الجو الذي ستستمد منه الحضارة الاسلامية مواردها في العصر العباسي، أي من ثقافة غير ثقافتها، فقبلت التحدي وأقدمت على ترجمة المؤلفات اليونانية وغيرها، التي هي في حاجة إليها[٦٥]. وبالفعل، كان النصارى في الشام يتقنون اللغة اليونانية، وكان اليهود الشاميون يستخدمون العربية، وبذلك انتقل كثير من التآليف من اليونانية إلى السريانية، ثم إلى العربية[٦٦]. وما حصل عليه الوطن العربي في ذلك العصر من تقدّم وتطوّر واكتشافات، رغم أنه اعتمد ثلاثة مصادر لغوية، مع ما يتسبب فيه ذلك المنهاج من إشكالات فكرية ولغوية، دليل واضح على قابلية الفكر العربي لاستيعاب العلوم بمختلف أصنافها، خاصة إذا فقهها معرّبة بلغته، أو عن طريق لغات أخرى[٦٧].

وقد ميّز الكرملي نوعين من المترجمين: الأول هو الصنف الذي يتقن العربية اتقاناً، ذلك أن أساليبها مأنوسة لديه، فلا يتنازل للغة الأجنبية إلّا عن عدد من الكلمات الضرورية لوضوح النص العربي. وعلى هذا الأساس أمكن لهم ترجمة عدد من كتب الحساب والهندسة والفلسفة والمنطق والفلك وما وراء الطبيعة. أما الصنف الثاني، فلا يعرف من العربية إلّا مبادئها التي تكاد تكفي تجنيبهم الأخطاء، لكن أفراد هذا الصنف لم يجتهدوا في التنقيب عن المقابلات العربية، بل إنهم اقتصروا على تدوين الكلمات الأعجمية[٦٨]. وإذا تأتّى للكتّاب من أصل عربي أن يتكيّفوا بالتأثير الأجنبي دون أن يفقدوا أصالتهم، فإن الكتّاب المسلمين من أصل أندلسي وفارسي وبربري، يبدو أنهم استمدوا بنى صرفية ونحوية عربية، واستخدموا

---

(٦٣) *Travaux et jours*, no. 31 (avril-juin 1961), p. 10.

(٦٤) جورج سارتون، تاريخ العلم: **العلم القديم في العصر الذهبي لليونان**، ترجمة محمد خلف الله [وآخرون] (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٧)، ص ١٨٨.

(٦٥) Jacques C. Risler, *La Civilisation arabe* (Paris: Payot, 1955), p. 158.

(٦٦) انستاس الكرملي، «التدريب على التعريب،» **المشرق**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٠٢)، ص ٦٤٧.

(٦٧) انظر: رشاد محمد خليل، «تكوين الفكر العربي قبل الاسلام كما تكشف عنه الدراسة اللغوية (الحلقات السابقة) والقسم السابع والأخير،» **اللسان العربي**، العدد ٢١ (١٩٨٣)، ص ١٩٥ ـ ٢٢٥.

(٦٨) Louis Cardet, *La Cité musulmane: Vie sociale et politique*, études musulmanes; 1 (Paris: J. Vrin, 1954), p. 289.

العربية أداة لتعبيرهم، وبالتالي فقد نظّموا سير تفكيرهم الذي به تشكّلت ذهنيتهم الجديدة.

هذا وقد وقع العمل بطريقة الترجمة الحرفية في بداية الأمر، فكان ذلك بمثابة الأمر الاعتباطي إذ وجب مطابقة اللفظ الأعجمي باللفظ العربي. وتلتها طريقة أخرى عملت على ترجمة الفكر والتركيب أكثر من ترجمة الكلمة. فهل يمكن الإفادة من تجارب الماضي؟ ينبغي طبعاً اعتبار الظروف التاريخية قبل الاقتباس من تجارب الماضي، لكن جوهر القضية متماثل. ذلك أنه يتعين أصلاً تحديد الأولويات وتقرير الاتجاه الضروري الذي ينبغي على التعريب سلوكه، علماً بأن التعريب في حاجة إلى كل الكفاءات. فقد كانت تجربة التعريب في الماضي طويلة ودامت قرنين، ولم نعد إلى هذه الحركة إلّا بداية من هذا القرن العشرين. ثم إن القدامى تجاهلوا التراث التاريخي والأدبي اليوناني، في حين أن الشرق العربي شرع منذ القرن التاسع عشر في نقل المؤلفات الأدبية الأوروبية. ثم إن القدامى ائتمروا بأمر الخليفة الأموي وبالأخص العباسي للقيام بأعمال معينة، وفي عصرنا خضعت الأقطار العربية لحكم أجنبي غير متماثل في مشاربه وفي اتجاهاته العقائدية، فلم تتمكن من ارساء القواعد لسلوك سياسة تعريبية مشتركة متناسقة، فصار التعريب قطاعياً بدل أن يكتسي صبغة الشمولية، وترتب على ذلك اللجوء إلى طريقة المحاولات والأخطاء، فصار تجريبياً عوض أن يكون مخططاً في اتجاهاته وأهدافه[69]. فقد غزت الكلمات الأعجمية الفرنسية والانكليزية الصحافة ووسائل الاعلام العربية بصورة عامة، لكنها لم تنقل إلى العربية نقلاً جيداً. ومن حسن الحظ أن بعض اللغويين في بداية هذا القرن أطلقوا نداء الإنذار والتحذير من مغبّة هذا الغزو اللغوي الأجنبي، فأمكن الاحتياط عند توليد المصطلحات والرجوع إلى الاشتقاق والأصل عند تقرير ترجمة لفظة ما إلى العربية، أو عند استخدام الكلمات الرائجة[70]. ولا نغفل عن ذكر الكلمات التي دُوّنت في المعجم ولم تعد مطروحة في الاستعمال، لأنها تخلّت عن ذلك لفائدة «ألفاظ الحضارة» الواردة على الأقطار العربية من اللغات الأوروبية، والتي استملحها الكتّاب العصريون[71]. لكن بعد قطع هذه المراحل، لم يحدّد بعد الأسلوب العلمي في اللغة العربية، رغم ما قامت به مجلة المقتطف في هذا الحقل، إذ روّجت الكثير من الكلمات العلمية بين القراء على مختلف أصنافهم[72]. وبذلك، نكون قد ألممنا المامة عابرة بالأبعاد التاريخية، قديمها وحديثها، المحيطة بقضية التعريب الذي كان لفظياً في القديم وفكرياً في عصرنا الحاضر.

---

(٦٩) اسماعيل حقي، «تجربتان في التعريب،» **الأصالة**، العددان ١٧ - ١٨، ص ١٧٥ - ١٨٥.

(٧٠) *Revue du monde musulman*, vol. 10 (janvier 1910), p. 59.

(٧١) لكن «الألفاظ الحضارية الدخيلة السابق منها الذي هضمته العربية والمستجد الذي تقبله اللغة بالاستخدام والشيوع والغربلة السليقية هي جزء من اللغة ينعشها ويثريها». انظر: عدنان الخطيب، «وقائع مؤتمر مجمع القاهرة دورة ٥٦، ١٩٩٠،» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ١٤، العدد ٣٩ (تموز/ يوليو - كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٠)، ص ٧٩.

(٧٢) «Des Difficultés d'ordre linguistique, culturel et social que rencontre un écrivain arabe moderne spécialement en Egypte,» *Revue d'études islamiques* (1936), pp. 221-242.

ومن هذا المنطلق يمكننا التعمّق نوعاً في سياسة التعريب، كما بدأت في العصر الأموي، ورتّبت العربية في المقام الأول، فسيطرت هذه اللغة على اللغات الأخرى، إلى أن يأتي يوم تخضع هي بدورها إلى التأثير اللغوي التركي والفارسي. ولا يغرب عن أذهاننا أن الحضارة العربية بعد قرون من ذلك العصر شعرت بالخطر يداهمها مع الغزو المغولي، فانكمشت على ماضيها، وتمادت من القرن الثالث عشر إلى القرن الثامن عشر في نسخ القديم وتدوينه كتراث متكامل. فتيسّر لذلك إدراك الرواج الكبير الذي كان لنسخ وتدوين الموسوعات والقواميس والتاريخ(٧٣). لكن العرب تجاوزوا حدّ نقل العلم، بل إنهم تذوقوه وجربوا فكرهم الناقد بمواجهة المفاهيم اليونانية المجردة وتجريبهم الذاتي، وبممارسة التجربة العلمية. وإن إعجابهم بما حققه اليونان والهنود في الحقل العلمي لم يفرض عليهم موقفاً سلبياً. بل إنهم قاموا بالتصحيح والتحرّي اللازمين لما وجدوه. ويمكن القول إنهم حوّروا العلم اليوناني وأسسوه على قواعد جديدة قبل نقله إلى أوروبا. ذلك أن علمهم التجريبي هو الذي طبع الفكر في العهد الوسيط بميزات «تقدمية»(٧٤). وقد سبق هذا الاشعاع العلمي العربي الذي انتقل إلى الغرب تعريب شامل طغى على أهالي البلدان الخاضعة للحكم الاسلامي. إذ إن اللغة العربية غمرتهم بنحوها وألفاظها الوفيرة التي ذاعت في الأمصار الاسلامية الجديدة. وما يلاحظ في هذا الباب أن التعريب لم يكن يعني سلب الأهالي أملاكهم ولغاتهم، كما يقع في الغزوات، بل تمّ توحيدهم تحت راية اللغة العربية لكونها الأداة الحضارية الثقافية الجديدة(٧٥). ولنلمح إلى فرضية تقول إن الحضارة الرئيسية ربما ظهرت أول ما ظهرت في بلاد العرب. فمن المؤرخين الغربيين من أبدى رأياً مفاده أن مثلث الحضارة القديمة يتضمن اليمن وحضرموت في رأسه، ووادي النيل وبلاد ما بين النهرين في قاعدته التي تقع بها بلاد الشام. ولعل الهجرات العربية الخمس المعروفة تاريخياً قد سبقتها تنقلات أخرى حدثت قبل التأريخ، وامتدت حتى شمال افريقيا، فقادت الفينيقيين من قرطاجة حتى البرازيل. لكن أيمكن أن تنشأ الحضارة الانسانية في الصحراء؟ هناك من علماء الغرب من لفت النظر إلى التحوّلات المناخية التي طرأت طيلة ١٤٠ قرناً على بلاد العرب، خلال الفترة الثلجية الأخيرة، ورأى أن عدن ربما كانت بلاد العرب الخضراء التي ورد ذكرها في العهد القديم وأن كلمة (عرب) وكل مشتقاتها تعني المياه الغزيرة. وتفيد كلمة (عربية) كما جاء في المعاجم العربية، النهر السريع السيلان، في حين أن كلمة (عرب) تعني بالعبرية فقط، الجفاف والصحراء والبدو. وورد العكس في الكتب المصرية واليونانية واللاتينية. فقد زار أبو التاريخ هيرودوتس ثم بطليموس بلاد العرب وتحدث عن نهر كبير يصب في البحر الأحمر. وقد أيّد القرآن والحديث هذه النظرية (في ٤٠ آية)، وأشارا إلى الأمطار والمياه الغزيرة في هذه البلاد. وما استنبط من افتراض مبني على كل هذه الأمور يؤيد نشأة الحضارة

---

(٧٣) Miquel, *La Littérature arabe.*

(٧٤) محمد فريد غازي، «المعربات العلمية في اللغة العربية في العهد الوسيط،» **الفكر**، السنة ٥ (شباط/ فبراير ١٩٦٠)، ص ٥٠ ـ ٦٥.

(٧٥) «L'Arabisation de l'orient sémitique,» *Revue d'études islamiques* (1938), p. 63.

الانسانية في بلاد العرب وامتدادها إلى بلاد ما بين النهرين ومصر(٧٦). ولا عجب أن يكون العرب قد اتصلوا بأقطار بعيدة كالصين، في القرن الثاني الهجري أو الثامن الميلادي، في العصر العباسي منذ زمن هارون الرشيد والمأمون، وذلك في عصر مملكة «الطانغ» Tang الصينية، بل ويقال إن القرآن تضمن كلمات صينية(٧٧)، وقد كانت العلاقات مع الهند قوية وأعمق من ذلك، وتطورت إلى نشاطات علمية. ولنذكر أن العرب والفرس، ارتبطوا باكراً بعلاقات تجارية متينة مع الهند، لما كان لهم من موقع جغرافي طيب. ومن نتائج ذلك أن ازدهرت مملكة سبأ المشهورة. ذلك أن الهند هي التي كانت سبباً في تحويل موقع التجارة من الخليج إلى البحر الأحمر، أي إلى بلاد العرب. وبما أن انتشار الاسلام وحّد بين العرب والفرس، وزاد في حجم النشاط البحري والتجاري على سواحل الخليج والبحر الأحمر ثم على المحيط الهندي، فقد أتيح للبضائع الهندية النفاذ والتسرّب، فجلبت معها ألفاظ البحرية والتجارة، وكذلك حصيلة الحضارة الهندية لذلك العصر. وانتقلت الكلمات الهندية أيضاً إلى أوروبا، إلى اللغة الفرنسية واللغة الانكليزية واللغة الاسبانية، عن طريق اللغة العربية. وكما بيّنا، فلم تنته العلاقات عند حدّ التجارة، بل إنها تطوّرت إلى اتصالات اكتست طابعاً علمياً نمت بعد الفتح الاسلامي للهند. وقد تسلّم المنصور الخليفة العباسي سنة ١٥٤ هجري (٧٧١م) كتاب السند هند، الذي نقل إلى العربية، ومعه انتشر نظام العد الهندي. وكذلك عرف الطب الهندي في عصر الرشيد مع العلوم الهندية، بفضل ما كان من نفوذ للوزراء البرامكة الذين كانوا من أصل فارسي(٧٨). وكان العامل «البرمكي» حاسماً لإبراز المساهمة العربية في النشاط العلمي. لا شك أن الاقتباس من العلوم واللغات اليونانية والهندية والفارسية وغيرها موجود، لكن روح البادرة والابتكار عند العلماء العرب موجودة، لا مَرَاء في ذلك، وإن لم يقع الاعتراف بها إلى الآن اعترافاً كاملاً. فإذا ما قررنا أن فرانسيس بيكون هو الذي وضع بمفرده المنهجية الخاصة بالبحث العلمي في مفهومه الحديث، فذلك يعني تجاهل اكتشافات ابن الهيثم، الذي عمل طبق ما أوحت به طريقة التجريب والاستنباط. وقد عرف جابر بن حيان بالنسب الكمية التي عوضت اليوم النوعيات الكيفية لشرح الظاهرات العلمية. لكن من المعروف أيضاً أن الشرق العربي بدأ منذ القرن السابع الهجري والثالث عشر الميلادي يفقد تراثه العلمي، لما بدأ يتخلى عن طريقة التجريب. وقد سبقت النهضة العربية في القرن التاسع عشر، نهضة اليابان، واتجهت مرة أخرى إلى طلب العلوم، دون أن تتمكن من اللحاق بالركب العلمي المعاصر خلافاً لما وقع في اليابان الذي التحق به، وفاقه في بعض الميادين. ذلك أن الطريقة التعليمية القديمة المعتمدة على اجهاد الذاكرة وحفظ المادة العلمية لم تلقَ مقاومة كافية، فلم تترك مكانها للجهد الفكري والمنطقي،

---

(٧٦) محمد معروف الدواليبي، «العرب والحضارة الانسانية،» اللسان العربي، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ٧٤ ـ ٧٨.

(٧٧) الفكر (شباط/ فبراير ١٩٦٠).

(٧٨) محمد يوسف، «الألفاظ الهندية المعرّبة من مظاهر الوحدة،» اللسان العربي، السنة ١٠ (١٩٧٣)، ج ١، ص ١٠٧ ـ ١٤٨.

فالعلوم عمل وينبغي أن نجرّب لنخترع ونكتشف[79]. وكان العلم في الماضي «عربياً»، رغم أن بعض العلماء كانوا من أصل فارسي أو تركي أو هندي أو غيره[80]. لقد خُصصت المدة التي دامت قرنين (من القرن الثاني إلى القرن الرابع الهجري) للترجمة العلمية، وكان الاهتمام بالفلسفة اليونانية واضحاً، لأن الطب شكّل جانباً منها. ونقل ذلك العلم العربي إلى أوروبا بالترجمة من العربية إلى اللاتينية، واشتهرت مدن غربية عدة في العلم العربي، منها صالرنو ونابولي وبالرمو وطليطلة. ثم وقع تجاوز هذه المرحلة وتوسّع التراث اليوناني بفضل الجهود الابتكارية الجديدة. فمثلا تحوّل النظام العشري الهندي إلى علم الحساب، وتمخّض حساب المثلثات عن الجبر، وتطوّر إلى علم جديد هو علم الهندسة التحليلية[81]. وبمتابعة ما طرأ من تطور على اللغة العربية على مرّ القرون، ابتداءً من لغة البدو ومروراً بلغة قريش نجد أنها صارت أداة للعلوم والفلسفة على الصعيد العالمي في العهد الوسيط وفي العصر العباسي بالذات، وهنا يتّضح لدينا أن ما أقعد هذه اللغة في القرون التالية هو ما فقدته من ثراء لغوي علمي، إذ إنها لم تساير الحركة العلمية، وبمعنى آخر إنها لم تعمل على أن تستمر في عطائها العلمي بفضل ما يجدّ من تعريب اصطلاحي يقوم به المترجمون والعلماء، وبفضل ما ينشرونه من أفكار وتيارات علمية في مؤلفاتهم المبتكرة الخلّاقة في حقل المعرفة العلمية. وبإيجاز، لم تعمل اللغة العربية على تجديد ثروتها الاصطلاحية خدمة للفكر العلمي، فكان ذلك بمثابة الضربة القاضية لاستمرار الحضارة العربية في النماء والانتشار[82]. ولنتذكر أن القرنين التاسع والعاشر الميلاديين كانا يمثلان تطوراً للغة العلم العربية، وبداية للعصر العلمي الاسلامي، فأتاح ذلك الوضع تجديد اللغة العربية كما عرفتها الجاهلية، كما أن القرن التاسع عشر أتاح النهوض بهذه اللغة مجدداً. هكذا كانت اللغة العربية أداة لنقل الاكتشافات على الصعيد الدولي، فكانت بحق «المعجزة العربية»، كما سبقتها المعجزة اليونانية قبل ذلك بدهور، وإن عمل الأمويون على فرضها سياسياً في الأقطار التي فتحوها، وأتاحوا لها بذلك نشر الحضارة الجديدة في ما بعد، حتى قيل إن بالعربية ومن خلالها انطلقت الطريقة العلمية في الحضارة الغربية[83]، وكما واصل العباسيون بفعالية أعظم، تطوير هذه اللغة وتغذيتها بالمعارف الأعجمية، وذلك ما جسّمته حركة التعريب اللفظي والفكري العارمة، حتى في الوقت الحاضر.

---

(٧٩) محمد يحيى الهاشمي، «العرب والكشوف العلمية،» **اللسان العربي**، السنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٧)، ص ٧ - ١٠.

(٨٠) البير ديتريش، «دور العرب في تطور العلوم الطبيعية،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٩٦ - ١٠٥.

(٨١) المصدر نفسه، ص ٩٦ - ٩٩.

(٨٢) محمد سماك، «الجيل العربي الجديد يجب أن يكون موحد الثقافة ومعرفة حقيقة جوهر الدين ومواكبة الحضارة الحديثة،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ١٠٣.

(٨٣) عبد العزيز بنعبد الله، «الوحدة الأصلية بين اللغات مظهر لوحدة انسانية عريقة: نظرية طريفة تبرز أسس هندسة الوحدة،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ص ١٠ - ١٤.

وتمخّض ذلك عن حصاد خمسة قرون ظهرت خلالها الاكتشافات العربية (٨٠٠ - ١٣٠٠م). وانطلاقاً من هذه الخلفية عمل المفكرون في الأقطار العربية على احياء اللغة العربية التي تشكّل الحلقة الأساسية للعودة إلى النشاط العلمي والتقني باللغة القومية. فبالتحليل الارتجاعي يمكن الاستناد إلى الماضي العلمي العربي كدافع على اقامة أسس جديدة للنهضة الحديثة الحاضرة والمقبلة. وبعودتنا إلى ذلك الماضي، سنلاحظ أن الحضارة العربية بدأت تتفكك أوصالها لما سقطت بغداد (١٢٥٨م) في قبضة المغول. وبذلك الحدث يمكن أن نتعظ تأهّباً للمستقبل. لكن لمع قبل تلك الحقبة أعلام وأعلام، منهم ابن الهيثم (ولد سنة ٩٦٥م)، واشتهر بأعماله، منها أبحاثه عن الضوء الذي قاس انعكاسه بجهاز من اختراعه، وعرف بأبحاثه في الرياضيات أيضاً. وفي الأندلس، اشتهر عباس بن فرناس الذي نشأ بقرطبة (١٩٤هـ - ٢٧٤هـ) ودرس الفقه والطب والنبات والأدوية وكذلك العلوم العقلية. لكنه لم يقنع بالدرس فحسب، بل نظر في الحقائق وجرّب النظريات؛ فاشتغل بالكيمياء والفلك والتنجيم، وصنع أجهزة للملاحظة والتقاويم، وكان أول من حاول الطيران. وكان أيضاً شاعراً وأديباً رقيقاً ومطرباً، وقد اجتهد في حلّ ما تعسّر في كتاب الخليل في عروض الشعر[٨٤]. ولنذكر أيضاً البيروني الذي احتفل منذ سنوات بمرور ألف سنة على ولادته (خوارزم، في ٣٦٢هـ/٩٧٣م). وقد طالبت بلدان عدة (تركيا، ايران، الاتحاد السوفياتي) باعتباره أحد أبنائها. كان ثمرة من ثمرات الحضارة العربية الاسلامية. وقد أنشئت بمدينة طاشقند «جامعة البيروني»، وخصّ بأبحاث كثيرة في جامعات متعددة (برنستون، برلين، لينينغراد)، وكرمته مجلات ومجامع عدة. فاعتبر أكبر مفكر عرفه التاريخ، وأكثرهم علماً بالفلك، وأعظم عبقرية لم تأخذ حظّها من الشهرة كما يجب، وفيلسوفاً كبيراً ورياضياً وجغرافياً واسع المعرفة. لقد أقام في بلاطات الأمراء بعد خروجه من خوارزم، واستقر بالهند وبها درس اللغة السنسكريتية، وتعلّم أيضاً السريانية والفارسية واليونانية. وكان عالماً كما كان شاعراً، كذلك لغوياً ومؤرخاً لبلاد الهند والأقاليم الأخرى. وقد اكتشف في الفيزياء مبدأ الجاذبية الأرضية والثقل، والوزن النوعي، وكثافة المعادن المعروفة وحدّدها كما هي اليوم، كما تبيّن من أحد الجداول الموضوعة مؤخراً. وقد كان البيروني (توفي بغزنة، في ٤٤٠هـ/١٠٤٨م) يشتغل أيضاً بمياه العيون والآبار الارتوازية، وظاهرة المد والجزر. وأفادنا بمعلومات جغرافية ثمينة عن الهند وجنوب افريقيا، وموزمبيق وأوروبا (بحر البلطيق، وبحر الشمال، والبلاد السكندينافية، وسيبيريا). وتمعّن في موضوع ربط الصلة بين المحيط الهندي والمحيط الأطلسي، بفضل اكتشاف أخشاب السفن، وقدّر طول وعرض محيط الأرض. ويكفي التذكير بأبحاثه في الرياضيات عن اللوغاريتم، واكتشافه حساب المثلثات. وقد أبدى نظرية اقتصادية ذاعت في عصرنا، بموجبها ليس للذهب إلا قيمة نسبية تتمثّل في الصفقات التجارية. وقد برز فكره العملي في صنع عدة آلات، منها اصطرلاب. لقد اتصف

---

(٨٤) (التخليل ١٠٠/٧١٨ - ١٧٠/٦٨٦)، اللسان العربي، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ص ٢٨٢ - ٢٨٨.

بالموضوعية في علمه، فلم يقنع بحجة إلّا بعد استيفاء كل البراهين التي أثبتها في كتبه، مثل **الآثار الباقية عن القرون الخالية**، (الذي طُبع في ليبزيغ سنة ١٨٧٨، ونُقل إلى الانكليزية سنة ١٨٧٩، ثم أعيد طبعه سنة ١٩٢٣). ويعتقد أن تأليفه عن تاريخ الهند فريد في نوعه. وقد أكد البيروني أنه كتاب وصفي لم يتضمن استطرادات عن الحياة الهندية في كل ملامحها (وقد نشر بالانكليزية سنة ١٨٨٧ ـ ١٨٨٨). وكتابه في الفلك **القانون المسعودي** كان موسوعة تضمنت القوانين التي نسبت في ما بعد إلى نيوتن وغريغوري. وقد نشر في ثلاثة مجلدات سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م بحيدر آباد. وتوجد مخطوطات من هذا التأليف باستنبول وتوبنغن (المانيا الغربية)، وبالمتحف البريطاني بلندن، وبأكسفورد والقاهرة. أما كتاب **تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن** (نشر بأنقرة سنة ١٩٥٨)، فموضوعه نشأة العلوم، وتاريخ خلق العالم، وقد ضبط مؤلفه القبلة لكل اقليم من الأقاليم الاسلامية. وقد عالج في **كتاب الصيدلة** (نشر سنة ١٩٣٢) أنواع الأدوية. وفي الرياضيات (هندسة وجبر) ألّف **استخراج الأوتار في الدائرة** الذي نشر بالالمانية. أما كتابه **الجواهر**، فنجد به الأوزان النوعية للمعادن والأحجار الثمينة، فكان ذلك الجدول أول بادرة في الموضوع. وخزنت منه مخطوطات عدة في مصر وتركيا ومدريد (مكتبة الاسكوريال)، وقد كان محل بحث نقدي. ولا شك أن البيروني ألف كتباً أخرى ورسائل كثيرة، نشرت الموسوعة العثمانية أربعة منها[٨٥].

فبهذا المثال وغيره، يمكن أن نستخلص العبر من تفاعل العالم مع المحيط الحضاري الذي يعيش فيه، وأن الكفاءات العلمية يتيسر ازدهارها وإثمارها لو وجدت حافزاً فكرياً على البحث الموضوعي الجاد، ولو ساعدها على ذلك تحسن ملحوظ في المنتوج الاصطلاحي الذي تهيئه سياسة تعريبية قادرة هادفة. ذلك أن التصور الحضاري في زماننا اتسع مدلوله أكثر مما كان في الماضي، مثلاً في عصر ابن خلدون، فشمل جميع مظاهر الرقي في مختلف الميادين. فصار نتيجة للثقافة والحياة الاجتماعية والمادية. لا ريب في أن الحضارة الاسلامية وليدة الفكر الديني والوجودي، وقد شحنت بطاقة روحية عاملة، وبهذا المفهوم صار الاسلام دين نضال اتجه إلى ثقافات متعددة؛ ولقد لقّن المسلمين قواعد في السلوك المادي والروحي تترك للفرد حرية الاختيار، وتحفزه على إعمال رأيه والابتكار. فقد جاء في قوله تعالى: ﴿قل هاتوا برهانكم، إن كنتم صادقين﴾ [سورة البقرة، ١١١]. وكان مفعول القرآن عظيماً بما حواه من سحر البيان، فاضمحلت لغات عدة (الآرامية والكنعانية والكلدانية والسريانية) أمام زحف اللغة العربية التي أفادت من عامل الزمان والمكان على حساب اليونانية واللاتينية لكونهما لم يقاوما ولم يصمدا في وجه الانهيار السياسي الذي ساد الشرق. فقد زالت اللاتينية من شمال افريقيا واسبانيا[٨٦]. وبالتفكير في الصلة القائمة بين الماضي الذي هو بصدد الاحياء والمستقبل، فإنه يمكن وضع نظرة مستقبلية لقضية التعريب، ذلك أن الماضي يشكل قوة نفسانية تجعلنا نثق

---

(٨٥) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ١، ص ١٤١ ـ ١٥٣.

(٨٦) سعيد الديوجي، «الفكر العلمي العربي في شخص العباس بن فرناس حكيم الأندلس،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٨.

بإمكانات اللغة كأداة لنقل المعرفة العصرية. وفي هذه العودة إلى الماضي، يبحث التعريب عن أساس له ودفع جديد لإفراز المستقبل[٨٧]. وقد عملنا على تذكر هذا الماضي باستمرار لأنه ماضٍ مشع، أمكن له استيعاب الثقافات والمعرفة العلمية لأمم عدة، وجعل من كل ذلك حضارةً اسلامية عربية سيطرت على العالم أكثر من خمسة قرون[٨٨]. ومثل هذا البريق يقوّي من الشعور العروبي، وينمّي الأبحاث والدراسات والمحاضرات والمناقشات حول صلاحيات اللغة العربية الفصحى في العصر الحديث، ذلك أن التجديد ينظر إليه بمنظار اللغة النقي من كل زيف، لا بمنظار الثنائية اللغوية والثقافية والفكرية، المتمخضة عن وجود لغة فصحى أو حديثة تحاول الانتشار بكل ما لديها من امكانات، واستعمال لهجات في واقع الحال، تدعمها ثقافة جماهيرية لم تستكمل بعد وجودها في اللغة الفصحى الرائجة في الوقائع الرسمية والمتميزة بوحدتها التي ستؤول إلى القضاء على اللهجات المحلية المتميزة المتفردة بخصوصياتها الصوتية والنحوية والدلالية. والحداثة تغطي كل الميادين، بما فيها اللغة. فهل ان تحديث اللغة يعني استعلاء اللهجات على الأصول الفصيحة؟ وبالتمعن في الأمر، نجد أن التردد قائم آخر المطاف بين الأصالة التي هي غير الحداثة، والحداثة التي ليست أصيلة. فإذا كان من الطبيعي الاعتراض على اللغات الأجنبية لارتباطها بمقاومة الهيمنة الاستعمارية، فإن ضرورة التعصير لا يمكن أن تقنع باللهجات التي ارتبطت كذلك بذكرى مؤلمة تدخّل فيها المستعمر أيضاً لتفريق الشعوب العربية والسيطرة عليها[٨٩]. ولا يبدو أن المجامع المعنية نفذت فعلاً تيسير الكتابة والنحو، والتخفيف من حجم المعجم العربي، أو أنها اجتهدت في التعجيل بتجديد المفاهيم اللغوية الشاملة، وغرضها شريف في ذلك، لأنها تريد حماية الفصحى من كل غزو طارىء، لكن النقد الذي وجه إلى العربية، هو أنه ينبغي عليها أن تقوم «بنقد ذاتي» إن أرادت البقاء[٩٠].

هذا ولا ننسى أنه لا يمكن المجازفة بالكيان برمته باسم التعصير. ومن هذه الزاوية ندرك التردّد الذي شمل قضية تعصير أو تحديث اللغة العربية. وخلافاً لذلك، لا ينكر ما في موضوع المصطلحات العلمية من تفهم وحسن استعداد لدى المؤسسات اللغوية والجامعية، لأنه يشكل عنصراً لا ينفصم، عن كل محاولة تعريبية ترغب في ادماج العربية في الحياة المعاصرة. وفي هذه الصورة، فلا يمكن اعتبار العرب أمة تشكل طبقة خاصة في الحقل الفكري، غير قادرة على اقتحام حتميات الحياة العصرية[٩١]. وبعد انقضاء فترة من الاستعداد والتكيّف، صار وضع المصطلحات العلمية أمراً عادياً بل عملاً غزيراً أكثر مما ينبغي، فسادت

---

(٨٧) شكري فيصل، «حركة التعريب وصل بين الماضي والمستقبل،» **الأصالة**، العددان ١٧ ـ ١٨، ص ١٢١.

(٨٨) *Revue de l'institut des belles lettres arabes,* no. 20 (1972), p. 263.

(٨٩) Miquel, *La Littérature arabe*, p. 152.

(٩٠) Vincent Monteil, *L'Arabe moderne* (Paris: Klincksieck, 1960), pp. 354 et 386.

وقد نقلنا هذا التأليف إلى العربية تحت عنوان: **اللغة العربية الحديثة** (تونس: بيت الحكمة، [تحت الطبع]).

(٩١) المصدر نفسه.

الكـثرة حيث يجب أن تسود الكيفيـة التي بها يصـاغ المصطلح والفـائدة من وضعـه، وكل مـا ينبغي البحث فيه قبل الالقاء به في سوق العلم. فأثرت تخمة اللغة العلمية على البنى الدلالية والصرفية في اللغة، ومن شـأنها أن تؤدي إلى الإضرار بالـوحدة اللغـوية. ولقـد كان الاقبـال كبيراً على الكتب الحـديثة لكـونها مؤلّفة بـأقلام غـربية، فتجـاوز المترجـون الحدود اللغـوية، واستنبطوا ما عنّ لهم من مفردات وتراكيب جديدة غريبة على الفصاحـة العربيـة. وعلى هـذا فلو «أردنا الآن تحديد ملامح وطبيعة الفصحى في مفهومنا الحديث، لقلنا... هي خاصة التي تحـترم حداً أدنى من القواعد الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية المتفق عليها بين علماء العرب»[٩٢]. لكن السوق العلمية ما انفكت تطلب المـزيد في بـداية القـرن العشرين، فراجت اصـطلاحات ومؤلفـات مترجمـة خاصة عن الفرنسية والانكليزية. ذلـك أن الأجيال العـربية الجـديدة لم تعـد تجد كفـايتها في المؤلفـات والمصطلحـات القديمـة، فانكبت تنهـل من اللغات الأجنبيـة سواء مبـاشرة، أو عن طريق الترجمة والتعريب اللفظي الذي أحاط بكل ما يلزم الفرد العادي من كلمات يستخدمها في حياته اليومية. وقد صدر النقد والتهكم من جهة ما كان معروفاً قديماً وحديثاً من متفقهـين في اللغة العربية، يقيسونها بمقاييسهم العتيقة الخاضعة للنواميس الأدبية. فأدى ذلك إلى خلط بين مختلف المظاهر اللغوية، ومستوياتها التعبيرية. وكان المدافعون عن سلامـة اللغة عـلى حق عندما كانوا يلومون المترجين على اغفالهم العمل بالقواعد النحوية، ولم يكونوا طبعاً محقـين في اعـتراضهم على الابتكـار اللغوي الضروري للعصر. ويبـدو اجمالاً أن مـا حققـه اللغـويـون والعلميون في حقل المصطلحات العلمية وبعث اللغة العلمية عامة، كان عمـلاً ايجابيـاً طغى على ما أبداه المعارضون من خشية تجاه تدهور القواعد العربية.

أما عن المراحل التي يجب تخطيها الآن لبلوغ التعريب الشامل، فيجب البدء بالإحـاطة بما لنا من تصور عروبي راهن واقع لقضية التعريب وللقيمة الدلالية التي نوليها هذا المصطلح الحضاري، يلي ذلك تحديد خطة تخول مؤسسة تعمـل على صعيـد الوطن العـربي مثل مكتب تنسيق التعريب بالرباط، إنهاء هذه الكثرة الاصطلاحية، المسيئة إلى المفاهيم العلمية، بحيث يصبـح المصطلح دالاً عـلى المفهوم العلمي العـالمي. وذلك هـو عمل التنسيق الـذي سيفـرز المصطلحات المستخدمة فعلاً في الميدان العلمي، بحيث يرفض ترويج أية قائمة أو أي معجم دون أن يحصل على موافقة عروبية جماعية تجسمها مؤتمرات التعـريب، وتدخلهـا حيّز التنفيـذ الحكومات في أجهزتها الدراسية والعلمية والادارية.

---

(٩٢) عبـد العلي الـودغـيري، «اللفظ ومستـواه الصـوابي من خـلال: «مـوطئـة الفصيـح» لابن الـطيب الشرقي،» **اللســان العربي**، العـدد ٢٨ (١٩٨٧)، ص ٦٣. انظر أيضـاً: محمود عبـد الله الجفـال، «مقـاييس الفصاحة في القرن الخامس هـ،» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ١١، العدد ٣٣ (تموز/ يوليو ـ كانـون الأول/ ديسمـبر ١٩٨٧)، ص ١٤٧ ـ ١٨٩. أما عن قصـة نشأة الإنســان واللسان، فانظر: جعفـر دك البـاب يحكي قصة نشأة الإنسان واللسان في: **اللسان العربي**، العدد ٣٣ (١٩٨٩)، ص ١٧ ـ ٣٥.

ثانياً: حركة التعريب في الوطن العربي

١ - الدافع إلى التعريب

حصلت الأقطار العربية على استقلالها، وطالبت بحق تقرير خياراتها التربوية وتجسيد نوعيتها القطرية وأصالتها العربية. كان ذلك المطلب متحتّماً عليها، خاصة وأنها خضعت منذ قرون للتدهور بجميع أشكاله، وقد تفاقم الأمر منذ أن اكتسح المغول الوطن العربي ثم تلاه الغزو التركي، علماً بأن الحروب الصليبية بعثت الاضطراب في تلك الأقطار المشرقية التي تحتم عليها بداية من القرن التاسع عشر، مع جناحها المغربي، مواجهة الاستيلاء الغربي، والرضوخ لما خطّه لها من تبعية ثقافية جعلت للعربية وضع لغة الطقوس والدراسات التقليدية التي لا تعد كما ينبغي للحياة.

وقد أكدت الأحداث أن حركة التعريب هي أن يُقبِلَ العالم أو الباحث العربي أولاً وبالذات على الطموح إلى عروبته، واسترجاع الحقوق الذاتية والتعرّف على هويته بلغته، دون واسطة أو تبعية. والواقع أن الكيان العربي ما انفكّ منذ القرن التاسع عشر يركّز أسس قوميته بالاستناد إلى أصالته اللغوية، وقد سبق لإيران وتركيا أن استرجعتا فعلاً تلك الأصالة رغم الوشائج الدينية العريقة التي تربطهما بالدين الاسلامي. ولعل سبيل القومية، التي يعبرها الوطن العربي في الوقت الحاضر، ستؤول إلى أن ينظر نظرة شاملة إلى وضعيته تجاه الأوضاع الأخرى السائدة حواليه. وتبعاً لذلك، لم تعد الجدلية العربية تعني ادماج الشخصية في عالمية تاريخية مستحيلة، بل أن تؤكد وتتقمص مجدداً الكيان التاريخي وتتجه في آن واحد في طريق الصيرورة(٩٣). لكن، هل كان ممكناً تعميم التعريب منذ بداية القرن الحالي، في حين أن وضع المصطلحات العلمية ما زال في بداية الطريق، إذ لم يكن يسهر على توفيرها توفيراً محدوداً إلّا بعض المختصين الذين مارسوا العلوم قبل ذلك باللغات الأجنبية؟ أضف إلى ذلك أن النظام التعليمي القائم آنذاك في مختلف الأقطار العربية، والناجم عن الأوضاع السياسية الطارئة على أغلبها، تعامل وما زال بلغتين أو أكثر، ولا يمكن التخلي عنه بغتة لفائدة اللغة العربية التي لم يكن في مقدورها القيام بالأعباء التثقيفية. وإلى اليوم، ما زالت الأفكار السائدة حول أن تفريد اللغة العربية بالمهام التعليمية من الوجهة النظرية على الأقل، تعتبر من قبيل المغامرة اللغوية بمصير الأجيال المتعطشة إلى المعرفة النافعة المعدّة للمستقبل. ثم

---

(٩٣) Hicham Djait, *La Personnalité et le devenir arabo-islamique* (Paris: Seuil, 1974), p. 280.

انظر: محمد علي الخولي، «قياس الثنائية اللغوية وتوظيفه في تعليم اللغة الثانية،» **اللسان العربي**، العدد ٣١ (١٩٨٨)، ص ٧٧ - ٩٦، وأحمد العايد، «اللغتان الأساسيتان الانكليزية والفرنسية والرصيد اللغوي العربي،» **مجلة المعجمية**، العدد ١ (١٩٨٥)، ص ٧٩ - ١٠٨. أما بالنسبة إلى التيار المناوىء للغات الأجنبية، فانظر: أنور الجندي، **اللغة العربية ومواجهة اللغات الأجنبية**، الموسم الثقافي الخامس لمجمع اللغة العربية الأردني (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٧).

كيف يتم تأهيل الأطر القادرة الضرورية لتحقيق التعريب؟ وهل يمكن أن يقوم مدرسون غير أكفاء بتلقين المواد العلمية لمجرد أنهم يتقنون العربية؟ وهل يمكنهم ترضية رغبات الطلاب في المعرفة الدقيقة التي تتطلب بدورها التمكّن من لغة عربية علمية واضحة الأسلوب متكاملة المصطلحات؟

الرأي أن الانطلاق يكون من مبدأ «استيفاء» ومتابعة الاكتشافات العلمية الحديثة في جميع الفروع العلمية، وهي خطوة البداية للتمكّن من التصور العلمي الذي قام عليه كل اكتشاف أو اختراع، وصولاً إلى المفهوم الذي بلغه ذلك التصور، وانتهاء بوضع المصطلح المطابق كل المطابقة للحدث العلمي، مهما كان صنفه. يضاف إلى هذا أننا نكون بذلك على اتصال مستمر بما يجدّ من نظريات وأحداث علمية[٩٤]. وعلى هذا الأساس يتيسر إيصال الخبر العلمي إلى التلميذ دون أي اغراق في التصنيف الاصطلاحي الباحث دائماً عن الكلمات المقرّبة من المفهوم دون الإحاطة به كل الإحاطة، لأننا لم نجد أو لم نبحث بالأحرى، عمّا ينبغي تقديمه من مصطلحات يستوعبها فوراً المتعلمون، لأنها بلغتهم غير مرتجلة. فلن نرضى لمتعلمينا بأية حال أن يرضوا بلغة تقريبية في التدريس العلمي، وإلّا رسخت في أذهانهم الدلالات المبهمة المرفوضة رفضاً باتاً من كل عقل سليم. ولا تردد بعد هذا في التفضيل بين لغوي يجهل التفكير العلمي، وعلمي محدودة امكاناته اللغوية، فيلجأ إلى استخدام «لهجة علمية» يمكن لا محالة أن تسد على التلاميذ طريق الادراك الكامل للمفاهيم، لكنها تفتح لهم المجال فسيحاً لتدارس العلوم. والحل هو أن يتعاون اللغويون في نطاق المجامع مع العلميين. أو لا مانع من تهيئة دورات لغوية تدريبية لفائدة العلميين يزيد خلالها مكسبهم العلمي اللغوي، وتتاح لهم فرص تبادل الآراء العلمية في لغة سليمة مبسطة، يساعدهم على بلوغها اللغويون، ويتعاون الفريقان أيضاً في وضع المصطلحات العلمية، تهيئة لنتائج تعريبية مدرسية مضمونة سريعة. ولقد أثبتت التجربة أن المسارعة بالتعريب العشوائي دون تهيئة الفترات الانتقالية، مآله الفشل. ولذا، وجب تماسك المراحل التي وقع إعدادها والتخطيط لها ملياً، حتى لا يقال إن تعميم العربية تسبب في انخفاض المستوى الدراسي الجامعي. والمقارنة بالتراث العلمي القديم يؤيد نجاعة التعريب المدروس القائم على الرضى بتطوير العربية دون خشية أو ريبة في امكاناتها[٩٥].

ويتمثّل العمل الناجع في تطوير اللغة العربية، بدراسة القضايا اللغوية الخاصة بها، دراسة علمية، في ميدان العلوم اللغوية، في الألسنية، والدلالة، والنحو والصرف، وقضايا اللهجات، والمؤثرات المتبادلة بين الدين واللغة، وقضايا انتشار هذه اللغة في العالم، أو اشعاعها الثقافي، وارتباط ذلك بالمقومات الحضارية، وهذه إنما هي قائمة من رؤوس المسائل المتفرعة إلى عدد لا يحصى من الأبحاث المتنوعة التي يجتهد العلميون العرب في التنقيب عنها،

---

(٩٤) «رحلة الأمين العام عبد العزيز بنعبد الله إلى العواصم العربية، مقابلات مع صحف عربية،» اللسان العربي، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ٦٧.

(٩٥) *Revue de l'institut des belles lettres arabes*, no. 20 (1972), pp. 285 et 293.

وهي المحيط الـذي يبلور اشكاليـة التعريب، ويضفي عليهـا ما تستحق من جـدية ومثـابرة. وسنرى في الفصول القادمة كيف أن تطوير الدراسات العربية عـامة من شـأنه أن يمنح قضية التعـريب دوافع حضـارية شـاسعة رحبـة تخدم بـدورها مـا ينبغي القيام بـه في نطاق العمـل الاصطلاحي الذي لا يمكن أن يتغذى إلاّ من الدراسات العربية. وسواء انطلقنا من الـترجمة أو التعريب أو غير ذلك من الوسائل المعمول بها، فلا ننفك نبني أعمالنا على القواعد اللغوية الراسخة. وسواء اعتمدنا ما صنّفه القدامى عند ترجمة المؤلفات اليونانية والسريانية، أم عملنا بالقرارات المجمعية، فإن ذلك إنما يعني ربط العمل الاصطلاحي بالعمل اللغـوي. من ذلك أن الافـادة من التراث العلمي القـديم المدوّن بـالعربيـة يكشف لنا عن الحلول التي تـوخاهـا القدامى لإعداد لغة عربية علمية صالحة لهم في عصرهم. وكمثال على ذلـك، لقد تـأكد لنـا أن الطب نال حظاً وافراً من العناية عند العلماء العرب في الماضي. «ولا بد للمـرء أن يتساءل عن المناهج والطرق العلمية التي استخدمها الطبيب العربي من أجل التشخيص والعلاج ومعـرفة قـوة الدواء وتـأثيره على المريض وغير ذلك»[٩٦]. وما نحصده اليوم من مصطلحات علمية جاهزة في الغرب قد كفـانا مؤونة بذل الجهد بل تبـذيره في اللحـاق بالـركب عن طريق الـترجمة. ذلـك أن مفتاح العلوم يـوجد في اللغـات العلمية الـدولية. وكـان أن أفاد الـوطن العربي من الـظرفية التـاريخية التي حتّمت عليه تعلّم بعض اللغات الأجنبية. إلا أن الوضع الاصطلاحي ينبغي تأطيره وإحاطته بكل ما يمكن من المحاذير، ومن ثم فلا بد من تـوحيد الألفـاظ العلمية المستجـدة كل يـوم، وذلك بتنسيق الجهود المبذولة في هذا السبيل، لإقامة جهـاز منهجي كامـل المقومـات يبرز من ورائه لغة علمية عربية سلسة، لها من المرونة ما يخول لها كل امكانات التطوير.

ولا شك أنه يتعين علينا إحصاء المؤسسات التي تقبل بالسير في هذا المنهاج والعمل على تطوير اللغة العربيـة طبق خطة مـرسومـة شاملة تنسق كـل النشاطـات، منطلقـة من مبادىء تعمـل عـلى هـديهـا. ذلـك أن تحقيق التعـريب الشـامـل لا يتم إلاّ بعيـداً عن الاعتبـارات الشخصية أو العاطفية وعن كلِ مزايدة كـلامية، بـل يكون الـواقع والمـوضوعيـة العلمية همـا النبراس الذي يقود الفكر الخلاّق نحو غاياته. ذلك أنه إلى جانب الاهتمام المستمر بالرفع من شأن العربية وإحلالها المكانة اللائقة بها التي شغلتهـا في العالم القـديم، فإنـه ينبغي أن نجعل منهـا أداة تعبير منسجمـة والواقـع العصري، تقوم بمهـام التفاهم والـوفاق في أطراف الوطن العربي[٩٧]. وإن برهنا على تكـذيب ما شـاع حول كسـل الفكر العـربي وجدبـه، رغم أن عبر الماضي والوقائع الحضارية العربية تسفه أحلام أولئك الذين يريدون ترسيخ فكـرة التعجيز في الواقع العربي، فذلك يعني أن القاعدة سليمة وأن الانطلاقة العلميـة مضمونـة. ولنتذكـر أن أداة التعبير العلمي قديماً لم تتذمر من ضعف الفصحى في وضع المفـاهيم العلمية، ولم يـوقفها العسر اللغوي، بل إن العـربية احتلت مـوقعها من اللغـات القديمـة بكل جـدارة، واحتكت بالحضارات الموجودة في ذلك العصر، ثم تفوّقت ونقلت الحضارة والثقافـة والعلوم الجديـدة.

---

(٩٦) ياسين خليل، الطب والصيدلة عند العرب (بغداد: جامعة بغداد، ١٩٧٩).

(٩٧) و/ المكتب: حصة اذاعية، ١٩٦٦/٦/١١.

وفي الجملة، لقد عرّبت العربية العلم اليوناني والفارسي والهندي، وتبادلت التفاعل مع تلك اللغات القديمة دون خشية، واقتبست عنها، متذرعة بسلاستها ومواردها الصرفية الدلالية.

وها نحن نعود إلى الوضع القديم، حيث إن اللغات الأوروبية متفوقة مسيطرة على الميادين العلمية، توجهها الوجهة التي أرادت. وها أن الوطن العربي يخوض منذ بداية هذا القرن نهضته الشاملة التي وجهت اللغة وميزتها ميزات جديدة لتجعل منها لغة جاهزة تخدم التعريب مدار المناقشات الموجبة والسالبة أيضاً، وذلك دليل على حسن الاهتمام والوعي الشامل بأهمية الرهان الحضاري الذي يرتبط أوثق ارتباط بتطور علمي متين[98].

وأما ما ينبغي القيام به لإنجاح التعريب الشامل، فإنه بعد إحصاء المؤسسات الاصطلاحية القادرة على خدمة التعريب والتفرّغ لذلك، يقع إحصاء أو جرد المصطلحات الموجودة متفرعة إلى اختصاصاتها المتعددة، ثم يقع تشذيبها وتوحيدها. ومن رأي الزعيم المغربي الراحل علال الفاسي أن أعظم قضية تواجهنا في الوقت الحاضر هي أن نجد حلاً ومنفذاً لتحسين اللغة العربية التي تتكوّن حالياً، وذلك بأن نضفي عليها أبعاد الدلالة بصورة متسعة، وتضمينها كل مظاهر الحياة العصرية، وأن يكون لها من السلاسة ما يمكّنها من المحافظة على علائق وثيقة باللغة القديمة والقرآن. ويضاف إلى ذلك البحث عن وسائل العمل الكافية لتحوير العربية الفصحى والعربية الحديثة، بحيث تصبح لغة الحديث، وتكون في الوقت نفسه لغة الأدب والخطب والابتكار العلمي، وكل ما يرتبط بشؤون الحياة[99]. وقد لاحظ رينان المستشرق الفرنسي الذي عاش في القرن الماضي أن العربية لغة الصحراء، مؤكداً أنها لم تمر بمرحلة الطفولة ولا بمرحلة الشيخوخة. فقد ظهرت حسب رأيه دون المرور بمرحلة انتقالية، وبقيت لم يمسسها عيب. ذلك أن العربية كما لاحظ غيره من المستشرقين مثل الألماني بروكلمان، تستند إلى نظام لغوي صحيح أصيل، وهذا ما بوّأها مكانة سمت بها عن كل اللغات السامية الأخرى، لأن دقتها التعبيرية قائمة على ما كان من علاقات بين التحليل والتركيب[100] من الوجهة النظرية، أي بين الاعراب والنحو من وجهة واقع اللغة. وما قام به هؤلاء من أبحاث لغوية متعمقة حملهم على إبداء آراء موضوعية علمية عن العربية، إلى حد ما. وبالأحرى أن يعنى علماء اللغة العربية بالإحاطة بأوضاع لغتهم التي ما زالت تبحث عن منهج قويم تسير على هديه. ومدار بحثهم الهام التوفيق بين اللغة الفصحى واللغة الحديثة التي تميل نوعاً إلى تهذيب العامية[101]، وهي في حاجة إلى أن تعرب وتخضع إلى الحركات

---

(98) محمد العربي الخطابي، «رسالة المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيسه، ١٩٦٢ - ١٩٧٢،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ٢، ص ١٥ - ١٨.

(99) علال الفاسي، «فعالية اللغة العربية،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ٨ - ٢٦.

(100) أحمد عبد الرحيم السايح، في: **اللسان العربي**، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ٣٢.

(101) عبد الكريم خليفة، «اللغة العربية أساس نهضة أمتنا ووحدتها،» **مجلة مجمع اللغة العربية** =

الاعرابية، لأن الكلمة لا تعتبر فصيحة إلاّ إذا حوتها الجملة، وهي عامية إذا تقرر مصيرها الترتيبي في التركيب الذي ينبغي أن يشكل وحدة وظيفية نحوية[١٠٢]. ويبدو أن ما عرف بالعربية الوسطى يستجيب لضرورات التعبير الفكري الحديث. وهذه اللغة الوسطى واسطة بين العصور لأنها تصل عصر الفصحى بالعصر الحديث، وهي واسطة بين الطبقات الاجتماعية التي ارتقت بفضل التعليم إلى درجة طيبة من الإدراك اللغوي، وحتى إلى الاستعمال المؤيد بلغة متيسرة متجددة، وهي لغة وسطى أخيراً بين الشعوب العربية المختلفة[١٠٣].

وقد أيّدت السلفية بصوت الشيخ محمد عبده فكرة التعصير القائمة على الوحدة الاسلامية والوفاق العروبي في بداية هذا القرن. وتلا ذلك ظهور عدد من الصحف والمجلات عملت على تحقيق مترجمات اختلفت قيمة وارتجالاً، لكنها راجت رواجاً كبيراً. فترتب على ذلك ظهور لغة علمية نافست اللغات الأجنبية التي كانت مسيطرة تماماً على لغة العلوم والتقنيات. ويبدو أنه منذ سنة ١٩٣٠، اتجه التيار الاصلاحي الاسلامي إلى تبسيط العربية وتسليسها، بما تقتبسه من مفردات عامية مهذبة، وما تفيده من معاشرتها اللغات الأوروبية توسيعاً لحجم ألفاظها[١٠٤]. وبذلك صارت العربية جديرة باحتلال مكان لتبليغ الحضارة والثقافة التي تعبر عنها مفاهيمها، واتخاذ موضعها في كيان الحضارة العالمية. وهذا الإيمان بشرعية الحضارة العربية تصدّت له الأقطار العربية وحملته إلى محافل المنظمات العالمية، خاصة منها منظمة اليونسكو. إن اللغة العربية تحتل مكانة مرموقة بين اللغات السامية، وهي أولاها في الأسرة اللغوية السامية، فجملتها المركبة وحدات متلاصقة، وأزمنتها الفعلية المطلقة الموجودة في اللغات السامية، وكل ما يميزها عن اللغات الأوروبية، جعلها تحتل مكانة مرموقة بين اللغات العالمية، لما في أصولها الثلاثية من ثراء وقوة تعبيرية، وفي نحوها وصرفها من وحدة في الأسماء والأفعال والجمل، كلها عناصر مميزة أضفت على النثر العربي ذلك الرونق المعروف، رغم المؤثرات الأخرى[١٠٥].

على أن ادخال بنى جديدة على العربية وتجديد النظرة الاصلاحية في العالم الاسلامي، لم يجبر العربية على الخيار بين وضعها كأداة اسلامية ايمانية أو كأداة في خدمة التعريب المتفرع عن القضايا العروبية السياسية. لقد ساد الشعور أن ما تؤديه القومية من دلالة متمثل في أن

= الأردني، السنة ٨، العددان ٢٥ ـ ٢٦ (تموز/ يوليو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٤)، ص ٧ ـ ٣٤. انظر أيضاً: محمد ظافر الصوّاف، التقنيات الحديثة واللغة العربية، الموسم الثقافي الخامس لمجمع اللغة العربية الأردني (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٧)، ص ٥ ـ ٢٩.

(١٠٢) كمال يوسف الحاج، فلسفة اللغة ([بيروت]: دار النشر للجامعيين، [١٩٥٦])، ص ٢٣٦، واللسان العربي، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ٢٤.

(١٠٣) Miquel, *La Littérature arabe,* p. 102.

(١٠٤) «Le Réformisme orthodoxe des salafia et les caractères généraux de son orientation actuelle,» *Revue d'études islamiques* (1932), p. 200.

(١٠٥) الفاسي، «فعالية اللغة العربية،» ص ١٢ ـ ١٥، و

Bulletin d'études arabes (février 1949), p. 5.

الشعوب العربية أجزاء من مجموعة كبرى تدعمها العزيمة بتحقيق أهداف سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية في سبيل مثل أسمى. أما العناصر المؤسسة لذلك الشعور والدافعة بتلك العزيمة، فهي منبثقة من العربية الفصحى ومن التاريخ الذي جسّمه التراث والإسهام الحضاري، بالإضافة إلى ترابط المصالح السياسية والاقتصادية في الحاضر والمستقبل(١٠٦). وقد عبّر الأمير مصطفى الشهابي رئيس مجمع دمشق عن هذه المذهبية السائدة في أقطار المشرق، فذكر أن العروبة، رغم ما اكتنفها من خلفيات وترددات، تجاوزت الاتجاه الاسلامي أو تركته جانباً، متعلقة بالمذهبية العروبية، معبئة قواها باستمرار لذلك الغرض. إن الشعور العروبي عميق قوي في المغرب أيضاً، لكنه كامن ولا يطفو إلاّ من حين إلى آخر(١٠٧). ويجد هذا الشعور متنفساً له في قضية التعريب، باعتبار أن تلونها يختلف في المشرق عنه في المغرب العربي، لاختلاف الأوضاع الثقافية والتاريخية في المنطقتين.

٢ ـ استكمال التعريب في المشرق العربي

لماذا هذا العنوان؟ لقد تضافرت الآراء على أن الشرق كان سبّاقاً إلى ترسيخ عروبته في جذورها الأصلية، وكانت دعامته الأولى اللغة العربية. أما الظرفية السياسية التي خضع لها إثر الحكم العثماني، فقد برزت في واقعه الثقافي الذي تأثر بالقيم الثقافية الانكليزية، خاصة تلك القيم المتميزة بمرونتها وواقعيتها التي بها تتمكن من التكيّف بيسر مع كل الأوضاع، منها رضاها بأن تكون اللغة العربية هي اللغة الفاعلة في الأقطار العربية، وأنه لا يضايقها أن توسع العربية من رقعة نفوذها، خلافاً لما جد في المغرب الذي تعامل مع الثقافة اللاتينية عامة والفرنسية والايطالية خاصة. فكان التصلب المذهبي مؤيداً التصلب الفكري الثقافي الذي يريد السيطرة النظرية على حساب مقومات الحضارة الوطنية. بل إن طمس معالمها هو أحد أهدافه الأساسية التي خطط لها بنيّة بلوغها في أقرب الآجال، ويكون له ذلك عن طريق تفويق لغته. ولا شك أن هذه الوضعية النفسية السياسية هي التي سيّرت وعلّلت كل ما اتخذه المستعمر بعد ذلك من مقررات استهدفت طمس معالم الثقافة المحلية عامة، وأداتها اللغوية بالخصوص. فترتب على ذينك الاتجاهين الاستعماريين رواسب فكرية بقيت في النطاق المحلي دعامات راسخة وجب اقتلاعها تدريجياً وإحلال المقومات القومية محلها. فإن تمتعت اللغة العربية مشرقاً بقدراتها، ولو بصورة نسبية حتى زمن الحكم الأجنبي، فقد أخضعت تلك اللغة نفسها إلى قيود مجحفة مغرباً. فصار التعريب تبعاً لتلك الاعتبارات التاريخية استكمالاً في المشرق لمجاراة النهضة العلمية، وتحول في المغرب إلى قضية وطنية. وفي المشرق، «قد تكون قضية كمالية.. أو بمعنى استكمال المفاهيم لكل ما يستجد من كلمات جديدة...»(١٠٨). هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، لا ينسجم هذا الاتجاه مع الوضع اللغوي المغربي الذي

---

(١٠٦) إحسان عباس، «رسالتان على غرار الغفران والتوابع والزوابع،» اللسان العربي، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ١٢٦.

(١٠٧) Djait, *La Personnalité et le devenir arabo-islamique.*

(١٠٨) اللسان العربي، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ١، ص ٢٥٤.

تحمل أعباء اللغة الأجنبية وآثارها في النفوس والأفكار. «ولذلك فالمشكلة كبيرة وخطيرة. وقد أدرك اخواننا في الشرق ذلك أخيراً، وأدركوا خطورة تأجيل التعريب في الوطن العربي وتحملهم مسؤولية كبرى، لأنه حتى السنوات الأخيرة لم يكن مكتب التعريب يحظى بتأييد كل الدول العربية...»(١٠٩). إن سابقية المشرق في التطور اللغوي حملته مسؤولية لغوية خارج أقطاره، بمعنى أنه في وضع يسمح له بإفادة أشقائه بما حصل عليه من خبرة. «ذلك أن التعريب في المشرق يقتضي الاستزادة من الثروات الفكرية المعاصرة في ميدان القانون (مثلاً) عن طريق نقل ذلك من النتاج الأجنبي... فالتعريب بهذا المعنى وبالنسبة إلى المشرق العربي إذن هو مسألة ثقافية تبحث في نطاق حضاري وتحل في نطاق الدور الذي تؤديه الأمة العربية في المساهمة الفعلية لإنشاء ثقافة قانونية قائمة على قاعدة فكرية عربية أصيلة»(١١٠).

وانطلاقاً من هذا الفارق في تصور مفهوم التعريب، يعتبر الخبراء في المشرق أن الحديث عن التعريب غير ذي موضوع على عكس الحال في المغرب. ذلك أن التعريب أمر واقع عند المشارقة منذ زمان، ولم يعد الخوض فيه من القضايا الوطنية أو حتى المنهجية. ومع ذلك فلا مانع من التحدّث عن الموضوع بين أهل الاختصاص والتباحث في الأمور الفنية، بمعنى الأمور الخاصة بوضع المصطلحات العلمية، وما ينبني على ذلك من عقد الندوات والمؤتمرات على الصعيد العربي، والتفكير في تطوير المؤسسات الموجودة أو إنشاء مؤسسات أخرى متممة لها، مثلاً عند تأسيس المكتب، بعد أن تقرر ذلك في أول مؤتمر للتعريب (١٩٦١). وترتب على ذلك تمويل هذا التأسيس الجديد ودعمه من طرف كل الأقطار العربية المنضوية بالجامعة. والجميع في الوفود الرسمية يدافعون عن المبادىء التي بموجبها تنفذ الخطوط التعريبية، مهما ترتب على ذلك من متاعب ومخاطر، خاصة إذا جدّت العملية في ظروف ارتجال وتسرّع، استجابة لرغبات وطنية ملحّة. وبهذه الصورة، لم يعد للتعريب معنى، ولم يتجسّم في تطوير جذري للذهنيات، بل صار مجرد عملية فنية مجردة من الدافع النفساني الوطني. فانعزلت الحركة التعريبية عن الرأي العام، وصارت مهمة من مهام المؤسسات اللغوية كالمجامع، ففقدت جانباً من دوافعها، خاصة أنه لا ينكر ما للمجامع من كفاءة علمية، فيسلم إليها مصير القضية وتسري الطمأنة على الصعيد اللغوي، وتصير قضية عادية بين القضايا المختلفة التي ينبغي إيجاد الحلول لها(١١١). لكن الأمر الواقع يحتّم علينا تغيير فكرتنا في الموضوع. ذلك أن أقطار المشرق بلغت مستوى العمل بالفنيات الاصطلاحية المتخصصة، وقد سبقتها منذ بداية القرن خلفية متينة من الأعمال اللغوية الصرف يستند إليها لحل المسائل التعريبية. ومع ذلك، فقد ساد الشعور بأن كل تلك المؤسسات اللغوية التي تتبادل الأفكار والمنشورات في ما بينها، والتي تعقد ندوات للنقاش الطويل، لا همّ لها إلاّ الخوض في ما يجد من مسائل علمية مجردة، فإنها لم تشتغل بتطوير اللغة العربية تطويراً سريعاً جذرياً(١١٢). وإذا أردنا إجمال أهداف

---

(١٠٩) المصدر نفسه.

(١١٠) عبد القادر زبادية، «مملكة سنغاي في عهد الاسبقيني، ١٩٤٣ - ١٩٥١،» الأصالة، العددان ٥٨ - ٥٩، ص ٢٧.

(١١١) توضيحات الخبراء بالمكتب.

(١١٢) *Jeune Afrique*, no. 119 (28 janvier 1963), p. 29.

التعريب في المشرق، لقلنا إن اللغة العربية حافظت على وضعها في التعليم، حتى زمن الاحتلال الأجنبي. بينما استقلت أقطار المغرب، ولم يتقدّم التعريب إلّا قليلاً، لأن النقص في تكوين المدرسين العلميين فادح[113]. وعلى هذا الأساس، يريد المغرب الإفادة من هذه الوضعية التي مارست اللغة في العصر الحديث، فأدت بالعربية إلى تقبّل المنابع العلمية دون حرج، إذ إن رغبة المشرق والمغرب تشترك في العمل على رفع هذه اللغة إلى المحافل الدولية، وقيامها بنقل المعرفة العلمية، اعتماداً على ما حصل من تجارب في هذا الميدان، العربي منها والغربي.

واعتباراً لسلامة اللغة ووضوح المفاهيم العلمية، ومطابقتها للمفاهيم العالمية بحيث يكون المدلول العربي الأفضل هو الذي يفوز بالبقاء، ويقضي على أشباه المفاهيم ذات المفعول الخطير على المعرفة العلمية وعلى تفكير المتعلمين، واعتماداً لتجربة الأقطار السابقة إلى العمل التعريبي، جعلت الطلب المغربي في موقع الابن من أبيه. «فالابن المغربي» منذ أن حصل على استقلاله حفز ذاته على سلوك طريق التطور الفكري، فوجد نفسه في وضع فكري طريف جعله يضيف إلى ثقافته العربية الفرنسية، ما أمكنه من الثقافة الانكليزية أيضاً التي تؤديها اللغة العربية في أقطار المشرق. واتضح بسرعة أن الخلافات الاصطلاحية هي الفاصلة بين جناحي الوطن العربي. ويكفي لتبين ذلك مقارنة المصطلح الانكليزي بقرينه المصطلح الفرنسي، اضافة إلى وجوب وضع المصطلح العربي المقابل لهما. لا شك أنها مهمة عسيرة تلك التي تريد صوغ مفهوم ثالث بناء على مفهومين اختلفت دلالتهما، خاصة وأن الوضع الاصطلاحي يختلف في مجمع دمشق، بمفعول التأثير اللاتيني، عنه في مجمع القاهرة أو مجمع بغداد، بسبب التأثير الانكليزي. ويعني ذلك ما يعترض هذا العمل من عسر إذا رمنا التنسيق بين المجامع، ومن باب أولى بين المؤسسات الأخرى، لكونها تعمل بمنهجيات متباعدة[114].

ولن نقوم طبعاً ضمن هذه الدراسة بمتابعة الأطوار التي مرّ بها التعريب في كل قطر من الأقطار العربية، فذلك يتجاوز حدود مشاغلنا المتصلة خاصة بما يمكن للمشرق أن يقدمه للمغرب من مساعدات تيسّر على الأقطار المغربية السير قدماً إلى تحقيق ما تصبو إليه من أصالة حضارية تمتعت بها في القديم، ضمن المحيط الثقافي العربي الشامل. لكن من المفيد الوقوف على بعض الأفكار التي من شأنها أن تساعدنا على إدراك ما أحاط بتلك الأقطار شرقاً وغرباً، من عوامل وحوافز وعوائق أيضاً، لمّا شرعت في تحقيق العمل التعريبي، خاصة على صعيد المدرسة والتدريس العلمي[115]. وقد اعتمدنا بلوغاً لتلك الغاية، مجلة المكتب،

---

(١١٣) توضيحات شفوية.

(١١٤) عبد العزيز بنعبد الله، «من مظاهر الوحدة: التكامل بين شقي العروبة.» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٦.

(١١٥) يوسف عز الدين، «الأثر النفسي والاجتماعي في تعريب التعليم،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة)، العدد ٥٦ (أيار/ مايو ١٩٩٠)، ص ١٤٥ و١٥٢.

ودوريات المجامع وعديداً من المصادر المحلية التي أفادتنا الكثير في تفهم ما استغلق من مسائل ارتبطت بقضية التعريب العلمي والثقافي عامة.

من المعروف أن سوريا هي أول قطر أفاد من تعميم العربية قديماً في العصر الأموي، وحديثاً أيضاً بعد أن قاست ما قاست من الاحتلال العثماني طيلة ما يقرب من خمسة قرون. وفي نهاية هذه الفترة، حاولت تركيا في آخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، تنفيذ التتريك، بأن حملت أهالي الشام على الانسلاخ عن حضارتهم العربية والاندماج في الكيان التركي. فقد شمل التعليم في مستوياته كلها، تدريس اللغة التركية التي خضعت لها أيضاً المدارس الحرّة. ودرّست مبادىء الدين الاسلامي أيضاً باللغة التركية. وبعد القضاء على النفوذ التركي إثر الحرب العالمية الأولى، بادر الوطنيون السوريون إلى تعريب التعليم والإدارة والجيش، وذلك بفضل ما قدّمه مجمع دمشق من مساعدة جليلة، إذ أنشىء سنة ١٩١٩. وإلى جانب نشاطه الرسمي، دفع الحماس الوطني الأفراد من المدرّسين في المرحلة الابتدائية والثانوية على الإسهام بقسطهم في تحقيق التعريب. وكانت جامعة دمشق (التي أنجزت ١٥٠ تأليفاً) هي الأولى في تقديم تدريس باللغة العربية في كلية الطب والصيدلة وطب الأسنان، وكلية الحقوق. وبعد استقلال سوريا، وزوال الاحتلال الفرنسي الذي حاول دون جدوى فرض الفرنسية بدل العربية، ولم ينجح إلاّ في تعويضها بالانكليزية، أنشئت أربع كليات أخرى[١١٦]. واستمرت العربية طيلة أربعين سنة ويزيد في نقل التعليم العالي السوري. وأتيح بذلك تعريب الأجهزة والمعدات وإحداث النظريات العلمية التي استمرت الأقطار الأخرى على اقتباسها بلغة أجنبية، واستخدمت العربية لذلك في لغة فصيحة مبسطة. وبمدرسة الحقوق درّست علوم التشريع بفضل خبراء يمارسون المهنة، فمكّن هذا الأسلوب الطلاب من كسب اللغة العلمية الجديدة كسباً راسخاً[١١٧]. وبموجب ذلك، تأكد أن سوريا كانت الرائدة الحقيقية في حقل التعريب، خاصة في الدراسة الطبية. ذلك أنه ينبغي العودة إلى سنة ١٨٣٢ لإقامة النشاطات العلمية في عصر ابراهيم باشا. وقد فتحت الإرساليات المسيحية منذ سنة ١٨٤٢، مستوصفات تسرّبت منها مبادىء اللغة الطبية. وأنشأ المستشرق الأمريكي «ورتبات» سنة ١٨٦٢ في بيروت، فرعاً للمدرسة الطبية التي فتحها في حلب قبل ذلك، اضافة إلى كلية الطب التي أسسها العثمانيون أيضاً[١١٨]. فكانت بذلك التقاليد الطبية السورية المعرّبة راسخة الجذور، واستمرت إلى اليوم في إنشاء المؤسسات (مثلاً جهاز الترجمة والتعريب الذي أسسته جمعية طب الأسنان، والذي أبدى رغبة في الحصول على مساعدة مكتب التعريب في وضع

(١١٦) ادريس الكتاني، «كيف فشلت تجربة الازدواجية في لغة التعليم بالمغرب العربي،» اللسان العربي، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ٥٣، والتربية الوطنية (نيسان/ ابريل ١٩٦١)، ص ٢٩.

(١١٧) سعيد الأفغاني، حاضر اللغة العربية في الشام (القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٢)، ص ١٣٣.

(١١٨) أحمد شوكت الشطي، «كيف تبلور الفكر العربي في علم الطب،» اللسان العربي، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٧٥.

المصطلحات)[119]، ثم إن وزارة التعليم العالي بسوريا تعمل جاهدة على تطوير العربية ووضع المصطلحات العلمية الموحدة[120]. ومن الطبيعي أن التجربة القطرية التي حصلت في ظروف معينة لم تصل إلى النتائج المرجوة، خاصة وأنها انطلقت بجهود محلية تكاتفت على انجاح الخطة لدوافع وطنية، وكرد فعل في الفترة الأولى على التتريك العثماني، ثم واجهت سياسة الفرنسة التي جرّبتها فرنسا قبل ذلك في الجزائر وفي شمال افريقيا عامة، ولم تنجح فيها في سوريا. لكن الواضح أيضاً أن التجربة التعريبية السورية كانت الانطلاقة التي هيأت الظروف النفسانية للأقطار المجاورة كي تتعرّب. ضمن ما عرفه الوطن العربي من طلائع نهضته الحديثة، دخلت مصر في عصر محمد علي أول مطبعة، وهي الثالثة من نوعها التي تدخل الوطن العربي. إنه الرمز الجديد على أن الثقافة قابلة للانتشار الواسع بواسطة المعرفة المكتوبة. واستقدم محمد علي أطباء أوروبيين، منهم كلوت بك الفرنسي الذي دخل مصر سنة ١٨٢٥ لتنظيم الأجهزة الطبية في الجيش المصري. فقاوم كلوت الأوبئة، وأنشأ مدرسة طبية وأشرف عليها حتى عام ١٨٢٧. وقد كلّف مترجمين لنقل الدراسات الطبية إلى العربية وتدريسها بهذه اللغة[121]. ولم تتأهل مصر في آخر القرن الثامن عشر وتهيىء الكفاءات للقيام بتلك المهمة. ذلك أن المدارس الاسلامية لم تكن تدرس اللغات الأجنبية لأسباب دينية، وكذلك الأمر بالنظر إلى المدارس القبطية. ولم يشعر المصريون بحاجة إلى تعلّم اللغة الفرنسية، خلال الحملة الفرنسية القصيرة، خاصة بين المثقفين بالعربية، فاتصل الفرنسيون حال وصولهم، بشبان من الأقباط وعلّموهم لغتهم، فتفوق منهم: الياس بقطر وهو شاب عمره خمس عشرة سنة. فكلّف بترجمة أوراق الجيش الفرنسي، ورحل إلى مرسيليا حيث أقام بها حتى ١٨١٢، وتوفي سنة ١٨٢١.

وبدأت الأخطاء تتسرب إلى النصوص المترجمة، لأن المترجين الرسميين لم يتكونوا جيداً في اللغة العربية. كان الأسلوب التحريري أقرب إلى العامية منه إلى العربية الفصحى، ويدرك ذلك مقارنة بالوثائق الفرنسية لذلك الوقت، حيث إن قارىء النص المنقول إلى العربية لا يلبث أن يعثر على عبارات مبهمة يعسر إدراك معانيها[122]. وبتوفر التجربة، جدت المقاييس المناسبة للتعريب على الترجمة الجيدة. والملاحظ أن الحديث عن التحرير بلغة قريبة من العامية لا يتعلق إلا بمظهرين للغة نفسها، لأن الازدواجية الحقيقية تتجسد عند الانتقال من لغة إلى أخرى. وعلى هذا الأساس، يمكن التعرّف على المترجم الجيد بمعرفته المتينة للغتين، اللغة المرسلة للفكرة واللغة المستقبلة لها عن طريق الترجمة. وأحسن ترجمة هي تلك

---

(١١٩) «مؤسسة للتعريب والترجمة في دمشق،» اللسان العربي، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ٣، ص ٩.

(١٢٠) عبد العزيز بنعبد الله، «المعجم الصوفي،» اللسان العربي، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ١٩٢.

(١٢١) الشطي، «كيف تبلور الفكر العربي في علم الطب،» ص ٧٣.

(١٢٢) جمال الدين الشيّال، تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية (القاهرة: [د. ن.]، ١٩٥٠)، ص ٦١ - ٦٤.

التي يحلّ فيها التصرّف، وهي التي تترك أثراً مخالفاً لما نجده في الترجمة الحرفية[123]. الواقع أن قضية الترجمة طابعها أدبي، وقد اتسع مداها منذ القرن التاسع عشر. وقد اجتهد المترجمون في نشر المؤلفات المعتبرة في الأدب الفرنسي والانكليزي، وقربوه من قراء العربية، فنشأ لذلك تيار أدبي جديد ونفث دماً جديداً أفاد منه الأدب العربي الذي جدّد وسائله الأسلوبية. وقد تحدّث جبران خليل جبران عن الخيار اللغوي، فقال مستوحياً القرآن: «لكم لغتكم ولي لغتي». وهو يرمي بهذا القول ان لعلماء اللغة القواميس والمعاجم، في حين أن الكاتب لا يملك سوى سمعه وذاكرته يلتقط بهما اللغة المأنوسة. وقد قرّر هؤلاء العلماء أن استعمال الأساليب البلاغية ضروري، لكن الأديب ليس له إلاّ أن يعبّر عن المشاعر التي توحي بها اللغة. لقد دافع جبران عن تيار الواقعية اللغوية العلمية، الذي كان له عميق الأثر في الأدب العربي الحديث. وهذه العلمية الأدبية لم تؤد إلى المادية، بل فتحت أفقاً جديداً لهذا الأدب، وهذا يعني أن اللغة، وإن لم تتخل تماماً عن الأسلوب الرنان في الكتابة، لكنها استوعبت الأسلوب الصحفي، وتجنّبت في الوقت نفسه القوالب غير العربية. ذلك أن الصحافة شرعت باكراً في ترجمة النصوص العلمية والتقنية (طب، رياضيات، فيزياء، علوم عسكرية...). واشتهرت مدرسة الترجمة بإشراف رفاعة الطهطاوي (توفي عام ١٨٧٣)، في عصر محمد علي وحفيده اسماعيل، وتكاثرت، من بين ما تكاثر من ألفاظ، المصطلحات الطبية[124]. ونشطت الترجمة كذلك في بيروت إلى أن تقرر التدريس، رأساً، في أكثر فروعه، بواسطة الكتب الأجنبية، وستتجدد هذه الوضعية في مصر بعد الاحتلال الانكليزي.

وقد أبرز مندوب الكويت في مؤتمر ١٩٧٣ أهمية الترجمة لتطوير المصطلحات العلمية، معتمداً على تجربة بلاده التعريبية حتى نهاية المرحلة الثانوية. وهو يعتبر أن العربية، اضافة إلى السريانية والعبرية، تكتسي بعداً تاريخياً في الكويت لكونه قطراً عربياً سامياً قبائلياً. وعاد بالتاريخ إلى عشرة قرون قبل الميلاد، في عهد ملكة سبأ التي زارت النبي سليمان، لإدراك كنه عروبة هذا القطر في المنطقة. وقد لاحظت الكويت نقصاً في المؤلفات العلمية، واقترح اللجوء إلى الترجمة الآلية، كما تقع في الولايات المتحدة بالنسبة إلى الكتب الروسية والصينية (في جامعة تكساس)، وإقامة تيار التبادل اللغوي، اعتباراً لنسبة الكتب المترجمة، في مصر ثلاثة أمثالها في الأقطار الأخرى. وقد نشرت في الكويت أعمال عن الحضارة العربية الاسلامية، واستخدم الحاسب الالكتروني في البحث اللغوي، مثلاً في بحث احصائي عن جذور الصحاح للجوهري، وكذلك الأمر بالنسبة إلى تاج العروس للزبيدي، بمساعدة تلك الآلة. والغرض من هذه المشاريع المعجمية والتحليل البنائي هو استغلال اللغة لترجمة النصوص العلمية. ولو عدنا إلى الماضي البعيد، للاحظنا أن التضامن العلمي الحقيقي تمّ عبر القرون، على أساس الاقتباس والترجمة، إذ اقتبست اليونان من العلم المصري زمن

---

(١٢٣) الحاج، فلسفة اللغة، ص ١٦٢ و٢٠٧.

(١٢٤) أنيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٧)، ص ١٨٨، ٣٠٨، ٣٦٩، ٣٧٠ و٤٤٨.

الفراعنة ومن العلم الصيني. واستغلّ العرب بدورهم الإرث اليوناني الذي ستتسلمه أوروبا بدورها، وهي تحوله حالياً دراية تقنية. فعلى الأقطار العربية التزوّد بلغة واسطة يدخلون بها في حضارة العصر الصناعي[١٢٥].

وبعد هذه النظرة التي استوجبها موقف مصر من الترجمة منذ الحملة الفرنسية، نلاحظ أن التعليم المصري بدأ يتجه وجهة انكليزية، وتقررت مناهجه منذ ١٨٨٢ في مدارس الحكومة أو المدارس الأهلية. فمن ١٨٨٩ إلى ١٩٠٨، تمّ العمل لمدة عقدين بتعليم ذي منهج انكليزي، وأضاف إليه «ويلمور» تعليماً الزامياً بالعامية، لأنه قدر أن الطفل سيتعلّم القواعد والكتابة بعد سنتين. وأكد أن الاعتراض على هذا المنهج سيترك فراغاً للغات الأجنبية، نظراً لما كانت عليه البلاد من علائق وثيقة مع أوروبا. والحقيقة أن «ويلمور» هذا استهدف تخصيص العامية المصرية لغة للتعليم والمعرفة[١٢٦]. وقد عبّر العقاد أحسن تعبير عن الموقف الوطني لما قال إن الحملة الموجهة على الفصحى تمسّ كل القيم وكل التقاليد الاجتماعية والدينية، وبالتالي جوهر اللغة والفكر والضمير، التي لا يعبر عنها إلاّ باللغة[١٢٧]. وكان هذا الموقف الجديد عاملاً موجهاً لنشاط الجامعة المصرية الفتية (يبدو أنها عرّبت قسماً كبيراً من مناهجها سنة ١٩٦١) التي نزعت إلى مناقشة مختلف المسائل نقاشاً حراً[١٢٨]. وهذه المقابلة بين جامعة دينية محترمة للتقاليد كالأزهر وجامعة متحررة، لعلها كانت تؤدي إلى انفصام في تكوين نخبة البلاد، لولا ما أدخل من اصلاحات تدريجية على أوضاع التدريس بالجامعة الأزهرية التي كانت تسير على مناهج العهد الوسيط[١٢٩]. ولو قارنا بما كان عليه الوضع التعليمي السوداني، في ضوء شبه أوضاع السودان السياسية بالأوضاع المصرية، لتبيّنا مثلاً أن الانكليز، وإن لم يدخلوا لغتهم إلى الكتاتيب، فقد فرضوها في المرحلة الوسطى التي «كان فيها حظ اللغة الانجليزية ثلاث عشرة حصة اسبوعياً وللعربية تسع فقط. وتلت المرحلة الثانوية وفيها كان الطالب السوداني يتلقى كل مواد دراسته باللغة الانجليزية ما عدا الدين واللغة العربية»[١٣٠]. ومنذ الاستقلال سنة ١٩٥٦، شرع السودان في تعريب التدريس والادارة، بفضل جهود أبنائه، وعلى رأسهم وزير التربية وقتذاك الدكتور محيي الدين صابر، فعرّبت مواد انسانية كالتاريخ والجغرافيا، وشمل التعريب العلوم منذ سنة ١٩٦٥، بحيث يمكن اعتبار المرحلة الثانوية معرّبة بصورة عامة. لكن الأسبقية بقيت للانكليزية في جنوب البلاد. وقد أتمّت اللجان

(١٢٥) مؤتمر ١٩٧٣، بحث الأستاذ عليوه (و/ المكتب).

(١٢٦) محجوب بن ميلاد، في: **الفكر** (حزيران/ يونيو ١٩٧٣)، ص ١٣ - ١٤.

(١٢٧) المصدر نفسه.

(١٢٨) محمود حافظ، «تعريب التعليم العالي والجامعي،» (محاضرة ألقاها ضمن وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية (القاهرة) في الدورة ٥١). انظر: عدنان الخطيب، في: **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ٩، العددان ٢٨ - ٢٩ (تموز/ يوليو - كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٥)، ص ٢٠٩ - ٢٤٤، إذ يقول: «قضية التعريب في التعليم العالي والجامعي ترتكز على محاور أو اهتمامات ثلاثة هي الأستاذ والكتاب والطالب» (ص ٢١٤).

(١٢٩) «Le Réformisme orthodoxe des salafia et les caractères généraux de son orientation actuelle,» p. 117.

(١٣٠) «التجربة السودانية في التعريب،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (١٩٧٣)، ج ٣، ص ٣٠.

العاملة لفائدة التعريب سنة ١٩٦٩، استبدال الكتب الانكليزية بكتب مطبوعة في مصر، موافقة للمقرر الجديد. «أما التعريب في الجامعة، فهو يحتاج اليوم إلى جهود عقلية مضنية، فهو بحاجة إلى اللغة العلمية، لا مجرد تعريب المصطلحات. ورغم أننا مقتنعون بضرورة التعريب في المستوى الجامعي، فإن معنا الآن، وخاصة في بعض الأقسام العلمية، عدد لا يستهان به من الأساتذة غير العرب»(١٣١). فقد مرّ السودان بتجربة تعريبية حديثة وأدرك أهمية اللغة العلمية التي لا يمكن تصنيفها وتفريغها في مصطلحات متباعدة المفاهيم. وهذا ما حداه إلى وضع تجربته لفائدة تنمية اللغة العلمية(١٣٢). تلك التنمية لاقت أيضاً اهتماماً كبيراً في الكويت حيث عرّب التعليم العام، وعرّب التعليم العالي، باستثناء العلوم التي تدرّس باللغة الانكليزية، مع العمل على تعريب الدراسات العلمية(١٣٣).

ولا شك أن الأقطار الأخرى وجدت حلولاً محلية تمخضت عن وضع تعريبي خاص بها. فمثلاً نجد أن ما تم من حلول في العراق، انبثق عن قانون عام للتدريس فرض على كل المدارس الوطنية والأجنبية تعليم اللغة العربية، والتاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية باللغة نفسها. ولم يجد العراق صعوبة تذكر في تدريس كل المواد في التعليم الثانوي بالعربية. وعلى من درس من العراقيين في الخارج، المشاركة في اختبار في اللغة العربية قبل الحصول على معادلة شهاداتهم الجامعية، كذلك الأمر بالنسبة إلى الموظفين، الذين ينبغي عليهم متابعة دروس في العربية، إذا كان مستواهم ضعيفاً. أما عن التعليم العالي، فإن تعريبه رهين بما وجد من إمكانات في أطر التدريس وبأوضاع الشعب العلمية (علوم، طب، هندسة، زراعة) التي يدرّس بها أساتذة أجانب، والشعب الاجتماعية (آداب، تربية، حقوق) التي يدرس بها بالعربية أساتذة عراقيون. أما قضية المصطلحات العلمية، فقد تصدّى لها مجمع بغداد الذي روّجها بين المدرسين ومؤلفي الكتب الدراسية، طالباً موافقتهم أو راغباً منهم مراجعتها قبل ترويجها في كل المستويات(١٣٤). لقد أيّدت الصحافة العراقية كثيراً حركة التعريب في العراق، وكان التعريب خاضعاً لطريقة علمية قائمة على وظيفة مثلثة هي: التحري والجمع وانتقاء المفاهيم. وقد بدأت العناية بتعريب المصطلحات التركية، خاصة الألفاظ العسكرية والقضائية والمالية، ثم اعتنى العراق بحركة الجمع والترويج الاصطلاحي وتبعتها فترة مقارنة المصطلحات العراقية بمثيلاتها في الأقطار العربية الأخرى(١٣٥).

---

(١٣١) المصدر نفسه. انظر أيضاً: سيد حامد حرير، «تعريب التعليم الجامعي في السودان،» المجلة العربية للدراسات اللغوية (آب/ اغسطس ١٩٨٣).

(١٣٢) المصدر نفسه، وتاج السر الحسن، «نبذة عن تاريخ حركة التعريب في السودان: المشاكل، تصور الحلول،» اللسان العربي، العدد ٢٧ (١٩٨٦)، ص ٥٩ - ٦٤.

(١٣٣) اللسان العربي، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ٣، ص ٤٩.

(١٣٤) محمد فاضل الجمالي، «العربية بين حماتها وغزاتها،» اللسان العربي، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٢٦.

(١٣٥) حسن الدجيلي، «تطور التعريب في العراق،» اللسان العربي، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ٦١.

وكان لبنان يمثّل أرض اللقاءات، تلاقي الأديان والحضارات التي أمدّته بأحسن ما عندها من تراث. فمثلاً بدأت الطباعة على أرضه منذ سنة ١٦١٠. وقد طرأت على هذا القطر مؤثرات دينية أتته من روما، ومن الحملة الفرنسية على مصر، وحتى عند اندلاع الثورة الفرنسية. وكما حصل في سوريا، فلم يكن الحكم العثماني قد بذل أي جهد يذكر في مجال التثقيف. فقد بدأت السلطنة تخضع لمشيئة لندن وباريس وغيرها من العواصم، فصارت «الرجل المريض» بالمشرق. وبذلك فتح الباب على مصراعيه لتنافس الارساليات المسيحية (الأرثوذكسية، والكاثوليكية، والمارونية، وغيرها). ففتحت لها مدارس روسية وفرنسية وانكليزية وأمريكية. فازداد عدد المثقفين، وهاجر كثيرون منهم إلى مصر وأوروبا وأمريكا. وبمجرد أن ازدهر الوضع الاقتصادي؛ عاد قسم من هؤلاء المهاجرين إلى بلادهم بنيّة تسييرها[١٣٦]. وقد بذل اليسوعيون جهداً عظيماً لفائدة النهوض باللغة العربية، خاصة ترجمة العلوم الحديثة، وذلك بواسطة الرجوع إلى ترويج مصطلحات العهد الوسيط في تيار اللغة الحديثة. وقد انقطعت هذه الحركة لفائدة انشاء تعليم علمي يقدم باللغات الأجنبية. ولم يبذل أي جهد جديد للعمل على تعريب العلوم، باستثناء ما تم تحقيقه في جامعة دمشق طبعاً[١٣٧]. على أن ما أنجزه المجمع العلمي العراقي في مجال التعريب كبير «وقد بدأ مسيرته بالمصطلحات العلمية وتوحيدها، ولكنه لا يزال بعيداً عن التعريب بمعناه الذي يسعى إلى تحقيقه القطر العراقي، فهو مثلاً لم يعقد مؤتمرات وندوات لهذا الغرض، ولم يساهم في تأليف الكتب العلمية أو ترجمتها»[١٣٨].

فمنذ بداية هذا القرن، ألّف بطرس البستاني في جزأين قاموسه **محيط المحيط** الذي اختصره عن قصد، واعتمد القاموس الفيروزآبادي، وسماه **قطر المحيط**. وقد جمع فيه الألفاظ المولّدة والألفاظ العلمية، وكذلك كلمات اللغة العامية التي شرحها بالفصحى، مضيفاً إليها كلمات أعجمية وقد عمل بالترتيب الأبجدي بادئاً من الحرف الأول للأصول الثلاثية[١٣٩]. وقد أكد ابراهيم اليازجي أن على الكاتب وضع مئات وحتى آلاف من المفردات المفقودة في العربية، والتي لا يمكن ادراجها في اللغة على حالها إلاّ بعد أن نتيقن من امكانية استيعابها، واعتبار السوابق واللواحق الأصلية فيها[١٤٠]. وقد اقترح طريقة مماثلة لطريقة ابن خلدون، مفادها استخدام الحركات العربية بصورة تستجيب لضرورات حركة اللغات

---

(١٣٦) محمد جميل بيهم، «كيف انطلقت النهضة الفكرية الحديثة،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٨٧ ـ ٩١.

(١٣٧) عبد الرحيم بدر، «ازدهار اللغة العربية رهن بتشبع الدولة بالروح الاسلامية،» **اللسان العربي**، العدد ٦ (١٩٦٩)، ص ٢٣٥.

(١٣٨) أحمد مطلوب، **حركة التعريب في العراق** (بغداد: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٨٣).

(١٣٩) أمين نخلة، **الحركة اللغوية في لبنان في الصدر الأول من القرن العشرين** (بيروت: مطبعة دار الكتاب، ١٩٥٨)، ص ٦٧ و١١.

(١٤٠) المصدر نفسه، ص ٣٨.

الأجنبية، كأن نجمع مثلاً بين الضمة والفتحة والضمة والكسرة. أما لويس شيخو فإنه يستنكر الحل الذي أذن به اللغويون باستخدام الكلمات والعبارات الأعجمية الغربية عن العربية، وقد أنحى باللائمة على الصحفيين الذين يضعون مصطلحات متعددة لمفهوم أوروبي واحد، وينشرونها على أعمدة الصحف والمؤلفات الجديدة، فيكثرون بذلك من نسبة الأخطاء التي يحفظها القراء(١٤١). وبلوغاً لهذا المستوى من التحليل اللغوي، بدأ القطر اللبناني يتساءل هل من المفيد استخدام العربية تعبيراً عن المفاهيم العلمية، بدلاً عن اللغات الأجنبية، ومفاهيم العهد الوسيط التي تجاوزها الواقع، واستخلاص العبرة من ذلك بشأن تحصيل المدارك العلمية؟(١٤٢) وقد تساءل أيضاً عن الفائدة المرجوة من التعريب الاصطلاحي، وعلى قدرة العربية على تعويض ما جدّ من مصطلحات غربية، بدعوى عيوب في هذه اللغة ـ واقعة أو مزعومة ـ خاصة وأن النهضة الثقافية اللبنانية بدأت منذ القرن السابع عشر، فأتاح لها ذلك إعداد علماء هاجروا بكثرة، وذلك رغم خضوع لبنان للسيطرة العثمانية، المشغولة خاصة بترسيخ الاحتلال، وهذا ما يفسّر تكاثر المدارس الدينية(١٤٣). ويرى المعارضون للتعريب في لبنان أن العمل به، من شأنه النيل من مستوى التعليم، وكانت قناعتهم أن لبنان لو أهمل اللغات الأجنبية كأداة لتطوره، مع الحفاظ على لغته القومية العربية. فلا يكون له اليوم هذه المكانة الممتازة في العالم وهذا المستوى الرفيع الذي يجعل منه أحسن وصلة بين كل أقطار المشرق والغرب(١٤٤). وقد وصفوا العربية بأنها لغة ميتة لا تعكس الحضارة، بل تعزل عنها وتستبدلها بترهات. أما أنصار التعريب، فقد أجابوا أن العربية الفصحى يمكنها التطور إلى مستوى اللغة القياسية، خلافاً للهجة التي لا تستجيب لشروط مرحلة التطور، خاصة وأن الظرفية السياسية والاجتماعية والاقتصادية تعمل لفائدة اللغة الفصحى التي ليست مسؤولة عن مستوى الحضارة العربية المعاصرة أو عن العزلة الثقافية، ذلك أن الوضع في لبنان يقتضي منه تقرير الاتجاهات والخيارات في الحقل الثقافي(١٤٥). وقد صدر كتاب حدد مفهوم التعريب في لبنان، وحللته مجلة المكتب(١٤٦). كان من تأليف أحد المحامين، الذي استنكر التعريب الارتجالي، ورفضه رفضاً قطعياً. فمن رأيه أن التعريب لا بد أن يقوم على مبادىء معينة. فقال إن التحكم في الذات لا يوجد في الاستقلال اللغوي والثقافي، لوجود مؤثرات سياسية وثقافية وتفوق عسكري ورخاء اقتصادي. ولذا، ينبغي التحريض على نشر واستعمال اللغات الأجنبية نشراً أعظم، والتحوّل عن تكرار التجارب التعريبية التي جدت في الأقطار الأخرى

(١٤١) المصدر نفسه، ص ٤٤ و٤٧.
(١٤٢) بدر، «ازدهار اللغة العربية رهن بتشبع الدولة بالروح الاسلامية،» ص ٢٣٦.
(١٤٣) محمد جميل بيهم، «تطور النهضة الثقافية في الشام والمجمع العلمي اللبناني،» اللسان العربي، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ص ١٦٢.
(١٤٤) *Le Soir*, 18/1/1971.
(١٤٥) مواقف، العدد ٣٦ (١٩٧٣)، ص ٣٢ ـ ٥٤.
(١٤٦) الخطابي، «رسالة المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيسه، ١٩٦٢ ـ ١٩٧٢،» ج ٢، ص ١٨.

والتي آلت إلى الفشل. ويؤيد ذلك انخفاض التعليم العلمي في الجامعات والمدارس الثانوية. وبذلك يمكن اعتبار تعريب التعليم اللبناني بمثابة «جريمة»، كما قال، تجاه الأمة، بما يوحيه الكتاب العلمي المعرّب من فكرة خاطئة تجعل الطالب يعتقد أنه استوفى العلم. فيترتب عن ذلك ما سمّاه «بالبداوة الثقافية». وقد وجّه لومه إلى الوضع السائد في القراءة والكتابة والطباعة العربية، ودعا إلى البدء بحل عسرها قبل الحديث عن التعريب[١٤٧].

وقد ناقشت اللسان العربي هذه المواقف، ودحضت زعم المؤلف الذي قال إن لبنان كان في مقدمة تحقيق التعريب في بداية القرن العشرين، ثم إنه بث شكوكاً خطيرة من ناحية أخرى حول النتائج المنتظرة من تجربة التعريب في لبنان. والواقع أن الصعوبات الخاصة باللغة لا يمكن أن تعوق تحقيق التعريب، لأن اللغويين قادرون على ابتكار الحلول. ثم إن إعطاء الأسبقية للغات الأجنبية لنقل التدريس العلمي يمكن أن يحبس العربية في التعبير الأدبي، ويحول دون رواج اللغة القومية بين الأجيال الصاعدة. ومن المفضل استخدام اللغة العربية واللغة الأجنبية في آن واحد، لنقل المواد العلمية، وقد ذكر المؤلف خطأ انعدام التنسيق بين المصطلحات العلمية رغم مرور عقد على إنشاء المكتب الذي تخصص فعلاً في هذه المهمة، وهو الذي كلفته الجامعة العربية بالبحث عن المستجدات العلمية على الصعيد الدولي، واستكمال المفاهيم العلمية العربية. وهذا يكذب طبعاً مزاعم تلك الدعاوى التي لا تولي اعتبارها كرامة العربي اللبناني الذي له حق امتلاك ناصية لغته القومية، كما تفعل دول ليس للغاتها أي اشعاع دولي، مثل البانيا وبلغاريا، بل وكما تفعل اسرائيل، وهي دول كيانات تدرس بلغتها القومية، حتى في التعليم العالي. وقد أثير هذا الموضوع في الملتقى الخامس لمعرفة الفكر الاسلامي الذي انعقد في وهران (حزيران/ يونيو ١٩٧١). إن الواجب الوطني والقومي يدعو إلى التعريب بحزم ودون تردّد أو تشكك، لكن دون ارتجال، بل طبق خطة مدروسة، إنما أيضاً دون تردد أو وجل. ومن الإسهامات التعريبية مثلاً ما قام به بعض الكتّاب المصريين الذين جرّبوا اللغة الجديدة في كتبهم، ونجد من الكتّاب الجزائريين المعبرين عن أفكارهم في الغالب باللغة الفرنسية شعوراً وتفكيراً، لكن الواقع أكد أنهم يفكرون بالعربية وقد شرح ذلك كاتب ياسين الجزائري عندما قال إن الطريق السوي للأدب الجزائري يمر عبر التعبير باللغة العربية[١٤٨]. وعملاً بما سلكته أوروبا، في خصوص ترويج اللغة الحديثة والعلمية، ولما كانت الدعامة الأساسية تتمثّل في قضايا التنمية فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية، تركز العمل على ترجمة المؤلفات العلمية ونشرها ضمن الكتب المدرسية والمجلات والصحف في الوطن العربي، وأسهم المحاضرون من جهتهم في الترويج لهذه اللغة العلمية العربية، بين الحاضرين، بعد أن استوعبوها طيلة أيام دراستهم أو دورات تخصصهم وتدريبهم في جامعات أوروبا، والجامعات الأمريكية وحتى الروسية. ولا مجال الآن لتجاهل

---

(١٤٧) محسن سليم، التعريب في لبنان: مشاكله وأبعاده (بيروت: مطبعة سليم، ١٩٧١)، ص ١٥، ٢٤، ٢٦، ٤٣ و٤٦.

(١٤٨) الخطابي، المصدر نفسه، ص ١٨ - ٢٢.

الاتجاه العلمي الواضح في الأقطار العربية، وقد اتفق أن صاحب هذه الحركة اضطراب في المصطلحات العلمية، بسبب ما جدّ من مبادرات كثيرة في حقل الألفاظ وكفاءة من وضعها. ومن المعلوم أن الخبير بمادته يجهل قواعد وضع المولدات العربية، في حين أن اللغوي لا يعلم إلّا النزر اليسير عن المادة العلمية. وكلاهما يعمل على انفراد. فترتّب على ذلك الغث والسمين من المصطلحات الوفيرة التي كان مصدرها الفرنسية أو الانكليزية. فكانت المصطلحات تدل على مفاهيم مختلفة وربما متناقضة بالإضافة إلى اسهام الألمانية والروسية ولو بصورة محدودة، في العمل الاصطلاحي، وإلى المنهجيات المتميزة بين هذه اللغات. فكان أن ترجمت المفهوم الأعجمي على أساس ما ذكره المعجم العربي، والتوليد والتعريب بتحوير طفيف على البنية.

وإذا كنا قد ألقينا نظرة مجملة على التعريب المشرقي(١٤٩) فقد كان ذلك تمهيداً لقرينه المغربي الذي يعتبر في الأقطار المغربية هدفاً وطنياً، دون التنكّر للثنائية اللغوية السائدة بحظوظ مختلفة في المغرب. وقد أكد الباحثون تميّز هذا الوضع بحيث إن المغربي يتقن الفرنسية كأحد أبنائها والعربية كواحد من العرب. إن هذه الثنائية تخوّل المغربي أن يعبر عن فكره تعبيراً أصيلاً شخصياً، يعني ذلك أنه يجيد القول في اللغتين(١٥٠). ومع رسوخ الفرنسية بالمغرب، فقد بقيت القيم العربية الاسلامية سليمة بحيث يمكن اعتماد هذا المزيج اللغوي الثقافي الحالي المغربي وبلورته ووصله بالثقافة العربية(١٥١).

٣ ـ التعريب في المغرب العربي(١٥٢)

دار النقاش في ندوة نظّمتها اليونسكو حول مفهوم الثقافة العربية المعاصرة وتطورها، واستيعاب الأقطار المغربية لتلك الثقافة، فلم تستخلص نظرة شاملة حول الدلالة الثقافية المغربية في جملتها، بل حدث إبراز للمميزات القطرية. واتضح أن تونس والمغرب الأقصى كانا القطرين المتفوقين والأكثر تمكّناً من مقومات تلك الثقافة، بسبب ما رزحت تحته الجزائر وليبيا من أساليب استعمارية غاشمة استهدفت القضاء على الواقع الثقافي فيهما. ويبدو أن

---

(١٤٩) الملاحظ أن النخبة الفلسطينية اهتمت بقضية التعريب، ولا شك أن جميع الكليات والمعاهد تتجه اتجاهاً قومياً لأسباب طبيعية لا تخفى على أحد. فجامعة بير زيت التي تميل إلى محاكاة الجامعات الغربية أكثر من غيرها، نصّت في مقدمة دليلها العام لسنة ١٩٨٤ على ما يلي: «تهدف الجامعة إلى تهيئة الطلبة ليكونوا مواطنين صالحين فعالين في المجتمع، قادرين على تحمّل المسؤولية ومواجهة تحديات المستقبل». انظر: اسحق الحسيني، «في تعريب التعليم العالي الجامعي،» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**، العدد ٥٦ (أيار/ مايو ١٩٩٠)، ص ٢٠١. انظر أيضاً: محي الدين صابر، «خطاب في ندوة اتحاد المجامع اللغوية العربية في موضوع تعريب التعليم العالي والجامعي في ربع القرن الأخير،» **اللسان العربي**، العدد ٢٤ (١٩٨٥)، ص ٩ ـ ١٥.

(١٥٠) *Jeune Afrique*, no. 304 (2 novembre 1977).

(١٥١) بنعبد الله، «من مظاهر الوحدة: التكامل بين شقي العروبة،» ص ٥.

(١٥٢) محمد المنجي الصيادي، «مسيرة التعريب في المغرب العربي،» **المستقبل العربي**، السنة ٢، العدد ٩ (أيلول/ سبتمبر ١٩٧٩)، ص ٤٩ ـ ٥٩.

تونس والمغرب الأقصى أتيح لهما تجنب مخاطر القطيعة الفكرية والنفسية وكذلك الانسانية التي برزت في الجزائر لطول المدة التي زرع فيها الأجنبي جذور ثقافته الغربية، حتى انفصم الوطنيون إلى مجموعتين، مجموعة تدين بالأدب واللغة والثقافة الفرنسية، وهي وفيرة العدد، ومجموعة ضئيلة تأهلت في الجامعة الزيتونية أو جامعة القرويين أو أحياناً بالأزهر، وتشبعت بالثقافة العربية الاسلامية. فتشكّل بذلك عالمان متجانبان موجودان على الأرض نفسها، لكنهما اختلفا في نظرتهما إلى الحياة، وفي نمطهما الفكري(١٥٣). وقد تطور الوضع الثقافي بالنسبة إلى كل قطر من الأقطار المغربية(١٥٤)، بفضل تدخل عنصر التعريب الشامل، الذي يعني الثقافة كما يعني التعليم والمجتمع، وكان ذلك التطور يظهر ويستقر في كل قطر بنسب متفاوتة. فمثلاً نجد أن تونس اختارت التعريب وأرادت إثراءه بمنهج الثنائية اللغوية الثقافية، واحتكاك الحضارة العربية بالحضارة الغربية، بمفعول شعار جديد يربط الماضي بالحاضر، وكان رمزه أيضاً ثنائياً، بحيث ينطلق من الأصالة ويتجه إلى التفتح على الحضارات الأخرى، خاصة منها الحضارة الفرنسية(١٥٥). لكن الدفع الشعبي في أقصى المغرب حمل حزب الاستقلال على تجسيم التعريب الفوري. فشرع المتطوعون في رفع الأمية عن الكبار، وانتدبت الحكومة، لأول مرة منذ أن زالت الحماية الفرنسية، مدرسين من جامعة القرويين التقليدية والمدارس الاسلامية الحرة، كلفوا بتقديم تعليم معرب إلى جماهير الأطفال، فكانت النتائج مخيبة للآمال، فتقررت العودة إلى نظام التعليم الثنائي. وبالتمعن في أسباب الفشل الذي منيت به تجربة التعريب، اتضح أن تنفيذ المنهاج المعرّب، والعمل بالمنهاج المزدوج في لغته، قادا إلى ظهور جدلية حتمية مستمرة بين المنهاج الأول المستند إلى الأمة العربية والأمم الاسلامية التي يشترك معها المغرب في الحضارة والقومية واللغة الفصحى نفسها، وبين تعريب وطني انطلق من القضايا النوعية المطروحة على المجتمع وشمل المجتمع المغربي. وقد تفوّق في البداية التصور الأول الذي قام على جو كان يعد لمؤتمر ١٩٦١ في الرباط، بإشراف الملك محمد الخامس ملك المغرب الراحل. وقد تأكد في جلسات هذا المؤتمر أن المغاربة التزموا بموقف ناقد تجاه ما حققه التعريب في المشرق العربي(١٥٦). وجملة القول، كان الرأي السائد ان التعريب في المغرب العربي هو مدار جدلية قائمة بينه وبين التفتح والحداثة، وبينهما يقع القرار المغربي. لكن الاتجاه إلى اللغات الأخرى كان لا بد أن يأتي مسبوقاً بدراسات مخططة لحماية الشخصية المغربية من كل مساوىء الحداثة المضرّة بقيمها العربية الاسلامية. ثم إنه لا يمكن الانفصال فجأة عن الامكانات التي خولتها اللغة الفرنسية(١٥٧). ولذا، ينبغي ربط كل تحديث ثقافي بتأصيل مسبق للمقومات الموضوعية المغربية وربطه بالظرفية السياسية والمذهبية

---

(١٥٣) *Annuaire de l'Afrique du Nord* (1969), p. 464.

(١٥٤) انظر: محمد المنجي الصيادي، «من ملامح التطور الفكري في المغرب العربي،» **المستقبل العربي**، السنة ٢، العدد ١٢ (شباط/ فبراير ١٩٨٠)، ص ٦ - ٢٩.

(١٥٥) *Annuaire de l'Afrique du Nord* (1975), p. 363.

(١٥٦) المصدر نفسه، ص ٣٦٤.

(١٥٧) انظر: Gilbert Grandguillaume, *Arabisation et politique linguistique du Maghreb,* collection Islam d'hier et d'aujourd'hui (Paris: Maisonneuve et Larose, 1983).

والنفسانية المحيطة بالمصير المغربي. والحل المثمر يتمثّل في القيام بتعريب شامل تدريجي في آن واحد، يتيح للغة القومية أن تزدهر الازدهار الكامل. وإن وجب التفتح، فليكن لفائدة اللغة العربية بتغذيتها بالمدركات العلمية(١٥٨).

ثم إن الظرفية المغربية ترتبط بدورها بما كان سائداً من وضع على صعيد الجامعة العربية، وما يترتب على ذلك من تناقضات معطلة لتحقيق التعريب المغربي الذي استوجب، إذا ما ارتبط مصيره بمصيرها، الحصول على اجماع عربي شامل كان لا يمكن أن يتم في كل مناسبة(١٥٩)، فتضرر لذلك التعريب المغربي وتعطّل عند تفاقم الخلافات، حتى إن بعض المعادين للتعريب عمدوا إلى الإشارة إلى أن التعريب العروبي صار مقتصراً على ممارسات تعالج علاجاً شكلياً المصطلحات دون المساس بجوهر القضايا التعريبية، التي تتمثل في واقع الأمر في تخطيط سياسة التربية القطرية، وفي الوقت نفسه، فهي تشكيل لسياسة علمية عربية. وربما كان المكتب وليد هذه المنهجية السياسية(١٦٠).

والحديث عمّا تمّ في كل قطر من أقطار المغرب العربي، تحقيقاً لخطط التعريب المترددة بين ادخال تحويرات جزئية طفيفة على سير المناهج التعليمية، وبين مجرد التفكير في العمل باتجاه التعريب الشامل أو التدريجي، إنما يتحدد بالظرفية التاريخية المحلية التي سيطرت على الأوضاع الثقافية والفكرية عامة. ذلك أن هذه المنطقة من الوطن العربي حافظت على ذاتيتها كمجموعة جغرافية سياسية، مبلورة شخصيتها الذاتية منذ أن حصلت على استقلالها (باعتبار موريتانيا التي وإن اجتهدت في تعليم اللغة العربية كأداة تحضيرية تثقيفية، فإنها ما انفكت تستخدم اللغة الفرنسية أداة رسمية في كل معاملاتها مع الخارج). والظروف المحلية تسيطر طبعاً على المنهجية التعريبية. فمثلاً عرّبت ليبيا المرحلة الابتدائية تعريباً كاملاً، مستبعدة استخدام اللغة الأجنبية في هذا المستوى الحيوي في تكوين الطفل. لكن ليس هذا الحل شاملاً في الأقطار الأخرى. فقد عرّبت الجزائر سنتين من تلك المرحلة (١٩٦٧ - ١٩٦٨)، جارت بذلك تونس والمغرب اللتين عملتا بموجب منهج اصطلاحي(١٦١). ومن المعلوم أن الندوة الثالثة لوزراء التربية والتعليم المغاربة المنعقدة بالرباط (١٤ - ١٨ حزيران/ يونيو ١٩٦٩) أوصت بتوحيد التعليم، وتعريب كل مراحله، ضمن «السياسات الثقافية القومية والوحدة المغربية»(١٦٢). وقد تم الاتفاق أيضاً على العمل على إعداد الأطر ذات الكفاءة تحقيقاً للتعريب في أقرب الآجال(١٦٣). وبذلك يتّضح لدينا أن النية على تحقيق التعريب في الأقطار المغربية

---

(١٥٨) أنور الجندي، «الفصحى لغة القرآن،» اللسان العربي، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٦٣ - ٧٤.

(١٥٩) انظر: نازلي معوض أحمد، التعريب والقومية العربية في المغرب العربي، سلسلة الثقافة القومية؛ ٦ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦).

(١٦٠) *Annuaire de l'Afrique du Nord* (1975), p. 365.

(١٦١) حولية شمال افريقيا (١٩٧٠)، ص ١٠٧.

(١٦٢) المصدر نفسه، ص ١٠١ - ١٢٧.

(١٦٣) المصدر نفسه، ص ١٠٧.

واحدة، وإن اختلفت سبل بلوغها، تلك السبل التي تعتبر مفارقات معطلة. فلو اتحدت، أو انسجمت على الأقل، لأمكن مواجهة قضية التعريب بإمكانات محققة أعظم. وتلك المفارقات تحتم علينا متابعة القضية، ولو بإيجاز نرجو أن لا يكون مجحفاً في حق كل قطر، وقد ألقينا نظرة شاملة على المراحل التي قطعها التعريب المغربي القطري، واخترنا الترتيب التاريخي التي حصلت فيه كل دولة مغربية على استقلالها.

لقد عاشت ليبيا فترات تاريخية متميزة، أثّرت في منهجها التربوي. فمنذ العصور الاسلامية الأولى، وكما هو الأمر في مختلف البلاد الاسلامية، كان المسجد مركزاً لكل نشاط فكري، سواء في العصر الفاطمي أو الصنهاجي، فاشتمل المنهج على «العلوم الاسلامية والعربية والطبية والرياضية، وصار هذا الجامع بمثابة جامعة ليبية قائمة بذاتها»[١٦٤] وبعدما توطنت روح الثقافة العربية في هذه الولاية الاسلامية، حلّت اللغة التركية بحلول السلطة التركية (١٨٣٥ ـ ١٩١١)، وصارت تلقن في مدارس الدولة العثمانية بطرابلس، اضافة إلى أن العربية استخدمت لشرح اللغة والأدب التركيين. «وكانت قواعد اللغة العربية تدرس في هذه المدارس، بقدر ما كانت تدرس في المدارس المؤسسة في الولايات التركية الأخرى»[١٦٥].

وفي مطلع القرن العشرين، استمرت التركية لغة متفوقة إلى جانب العربية والفارسية بالإضافة إلى المواد العلمية. كانت دار المعلمين (تأسست سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م) تسير على منهج مقرر طبق هذه الوضعية اللغوية. وقد تمثّلت نواة الجامعة في «دار الفنون» المؤسسة في (١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م)[١٦٦]. لكن التدريس الجامعي الليبي لم يبدأ إلاّ في النصف الثاني من القرن العشرين. وقد مرّت ليبيا أيضاً بفترة الاحتلال الايطالي (١٩١١ ـ ١٩٤٣) التي تميزت بتقليص حقيقي لوضع اللغة العربية، فانحصر دورها في تبليغ القواعد الدينية والنحوية. فصار معلم العربية بمثابة المعين والمساعدة للمعلم الايطالي الذي أنيطت به تنشئة الأجيال في هذا القطر العربي تنشئة لاتينية[١٦٧]. وأمام ضغط الرأي العام الوطني الذي تحول عن ذلك المنهج الماسخ لكيانه، والهادف إلى إذابة شخصيته في البوتقة الفاشستية، «تقرر استخدام العربية في المدارس الابتدائية والثانوية، ويبدأ تعليم الايطالية في الصف الرابع ابتدائي»[١٦٨]، وبقيت المدارس الثانوية تستخدم الايطالية أداة لنقل المعرفة ومبادىء العلوم الحديثة. وبذلك اتضحت معالم السياسة التعليمية الايطالية، واشتدت وطأتها مدة الحكم الفاشستي (١٩٢٣ ـ ١٩٤٣)، وقد تجسّمت في «محاولة القضاء على اللغة العربية إلى جانب القضاء على سائر المظاهر الوطنية في القطر الليبي. وقد ظهر ذلك في التعليم الذي اتضحت فيه محاولة طمس معالم العروبة في البلاد»[١٦٩]. وقد عمل النظام

---

(١٦٤) رأفت غنيمي الشيخ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة (بنغازي: دار التنمية للنشر والتوزيع، ١٩٧٢)، ص ٦٢.

(١٦٥) المصدر نفسه، ص ٦٧.

(١٦٦) المصدر نفسه، ص ١٥٨ و١٦٥.

(١٦٧) المصدر نفسه، ص ١٩.

(١٦٨) المصدر نفسه، ص ٢٢٠.

(١٦٩) المصدر نفسه.

الأجنبي القائم في تلك الفترة على ترسيخ جذور اللغة الايطالية في كل المعاملات، سواء منها الحكومية أو الاجتماعية، فأجبر الليبيون على تعلمها قضاء لمآربهم الحياتية اليومية. وقد تمخض عن هذا الوضع طبعاً تداخل لغوي بين العامية الليبية واللغة الايطالية لم يسيء إلى جوهر العربية.

وقد نتج من قيام الانتداب الانكليزي الذي سبق اعلان الاستقلال، تقسيم البلاد إلى مناطق نفوذ، ففرضت اللغة الفرنسية (وستعوضها الايطالية في تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٥٠، ثم تعود الفرنسية لغة ثانية بداية من ١٩٦٨) في اقليم فزان، وظهر المنهج المصري المتأثر بالمنهج البريطاني في برقة، ونفذ المنهج الانكليزي كما كان في فلسطين وفي طرابلس. وقد كان استقلال ليبيا معلناً عن انطلاق التعاون مع الأقطار العربية في المجال التعليمي والثقافي. فاستعانت ليبيا بالخبرات العربية في مجال التعليم والتربية، إلى أن يتوفر الاطار التعليمي الوطني. ومن الجدير بالذكر أن هذه الخبرات لم تقتصر على التدريس فقط، بل شملت التخطيط والتدريب والوسائل التعليمية[١٧٠]، وغير ذلك من المجالات وثيقة الصلة بالتعليم.

ومع ما كان لهذا الاتجاه من إثراء للثقافة والتعليم الليبي، لما كان من تنوّع في الكفاءات والخبرات والمناهج التي قدمت مع دخول المعلمين العرب، فلم يخل هذا الوضع من شوائب تعلقت حتماً باختلاف المشارب التربوية. من ذلك ما طرحه مؤلف ليبي بخصوص «تمصير» الثقافة وتشريقها بواسطة المدرسين والكتب المدرسية، فتبينت المراحل الممارسة على الكتاب المدرسي الليبي. وقد تطورت من العمل بالنظام التربوي الاسلامي حتى قيام الاحتلال الايطالي سنة ١٩١١ إلى سنة ١٩٤٣، إلى أن قام النظام الاداري العسكري حتى ١٩٥١، فكان الكتاب فرنسياً في الجنوب، ومصرياً في برقة، وفلسطينياً ثم سودانياً وعاد مصرياً في طرابلس. وفي سنة ١٩٥٢، وقع العمل بالطريقة المصرية في كامل البلاد. وبداية من عام ١٩٥٥، بدأ الكتاب يكتسي طابعاً ليبياً، إذ شرع في «تلييب» التعليم. وتحقق ذلك في كتب التاريخ والجغرافيا في السنتين الأخيرتين من المرحلة الابتدائية والسنة الاعدادية الأولى. وبعد قيام ثورة الفاتح من أيلول/ سبتمبر ١٩٦٩، تمّت مراجعة طرق إعداد الكتب، وانتهى العمل سنة ١٩٧٢ بالنسبة إلى المرحلة الأولى الثانوية، وتم توحيد الكتاب العربي الليبي[١٧١].

لكن لا ينبغي اغفال ما كان للانكليزية من تأثير لا زال مفعوله قائماً إلى الآن، سواء المفعول الايجابي أو المفعول السلبي، على الأقل في صعيد الجامعات، ذلك أنه تبين بالدليل الملموس أن الطالب رغم أنه «يدرس اللغة الانجليزية في الجامعة مع اساتذة بريطانيين على مستوى رفيع من الخبرة ومن خريجي اكسفورد وما شاكلها، وعلى الرغم من معامل اللغات ذات الامكانيات الفائقة التي

---

(١٧٠) المصدر نفسه، ص ٣٢٦.

(١٧١) حولية شمال افريقيا (١٩٧٢)، ص ٤١٤.

وفرتها الجامعة كوسيلة متقدمة لتعليم اللغات، فكان هذا الطالب يجد صعوبة في متابعة الدراسة والتعامل بهذه اللغة، مع دوام الشكوى من التعثر في تتبع المحاضرين غير العرب أثناء محاضراتهم بسبب اللغة»(١٧٢). فمنذ سنة ١٩٦٨، تقرر تعميق دراسة هذه اللغة في المرحلة الثانوية، تمكيناً للطلبة الليبيين من حضور فترات التدريب والدروس الانكليزية، ضمن تخصصهم. ومع أن المناهج استوحت فقراتها من النظام الدراسي الانكليزي، فإن الطلاب يفكرون ويتحدثون بالعربية، وربما ترتب على ذلك وجود وضع متدن في اللغة الانكليزية، لم يخول لهم الإفادة من دروسها رغم ما بذل من جهود في هذه السبيل، كما أسلفنا، بغية تمكين الطالب من التصرف في اللغة الأجنبية(١٧٣). أما عن الوضع الجامعي الليبي الراهن، فقد تبين أن عنصر التدريس في ما عرف بالكليات النظرية (علوم انسانية)، كان عربياً، وما عرف بالكليات الخاصة بالعلوم الأساسية والتطبيقية، فإن نسبة الأستاذ العربي بها تتراوح من ٢٥ بالمئة إلى ٨٠ بالمئة. أما لغة التدريس، فهي «في معظم الكليات النظرية العربية، أما في كليات العلوم الأساسية والتطبيقية فهي الانكليزية، ويرجع ذلك إلى عدم توفر الأستاذ العربي وإلى عدم توفر الكتاب العربي»(١٧٤). ذلك أن وجود جامعات متعددة (طرابلس، بنغازي) يتطلب عدداً هاماً من المدرسين لا يمكن توفّره طبعاً على الصعيد القطري الليبي، ولا يمكن انتدابه تماماً من الأقطار العربية التي هي في حاجة إلى الأساتذة العلميين. لكن المستقبل سيتيح الفرصة للخبراء الوطنيين في تأهيل الأساتذة، وللباحثين منهم، للقيام بأبحاث في التاريخ الوطني المعاصر وفي المواد الأخرى باللغة العربية(١٧٥). وبدأنا بالتاريخ بغية تعميم التعرّف على الشخصيات الوطنية، ليدور البحث ضمن هذه الروح. ولا شك أن الاتجاه الوطني الذي ستتخذه البحوث والدراسات الليبية، يعدّ العدة لتحقيق التعريب القويم. وقد تأكد ذلك بعد اجتماع اللجنة العليا للتربية في ١٧ تموز/ يوليو ١٩٧٧، ورشح مشروع اصلاحي استهدف إعداد مواطنين مؤمنين بدينهم ومعتزين بعروبتهم(١٧٦). وجملة القول إن هناك للقطر الليبي كغيره من الأقطار المغربية، مفهوماً عروبياً قطرياً للتعريب يتم بموجبه احلال اللغة العربية محلها المشروع، كلما أمكن ذلك في واقع الحال، خاصة وأن ليبيا تعتبر أن التعريب ينبغي أن يكون في خدمة الأمة العربية، ورداً لكل غزو فكري أجنبي طارىء. والواقع أن الاتجاهين تكاملا فعلاً في القطر الليبي، فشمل التعريب التعليم والادارة والصحافة، وصار استخدام العربية متيسراً لا تعرفه عوائق لغة أخرى متفوقة أو مضايقة للغة الوطنية والقومية. ويؤيد هذه المسيرة ما يعتد به الليبيون من أصالة عربية صميمة(١٧٧).

ولا شك أن المنهجية الليبية التعريبية بذلت الكثير خدمة للغة العربية. ولا يعني ذلك

---

(١٧٢) اللسان العربي، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ١، ص ٢٠٠.
(١٧٣) حولية شمال افريقيا (١٩٦٩)، ص ٥٠١.
(١٧٤) اللسان العربي، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ٣، ص ٥٣.
(١٧٥) حولية شمال افريقيا (١٩٦٦)، ص ٧٩١.
(١٧٦) حولية شمال افريقيا (١٩٧٤)، ص ٤٧٨.
(١٧٧) حولية شمال افريقيا (١٩٧٢)، ص ٤١٩.

أنها لم تلاق الصعوبات، أو أنها لم تواجه ردود الفعل الثقافية الخارجية وتتكيف معها لصالح الثقافة القطرية. من ذلك الاحتفاظ باللغة الثانية لغة حية في المرحلة الثانوية، ولغة تدريس علمي في المرحلة الجامعية، وذلك هو شعار الفعالية المغربية. وهي الفعالية نفسها التي اتجهت بفضلها تونس نحو تحقيق التعريب المخطط التدريجي الذي يمكن اعتباره من أول وهلة تعريباً متردداً متقلباً بين الاقتناع بحتميته والتردّد من مغبة تعميمه[١٧٨]. ذلك أن التعريب التونسي تطور في ثنايا قضايا هامة تجسّمت إثر الاستقلال (٢٠ آذار/ مارس ١٩٥٦)، واعتبرت مصيرية، منها قضية تعميم التعليم الابتدائي بحيث يكون حقاً من حقوق المواطن دون أن تتقرر صبغته الالزامية القانونية. فقد صار منهج هذه المرحلة في العالم أجمع الحد الثقافي الأدنى الذي يجب على المرء اكتسابه. أضف إلى ذلك أنه ينبغي استيعاب أقصى عدد ممكن من الأطفال. وهو الأمر العويص الأساسي الذي يتطلب أعداداً هائلة من المعلمين يُعدّون إعداداً سريعاً محدوداً، سداً لحاجة المدارس إليهم، أو أن يقع انتدابهم دون المستوى العلمي المطلوب ترضية للطلبات المتقاطرة الملحة. أما في الثمانينيات، وفي إطار المخطط الاقتصادي والاجتماعي الثامن، الذي يعدّ العدّة لسنة ٢٠٠٠، فقد زال النقص في أطر التعليم نهائياً، بل إن عدد المعلمين تجاوز الحد المطلوب، فأصبح ارسال عدد منهم كمتعاونين في الخارج أمراً ميسوراً نسبياً. وبموجب القانون الجديد لإصلاح التعليم (الصادر في ٢٩ تموز/ يوليو ١٩٩١)، وبعد أن أوشكت المرحلة الابتدائية المعرّبة من المدرسة الأساسية (٩ سنوات) على النهاية، سوف تنهي هذه المدرسة التعريب الكامل في حدود ١٩٩٦، بحيث تكون المرحلة الأولى من التعليم الثانوي (٣ سنوات) معرّبة تعريباً عمودياً من سنة إلى أخرى بمقتضى قانون ١٩٩١/٧/٢٩ القاضي بتدريس كافة مواد التعليم الأساسي باللغة العربية[١٧٩]. وبالطبع تتجدد الأساليب استجابة لطلبات التعريب، ويتمثّل ذلك في طريقة الإعداد التي تبدأ بتحقيق العمل الاصطلاحي والشروع في التنفيذ في بداية الموسم الدراسي ١٩٩٢، بحيث يتم اعداد درس تأليفي باللغة العربية في السنة الرابعة من أساتذية المواد العلمية والتقنية المخصصة لتهيئة الأساتذة القادرين على تدريس هذه المواد باللغة العربية[١٨٠].

وعلى الرغم من هذه الاعتبارات الموضوعية في حد ذاتها، والتي تواجه كل قطر عزم على نشر التعليم على الصعيد الوطني، والتدريس بلغته القومية، على أقل تقدير تعليم المواد المرتبطة بالحياة الوطنية باللغة العربية[١٨١]، وعلى هذا الأساس، عُرّبت سنتان من المرحلة الابتدائية تعريباً شاملاً. وتوقف هذا الاتجاه العمودي إلى تعريب سنوات التعليم الابتدائي الست، سنة بعد سنة، إثر دخول اصلاح التعليم حيز التنفيذ في تشرين الأول/ اكتوبر

---

(١٧٨) محمد المنجي الصيادي، «تجربة التعريب في تونس،» اللسان العربي، السنة ١١ (١٩٧٤) (بالفرنسية).

(١٧٩) *Le Renouveau*, 5/1/1992.

(١٨٠) الصباح، ١٩٩٢/١/١٦، والحرية، ١٩٩٢/١/١٩.

(١٨١) Mohammad Mongi Al Sayyadi, «L'Enseignement de la langue arabe en Tunisie,» (Thèse, Paris III, 1972), p. 284.

١٩٥٨. ودائماً جرياً وراء النجاعة الملموسة المتصلة بالواقع المحلي، استقر الرأي على الاستمرار في تعليم اللغة الفرنسية في المرحلة الابتدائية إلى جانب التمادي في المنهج التعريبي. وقفزت العملية التعريبية الظرفية، بعدما كانت ستشمل كل قطاعات التعليم، إلى التعليم الثانوي الذي خضع مثل التعليم الابتدائي إلى التوحيد ضمن نظام مدرسي وطني واحد. فشمل التعريب في المدارس الثانوية شعبة معرّبة تماماً، إلى جانب شعبة مزدوجة اللغة، وشعبة انتقالية باللغة الفرنسية. وبذلك، يكون التوحيد التعليمي قد اكتسى طابعاً ادارياً، وتفرع إلى شعب تختلف باختلاف اللغات المؤدية إلى المعرفة. وكان لهذا التشابك اللغوي مفعوله السلبي الذي تمثّل في انخفاض المستوى في اللغة الفرنسية بالنسبة إلى الشعبة المعرّبة. وبالطبع، لا يعقل أن نطالب تلميذاً ناطقاً بالعربية بأن ينافس صاحب اللغة الأجنبية الذي يمتلك ناصيتها، ولو نظرياً. فتلك اشكالية قابلة للنقاش الطويل، حيث إن التحصيل في أية لغة كان يقوم على كسب الطفل في البيت والشارع. من الطبيعي أن نطالب الطفل العربي باتقان لغته، ولا يعقل أن نطالبه في الوقت نفسه بالتبحر في إحدى اللغات الأجنبية. ذلك أن العبرة ليست بحجم ما يكسبه من مفردات بقدر ما هي متعلقة بقدرته على التصرف في بنى تلك اللغة، وبالأخص أن نعمل على إكسابه لغة وظيفية يستخدمها في دراسته العليا، كأن نؤكد منذ التعليم الثانوي على ما يكسبه الطالب من لغة الزراعة، إذا كان منخرطاً مثلاً في مدرسة ثانوية زراعية وهكذا، يكون تحصيله اللغوي الأجنبي مرتبطاً بما يترقّب هو من تلك اللغة، ومرتبطاً بتأهيله للحياة الاجتماعية. وفي الجملة، ومن باب النجاعة التربوية، لا نطالب أي طالب مغربي أو عربي باتقان لغة معينة إلّا إذا رام التخصص فيها بغية تدريسها كلغة حية، كما أننا لا نقدر أن نطالب الأجنبي بالتبحر في اللغة العربية إلّا إذا قرر الاختصاص في الدراسات العربية بمحض ارادته وعن سابق دراية بالصعوبات التي تترقّبه خلال تدارسه اللغة العربية. ذلك أن شاغل المنهجية في التدريس اللغوي ينبغي أن يكون حاسماً.

وليس من شك في أن اللغة العربية قد استفادت مما طرأ من نقص على حجم المعارف الملقنة باللغة الفرنسية، بالنسبة إلى تونس[١٨٢]. ثم إن المنهج التعريبي في القطر الواحد يكون مدعاة اختلاف في إعداد الأجيال من الوجهة الذهنية. وقد برز هذا العيب في الشعبة المعرّبة أساساً، لأنها لم تمثّل سوى إحدى الرغبات القومية القديمة، فلم تهيأ لها أسباب النجاح، كمستقبل المتخرجين وتأهيلهم للوظائف نفسها التي يتمتع بها المتخرجون من الشعب الأخرى. وعند ارادة توسيعها، تبين أن عدد المدرسين المعربين القادرين على مواصلة التجربة قليل وكذلك كتب الدراسة.

وبداية من الموسم الدراسي ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨، وقع العدول عن التعريب المتواصل الشامل، والعودة إلى العمل بنظام تعليمي يعتمد لغتين في التدريس، وذلك منذ المرحلة الابتدائية. صحيح أن التعريب نبع من رغبة عميقة عبّر عنها الأهالي مراراً منذ كانت الحماية

(١٨٢) حولية شمال افريقيا (١٩٦٦)، ص ٣٥٥.

الفرنسية قائمة في البلاد. ونبعت هذه الرغبة من الفئات الشعبية غير القادرة على مواجهة التعليم بلغتين متوازيتين في المدرسة فحسب، لأن البيت والشارع يرفضان التعامل باللغة الأجنبية إلّا في بعض الحالات الشاذة التي لا يؤبه بها. لكن الواقع الاداري وواقع المعاملات الاقتصادية مع أوروبا حتّما على النخبة المشرفة على التسيير استخدام اللغة الفرنسية كأداة عمل، تحتل مكانة ممتازة لم تكن تحلم بها حتى أيام السيطرة الفرنسية في تونس، وذلك بفضل الجهود الوطنية المبذولة في حقل تعميم التعليم الابتدائي. لكن هذه اللغة لم تكن لغة الطفل الأصلية في يوم ما[183] وبقي على الرغم من ذلك الخيار اللغوي الثنائي، وسيطر على مصير الطلاب خاصة في التعليم الثانوي، ومن باب أولى في الجامعة حيث عربت بعض المواد في العلوم الانسانية الاجتماعية في كلية الآداب وكلية الحقوق[184]. ويستند ذلك الخيار طبعاً إلى اتجاه سياسي مذهبي. ذلك أن التعريب كان مطلباً ملحّاً مدة الاستقلال، تشبّع بالحماس والاندفاع الوطني. لكن ما لبث أن صار هذا الاتجاه الفكري الثقافي محل نظر ومراجعة، وتلا الاندفاع الرصانة والتفكير في أنجع السبل الموصلة إلى الهدف المنشود، المتمثل في إعداد الشباب للقيام بوظائف اجتماعية معينة، لا تكون اللغة فيها هي المسيطرة على مصير الأجيال المتعلمة. وهذا ما أوضحه السيد الهادي نويرة الأمين العام للحزب الاشتراكي الدستوري التونسي والوزير الأول، في خطابه المنهجي الذي ألقاه في المؤتمر العاشر للحزب المذكور. فقد بيّن أن الأصالة لا تعني قسراً التعلّق بالماضي دون مراجعته والسيطرة عليه. ثم أضاف:

«ولذا، كي نتمكن من اللحاق بالقافلة، يتعيّن علينا الارتواء من مصادر ثقافية أخرى ومن حضارات مغايرة، بدلاً من الاكتفاء بارتياد المعارف عن طريق الترجمة... وهكذا تصير اللغة التي هي أداة لنقل المعرفة مشكلة، ثانوية، بل وبالأحرى مشكلة مزعومة»[185]. وتعليل هذه النزعة يؤكد أن الوطنيين الذين تحملوا، وما زالوا يتحمّلون، مسؤوليات الحكم في تونس ازدوجت ثقافتهم، وقد اعتبروا أن التعريب ليكون جدياً، ينبغي أن يكون تدريجياً[186]. وبالأخص، فلقد تجلّت نظرية تونس في التعريب بوضوح أكبر سنة ١٩٦٨، لما تقرّر الرجوع إلى تعليم الفرنسية بداية من السنة الأولى من التعليم الابتدائي، ذلك أن تصور التعريب لدى المسؤولين لا يتفق والتخلي عن اللغة الأجنبية في هذه المرحلة[187]. وقد أوضح الأستاذ الشاذلي القليبي عندما كان وزيراً للشؤون الثقافية أن مستقبل شمال افريقيا يتجلى بوضوح كبير في اتجاه الثقافة اتجاهاً عربياً مغربياً نوعياً. وقد كان الحديث عن التعريب مناسبة للتوسع في الحديث عن تطوير العربية وتغذيتها بعبارات مستمدة من اللهجة التونسية، عملاً بما سنه رئيس الدولة التونسية في خطبه، حيث اتجه فيها إلى الجماهير بغية تثقيفهم وتنوير أذهانهم في لغة عامية مهذبة[188]. والأستاذ الشاذلي

---

(١٨٣) حولية شمال افريقيا (١٩٦٧)، ص ٣٢.

(١٨٤) «تحويلات واصلاحات هيكلية للتعليم في تونس،» حولية شمال افريقيا (١٩٦٧)، ص ٤٥ - ١١٣.

(١٨٥) الصباح، ١٩٦٩/٩/٦.

(١٨٦) حولية شمال افريقيا (١٩٦٧)، ص ٣٢.

(١٨٧) حولية شمال افريقيا (١٩٦٩)، ص ٤٨٥.

(١٨٨) المصدر نفسه، ص ٤٩١.

القليبي الأمين العام للجامعة اليوم يستغرب الحديث عن التعريب لا كعمل اصطلاحي بل كظاهرة فريدة وكأنها غريبة عن الأقطار الناطقة باللغة العربية، ومن رأيه أنه لا يمكن أن يكون التعريب إلّا بقدر ما يقدمه أهل العربية من خدمات ملموسة لتطوير هذه اللغة والخروج بها من بؤرة التخلف عن العصر[189].

وخلافاً لما كان عليه الأمر في الجزائر والمغرب الأقصى، صارت قضية التعريب تشغل بال الناس في تونس، ودار النقاش حولها وحمي، وخاض مجلس النواب في الأمر. لكن الاشكالية التعريبية تعدّت البحث النظري وتطرّقت إلى قضايا تربوية حاسمة، مثل إعداد المدرسين والكتب المعرّبة. لكن المرحلة الابتدائية لتأثيرها العظيم بسبب كثرة المتخرجين فيها، استأثرت كأساس تعليمي، بالاهتمام العام بعد أن ظهرت أعداد هائلة من الأطفال غير الناجحين في نهاية هذه المرحلة، رغم أنها خضعت للتّوْنَسَة أو التعريب البشري، بحيث إن الإطار التعليمي والإطار المسيّر صارا من الوطنيين، في حين أن نسبة المدرسين الأجانب كانت تقدر بـ ٤٢ بالمئة في المرحلة الثانوية، وبـ ٥٥ بالمئة في الجامعة سنة ١٩٧٠[190]. والرأي السائد أن التعريب لو أعطى ثماراً محسوسة سريعة لم يعترها الشك في الأقطار العربية الأخرى، لما ترددت تونس في جعله شاملاً. وبذلك نكون أمام أزمة إقناع تقدم صلاح التعريب في واقع الحال على تأخيره، وترقب ما يجد من ابتكارات عروبية في هذا الحقل. ذلك أن التجربة أخفقت بعد البدء فيها في تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٥٨. فتميّزت فكرة التفويق والحفاظ على المستوى الدراسي العام وتجاوزت كل اعتبار حماسي آخر، وكذلك أن يضع المسؤولون التربويون نصب أعينهم قضية مستوى المعلم، علماً وكفاءة تربوية. وذلك الشاغل الرئيسي هو الذي ستر إلى حين الدافع الوطني المتمثل في الأصالة التي انبثق عنها التعريب والتّوْنَسَة. ولا أحد يرغب في تحمّل وزر فشل جديد، أو أن يغامر بمستقبل الأجيال، عن طريق الإضرار بالمستوى الدراسي والمنهج التربوي، خاصة وأن الاتجاه إلى التعليم العلمي والتقني وتحريض الطلاب على ذلك يمنعان كل ترقب لغوي، بل يفرضان استخدام اللغة الأجنبية القادرة على سد الحاجة إلى الاصطلاحات العلمية والتقنية فوراً، وذلك ربطاً بإمكانات استيعاب سوق الشغل للكفاءات العلمية قبل غيرها، وتخفيفاً من عبء الكثرة المتكاثرة من المتحصلين في الشعب الأدبية. لكن المبادرات التعريبية لم تتوقف البتة، بحيث جدت أعمال في المستوى الجامعي، فقررت المجالس العلمية بالكليات الأدبية تعريب مواد حساسة مثل التاريخ والفلسفة[191]، وحصلت هذه البادرة على تأييد الطلاب والمدرسين الذين رغبوا من قديم في رفع ما كان من امتياز للغة الفرنسية في حقل التعليم: «ومن الغريب أيضاً أن يعتبر البعض أن اللغة العربية قادرة على استيعاب الأفكار الفلسفية التي هي وقف في نظرهم على اللغة الفرنسية وغيرها من اللغات الحية الأخرى»[192] وحالما تمت عملية تسلم مصائر التعليم الابتدائي من طرف

---

(١٨٩) *La Presse*, 30/10/1969.

(١٩٠) حولية شمال افريقيا (١٩٧٦)، ص ٤١٨ و٤٢٠.

(١٩١) *La Presse*, 6/1/1972.

(١٩٢) العمل، ٢١/١١/١٩٧٦.

أيد تونسية (تونسة)، بدأ التعريب يتمثّل كمرحلة لا رجعة فيها، واتضح من خطة مدروسة شرع في تنفيذها منذ الموسم الدراسي ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧، أنه سينتهي من تعريب المرحلة الابتدائية في الموسم ١٩٨٠ ـ ١٩٨١. أما في المرحلة الثانوية، ورغم المصاعب والاعتراضات(١٩٣)، فقد شرع في تدريس الفلسفة باللغة منذ موسم ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧، خاصة وأن المفاهيم الفلسفية العربية موجودة منذ بداية هذا القرن، ولم يعوزها إلّا التنسيق بين الأقطار العربية لاستغلالها على أحسن وجه(١٩٤). وتمّ كذلك تعريب التاريخ إلى نهاية المرحلة الثانوية، وتجسّم ذلك في نشر كتاب دراسي للسنة النهائية (السابعة) بغية «توفير الوسائل التعليمية اللازمة لتدريس مادة التاريخ باللغة العربية في كامل مستويات التعليم الثانوي والثانوي المهني»(١٩٥). «وأن عملية تعريب الجغرافيا مع توفير وسائلها التعليمية متواصلة باستمرار، بحيث إنها ستشمل في هذا الموسم الدراسي مستوى السنة الرابعة من التعليم الثانوي». ومع ذلك، فالاحتفاظ بالفرنسية لا يتناقض والتعريب، بسبب ما لهذه اللغة من انتشار، وما تركز في البلاد من مقومات ثقافية ناتجة من الثنائية اللغوية(١٩٦).

والمستخلص جملة من صيغة التعريب في تونس، وتحديداً القضية على الصعيد التعليمي، لكون التعريب الاداري والاجتماعي سيأخذ حظه تدريجياً متمخضاً عمّا يتجسّم من نتائج ملموسة في حقل التدريس، إن مجمل القول هو «إن التجربة التي أقدمت عليها وزارة التربية القومية تعبّر عن إرادة صادقة في وضع حد لسيطرة اللغة الفرنسية التي طغت على علاقاتنا، وحتى تاريخنا وواقعنا القومي الذي استمر طويلاً يدرس بالفرنسية، وهذا من شأنه أن يخلق شباباً غير متماسك الشخصية. إننا إذا عكسنا هذا التيار وناصبناه العداء وادعينا أننا غير قادرين على خلق انتاج قومي كالكتب المدرسية مثلاً، فإننا حكمنا على أنفسنا بالتبعية الثقافية الأبدية...»(١٩٧).

حسب بعض المؤلفين الفرنسيين(١٩٨) فإن الاستقلال لم يضع حداً للنزاع الاجتماعي اللغوي (المزعوم) الذي انتقل من التناقض بين جهازين لغويين مستقلين هما الفرنسية والعربية، أو بين الفرنسية وازدواج لغوي فرنسي عربي، إلى مواجهة بين ثنائية فرنسية عربية وارادة التعريب. وفضلاً عن أن هذا التنظير المجتمعي غامض ولا يستند إلى التطور الاجتماعي الوطني، فإن الاتجاه نحو انجاز التعريب حالياً (١٩٩٢) يناقضه. ففي سنوات قليلة ستبلغ المسيرة التعريبية غايتها في المرحلة الثانوية الأولى، ويشرع بداية من ١٩٩٦ في تعريب المواد العلمية في المرحلة الثانية (٤ سنوات)، ويشمل ذلك كتب الدراسة وتكوين المدرسين وإعادة تدريب العاملين منهم وإعداد المراجع. أما في التعليم العالي فقد تمحور العمل التعريبي على تأهيل المدرسين وضبط المصطلحات والطرق التدريسية بحيث تشمل

---

(١٩٣) المصدر نفسه.

(١٩٤) حولية شمال افريقيا (١٩٧٦)، ص ٥٤٥.

(١٩٥) منشور وزارة التربية القومية رقم ٧٩/١٢٧، ١٩٧٩/٩/٢٤.

(١٩٦) *Dialogue*, no. 265 (1 octobre 1979).

(١٩٧) العمل، ١٩٧٦/١١/٢١.

(١٩٨) انظر: Christine Souriau, *Les Classes moyennes au Maghreb* (Paris: CNRS, 1980), p. 298.

المنهجية ـ بعد تقييم التجارب المعرّبة السابقة ـ تحسيس الطلبة في الكليات والمعاهد العليا ودور المعلمين بكافة مراحلها، قضايا تعريب الرياضيات وكافة المواد العلمية، فتلقى عليهم دروس معربة للإفادة وتصحيح ما ينتاب التجربة من عوائق والاستمرار فيها وتوجيهها التوجيه الأفضل(١٩٩).

والمعتقد أنه تمّ ترسيخ اللغة العربية على أسس ثابتة في البلاد التي فتحها الاسلام، ونستثني من ذلك الأقطار التي تملك لغة وطنية كفارس. وارتبط ما كان من ازدهار لتلك اللغة باعتناق الدين الاسلامي بحيث كانت المدد التي انتشرت فيها العربية متفاوتة. من ذلك أن رسوخ العربية في شمال افريقيا تطلب قرناً كاملاً، كما روى ذلك المؤرخ أبو زيد القيرواني، فقد ارتد البربر اثنتي عشرة مرة، حسب قوله، فتأخر لذلك تعريب الأهالي، كما حصل في أقصى المغرب إذ تعطل التعريب في ما يبدو عند قدوم الخوارج، ولما ترسّخ العربية بعد. وما أن تولّى الأدارسة الحكم حتى رسخت جذورها رسوخاً متيناً، خاصة وأن جامع القرويين الذي أنشىء سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م، كان حاسماً. وبدأ التبادل الثقافي بين المغرب والقيروان وقرطبة. فبدأت رحلات الطلبة المغاربة، وقدمت الوفود إلى فاس. وقد غلبت العربية اللغة البربرية في المدن وعلى السواحل، ولم تصمد لغة البربر إلّا في المناطق الجبلية. وقد ساعد أهل الأندلس مساعدة هامة على تعريب أقصى المغرب. ولم ينشط البربر إلا في عصر المرابطين بسبب ما طرأ عليه من اضطراب سياسي. ذلك أن هذه الدولة دعمت الوحدة مع الأندلس، ونشرت الثقافة العربية، لكن البربرية استمرت أداة وصل بالأهالي الذين لم يعرّبوا بعد، وذلك إلى أن جدت الغزوة الكبرى لبني هلال (القرن الخامس هـ/ الحادي عشر م)(٢٠٠). ولا نغفل الإشارة إلى أن أول نواة لنشر العربية قدمت من القيروان التي أقامت سنة ٧٥هـ نظاماً اجتماعياً ثقافياً حاكى في ترتيباته الدولة الأموية بدمشق(٢٠١).

ولعل المغرب الأقصى تأثر أيضاً بالحضارة الفارسية والبيزنطية. فتمخّض عن كل ذلك التعريب الثقافي والحضاري، ومثال ذلك الصنائع التقليدية التي استخدمت لغة مشرقية وقيروانية وأندلسية. ولعل خطبة طارق بن زياد هي التي كانت المنطلق لبعث لغة «مغربية» راجت في شكل لغة شعبية، بالإضافة إلى اللغة الفصحى التي تعامل بها الأدباء. ويبدو أن منهجية علمية مقارنة قد تشكّلت تبعاً لوجود الأديب في المشرق العربي حيث تستوفي

---

(١٩٩) *Le Renouveau*, 5/1/1992.

(٢٠٠) عباس بن عبد الله الجراري، «مراحل التعريب الأولى في المغرب،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ٣٥٩ ـ ٣٦٤.

(٢٠١) عبد العزيز الدوري، «الإسلام وانتشار اللغة العربية والتعريب،» ورقة قدّمت إلى: **القومية العربية والإسلام: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظّمها مركز دراسات الوحدة العربية** (بيروت: المركز، ١٩٨١). «التعريب يعني رابطة بين وضع لغوي ومجموعة أساليب وأذواق وعادات فكرية لا علاقة لها بالتكوين البشري. ويلاحظ بعد هذا أن التعريب ارتبط بصورة وثيقة بالإسلام في المغرب ومع أنهما لا يتطابقان لأن نطاق الاسلام هو الأشمل، فإننا لا نجد تعارضاً بينهما في المغرب، إذ لم تقم حركة ثقافية أو اجتماعية مضادة للتعريب أو للإسلام بعد انتشاره» (ص ٨١).

الدراسات النظرية، وفي المغرب العربي حيث يقع تحليل الكتب السابقة تحليلاً نقدياً استقصائياً، خلافاً للطريقة المتبعة في الشرق، التي نزعت إلى الاختصار في التأليف والتدريس. ومن لغة عامة شعبية رائجة في العهد الوسيط بالمغرب الأقصى، تطورت تلك اللغة الأهلية، بعد امتزاجها بعبارات قرآنية وحديثية نجمت عن حفظ القرآن ونشر الأفكار الدينية والعلوم الفقهية، كل ذلك ضمن التأثير الديني الحاسم. ثم إن نمو حركة التصّوف في هذه البلاد خاصة في الريف، أتاح تأسيس روابط حادت بالتصوّف عن نهجه القويم بعد القرن الثامن هـ، لكن استمر تدارس الكتب الصوفية، وفقه الأحاديث والتفاسير، فذاعت اللغة الصوفية بين المثقفين وطبقات الأهالي، فكان ذلك دعماً للدين والعربية(٢٠٢).

وفي الجملة، يمكن التحدّث عن تطور طرأ على الفكر العلمي والتقني واللغوي طبعاً في أقصى المغرب، خلال العهد الوسيط. ذلك أن هذه البلاد استندت إلى بلدان المشرق في خصوص الطب والصيدلة والكيمياء. وأسهمت الأندلس في ذلك الجهد، خاصة بداية من القرن الثاني عشر حيث درس الطب بفاس. ويبدو أن أول طبيب رحل من الأندلس إلى المغرب هو ابن زهر، بعد أن استولى المرابطون على البلاد الأندلسية، وقد كشف أمراضاً عدة بفضل التجريب. واعتبره ابن رشد من أحسن أطباء عصره. وابن زهر هو الذي علّل ظاهرة الدورة الدموية، وقد تلقفها عنه وليام هارفي (William Harvey) وبذلك، كانت الحركة العلمية مزدهرة في أقصى المغرب بصورة عامة خلال القرن السابع هـ. وقبل هذا العصر. وقد انصهرت المصطلحات المحلية في المعاجم المشرقية، باستثناء الألفاظ الخاصة بأسماء من أصل بربري أو محلي، كالنباتات والأعشاب والأزهار. وبداية من القرن الثامن هـ، مرّت البلاد بفترة من التقهقر العلمي، وتدنى الوضع إلى أن فقدت العلوم ميزاتها وصارت فنيات محلية، كما وقع عند الأطباء الذين قال عنهم ابن رشد أنهم صاروا صناع يد وفقدوا مقدرتهم العلمية. بقيت الروح العلمية نابضة طبعاً، لكن ميدان العمليات التطبيقية اتسع تماماً، حتى في الرياضيات ولم يعد التدريس الطبي أو العلمي محدد المعالم، بل إن التدريس غرق بصورة عامة في الابهام. وبقدوم العصور الحديثة، اتجه المغرب الأقصى إلى أوروبا لتطوير الدراسات الطبية، قبل أن تفقد قيمتها، واتجه نادراً إلى مصر التي زوّدت المغرب بالمؤلفات، لما قرّ عزمه على تهيئة تعليم معرّب حرّ في شمال البلاد، في المنطقة التي كانت تحت الحكم الاسباني، في حين أن المنطقة الخاضعة للنفوذ الفرنسي أقيم بها تدريس العربية بصفتها لغة فصيحة حية. هذا ومن المفيد إلقاء نظرة أخيرة على الماضي المغربي الثقافي والفكري الذي امتد تأثيره حتى مجاهل افريقيا السوداء، في «تمبكتو» التي إرتادها علماء مغاربة في العهد الوسيط. و «كان توارد الأساتذة من بلدان المغرب على تمبكتو قد أخذ شكلاً أوسع خلال القرن السادس عشر. وكانت نسبة كبيرة من المدرسين بتلك المدينة من بلدان المغرب»(٢٠٣). وبعد انهاء الدراسة

---

(٢٠٢) عبد العزيز بنعبد الله، «تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ص ٢٠٦ ـ ٢٤٨.

(٢٠٣) عبد القادر زبادية، «ملامح الحركة التعليمية في تمبكتو خلال القرن السادس عشر،» **الأصالة**، العدد ٥٣ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٨)، ص ١٨.

بها، يستكمل الطلاب علومهم بالخارج، في أقصى المغرب وفي المشرق أيضاً. فهذه الظاهرة المتمثلة في الاشعاع العلمي منذ العصور الماضية لا شك أنها قاعدة راسخة لمواجهة ما تشابك في البلاد من قيم حضارية (فرنسية واسبانية) زاحمت العربية في ديارها، بغية التفوق الفكري.

وكما بيّنا تلميحاً إلى ما كان عليه وضع التعريب في المغرب العربي عامة، فإن أقصى المغرب أراد إيقاف الزحف اللغوي الأجنبي منذ الاستقلال، فعجّل بتعريب التعليم دون سابق إعداد لخطة محكمة. تقرر تأهيل المدرسين وتأليف الكتب، وكذلك الاستشارة والاستعانة بالتجربة العربية السابقة. فقد طغى الحماس الوطني الفيّاض على العمل العلمي المدروس. لكن التعريب في هذا القطر اكتسى صبغة المبدأ الوطني الذي لا محيد عنه، وتجلّى التصوّر القطري عند المسؤولين في «أن التعريب لا يرفض التدريب على اللغة أو اللغات الأجنبية، وهو ليس رفضاً في المساهمة في التيارات والنشاط الثقافي الذي تصطبغ به الحضارة العالمية»(٢٠٤). وقد دافع حزب الاستقلال في حماس لا يتصور وخلال الحكم الفرنسي، عن المبدأ التعريبي بقناعة عميقة الجذور، وحدد الدور الذي ينبغي أن يكون للغة الأجنبية كأداة مساعدة، في حين تعود العربية إلى سالف موقعها في التعليم والحياة العامة. وقد تبنّت لجنة إصلاح التعليم منذ ١٩٤٦، مبدأ التعريب، لكن التنفيذ لم يتقرّر إلّا عند استرجاع الهياكل الوطنية التعليمية. وبدأ التفكير في اعداد المدرسين لتنفيذ المشروع التعريبي، بغية تكليفهم بالتدريس العلمي في المرحلة الثانوية (مثلاً، أمكن العمل سنة ١٩٦٢ بنظام ثلث الوقت بالعربية وثلثين للفرنسية). واستعان المغرب بمصر لإعداد أساتذة الرياضيات والعلوم، ومن المقترحات في هذا الباب ما أوصت به ندوة أقران (**العلم**، ٦/١٠/١٩٧٠) من تعريب للعلوم والرياضيات بواسطة تمارين في الترجمة. وطلب المغرب إعانة العراق لتأهيل مدرّسي التاريخ والجغرافيا. لكن هل تمّ تعريب المرحلة الابتدائية؟ تقرر ذلك لعام ١٩٦٦، لكن الواقع أنه عرّبت السنة الأولى والثانية، وستعرّب بقية السنوات (٣) مدة ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ ترقباً لخروج كتاب الرياضيات في مدارس المعلمين. إن تشابك عناصر العمل في هذا المجال، كما في غيره، يمنع في واقع الحال تنفيذ الوعود في أوقاتها، وهذا ما يصدم الرأي العام، رغم أن القرار صادر عن المجلس الأعلى للتربية الوطنية منذ ٢٠ تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٦٢(٢٠٥). فتحتّم العمل على الإقناع بوجهة نظر المخططين وتبليغها إلى الرأي العام، ليتبين الحتميات ولا يعتبرها تناقضات بين القول والفعل.

إن تعميم التعريب من الوجهة النظرية أيسر تطبيقاً من إعداد المدرسين الأكفاء الذي يتطلب سنوات. والحل المتبقي يتمثّل في انتداب عناصر دون المستوى المطلوب والرضى بانخفاض في المستوى التعليمي. ولذا، بدأ الحذر يسيطر منذ ١٩٦٤ على قضية التعريب،

---

(٢٠٤) «سياسة التعريب بالمغرب من ١٩٥٧ إلى ١٩٧٧،» في:
Orient - Occident (1978), pp. 29-54.

(٢٠٥) **حولية شمال افريقيا** (١٩٦٢)، ص ٥٦٥.

وتجسّم ذلك في التآم جمع من المسؤولين قُدّر بأربعمئة في ١٣ نيسان/ ابريل من السنة نفسها. وقد أوصوا بالخطوط الواجب اتباعها في ميدان التعليم. وقد وافقت لجنة مختصة على توحيد التعليم وتعريبه[٢٠٦]. لقد كانت ندوة التعريب هذه التي أشرف عليها الملك (١٣ ـ ٣٠ نيسان/ ابريل ١٩٦٤) بمثابة الانطلاقة الجديدة لحل القضية. وكانت الخطوط الرئيسية الثلاثة الصادرة عن الندوة متجسّمة في توحيد التعليم ومغربته وتعريبه. وتقرر ضبط خطة محكمة لتعريب المرحلة الابتدائية (١٩٦٤ ـ ١٩٦٧)، والمرحلة الثانوية (١٩٦٧ ـ ١٩٧٤). كانت تلك الفرصة فترة للتفكير في ايجاد الحلول المستقبلية لصالح الأفواج الأولى من المتخرجين المعرَّبين، الذين رغبوا في أن يعاملوا المعاملة نفسها في التوظيف والانخراط بالتعليم العالي، وطالبوا بتعريف إداري فوري ضماناً لتوظيفهم وارتقائهم في السلم الاجتماعي[٢٠٧]. ولتتعرب الادارة، ينبغي عليها أن تستغل المعاجم الادارية والفنية الموضوعة من طرف المؤسسات اللغوية والأفراد[٢٠٨]. وقد تحدّثت العلم[٢٠٩] عن التعريب الإداري، فبينت أنه ليس من خصائص الحكومة وحدها، بل إنه عمل يهم الجماهير من موظفين وأهالي، وهو لا يتماشى حتماً وسياسة التعريب الجزئي التي تعرّب بعض مواد من التعليم الابتدائي أو الثانوي. فقد خاضت ندوة أخرى في شمولية التعريب التي تغطي المدرسة والبيت والشارع، والتي تجسّدها رغبة وطنية أبداها الشعب المغربي المحب لاستيعاب الحضارة الكونية بكل اللغات، لكن بشرط أن لا تحتكر إحداها ذلك. إن هذه الرغبة ما هي إلاّ شرط ضروري للإبقاء على قيم الشخصية الوطنية التي لن تزدهر إلاّ ضمن اللغة العربية غير المسؤولة عن صعوبات الفترة الانتقالية[٢١٠]. وقد أدى تطبيق الخطة المتفق عليها من الندوة الملكية إلى التساؤل عن هبوط المستوى التعليمي في المرحلة الثانوية، وارتباط ذلك بالوضع القائم في تعريب التعليم الابتدائي. فتحتم اتخاذ قرار سياسي يتجه إلى الاستمرار أو العدول الذي اعترض عليه المؤتمر السابع لحزب الاستقلال، مطالباً في الوقت نفسه بالتمادي في خطة التعريب العشري، وقد انتقد زعيمه علال الفاسي تفويق اللغة الفرنسية في التعليم[٢١١]. ولو عجل المغرب بتوحيد تعليمه، لتيسر له تعريبه. لكن رغم هذا العائق، فقد عرّب الابتدائي منذ ١٩٥٦ وجانباً من الثانوي، وكلية الآداب والحقوق. وتعميم العربية أكثر وضوحاً في واقعه من ترقب وضع المصطلحات العلمية[٢١٢]. وقد عبر مندوب المغرب الأستاذ محمد الفاسي في مؤتمر ١٩٦١، عن

---

(٢٠٦) **اللسان العربي**، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ٥٩.

(٢٠٧) **حولية شمال افريقيا** (١٩٦٤)، ص ٢٠١ ـ ٢٠٣.

(٢٠٨) **حولية شمال افريقيا** (١٩٦٢)، ص ٥٦٦.

(٢٠٩) **العلم**، ١٩٧٧/٢/٣.

(٢١٠) ادريس الكتاني، «دور اللغة في تنمية الطاقات البشرية وتجربة اللغات الأجنبية في البلدان الافريقية،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٤٣.

(٢١١) **حولية شمال افريقيا** (١٩٦٥)، ص ٢٤٣.

(٢١٢) عبد العزيز بنعبد الله، «تطور الفكر العلمي ولغة التقنيات بالمغرب منذ العصور الوسطى،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ١٩٦ ـ ٢١١.

وجهة نظر بلاده في أن التعريب يشكّل الأساس في التنمية الاقتصادية والصناعية. وقد شرح مدلولات المفهوم، مستبعداً المعنى القديم لكلمة تعريب وصلاحه للعصر. ويرى المغرب الأقصى أن التعريب يعني جعل العربية قادرة على نقل رسالة الفرد والحضارة المعاصرة. فقد بدأت العربية في النهوض منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، في الفترة ذاتها، التي اكتسحت خلالها اللغات الأجنبية الأقطار العربية، باستثناء المغرب الذي لم يخضع للحماية الفرنسية إلّا في فترة متأخرة نسبياً. والملاحظ أن العربية لغة صالحة للتدريس والتثقيف أكثر من أنها لغة حديث. لكن الازدواجية لم تقف حائلاً أمام التطور العلمي في القرنين الثالث والرابع هـ. وبفضل لغة الصحافة والتعليم، وتجسيد المفاهيم بالمحسوس، لا شك أن نمو اللغة العربية في اطّراد.

أما في مؤتمر ١٩٧٣، فقد ركّز البحث في التعريب المغربي، والنظر في اشتماله على وصف للواقع الاجتماعي اللغوي، وتحليل اللغات المتواجدة على الأرض المغربية، كأن يقع القيام في الألسنية الهيكلية المقارنة من الوجهة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، وتطبيق المعلومات المتحصل عليها لفائدة تأليف الكتب المدرسية وإعداد المدرسين، مع التأميل في بلوغ الإحاطة باللغة التي تقبل تعريب ما احتوت عليه من مظاهر غير فصيحة، وبذلك تشذّب للتعبير عن مظاهر الحياة الحديثة التي تؤديها مدلولات حية مستمدة من لغة قابلة للتطوير المستمر[٢١٣]. ويبدو أن مؤتمر ١٩٧٧ قد ألحّ على هذا الاتجاه وحدد معالم التنمية اللغوية العربية التي بها يمكن تطوير التعبير. «لذلك فإننا ندعو إلى مزيد من الأبحاث العلمية التجريبية لقياس المدى الحقيقي لحركة النمو الاجتماعي في الأقطار العربية وما يواكب هذا النمو من تطور في استخدام المصطلحات اللغوية»[٢١٤]. وكثيراً ما اقترح إعادة الكلمات العربية أصلاً والموجودة في اللغات الأخرى (لاتينية، اسبانية، انكليزية، فرنسية وحتى روسية) بلوغاً للتنمية اللغوية. فيتاح استغلال تلك الأصول العربية بعد تنسيقها تنسيقاً مرغوباً فيه لأن الظرفية اللغوية فرضته علينا، ولأنه أقيم على أهداف ناجحة لا تتعارض والقواعد النحوية أو الاشتقاقية. أما عن الكتابة، في خدمة التنمية اللغوية، فيبدو أن القضية تتلخص في شكل كتب الدراسة والنصوص الأدبية، وتوحيد المقابلات الصوتية والكتابية للحروف والرموز الغربية والأرقام[٢١٥]. تلك بعض الحلول المتبلورة في الأجوبة عن استفتاء ١٩٦٦ الذي نظّمه المكتب، كما أسلفنا، والتي كانت حلولاً مقترحة من طرف مدرّسي العلوم والرياضيات، الذين جرّبوا التعريب في المدارس المغربية الحرة، ورغبوا في توسيع التجربة. ومن ذلك ما شرع فيه مهندس من وضع اصطلاحي رياضي ثم فيزيائي وكيميائي، دون اعتماد مؤلفات عربية. فقد شرع في ذلك منذ ١٩٥٠، بمساعدة تلاميذه الذين بحثوا عن المصطلحات الدقيقة بعد أن تملّكوا من جوهر المفهوم العلمي خلال الدروس. وبعد فترة التجريب هذه، نظم المهندس المذكور تعليماً علمياً معرباً. وفتحت في الرباط سنة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤، السنة

---

(٢١٣) و/ المكتب: مؤتمر ١٩٧٠، ١٢، ١٤/١٢/١٩٧٠.
(٢١٤) اللسان العربي، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ٣، ص ٥٦.
(٢١٥) التربية الوطنية (نيسان/ ابريل ١٩٦١)، ص ٢٢ ـ ٢٨.

المعدّة للجزء الأول من البكالوريا العصرية المعرّبة، المطابقة للمنهج الدراسي الحكومي. وفتحت السنة الختامية عام ١٩٥٦. وفتحت سنة اعدادية في ١٩٦١ معرّبة بمدرسة المهندسين. رغم أن التجربة كانت عسيرة، فقد استخدمت الرموز اللاتينية في الكيمياء والفيزياء والرياضيات، لفقدان المؤلفات والأجهزة المخبرية. وتجاه ما تمّ من تعريب، كان يجب إعداد وسائل العمل التدريسي حتى لا تخفق التجربة، خاصة أن الطلاب المعرّبين حصلوا على نتائج ايجابية سنة ١٩٥٢ وسنة ١٩٥٣، وقيل إنهم فاقوا رفاقهم في المدارس الحكومية (١٩٥٤ ـ ١٩٥٥) في حين أنه لم يخول للمدارس الحرّة السنة الثالثة ثانوي. لكن ظهر الفريق «السري» الأول من الناجحين في البكالوريا سنة ١٩٥٥، ورحل إلى المشرق لمتابعة الدراسة العليا، أو إلى فرنسا والمانيا أيضاً لدراسة علم الزراعة والكيمياء بعد قضاء سنة اعدادية في التأهّل في اللغة الأجنبية. وقد أكدت هذه التجربة خطأ المعادلة القائلة إن الثانوية العامة المعرّبة تعني انخفاضاً في المستوى الدراسي. وقد أجيب عن هذا الموقف بتأليف الكتب العلمية بالعربية، لكن يعني ذلك العناية بمحتواها قبل الربح المادي. وما يحصل عليه الطلاب من تخصص كفيل مثلاً بالمساعدة على هذا النوع من التأليف والمحافظة على مستوى علمي رفيع، وذلك اعتماداً للدراسات المختلفة لغاتها ومناهجها. فالتعريب لا يخلو من صعوبات حقيقية، منها طبعاً: افتقاد المصطلحات عند الحاجة إليها، قلّة المؤلفات العلمية المعربة، إقحام العامية في اللغة العلمية التي أعدّها الخبراء بمفردهم دون مساعدة اللغويين القادرين على بلورة المصطلح وانتقائه[٢١٦].

وفي ضوء هذه التجربة وغيرها مما جدّ في أقطار المغرب العربي من تجارب (مثلاً أول تجربة للتعريب جرت في تونس، بإشراف جمعية ابن خلدون، أو الجمعية الخلدونية التي أسّسها الرعيل الأول من الوطنيين منذ القرن التاسع عشر، (١٨٩٦ ـ١٩٥٨)[٢١٧])، يمكن القول إن التعريب تركّز دائماً على التعليم ومناهجه، لكونه الركيزة الأساس لإعداد الأجيال بلغتها القومية، وهي بدورها ستشع في المجتمع والمرافق العامة معرّبة التفكير والتعبير. وقد حدّد مؤتمر ١٩٦١ تعريب التعليم بأنه تدارس الوسائل العملية التي من شأنها أن تجعل من العربية لغة المدرسة، وتوحيدها من الوجهة الثقافية. وفي هذا التاريخ، سبق للمغرب الأقصى بعد إعداد جموع المعرّبين المتخرجين في كليات الآداب والحقوق. وتمّ التحوّل سنة ١٩٦٢ إلى الصعيد الاداري، وإعداد الموظفين لممارسة تحرير الرسائل الادارية بالعربية[٢١٨]. وتمادت عملية التعريب الاداري إلى الآن، إذ وجه مثلاً الوزير الأول منشوراً بتاريخ ١١/١٠/١٩٧٣، «دعا فيه إلى السير في تعريب الإدارة تعريباً شاملاً، كما دعا جميع الدوائر الحكومية إلى مراسلة المواطنين ومخاطبتهم بالعربية لا بالفرنسية»[٢١٩]. لكن إن تيسّر تعريب التعليم الابتدائي، وربما

---

(٢١٦) اللسان العربي، السنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٧)، ص ١٨٤ ـ ١٩١.

(٢١٧) Mohammad Mongi Al Sayyadi, *Al-Gamiyya al Khaldûniyya: La Première association nationale moderne en Tunisie (1890-1958)* (Tunisie: M.T.E., 1975).

(٢١٨) حصة بالإذاعة المغربية، ١٩٦٢/٢/٢٤، و/ المكتب.

(٢١٩) اللسان العربي، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ١، ص ١٢٧.

الادارة، فكيف العمل بالنسبة إلى العلوم في التعليم الثانوي والعالي؟ ذلك أن الأمر يتعلق بتأهيل إطارات كفوءة صالحة لتنفيذ المنهج التعريبي، استناداً إلى وجود لغة عربية علمية من المفروض أن تكون جاهزة تستجيب لكل الطلبات العلمية. لكن أمام عدم تأكد هذه الفرضية، وقع اللجوء في المغرب الأقصى إلى الألفاظ العامية التي اشتقت من الفصحى لاستكمال توليد المصطلحات. لكن وإلى اليوم ما زال التعليم الابتدائي ثنائي اللغة، رغم أن الفرنسية لا تلقّن إلا كلغة حية تأهيلاً إلى المرحلة الثانوية. ذلك أن الحل المنتهج بعد أن تجسّد انخفاض المستوى التعليمي، أشرف عليه منذ أن تولّى وزارة التربية الدكتور محمد بنهيمة (١٩٦٦)، منهج استحالة إعداد الإطارات المعرّبة الضرورية لفترة طويلة، خاصة في المرحلة الثانوية والعليا. فسيطرت فكرة العمل باللغة الفرنسية كأداة ناقلة للعلوم. ولم تفلح هذه السياسة أيضاً، فتولّى الوزارة أستاذ متخرج في جامعة القرويين (د. عبد الهادي أبو طالب) سبق له أن عرّب القضاء. ولم يتقرر أي تعريب حاسم، إذ وقع العدول عن تعريب السنة أولى ثانوي، التي كان من المفروض أن تستقبل التلاميذ المعرّبين في الابتدائي، وذلك بسبب العجز في المدرّسين العلميين المعرّبين[220]. ولا يغرب عنا أن الازدواج اللغوي يترتب عليه ازدواج الجهود والنفقات لإعداد المدرسين. فكان لذلك الوضع تأثيره في الميزان والوضع الاقتصادي عامة. وقد جاءت بعثة سنة ١٩٦٦ من البنك الدولي للبحث في ذلك الوضع، وأوصت بالعمل بتدابير من شأنها أن تكون العربية بفضلها لغة التعبير في التعليم والادارة، وحدّدت الفترة حتى ١٩٧٠. وقد دعت المغرب إلى التعريب الفوري في المرحلة الابتدائية والثانوية، بداية من سنة ١٩٧٠ ـ ١٩٧١، إضافة إلى وجوب تعليم اللغة الأجنبية بداية من السنة الأولى (فرنسية أو انكليزية أو اسبانية) خاصة في أوساط الريف حيث يتكلّم الأهالي البربرية ويتعلّم الأطفال الفرنسية في المدرسة. وبالتعريب يمكن فكّ ما كان عليه المواطن من عزلة فكرية ولغوية. لكن، أمام ما ينبغي إعداده من أساتذة (١٦٠٠ كل سنة)، تجد الحكومة نفسها مجبرة على تأخير التعريب، وترفض ذلك المؤسسات الوطنية التي رغبت أن ينهى التعريب الابتدائي سنة ١٩٧٠ والمرحلة الثانوية سنة ١٩٧٣. ويضاف إلى ما يمكن تقديمه من خدمات إلى المواطنين وتطوير ذهنياتهم بفضل ما يكون لهم من صلات مع الادارات لقضاء مصالحهم، فيكون التعامل معها على أساس اللغة العربية[221]. لكن الواقع التعريبي القطري ربط التنفيذ الذي يبدو لا رجعة فيه بمضمون المخطط الخماسي. والمأمول الانتهاء من «مغربة» التعليم الثانوي بين ١٩٧٨ و١٩٨٨، ثم يشرع في تعريب المناهج بعد الانتهاء من المغربة في الواقع. وإن بدا هذا القرار حاسماً، فقد تميزت الفترة السابقة بالتردد والتنقل بين الفرنسة والتعريب. فبدا، وكأن اللغة العربية هي من نصيب الطبقات المستغلة التي ستدخل في نزاع مع النخبة المفرنسة، والطبقات التي لا ترضى إلّا بالاتجاه إلى الغرب

---

(٢٢٠) حولية شمال افريقيا: (١٩٦٦)، ص ٣٢٤ و(١٩٦٧)، ص ٣٩١.

(٢٢١) عبد الكريم غلاب: «رسالة المغرب اللغوية،» اللسان العربي، السنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٧)، ص ٣٥٩، و«التعريب: واقعه ومستقبله في المغرب العربي،» الأصالة، العددان ١٧ ـ ١٨ (١٩٧٤)، ص ٧٥ ـ ٨٥.

والنهل من ثقافته. وقد أيّد حزب الاستقلال قبل الاستقلال وبعده التيار التعريبي قولاً وفعلاً، لكن جريدة التكتل، صوت الحركة الشعبية، أيّدت الثنائية اللغوية في التعليم، وطالبت بتعليم اللغة البربرية[٢٢٢].

وقد عاد بنهيمة إلى وزارة التربية القومية بنظرية جديدة مفادها التريث في تنفيذ التعريب، متعللاً بأن العربية في حاجة إلى عمل تكييفي عظيم في مختلف الميادين، كالمعجمية والطباعة، حتى تظهر قدراتها الكامنة[٢٢٣]. وقد ردّ حزب الاستقلال على هذه النزعة رداً عنيفاً. وأكد زعيمه علال الفاسي في شباط/ فبراير ١٩٧٤، قبل وفاته بمدة، أن الخيار ليس بين الثنائية اللغوية والعربية، بل إنه خيار اللغة التي نعلّم بها. وكثيراً ما دار النقاش حول انخفاض حجم المعرفة بالفرنسية في التعليم الابتدائي والثانوي، إلى حد جعل التلاميذ غير قادرين على مواجهة استيعاب المعلومات بها، خاصة في القرى والبوادي. ذلك أن التعريب الجزئي، ونزوح الأجانب عن المغرب، وتلقين الفرنسية بواسطة معلمين مغاربة، كلها عوامل عملت على تدني ذلك المستوى[٢٢٤]. ورغم ذلك، فالتعريب لم يأتِ إلّا في المقام الثاني من اهتمامات المسؤولين[٢٢٥]. ويبدو أن وجهتهم صارت تنزع إلى قضايا التعليم العالي والصورة التي يمكن بها تعريبه، تأهيلاً لمدرّسي المرحلة الثانوية وتكليفهم بتدريس العلوم الاجتماعية، والفلسفة، ثم العلوم الصحيحة المعربة. وتكون لهذا الاتجاه مؤثرات كذلك في إعداد المعلمين الابتدائيين، وتدخل العربية بهذه الصورة أوساط الصناعة والاقتصاد في هياكلها المختلفة[٢٢٦]. والواقع أن الخطة التعريبية المقررة للتعليم العالي شرع في تنفيذها من سنين، في كلية الآداب والحقوق كما أسلفنا، وقد ازدوجت اللغة في الاختصاصات الأخرى، ودرس الطب والهندسة والعلوم الدقيقة بالفرنسية. ويتبيّن تبعاً لذلك أن المخطط الخامس أدرج قضية التعريب الشامل ضمن مشاغله، في حين ينظر إلى التعريب أحياناً وكأنه بمثابة الاشكالية المتضمنة لعناصر متناقضة، وكأن «مشاكل التعليم منعزلة عن مشاكل البلاد... وبالتالي فإن النظرة إلى التعريب كانت نظرة سطحية تعزل التعريب عن الواقع المحيط به داخل المدرسة وخارجها، وهذا ما دعا المعارضة الاتحادية إلى تقديم تعديل حول التعريب»[٢٢٧]. وبذلك يندرج مفهوم التعريب في المغرب من خلال واقعه اليومي الذي شمل الفقراء، موسعاً بذلك الشقة بين الطبقات ومبرزاً الفروق الاجتماعية، في حين أن التعريب ينبغي أن يدفع إلى التوحيد الفكري الثقافي دون التعلق بجزئيات تعليمية هي من نظر أهل الاختصاص والتربية، بل «يجب أن يمتد إلى المضامين ويتناول حتى المواد التي عرِّبت من قبل، والتي تغافلها المخطط في برنامجه، فكما أن المغربة لا تعني إبدال أجنبي بمغربي،

---

(٢٢٢) حولية شمال افريقيا (١٩٧٠)، ص ٣٧٠.
(٢٢٣) حولية شمال افريقيا (١٩٧٣)، ص ١٢٤.
(٢٢٤) العلم، ١٩٧٨/١٢/٢.
(٢٢٥) «نقد النظام التعليمي الحالي بالمغرب،» المحرر، من ١٩٧٨/٢/٢ إلى ١٩٧٨/٦/١.
(٢٢٦) محمد محيي الدين المشرفي، «مستقبل اللغة العربية بالمغرب الأقصى،» الأصالة، العددان ١٧ - ١٨ (١٩٧٤)، ص ٢٤٣ - ٢٥٢.
(٢٢٧) المحرر، ١٩٧٩/١/١١.

فكـذلك التعـريب لا يعني إبدال لغـة أجنبية بلغـة وطنية»[٢٢٨]. وحتى المغـربة، فقـد شابهـا سلبيـات، لتخرج أطر التدريس من مؤسسات مختلفة لا وحدة بينهـا ولا نسق. فتحتم التمعن في تجارب الماضي واستخلاص الدروس والبناء بناء سليماً[٢٢٩].

وقد أتاحت التجـربة التعـريبية بـطول المدة تغـيّر النظرة إلى التعـريب. ذلك أن تجـربة التعريب في الماضي كانت قاسية وخيّبت الآمال. واعترف مدير المكتب، وهو الذي رأس لجان التعـريب في المغرب، بـأن البادرة كـانت متسرّعة تعـوزها وسـائل التنفيـذ، فكـانت النتيجـة السلبية بمثابـة «النكسة» في التعـريب[٢٣٠]. واتضح الآن المفهـوم وتجلّت الغايـة: «إننا نـنظر إلى التعريب من خلال وضعية شاملة يتداخل فيها نوع التكوين الذي يعطى لكل طبقـة من الطبقـات المتواجـدة في إطار سياسة التعريب، بالدور العام الذي يجب أن تلعبه التربية والتعليم داخل المجتمع وبالمكـانة التي سيحتلهـا المجتمـع في السـاحـة القومية والدوليـة»[٢٣١]. والتعريب في المغـرب الأقصى يرتبط في مفهـومـه أشـد الارتباط بعاملين سابقين له يعضدانه، كما ألمحنا إلى ذلك، نعني عـامل التـوحيد وهـو النظام المعمول به في البلدان النامية حيث يخضع التعليم إلى مناهج واحدة، إعداداً لأجيال متنـاسقة متوائمة متضامنة. وأما المغربة، فتعني «ضرورة إحلال الكوادر المغربية التي تحمل تـأهيلاً مـزدوجاً، أي تستطيع ممارسة التعليم بالعربيـة والفرنسيـة، ومن ثم وبعد الانتهـاء من هذه المهمـة تدخـل المغرب في المـرحلة الثانية من التكميلية، وهي التعريب كهدف نهائي لا بد من الـوصول إليـه»[٢٣٢]. وما كـان من سلوك بعد ذلك في هذه النقطة إنما يهم منهجية التربية والتعليم، وقد عمل المسيّرون على «تحويل الأطر التي تلقت تكوينها باللغة الأجنبية عن طريق تزويدها بمصطلحات في مواد تخصصها، فاتضح أن هذه الـطريقة يمكن أن تحلّ جانباً من المشكل. ولهذا اعتبرنا انطلاقاً من شمولية اللغة العربية أن المغربة أساس التعريب»[٢٣٣].

تلك لمحـة عن التعريب في المغـرب الأقصى، وقد تنـازعته عنـاصر الـدفـع والجـذب، فتقلّب بين التحقيق والترقّب. لكن الفترة الأخيرة تُوِّجت بتخطيط محدد في أغراضه وآجالـه، مبني على نتائج الدراسات والتجارب السابقة الممارسة.

٤ ـ التعريب في الجزائر

شرعت الجزائر بعـد تونس والمغـرب، في إقامـة هياكلهـا التعليمية حـالما حصلت عـلى الاستقلال، وقبل ذلك في خضم الثورة. والمفروض أنها أفادت من تجـربة جـيرانها والتجربـة التعريبية عامة، في مجال بثّ المعرفة واستخدام أداة لغوية وطنية. وقد تـأكّد لـديها أن العـودة

---

(٢٢٨) المصدر نفسه.

(٢٢٩) «محاولـة طـرح صريح لمشكـل العـلاقـات الـتربـويـة في المؤسســات التعليميـة،» المحـرر، ١٩٧٨/٧/١٦.

(٢٣٠) اللسان العربي، السنة ١٣ (١٩٧٦)، ص ٣٨٥.

(٢٣١) المحرر، ١٩٧٩/١/١١.

(٢٣٢) الثورة، ١٩٧٨/١١/٢٤.

(٢٣٣) اللسان العربي، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ٣، ص ٥٩.

إلى تأصيل جذور شعبها في الحضـارة الاسلاميـة العربيـة من شروطه الموجبة العمـل باللغـة العربية أداة للإبلاغ الفكري في كل الميادين، دون تردد أو وجل. وكما وقع في المغرب، شرع في التعـريب الشامـل الذي لم ينسق والـواقع اللغـوي القائم في البـلاد، فاصـطدم بمشـاكـل واعتراضات صدرت عن أحد الزعماء السابقين مثلاً، آيت أحمد، الـذي أكد أن التعـريب لا يعدّ الجزائريين إعداداً يواكب الحياة العصرية، بـل أعلن أنه سبب في تـراجع خـطير للثقافـة والفكـر في حقل التحليـل والبحث والاقتبـاس(٢٣٤). ولم تنفـك هـذه الصيغـة المتحـاملة عـلى التعريب مستعرة، وكانت تشن تماشياً مع النهج الثقافي الذي سارت عليه الجزائـر في الماضي. أما عن مشكلات التعريب المرتبطة بالواقع الفكري، فتلك سنّة المشـاريع الجـديدة التي تبـدأ مصحوبة بالعراقيل من كل نوع، التي يتعينّ على المرء وروح البادرة فيه القضـاء عليها. لكن العناصر المهاجمة للتعريب بيّتت نيات سيئة للغة القومية «على أساس أن اللغة العـربية مـا زالت غير قادرة على تدريس المواد العلمية، وأن سياسة التعريب هي التي خنقت التعليم بمشاكل عديدة»(٢٣٥). والـواقع أن الحنين إلى اللغة الأجنبيـة كان الـدافع الخفي الـذي حرّضهم عـلى ردع التيار التعـريبي، وبثّ حملات التشكيك والتعجيز بين الطلاب والأولياء. لكن لم يعد ممكناً بعـد الاستقلال «أن يجري النقاش حـول التعريب بعـد الآن، إلاّ في ما يتعلق بـالمحتوى والـوسائـل والمناهـج والمراحـل»(٢٣٦). إن الهدف التعريبي يمثل توحيد الشخصية الثقافية واللغوية الجزائرية، في تنوّعها وثرائهـا، ضمانـاً للمستقبل، وكسباً للمعركة التنموية الاجتماعية والاقتصادية التي تخوضها الجزائر(٢٣٧).

هـذا ويتطلب المشكـل التعـريبي حـداً أدنى من النـزاهـة العلميـة والبحث عن أحسن الحلول الممكنة، والسموّ إلى مستوى علمي موضـوعي، ويكون ذلـك بـ «تعميق الواقـع التاريخي والاجتماعي في الخط الذي أتينا على رسمه، ولا بد أن يسبق كل سياسـة للتعريب»(٢٣٨). وتكـون النظرة إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية الجزائرية، المؤثر الأول الحاسم لتحقيق برامج التنمية، بما فيها التنمية الثقافية التي تشكّل حجر الأساس لإنجاح خطط البناء الاقتصادي. أمـا على الصعيـد العربي، فلا شك أن الجزائر حديثـة العهد بـالاستقلال، تـأثرت أيّمـا تأثـر ولا زالت بالأزمـة الحضـارية العـربية، وتقلبـات الأوضاع السيـاسية خـاصـة بعـد نكسـة ١٩٦٧ التي أدّت إلى التسـاؤل عن المصير والـذات. فكان ذلـك بدايـة الـطريق لبلورة المنهجيـة البـديلة الـواجب توخّيها. «إن استقلال الجزائر وأزمة الحضارة العربية بعد حزيران/ يونيو ١٩٦٧، يوجبان علينـا أن نغير كليـاً أفكارنا، وأن نبني على أسس جديدة وجدية حضارة المستقبل في بلدنا التي هي لا فردية ولا تقليدية ولا كلامية، وإنمـا حسب الواقـع والملموس والنقـد والبحث العلمي والفكري المتـطور أبداً»(٢٣٩). هـذا هو أحـد الآراء

---

(٢٣٤) العمل، ٥/١١/١٩٦٦.

(٢٣٥) الجيش (تموز/ يوليو ١٩٧٨)، ص ١١ ـ ١٣.

(٢٣٦) المصدر نفسه.

(٢٣٧) *Afrique-Asie*, no. 117 (septembre 1979).

(٢٣٨) محمد أركون، «وجوه ازدهار الفكر العربي في المغـرب الاسلامي،» **الأصـالة**، الأعـداد ٥٤ ـ ٥٧ (شباط/ فبراير ـ آذار/ مارس ١٩٧٨)، ص ٢٤.

(٢٣٩) زهور مليس، «الزواج بالأجنبيات والأجانب وخطره عـلى الأسرة،» **الأصـالـة**، العددان ٥٨ ـ ٥٩ (حزيران/ يونيو ـ تموز/ يوليو ١٩٧٨)، ص ٩٩.

الرائجة بين أفراد النخبة الجزائرية الحديثة (سفير الجزائر باليابان، الذي ألقى محاضرة في الملتقى الرابع للتعرّف على الفكر الاسلامي المنعقد بقسنطينة، في ٨ ـ ١٧ جمادى الثانية ١٣٩٠هـ/ ١٥ ـ ١٩ آب/ اغسطس ١٩٧٠م).

تلك هي بعض مميزات التعريب الجزائري والتوطين الحضاري العربي، وهي التي سيّرت مراحل التحقيق التعريبي. لقد اتصفت السياسة الفرنسية الاستعمارية بتشبثها بإدماج القطر الجزائري في البوتقة الفرنسية للقضاء على كل حق ورغبة في تشكيل شخصية وطنية فريدة في أصالتها. وترتب على ذلك تعدد النزعات داخل المجتمع الجزائري ذاته، وقد رسّخت جذورها منذ مدة طويلة عن طريق الانتقاء الثقافي الذي ميّز بعض العناصر المحلية، مكافأة على إخلاصها للحكم الفرنسي[٢٤٠]. فقد احتدم الصراع حول التعريب[٢٤١] وتجسّم في نزعتين، نزعة رغبت في التعريب الفوري الشامل العاجل، تاركة للفرنسية وضع اللغة الأجنبية، ونزعة ترى أن الثنائية اللغوية تشكّل ضرورة لا مفر منها في الجزائر، أو أن ذلك بمثابة الوضع القائم لأمد طويل[٢٤٢]. وأثيرت قضايا قديمة تجسّدت في التقسيم اللغوي العنصري، مثلاً إمكانية منافسة اللغة القبائلية البربرية غير المكتوبة للغة العربية في بلاد القبائل[٢٤٣]، وأن الفرنسية هي لغة الخبز والعربية لغة الكلام. وقد روّج المناهضون للتعريب في البادية أن الأطفال رضعوا البربرية في أحضان أمهاتهم، وفي هذا الصدد صرّح الزعيم الجزائري والرئيس السابق أحمد بن بلّه «أن البربرية لغة حية مزدهرة إلى جانب العربية وليست سوى إثراء للفكر»[٢٤٤]، ولقنوا العربية العامة للعلائق الاجتماعية، وكذلك الفرنسية، فيبدو لهم غير مفيد تعليم لغة رابعة لا نفع يرجى منها، خاصة وقد علموا تلك اللغة في لهجة مشرقية تلقفوها عن المعلمين القادمين من الأقطار العربية[٢٤٥]. وتبدو هذه الاعتراضات واهية لا محل لها، خاصة إذا عرفنا أن من الأجانب خبراء أعلام، مثل جاك بيرك أستاذ العلوم الاجتماعية الاسلامية، من أيّد التعريب، وكان ذلك في محاضرة ألقاها في عاصمة الجزائر (٢٨/ ١٠/ ١٩٦٢)، مؤكداً أن قدمي الجزائر هما الاصلاح الزراعي والتعريب الذي لا يتناقض والثقافة الفرنسية. ومن رأيه أن التعريب هو الشرط الذي دونه لا بقاء للغة

---

(٢٤٠) علي الشامي، «صراع العصبيات الحضارية: المجتمع الجزائري في مواجهة التعريب،» الباحث، السنة ٣، العدد ١٤ (تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٠)، ص ٦٣ ـ ٩٧.

(٢٤١) Gilbert Grandguillaume dans: *Maghreb-Machrek* (avril-juin 1980), p. 58.

لقد أعدت مخططات تعريب منذ ١٩٧٠ وانبثق تيار عازم على انجاز التعريب لأسباب سياسية وايديولوجية، وعارضه تيار آخر لا يصرح بموقفه علناً خشية أن يوصف بمعاداة التيار الوطني أو أنه ينتمي إلى «حزب فرنسي» أو أنه «مستعمَر» فكرياً. فكان يقتصر على تأييد مبدأ التعريب المنظّم العلمي التدريجي عاملاً على تأجيل تنفيذه.

(٢٤٢) حولية شمال افريقيا (١٩٦٢)، ص ٩٩.

(٢٤٣) حولية شمال افريقيا (١٩٦٢)، ص ٥٥٢.

(٢٤٤) تصريح إلى جريدة: *Le Monde*, 4/12/1980.

(٢٤٥) حولية شمال افريقيا (١٩٦٩)، ص ٤٦٠.

والإشعاع الثقافي الفرنسي في القطر الجزائري[246]. وتعليل ذلك أنه ينبغي ترضية الرغبة الوطنية اللغوية لتكون القناعة بصلاحية الفرنسية عن دراية ورضى، ولا تفرض فرضاً. وقد أشرف على ملتقى (باريس، ١٩٧٧/٥/١١) بحث في الملامح الثقافية والتربوية للتعريب في المغرب العربي، وهل ينبغي ربطه بالدين والمقومات الحضارية الاسلامية، أم هل أنه في الإمكان الفصل بين القضايا اللغوية التثقيفية والقضايا الروحية المصيرية؟ ويدعم هذه المشاغل ما كان للمسؤولين الجزائريين من مواقف توضيحية، وعلى رأسهم الرئيس الراحل هواري بومدين[247] الذي ذكر في أول ندوة وطنية للتعريب[248]، دامت من ١٩٧٥/٥/١٤ إلى ١٩٧٥/٥/١٧، «ان التعريب لا يقصد به القضاء على أرزاق الناس الذين لهم تكوين باللغة الفرنسية، لذلك فإن حركة التعريب تندرج في حركة الثورة الشاملة». وقد سبق له رفض الخيار بين العربية والفرنسية، لأن اختيار الفرنسية في التعليم يعني العمل لفرنسة الشعب والقضاء على قيمه وشخصيته، فلم يحد عن المبادىء المتفق عليها قبل الاستقلال (ملتقى حول التعريب، ١٩٧٠/٤/٢٩)[249]. ولقد رسخ وتبلور هذا الموقف في الندوة الوطنية المشار إليها، واتضح ذلك في تقريرها العام حيث إن التعريب يخدم الصالح الاجتماعي العام، ذلك أنه يستهدف التثقيف كما يستهدف التعليم بغية توحيد الشخصية الفردية والاجتماعية، وتبعاً لذلك تتوحد النزعات الفكرية في بوتقة الثقافة الوطنية التي تشكّل الرباط الوثيق الموحّد للمشارب الفكرية المختلفة. والتعريب يندرج أيضاً ضمن الهدف الثوري الأسمى الرامي إلى تركيز مقصد من مقاصد السيادة الجزائرية. وهو كذلك ثورة ثقافية فكرية شاملة ترمي إلى تحويل الذهنية الوطنية عن المسخ الثقافي والاجتثاث الروحي. وبذلك يكون التعريب الجزائري «عملاً من أعمال السيادة القومية الذي لا يقل عن أي عمل آخر من الأعمال التي تحققت في ميدان التحرر الاقتصادي (والسياسي)، وأنه ثورة في الثقافة لا بد من النهوض بها، وإلاّ بقيت بلادنا خاضعة للتبعية الثقافية الفرنسية»[250]. وكثيراً ما وجّه المعرّبون اللوم إلى المثقفين بالفرنسية لخلطهم بين الثقافة العربية والرجعية والمحافظة. وقد طالبوهم بالاجتهاد في تعلم العربية لغتهم وأداة ثقافتهم وتراثهم الروحي والأخلاقي، وبذلك يكونون قد كسبوا عنصراً للمقارنة بالحضارة الأجنبية، بقي مفقوداً لديهم، فحجبهم ذلك عن الانضمام إلى الصف الوطني[251]. وفي هذا الصدد، اقترح الوزير أحمد طالب أن يتحلّى من لا يؤمنون بالتعريب عن مسؤولياتهم[252]. ولنفهم ذلك، ينبغي أن نوضح أن ما كان من رسوخ عميق الجذور للثقافة واللغة الفرنسية في الجزائر، عاق المواطنين عن السير قدماً في المضمار الفكري العربي، رغم تعلّق الجزائريين المبدئي على

---

(٢٤٦) حولية شمال افريقيا (١٩٦٢)، ص ٥٥٣.
(٢٤٧) الشعب، ١٩٧٥/٥/١٥.
(٢٤٨) الشعب، ١٩٧٥/٥/٢٣.
(٢٤٩) حولية شمال افريقيا: (١٩٧٠)، ص ٣٥٤، و(١٩٧٥)، ص ٣٦٣ - ٤٠١.
(٢٥٠) الأصالة، العددان ٥٨ ـ ٥٩ (حزيران/ يونيو ـ تموز/ يوليو ١٩٧٨)، ص ٢٨.
(٢٥١) حولية شمال افريقيا (١٩٦٦)، ص ٣١٦.
(٢٥٢) حولية شمال افريقيا (١٩٦٧)، ص ٣٨٢.

الأقل، بالحضارة الاسلامية العربية[253]. وتأيد بذلك الرأي القائل بأن التعريب يمر عبر اللغة الفرنسية. وهذا يؤيّد التوجه اللغوي الفرنسي الذي يرى أن التعريب لا يتناقض مع تحويل النماذج الثقافية الفرنسية بقدر ما يتحقق ذلك بواسطة الترجمة. حتى أنه أمكن التساؤل عما إذا لم يقتحم المجتمع الجزائري مرحلة «اللاثنائية اللغوية». مع أن تدرج النظام التربوي في السنين الأخيرة لم يحل دون تكوين طلاب كثيرين يتقنون الفرنسية ويوظفونها توظيفاً عملياتياً واسعاً، وبذا، فكل المؤشرات تؤكد أن اللغة العربية تنزع إلى أن تصبح اللغة الوحيدة في كافة المستويات والشُعَب، بما فيها الشُعب العلمية، التي يمكن لحاملي البكالوريا أو من كانوا دون هذا المستوى، الطموح إلى الدراسات العليا أو التشغيل[254] رغم ما في الأمر من تناقض فكري وغرابة. ذلك أن عقدة الذنب المرتبطة ببقاء الفرنسية سوف تزول بزوال الخشية من التعريب، الذي في إمكانه القضاء قضاء مبرماً على غواية التقوقع. وبذلك يتاح للجزائر القيام بدور التعاطف الخلاّق بين اللغتين[255]. ويتبلور هذا الاتجاه في أن يعمل مؤيدوه لفائدة التعريب وفي الوقت نفسه يحبذون وجود اللغة الفرنسية. وقد كان هذا الموقف محل نقد أيضاً (نيسان/ ابريل ١٩٦٥، مجلة جمعية القيم الجزائرية)، واتجه اللوم إلى آراء المفكرين الموجودين خارج الوطن (مثل بعض الكتّاب الجزائريين بالفرنسية)، وكذلك إلى المفكرين الثوريين المؤيدين للاتجاهات الأجنبية (ذكرنا آيت أحمد، ومنهم أيضاً أحمد بن بلّه الذي يحبذ التعريب واللغة الفرنسية في التعليم)[256]. والتعليل لتلك المواقف المتباينة هو أن مثل هذه الآراء تعود إلى مؤهلات الشخص نفسه (مثلاً هواري بومدين تخرّج في المدارس الاسلامية والأزهر في مصر، وهذا لم يكن حائلاً في الغالب دون انتهاجه العمل الثوري) خاصة وأن الآراء حول التعريب اكتسبت طابعاً عاماً اتصف بالصيغة الوطنية التي ترقبت التنفيذ العلمي المدروس بعد الاستقلال. لكن عند التطبيق، تبرز الصعوبات وتتغير الأفكار، وتتفوق المصلحة العامة على الخيارات الشخصية. فمثلاً، تقلص ظل الانتاج الأدبي الجزائري باللغة الفرنسية بعد الاستقلال، وبدأت الثقافة الوطنية تحتل المكان المشروع الناطق باللغة العربية، استناداً إلى التراث الوطني. فقد ساهم التأثير الأجنبي في تحقير اللغة والقيم الحضارية العربية. وقد تأكد أن نوعية المسؤول في التربية والثقافة الوطنية، لها مفعول أكيد على سير المنهج الثقافي الجزائري. فإن كان مثلاً من خريجي جمعية العلماء، فإن المنهج الثقافي لا يختلف كثيراً عمّا هو عليه في أي قطر عربي. وتعميم التعليم بالقطر الجزائري سيؤول حتماً إلى تراجع الثقافة الفرنسية، ويتأيد ذلك الوضع بمقاومة الأميّة، وتعريب التعليم. كذلك يقضي لا محالة على امكانات كبرى تمتعت بها الثقافة الفرنسية. وربما ستبقى الفرنسية أداة للتدريس في فروع معينة من التعليم العالي، أو كلغة تكميلية لتغذية الفكر والثقافة الجزائرية. وفي الوقت

---

(٢٥٣) المجاهد، ١٩٦٥/٨/١١، وحولية شمال افريقيا (١٩٦٥)، ص ٢٢٤.

(٢٥٤) انظر: Christine Souriau, «L'Arabisation au Maghreb,» *Annuaire de l'Afrique du Nord* (1984), pp. 96 et 106.

(٢٥٥) حولية شمال افريقيا: (١٩٦٥)، ص ٢٢٤ - ٢٢٥، و (١٩٦٧)، ص ٣٨٥.

(٢٥٦) حولية شمال افريقيا (١٩٦٥)، ص ٢٢٥.

الحاضر، فلم يعد اعتبارها فعّالاً إلا في المضمار العلمي والتقني(٢٥٧). والدليل على ذلك أن التعليم المعرّب، مهما كانت نقائصه، بدأت نتائجه الفكرية تظهر في التحوّل الثقافي الجزائري. وهذا لا يمنع أن النتائج الأولى لم تكن مرضية، ولعل مرد ذلك إلى العجز الحاصل في عدد المعلمين المعربين الأكفاء، سواء كانوا جزائريين أو من أقطار عربية أخرى(٢٥٨). فتبين أنه لا أحد يقبل بتحقيق التعريب مهما كان الثمن، ومهما ساءت النتائج التعليمية، خاصة وأن الجزائر لا بد أنها تمعّنت في التجربتين التونسية والمغربية، ودرست نتائجهما(٢٥٩). وقد أكد أحمد طالب وزير التربية، أن مستوى تعليم العربية قد انخفض، خاصة وأن ٥٧ بالمئة من المعلمين كانوا «ممرنين لا يحملون غير الشهادة الابتدائية، وإنما رقوا إلى درجة معلمين، بامتحانات مهنية أجراها عليهم مفتشوهم»(٢٦٠). ولنشِر في هذا الصدد إلى أن تعريب السنة الأولى والثانية من التعليم الابتدائي اكتسى صبغة نهائية، إعداداً لما يترقّب الأطفال من تعليم ثنائي اللغة بعد تلك المرحلة التي تنطلق من السنة الثالثة من المرحلة نفسها(٢٦١). إن أنصار التعريب احتجوا أنه بسبب النقص في الوسائل والطرق التعليمية في المرحلة الاعدادية والثانوية وفقدان أو ندرة أو ضعف المدرسين لغياب التأهيل اللغوي المزدوج، فقد كان حظ الصفوف المعرّبة متدنياً بالنظر إلى الصفوف المزدوجة اللغة(٢٦٢).

لقد قلنا إن الثورة الجزائرية تعمل بموجب ثلاثة مبادىء: الاصلاح الزراعي، والتصنيع، والاتجاه الثقافي المتجسّم في التعريب. كان هذا المنهج هو المحور الذي قاد التفكير، ولو قد طرأت عليه عوامل التكييف التطبيقي. وقد دافع عنه مندوبو الجزائر في جلسات المنظمة (جلستها الثامنة، سنة ١٩٧٠ في القاهرة). فبيّن مندوبها أهداف برنامج قرر منذ اندلاع الثورة في أول تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٤، وقد شرحت تلك الأهداف في مؤتمر ١٩٦١، وتتلخص في المطالبة بتوحيد المصطلحات، ونشر المعاجم، وتعميم التعريب في كل مناحي الحياة، وفي كل مستويات التعليم بالنسبة إلى الأقطار التي ما زالت تستخدم لغة أجنبية في التعليم، وفي الجملة الاقتداء بما حققته سوريا في هذا الميدان. ذلك أن الجزائر تطمح إلى استرجاع هويتها النوعية، كما أوضح ذلك الابراهيمي، ملحّاً على عامل التراث الذي بفضله يمكن تشييد المستقبل، ذلك أن معرفة التراث وبلورته تحتم اتقان اللغة القومية(٢٦٣). فما عسى ينبغي تخصيصه من دور لهذه اللغة؟ إن المسؤولين في الجزائر يضعون العربية على صعيد لغة كاملة للتعبير في التعليم والحديث والتراسل، وإعداد الكتب المدرسية من كل صنف. فليس مقصدهم إدخال العربية في مناهج التعليم كمادة للدراسة فحسب،

---

(٢٥٧) *Confluent*, no. 47 (janvier-mars 1965), pp. 52-66.

(٢٥٨) حولية شمال افريقيا (١٩٦٥)، ص ٢١٥، و *Le Monde:* -/3/1965 et 29/9/1965.

(٢٥٩) المجاهد، ١٣/٥/١٩٦٦، وحولية شمال افريقيا (١٩٦٦)، ص ٣١٠.

(٢٦٠) الجيش (آذار/ مارس ١٩٧٤).

(٢٦١) حولية شمال افريقيا (١٩٦٧)، ص ٣٨٢.

(٢٦٢) انظر: *Annuaire de l'Afrique du Nord* (1980), p. 683.

(٢٦٣) *Jeune Afrique*, no. 334 (4 juin 1967), p. 48.

والمحافظة على الفرنسية لتدريس المواد الأخرى(٢٦٤). ذلك أن نقل قدرة التعبير عن المعرفة من لغة أجنبية إلى اللغـة القومية يشكّل قضية وطنية، لا قضيـة تخص فقط المسؤول عن حظوظ التربية. وعلى هذه اللغة أن تعوض تدريجياً اللغة الفرنسية في علاقاتنا العـامة والخـاصة، دون التخلّي عن الزاد العظيم المكتسب بفضل الثنائية اللغـوية المعمـول بها في واقـع الحال، واقـع العصر الحديث، التي ما انفكت متطلباته في نمو مستمر(٢٦٥). فإن فقدت الشخصية الجـزائريـة أصالتها زمن الاستعمار، وكذلك نوعيتها الثقافية وبعدها الانساني، فذلك لأن اللغـة العربيـة لاقت مقاومة في المؤسسـات العامـة والاقتصاد والتعليم. وقـد واجه بعض الشيـوخ من جمعية العلماء هذا الموقف بإمكانـات قليلة بطيئـة، خاصـة وأن الجمعية استهـدفت في المرحلة الأولى من نشاطها اصـلاح المؤسسات الاسـلامية التي تجمّـدت أوضاعهـا عبر القـرون. ثم تفرغت لإنشـاء المدارس الاسـلامية (١٥٠ مـدرسة بـين ١٩٥٣ و١٩٥٤). ويبـدو لهـذا أن الحـركـة الاصلاحية الجزائرية حالت دون أن تقف النخبة ذات الثقافة الفرنسية في الجزائـر، في طريق الحتمية التاريخية التي أيّدت الجزائر في التعـرّف على ذاتهـا وشخصيتها بـالعودة إلى تـأمل تلك الذات، وقادها ذلك التأمل إلى العمل لفائـدة الوحـدة اللغويـة التي أحاطت بـاللغة القـومية بصفتهـا بعداً من أبعـاد الأصالـة، عمل التعـريب على تـطويرهـا(٢٦٦). ولا ننسى أن الظروف السيئـة للغايـة التي أحاطت بـالقطر الجـزائري غـداة استقلالـه، والتي تمثّلت في فقدان أطـر التعريب، زادتها تصميماً على تقرير التعـريب كخيار لا رجعـة فيه، ارتبط بـالتجربـة الثوريـة ارتباطاً عضوياً. وعزمت الجزائر على الإفادة من التجارب التعريبية الأخرى، دون التعلّل بأن اللغة سبب مباشر في التخلف الفكري، ودون اعتبار الجـزائريـين الذين تثقفـوا ثقافـة عربيـة وطنيين بصورة خارقة(٢٦٧). ولنأكد أن هذا الخيار الأساسي لا يقصد منـه وضع المصـطلحات، بل إنه خيار لغوي للثورة فرض على المسؤولين أن تستعيـد اللغة العـربية مكـانتها التي سلبت منها مدة ١٤٠ سنة خلت. ورغم ذلك، فلا نجد عـداء مبدئيـاً نحو اللغـات الأخرى؛ فقـد أكد النائب الجزائري في مؤتمر الكتّاب العرب الثامن الذي انعقد في تونس في كانـون الأول/ ديسمبر ١٩٧١ ضرورة اللغات الأجنبية لدعم البحث العلمي، خاصة وأن الجزائر مصرّة على أن تكون العربية لغة التعبير العلمي(٢٦٨). وتكون البـداية بـإعداد المعلمـين، ووضع الـرصيد اللغوي المغربي، وإعداد المدرسين للتعليم الثانـوي، وتأليف (لا تـرجمة) الكتب لجميـع المواد دون ارتجال أو إهمال(٢٦٩). ويكون ذلك بإحصاء اللغة للمدرسة الابتدائية (تاريخ، جغرافيـا،

---

(٢٦٤) **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ٥٧.

(٢٦٥) *Jeune Afrique*, no. 334 (4 juin 1967), p. 48.

(٢٦٦) **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ١٣ - ١٦.

(٢٦٧) «من خطاب الرئيس بومدين امام اللجنة الوطنية لإصلاح التعليم في ٢٩/٤/١٩٧٠،» **الأصالة**، العددان ١٧ - ١٨ (١٩٧٤)، ص ٣٨.

(٢٦٨) أبـو القاسم سعـد الله، «من حضارة الشعـر إلى حضـارة العلم،» **الفكر**، السنة ١٧، العدد ٤ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ص ٧٣.

(٢٦٩) المصدر نفسه.

مبادىء العلوم، حساب، تربية مدنية، تربية بدنية)[٢٧٠].

وقد عملت الجزائر بموجب طرق التعريب المتماشية والهياكل المدرسية. فكان التعريب رأسياً (سنة فأخرى) وذلك حتى نهاية المرحلة الابتدائية أو الثانوية. وقد وقع العدول عن هذه الطريقة لأنها لا تتيح إعداداً تاماً للأطر الضرورية لها، ولعله ينبغي الانقطاع عن الاستمرار فيها لعجز في عدد المدرسين. وضمن خيار التعريب الشامل، نفّذ منذ ١٩٦٧، مع الطريقة الأولى، تعليم مادة تعتبر ذات مصلحة وطنية كالتاريخ، وذلك ينطلق من أول الدراسة الثانوية حتى نهايتها. فكان ذلك تعريباً ظرفياً اختارته وزارة التربية القومية، وهو عبارة عن طريق «القفزات المتوالية» التي تتيح لقطاع كامل من التعليم العمل بالعربية، ويستفيد منه عدد متزايد من التلاميذ مرتبط بنمو المدرسين المتأهلين في مدارس المعلمين. وقد لوحظ في هذا النطاق أن مدن الجنوب لم تؤثر فيها اللغة الفرنسية تأثيراً عميقاً، فاعتبرت مناطق «جديدة» قابلة للتعريب. لكن ما يترتب على هذا السلوك التربوي هو أن التعريب أصبح أداة تفرقة بين نواحي القطر، وميّز بين الأهالي في المدن والقرى. لكن يبدو أن التعريب نجح أيّما نجاح لّما تحدد بنقطة معينة، مثلاً في مدرسة ما قصد التجربة، وقد بدأ العمل بذلك منذ ١٩٧١، وذلك بأن تدرس كل المواد بالعربية في كل الفصول[٢٧١]. وهو حل معقول لأنه لا يربط بين التعريب وانخفاض المستوى الذي يتجلّى عند التعريب الشامل. ومثل هذا المشروع يتبنّى خطة عمل تطابق الامكانات التعليمية الموجودة، ويقوم بتصحيح فوري لكل انحراف تربوي، في ضوء ما آلت إليه التجربة المحدودة. وترقباً لإعداد المدرسين الجزائريين، استعانت الجزائر بعدد منهم قدم من الأقطار العربية (إضافة إلى المتعاونين الفرنسيين الذين كان عددهم سبعة آلاف سنة ١٩٦٧). وكان انتداب المدرسين العرب يثير مشاكل ذات صبغة لغوية (إذ تؤثر لهجتهم على توضيح المعلومات) حتى أن وزارة التربية دعت المدرسين العرب إلى التخلي عن استخدام لهجاتهم بالفصل والتحدّث بالعبارات الجزائرية المطروقة، وطبعاً التعليم أولاً وبالذات بالفصحى، ذلك لأن الهدف الأساسي يتمثل في إكساب الأطفال اللغة العربية الفصحى، وتجنيبهم تلقف لهجة مدرّسهم الطارئة التي تؤثر تأثيراً سلبياً في نطقهم[٢٧٢].

ولذا لا بدّ من تدريس الفصحى كلغة حية تقرب من اللهجة الجزائرية، واعتباراً للعدد الهام من الناطقين باللغة البربرية، وذلك دون أن تعترف رسمياً بوجود فعلي للغتين متنافستين في القطر الجزائري. لكن الواقع اللغوي يثبت أنه يوجد نسبة تتراوح من ٣٣ بالمئة إلى ٣٥ بالمئة من الأهالي الناطقين بالبربرية، وهذا واقع تربوي ينبغي اعتباره. وقد تأكد الاتجاه عند بعض المتحمسين لقضية اللغة البربرية في الجزائر، فبيّنوا أن هناك ارتباطاً بين

---

(٢٧٠) المصدر نفسه.

(٢٧١) *Jeune Afrique*, no. 334 (4 juin 1967), p. 48.

(٢٧٢) ياسين رفاعية، «حركة التعريب في المغرب العربي،» اللسان العربي، السنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٧)، ص ٣٥٤.

ضرورة تعميم التعليم لأغلب الجزائريين واستعمال اللغات الحية، وبين السبق إلى الاعتراف بواقع اللغة البربرية، وإلا كان ذلك سلاحاً في أيدي الخصوم[٢٧٣]. لكن التعاون مع الأقطار العربية رغم ما عاقه من صعوبات، تقدم بالتعريب خطوات، فلم يعد خاضعاً لحجة قلة الأطر من معلمين وأساتذة، ولم يعد التعريب خطة بعيدة المنال أو حلماً يعسر تحقيقه في المدى القريب. لكن هل وقع الحفاظ على المستوى التعليمي؟ من الملاحظ أنه إذا توسّعت البلاد في تعميم العربية، فإن الفترة الأولى تميّزت، بالإضافة إلى طريقة تعليم العربية على أسلوب التعليم، وما ترتّب عن ذلك من تعطيل للعلاقة بين التلميذ والمدرّس، بما كانت عليه طريقة تعليم العربية من صبغة تقليدية عتيقة محدودة النتائج[٢٧٤]. ولذا، تحدد الأمر في الربط بين التعريب الحقيقي وإعداد أطر التعليم الوطنية. لكن هؤلاء ـ لقلتهم في تلك الفترة ـ كانوا يشعرون بالحاجة الماسّة إلى معارفهم، فكان ينتابهم شعور الاعتزاز بوضعهم المتفوق، فابتعدوا عن اللهجة العامية التي يتخاطب بها أفراد الشعب، والتي كانت عبارة عن أداة للثقافة التكميلية يمكن تطويرها إلى وضع اللغة وتقعيدها، لأنها تشكل أداة التخاطب بالنسبة إلى ثلثي الشعب الجزائري، إذ إن الاستعمار حكم على هؤلاء القوم بالأمية[٢٧٥]. ثم إن الجزائر لم تكن لديها جامعة تقليدية اسلامية مثل الجامعة الزيتونية أو جامعة القرويين، حتى تروج الثقافة العربية في القطر كله. فلم تكن للجزائر سوى أطر مفرنسة أو معربة، ولم يوجد مثلا مدرسون باللغتين يمكن تحويلهم وتدريبهم في إحدى اللغتين. فاعتبر ذلك الوضع بمثابة القطيعة بين النخبة المثقفة والشعب، وأثر ذلك في خطة التعريب، وضاعف من الصعوبات عند الشروع في التنفيذ. من ذلك أن بعض فئات من الجزائريين أبدوا اعتراضهم تجاه التعريب، معتبرين ذلك «تشفياً صادراً عن بسطاء الرأي». «والواقع أن التعريب الذي يكتسي مفهوماً عصرياً، يمكن في رأيهم أن يتسبب في العودة إلى روح المحافظة والتقليد التي تجاوزها التاريخ. ويمكن أن يكون مصدرها بعض الفئات الهامشية التي غرقت في الذهنية العتيقة، وبقيت خارج الرجّات التي عاشها المجتمع الجزائري»[٢٧٦]. ولذا، ينبغي المحافظة على اللغة الفرنسية كحافز على التعريب مدعم له. كان الجمع الذي يدافع عن تعليم الفرنسية دون شروط مسبقة يشكّل جبهة من المعارضين ينتسبون إلى النخبة التي اندمجت تماماً في الثقافة الفرنسية، فبدأت تشعر بالخطر يهدّد الوضع الذي ارتاحت له. ولم تقدر على فهم الرهان الحقيقي الذي كان يتمحور عليه التعريب، والذي استهدف العمل على ألّا تكون العربية مستقبلاً أداة مخصصة لتبليغ الأدبيات فحسب. ولهذا السبب الجوهري، تحتم الخروج من الثنائية التي تقرر بصورة عشوائية أنه ينبغي تخصيص العربية للحلم والشعر، وبإيجاز للماضي وتخصيص اللغة الفرنسية أداة لتبليغ العلوم والحداثة. ويجب تعويض تلك الثنائية بغيرها، تكون خالية من كل تناقض، بحيث يتاح للعربية القيام بدور أساسي، ويضاف إليها لغة أجنبية. وإذا عاشت الثنائية اللغوية مرحلة أولى تمثّلت في جدلية قائمة بين العزلة الثقافية والتوق إلى الحضارة

---

(٢٧٣) *Jeune Afrique*, no. 341 (7 décembre 1969), p. 84.

(٢٧٤) *Revue tunisienne des sciences sociales* (décembre 1971), p. 219.

(٢٧٥) عبد الله شريط، «مشكلة اللغة والمجتمع،» **الأصالة**، العددان ١٧ ـ ١٨ (١٩٧٤)، ص ١٥٥.

(٢٧٦) *Jeune Afrique*, no. 239 (avril 1973), p. 17.

القومية، فقد تبعتها فترة ثانية تمثلت في الانفتاح على الفكر العالمي وإهمال الثقافة الوطنية، ثم ثالثة تجسّدت في العودة إلى الثقافة الوطنية بمفاهيم جديدة تطمح إلى الأحسن(٢٧٧).

ونظرية الجزائر في هـذا الموضـوع تشكّل عـودة إلى اعتماد عنصر من عناصر الشخصية الوطنية والأصالة، ويكون ذلك عبر ما يتحقق في سبيل التعريب. إن هذا القطر يعتبر الثنائية اللغوية حدثاً ظـرفياً طـارئاً فـرضه الـوضع التـاريخي الذي وجـدت فيه الجـزائر نفسهـا غداة الحصول على الاستقلال. ولم يعتبرها قط مذهباً تعليمياً تـربويـاً. ومع ذلـك، فلا مجـال لخلق موازاة تتنافس فيها العربية والفرنسية، بل تعتبر اللغة الثانية لغة إثراء فكـري ووسيلة تربـوية اضافية. وإن صح أن الترجمة الآلية الفورية ستوضع في خدمة التعليم في مستقبل قريب، فلا حاجة بنا إلى إهدار جهود الطلاب في كسب متفاوت القيمة والمنفعة للغات الأخرى، خاصـة وأن الشباب ليس له من الـوقت ما يقضيـه في الكسب العلمي المترف. ويكـون من الأولى لو خصّصنـا ذلـك الـوقت المقضي في تلقـين اللغـات، في تعميق التخصص الضروري لإعـداد الشباب في التكيّف بالمجتمع المتأثر بالأحداث التقنية بصورة متزايـدة(٢٧٨). ويبدو أن الجـزائر، بعد التمعّن في الطرق التعـريبية الممكنـة، لجأت إلى التعـريب الرأسي الـذي يتيح مـزيداً من التأمل والتصحيح، بفضل التنفيذ المخطط الذي ينفذ في بداية كـل موسم دراسي، ويعتـبر ما لديه من امكانات تـربويـة من مدرسـين ومشرفين عـلى سير التعليم. ذلـك أنه ينبغي العمـل بالعزم نفسه، وفي آن واحد عـلى إعداد المـدرسين المعـرّبين وتعميم التعليم. ومن الضروري السير على هذا النهج اليقظ تدقيقاً للمكاسب العلمية الواجب عرضها على الطلاب.

انطلاقاً من المقررات المختلفة المتخذة بداية من ١٩٦٢، بدأت تظهر المواقف المتباينـة. فمن متعلق بالتعريب السطحي المخصّص لحملة مكافحة الأميّة، إلى معـارض يثير المصـاعب من كل نوع، ويشكّك في كفاءة المعرّبين الجزائريين وغيرهم. إن المـدرّسين المحليـين تكوّنـوا قبل الاستقلال في المدارس التابعة لجمعية العلماء، وكـانوا قلة دون امكـانات، تعـوزهم فعلاً الكفاءة التربوية. ولذلك كانوا عرضة للنقد اللاذع، خـاصة وأنهم اعتـبروا السبب المباشر في انخفاض المستوى الدراسي الذي كان في الواقع ظاهـرة عامـة غير محـددة بالفصـول المعرّبـة. والحقيقة أن ما كانت عليه الجـزائر من وضـع سياسي خـلال تنفيذ القـرار المتعلّق بالإصـلاح الزراعي، كشف موقف المتفرنسين الذين تذرّعوا بقضية التعريب للتصريح بانتقاداتهم، رغم أنهم كانوا من الأطر المسؤولة في الادارة، وكانوا قلّة نشيطة اجتهدوا في تأخير عمليـة التعريب في المدارس والمكاتب، تلافياً ـ حسب اعتقادهم ـ للتضحية بأجيال المثقفـين بالفـرنسية. وقـد سطّر هؤلاء في وزارة التربية المناهج التعليمية الواجب اتباعها في خطة التعـريب التي تعطلت بعد عشر سنين انقضت في العمل بهذه التجربة اللغوية، وتوقفت في السنة الثالثة من التعليم الابتـدائي(٢٧٩). ولم يستفد إلاّ بعض المعـاهد وبعض المـواد (تاريـخ، تربيـة مـدنيـة ودينيـة،

---

(٢٧٧) عثمان شبوب، «من اللغة تبدأ ثورة التجديد،» **الأصالة**، العددان ١٧ ـ ١٨ (١٩٧٤)، ص ٨.

(٢٧٨) الابراهيمي، «الثورة الثقافية تعريب والتعريب ثورة ثقافية،» ص ٣٤ ـ ٣٥.

(٢٧٩) المصدر نفسه، ص ١٢٦، ٢٠٥، ٢٠، ٨٩، ٣٤، ١٩٥ و٢٠٣.

جغرافيا) من بادرة الاستقلال اللغوي التعريبي. فكانت التدابير الواحدة التي جرى بها العمل في المدرسة الجزائرية الجديدة التي تمادت بذلك في العمل بالثنائية اللغوية، ذلك النظام التعليمي الذي لُقن خلاله الماضي بالعربية، في حين أن الحاضر والمستقبل تجسّما في التعليم العلمي الناطق بالفرنسية. وبهذه الصورة بقي المواطن الجزائري خاضعاً للتبعية الثقافية الأجنبية، بحيث كان تأثير ذلك الوضع ملموساً على شخصيته. ولقد ارتبط التعريب بالدولة الملتزمة بمناوبة تتراوح بين تعريب لصالح الدولة يجسّم التغريب، وتعريب ضد الدولة يجسّم الأسلمة. وفي خصوص تصور التعريب والاسلام فقد تواكبا أحقاباً طويلة كوجهين للواقع نفسه الذي لا ينفصم حسب رأي عبد الرحمن شيبان (وزير الشؤون الدينية سابقاً)(٢٨٠). وما انفكت الجزائر تتمثّل بما جدّ في سوريا في حقل التعريب. فمثلاً نتج من مقاومة الخبراء الفرنسيين للغة الانكليزية أن أبعدت اللغات الأخرى من المنهج المعرّب. أما في مصر والعراق، فقد وقع التمادي في استخدام الانكليزية في التعليم العالي، كما تمادت أقطار المغرب في تقديم تعليم بالفرنسية. أما الجزائر فهي ترى أنه لا يمكن للعربية القيام بدور ايجابي إلاّ إذا درست بها العلوم ضمن المحيط الاجتماعي(٢٨١).

ويكفي أن نتذكر أن الرابطات والزوايا والمدارس ساهمت في العهد الوسيط، في المحافظة على العلوم اللغوية، لندرك هذه الانتفاضة التي دفعت باللغة العربية دفعاً في الجزائر، خاصة وأن الدراسات اللغوية اختنقت بسبب ارتباطها الوثيق بالدراسات الدينية، في الفترة الاستعمارية. من ذلك أن قانون ١٩٠٤ ألزم المعلمين بتحفيظ القرآن دون تفسير أو دراسة تاريخية أو الاطلاع على الأدب العربي. ولم تعد العربية إلى الظهور إلاّ في سنة ١٩٦٢، حيث انطلق الموسم الدراسي في شهر تشرين الأول/ اكتوبر، والعربية مقررة في جميع معاهد التعليم. تلك هي الفترة الانتقالية، وتلتها سنة ١٩٧٠ نصوص تشريعية خاصة بتنفيذ التعريب، ذلك التشريع الطريف الذي أثار التعاليق المؤيدة والمعارضة. لكن الفترة السابقة لذلك، أتاحت سنة ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤، تقييم النتائج الأولى التي تجسمت في ارتقاء اللغة القومية إلى مستوى تأدية المعرفة بجميع فروعها. وقد حصلت العربية على ثلث الوقت (١٠ ساعات من ٣٠) في المرحلة الابتدائية سنة ١٩٦٣، رغم ندرة المعلمين الأكفاء، ورغم ما كان من عزم صادق على انتدابهم من أقطار المشرق والمغرب العربي، بغية تعويض الفرنسية بالعربية في الابتدائي والثانوي ولو بصورة تدريجية. وقد انبثقت تلك الجهود المضنية من رغبات الشعب ومن مقررات جبهة التحرير الجزائرية بعد انعقادها في طرابلس (حزيران/ يونيو ١٩٦٢)، وكانت مقتضياتها جعل العربية لغة القيم الثقافية بحيث تستعيد عزتها ومناعتها ونجاعتها بصفتها لغة حضارية، وكان ذلك القرار مؤيداً برأي المجلس الوطني(٢٨٢).

---

(٢٨٠) *Annuaire de l'Afrique du Nord* (1984), pp. 79 et 84.

(٢٨١) عبد الحميد المهدي، «تعريب التعليم في الجزائر ومشاكله،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ١٤٦ ـ ١٥١.

(٢٨٢) **حولية شمال افريقيا** (١٩٦٣)، ص ٥٤٤ ـ ٥٤٨.

لكن النتائج الأولى كانت رديئة لضعف المعلمين القادمين من ثقافات وأقطار مختلفة، فأدى ذلك إلى تضارب في المناهج والكتب المفقود أكثرها، وإن وجد بعضها، فهي لا تتماشى والبيئة المحلية. تلك كانت بعض الملاحظات السلبية التي جعلت التعريب محل تساؤل، فبدأ الاستفهام يحوم حول البحث عن اتجاه «علمي» جديد جسّدته العودة إلى تعليم ثنائي اللغة، وهو أيضاً تعليم يحدّ من تعميم المعرفة، لأنه يعتمد على انتقاء المحصلين في اللغة الثانية. كل هذه العوائق لم تحل دون تناصف الوقت سنة ١٩٦٤، بحيث بقيت وضعية اللغة الفرنسية ممتازة تؤدى بفضلها المعرفة العصرية. هذا الوضع سرى على السنة الأولى من التعليم الابتدائي[٢٨٣] وخصصت (١٠ ساعات لبقية السنوات). أما في المرحلة الثانوية، حيث أدرج تعليم العربية في جميع الشعب إثر الاستقلال، فقد بقيت لغة اختيارية في الامتحانات العامة مدة ثلاث سنوات «تحت وطأة جهل الطلاب لهذه اللغة... وأذكر أن الطلبة الجزائريين كانوا يؤدون امتحانات اللغة العربية خلال المرحلة الأولى من عهد الاستقلال...»[٢٨٤]. وإن تمادت البادرات التعريبية، فقد زاد الاحتياط لها (مثلاً خصص من ٥ إلى ٨ ساعات حسب شعب الثانوي، ثم استقر الوضع على ٧ ساعات)[٢٨٥]. وأحاطت اليقظة العلمية والتروي من القرارات وحساب عواقبها بالتعريب في مرحلتها الثانية (١٩٧٠ ـ ١٩٧٤). وقد سبق ذلك تحديد العمل بإعداد المعلمين (١٩٦٥ و١٩٦٦). وبعد تقييم نتائج السنة الأولى، عرّبت السنة الثانية ابتدائي في تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٦٧، بحيث بدأت أفواج التلاميذ تدخل التعليم الاعدادي سنة ١٩٧١. ثم جاء دور السنة الثالثة، فعرّب تعليم الحساب بها[٢٨٦]. وبدأ التفكير والتخطيط المدروس اعداداً لتعريب السنة الرابعة، وتعريب ثلثي الوقت بالسنة الخامسة والسادسة، وكذلك ثلث أقسام المرحلة الاعدادية (سنة أولى)، وكذلك في الثانوي. أما تعريب المضمون الدراسي، فقد شمل الآداب والجغرافيا وفروع التعليم التقني (محاسبة، تجارة، سكرتارية)[٢٨٧]، كما تقرر منذ سنة ١٩٦٦ انشاء شعب زراعية معربة. وأثبت الاحصاء طبعاً أن دائرة التعريب في اتساع مستمر. وقد تمثّلت نسبة التلاميذ المعربين سنة ١٩٧٤، على النحو التالي: ٢,٠٨٦,٤٨٠ تلميذاً معرباً ـ ٢,٧٤٩,٧٤٠ تلميذاً.

وكان عدد المعلمين ٥٤,٠٠٠، منهم ٣٨,٠٠٠ معربين في المرحلة الابتدائية. وفي التعليم الثانوي، كانت النسبة ٦٠٠٠ مدرس معرّب من ١٤,٠٠٠. وقد شملت العربية (٩ ساعات في كل الشعب) هذه المرحلة، بالإضافة إلى تعريب شعبة الآداب وثلث الأقسام العلمية. وقد انتهى أمر التاريخ المعرب سنة ١٩٧٠، في حين أن ثلاث مدارس ثانوية أهّلت منذ سنة ١٩٦٨ طلاباً حصلوا على البكالوريا العربية. وبذلك، يمكن تقرير حصيلة أولى

---

(٢٨٣) **حولية شمال افريقيا** (١٩٦٤)، ص ١٧١.

(٢٨٤) **الجيش** (آذار/ مارس ١٩٧٤).

(٢٨٥) **حولية شمال افريقيا**: (١٩٦٦)، ص ٣١٠، و (١٩٦٧)، ص ٣٨٢.

(٢٨٦) **حولية شمال افريقيا**: (١٩٦٩)، ص ٤٦٠.

(٢٨٧) **الأصالة**، العددان ٥٨ ـ ٥٩، ص ٣٣ ـ ٣٤.

تمثّلت في اعتماد العربية في التعليم العام، رغم الشكوك والاعتراضات، فوقع الاحتفال بعام ١٩٧١ سنةً للتعريب الذي نفّذ في السنتين الثالثة والرابعة الابتدائيتين، والإبقاء على تعليم الفرنسية تعليماً لغوياً صرفاً. فكان الطموح قوياً أن ينجح التعريب، وأن يخطط لفترة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٧، بحيث يقع انشاء مدرسة أساسية معربة[٢٨٨]. وفي تلك الأثناء كان الاستمرار في العمل بالتعريب الظرفي قد أتاح الفرصة لكي تتواكب اللغتان على الصعيد التعليمي. فتم في ١٩٧١ ـ ١٩٧٢، تعريب ثلث الفصول للسنة الخامسة الابتدائية (السنة السادسة، ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣)، تأهّباً للدخول إلى المرحلة الإعدادية والثانوية (سنة أولى آداب، معرّبة). وبذلك بلغت المرحلة الثانوية في ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣، نسبة ٣٢,٣ بالمئة بالنسبة إلى الفصول المعرّبة. فاتجه الرأي بعد ذلك إلى تركيز الجهود على الشعب العلمية. وكانت الخطة المقررة لفترة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٧، تستهدف الاصلاح الجذري للهياكل التربوية، وإعداد العدّة للتعريب المخطط[٢٨٩]. وبهذه الصورة، يخول الحاصلون على البكالوريا العربية متابعة دراسة العلوم باللغة العربية. ولذا، ينبغي اكسابهم الملكة والذهنية العلمية قبل تلقينهم ترجمة المصطلحات العلمية. ولم تبدأ الشعبة العلمية المعرّبة في العمل إلاّ منذ تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٧١، لما كان من عجز في مدرّسي الرياضيات ونقص في المؤلفات وفي الكفاءات التربوية. وعلى هذا، يمكن ادراك الرفض الذي واجه به الطلاب عملية التعريب العلمي. وقد أنشئت لجان تنسيق في كل شعبة بغية مراقبة تنفيذ التعريب.

كانت المؤسسات الجامعية قائمة قبل الاستقلال بمدة طويلة، لأن الجالية الفرنسية والأوروبية عامة، وفيرة، فهيّأت لها الحكومة الفرنسية أسباب الدراسة الجامعية طبق المناهج الفرنسية. وقد خوّلت الحكومة الجزائرية المستقلة لتلك المؤسسات العريقة حرية الخيار التعريبي الفردي قدر المستطاع. فصار التعريب أمراً شخصياً مرتبطاً بهمة العمداء ومشاربهم اللغوية والفكرية[٢٩٠]. وما زال هذا الاتجاه سائداً. فقد ذكر عبد اللطيف الرحال وزير التعليم العالي أنه ينبغي «جزأرة» سلك التعليم العالي في الفروع المعرّبة، رغم أن الأساتذة الجزائريين كانوا من المعيدين والمساعدين (بنسبة ٢٠,٩ بالمئة في الفروع المعرّبة و٥٩,٩ بالمئة في الفروع المفرنسة). وقد عرّب ثلث الطلاب في العلوم الاجتماعية سنة ١٩٧٨ على الأقل[٢٩١]. وبقرار ٢١ تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٧٠، عرّبت الحقوق، لكن الكلية المعنية لم تشرع في بثّ التدريس القانوني المعرّب إلاّ في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٣، وكذلك الأمر في علم الاجتماع وعلم النفس. وعرّبت كذلك الفلسفة والتاريخ والآداب العربية[٢٩٢]. وقد حدد مرسوم التعريب الجامعي (٤ رجب ١٣٩١هـ ـ ٢٥ آب/ اغسطس ١٩٧١م) الصورة

---

(٢٨٨) **الأصالة**، عدد ١ ـ ٥، ص ٥٧.
(٢٨٩) **التعريب في الجزائر** (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٣)، ص ٣ ـ ٨.
(٢٩٠) **حولية شمال افريقيا** (١٩٦٤)، ص ١٧٢.
(٢٩١) **الشعب**، ١٩٧٨/١١/٢٩.
(٢٩٢) **حولية شمال افريقيا**: (١٩٦٦)، ص ٣١٠، و(١٩٦٧)، ص ٥٨٢.

التي بها تدرّس العربية وتصير إلزامية في مناهج التعليم العالي. ومن ذلك أن الفشل في اختيار العربية يحرم من النجاح النهائي في امتحان التخصص[٢٩٣]. وضبط مرسوم ١٩٧٢/١١/٢٢ برنامج تعليم العربية في السلك العالي بحيث ارتبطت العربية بمادة الاختصاص وما يتبعها من تمارين تطبيقية تعالج بالعربية. فمنذ قرار ١٩٧١ المذكور، صار المتحصل على اجازة مندمجاً كعنصر فعّال في المجهود المبذول من أجل تحقيق التعريب[٢٩٤].

وبعد أن تبيّنت ماهية قرار ١٩٧١/٨/٢٥ المشار إليه، بفضل الشروح التي قدمها وزير التعليم العالي في ندوة صحفية (١٩٧١/٧/٢٣)، اتضح أنه عبارة عن تأسيس لغوي واسع النطاق يتجه إلى الطلاب الجدد الملزمين بمتابعة تعليمهم العالي باللغة الأجنبية[٢٩٥]. فمن واجب الطلبة تعلم العربية واتقانها واستخدامها لغة عمل، خاصة في حقل المصطلحات التقنية[٢٩٦]. ومن البديهي أن من الطلبة من سيجد متسعاً للخوض في الفائدة المنتظرة من تقرير تدريس العربية لجميع الاختصاصات. وسيتذرّع هؤلاء بأن العربية وإن كانت معرفتها مطلباً وطنياً عاماً، لكن هل يمكن اعتبارها مطلباً يمكن من بلوغ كل الطموحات الاجتماعية المشروعة، والإسهام في تسيير شؤون البلاد؟ وهل الذي تمثّل مكسبه في معرفة العربية لا غير، يمكن اعتباره شخصاً ناقص القدرات الاجتماعية؟ لا شك أن الطالب المعرّب استعاد كيانه الروحي، لكن شعوره المتيقظ أنه قد فوّت على نفسه فرصة الرقي الاجتماعي. ومن المصادفة أن التعريب تمّ في كلية الآداب، والمتخرّج منها لا يجد إلّا قليلاً من فرص الترقي، في حين أن تدريس الطب لم يعرّب، وإن قطع شوطاً هاماً في طريق «الجزأرة». ومن رأي المتفرنسين أن العروبة تشكل إحدى القيم المثالية طبعاً، وفي إمكانها أن تتمخض عن سلوك عميق الجذور، لكن ليس لها تأثير يذكر في الوضع المادي، وإتاحة فرص الرقي الاجتماعي. في حين يرى الذين ينتمون إلى الصف العروبي أن العروبة تمثّل الوسيلة الوحيدة التي يمكن تصورها لتحسين أوضاعهم[٢٩٧].

وإضافة إلى هذه النظرة، ينبغي الشعور بالمسؤولية وربط قضية مواطن الشغل المخصصة للمتخرجين المعربين، بقضية تحتل المقام الأول في مشاغل المسؤولين، ألا وهي قضية إعداد أساتذة التعليم العالي باللغة العربية. ومن حسن الحظ أن الطلاب بدأوا يتساءلون عن هذا الأمر المحوري، لارتباطه بشروط الانتداب الجامعي. وظروف التأهل العلمي ذلك موضوع حري بعناية الطلاب، ويخصهم بالدرجة الأولى، وعليه يتوقف مستقبلهم الاجتماعي المهني[٢٩٨].

---

(٢٩٣) الأصالة، العدد ٥٧، ص ٣٥.

(٢٩٤) التعريب في الجزائر (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٣)، ص ٤٥ ـ ٥٠.

(٢٩٥) «Le Réforme de l'enseignement supérieur,» الجزائر (١٩٧١)، ص ١٧٦ و١٩.

(٢٩٦) حولية شمال افريقيا (١٩٧١)، ص ٣٩١.

(٢٩٧) حولية شمال افريقيا (١٩٧٣)، ص ٥٣ ـ ٥٤.

(٢٩٨) المصدر نفسه، ص ٥٣ ـ ٥٤، والمجاهد، ١٩٧٨/١١/٢٨.

وعند هذا الحد، يمكن أن يتصف التعريب القطري الجزائري بنزعة عملية تبحث عن النجاعة، ضمن الخيارات الوطنية والعروبية العامة المعروفة. وقد تجسّد هذا الاتجاه فعلاً في «جزأرة» كاملة للمرحلة الابتدائية، تمت منذ الموسم الدراسي ١٩٧٣. وقد تمادى هذا المسعى اليقظ المضمون النتائج، تحدوه الظرفية المحلية المحيطة به[٢٩٩]. وما يرجى من نتائج ملموسة في المستقبل هو الإعداد لتنفيذ مخطط التعريب الشامل، بحيث تتوفر الاطارات القادرة على تسيير الأجهزة الإدارية واستخدام اللغة العربية لهذا الغرض[٣٠٠]. وقد تم دعم التعريب الاداري بوسائل عدة، مثلاً بإنشاء المدرسة الوطنية للمترجمين سنة ١٩٦٤، وطبع الجريدة الرسمية باللغة العربية، فأفاد ذلك ترويج المصطلحات الإدارية والمصطلحات القضائية، إضافة إلى استغلال اللغة الفقهية الرائجة في الجزائر، وكذلك العمل على نشر اللغة الإدارية المستعملة في الأقطار العربية. وقد جاء مرسوم ٢٦ نيسان/ ابريل ١٩٦٨ محدداً لمقتضيات تعريب الوظيفة الجزائرية بحيث صارت معرفة العربية أمراً متحتماً على كل الموظفين، وصارت عاملاً حاسماً لترقيتهم. فأدرجت مواد عدة بهذه اللغة في المناظرات الإدارية، بداية من أول كانون الثاني/ يناير ١٩٧١[٣٠١]. وقد نظمت دروس بمستويات ثلاثة لاستدراك ما فات على الموظفين من كسب لغوي بلغتهم القومية، حتى لا يقال إن العربية تسببت في تعطيل مستقبلهم المهني. هذا وقد عرّبت المطبوعات ومداولات الجلسات الادارية، حتى يجد المواطن نفسه في محيط إداري معرّب في جملته. وتعين أن تنشىء كل وزارة مكتباً للترجمة، خاصة بعد صدور مرسوم ٢٦ نيسان/ ابريل ١٩٦٨، وبذلك تعمل على وضع ما تحتاج إليه من مصطلحات إدارية. وتجلّت العناية في حقل القضاء، لما لهذا الجهاز من حساسية مرتبطة بمصالح المواطنين ومعاملاتهم اليومية. فعلى صعيد التدابير الادارية البحتة عرب الجهاز القضائي بمرسوم ٢ أيار/ مايو ١٩٧٤، وتوقف العمل بالمجلات الفرنسية بداية من تموز/ يوليو ١٩٧٥، واستبدلت بها قوانين وطنية. فكان ثلث القضاة و١٠ بالمئة من كتّاب المحاكم يستخدمون العربية، بالإضافة إلى أن الكتابة على الآلة كانت مشكولة. وقد أعدّت العدّة لتعريب القوانين، كما أن التدابير المتخذة اقتضت أن تكون المرافعات والأحكام الصادرة بالعربية، ثم تترجم إلى الفرنسية، وتمت الأمور على هذا النحو رغم ما لاقته حركة التعريب القضائي من معارضة أبداها بعض القضاة والمحامين[٣٠٢]. وكما حصل في التعليم، فقد كانت الوسائل الملتوية تستخدم للاعتراض على التعريب الاداري، كأن تأول النصوص الادارية تأويل تتماشى والمصالح الشخصية، فيعترض على التدابير الحكومية المقررة بواسطة المناورات وتجميد الأوضاع أو تكريسها في الخفاء (كأن يرسم موظفون رغم جهلهم العربية). وكان فقدان الرقابة المستمرة لقلة المسيرين، عاملاً يستغل لتمييع التدابير وتخليصها من كل نجاعة (مثلاً لا وجود للعربية في المصالح البلدية). والواقع أن استغلال السلطة كان لفائدة مناوأة

---

(٢٩٩) حولية شمال افريقيا (١٩٧٤)، ص ٤٥٠.

(٣٠٠) المجاهد، ١٩٧٥/٥/١٧.

(٣٠١) الرائد الرسمي الجزائري، رقم ٣٦، ١٩٦٨/٥/٣.

(٣٠٢) التعريب في الجزائر (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٣)، ص ٦٩ - ٨٢.

التعريب، مع التظاهر بالتأييد المطلق للمبادرات التعريبية، مع أن «تعريب المرافق الإدارية يعني التفاعل مع الجمهور»[303]. وعلى هذا الأساس، تحملت كل وزارة تعريب أجهزتها ونشاطها، استجابة لغرض التعامل مع المواطنين وتحسين مردود النشاط الإداري[304]. والمبدأ المعمول به هو أن تنفيذ التعريب في كل ميدان يتطلب مسبقاً إبداء النظر وتقييم الأوضاع[305]. وفي الجملة، خصصت الفترة الأولى (١٩٦٢ ـ ١٩٧٠) للدفاع عن اللغة القومية وإبراز امكاناتها، باعتبار أن التعريب يشكّل إحدى القيم في الشخصية الجزائرية. وتمّ العمل بذلك بواسطة نشر النصوص المحددة للصيغة الملزمة للغة العربية. أما المرحلة الثانية، فهي مخصصة للتنفيذ، والعمل في هذا النطاق ما زال متواصلاً ويتطلب بذل كثير من الجهد والوقت. هذا وقد أصبحت مطالعة الصحافة الوطنية باللغة العربية أمراً عادياً أو يكاد، عند عدد كبير من المواطنين، لكن الأطر العليا التي تكوّنت في المعاهد الفرنسية استمرت على عادتها في تحرير المراسلات الإدارية بالفرنسية[306]. وبذلك يمكن القول إن مسيرة التعريب مستمرة في الجزائر، وصارت هدفاً من أهداف التنمية الشاملة، توضع لها خطة في سياسة الحكومة وحزب جبهة التحرير الذي شكل لجنة وطنية للتعريب منذ ١٩٧٣، بدأت تعمل بتاريخ ١٠/٥/١٩٧٤.

ويتضح بذلك أن التعريب عمل طويل النفس يخضع لمبادىء تتكيف والواقع القطري اللغوي والثقافي عامة. وهو الواقع الذي تؤسس عليه القرارات التعريبية كلها، وهو الذي يحدّد الامكانات الموجودة في واقع الحال. ولا يتحقق إلاّ إذا ثبت فعلاً أنه لا يؤثر تأثيراً سلبياً في المستوى التعليمي أو في المردود الإداري أو التنمية الاجتماعية. فمثلاً، كانت النخبة الجزائرية القليلة المحظوظة زمن الحكم الفرنسي تتمتع بمقدار رفيع من الثقافة الفرنسية. لكن، بعد الاستقلال، لا يمكن بحال الحد من التعريب لكون حجم المعرفة بالفرنسية قد تقلص بالنسبة إلى ما كان عليه في الماضي. والأشنع من ذلك أن نعقّد الطفل الجزائري أو المغربي عامة، ونطالبه بالمستحيل، نعني امتلاك ناصية اللغة الفرنسية كأنه أحد أبنائها، في حين نرى أبناءها يرطنون بالانكليزية أو بخليط من اللغتين، ربما استنقاصاً لما في لغتهم الفرنسية من مقاصد يريدون التعبير عنها تعبيراً حضارياً جديداً. ثم كيف نقبل أن يكون الطالب المغربي مثقفاً بثقافة أجنبية ولو على حساب لغته القومية؟ ثم نأتي بعد ذلك لإبداء استغرابنا من الاجتثاث الروحي والفكري الذي أصاب الشباب المغربي، الذي بدأ يفقد قيمه الأصيلة تحت وطأة مقومات الحضارة الأجنبية. إن مثل هذه التساؤلات هي التي تعين على بلورة قضية التعريب في المغرب عامة، وتعطيها أبعاداً حضارية، دونها لا يمكن للفكر أن يسمو ويبتكر، ما لم يرتفع فوق اشكالية وضع المصطلحات التي كادت أن تكون آلية.

---

(٣٠٣) الشعب، ١٩/٤/١٩٧٥.

(٣٠٤) «تعريب وزارة التعليم،» الشعب، ١٥/٣/١٩٧٥، و«تعريب وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية،» المجاهد، ٢/١٢/١٩٧٧.

(٣٠٥) «حصيلة تجربة التعريب،» المجاهد، ٢٦/١١/١٩٧٦.

(٣٠٦) التعريب في الجزائر (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٣)، ص ٧٥.

وفضلاً عن ذلك فإن اللغة أداة للبحث أي التفكير، ومفتاح لدخول المجتمع وتحويل الفروق في النطاق المغربي (أو المغاربي كما يقال الآن، ١٩٩٢). وفي صورة وجود تنافر لغوي، فإن الجميع ينزع إلى نقل الفروق، فيدعم الفارق اللغوي الاحساس بالغيرية التي يترتب عنها حيف اضافي ينبثق عنه تميز طبقي. أما حب الهيمنة والمشاكسة فيكون نافقاً في ممارسة السلطة بكافة مظاهرها[٣٠٧].

---

(٣٠٧) Souriau, *Les Classes moyennes au Maghreb*, p. 270.

الفصل الثاني

إنشاء مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي

١ ـ موجز عن المنظمات العربية

لقد كانت نهاية الحرب العالمية الثانية منطلقاً لتحركات القومية العربية في الوطن العربي. ذلك أنه منذ سنة ١٩٤١ بدأت تتجسّد تلك الحركة ضد الاستعمار الانكليزي، فقامت ثورة في العراق سنة ١٩٤١ وسنة ١٩٤٣. وقد أرادت انكلترا انقاذ الموقف، فصرّح وزير خارجيتها وقتئذ انطوني إيدن بأن الوقت قد حان للعمل على تطوير «الأمم العربية» والاستجابة لرغبتها في الوحدة. وقد استجاب لهذا الموقف وأيّده في ذلك الوقت، الأمير عبد الله ملك شرقي الأردن، كان الأمير يحلم بإنشاء مملكة تتركب من بلاده وسوريا ولبنان وفلسطين، أي ما عرف بمشروع «الهلال الخصيب» الذي لم تجد فيه انكلترا مصالحها، فاعتبرته غير قابل للتحقيق. لكن العراق نشر «كتاباً أزرق» أيّد فيه البادرة البريطانية. كان النحاس باشا رئيس حزب الوفد المصري يريد لمصر رئاسة ذلك المشروع، ضمن ما سمي بحركة التحرّر العربي. وقد التأمت ندوة تحضيرية بالاسكندرية من ٢٥ أيلول/ سبتمبر إلى ٧ تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٤٣، وتمخضت عنها اتفاقية الاسكندرية التي وقّع عليها لبنان وسوريا ومصر والعراق والأردن. وانطلاقاً من هذه الاتفاقية، نشأت الجامعة العربية التي تشكّلت من مجموعة من الأقطار المستقلة المنضمة إلى مجلس الجامعة. كان ذلك المجلس يعمل ساهراً على احترام بنود الاتفاقية، وكل اتفاق مقبل يتم بين تلك الأقطار، وكان يجتمع للتباحث في شؤونها، ويتخذ مقررات يتعهد الموقّعون على الاتفاقية بالتزامها. وبعد التوقيع بالأحرف الأولى في حفل رسمي على ميثاق الجامعة في ٧ تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٤٤، بدأ العمل نهائياً بالميثاق في ٢٢ آذار/ مارس ١٩٤٥ (٢٠ مادة) بالقاهرة، فكان ذلك التاريخ محدداً لإنشاء الجامعة بصورة رسمية. ومن أهدافه توثيق الروابط بين الدول الموقعة، والتنسيق بين خططها السياسية والتعاون بغية حماية استقلالها وسيادتها[1].

---

(١) طه الولي، «تاريخ جامعة الدول العربية،» اللسان العربي، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٢٩٢ ـ ٣٠٢.

اتخذت الجامعة مقراً دائماً لها بالقاهرة وأميناً عاماً مصرياً، حتى قرّر مؤتمر بغداد لسنة ١٩٧٨ نقل مقر الجامعة إلى تونس وتعيين أمين عام جديد لها يحمل جنسية المقر الجديد. ولم يكن للجامعة قانون تأسيسي عربي أو عروبي أو دولي حدده الميثاق. ذلك أن الجامعة اعتبرت في بدايتها منظمة اقليمية لا يسعها إلاّ أن تقوم بأعباء محددة، مثلها في ذلك مثل المؤتمر الدائم وما يترتب عنه من أوضاع قانونية، فترتّب عن هذا الوضع أن أعيد النظر في ذلك النظام التأسيسي مراراً، خاصة من طرف لبنان. لكن اعترفت بها منذ سنة ١٩٤٦، دول أجنبية عدة اعترافاً رسمياً، واعتبرتها منظمة تعمل بموجب قانون تأسيسي دولي، وفي الوقت نفسه تحافظ على طابعها الاقليمي. فقد اعترفت منظمة الأمم المتحدة أيضاً للجامعة بوضع المنظمة الدولية الذي مكّنها من مخاطبة الدول الأجنبية بتلك الصفة. ولم تقتصر الجامعة على العمل السياسي والدبلوماسي بين الأقطار العربية وبين الدول الأخرى، بل إنها أنشأت لجاناً مالية واقتصادية ولجنة للمواصلات، ولجنة قضائية واجتماعية وغيرها ثقافية أوصت مثلاً خلال دورتها السادسة (١٩٦٣) بالعمل على مساعدة المكتب مادياً وفنياً والعناية بقضايا التعريب. وقد تحوّلت اللجنة الثقافية إلى إدارة لتعدد نشاطاتها، ثم تحوّلت منذ ١٩٧١ إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وقد زار مديرها العام المكتب من ١٧ إلى ٢٢ حزيران/ يونيو ١٩٧١، بغية الاطلاع على ما حققه وما أعدّ من مشاريع، خاصة في حقل وضع القوائم المعجمية[٢].

تعمل هذه المنظمة لفائدة تطوير اللغة العربية باعتبارها العنصر المكوّن، بالإضافة إلى الفكر، للرقي في العصر الحديث. وعلى هذا الأساس فهي تعمل في دائرة ما حواه القرآن من آيات تحثّ على طلب العلم[٣]. وتعتبر وكالة متخصصة تابعة لجامعة الدول العربية[٤]. وهي تستهدف دعم الوحدة الثقافية العربية، والرفع من المستوى الثقافي في الوطن العربي، تمكيناً له من الإسهام في الحضارة الانسانية. ويتمثّل عمل المنظمة في تنسيق الجهود في حقل التربية والثقافة والعلوم، وجمع كل ما من شأنه أن يقوّي من نشاطها، وتبادل الخبرات والتجارب، والمحافظة على التراث الثقافي وتنميته. وتضمن ميثاق الجامعة كل هذه المقومات، «حيث نصّ كثير من مواده (العاشرة، والخامسة عشرة، والسادسة عشرة، والسابعة عشرة) على الحفاظ على اللغة العربية، والعناية بها كمقوم أساسي لحضارتنا ووجودنا ورعاية تراثها الزاخر العتيد»[٥]. هذه أهم الخطوط التي تسير عليها المنظمة بالنسبة إلى توسيع أعمالها في الأقطار العربية. وقد تطور حالياً حجم خدماتها، واتسع إلى خارج الوطن العربي، بحيث أصبح يشمل ما للعربية من إشعاع في مختلف أصقاع العالم، ويعمل على الترفيع من قدراتها في الخارج: «مساعدة المسلمين على تعلّم لغة القرآن الكريم والثقافة العربية، مساعدة أبناء الجاليات العربية على استمرار الصلة بين أجيالهم المتعاقبة وبين لغتهم وثقافتهم،

---

(٢) «عبد العزيز السيد،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٣٠١.

(٣) عبد العزيز السيد، «العربية لغة الحضارة والفكر والمعرفة،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٤٥٧.

(٤) «المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٢٥٣ ـ ٢٥٦.

(٥) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ١.

مساعدة أبناء الدول الأجنبية الذين يرغبون في التواصل المباشر مع العرب عن طريق تعلم لغتهم، تعليم اللغة العربية في الأقطار غير الناطقة بها، دعم اللغة العربية باعتبارها إحدى لغات الأمم المتحدة، ووكالاتها المتخصصة، مساعدة الأقطار الافريقية على استئناف صلتها باللغة العربية وتوثيق هذه الصلة، المحافظة على استعمال الحرف العربي في كتابة اللغات الافريقية والاسيوية»[٦].

هذا وقد حصرت المنظمة عملها في أجهزة ادارية أعلاها رتبة مؤتمرها العام[٧]، يضاف إليه المجلس التنفيذي الذي ينتخب لسنتين. ويشرف مديرها العام على ادارات عدة، كإدارة الثقافة والتربية والعلوم والتوثيق والاعلام والمالية والشؤون الادارية، وإدارة المعاهد التابعة للمنظمة. ويوجد إلى جانب ذلك جهاز اقليمي لمكافحة الأمية، ومعهد البحوث والدراسات العربية العليا، ومعهد المخطوطات العربية، ومعهد للوفد الدائم لدى منظمة اليونسكو. ويقوم كل جهاز من الأجهزة المذكورة، كل في نطاق اختصاصاته، بنشاطات متصلة بخيارات وبرامج حدّدتها المنظمة التي أقامت علاقات تعاون مع اليونسكو وعدة منظمات دولية أخرى[٨]. فنجد مثلاً برامج متنوعة تهتم بمناحي ثقافية كثيرة، من ذلك ما أوصى به ملتقى عقد بالقاهرة في نيسان/ ابريل ١٩٧٢، بخصوص إنشاء مركز للبحث في طرق التعليم، وأشرفت المنظمة كذلك على مؤتمر الوحدة والتنوّع في الثقافة العربية، المنعقد من ٦ إلى ١١ (آذار/ مارس ١٩٧٢). ومن الأغراض الأخرى التي تهتم بها المنظمة، برامج التنمية (شباط/ فبراير ١٩٧٢)، والتعليم (علم الحياة، الرياضيات الحديثة) وما يترتّب عن ذلك من نتائج تعليمية تربوية ينبغي الإفادة منها، خدمة لتطوير طرق التدريس في الأقطار العربية. أما المنهاج الذي تسير عليه في أعمالها، فقد أوضحه مديرها الدكتور محيي الدين صابر في حفل تنصيبه: «وهذه المنظمة قوتها في مؤسساتها الدستورية والتنفيذية، وفي التعاون الأمين بينها، وفي الحوار الموضوعي والشورى»[٩]. وقد عملت المنظمة في السنين الأخيرة على توسيع دائرة مشاركاتها الخارجية، فكانت حاضرة في مؤتمر منظمة العمل العربية، والمؤتمر الأول لوزراء الدول العربية المسؤولين عن تطبيق العلم والتقانة على التنمية (الرباط، ١٥ ـ ٢٥ آب/ اغسطس ١٩٧٦)، وأبدت ما للبحث العلمي من أهمية في التقدم بالتنمية الشاملة. ويتصل بهذا اللقاء ما جدّ في مؤتمر التضامن الاسلامي (الرياض، ٢٠ ـ ٢٦ آذار/ مارس ١٩٧٦) الذي بحث في التقدم العلمي والتشجيع عليه[١٠].

---

(٦) «المكتب الدائم للتعريب في المؤتمر الثاني لمنظمة التربية والثقافة والعلوم،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٤٦٧.

(٧) في الدورة الأخيرة المنعقدة في تونس للمؤتمر العام للمنظمة، صرّح محمد الشرفي الوزير التونسي للتربية والعلوم قائلاً: «إن اعتزاز العربي بهويته لا يعني الانغلاق والعزلة. وما كان العربي على مدى مسيرته الحضارية منطوياً على نفسه أو عازفاً عن العالم. لذلك نعتبر أن له اليوم دوراً مهماً ينهض به في بناء الحداثة بصفتها قيماً متماسكة البنية،» **الشروق**، ١٩٩١/١٢/٢٦.

(٨) «المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: أنباء المنظمة،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ج ١، ص ٣٥٤.

(٩) محيي الدين صابر، «كلمة الأستاذ محيي الدين صابر المدير العام للمنظمة في مؤتمر منظمة العمل العربية،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ج ١، ص ٢٣٦.

(١٠) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ١، ص ٢٣٦.

واتسعت كذلك دائرة علاقات المنظمة مع المنظمات الدولية وعلى رأسها اليونسكو، التي اختارت العربية إحدى لغات العمل بها. وساعدت المنظمة الدول الافريقية كالصومال وجيبوتي على نشر اللغة العربية في مناهجها، وتمثّلت تلك المساعدة في تقديم الخبراء والمعلمين والمؤلفات بمشاركة الأقطار العربية طبعاً. أما على صعيد التكيّف العلمي السريع بمقتضيات المخترعات المتطورة جداً في المجال الثقافي، فقد «اتجهت جهود المنظمة إلى وضع نظام موحد لتكييف الحاسبات الالكترونية، بحيث تتمكن من استخدام الحروف العربية في التخزين والاسترجاع والطباعة، مما يحلّ مشكلات عسيرة ومتعددة في مختلف مجالات استخدام الحاسبات الالكترونية»[11].

٢ ـ التنظيم الاداري للمكتب[12]

اشتهر اسم المكتب في البداية وحتى سنة ١٩٦٥، بتعريف محدد «المكتب الدائم لمؤتمر التعريب». وقد تمثّلت مهمته في وضع جملة من الأبحاث المقررة بالاتصال مع الشعب التي سبق انشاؤها، وذلك بغية عرض تلك الأعمال على مؤتمرات التعريب الموالية للبتّ في شأنها. وانطلاقاً من هذا التحديد، تحدّد الاختصاص الاداري الذي يسير عليه المكتب، منذ أن شرع في العمل الفعلي، أي منذ ١٩٦٢. فكان جهازاً دائماً لتنسيق التعريب في الوطن العربي، منذ أن قرر مؤتمر ١٩٦١ إنشاءه إلى ١٩٧٠، حيث لم ينضم بعد إلى المنظمة التي عقدت مؤتمرها الأول في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٩، ودعي المكتب إلى الحضور بصفته مراقباً في الدورة الأولى، وتواصل الأمر في آب/ اغسطس ١٩٧٠ على ذلك النحو. لكن المكتب شارك في المؤتمر الثاني من ٤ إلى ١٣ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٣، ووجه إليه عضوين قاما بتقديم عروض حول نشاطات المكتب وما يصبو إليه من انتساب إلى المنظمة انتساباً عادياً كواحد منها. ومرّت على المكتب فترة كان خاضعاً خلالها (١٩٦١ ـ ١٩٧٠) خضوعاً شكلياً إلى الجامعة. وكان يديره مدير عام بمشاركة لجنة استشارية، ثم إن المكتب اتسعت أعماله، فعيّن مديراً عاماً مساعداً يشرف على دائرة فنية تحت نظرها مكتبة المقر والمجلة والخبراء. أما الدائرة المالية والإدارية، فهي تشرف على مكتب التوزيع والمكتبة العلمية العامة والمكتب المالي والمكتب الاداري. وبداية من سنة ١٩٧٠، انضم المكتب إلى المنظمة. وطرأت على أجهزته بعض التغييرات. بقيت اللجنة الاستشارية تسهر مع مدير المكتب على الأعمال، وعيّن مدير الشؤون الادارية الذي ساعدته لجنة ادارية وفنية انقسمت

---

(١١) محمد العربي الخطابي، «رسالة المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيسه، ١٩٦٢ ـ ١٩٧٢،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ٢، ص ٢٢ ـ ٢٣.

أما عن الخطط المحكمة المعدّة للمستقبل، فانظر: «لمحة عن التصور الشامل لبرامج المنظمة حتى سنة ٢٠٠٠،» **اللسان العربي**، العدد ٢٢ (١٩٨٣)، ص ٣٢٠ ـ ٣٢١. يضاف إلى ذلك قضية الأمن الثقافي المكمل للأمن الغذائي، انظر: عبد العزيز بنعبد الله، «المنظمة في مواجهة مشاكل التعليم العالي والبحث العلمي،» **اللسان العربي**، العدد ٢٤ (١٩٨٥)، ص ٢٤٧ ـ ٢٥٤.

(١٢) لاستكمال الموضوع انظر: **اللسان العربي**، العدد ٣٤ (١٩٩٠)، ص ١٩٤ ـ ٢٠٠.

إلى دائرة فنية (مكتبة، مجلة، خبراء) ودائـرة إدارية ومـالية (مكتب التـوزيع، مكتبـة علمية، مكتب مالي، مكتب اداري). وبذلك، نكون قد كوّنا فكرة اجمـالية عن أجهـزة المكتب، وما طرأ عليها من تطورات أنارت لنا وضعيته بـالنسبة إلى الجـامعة، ثم بـالنسبة إلى المنـظمة التي ألحق بها. والملاحظ أنه لم يطرأ تغيير كبير عـلى النظام الـداخلي للمكتب في الفـترتين، بـل إن علاقاته بالجامعة ثم بالمنظمة توثّقت عاماً بعد آخر وصارت عادية. والواقع أنه قبـل نقل مقـر الجامعة سنـة ١٩٧٩ إلى تونس، كـان المكتب هو الجهـاز الوحيـد الموجـود في المغرب العـربي خارج المقر السـابق بالقـاهرة. وقـد نشأت عن هـذا الوضـع صعوبـات أثّرت في سـير نشاط المكتب. وأثير وضعه القانوني بحيث ثار التساؤل: هل تحول للمكتب الـذاتية القـانونيـة، أو يلحق بالجامعة، أو يلحق بالحكومة المغربية؟ وعلى ذلك، مرّ المكتب بفترة أحاط بها الغموض امتـدت من ١٩٦٢ إلى ١٩٦٤. وقد جـدت سنة ١٩٦٥ محـاولة لإلحـاقه بـالجامعـة، لكنها لم تفلح. فمارس أعماله بفضل ما حصل عليه من هبات ومساعدات مؤقتـة. ولم يلحق بالجـامعة إلاّ سنة ١٩٦٩ حيث بدأت تحسب له ميزانية سنوية في الموازنة العامة.

وارتبط المحيط العام الذي نشأ خلاله المكتب بما كان من تنظيم للمؤتمر التعريبي الأول الذي دعا إليه ملك المغرب محمد الخامس، فانعقد من ٣ إلى ٧ نيسـان/ ابريـل ١٩٦١، كما مـرّ ذكره في الفصـل السابق. وقـد كان التفكـك العام السـائـد في الـوطن العـربي، وتـأثـير اللهجات وما يترتب عليها في مجال وضع اللغة العربية العلمية، دوافع كافيـة لعقد مثـل ذلك المؤتمر، وكان ينبغي أيضاً العمل عـلى تنسيق الجهود التي تقـوم بها الأقـطار العربيـة في ميدان التعريب، وإفادة المغـرب من تجربـة بلدان المشرق العربي في حقـل التعريب. كـانت الأقطار العربية توّاقة إلى الوحدة منـذ زمن بعيد، فكـان عليها الشروع في تـوحيد جهـودها في قضيـة التعريب والخروج بها من دائرة الوضع الاصطلاحي القطري إلى نطاق شامـل يخضع العمـل اللغـوي إلى قواعـد واضحة تـوحّد مـا يقوم بـه العلماء من مبتكرات، وتصنفهـا إلى وحدات متـماسكـة. وأهميـة ذلـك واضحـة في الميـدان العلمي[١٣]، ذلـك أن اللغة العلمية إذا بقيت عناصرها مشتتة لا بد وأنها ستؤول إلى لهجات علمية لا رابطة فكرية تشدّ عنـاصرها، فيؤول الأمـر بكل احتـمال إلى فرقـة في الذهنيـة بعد بضعـة عقود. وخصص للمكتب القيـام بـدور المنسّق الذي يعمل على مواجهة الوضع المحرج الذي صار يتخبّط فيه النشاط العلمي العـربي الذي ما زال في بداية الطريق. لقد عمل كل قطر عربي لاستعماله الخـاص على وضـع قوائم اصطلاحية، دون ترقّب موافقة سلطة عليا غير موجودة لا محالة، باستثناء المجامـع التي كانت تعمل على الصعيد القطري أولاً ثم تروج منتوجها خارج أقطارها. فلو وجد اتحاد مجمعي منذ البداية، لما كان الإنتاج اللغوي العلمي في وضع متخلف. وأدى ذلك إلى إقـامة حـاجز بـين الدال أي المفهوم العلمي والمـدلول أي اللفظ العلمي، الـذي يعبر عن المـدرك. فكان ذلـك عائقاً على انتشار العلم وتبادل الأفكار العلمية بين أقطار تتكلم بلغة واحـدة. وهو الـدافع في

(١٣) عبـد الحق فاضـل، «ما هـو المكتب الدائم؟» **اللسـان العربي**، السنـة ١٠ (كانـون الثـاني/ ينـايـر ١٩٧٣)، ج ٣، ص ٥.

الوقت نفسه الذي حمل الأقطار العربية على التفكير في بعث مؤسسة إلى الوجود تعمل بموجب المبادىء العلمية على تنسيق ما يجدّ من مصطلحات وتصنيفها إلى قوائم معجمية. وقد شرع فعلاً المكتب لدى تأسيسه في نشر قوائم اصطلاحية على المطبعة الناسخة[14]. ومدير المكتب منذ تأسيسه، الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله[15] هو أول مغربي عين على رأس أحد أجهزة الجامعة في ذلك التاريخ (١٩٦٢). وقد أعلمت الادارة الثقافية بها عن هذا التعيين (في وثيقة رقم ١٤/١٧/١٩/٧، بتاريخ ١/١/١٩٦٢). وقد كان قبل ذلك متولياً لشؤون التعليم العالي المغربي. وقد كلّف السيد عبد الهادي التازي بالمكتب الدائم للتعريب قبل ذلك إلى أن عينّ المدير الجديد بعد موافقة الحكومة في المغرب الأقصى على هذا التعيين[16]. والملاحظ أن مؤتمر ١٩٦١ أوصى بأن يعقد بصورة دورية جهاز الأمانة العامة للتعريب إلى أن ينظم تأسيس المكتب الدائم، وهي التسمية التي أشرنا إليها والتي سينتهي العمل بها في المراسلات[17]. ويمثل ضمن ذلك المكتب كل الأقطار العربية. وقد وقع النظر في حلول عدة، تخص وضع المكتب الجديد الذي يعجز عن القيام بمهامه لو أصبح جهازاً مستقلاً منفصلاً عن الجامعة التي وجهت من ينوبها لدى افتتاحه سنة ١٩٦٢، وقد اعترفت بالمكتب رسمياً سنة ١٩٦٩، ثم وافقت على نظامه الأساسي خلال دورتها الواحدة والخمسين، وأدرجت المكتب ضمن ميزانها العام[18].

وقد زار الأمين العام الأسبق للجامعة السيد عبد الخالق حسونة المكتب مرتين. وشرح[19] مهمة المكتب التي سيتولّى مدير المكتب تحليلها في كل المناسبات، خاصة في رحلته إلى المشرق العربي سنة ١٩٦٦[20]، وهي تتمثّل في توحيد المصطلحات في الأقطار العربية في الميادين كلها، خاصة في الميدان العلمي والتقني، وتدقيق معانيها، بمقارنتها بالألفاظ الأعجمية الانكليزية والفرنسية. أما في الزيارة الثانية، فقد بحث الأمين العام مع المسؤولين عن المكتب المسائل المعلّقة، خاصة منها المسائل المادية. وقد عاين توقف المشاريع نظراً إلى الأزمة التي يتخبّط فيها المكتب، بسبب تقاعس الأقطار العربية عن الوفاء بالتزاماتها المتمثّلة في دفع حصصها السنوية إلى المكتب. وقد أوصى المكتب الدائم للجنة الثقافية بالجامعة، في اجتماعه يوم ١٩٦٨/٨/٢٦ و١٩٦٨/٨/٢٩، (وكذلك مجلس الجامعة) بإدماج المكتب في الجامعة، وفي الآن نفسه تمكينه من الاستقلال الذاتي المالي والاداري والفني. وكان قرار رقم ١٠٤ في ١٩٧٠/٩/١٠ حاسماً، وبموجبه قرر الأمين العام للجامعة إلحاق كل الأجهزة

---

(١٤) حسين، «الأضداد في اللغة».
(١٥) قرار وجه للجامعة رقم ١٦٢/٠١، ١٩٦١/١٢/٢٠.
(١٦) المكتب، رسالة في ١٩٧٣/٢/٢٧، رقم ٢١٤.
(١٧) قرار رقم ٢٥٤١/٤، ١٩٦٩/٤/١٦.
(١٨) نشرة شهرية يصدرها المكتب (تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٣).
(١٩) اللسان العربي (١٩٦٦).
(٢٠) قرار رقم ٢٥٤١/٥، ١٩٦٦/٣/١٦.

الثقافية (ومن بينها المكتب) بالجامعة، وبالأخص بمنظمتها الثقافية، عملاً بنصوص الميثاق الخاصة بالوحدة الثقافية العربية، ونظام المنظمة والقرارات المتخذة قبل ذلك. وفي ضوء ذلك توسعت اختصاصات المكتب ونمت نشاطاته، فترتّب عن ذلك مراجعة تنظيمه الداخلي، كما هو مبيّن في الهيكل التنظيمي المرافق لهذه الصفحة، إذ تقرر تكليف مسؤول بالشؤون الادارية ومدير للشؤون العلمية والفنية، توزيعاً للعمل. فإن كانت مهام المكتب في الماضي تتمثّل في القيام بعمل مركز لتجميع المصطلحات العلمية والتقنية ثمرة أشغال المجامع والأجهزة المختصة وكذلك البادرات العلمية الفردية، وعرضها على مؤتمرات التعريب لقبولها أو رفضها أو تعديلها، فقد تطورت مع السنين وصارت عملاً تنسيقياً كلّف به خبراء المكتب القادمون من أقطار عربية عدة. وقد عمل المكتب طبق المادة ٧ من نظامه التأسيسي الذي صادقت عليه الجامعة، ولم ينفك يكاتب السفارات العربية بالرباط[٢١]، مطالباً إياها بتعيين خبراء من بلدانها في وظائف شاغرة بالمكتب، طبق التراتيب الجاري بها العمل لانتداب الموظفين. فمثلاً كان المكتب في حاجة إلى خبراء (من ١٩٦٦/١/١ إلى ١٩٦٦/٦/٣٠) في الفيزياء والكيمياء وعلم الحياة والتربية والعلوم الادارية[٢٢]، وشروط الترشح أن يكون الخبير متحصّلاً على اجازة في تخصص علمي ويتقن لغة أجنبية أو أكثر، فيعين مدة ستة أشهر للتدريب ثم يقرّ خبيراً.

وتتلخص أهداف المكتب في تنسيق الجهود لتطوير العربية، وتتبع حركة التعريب، وإثراء اللغة بالمصطلحات المنسقة، وإعداد مؤتمرات التعريب، ومتابعة نشاط المجامع، والتعاون معها ومع الهيئات العلمية، وإعداد الندوات المتصلة بنشاط المكتب، ونشر المعاجم الموافق عليها في مؤتمر التعريب الذي يعقد مبدئياً كل ثلاث سنوات[٢٣]. ويساعد المكتب في القيام بنشاطه لجنة استشارية تجتمع مرة في السنة، وتسهر على قيام المكتب بمهمته التنسيقية على أحسن وجه. وفي مجال وضع المصطلحات، فليس ذلك من عمل المكتب لوجود معهد يبحث في التعريب بالمغرب الأقصى. لكن «يقتصر عمل المكتب في هذا الميدان على تلبية الطلبات الملحة المقدمة من جهات رسمية ومؤسسات عامة، على ألاّ يكون في هذه التلبية إخلال بأعمال المكتب الأساسية، وعلى أن تعرض هذه الطلبات على اللجنة الاستشارية لتدرجها ضمن برامج المكتب ومشروعاته، ثم تطبع هذه الأعمال دائماً بعنوان (مشروع قوائم مصطلحات)»[٢٤]. وتراعي اللجنة دائماً العمل بمنهاج العمل المقرر للمكتب طبق نماذج معدّة من قبل. وفي ضوء ذلك تقرر الفصل بين مجلة المكتب وقوائم المصطلحات التي تنشر في كرّاسات منفصلة معدّلة للمراجعة.

---

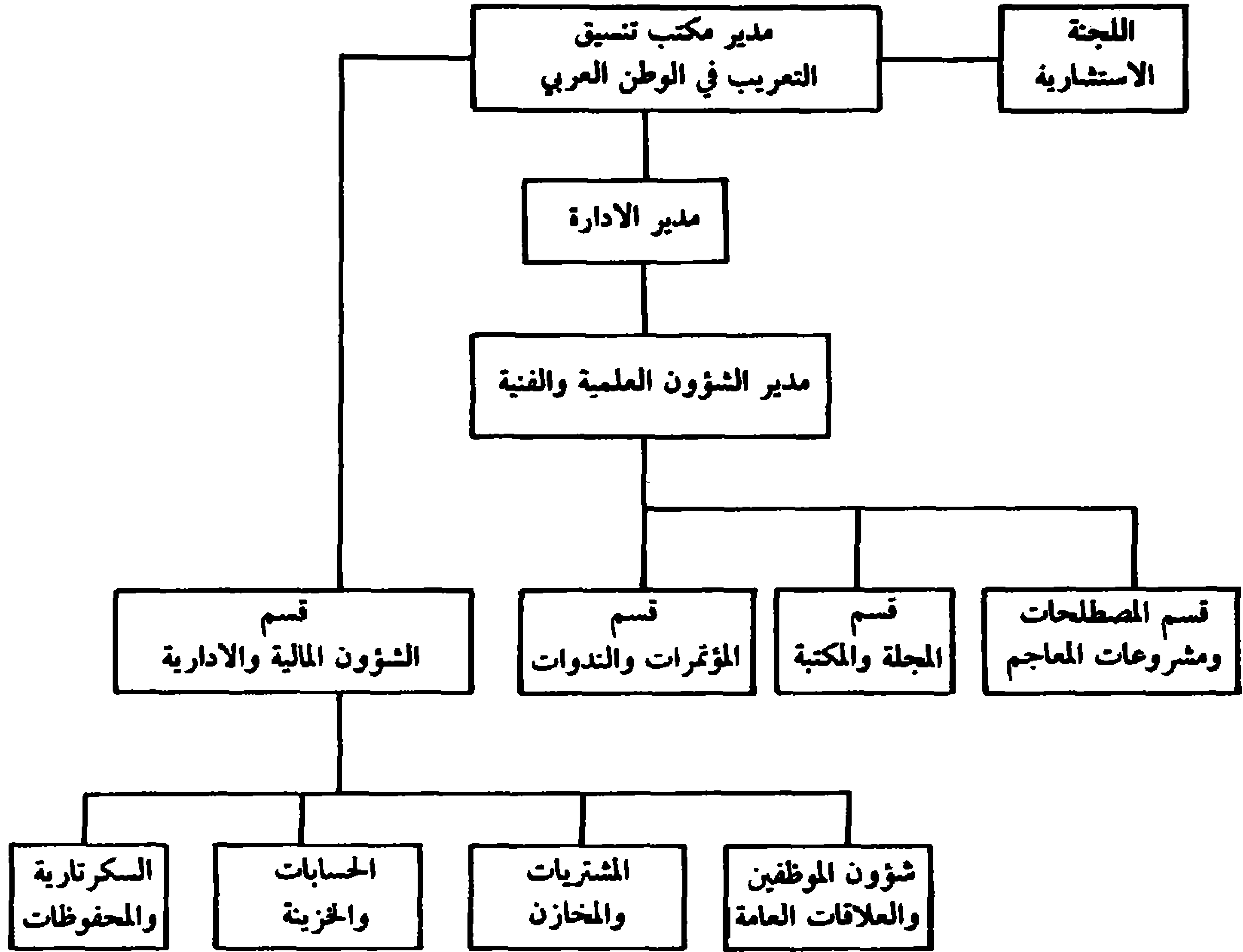
(٢١) المكتب، رسالة رقم ٦٠٧، ١٩٧٠/١٠/٢٣.

(٢٢) المكتب، رسالة، ١٩٦٥/٩/٢٣.

(٢٣) اللسان العربي، السنة ١٣ (١٩٧٦)، ص ٣٦٠.

(٢٤) المصدر نفسه، ص ٣٦٥.

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
الهيكل التنظيمي لمكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي



ويشرف مدير المكتب على الدوائر المتخصصة كالدائرة الادارية والدائرة العلميـة والفنية بمساعدة مسؤولين اثنين. فبينما يدير مساعـده الأول القسم الاداري، يشرف علي القسم الفني رئيس الخبراء الذي ساعده خبراء عدة، يتقنون لغتين وحتى ثلاث لغات. وعملاً بالمادة ٤ من نظامه التـأسيسي لسنة ١٩٦٩، تتصـل الدائـرة الفنية بـالمجامـع والمجالس اللغـوية والعلميـة العليـا، والجامعـات، والشُعَب التي شكّلتها الحكـومات، والتي تعمـل على تقـديم محاضرات وندوات ومعارض للكتب العلميـة، وتحرر تقـارير عن شؤون التعـريب، وتبحث عن الخبراء والمختصين لتوظيفهم بالمكتب الذي عيّن أيضاً لجنـة معجمية بعشرين عضـواً، اجتمعت أول مـرة في ١٠/١٢/١٩٦٥ ثم في ١٥/٥/١٩٦٦، ولجنة علميـة فرعيـة من خمسة أعضـاء[٢٥]. ومنذ ١٩٦٢، استقر النظام الاداري بالمكتب على ما عرف باللجنة التنفيذية ثم الاستشاريـة. وهي تتركب من رؤساء البعثات الدبلوماسية العـربية الـذين كانـوا أعضاء دائمـين باللجنـة. وكان يرأسها واحد منهم. وكان أمينها العام هو الأمين العام للمكتَب. وهـو الذي يسهـر على تنفيذ قراراتها ويعرض عليها خلاصة الأبحاث العلمية المتصلة بينه وبين الجامعة، وقسم آخر

---

(٢٥) «مع الأستاذ ابراهيم الكتاني،» اللسان العربي، السنة ٤ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٦)، ص ٣١٧.

يعمل لتنسيق التعريب والترجمة. وقد أنشأت المنظمة جهازاً مماثلاً للتعاون مع المكتب، وكانت مهمته التنسيق بين ما يجدّ في حركات الترجمة في الأقطار العربية، وضبط قائمة بالمؤلفات المترجمة والمقرر ترجمتها. وقد أيّد هذا النشاط مؤتمر وزراء التربية الذي انعقد في بغداد (١٩٦٤)[٢٦]. وبعث المكتب أيضاً قسماً للعربية المبسّطة يعمل على تصحيح اللغة العامية، وتقريبها من اللغة الفصحى، وقسماً للوسائل السمعية البصرية، ومكتبة، وقسماً للإعلام والمنشورات من اختصاصه إعداد المجلة السنوية التي يصدرها المكتب[٢٧].

وعملاً بقرار اتخذ سنة ١٩٧٣، مادة (٩) ينبغي أن تتركب اللجنة الاستشارية من ٧ إلى ١٢ عضواً يختارون من بين اللغويين الذين يعيّنهم مدير المنظمة لثلاث سنوات قابلة التجديد. ومن مهام اللجنة اقتراح برامج العمل على المكتب وانتقاء الخبراء، وتوصيته بأحسن وسائل العمل، والنظر في مشروع الميزانية والنظام الداخلي، قبل احالتها على المنظمة.

وكخاتمة لأعمالها، تعدّ اللجنة تقريراً بعد كل دورة. ذلك أنها تعمل طبق خطة محددة في ورقة عمل[٢٨]. ولمدير المنظمة تعيين تاريخ الجلسات والموافقة على جدول الأعمال والمذكرات المطروحة للنقاش. وله إدراج مسائل أخرى. وتعيّن اللجنة رئيساً لها ونائباً له من بين أعضائها. وتختم جميع المداولات باتخاذ قرارات وتوصيات يوافق عليها بالاقتراع[٢٩]. أما النظام الداخلي الذي يسير عليه المكتب، فهو يؤكد ما ينبغي على المكتب بذله من جهود لمواصلة تنسيق الأعمال التي من شأنها توسيع ميادين العمل المتاحة للعربية، خاصة في مختلف مراحل التعليم وفي الأجهزة الثقافية والاعلامية. وعلى المكتب أن يسهر على سير حركة التعريب، والتطور العلمي والثقافي في الوطن العربي وخارجه، وتوحيد الجهود لإثراء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة، وكذلك المصطلحات العلمية قبل تقديمها لنظر مؤتمرات التعريب. وقد رتّب سنة ١٩٧٤ نظام عمل للمكتب، بمساعدة اللجنة المجتمعة من ٢٢ إلى ٢٦ نيسان/ ابريل ١٩٧٤ في الرباط، وافقت عليه المنظمة إذ إنها قررت مراجعة أوضاع المكتب منذ ١٩٧٣، وتمّ العمل بذلك في آخر السنة نفسها[٣٠]. وبذلك وافق المجلس التنفيذي للمنظمة في دورته التاسعة على النظام الداخلي للمكتب[٣١]. فدخلت حيّز العمل هيكلة جديدة تضمّنت إنشاء دائرة الشؤون الفنية والعلمية، وهي وظيفة قررت اللجنة انتقاء صاحبها سنة ١٩٧٥. فصار للمكتب قسم للمؤتمرات والندوات الخاصة بتنسيق التعريب،

---

(٢٦) الدورة الثانية للمنظمة كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧١، ص ٢٤.

(٢٧) «نهج المكتب أسلوب تطوير المجلة كلما تطلب الأمر ذلك، بين الارتفاع والانخفاض في عدد النسخ المسحوبة أو عدد الصفحات أو فترات الصدور، علماً بأن الأعداد من الأول حتى الرابع والثلاثين قد ضم حوالى (١١٢٠) بحثاً ودراسة». **اللسان العربي**، العدد ٣٤ (١٩٩٠)، ص ٢٤٤.

(٢٨) محضر ٢٢، ١٩٧٢/٤/٢٦.

(٢٩) و/ المكتب، وثيقة ١ ـ ٣، ١٩٧٣/٢/٢٧.

(٣٠) و/ المكتب: وثيقة ١ ـ ٢٧، ١٩٧٣/٢/٣.

(٣١) وثائق المنظمة، ص ١٨.

وقسم خاص بالمصطلحات والمشاريع المعجمية، وقسم للمجلة. وللمكتب أيضاً مراسلون تعيّنهم وزارات التربية لكل مادة، ويستشارون في شؤون اصطلاحية. فقد طلب المكتب مساعدة ما تتراوح بين ٢٠٠٠ و٢٥٠٠ من الجامعيين والاخصائيين بغية إعداد المعجم العلمي العام. وقد وردت ردود ايجابية من العراق وتونس والكويت والعربية السعودية والمغرب[٣٢]. وساهم الجميع، ومنهم مستشرقون، في العمل للتقدم بخطة التنسيق وإعداد المعاجم أشواطاً بحيث يمكن ترشيحها لموافقة مؤتمرات التعريب.

هذا وقد لوحظ أن المكتب لم يكن معروفاً في ما يعقد من مؤتمرات (مثلاً مؤتمر الفلسفة والعلوم الاجتماعية الذي عقد بالقاهرة، ٣ ـ ٨ أيار/ مايو ١٩٧١، والذي نظر في ١٨٠٠ مصطلح) فوجب على المندوب الذي أوفده المكتب أن يقوم بعرض شامل عن منجزات المكتب، بدت أنها غير مجدية في نظر مدير المنظمة، إذ قال إن المجامع تقوم بذات العمل. بل إن المكتب في رأيه يقدم عملاً سريعاً مرتجلاً، اضافة إلى وضعه القانوني غير الواضح. لكن المؤتمرين أبدوا تفهمهم لما قام به المكتب من أعمال. وتبيّن بعد هذا اللقاء أن على المكتب توسيع دائرة علاقاته وعقد صداقات تتفهم ما يحققه من مشاريع في حقل التعريب.

بعد تلك الفترة الأولى من عدم الاستقرار (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥)، بدأت المحاولة تدور حول إلحاق المكتب بالجامعة التي لم تشرع في الاعتراف به فعلاً إلّا في سنة ١٩٦٩، فحدّدت له ميزانية مكّنته من القيام بأعبائه بصورة منتظمة. وقد تمّ إلحاقه بالمنظمة سنة ١٩٧١، وكانت بعض الجهود تبذل لنقله إلى مقرها بالقاهرة، بغية ضمه إلى أجهزتها الثقافية، لكنها لم تفلح. وعلى كل، فقد وفّرت المنظمة التي انتقل مقرها إلى تونس في أواسط ١٩٧٩، كل ما يمكنها من وسائل مادية للمكتب، لكن بقيت المشكلة الأساسية التي يعانيها، «هي الحصول على خبراء علميين ولغويين من مختلف المستويات للاضطلاع بأعباء مهمة ورسالة المكتب. . كل من يأنس في نفسه مساعدة المكتب في مهمته، يساعدنا، ولا ينبغي أن ينسى أن له إخواناً في المغرب العربي يحاولون اللحاق بالركب العربي. .»[٣٣]. وبتطور نشاط المكتب تطور تركيب اللجنة، فصارت تعد عناصر من المجامع يعتمد عليهم المكتب أكبر اعتماد لما تمكّنوا فيه من ممارسة اصطلاحية طويلة. لكن ذلك التطور يفرض حتماً تطويراً في النشاطات بحيث لم تعد تنحصر في مجرد التنسيق الاصطلاحي، بل أضيف إليها أعمال لغوية متنوعة، منها العمل على نشر الوعي اللغوي (أبحاث في المجلة)، تصحيح الأخطاء ومحاربة اللفظ الدخيل، ترويج الألفاظ المعرّبة، إحياء التراث عن طريق المسابقات التي تموّلها بعض الأقطار العربية، سدّ النقص في المعاجم، والعمل في الجملة على نشر العربية وتطويرها[٣٤].

---

(٣٢) «أنباء المكتب الدائم للتعريب،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٦٠٥.

(٣٣) «اللجان الثقافية للمكتب الدائم للتعريب،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ٣٢٩.

(٣٤) المكتب: الاذاعة المغربية، حصة ١/٦/١٩٦٧.

٣ ـ نشاطات المكتب[٣٥]

لم يقتصر المكتب على تنظيم نشاطاته الادارية واللغوية داخل مقره فحسب، بل عمل على الإشعاع في المغرب وفي الأقطار العربية الأخرى، وكذلك في بلدان عدة خارج الوطن العربي، وذلك بفضل مجلته السنوية اللسان العربي، وما يقوم به مسيّروه من تنقلات، وما أشرف عليه المكتب من تظاهرات فكرية وثقافية. فقد شجّع المكتب، مثلاً، منذ ١٩٦٦ في أهم المدن المغربية، إلى الشمال في تطوان، وفاس وغيرها، على بعث مفوضيات تابعة له، وكذلك تشكيل لجان ثقافية جهوية كلّفت بالردّ على كل الاستشارات اللغوية، وتنظيم معارض للكتب العلمية العربية، وتنظيم عروض عن الحياة الزراعية والصناعية وعن الصنائع المحلية، وعن الحياة القضائية. . .[٣٦]، وعقد محاضرات وعروضاً مسرحية وموسيقية[٣٧]. وقد نظّمت هذه المفوضيات في ١٩٦٨، ندوات حول تجربة تعريب القضاء والتشريع في المغرب الأقصى. وعلى كل مفوضية تشكيل أقسام عدة، أهمها يكون طبعاً القسم المكلف بشؤون التعريب. وكان عمله متمثّلاً في تصحيح ما جدّ من أخطاء في تعريب لافتات الدكاكين والشركات، وتعريب أسماء الشوارع، واللافتات وتوعية الجماهير للتخلّي عن الكلمات والعبارات التي لا يوجد أصلها في أحد الأوزان العربية، والتفكير في إعداد أشرطة لهذا الغرض، واستخدام الوسائل السمعية البصرية كمساعدات للتصحيح اللغوي. وكان المكتب من جانبه على اتصال بالصحافة والاذاعة لنشر أفكار المكتب، والتعريب بالمؤلفات المعرّبة التي تتضمن أفكاراً علمية جديدة قابلة للرواج. وقد خصصت للمكتب حصص اذاعية يقدمها كل أسبوع بالعربية والفرنسية تعريفاً بقضايا التعريب. واستمر الاتصال بالسلط المحلية كأحسن ما يكون. من ذلك أن شعبة الحضارة بالمغرب اتصلت بها للتعرّف على البنى البشرية في ناحية سكنية معينة، في حين أن شعبة الأبحاث الاقتصادية والعمرانية تبحث عمّا صلح من مصطلحات عند المؤسسات والبنوك، وذلك لتنسيقها بالمصطلحات المستعملة في الفروع الادارية المحلية[٣٨].

والظاهرة التي شملت الاحتفاء باللغة العربية تمثّلت في تنظيم أسابيع التعريب التي بدأت بالمغرب الأقصى، ثم امتدت إلى الأقطار المغربية والوطن العربي عامة. فقد نظم أسبوع للتعريب في الرباط من ٣ إلى ٩ كانون الثاني/ يناير ١٩٦٣. فوجهت رسائل إلى وزارة التربية في ١٩٦٢/٣/٢٣ لهذا الغرض، إذ نظم أيضاً في تلك السنة أسبوع مماثل (من ١٩٦٢/١١/٢٦ إلى ١٩٦٢/١٢/٢). فكانت مناسبة لاستعراض نشاطات المكتب عن

---

(٣٥) لاستكمال الموضوع، انظر: اللسان العربي، العدد ٣٤ (١٩٩٠)، ص ٢٠١ ـ ٢٥٦.

(٣٦) «أنباء المكتب الدائم للتعريب،» ص ٦٠٣.

(٣٧) المكتب: ٥٢ حصة من ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧.

(٣٨) المكتب: الاذاعة المغربية، حصة ١٩٧٦/٦/١.

طريق الصحافة والاذاعة[39]. وحاضر المختصون عن نهضة العربية ومستقبلها، وعن قضايا التعريب وصعوبات ابتكار اللغة العلمية، والأرقام والرموز، ووضع المعاجم الحية (معاجم مدرسية، معجم المعاني)، ووسائل تيسير العربية والكتب المدرسية، وتعريب التعليم والادارة، وتيسير الطباعة، واستخدام الصحافة والاذاعة لفائدة التعريب. وقد جدّت تلك النشاطات المتنوعة خلال أسبوع التعريب لسنة ١٩٦٣، الذي لم يشارك فيه من الأقطار العربية سوى الأردن حيث إن الأقطار الأخرى أوفدت سفراءها لحضور الاحتفالات. لكن أعضاء المكتب اغتنموها فرصة للتعريف بجهودهم، فشاركوا في اللقاءات والبرامج وتحرير المقالات الصحفية. وقد تركز مجهود معين مثلاً حول المصطلحات القضائية، فنظمت مفوضية فاس في أيار/ مايو ١٩٦٧، معرضاً لكتب القضاء والتشريع[40]، وفي الوقت نفسه تستغل الاذاعة والتلفزة من طرف المختصين في القانون، لتعميم المصطلحات القضائية المعرّبة[41].

أما الوجه الثاني لهذه التظاهرة فيتمثّل في البادرة التي قام بها أفراد اللجان القومية للتعريب، الذين نظّموا سلسلة من النشاطات التي أبرزت ما تحقق في مجال التعريب، سواء على صعيد المجامع أم على صعيد المؤتمرات العلمية التي اتخذت قرارات لفائدة تنشيط التعريب. فكان على المكتب أن يمدّ يد المساعدة للجان المذكورة بغية تحقيق ما عنَّ لها من برامج تعريبية. وقد احتفلت أهم المدن المغربية سنة ١٩٦٣ بأسبوع التعريب، وساهمت في ذلك الاذاعة والتلفزة المغربية. وقد أعدّ المكتب مجموعة من الصور وقرر عرضها وشرحها للجمهور، متعرضاً لما حققه المكتب وما أنجزته المؤسسات والوزارات المغربية المختلفة في هذا الميدان. وقد ساعدت الصحف على نشر مختلف اللقاءات التلفزية. من ذلك ما طلب من الزعيم المغربي الراحل علال الفاسي (توفي في أيلول/ سبتمبر ١٩٧٤) من المشاركة في مناقشة حول مختلف أوجه قضية التعريب. والواضح أن ما أريد من أغراض عميقة متمخضة عن ذلك الأسبوع التعريبي الحافل ترتبط بما كان للمكتب من مهمة تنسيقية. ويعود ذلك في نية المكتب إلى تشكيل اللجان الوطنية للتعريب، وتوحيد مجامع اللغة العربية، وتبسيط الطباعة وتعليم العربية، وفرض تلك اللغة في جميع درجات التعليم، ووضع المعاجم، وتهيئة وسائل مناسبة لإعداد المعلم بحيث يدرس ضمن خطة للتربية الموحدة. وقد كان لمثل هذه المشاغل سابقة في مؤتمر ١٩٦١ الذي أسس الخطوط الأولى للوحدة اللغوية والثقافية. أما على الصعيد المغربي الوطني، فكان الغرض المنشود يتمثّل في فرض العربية في كل المجالات (تعليم، ادارة، حياة عامة). ذلك أن الأمة التي لا تتصرف في لغتها للتعبير عن مشاعرها وآمالها وأهدافها في الحياة، لا بد وأنها تخضع للغات الأخرى للتعبير عن أصالتها، فينجم عن هذا الاتجاه تحريف في التفكير والسلوك[42].

---

(٣٩) المكتب: رسالة ٨٩٤، ١٩٦٥/١٢/٧ لمدير الاذاعة.

(٤٠) المكتب: الاذاعة، حصة ١٩٦٣/٣/١٦.

(٤١) المصدر نفسه.

(٤٢) «المؤتمرات المتخصصة،» اللسان العربي، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ١، ص ٢٥٤.

وبـذلك يبـدو التعريب بمـظهر القضيـة القديمـة الجديـدة في آن واحـد، وهي تستمـد جذورها منذ انطلاق الفتح الاسلامي. فقد فرضت العـربية وعـوضت الفارسيـة والسريانيـة واليونانية. من ذلك أن الخليفة عمر بن الخطاب واجه قضية تعريب الدواوين التي استخدمت الفارسية في العراق والشام. فكان قراره أن يشرع في التعريب، وبذلك بدأ الحـل يتبلور رغم الظروف التاريخية المحيطة بالفتح الاسلامي الذي كان في بدايـة الطريق. واستمـر الأمويـون على ذلك النهج، وكذلك العباسيون الـذين أحسوا بـالحاجـة إلى التزوّد بـالعلوم، فدفعـوا بذلـك التعريب دفعاً قوياً. فـأمكن للعربيـة استيعاب الفلسفـة اليونـانية السقـراطية والأفـلاطونيـة، وأمكن كـذلك تملّك نـاصية الحكمـة الهنديـة. وإذا عدنـا اليوم إلى المغـرب، نجـد أن أزمـة الاقتناع بحتمية التعريب هي التي تعوقه أكثر من مجرد وجود امكانات في الخبراء، أو أن تكون قضية مصطلحات ومعاجم. ففي المغرب العربي عامة، ربمـا يكون مـآل إخضاع المنـاهج إلى نظام اللغتين إلى ازدواج شخصية الأجيال المثقفة طبق هذا النظام[٤٣].

ونجد أن الاحتفاء بأسبوع يخصّص سنـوياً لقضـايا التعـريب تتأكـد فعاليتـه لو استمـر احياؤه دون انقطاع. لكن لم يكن الأمـر كذلـك، إذ توقف العمـل بهذه السنـة، ولم نجد لهـا صدى لا في مجلة المكتب ولا في وثائقه، ثم عاد إلى احيـائها بصـورة أقوى، بعـد أن أوصـت المنظمة بذلك في مؤتمرها العام (تموز/ يوليو ١٩٧٨)، فاتخذ شعاراً لذلك (العربيـة لغة العلم والتقانة عام ٢٠٠٠). وبدأ الأسبوع الأول بالمغرب، ثم إحياؤه في تـونس لأول مرة (٣ ـ ١٠ كانون الثاني/ يناير ١٩٧٩) بمشاركة مدير المكتب، وقد لاقى صـدى طيباً «وقـد كانت الصحف تنشر زاويـة خاصـة بعنوان (العـربية لغـة العلم والتقانـة) تتألف من مصـطلحات يـزودهـا بهـا المكتب بصـورة منـتظمة»[٤٤]. وأقيم أسبـوع كذلـك في الكـويت تضمن محـاضرات ومعـرضـاً للكتب ومعـاجم المكتب. فاتضح في المظهر الجديد الذي اكتسته مثل هذه المحافل أن الحديث لم يعد يدور عن اقناع المسؤولين والجماهير بحتمية التعريب، بـل تجاوز ذلـك كثيراً إلى التـطور باللغـة العربيـة باستخدام العقل الالكتروني في معالجة المصطلحات العلمية العربيـة، وأن الاتجاه يعمـل على خزنها في بنوك وتوفيرها لما يجدّ من احتياجـات. والمتوقـع أن تتواصـل هذه المـواسم السنويـة التعريبية، وتنظّم في أقطار أخرى (السعوديـة، ليبيا، قـطر). وأن التفكير صـار من النجاعـة والتكامل، بحيث لم يعد التعريب قضية عاطفية تريد الدفـاع عن مقام اللغـة العربيـة في أقطارهـا وخارجها. ذلك أن المكتب بعدما وسّع من دائرة أعماله واتصل بالمراسلين في الـوطن العربي، تجاوز ذلك وفكّر في ربط الصلة بالعلماء العـرب في أوروبا وأمـريكا. «وستشكـل لجان من العلماء العـرب المغتربـين تعرض عليهـا مشاريـع المكتب المعجمية لفحصهـا والتدقيق فيهـا واستكـمالهـا بمـا يستجـد في المجالات التكنولـوجية المختلفـة، كما سيسهم بعض أعضـاء تلك اللجان في النـدوات والحلقات الـدراسية التي ينظّمها المكتب»[٤٥].

---

(٤٣) المكتب، العدد ٤ (آذار/ مارس ١٩٧٩)، ص ١٥.

(٤٤) الاذاعة المغربية، حصة ١٩٦٣/٣/١٦.

(٤٥) «حملة محاربة اللفظ الـدخيل في العـالم العربي، قـل ولا تقل،» اللسـان العربي، السنـة ٦ (كانـون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٤٨٥.

ونظم المكتب كذلك حملة لمكافحة الدخيل من الألفاظ، سنة ١٩٦٣، وقد شملت مختلف ملامح الحياة الاجتماعية، في المدرسة والشارع والمهن والرياضة والحرب. . . فنشر كتيباً بـ ٤٨ صفحة خصص لتطهير اللغة العامة المغربية من الكلمات الأجنبية. فورد به قائمة تضمنت مقابلات تلك الكلمات بالعربية على هيئة «قل. . ولا تقل. .»، فكانت ٣٦٥ على عداد أيام السنة بحيث تلقن الجماهير كلمة صحيحة في اليوم الواحد. وقد استهدف المكتب بلوغ ١٠٠٠ كلمة من هذا القبيل، تبرّعت بنشرها في ثلاث كتيبات المؤسسات التجارية. كان هذا الجهد مخصصاً للقضاء على الكلمات الأعجمية وتعويضها بما يقابلها في العربية. وقد روجت تلك الكتيبات في المغرب والجزائر. وكان ذلك عملاً بطريقة سنّتها الاذاعة المغربية وجرّبتها بأن خصصت لها برنامجاً يبدأ بذكر الكلمة الواجب حذفها والتي تنشر بالصفحة الأولى من الجرائد قريباً من العنوان. وتنشر الدوريات الأسبوعية والشهرية قائمة الكلمات المتخلى عنها خلال أسبوع أو شهر، مرفوقة بمقابلاتها بالعربية. أما في المدارس، فتقدم الكلمة في أول النهار. وتروج الكلمة الفصيحة في الجمعيات من كل قبيل، ويلتزم أفرادها بالامتناع عن استعمال الكلمة المحذوفة لعجمتها وتعويضها باللفظة الفصيحة[٤٦]. وقد تواصلت حملة تصفية العامية المغربية من الدخيل حتى ٣١ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٣، وقد تمّت طبق ترتيب أرّخ مسبقاً، بحيث تروّج الكلمات الواجب تنحيتها من أول السنة إلى نهاية آذار/ مارس، وتذاع بقية السنة إعلانات عن طريق الصحافة والاذاعة تعرف الكلمة الدخيلة التي وقع التخلّي عنها في يوم معين وبما عوّضت. ولقد انطلقت هذه الحملة فعلاً يوم ٣٠ آذار/ مارس ١٩٦٣، وهو اليوم الذي قررت فيه فرنسا وضع المغرب تحت حمايتها سنة ١٩١٢. وتجدّدت الحملة سنة ١٩٦٥ في المغرب والجزائر. وقد اقترح المكتب في رسالة وجهها إلى الصحافة والحكومات العربية، العودة إلى ترتيب حملات أخرى سنة ١٩٧٠، تشمل أقطار المشرق العربي أيضاً. ودعا الخبراء إلى تجميع الكلمات الأعجمية المنتشرة في العامية المحلية وتوجيه قوائم إلى المكتب ليتمكّن من وضع معجم عام للكلمات الأجنبية الرائجة في اللهجات العربية، والتحرّي من وجودها في الكتيبات الثلاثة التي نشرها في هذا الصدد[٤٧].

واستمر المكتب على نشر الكلمات البديلة بالاعتماد على ما صدر من يوميات في سنة ١٩٦٤. وقد أدرج ذلك ضمن أعماله، ونص عليها في نشرتيه الشهريتين تشرين الثاني/ نوفمبر، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٣. وتوقع تنظيم مثل هذه الحملات بالاشتراك مع الشعب، منذ الحملة الأولى في ١٩٦٣. وقد نشرت شعبة المغرب، ٣٦٥ كلمة أجنبية سنة ١٩٦٤ وقع التخلّي عنها لفائدة مقابلاتها في العربية[٤٨]. لقد انطلقت هذه الحركة من أقصى المغرب حيث لوحظ أن لهجته بصدد التحلل في خليط من العربية والفرنسية والاسبانية،

---

(٤٦) صبيح الغافقي، «المكتب الدائم قلعة صامدة لحماية التراث الفكري للعالم العربي،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ٤٠٥.

(٤٧) الاذاعة المغربية، حصة ١٩٦٣/٤/٣.

(٤٨) «قل ولا تقل،» **اللسان العربي** (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ٢، ص ٣٥.

وبذلك تكون اللهجة المغربية منشقة عن االهجات العربية لو تمادت في هذا الوضع. ثم إن أهل الجنوب يعسر عليهم فهم لغة أهل الشمال الذين يتكلمون بمزيج من اللهجة الجبلية والاسبانية، خاصة وأنهم يستخدمون الفرنسية ولهجة الشلحة. فنجد المتكلم شمالاً يقول (Secula) مقابل مدرسة، و (Signor) مقابل سيدي، وهي لا محالة كلمات عادية لكن ينبغي معرفتها في الجنوب(٤٩).

وقد نظر محمود تيمور (توفي سنة ١٩٧٣) رئيس لجنة مصطلحات الحضارة بمجمع القاهرة، في الكتيبات الثلاثة التي وضعها المكتب في الدخيل(٥٠)، وقدم تقريراً حول هذه الحملة مفاده أن عشر هذه الكلمات فقط معروف في الوطن العربي. ولذا، من العسير القول إن هذه القوائم يمكن ترويجها بالمشرق. والمستحسن اعادة النظر فيها وإضافة المقابلات الرائجة في الأقطار الأخرى. هذا ما وقع استخلاصه من تلك الحملة في ١٩٦٩/١٢/١٨. والرأي السائد في المغرب أن الانطلاق من التعريب الاجتماعي يؤدي دون شك إلى تعميم التعريب في التعليم والادارة استناداً إلى القانون الدستوري(٥١). وبذلك يمكن تلافي نفاذ مفعول الكلمات الأعجمية، خاصة إذا استعملها المثقفون. ذلك أن مقصد المكتب من تلك الحملة تمثل في العمل على تعريب اللغة العامية بالاتجاه إلى القاعدة الاجتماعية شمالاً وجنوباً، وتوحيد الكلمات المقصودة بالحملة. وينبغي لذلك، وتصحيحاً لهذا الوضع الخطير، الاعتراف بأن اللغة ليست سوى انعكاس للفكر، فقد وجدت مع الانسان وعايشته بصورة عفوية، وعليها أن تمدّه بوسائل التعبير عن الأفكار والمشاعر، وتحقيق توازنه. وعملاً بهذا المبدأ، استعان المكتب بالنخبة المثقفة لحماية سلامة الشخصية الوطنية حتى لا يقع التساؤل عن مآل هذه الحملة التي تريد الدفاع عن اللهجة المغربية، عزل الأمة عن الحضارة العصرية التي نحن في حاجة ماسّة إليها للتطور الاجتماعي والفكري(٥٢). ولعل توقفها بعد سنوات قليلة قاد إلى الحكم عليها وفشلها، لا في القطر المغربي فحسب، بل أيضاً في مستوى المثقفين والمختصين، وبالأخص أعضاء مجمع القاهرة الذين عبّروا عن شكّهم في الفائدة من تعميم هذه اللغة التي هي مغربية بحتة، ذلك أن الكلمات الأعجمية الموجودة في المشرق هي من أصل انكليزي. ثم إن بعض المقابلات العربية المعوضة للكلمات الأجنبية هي عبارة عن كلمات بسيطة، وأن غيرها اكتسى دلالة جديدة. فصار عسيراً تحديد قيمة تواترها أو تقرير زوالها. والواجب هو أن تقارن القوائم التي وضعها المكتب بما راج في الأقطار العربية الأخرى، حتى تكون الكلمات التي وافق عليها مجمع القاهرة محل اجماع(٥٣). أما في خصوص ما ورد من كلمات فصحى، فقد تلقى المكتب ملاحظات لغوية تعلقت بالكلمات والعبارات

---

(٤٩) الاذاعة المغربية، حصة ١٩٦٣/٤/٦.

(٥٠) المصدر نفسه، حصة ١٩٦٥/٦/٣٠.

(٥١) «قل ولا تقل،» ص ٣٥.

(٥٢) «قل ولا تقل،» **اللسان العربي** (١٩٧١)، ج ٣، ص ٥٢.

(٥٣) المصدر نفسه.

التي قام بترتيبها[٥٤]. ويتضح بعد ذلك ما حصل من تداخلات ثلاثية اللغة في القوائم المعنونة: «قل.. ولا تقل..»[٥٥]. فمثلاً استعمل ظرف المكان «ضد»، وراج في الصحافة، كأن يقال: ثار ضد الحكم. لكن العبارة الفصيحة السليمة أن يقال ثار على الحكم. وترتب على هذا الخطأ في الاستعمال تركيب جمل عدة بأفعال متنوعة وظرف المكان هذا. ويمكن أن يشمل الإصلاح التضعيف والشكل والأفعال عند استعمال إذا الشرطية (فعل الشرط وجوابه في الماضي في حين أن التركيب الحديث يستعمل المضارع) والأعلام والنسبة. وفي المقابلات ما راج ورسخ مثل دَوْلي في المفرد مقابل (Etatique)، ودُوَلي في الجمع مقابل (International)، اعتباراً أن النسبة في الجمع مقبولة في العربية الحديثة[٥٦]، ذلك أن الصحافة منذ القرن التاسع عشر عملت الكثير لنشر التراكيب الأعجمية.

فقد خاض اللغويون كثيراً في مدلول (دولي) وكذلك (مشترك) عند ذكر السوق الأوروبية المشتركة، وكان التساؤل يدور حول استعمال اسم الفاعل أو اسم المفعول من اشترك. واتجه الرأي إلى تفضيل مشترَك (بالفتح) خاصة وأن الدولة تكون عضواً مشتركاً في السوق (بالكسر)، في حين أن السوق ذاتها تكون مشترَكة (بالفتح) بين أفرادها[٥٧]. ولا يمكن التغافل عمّا كان للغة العربية من روّاد في هذا الميدان، قديماً وحديثاً، مثلاً ابن الجوزي الذي ألّف **تقويم اللسان**. وقد كانت هذه المخطوطة مجالاً لعمل تحقيقي تمّ في الرباط. ولنذكر أن المؤلف سجّل أغلاط العامة التي اعتبرها بعض علماء اللغة من الكلمات الصحيحة[٥٨]. وعلى كل حال، يبدو أن الحملة التي قادها المكتب لمقاومة الدخيل من الكلمات الأعجمية قد بعثت شعوراً بأحد مظاهر اللغة كان مهملاً في الماضي، وصار حرياً بالدرس والمتابعة. وقد برزت من خلال الحملة مواقف كشفت عن مدافعين متحمسين عن العربية التي يتصورها الناس مكسوة بكل الحسنات المتمثلة في عبقرية الحرف العربي، تلك الأداة الأساسية لبناء الكلمة. وقد أبدى آخرون مواقف أقل إقداماً، معتبرين أن اللغة قد تجاوزت المواقف العاطفية الرجعية نوعاً ما. وبعد التأمل، يبدو أن ما بذله المكتب من جهد في هذه الحملة لم يحاول أكثر من أن يشرع في إعداد برنامج عمل للقيام بحملات مماثلة تقرر موعدها لسنة ١٩٧٠، تتسع لأقطار أخرى. وقد كان لهذه الخطة بعض الأصداء في منظمة اليونسكو، لكن لم تقم الأقطار العربية بالاهتمام الفعلي بالموضوع، ولم تبد عزماً على شن حملة لمقاومة الدخيل[٥٩].

---

(٥٤) المصدر نفسه، ص ٥٦.

(٥٥) «قل ولا تقل،» ص ٦١.

(٥٦) محمد ابراهيم الكتاني، «نحو تحقيق كتاب ابن الجوزي: «تقويم اللسان»،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٥٢٤.

(٥٧) محمد المنوفي، «ظاهرة تعريبية في المغرب العربي،» **اللسان العربي**، السنة ١ (حزيران/ يونيو ١٩٦٤)، ص ٦٥.

(٥٨) توضيحات مدير المكتب خلال حديث مسجل في ١٩٧٣/٧/٩، و١٩٧٣/٧/١٢.

(٥٩) *La Langue arabe et l'Afrique*, traduction du message adressé par le B.P.A. à l'O.U.A. à l'occasion de son 9ème congrès,»
اللسان العربي، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٤٣.

ولم يمنع ذلك المكتب من تنويع نشاطاته، فبعث فكرة انشاء مركز للقيام بأبحاث حول الثقافة الانسانية، أملاً في خلق تيار واسع لإعلام الجماهير بشمولية الثقافة العربية، وتأييداً لبعث تعاون فكري على الصعيد الدولي[60]. فوجّه رسائل في هذا الصدد إلى منظمة الوحدة الافريقية التي عقدت مؤتمرها التاسع بالرباط، معبّراً عن امتنانه لاستخدام العربية لغة رسمية في المنظمة، ومشيراً إلى أن العربية معروفة ومستعملة عند نصف سكان القارة الافريقية، وهي لغة تمتلك كل الميزات المطلوبة ليكون لها مصطلحات خاصة بها، تخوّل لها الإسهام الفعّال في الرقي العلمي والتقنية الحديثة[61]. وعلى هذا الأساس، نهج المكتب وسطّر برامج عمله في تنسيق التعريب بالمولّد من الألفاظ والمصطلحات العلمية. وفي نطاق الوحدة الثقافية والفكرية، دعي المكتب لتنظيم معرض خلال مؤتمر القمة المنعقد بالرباط (١٠ - ١٧ أيلول/ سبتمبر ١٩٦٥)، وقام كذلك بتنظيم معارض أخرى للتعريف بنشاطاته ومنجزاته المعجمية.

وأول معرض خارجي شارك فيه، كان المعرض الدولي في طرابلس الذي أقيم على الصعيد المغربي، من ٢٨ شباط/ فبراير إلى ٢٨ آذار/ مارس ١٩٦٣، الذي خصص للكتاب العربي. ذلك أن المكتب يملك عدداً من التآليف والمجلات، منها مجلات المجامع، في موضوع العلوم الطبية والقضائية والصناعية والآلية والرياضيات، والغذاء والذرة. . . وقد اقتنى كثير من الزائرين كتباً تقنية وعلمية مؤلفة بالعربية. وقدمت طريقة جديدة في الطباعة العربية اخترعها أحمد الأخضر غزال (مدير معهد التعريب المغربي في الوقت الحاضر). وكانت هذه المناسبة أيضاً قد أتيحت للمكتب ليعرّف بنشاطاته ومنجزاته ومشاريعه بالاذاعة الليبية وصحف هذا القطر. وتبعها معرض الكتاب العربي الذي أقيم بالدار البيضاء، من ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر إلى ٧ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٤، حيث عرض ١٢٠٠ كتاب، و٦٠٠ مجلة، و٤٠٠ معجم، و٧٠٠ مخطوطة[62]. ونظمت عروض أخرى في المغرب سنة ١٩٦٨ بـ (تطوان والرباط حول الكتاب العسكري)[63]. هذا ولا نغفل أن أقطاراً أخرى ساهمت في إقامة هذه المعارض، مثلاً مصر التي قدمت عيّنات من الكتب العلمية سنة ١٩٦٢، وقد ساعد المكتب في ذلك واقترح على الجامعة وعلى الأقطار الخمسة عشر المشتركة فيها تنظيم تظاهرة الدار البيضاء التي تشكّل في رأيه فرصة لتدارس قضية الكتاب العربي من الوجهة المادية والثقافية، وتنظيم ندوات في الموضوع. فوجّه المكتبُ رسالة (رقم ٢٢٣١، في ٧/١٠/١٩٦٤) موضوعها ما جدّ من عروض حول الثقافة العربية المعاصرة والعربية والرقي

---

(٦٠) عبد الهادي التازي، «الشيخ الشبيبي معلمة من معالم العراق،» **اللسان العربي**، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ٣٥٣.

(٦١) عبد العزيز بنعبد الله، «معجم الرياضيين بالمغرب الأقصى،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ١٣٨.

(٦٢) «أنباء المكتب الدائم للتعريب»، ص ٦٠١.

(٦٣) «الموسم الثقافي الثاني: انطلاقة جديدة لوحدة القطر العربي وبرهان آخر على قدرة لغة الضاد،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ١٧٢.

العلمي. وقد وافقت الجامعة على هذا المشروع منذ (٣٠ آب/ اغسطس ١٩٦٤)، وأشارت على المكتب بعقد ملتقى للبحث في قواعد الترجمة في الوطن العربي. ووافقت السفارات العربية على المساهمة في هذه الأشغال، طالبة تأخير فتح المعرض ليتاح لها دعوة المحاضرين وجمع الكتب المناسبة[٦٤]. كان المكتب يريد إضفاء طابع الاستمرارية على هذه التظاهرات بحيث تقام سنوياً في إحدى العواصم معارض للكتب العربية. وتواصلت العروض في المغرب (٤ ـ ٢٦ أيار/ مايو ١٩٦٥). فكانت مناسبة لإقامة نشاطات ثقافية في أهم المدن المغربية، وبدأت الاحتفالات بأسبوع الطالب (٢ ـ ٨ أيار/ مايو ١٩٦٥) الذي عبر عن رأيه في مفهوم الثقافة العربية، وشارك بأبحاث شفاهية وكتابية عن العلوم والتقنيات أجيز بعضها. وقدّم المكتب عرضاً عن العلوم الفضائية، بمشاركة الولايات المتحدة وانكلترا وفرنسا والاتحاد السوفياتي والصين. وفتح معرض ضمّ مئات الكتب العلمية العربية في الفضاء والذرة والكيمياء والفيزياء. ونظمت محاضرات حول هذه المسائل ونجاعة العربية، وقد ألقاها جامعيون من السعودية ولبنان وسوريا وليبيا، تحدّثوا عمّا حققته أقطارهم من منجزات في حقل التعريب. واكتسى معرض الدار البيضاء أهمية كبيرة، بفضل المساهمة العربية، وحضور الطلبة. وقد حدّد مدير المكتب في ندوة صحفية ما تحقق من منجزات تعريبية عملت على توحيد المصطلحات المجمعية العلمية حتى تسترد العربية نجاعتها[٦٥]. وتواصلت معارض الكتب سنة ١٩٦٧ (بين ١٦ نيسان/ ابريل و١٥ أيار/ مايو)[٦٦]. فكان معرض الكتاب العسكري (الرباط) والكتاب الاقتصادي (الدار البيضاء، ٢٧ نيسان/ ابريل ـ ٢١ أيار/ مايو) سواء ألّف بالعربية أو نقل إليها. فعرضت مؤلفات في الزراعة والتجارة والإحصاء وآلية السيارات، وعلم طبقات الأرض، والدراسات المصرفية، إضافة إلى المجلات المجمعية التي عالجت هذه المسائل ووضعت مصطلحاتها. وقد سبق تعيين معارض الكتب العلمية خارج العواصم، مثلاً ما تقرر لتطوان من ١٥ أيار/ مايو إلى ١٥ حزيران/ يونيو ١٩٦٦، وما انتظم بفاس (معرض كتب الفقه والتشريع)[٦٧]، بحضور مدير المكتب ومشاركة أساتذة من السعودية ولبنان وسوريا والسنغال.

كان معرض الكتاب العسكري (١٨٠ عنواناً، زيادة على المجلات والمعاجم الانكليزية العربية) الأول من نوعه الذي نظّم في الوطن العربي. وقد عرضت فيه كتب تبحث في العلوم الذرية، والفضاء، والأسلحة والتجهيزات العسكرية، والهندسة العسكرية، والاستراتيجية، والجيش، ومذكرات الحروب. وقد نشر أغلبها في سوريا ولبنان ومصر، ومنها ما نقل عن

---

(٦٤) الأنباء، ١٩٦٥/٥/٣٠.

(٦٥) «رحلة الأمين العام عبد العزيز بنعبد الله إلى العواصم العربية: مقابلات مع صحف عربية،» **اللسان العربي**، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ٦٤.

(٦٦) يحيى الشهابي، «المعجم الحضاري،» **اللسان العربي**، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ٣٢٨.

(٦٧) «تكريم الفائز،» **اللسان العربي** (١٩٧٢)، ج ١، ص ٤٧٤.

الانكليزية. وتنشر هذه الأقطار مجلات عسكرية، وكذلك في المغرب والعراق والعربية السعودية والأردن. وقد شارك عدد من مفوضيات المكتب، ولعل ذلك المعرض كان الأخير من نوعه الذي هيّأه المكتب في تلك الفترة التي لم تستقر خلالها ماليته على وضع واضح، فلم يعد قادراً على تنظيم مثل هذه المحافل، فقد تتطلب تنظيم معرض الكتاب بطرابلس ملايينا عدة من الفرنكات القديمة. فوجّه المكتب في هذا الموضوع، مذكرة إلى الجامعة أعلن فيها عجزه عن المشاركة في ملتقيات عدة (أسبوع العلم في سوريا، مؤتمر المنظمة العربية للعلوم الادارية، مؤتمر الاتحاد البريدي العربي، مؤتمر المنظمة العربية للمواصفات. . .) فاقتصر على تنظيم نشاطات عدة بالمغرب بـ (تطوان، محاضرات عن تعريب القضاء بالمغرب، إذ ساعد المكتب على إعداد معاجم في القانون). وبذلك، تكون مدينة الرباط مقر المكتب قد عرفت الكثير حول الكتاب العلمي العربي، فمهد ذلك وأفاد التعريب على صعيد هذا القطر. ودائماً في إطار ما خططه المكتب من نشاطات منوعة، فقد شجّع على انتاج دراسات محققة لمخطوطات ثمينة عن اللغة العربية والدراسات القرآنية، وأعد لذلك وبمساعدة أقطار عدة، جوائز مالية معتبرة.

كان الهدف المنشود هو بعث وتجديد، في ما كان عليه إحياء التراث من عمل تقليدي. ذلك أنه يتعين تجديد النظرة والتصور للتحليل العلمي وتحقيق المخطوطات القديمة وتنظيم ذلك طبق منهجية نوعية. ومن المستحسن الإشارة إلى ما أبداه المجمعي العراقي مصطفى جواد من آراء حول قضايا اللغة، وما يواجهه العالم الذي يعمل تحدوه روح تحررية، فيقوده تفكيره إلى وجوب تقنين اللغة بقواعد عامة قابلة للتطور. وعليه أن يحيط اللغة بنظرة شاملة. فمثلاً لا يفرق بين النحو وعلم المعاني، حتى لا يبعث الاضطراب في القضايا النحوية. وله أن يعتبر ضرورياً وضع المعاجم للفصحى والعامية، للكلمة القديمة والمولّدة، للكلمة العربية والمعرّبة، فلا يمنع ذلك كله أن يشتمل السجل اللغوي على الدلالة المعجمية والدلالة الحيّة المستعملة. ولعله ينطلق عندئذ من الكلم القرآني إذا رام إحياء اللغة. كان ذلك اتجاه مصطفى جواد الذي كان شديد التدقيق في النصوص، وعلى اطلاع واسع على المصادر وقوائم الكتب الضرورية لكل فرع من فروع العلم. وكانت له دراية كبرى بالمخطوطات. فقد راجع ما حققه مارغليوث (Margoliouth) في كتاب ياقوت الحموي **معجم الأدباء**، وكشف عن أقسامه المفقودة. وتتحاشى هذه المنهجية أهداف المكتب الرامية إلى إحياء المخطوطات القيمة، التي يمكن إحياؤها في صورة معاجم أو بحث علمي محقق في أحد مواضيع العربية، مع وجوب إثبات الكفاءة والطرافة عند تقديم الدراسة التحقيقية التي يكافأ عليها الباحث من طرف قطر عربي وبمساعدة المكتب.

وقد كان المغرب أول قطر يسلم الجائزة الأولى سنة ١٩٧١، بعد النظر في الدراسات المرشحة التي لا تقل عن ٥٠ صفحة، من طرف أربعة من أعلام اللغة وممثل عن المكتب. وسلم الفائز الثاني جائزته في بغداد (٦٠٠ دولار) لأن الجائزة الأولى احتفظ بها بعد النظر في ١٣ بحثاً رفض منها ثلاثة أبحاث، وكان موضوع هذه الدراسة الفائزة معجم ابن فارس

متخير الألفاظ(٦٨). وقد وردت الأبحاث من أقطار عربية مختلفة، وحتى من الجامعة الاسلامية بدلهي الجديدة(٦٩).

وتقرر الشروع في المسابقة الثانية لفترة ١٩٧١ ـ ١٩٧٢، وقد تكلفت الكويت بالجوائز، وخصص مبلغ ٢٠٠٠ دولار. وقد ترشّح اثنا عشر مؤلفاً محققاً. وقد فاز بالجائزة الأولى الدكتور تمام حسان (٧٠٠ دولار) عميد كلية دار العلوم بالقاهرة. وبالنسبة إلى سنة ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣، خصصت العربية السعودية المبلغ نفسه، جائزة لمن يفوز بتأليف معجم عن الدراسات القرآنية والحديثية (١٥٠ صفحة على الأقل)، وتقرر اتباع منهجية متطورة في هذه المسابقة الثالثة، بأن يحدّد موضوع التأليف في ١٢ كلمة (تأليف مخطوط أو منشور)، والتعريف بالمؤلف، ووضع معجم موجز هجائي للألفاظ العلمية الموجودة في الكتاب والتي ينبغي نقلها إلى الانكليزية أو الفرنسية. وقد مدّد في أجل التسليم حتى آخر ١٩٧٤، أي بزيادة سنة كاملة، لإضافة تأليف آخر قيّم تكفّلت العربية السعودية بمجازاته أيضاً. والمطلوب أن يتضمن بحثاً في القرآن والحديث في موضوع العلوم الطبيعية والفلك والعلوم العسكرية والادارية. وينبغي أن تستوحي الأفكار الأساسية لهذه الدراسة، مادتها من المصدر القرآني ومصادر الحديث وذلك إبرازاً للحقائق العلمية المعاصرة والتي تضمنها القرآن والسنّة(٧٠). ولم نتعرف على المسابقة الخامسة إلاّ سنة ١٩٧٩، وهي من تمويل ليبيا، وكانت «الغاية منها تقديم مخطوط في اللغة العربية له قيمة علمية في دفع حركة التطور اللغوي المعاصر، أو دراسة بيانية عن أسلوب الاستدارة في الكتابة الأدبية»(٧١). ذلك أنها مسابقة عرضت قبل سنوات، لكن الأبحاث لم تنجز من طرف أصحابها، فوجب تأخيرها. وتدخل هذه التحقيقات ضمن نظرة المكتب إلى إحياء التراث. ولا يمكن أن يقوم بمثل هذه المهمة إلاّ المتخصصون في الدراسات اللغوية(٧٢). ومن المعقول أن يفضل المكتب أبحاثاً عن تحسين تنسيق التعريب أو عن المصطلحات العلمية، لاندراج ذلك في اختصاصاته ومهامه اليومية العاجلة.

واعتماداً لهذه الأعمال وغيرها التي تؤول حتماً إلى خدمات معجمية، أسس المكتب مكتبة علمية في ١٩٦٥/١/١، وفتحها لجمهور الباحثين. وهي تزود بما يوهب لها من مؤلفات، وما يأتي عن طريق تبادل الوثائق، وقد احتوت في ١٩٧٣/٧/١٦ على ما قدره ٦٤٦٠ كتاباً في العلوم الاجتماعية والعلوم البحتة والعلوم التطبيقية، والفنون، والأدب، واللغة العربية، واللغات الأجنبية والتاريخ، وما يقدر بـ ٣٣٠٠ مجلة عربية و٤٠٠ أجنبية(٧٣). فقد أهدى مثلاً

---

(٦٨) «مسابقة المكتب الدائم،» اللسان العربي، السنة ٨ (١٩٧١)، ج ١، ص ٥٣٣.

(٦٩) «مسابقة المكتب الدائم،» اللسان العربي (١٩٧٢)، ج ١، ص ٤٧٣.

(٧٠) «المسابقة الرابعة دراسة حول القرآن والسنّة،» اللسان العربي (١٩٧٣)، ج ٣، ص ١٥ ـ ١٧، وج ٢، ص ٣٢.

(٧١) المكتب، نشرة اخبارية (آذار/ مارس ١٩٧٩)، ص ١٨.

(٧٢) المكتب، رسالة، ١٩٦٣/٧/٣١.

(٧٣) المصدر نفسه.

علال الفاسي ١٨٥ نسخة من مؤلفاته[٧٤] لهذه المكتبة التي يمكن اعتبارها عامة في خدمة الثقافة بمعناها الواسع، اضافة إلى مكتبة المقر.

وقد علّل المكتب طلباته في الحصول على الكتب، بأسباب فنية لغوية تتطلب زاداً متوافراً نامياً من المؤلفات والمجلات المتخصصة، وكذلك ما جدّ من أبحاث علمية منشورة. ولا ينفك المقر يتقبّل ذلك ثم يوجهه بعد الاطلاع والتحليل إلى المكتبة العامة. ولا يحتفظ لمكتبة المقر إلّا بالمراجع المعجمية والقواميس بمختلف اللغات الضرورية لعمل الخبراء[٧٥]. وبذلك يمكنه القيام بمهام التنسيق المنوطة به، والعمل على إعداد القوائم الاصطلاحية الموحدة[٧٦]. ودون التفكير في تنقيص موارد المكتبة العامة من كتب ودوريات، التي تقع تحت اشراف اللجنة المنوط بها فتحها وتنظيمها، فقد عمل المكتب منذ ١٩٦٣ على تقديم الخدمات الكتبية إلى الخبراء العاملين ضمنه، وكذلك الأمر بالنسبة إلى اللجان اللغوية والعلمية المشكلة. فما ينفك يوجه طلبات المساعدة في هذا الغرض إلى وزارات الثقافة والاعلام والتربية والمنظمة ومختلف المؤسسات الثقافية. وقد ساعدت المنظمة على تنمية مكتبة المقر التي تتضمن الآن مجموعة هامة من القواميس اللغوية والعلمية، تيسيراً لأعمال الخبراء بالمكتب، الذين عليهم استكمال الأبحاث المعجمية وتدقيق المصطلحات العلمية بمطابقة المصادر اللغوية بلغات متعددة، ثم ترتب كل المصطلحات المجمعة في جذاذات. وهذا التجميع إنما يعد بدوره إلى تحضير المشاريع المعجمية توطئة لما يعتزم عقده من ندوات متخصصة ومؤتمرات تعريب. وبذلك استمر المكتب على قبول الهبات، مثل ما يصله من مؤلفات عن التراث وأعمال أخرى من وزارة الاعلام العراقية، ينمي بها زاده لفائدة الباحثين والمتخصصين[٧٧].

ذلك أن ما يقوم به المكتب من نشاطات خارجية إنما تعدّ العدة لتحقيق مشاريعه الرامية إلى توحيد اللغة العلمية، وتزويد المجلة بالأبحاث، ووضع المعاجم ونشرها بثلاث لغات في المواد العلمية خاصة، وتنظيم الندوات المتخصصة. ويبدو أن أكبر مشروع يريد المكتب تحقيقه، هو نشر معجم علمي ثلاثي اللغة يتضمن كل المدركات العلمية العالمية، وقد توقّع اتمامه في نهاية الخطة العشرية الأولى من خطة التعريب التي حدّدها لنفسه (١٩٧٠ - ١٩٨٠). وقد «قام المكتب بجرد عشرات المراجع العلمية من أجل التعرف على المصطلح الرائج في العالم العربي أو المقترح لدراسته قبل الايعاز بمصطلح جديد. وتجمعت لديه حصيلة من الجذاذات باللغات المختلفة، للمصطلحات التي يتوصل بها من المؤسسات العلمية ومن المراسلين والشعب الجامعية، بلغت في السنوات الأخيرة من هذا التعميم، أكثر من (٣٠٠) ألف مصطلح ينتظر توفر المكتب على حاسوب لمعالجتها»[٧٨]. وإضافة إلى ذلك، ينبغي عليه وضع معاجم متخصصة، بفضل ما يقوم به من تجميع للألفاظ

---

(٧٤) المكتب، رسالة، ١٩٦٥/٢/٩.

(٧٥) المكتب، رسالة رقم ٦٣٦، ١٩٦٣/٣/٢٩.

(٧٦) **اللسان العربي** (١٩٧٤)، ج ١، ص ٣٩٩.

(٧٧) المكتب، محضر شباط/ فبراير ١٩٦٢.

(٧٨) **اللسان العربي**، العدد ٣٤ (١٩٩٠)، ص ٢٠٨.

الرائجة في الوطن العربي، بالاعتماد على طريقة إحياء القديم من الكلمات التي لا بد من ضبطها في قوائم بعد جرد الكتب الضرورية. ثم عليه أيضاً جرد القواميس بالفرنسية والانكليزية، واستخراج المفاهيم منها وتعمير الخانات الفارغة في اللغة العربية. وقد أمكن لغاية ١٩٧٠ إعداد ٥٠٠,٠٠٠ جذاذة. فتبين بذلك أن ما يجب بذله من جهد يتجاوز طاقة الأفراد، فتعاون المكتب مع المركز الوطني المغربي للتعريب، الذي هو الآن معهد للتعريب، كما ذكرنا سابقاً. وقد أنشىء ذلك المركز في ١٩٦٠/١/١٤، ثم ألحق بالمكتب في ١٩٦٢/١٠/٣١، وفصل عنه بعد سنوات. وتفرغ المركز المذكور إلى العمل لإعداد ما عرف بالعربية الوظيفية، وجرد اللغة الأساسية في المصطلحات الموحدة في الوطن العربي، وكذلك لغة العبارات التقنية، وساعد أيضاً على وضع الألفاظ التي لا يوجد لها مقابل في العربية. وربما كان أول مؤسسة عملت على وضع المعاجم وتوحيدها في آن واحد. وقد سار على منهجية عملت على نشر ما وافقت عليه المؤتمرات من ألفاظ، وعلى انتقاء أكثر الألفاظ تداولاً من المنشورات، وعلى استغلال القواميس والمعاجم وقوائم الكلمات المتداولة في البلاد العربية، وعلى اختيار أقرب لفظ من المفهوم الانكليزي أو الفرنسي، أو أن يولد لفظاً مطابقاً لقواعد الاشتقاق العربي، وعلى التحرّي في ما يعده من قوائم قبل نشرها نشراً مؤقتاً، وتوزيعها بين المؤسسات العلمية واللغوية العربية والأجنبية. وقد استوحى المكتب من هذه الوسائل نهج عمله، فاتفقت المؤسستان على توحيد جهودهما وإعداد خطة ثلاثية للتعريب في المغرب تتعلق بالتعليم والادارة، ومختلف مظاهر الحضارة. وقد كانت الوزارات المغربية مؤيدة لذلك، فسلمت ما عندها من وثائق اصطلاحية باللغة الفرنسية[٧٩].

فقد عملت المؤسستان معاً لتحقيق مشاريع معجمية، خاصة وأن مدير المكتب الحالي هو الذي سيّرهما في الوقت نفسه. فقد وضع المركز معاجم في الفيزياء والكيمياء والعلوم الطبيعية منذ ١٩٦٢. وقد نقد مدير المعهد حالياً أحمد الأخضر غزال معجم الفيزياء ومعجم الرياضيات، مبيّناً الأخطاء والنقص، ومقترحاً الاصلاحات[٨٠]. وعقد ملتقى في الرباط من ٢٧ إلى ٣٠ كانون الثاني/ يناير ١٩٦٤ ونظر في ثلاثة معاجم.

أما مؤتمر الجزائر ومؤتمر بغداد اللذين انعقدا في سنة ١٩٦٤، فقد أيّدا مقررات ملتقى الرباط بخصوص توحيد المصطلحات. أما في العلوم الطبيعية، فقد جرد المركز كل الكتب المؤلفة في هذه المادة والتي كانت مستعملة بفرنسا بجميع المراحل، بحثاً عن مفاهيمها ومقابلاتها بالعربية. وقد جرّد كذلك الكتب الدراسية بالمرحلة الابتدائية، فعزم المكتب عند ذلك على دعوة ندوة إلى الانعقاد للنظر في مشروع نشر معجم مدرسي، باقتراح من المندوب المصري باللجنة سنة ١٩٦٢. لكن الملتقى لم يلتئم للافتقار إلى الخبراء القادرين على انجاز

---

(٧٩) المكتب، ١٩٦٢/٦/٢٠.

(٨٠) المكتب، تقرير رقم ٦٢٦ في ١٩٧٠/١٠/٣٠.

ذلك المشروع[٨١]. ووضع المركز أيضاً معجماً مصوراً صغيراً تضمّن قسماً للنبات وقسماً ثانياً للأدوات، كما وضع رسوماً لمبادىء العلوم يبدو أنها كانت الأولى من نوعها. فكان هذا المنطلق التوحيدي المعجمي في المركز المغربي للتعريب بمثابة التجربة الملموسة التي هيّأت منهج العمل للمكتب. فقد ساعد المكتب على أن يكون المركز العنصر النشيط في الشعبة المغربية، وعلى تأسيس عمله على ما يتفق عليه العلماء في المؤتمرات العلمية. ذلك أن المركز كان يستعين بالأعمال المجمعية إن لم يجد مصطلحاً موحداً، حتى تخضع أعماله لمبدأ منهجي اصطلاحي سار عليه، ومفاده أنه يقابل المفهوم الواحد بالمصطلح الواحد. والملاحظ أن «هذا التنسيق في العمل لا يقف عند حد التنميط والتوحيد، بل يظل التواكب مستمراً من خلال لجان المتابعة التي تسهر على ضمان حياة الكلمة الموحدة بتغذيتها بكل ما يستجدّ من مفاهيم بتطور العلم»[٨٢].

أما طريقة العمل بالمكتب في بدايتها، فيبدو أنها أولت الأعمال المستعجلة المكانة الأولى، وأجلت لذلك أشغالاً كانت تكتسي أهمية محدودة. فقد وضعت ستة معاجم بمصر (رياضيات، فيزياء، وكيمياء، نبات، حيوان، طبقات الأرض)، فاحتلت المقام الأول في نشاط المكتب لأنها ضرورية في التعليم العام. فقام بعمل تكميلي بمساعدة خبرائه، تمثّل في اعداد ملاحق لكل واحد منها، استكمالاً للقوائم ومراجعة للمصطلحات، اضافة إلى تصحيحها وشكلها[٨٣]. ثم وضع فهرساً على الترتيب الهجائي اللاتيني، مضيفاً إليها المقابلات الفرنسية. وكان عليه إعداد معاجم ثلاثية اللغة العلمية ومعجم الحساب للمرحلة الابتدائية، وتنمية وترتيب جذاذات المعجم العلمي العام، وذلك استعداداً لتقديم ذلك إلى مؤتمر التعريب الثاني المقرر، كما نعلم، لآخر سنة ١٩٧٣. فكانت نشاطاته ترتب على أساس أولويتها، فتحتّم تأخير المشاريع الجديدة التي أحيلت على الجامعة للموافقة منذ ١٩٧٠. لكنه لم يتوقف عن الاسترسال في أعمال التنسيق المطلوبة منه[٨٤]. وطريقته في ذلك «تلبية الطلبات التي يتلقاها من بعض الهيئات أو المؤسسات أو الأفراد لتزويدها بالمقابلات العربية لبعض المصطلحات الأجنبية التي تعترضهم في ميدان اختصاصهم»[٨٥]. لكن الواقع أن المكتب يولي ما يحال من مشاريع عليه من طرف أحد الأقطار العربية أهمية أولى، خاصة إذا كان التحقيق يتطلب حلاً عاجلاً ضرورياً. وعلى هذا الأساس، ما انفك يدعم علاقاته بكل قطر منها عن طريق الشعبة والخبراء المراسلين أو المعينين من طرف حكوماتهم، إلى حد أنه يمكن أن نقول إن نشر المعاجم كان مرتبطاً مباشرة بحاجات تلك الأقطار. وقد عمل المكتب في فترة أولى (١٩٦٢ - ١٩٦٥) على تعريب العلوم والفنون في المستوى المدرسي حتى الثانوية العامة وفي فترة ثانية (١٩٦٦ -

---

(٨١) «المكتب الدائم في مشاريعه العربية والدولية،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٤٧٠.

(٨٢) عبد العزيز بنعبد الله، «مؤتمرات التعريب ودورها في توحيد المصطلح العربي،» **اللسان العربي**، العدد ١٩ (١٩٨٢)، ج ١، ص ١٢.

(٨٣) المكتب: تقرير رقم ٦٢٦، ٣٠/١٠/١٩٧٠.

(٨٤) المكتب، نشرة إخبارية (آذار/ مارس ١٩٧٩)، ص ١٨.

(٨٥) الحياة، ١٦/٤/١٩٧٢.

١٩٧١) على صعيد دولي، بعد قبول العربية لغة خامسة في منظمة الأمم المتحدة. فارتفع المكتب إلى مستوى مسؤولياته الجامعية وحركة التقنية الدولية. فأنجز معجم البترول والطيران المدني والبريد، ودعم علاقاته مع المجامع والمؤسسات العلمية، وتفادى منافستها، بل عمل على حصر نشاطه في تنسيق الألفاظ[٨٦]. ويعترض ذلك النشاط عوائق عدة منها: (١) «عدم توفر الالتزام الفعلي باستخدام المصطلحات الموحّدة في الكتب المدرسية، على الرغم من أن المكتب يزوّد الوزارات بمعاجم المصطلحات الموحّدة» (٢) «أن المكتب انصرف إلى توحيد المصطلحات العلمية دون المصطلحات الحضارية»[٨٧].

٤ ـ مجلة المكتب: اللسان العربي

أصدرت المجلة عددها الأول في كانون الثاني/ يناير ١٩٦٤، في ٣٠٠٠ نسخة. وكان محتواها الأبحاث اللغوية والمعجمية، وجاء بعنوان الصفحة الأولى أنها «مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب». وأنها «سجل لأعمال مجامع اللغة العربية، المجالس العليا للعلوم والآداب والفنون، الجامعات والمعاهد العلمية، الهيئات والمراكز والشعب الوطنية للتعريب، رجال الفكر والعاملين لإعلاء اللغة العربية وجعلها في مستوى اللغات العالمية الحية». ذلك هو برنامج أداة المكتب في التعريف بأعماله وترويج أفكاره، بحيث كانت تعكس ما له من مشاريع وما حقق في مجال التعريب، ومهمته في جمع المصطلحات ووضعها في معاجم في كل المواد[٨٨]. وقد استهدف المكتب بذلك إبراز الجهود المبذولة قصد تجديد العربية وجعلها قادرة على التعبير عن الأفكار والمفاهيم والألفاظ العلمية والتقنية والحضارية، والعمل على تنسيقها[٨٩]. والهدف المنشود من وراء إصدار هذه الدورية هو مراجعة مستديمة للغة العربية وبلورتها بصفتها أداة لنقل التقنية الدولية[٩٠].

تنامى سحب المجلة من سنة إلى أخرى: فكان ٤٠٠٠ نسخة في ١٩٦٥، ٥٠٠٠ في ١٩٦٩، ٧٠٠٠ منذ ١٩٧٠ بالنسبة إلى كل جزء من أجزائها. واستقر عموماً السحب في ذلك المستوى إلى الآن، مع الاقتصار على اصدار مجلد واحد يجمع بين الأبحاث والمشاريع المعجمية. صدرت **اللسان العربي** حتى ١٩٦٩ في مجلد واحد، ثم في مجلدين وثلاثة في ١٩٧٠، وحتى ١٩٧٣. وقد حدّد حجم الجزء الأول المخصص للأبحاث والدراسات بأربعمئة صفحة، وتخصص صفحات منها للمقالات باللغات الأجنبية. ويشرف على المجلة عضو من اللجنة، طبقاً للتنظيم الداخلي المعمول به في الكتب. وهي تحتوي على أبحاث لغوية، دراسات معجمية وتعريبية، دراسات متنوعة، قسم خاص بأخبار متنوعة عن المنظمة

---

(٨٦) **اللسان العربي**، السنة ١ (حزيران/ يونيو ١٩٦٤).

(٨٧) علي القاسمي، «تخطيط السياسة اللغوية في الوطن العربي،» **اللسان العربي** (١٩٨٣)، ص ٥١.

(٨٨) المكتب، نشرة شهرية (تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٣)، ص ٥.

(٨٩) المكتب، تقييم المجلة.

(٩٠) محمد كيليلو، «نظام فهرسة المكاتب،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٥٨١.

والمكتب. ويتضمن الجزءان الثاني والثالث المشاريع المعجمية أو المعاجم التي وافق عليها مؤتمر التعريب (مثلاً عدد ١٩٧٧). والفصل بين عدد أو جزء مخصص للأبحاث - قرار صادر عن المنظمة - وبين مشاريع معاجم يعدّها الخبراء في المكتب، المقصود منه تحديد الميزانية المخصصة لنشر المجلة. ذلك أنه لا يمكن إيهام المطالع أن الاقتصار على نشر مشروع معجمي يعني حتماً أنه قابل للترويج والاستعمال دون الحصول على موافقة جماعية رسمية تؤيد توزيعه على المستخدمين، وإلاّ لكان عمل المكتب يناقض نفسه، إذ هو يعمل على تنسيق المصطلحات، لا على بث البلبلة الاصطلاحية بزيادة معجم أو معاجم أخرى وتوزيعها قصد استعمالها. لكن الاتجاه الدائم في الوقت الحاضر هو أن ينبّه إلى أنها مجرد مشاريع قوائم يقترح المكتب مقابلات لها بالعربية، ترقباً لحصول موافقة مؤتمر التعريب القادم على كل مصطلحاتها أو قسم منها. وقد اتجهت المجلة إلى مراسلة المساعدين من كل صنف للمشاركة في الكتابة دون مقابل في مجلة المكتب، معتبرة ذلك مساهمة في منبر الآراء العلمية، وتوحيداً للجهود الرامية إلى إقامة حوارات مثمرة حول اللغة العربية العلمية. لقد أخضعت المجلة عملها لتصميم ينظم مختلف الأبواب التي تبوب فيها الأبحاث، لكن لم يحترم ذلك التنظيم، إذ لا يمكنها رفض الأبحاث اللغوية الهامة التي يرغب في نشرها، ولو حادت قليلاً عن منهجها، إذ لم يكن في وسعها مكافأتها ونقدها، خاصة انها دورية توزع مجاناً، ويمنع بيعها. وقد عمل تصميم المجلة[91] على تنويع المقالات بحيث تنشر في العدد نفسه أبحاث مجمعية وجامعية، وينشر لطلبة ومدرسين، ومترجمين ومحررين. وتوزع المقالات على أركان خاصة باللغة، اضافة إلى قضايا التعريب والترجمة، وخاصة بنشاط المكتب والمجامع في مشاريعها ومنجزاتها، وما ينبغي تصحيحه من أخطاء شائعة مثلاً (إضافة التاء إلى عضو، تحريف معنى «سائر» الذي يراد به «الباقي» لا «الكل» كما هو رائج . . .).

والفائدة من «المنبر الحر» الذي فتحته المجلة، هو إتاحة الفرصة للباحثين والمتخصصين بالبحث في القضايا اللغوية (اشتقاق، نحت، توليد، دلالة، إحياء القديم، المشترك، ترادف، تيسير العربية . . .) وتدعمت المجلة بنشر تحقيقات لمستشرقين، ومقالات عن أهمية المبادلات القائمة بين العربية واللغات الأخرى. وتخصص المجلة قسماً هاماً لقضايا التعريب عبر ما يجد من قرارات معجمية والتوصيات التي تبديها الشعب، وأعمال التنسيق التي يقوم بها المكتب، خدمة لتوحيد اللغة الفصحى، وتفصيح العامية، بغية تقريب الأقطار العربية من الوجهة اللغوية. ويتعلق المكتب بإنجاز معجم يحتوي على المفاهيم العلمية والفنية والأدبية، تبوّب مادته على المواضيع. وهو يرغب أيضاً في إعداد معجم الكلمات المعرّبة التي وافقت عليها المجامع والمؤسسات المعنية بالتعريب، وعليه تنسيقه وتوزيعه للاستخدام في الأقطار العربية. وكتتمة للتعريب، تقرر تخصيص جانب من المجلة لنشر قوائم المصادر العلمية والأدبية المنقولة إلى العربية أو من العربية. وهو عمل يتيح المقارنة بين اللغات، خاصة في ميدان الأمثال الموجودة في لغات عدة، اعداداً لأشغال أساسية في حقل الترجمة. لكن هذه إنما

---

(٩١) «بين المجلة وقرائها،» **اللسان العربي**، السنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٧)، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

كانت أفكاراً جرى التخلّي عنها لفائدة الأعمال الحاسمة المحيطة بقضية التعريب، خاصة وأن قوائم المصادر في هذا الميدان ما زالت نادرة بالعربية[٩٢]، فكان الأولى إتاحة الفرصة لنشر الأبحاث في الألسنية وعلم الدلالة وأصول الكلمات العربية والأبحاث النحوية.

ومن الطبيعي أن الأحكام والملاحظات الخاصة بمحتوى المجلة تكون مختلفة، فقد حبّذ اتجاهها المتحمسون الغيورون على اللغة، ومنهم أعضاء المؤسسات اللغوية. وقد اعترف للمجلة بوضع يسمح لها بالبحث في المسائل اللغوية بحثاً موضوعياً منطقياً، يعترف من خلاله للمكتب بحقوق المؤسسة ذات الأعمال الايجابية على صعيد التنسيق والتعريب. وقيل إن **اللسان العربي** قد استجابت باتجاهها لرغبة العلامة اللغوي الثعالبي (٩٦١ - ١٠٣٨) صاحب **فقه اللغة**، الذي تمنّى أن تعمل أجيال عدة على حماية اللغة القرآنية من المخاطر، وتطويرها وجعلها في خدمة تيارات الحضارة العلمية[٩٣]. وبهذا المنظار اعتبرت المجلة من أحسن ما أنجزته الجامعة في الميدان الثقافي. والواقع أنها جذبت إليها أقدر الكفاءات في الوطن العربي[٩٤]. والحاجة إلى المجلة تبرز أكثر في الأقطار الاسلامية الناطقة بلغة غير العربية، كما في جنوب الهند حيث تقدر قيمة المجلة وما تبذله من جهود «لنشر هذه المعاجم والمجلات المتخصصة، وتمتاز هذه المنشورات بالدقة البالغة في البحث والترجمة والتعريب»[٩٥]. والدليل على ذلك مثلاً عدد ١٩٧٠ الذي يظهر المجلة كأحسن أداة للتغلّب على عسر وضع المصطلحات، والمقارنة بينها قبل تنسيقها، وتلك ضرورة علمية لا يمكن تحقيقها إلاّ إذا كان لنا صبر الأنبياء[٩٦].

وقد اجتهدت المجلة في المحافظة على الرباط القائم بين القرآن واللغة العربية، فخصصت أضخم عدد لها صدر سنة ١٩٦٩ للبحث عن العلاقات بين الكتاب والعربية، أي بين الدين وأداته اللغوية، اضافة إلى جهودها في مقاومة الدخيل والأعجمي والعامي من الكلمات. وقد وزّع القارىء انتباهه أمام وفرة المواد المنشورة. وذلك الإكثار من المقالات المختلفة قيمتها، جعل المجلة عرضة للنقد، فقد لوحظ مثلاً أن كثرة الأبحاث المتنوعة قيمة وموضوعاً، والتي يعسر الإفادة منها لتراكم الأفكار بها وتزاحمها، مما يجعل القارىء يرزح تحت تخمة فكرية لا طاقة له بها، يمكن معالجتها بأن تجمع المجلة مثلاً الأبحاث، وتخصص لها كل سنة عدداً يدرس فيه ويستقصي أحد المواضيع اللغوية الأساسية، تجنّباً لتشتت الانتباه[٩٧]. أما عن النزعة التي تتجه إليها المقالات في مجموعها فقد كان النقد يتّجه إلى المضمون، بعدما لفت النظر إلى الموضوع وتعدد تفريعاته في السنة الواحدة. وما يلاحظ هو الاتجاه الواضح إلى ترسيخ فكرة العروبة بمعناها السياسي والثقافي، وإخضاع البحث اللغوي إلى مبادىء الدين

---

(٩٢) «بين المجلة وقرائها،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٥٩٣.

(٩٣) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ١، ص ٢٥٢.

(٩٤) «بين المجلة وقرائها،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ٤٠٢.

(٩٥) *La Presse de Tunisie*, 13/2/1972.

(٩٦) *Arabica* (octobre 1972), p. 322.

(٩٧) *Travaux et jours* (avril-juin 1964), pp. 69-71.

(كما حصل في عدد ١٩٦٩)، وبذلك فإن العامل الديني هو الغالب على شاغل الدقة العلمية[٩٨]. وشرح ذلك كما رآه بعض الناقدين، أنه يطلب من القارىء العدول عن كل ما هو غريب عن عبقرية العربية. وإن وجب الابتكار، فبحذر، عملاً بطريقة الاقتباس القديمة. وبعد ذلك كان شعور بعضهم، بعد مطالعة محتوى المجلة، المرارة والضيق، الضيق من أن يبقى التطور حبيساً في دائرة الماضي. وعلى هذا الأساس، تكون الأبحاث عبارة عن ركام من الأفكار المكررة مختلفة وبصور مبهمة، وتتناول قضايا كم اعتدنا سماعها مراراً وتكراراً: النزاع بين القدامى والمحدثين، تأييد الفصحى أو العامية، ابتكار المصطلحات أو إحياء القديم. ومع ذلك، توجد بعض النبضات التي تنير السبيل، وهي تظهر في بعض المقالات التي ترفض التقوقع في الحتمية التاريخية التي تسدّ ما ينبغي من تطوير سريع ثوري على اللغة في جملتها، بحيث لا يكون الوقوف عند حد وضع المصطلحات التي لا تشكّل سوى جانب من اللغة[٩٩]. أما من حيث الانتشار فإنه حتى ١٩٧٩ كان يوجد نحو عشرة آلاف مشترك يتصلون بمنشورات المكتب المختلفة، زيادة على من يطالعها بالمكتبات والمعاهد. وما ينبغي إدراكه أن اللغة العربية يقرأ عنها وعن قضاياها ككل شامل، وهي بذلك تشكل مرجعاً مفيداً لكل قارىء، خاصة إذا عرف كيف يختار ويبوّب ما بها من أخبار لغوية ونحوية ومعجمية وغيرها، وله أن يحلّل ويستكمل ويقارن بعد ذلك. وبفضل ما يصلها من مراسلات نطلع على أخبار مفيدة، مثلاً إن ولاية «كيرالا» في الهند يوجد بها نص القرآن قد ترجم إلى «الملابار» اللغة المحلية[١٠٠]. ثم إن تأييد القراء من وجهة التحرير العلمي أكد للمكتب أن العربية لم تعد تعتبر عند من يستعملها مجرد أداة للتعبير الأدبي والشعري فحسب، بل إنها صالحة للعلوم والتقنيات والحضارة الحديثة[١٠١]. ومثل هذه المساندة جعلت إدارتها تفكر في نشر طبعة باللغات الأجنبية، خاصة بالفرنسية والانكليزية[١٠٢]. وعلى الرغم من أن الامكانات المالية لم تحول لها ذلك، فإنها خصصت قسماً لنشر الأبحاث في الألسنية المقارنة وعلم المعاني أو الدلالة، وعلم السيمياء والتعريب، وغير ذلك من الأبحاث التي يتفضل بها مراسلون أجانب تخصصوا في الدراسات العربية.

إضافة إلى مشكلة الموارد توجد صعوبات نوعية خاصة بنشر المجلة، وتقدّر تكاليف ذلك بنحو ٢٥٠٠٠ دولار. وبعد أن قررت المنظمة التخفيض في موازنة المكتب (من ١١٠,٠٠٠ دولار إلى ٤٠,٠٠٠ دولار هو المقدار المخصص لطبع المجلة، وقدر ذلك النقص بما يناهز ٧٠ بالمئة في عامين) وجّه المكتب مذكرة (في ١٩٧٣/٧/٧، رقم ٤٠٣) إلى سفراء الأقطار العربية بالقاهرة ووزراء التربية بها، لفت فيها النظر إلى انخفاض ميزانه وتأثير ذلك

---

(٩٨) «بين المجلة وقرائها،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٥٤٦.

(٩٩) «بين المجلة وقرائها،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٤٨٠.

(١٠٠) **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ٤١٣.

(١٠١) الغافقي، «المكتب الدائم قلعة صامدة لحماية التراث الفكري للعالم العربي،» ص ٤٠٨.

(١٠٢) محمد قلبي، «عينة للذين يؤمنون وبرهان للذين يشكون،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (١٩٧٣)، ج ١، ص ٢٩٥.

في تحديد أعماله، معتبراً أن ذلك إنما هو يتجه به إلى التوقف عن كل نشاط موضحاً أن هذه العملية لم تكن الوحيدة لتوقيف أعماله، وأنه لم يستشر في الأمر، إذ فرضت المنظمة الميزان الذي أرادت. وقد شبهت المجلة بسوق عكاظ ملتقى الشعراء في العصر الجاهلي، ذلك أنها جمعت مثل القطب بين علماء اللغة[103]. كانت تتمتع من جهة بمساندة القراء وتعوقها عوائق إدارية من جهة أخرى، رغم ما كانت تقوم به لجنة المكتب المشرفة عليها، حتى لفائدة توزيعها في المدارس الثانوية[104]. حتى إن بعض المطالعين اعتبروها مصدراً أساسياً يغنيهم عن مطالعة المراجع الأخرى، وأنها تعادل مجلات المجامع وتتعداها محتوى، لأنها تقرب من قرائها مختلف قضايا اللغة[105]. ولذلك لم تعوزها التشجيعات التي اكتسبت طبعاً صورة مؤقتة، «فقد تفضلت وزارة الاعلام للجمهورية العراقية بالتبرع بمبلغ ٣٠٠٠ دينار عراقي من أجل طبع نسخ إضافية من مجلة «اللسان العربي» توزع مجاناً على القراء في الوطن العربي»[106]. وبفضلها عمد المشتركون من كل صنف إلى الترابط الفكري عن طريقها، وكان من بينهم الوزراء والسفراء والجامعيون والمؤسسات، وغيرهم من العلماء والباحثين. وقد استمر كثير منهم على استشارتها وطلب مساعدتها واستفتائها في المسائل اللغوية، والترحيب بمساعدتها في الحقل المعجمي والمصطلحات العلمية. وكان ذلك الأمر الواقع فعلاً بالنسبة إلى الجزائر التي خاضت «معركة التعريب»[107]. أما المنظمات، فقد نالت الكثير من نشاط المكتب ومجلته، مثلاً الاتحاد البريدي العربي الذي طلب مراجعة مصطلحاته[108]. ثم إن المجلة أثبتت فعلاً أن العربية قادرة على إرضاء كل حتميات المصطلحات، وتأكد بذلك أن عجز العربية المزعوم في استيعاب المصطلحات يشكل في الواقع شاهداً على عجز من يستعمل هذه اللغة[109]. وما قامت به المجلة هو الاستمرار في الدفاع عن كيان اللغة العربية في كل المناسبات، وقاومت ما رسخ من فكرة صلبة حول عجزها، حجبت عنها الطريق المؤدي إلى اللحاق بركب الاكتشافات العلمية، ووضع المفهوم المناسب الذي يقدر على الدلالة عنها بصورة واضحة دقيقة. لكن تأييد مراسليها وما أفادوها به لتخصصهم في علم معين، وما قدموه من حلول علمية، دحض تلك المزاعم وسفّه أحلام الذين كانوا لا يعتبرون العربية إلاّ أداة لتأدية الطقوس الدينية أو المشاعر الأدبية[110]. فإذا كان المكتب قد اقتصر في البداية على تسجيل مقررات المؤسسات

---

(١٠٣) «رجال مجهولون وراء مشروع عظيم،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٢٩٧.

(١٠٤) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ١.

(١٠٥) «بين المجلة وقرائها،» ص ٤٨١.

(١٠٦) المصدر نفسه.

(١٠٧) المصدر نفسه، ص ٤٨٢.

(١٠٨) «بين المجلة وقرائها،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (١٩٧٣)، ج ١، ص ٢٦٨.

(١٠٩) الخطابي، «رسالة المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيسه، ١٩٦٢ - ١٩٧٢،» ص ٣١.

(١١٠) المكتب، محضر ١٩٧٤/٤/٢٤.

اللغوية والعلمية، فلم يلبث أن ساهم في تطوير اللغة فعمل على أن تحتل العربية المكان اللائق بها في محفل اللغات المعاصرة الحية[111]. ويمكن كذلك الاعتراض على الرأي القائل بأن المجلة تنشر كل ما يرد إليها، فذلك يناقض ما رسمته لنفسها من اتجاه علمي، ذلك أن اللجنة عيّنت محرراً مسؤولاً يقيّم الأبحاث[112]. واتصل المكتب من جانبه بالحكومات، مقترحاً عليها إجراء رقابة حازمة مستمرة على الألفاظ الموضوعة، وتجنب اللفظ الأعجمي عند وجود الكلمة العربية (طيب أو عطر مقابل كلونيا). وقد أتاحت المجلة للباحثين فرصاً عديدة لتنشر أبحاثهم البكر، ومن المحتمل أن تكون محل مطالعة وتمحيص من قبل الدارسين. وبذلك يمكنهم مراجعتها والتوسّع فيها. ولم تمانع في فتح منبرها لانتقاد أعمال المكتب وما ينشر على صفحاتها، وكان النقد يوجه إلى جوهر الأبحاث. وقد اقترح بعض القراء توسيع أبحاثها إلى المقالات الأدبية عن الأندلس مثلاً، وعن الشعر العربي القديم ومقارنته بما تسير عليه القصائد في العصر الحديث، وما تستخدمه من رموز، وكثيراً ما أوضحت أنها تعمل بقاعدة النقاش الحر، فلا يسعها إلاّ أن تتيح فرص المواجهة بين الآراء المختلفة، دون الدخول في مجادلات لا طائل من ورائها. ذلك أن المجلة رغم تأكيدها لموقف يدرك حتمية النقاش الحر، فهي لا تقبل بأن تحيد لذلك السبب عن الدور الخاص بها[113]. وينبغي أن يتجسّد ذلك الدور في تحقيق مشروع المكتب الكبير المتمثّل في تثبيت التعريب في المغرب، كما هو منشور على صفحات المجلة التي تدرج كل سنة جملة من الأعمال المعجمية والأبحاث اللغوية، خدمة لتطوير العربية ورفعها إلى مصاف اللغة المعبّرة عن مفاهيم العلم والتقنيات[114]. وتستخدم المجلة أيضاً حقها في الرد على من لا يتفهم دور المكتب ونشاط مديره، أو أن يفسره تفسيراً خاطئاً، مثلاً ما قام به من أبحاث للعمل على تفصيح العامية[115]. لكن هل أثر تحديد عدد النسخ الذي بلغ ٧٠٠٠ سنة ١٩٧٤ وانخفض منذ عدد ١٩٧٥ إلى ٤٥٠٠ نسخة على انتاج المراسلين؟ الواضح أن قضايا اللغة لا يمكن حصرها في مسائل مادية، وأن عدد الطلبات والإقبال على مطالعتها في تزايد مستمر (١٠ طلبات اشتراك يومية تصل إلى المكتب تقريباً). وعند زيارتنا المكتب في تموز/ يوليو ١٩٧٣، اطلعنا على قوائم المشاركين وكان عددهم ٦٠٠٠ تقريباً، ولعله تضاعف الآن. والمجلة توزع طبعاً في المغرب وفي سفاراته بالخارج، وفي كل الأقطار العربية، وافريقيا السوداء وآسيا والولايات المتحدة والأرجنتين والبرازيل، نظراً إلى أهمية الجالية العربية في الأخيرتين. والثابت أن من يعنى بالمجلة هو كل من قنع بقضية التعريب قناعة كاملة. ووجهة نظر المكتب أيضاً أن يهتم بالأشخاص المثقفين في الغرب أو المتجهين فكرياً إليه، ومطالبتهم عبر المجلة بالإسهام في النشاط الفكري التعريبي. وقد ساد الشعور إلى حد ما أن **اللسان العربي** بقيت مجهولة من الجمهور، وهذا أمر معقول لأنها

---

(١١١) «بين المجلة وقرائها،» ص ٢٧٠ ـ ٢٧٢.

(١١٢) المصدر نفسه.

(١١٣) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ١، ص ٩ ـ ١٦ (بالفرنسية).

(١١٤) *La Presse de Tunisie*, 3/4/1975.

(١١٥) المكتب، رسالة رقم ٦٩، ١٩٦٥/٩/٢٠.

دورية لا تصدر إلّا مرّة في السنة، فلا يمكن أن تشغل بال القرّاء باستمرار. لكن يبدو أيضاً أن الطلاب في أغلبهم لا يعرفونها، وهذا أمر له خطورته لأن جموع الطلبة يعول عليهم في الاتجاه إلى تأييد التعريب، لأنهم أول من يستفيد منه في الدراسة. ثم إن السحب الذي كان ٧٠٠٠ نسخة وانخفض إلى ٤٥٠٠، إنما هو رقم ضئيل بالنظر إلى الوطن العربي، الذي يحتوي على ١٥٠ مليوناً يشملون ملايين من القرّاء المحتملين[١١٦]. والطلبة في البلدان العربية يعدون بعشرات الآلاف. وبقليل من التوعية فإن أغلبهم إن لم نقل كلهم يهتمون بالغ الاهتمام بما يطرأ من تطور على لغتهم القومية، فتكون المجلة بمثابة المرآة العاكسة لذلك التطور.

٥ ـ نشاط المكتب الخارجي

اجتهد المكتب منذ إنشائه في إعلام الجماهير في الوطن العربي وفي الأقطار الأخرى عمّا ينبغي عليه تحقيقه من مهام، وما يتوقع أن يواجهه من صعوبات وقضايا يجب عليه حلها، فبدأ بتنظيم المراسلة والاستمرار فيها، وعمل على إقامة تيار من تبادل المطبوعات مع الخارج، بفضل ما ينشره من مشاريع معجمية وانتاج لغوي[١١٧]. وللمكتب ملحق صحافي يستقبل الزوار، ويجمع ما ورد من مراسلات، ويحرّر الإجابات عنها، ويستعرض ما قالت الصحافة عن المكتب، ويقدم عروضاً موجزة عمّا يقوم به المكتب من أعمال، وما ينوي بعثه من مشاريع.

وقد ثابر المكتب دائماً على توضيح جهوده في حقل تنسيق المصطلحات العلمية، بحيث يتاح للعربية الارتفاع إلى مقام اللغات الغربية، بصفتها لغة تجسد الفكر العلمي. وبهذا المفهوم، يمكن أن يتضمن التعريب الثنائية اللغوية، يعني ذلك إقحام اللغات الأوروبية في مناهج التدريس المعرّب، ضمن الاطار العام للعلوم والفنون. وهو المنهج نفسه المعمول به في الجامعات العربية. من ذلك أن المجلات المتخصصة في الكيمياء وعلم النبات وعلم طبقات الأرض تنشر قسماً من أبحاثها بالانكليزية في القاهرة، وكذلك كليات الطب في بغداد أو غيرها، فيخصص قسم للعربية، وتكتب أبحاث بلغات أخرى (مثلاً الطب الشرعي بالعربية). وفي بغداد، تدرس المواد الطبية بالانكليزية، لكن يفكر للمستقبل في شمول العربية لكل الدراسات الطبية، كلغة وحيدة مؤدية للفكر العلمي في كلية الطب[١١٨]. وتحبذ المكتب لثنائية لغوية مخططة يستجيب لحتميات النجاعة التدريسية. فتعد العدة لمستقبل اللغة العربية العلمي واستعدادها لبث المعرفة العلمية بجميع مناحيها، وفي مختلف مستوياتها الدراسية.

---

(١١٦) دليل جامعة بغداد، ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠، ص ١٢٩.

(١١٧) اللسان العربي، السنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ٦١.

(١١٨) عبد العزيز بنعبد الله، «معركة الفصحى والعامية في توحيد اللهجات الاقليمية لمواكبة الركب العالمي،» اللسان العربي، السنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٧)، ص ٣١٧.

وقد عمل المكتب أيضاً على إعداد زيارات لعناصره إلى الأقطار الاسلامية والأجنبية وطبعاً العربية، وذلك بغية ترويج المبادىء التي يعمل على أساسها عبر العالم. قام مديره بجولة في الوطن العربي في شباط/ فبراير ١٩٦٦[١١٩]، وآسيا (من ١٦ أيلول/ سبتمبر إلى ١٢ تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٦٦)، فزار الصين بدعوة من جمعية الصداقة بين شعوب افريقيا والصين (رسالة ١/٩/١٩٦٦)، وايران وباكستان بدعوة من حكومتيهما. واستهدف من ذلك توسيع تأثير اللغة العربية لقناعته بالدور الذي عليه القيام به لتيسير دراستها بين المسلمين، وتنسيق مصطلحاتها ونشرها، خاصة وأن العربية تشكل الدعامة الأساسية في الحضارة الاسلامية. والمكتب يعتبر أنه ينبغي أن تغذي العربية من جديد اللغات الاقليمية، مثل الأوردية والبنغالية والفارسية والتركية، وأن تفيد من ذلك، كما كان الأمر في العهد الوسيط، إذ اقتبست العربية ما أعوزها من ألفاظ فنية، فعرّبت اللفظة الأعجمية ووزنتها على أحد الأوزان العربية. وقد اطلع مدير المكتب على ما حققه مجمع اللغات الصينية لوضع المصطلحات والقاموس الموحد. ونظر في ما يمكن تغذية العربية به من وسائل جربتها اللغة الصينية منذ سنة ١٩٢٧. فوجب إعلام الجامعة بذلك الزاد المتمثّل في التجربة الصينية في الحقل المعجمي، خاصة وأنها يمكن أن تكون فاتحة لدراسة ما تسلكه المجامع في العالم من منهجية لغوية. وقد تحدثت المجلة (١٩٦٦) عن تطور اللغة الجديدة في الصين. والمهم في ذلك هو ما وصلت إليه تلك اللغة من حلول لتوحيد كيانها بإدماج اللهجات والارتفاع إلى مستوى اللغات المعاصرة. ذلك أن هذه اللغة الجديدة نشأت من اللغة المكتوبة واللهجات وعناصر مستمدة من لغات أخرى. وقام التوحيد على أساس الوعي القومي المتمثّل في النهضة الاشتراكية التي اكتسحت البلاد وتشريع الاصلاح اللغوي الذي بدأ سنة ١٩٥٥ وتعلّق بالرموز المكتوبة. وقد كانت الكلمات الصينية، أحصيت وحللت، ولم يقع قبولها إلاّ بعد صدور حكم الرأي العام عليها، وهو الذي يقرر انتقاء ألفاظ الحضارة، في حين أن المصطلحات العلمية يختص بها العلماء. وبذلك نتبين أن هذه الطريقة تقرر حياة اللفظة أو زوالها، وفقاً بما لاقته من قابلية اجتماعية، لكن لا يعني ذلك أننا نعترف بها قاعدة فريدة مثلى لتطوير العربية التي تخضع لمقاييس خاصة بها، بالاضافة إلى المقاييس العامة المعمول بها في اللغات العالمية[١٢٠].

وقد زار مدير المكتب أيضاً الباكستان، ذلك القطر الذي كاد أن يرضى بالعربية لغة رسمية سنة ١٩٥٠، إثر تشكيل الدولة الجديدة، لكنه قرر استعمال الأوردية في الاقليم الغربي والبنغالية في الاقليم الشرقي، وقد حصل الاتفاق على انشاء لجنة اقليمية باكستانية للتنسيق، شبيهة بالشُعب في الأقطار العربية. وتكون أولى مهامها إبداء رأيها في معاجم المكتب الثلاثية اللغة. وعليها أيضاً جمع الوثائق المتعلقة بتعريف المظاهر الأساسية للحركات

---

(١١٩) المكتب، تصريح صحفي.

(١٢٠) عبد العزيز بنعبد الله، «رحلة الأمين العام إلى الشرقين الأقصى والأوسط،» اللسان العربي، السنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٧)، ص ٣٣٥ - ٣٤٢.

الثقافية في كل قطر عربي اسلامي، ويكون ذلك على الصعيد العالمي، والاسلامي بالخصوص[121]، وهي تجتهد أيضاً في تحريك تبادل المعلومات عن التدريس والبحث، وعن المنشورات والمعاجم العلمية، وتبادل المدرسين والمحاضرين، وتنظيم الندوات وإعداد المصطلحات التقنية.

أما في ايران، فقد قدرت نسبة المفردات العربية الموجودة في الفارسية بما يقرب من ٥ بالمئة. إضافة إلى أن العربية تشتمل أيضاً على مئات من الكلمات أصلها فارسي. فتمّ الاتفاق على إعلام المكتب بما يجدّ في حقل المصطلح الايراني وطرق الوضع التي يتم بها، وما يقع من جهود لترويج اللغة العربية في ايران[122]. وكان في عزم المكتب أن يقدم إلى باكستان وايران وتركيا مشروعاً يرمي إلى إرساء أسس التعاون الثقافي والتبادل اللغوي بين الأقطار العربية والاسلامية، عن طريق بعث اللجان القطرية المذكورة. وكان الهدف المنشود يرمي إلى ترسيخ معادلة طيبة بين أمم تشترك في لغة القرآن وأساس حضارتها الاسلام[123]. والفكرة التي يعمل من أجلها المكتب تتمثل في الاتجاه إلى وحدة الفكر والثقافة على صعيد الوطن العربي والعالم الاسلامي. وقد وجد المكتب التأييد في ايران أيضاً. فقد راسل عميد جامعة طهران المكتب (١٧/١٠/١٩٦٧)، مبيناً أن هناك ضرورة بالنسبة إلى الوطن العربي في متابعة عن كثب للتطور اللغوي والثقافي في الأقطار الاسلامية، أو الأقطار التي فيها أقلية اسلامية، وكذلك يتحتم تبادل المعلومات بين مختلف الأقطار التي تكون فيها العربية إما لغة قومية، وإما لغة ثقافية، وإما لغة دينية. وعلى هذا الأساس، يمكن تطعيم العربية بموارد اللغات الشرقية، مع ابتكار بنى معرّبة. وكذلك الأدب، فإنه يمكن للأدبين الفارسي والعربي الاشتراك في اللغة العلمية الموضوعة، كمنطلق للوحدة الثقافية. وفي الجملة، كان المكتب يرغب في الاطلاع على اهتمام الأقطار الاسلامية باللغة العربية، بصفتها لغة حضارتها، وهي اللغة القومية عند العرب، وتلك عناصر تساعد على دعم وضعها الدولي ونجاعتها العلمية[124].

وإلى جانب هذه الرحلات الدراسية، كان المكتب على اتصال دائم بمقر الجامعة والمنظمة في القاهرة وكذلك بالمجمع المصري. فكان مديره يتحوّل باستمرار إلى المقر لشرح الوضع المالي والإداري الذي يوجد عليه المكتب (مثلاً رحلة ٢٥ شباط/ فبراير ١٩٦٧). فقد وجه في ذلك التاريخ برقية إلى المؤتمر التاسع لاتحاد المحامين العرب، وعرض مساعدة المكتب للعمل على توحيد المصطلحات القضائية[125]. وقد حصل على وعد من الجامعة بأن يسلم المكتب ١٠٠٠٠٠ جنيه مصري لاستكمال المعاجم التي وضعها الخبراء، وهو عمل كان محدداً إنهاؤه حتى ١٩٧٣، ولكن ذلك المخطط لم يكن قد خضع لتصميم مسبق ولا طريقة

---

(١٢١) المكتب، تصريح صحفي.

(١٢٢) بنعبد الله، «رحلة الأمين العام إلى الشرقين الأقصى والأوسط،» ص ٣٤٢ ـ ٣٤٦.

(١٢٣) المصدر نفسه، ص ٣٤٢ ـ ٣٤٦.

(١٢٤) العمل: ١٩٧٢/٣/٢٤، و١٩٧٢/٣/٢٥.

(١٢٥) اللسان العربي، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ٢، ص ٢٥.

واضحة، وهذا يتناقض مع ما ينتظر من نجاعة في حقل التعريب. فتدخلت الشُعب لإعداد قوائم المصطلحات وتوجيهها للمكتب، وبذلك يصبح في إمكانه القيام بتخطيط جهود التعريب. وتوجه بعد ذلك مدير المكتب إلى الكويت وقطر والبحرين ثم إلى العربية السعودية، بداية من ٢٨ شباط/ فبراير ١٩٦٧. وكان المقصود من تلك الرحلة، اطلاع الرأي العام هناك على مهام المكتب، وتحريك الشُعب في كل قطر على القيام بدورها في نشر جهود المكتب في ميدان التجديد اللغوي. وتحول كذلك سنة ١٩٦٩ وفد المكتب إلى دمشق ليبحث مع المسؤولين بوزارة الثقافة في قضايا التعريب والمصطلحات العلمية، وما جدّ من حلول سورية في حقل الترجمة يمكن أن تفيد المغرب العربي. وشارك المكتب أيضاً في مؤتمر الفلسفة والعلوم الاجتماعية (القاهرة، ٣ ـ ٨ أيار/ مايو ١٩٧١)، ومثّله فيه رئيس الخبراء الذي شرح دور المكتب، وآراءه في التعريب «المغربي» الخاص بأقطاره، لصلة العربية باللغة الفرنسية (كما أن المشرق العربي يستخدم الانكليزية)، ولاحظ الفرقة الثقافية بين جزأي الوطن العربي المترتبة على استعمال هاتين اللغتين. فكان على المكتب أن يسلك منهجية جديدة ونشر فكرة التوعية الثقافية العلمية، وإخضاع أعماله للنقد المختص، قبل نشرها. وعاد مدير المكتب إلى زيارة الأقطار العربية في ١٩٧٢، فقام برحلة دامت أربعين يوماً زار خلالها العواصم العربية. وقد كان لزيارته إلى تونس (في آذار/ مارس ١٩٧٢) أصداء خاصة في الصحافة[١٢٦]، ودارت الأحاديث حول أزمة الاقناع التي كان يمر بها التعريب في ذلك القطر الذي كان وما زال نظامه التعليمي يوزّع المعرفة بلغتين. وما وقع استخلاصه من تلك الزيارات والمقابلات أن المناهج لم يشملها التعريب بعد بصورة كاملة، وأن اللغة العلمية منشورة في المعاجم وأقل من ذلك بكثير في وسائل الاعلام وبين المثقفين، وإن ما يتهدّدها هو النسيان والإهمال، وبالعمل على تنظيم الحملات الاعلامية المستمرة، يمكن أن نؤمل نشر اللغة العلمية. ولم يعد ما يدور من مناقشات طريقة كافية، وأن ما يخوض فيه العلميون واللغويون لا يتجاوز حدود جلساتهم. ولا شك أن الصحافة اليومية هي القادرة على نشر المولدات العلمية بين الجماهير.

٦ ـ التعاون مع المؤسسات الأخرى

أسس المكتب نشاطه التنسيقي، وضمنه تعريب المصطلحات العلمية أو ترجمتها، في صورة إغفال ذلك من طرف المؤسسات المعنية، على ما يصدر من أعمال مجمعية وجامعية، وما تنتجه المجالس العلمية العليا، وكذلك ما يضعه الخبراء والمختصون في الحقل الاصطلاحي. فتبين له أن التعاون مع كل هذه العناصر أمر حيوي لنجاح مشاريعه المعجمية العاجلة والآجلة. وعملاً بقاعدة التبادل الفكري، فلم يتوانَ عن توجيه منتوجه اللغوي إليها، طالباً منها إبداء الرأي، ونقل ذلك حتى يتاح لخبراء المكتب المراجعة والتصحيح الضروري قبل نشر القوائم الاصطلاحية. وقد عمل المكتب من جهته بهذه القاعدة وطبقها على المشاريع

---

(١٢٦) «مجمع اللغة العربية بالقاهرة،» اللسان العربي، السنة ١ (حزيران/ يونيو ١٩٦٤)، ص ٩٢.

التي يتعاون في انجازها مع إحدى المنظمات، فيبدي مقترحاته وملاحظاته، مثلاً كما حصل في مشروع المعجم البترولي الذي وضعته منظمة الدول العربية المصدّرة للبترول، أو معجم منظمة الطيران المدني، أو معجم الاتحاد البريدي العربي. فقد أمكن بما أبداه من اقتراحات ضبط كل معجم وإعداده(١٢٧). ويقوم المكتب زيادة على ذلك بخدمات تطلبها منه منظمات متخصصة، مثلاً المنظمة الدولية العربية للدفاع الاجتماعي التي قررت توحيد مصطلحات الشرطة ومسمياتها، وطلبت من المكتب تعريب الكلمات التي كانت من أصل تركي وانكليزي وفرنسي، والمقصود من ذلك هو تشديد التدقيق في اللغة الفنية الشرطية.

وقد عقد المكتب كذلك علائق وثيقة مع مجامع اللغة العربية، وخصص لها من سنة إلى أخرى زاوية في المجلة، يورد بها أخبارها(١٢٨)، وذلك منذ أن قررت اللجنة سنة ١٩٦٢ تحديد النفقات في المطبوعات والمشاركة في المؤتمرات العروبية(١٢٩). وقد اتصل المكتب أيضاً بالمجالس العليا للآداب والفنون والعلوم، والاتحاد العلمي العربي الذي أنشىء سنة ١٩٥٤، وباشر نشاطه فعلاً بداية من ١٩٥٦. وقد اشتمل على ٢٨ جمعية مصرية، وثلاث جمعيات أردنية، وثلاث جمعيات سورية، وجمعيتين عراقيتين(١٣٠). لقد استهدف المكتب طبعاً الإفادة من التجربة الطويلة التي تكوّنت للمجامع، والحصول على مطبوعاتها، والاستعانة بها في وضع مشاريعه المعجمية.

وقد أفسحت المجلة صفحاتها خاصة لإبراز نشاط مجمع اللغة العربية في القاهرة لوجوده بمقر الجامعة، وكان ذلك في عدد ١٩٧٠ وعدد ١٩٧٢. وقد كانت قرارات لجنة أصول اللغة المؤرخة في شباط/ فبراير ١٩٦٨ ملزمة لأعمال المكتب طبعاً. وزيادة على هذه المعلومات، نشرت المجلة أبحاثاً في الأسلوبية قام بها مجمع القاهرة(١٣١) (المؤسس منذ ١٩٣٢، وبه ١٩ لجنة و٦٠ عضواً أو يزيد) في استعمال بعض الكلمات ومفعولها في تكوين الذوق الأدبي والاستعمال. فإن سبق اللغويون العرب الشكل على المضمون، والوزن على المعنى، فقد حان الوقت للتفكير في المظهر الفكري على اتساعه. ولقد كان العمل على متابعة نشاط هذا المجمع بالنسبة إلى المكتب، من الأمور الحيوية، خاصة وأن من مهام مجمع القاهرة السهر على سلامة اللغة وجعلها قادرة على الاستجابة لحاجات الحياة المعاصرة، والعمل على نشر معجم كبير تاريخي يعنى بأصول الكلمات(١٣٢)، ويتضمن المشتقات والمعاني حسب العصور

---

(١٢٧) محضر ١٩ ـ ٢٣ شباط/ فبراير ١٩٦٢.

(١٢٨) فنسان مونتاي، «اللغة العربية الحديثة،» **اللسان العربي**، السنة ١ (حزيران/ يونيو ١٩٦٤)، ص ٨٩.

(١٢٩) محمد شوقي أمين، «قرارات مجمع اللغة العربية، أصول اللغة وتحقيق الألفاظ والأساليب،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٥.

(١٣٠) **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)** (١٩٤٨)، ص ١٨٧.

(١٣١) الاذاعة المغربية، حصة ١٩٦٥/١٢/٥.

(١٣٢) **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)** (١٩٥٣)، ص ١١٧.

والمؤلفين، وإعداد معجم آخر للعربية المستعملة. لكن دوره الأساسي يتمثّل في ابتكار المصطلحات وتوحيدها. ويبدو أنه حقق هذه المهمة بالنسبة إلى التعليم(١٣٣). وتماشياً مع تقوية الشعور اللغوي عند الجمهور، فقد اتجه المجمع المذكور إلى القيام باستفتاء لغوي وتشكيل لجنة خاصة عملت على مساعدة كل من يلاقي صعوبات من الوجهة التعبيرية(١٣٤). وقد اعتمد المجمع عند الضرورة الآراء المقتبسة من الماضي لمفعولها، وذلك توسيعاً لأساليبه في وضع الألفاظ العلمية وغير العلمية(١٣٥). وآخر ما أوصى به المجمع (دورة ٤٤، ١٣/٣ - ١٩٧٨/٣/٢٧) توحيد المصطلح العلمي، تعريب التعليم الجامعي، استخدام وسائل الاعلام لتقريب اللهجات العربية، وبذلك فقد أوصى «بتدريب العاملين في الاذاعات المسموعة والمرئية على نطق الحروف من مخارجها الصحيحة، مستعينة في ذلك بالأساتذة المتخصصين في هذا الميدان»(١٣٦). وبخصوص تعريب التعليم العالي، فقد بذلت حسب المكتب ١١ جامعة عربية جهوداً، و «شكلت لجاناً علمية لجرد المصطلحات، وتوصل المكتب بالمصطلحات العلمية التي تستعمل في بلادهم وفي مجال تخصصهم» (وثائق المكتب، أخبار ثقافية ١٩٨٩/٨/٢١). والفائدة من ذلك إعداد مشاركة المكتب في المؤتمر الرابع لاتحاد الجامعات العربية المقرر أن يعقد في ١٩٨٠ بالرياض لهذا الغرض، وينظّم معرض أسبوع التعريب وما يتخلّله من محاضرات وأعمال ثقافية تعريبية أخرى.

أما مجمع بغداد (٢٤ عضواً ويزيد)، فقد أسس سنة ١٩٤٥، كما أسس مجمع علمي (١٩٦٣) بغرض تشجيع الأعمال والأبحاث العلمية في العراق، والمحافظة على سلامة اللغة وجعلها قادرة على التعبير العلمي، وإحياء التراث العلمي والأدبي، ووضع المعاجم، ونشر أبحاث أصيلة بمجلته. فقد أنفق المجمع لنشر ٥٥ تأليفاً وساعد على نشر ٤٧ بحثاً(١٣٧). وعمل المكتب على التعاون مع مجمع بغداد أيضاً ضمن قضية تطوير اللغة والتعريب.

وقد اتفقت المجامع على العمل من أجل سلامة اللغة، وكان المفهوم من ذلك، المحافظة على جوهرها كما كانت في الماضي. لكن النظرة الجديدة إلى ذلك المفهوم تجسّمت في موقف مجمع دمشق الذي تدخل لدى الدولة، شأنه في ذلك شأن كل مؤسسة مسؤولة عن مصير اللغة القومية، طالباً إلزام الادارة والتعليم والمجتمع باستخدام الفصحى في كل نشاطاتها. «ويلزم المشروع إدارات الدولة كافة باستعمال اللغة العربية الفصحى في جميع معاملاتها من

---

(١٣٣) **مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً (١٩٣٢ - ١٩٦٢)، مجموعة القرارات العلمية من الدورة الأولى إلى الدورة ٢٨** (القاهرة: المجمع، ١٩٦٣)، ج ١، ص ١٣٩.

(١٣٤) «المؤتمر الثقافي العربي الثامن لإعداد المعلمين في الوطن العربي،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٢٢٥.

(١٣٥) عبد الرزاق محي الدين، «نشاط المجمع العلمي العراقي،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ٣٦٩.

(١٣٦) **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ١، ص ٢٢٥.

(١٣٧) «استجواب معالي سفير دولة الكويت بالمغرب،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ٢٨٨.

المكاتبات الرسمية والسجلات والمحاضر والتقارير والأحكام والعقود والايصالات وغيرها»(١٣٨). وقد احتفل مجمع دمشق سنة ١٩٦٩ بمرور خمسين سنة على تأسيسه، فيكون بذلك أقدم مؤسسة أنشئت في الوطن العربي (١٩١٩، ٢٠ عضواً عاملاً)، لما كان عليه الشعور اللغوي في سوريا من يقظة، لاحظ بها ما كانت عليه العربية من وضع متدهور بسبب غزو الكلمات التركية. فكان إنشاء المجمع السوري بمثابة الدعم الفكري اللغوي الذي عمل على إيقاف ذلك الغزو الأعجمي وحماية العربية منه. وكانت ترد على المجمع من مختلف الأقاليم السورية قوائم الكلمات التي ينبغي تعريبها(١٣٩). وقد رأينا كيف أن المكتب عمل على مقاومة ما راج من دخيل الألفاظ في المغرب الأقصى، وكيف هيّأ حملات سنة ١٩٦٣ و١٩٦٤ و١٩٧٠. أما مجمع دمشق فكان فاتحة لبلدان عدة أخرى في الوطن العربي بادرت بتأسيس مجمع يجمع شتات أبحاثها اللغوية والاصطلاحية. فعزم لبنان على تأسيس مثل هذه المؤسسة العلمية سنة ١٩١٩ أيضاً. ولم يصدر مرسوم في ذلك إلّا في ٢٠ شباط/ فبراير ١٩٢٨، وكان غرض المجمع اللبناني المتوقع إنشاؤه العمل لفائدة اللغة والأدب العربي. وبدأ فعلاً الاجتماع لتحديد نظامه التأسيسي في ٩ آذار/ مارس ١٩٢٨، وقد استهدف ربط علاقات وثيقة مع مجامع اللغة العربية الأخرى، وكان يريد توليد الألفاظ واشتقاقها، ومراجعة قواعد اللغة. وكان في عزمه تأليف معجم جغرافي وتاريخي خاص بلبنان، وجرد المخطوطات. لكن ما لبث أن بدأ يعد مشاريعه حتى وقع إلغاؤه بمرسوم ٣ شباط/ فبراير ١٩٣٠(١٤٠). لكن مجمع دمشق تمادى في العمل، فأنتج منذ تأسيسه ٤٤ عدداً من مجلته، و١٢٥ كتاباً، وبه ٢٥١ عضواً من العاملين والمراسلين، تلك كانت حصيلته لغاية ١٩٦٩(١٤١).

وقد تأسّس أيضاً مجمع للغة العربية في الأردن بقانون ١/٧/١٩٧٦، وهو منبثق عن اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر التي تعاونت مع المكتب في حقل المصطلحات، ويعود تاريخ تأسيسها إلى ١٩٦١. وشرع المجمع الأردني في العمل في ١/١٠/١٩٧٦. ومن أهم أهدافه أن يتعاون مع المؤسسات اللغوية في الأردن وخارجه «على صيانة اللغة وإحياء التراث العربي والاسلامي، ووضع المصطلحات العلمية وتوحيدها، وجعل اللغة العربية تواكب متطلبات العصر في مختلف مجالات المعرفة الانسانية في العلوم والفنون والآداب»(١٤٢). واشتغل أيضاً بترجمة العلوم الانسانية والعلوم الطبيعية التي هي مدار الأبحاث في الجامعة الأردنية. وقد أشرف المجمع على

---

(١٣٨) محمد جميل بيهم، «تطور النهضة الثقافية في الشام والمجمع العلمي اللبناني،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ١٦٥ - ١٦٨.

(١٣٩) جعفر الحسيني، «نشاط المجمع السوري للغة العربية،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٥٣٦ - ٥٣٩.

(١٤٠) **التربية الوطنية** (نيسان/ ابريل ١٩٦١)، ص ٦١.

(١٤١) «في طريق انشاء المجمع العربي الموحد: تكوين لجنة مجمعية في اطار المكتب الدائم للتعريب،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ج ٣، ص ٣٣٤.

(١٤٢) **العلم**، -/٢/١٩٦٤.

تصنيف معجم الرياضيات الذي تضمن المصطلحات الانكليزية مشروحة ومقابلاتها العربية وما يتفرّع من ألفاظ أخرى.

وبذلك نلاحظ أن المجامع التي صارت الآن أربعة تتفق كلها في مضمار علمي واحد، وأن اتحادها أمر مفروغ منه لكونها تعمل جميعاً من أجل تطوير اللغة العربية. وتلك سبيل ناجعة تناسقت أعمالها تناسقاً مستمراً فعّالاً، وتوزّعت في ما بينها الاختصاصات العلمية، بحيث تفرغ كل مؤسسة جهدها في حقل من حقول العمل العلمي المثمر. طبعاً، إن اتحاد المجامع قائم من الوجهة الشكلية، وإليه تتجه الأنظار لكي يوحد العمل اللغوي ويعطيه دفعاً قوياً حتى لا تكون الشكليات والأعمال المكررة من العوائق التي تحجب عن المجامع الإسراع بحل قضايا العربية.

وعلى هذا الأساس، انعقد بدمشق في ٢٩ أيلول/ سبتمبر وإلى ٤ تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٥٦، مؤتمر المجامع العربية، بغية محاولة تحقيق اتفاق شامل حول الوسائل الواجب العمل بها لتطوير العربية. وقد انتهى المؤتمر إلى المصادقة على توصية بإنشاء الاتحاد المذكور الذي يكون مسؤولاً لدى الجامعة. وقد طلب المؤتمر أيضاً استخدام العربية الفصحى في المدارس ووسائل الاعلام والثقافة، وهو الطلب نفسه الذي يسجل إلى الآن. واقترح على المجامع جمع الكلمات المتداولة وتصحيح أخطائها إذا كانت فصيحة، والتخلّي عن الكلمات الأعجمية، والتشجيع على النشر والترجمة، ووضع قوائم بالمخطوطات الموجودة في الخزائن. وقبل أن يؤسس المكتب، كان ذلك الاتحاد المزمع إنشاؤه بمثابة السلطة الموحدة للألفاظ العلمية طبق القواعد المقررة في المجامع[١٤٣]. وقد اهتم المكتب بالحدث بعد سنوات من فتحه، فخصص حصصاً بإذاعة الرباط. ودعي مديره بمناسبة أسبوع العلم العاشر المحتفى به في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٩، من طرف مجمع دمشق. وتشجّع المكتب فوجّه إلى الملك رسالتين (في ١٩٦٢/٩/١٨ و١٩٦٣/٩/٥)، ورسالة إلى الزعيم علال الفاسي في (١٩٦٢/٩/١٤) الذي كان يشغل منصب وزير دولة، يطالب فيها بإنشاء مجمع في المغرب. هذا وقد أوصى مؤتمر ١٩٦١ بتوحيد المجامع، أو على الأقل إنشاء اتحاد، راغباً أن تؤسس كل دولة مجمعاً، وأوصى وزراء التربية كذلك بالتدبير نفسه. لقد ظهرت فكرة المجمع الموحّد لأول مرة في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٥٣، وخلال مؤتمر وزراء التربية الأول في القاهرة سنة ١٩٥٥[١٤٤]. ومن صلاحيات المجمع الموحّد جمع المصطلحات العلمية وتنسيقها بعد مقارنتها، وتلك هي المهمة التي أنيطت بالمكتب. وقد صرّح ممثل مصر في مؤتمر الجزائر للمصطلحات العلمية (١٩٦٤) بأن مجمع القاهرة يشتمل على أعظم اللغويين في الأقطار العربية والغربية، وأنه وضع أكثر من ١٠٠,٠٠٠ لفظة منذ ثلاثين سنة. وعلى ذلك، ينبغي فرض ما وضعه في الوطن العربي قاطبة. وأبدى رأيه في خصوص المكتب، فقال إنه يعطل أعمال مجمع

---

(١٤٣) «جلسة افتتاح المؤتمر،» مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة) (١٩٥٣)، ص ١٨.

(١٤٤) «المكتب الدائم في مشاريعه العربية والدولية،» ص ٤٧٢.

القاهرة[145]. ورغم هذه المواقف، فلم يتردّد المكتب في عرض مقترحات للتعاون مع المجامع، وكان من ذلك شاعراً باختصاصاتها في وضع المصطلحات وتدوين اللغة. ومن رأيه أن أنجح مجمع هو ذلك الذي يبتكر أقل ما يمكن، ويتجنّب قدر الإمكان الوضع وإحياء القديم، لكن الأحسن أن يروج لفظة حية[146]. والواقع أن المكتب لم ينفكّ يدفع المجامع إلى تطوير طرق عملها، ووضع ما يعوز من ألفاظ في الفروع العلمية الجديدة التي تنقصها المقابلات الغربية. وعليها تأسيس عملها على اللغات الأوروبية. كما يفعل المكتب الذي يستعين بالشُعب عند تقييم الانتاج المجمعي بغية استكماله وحصره في حدود النجاعة. وقد اجتهد في تمتين علاقاته بالمجامع، فكان المكتب بذلك قد استهدف الإفادة من تجربتها. ورغبته أن ينسق الجهود معها حتى يتم الاتفاق الإجماعي، ويشمل كل الأقطار العربية[147]. وبذلك لا توجد نيّة للمكتب في مضايقتها ومنافستها في حقول العمل الاصطلاحي. فمثلاً اقترح المكتب على مجمع القاهرة إنشاء لجنة لتوحيد المصطلحات (في ١٩٦٥/١٢/٢٦). لكن المجمع لا يعتقد أنه يمكن تكليف بعض الأفراد بمثل تلك الأعمال، بل إن الحلول تكون على صعيد الاتحاد المجمعي، وخلال الندوات والمؤتمرات المخططة، ثم يتاح المجال للمقترحات والتصحيحات. وما يجده المكتب من صعوبات هامشية وبطء في انجاز أشغاله، إنما مردّه لمثل هذه الاعتراضات على التعاون وطوارىء الظروف العربية السياسية المحيطة بالواقع اللغوي[148]. ويخضع أعضاء المجامع إلى ذلك الجو المصطبغ بالمواقف السياسية. فأدى الأمر إلى التوقف عند حد الأمور الهامشية وإغماط حق المنهجية المحسنة للعمل المجمعي. لكن واقع اللغة الموحّدة المعبّرة عن المفاهيم العلمية الحديثة هي أيضاً ظرفية تفرض نفسها. فإذا انقسم علماء اللغة كما ينقسم رجال السياسة، فلا مجال للتفكير في تطوير اللغة ومواكبتها للحياة العلمية المعاصرة[149].

لقد وافق مؤتمر وزراء التربية كل مرة (مثلاً، مؤتمر بغداد، ١٩٦٤) على تحقيق الاتحاد المجمعي. لكن النظام التأسيسي لاتحاد المجامع اللغوية والعلمية لم يظهر إلى النور إلا في ٣٠ نيسان/ ابريل ١٩٧٠ في صيغة مشروع[150]. ويجمع الاتحاد المجامع الثلاثة وكل مجمع جديد يقع إحداثه. ويعمل الاتحاد على تنظيم الجهود الرامية إلى تطوير العربية وتنسيقها، وتوحيد المصطلحات العلمية والتقنية والحضارية، والنظر في ما تقدمه المؤسسات اللغوية والعلمية من

---

(١٤٥) **الأنباء**، ١٩٧٣/١/٢٩.

(١٤٦) **الأنباء**، ١٩٧٣/١/٣٠.

(١٤٧) «مشروع النظام الأساسي لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٥٤٠.

(١٤٨) الخطابي، «رسالة المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيسه، ١٩٦٢ - ١٩٧٢،» ص ٢٥.

(١٤٩) منشور في ١٩٧٣/٥/٣ لوزراء التربية.

(١٥٠) «أنباء المكتب الدائم للتعريب،» **اللسان العربي**، السنة ٢ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥)، ص ١٤٢.

مقترحات بحيث يكون الاتحاد بمثابة السلطة اللغوية العليا العاملة على الاقتصاد في الجهود اللغوية المتفرقة.

وشارك المكتب قدر المستطاع في المؤتمرات المفيدة لتغذية نشاطاته بالأفكار الجديدة. وعلى ذلك، وسّع من دائرة علاقاته ومشاريع تعاونه مع المؤسسات العربية والدولية، بغية تحسين وتنويع مصادره الإعلامية، ورفع مردود أعماله في المادة الاصطلاحية المنسّقة التي زود بها منظمات عدة، منها الاتحاد البريدي العربي (رسالة ١٩٦٩/٤/٢) الذي طلب من المكتب تصحيح معجمه، وقد أعاده المكتب (١٩٦٩/٥/٢) مصححاً. وكذلك، وجّه الاتحاد البريدي العالمي قائمة من الألفاظ وطلب موافقة المكتب عليها. وكان هذا الاتجاه يدعم النشاط المعجمي لدى المكتب ويضفي عليه بعداً عالمياً، خاصة وأنه ما انفك يوجه أعماله للنظر والنقد، وقبل إنجاز أعمال أخرى بالاشتراك مع بعض المؤسسات، ونمّى علاقاته مع العلماء المراسلين الذين زودوا مجلته بالأبحاث المعجمية والتعريبية عموماً[١٥١]، وكانت رغبتهم كبيرة في وضع معاجم ثلاثية اللغة[١٥٢]. فكانت المؤتمرات مناسبة للمكتب لتوضيح أهدافه ومشاريعه. فقد شارك في مؤتمر الجزائر لسنة ١٩٦٤، الذي سمّي بمؤتمر التكنولوجيا، وخلاله قدمت الإدارة الثقافية بالجامعة أربعة معاجم أعدّها المركز المغربي للتعريب، وكانت في مادة الفيزياء والكيمياء والرياضيات والآلية (الميكانيكا). وقد وجهت لتنظر فيها المؤسسات المعنية قبل أن تنعقد الندوة المقررة لها (٢٢ ـ ٢٦ تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٦٣). تقرر عقد المؤتمر المذكور في ١٩٦٣/١٠/٢٨، لكن عقد فعلاً في ١٢ إلى ١٤ شباط/ فبراير ١٩٦٤. وقد أوصى بتوحيد المصطلحات العلمية في كل المستويات على قاعدة لفظة عربية واحدة دون مرادف، تجاه كل لفظة أعجمية. وسيؤيد ميثاق المنظمة (مادة ١٧١) هذا الاتجاه، وهو يرمي إلى صيانة اللغة وإثرائها في آن واحد. وكانت مهمة التوحيد مستعجلة، خاصة وأن تناقضاً خطيراً بدأ في المحيط المدرسي وشمل الكتب المدرسية. فكان مناسباً إقامة معرض للكتاب العربي اشتمل على ما يتراوح بين ٧٠٠٠ و١٠,٠٠٠ كتاب، وتواصل حتى نهاية المؤتمر. فكلّف المكتب بجمع الوثائق التعليمية والألفاظ المعرّبة. وقد كان المؤتمر سبباً في فشل المكتب في تقديم المعاجم العلمية وتأييد وضعه وإلحاقه بالجامعة. وقد أيّدته سوريا في ذلك وأكّد نائبها أن المكتب كان أحسن ما أنشأته الجامعة، وأن محاولة خنق نشاطه قوّى من إشعاعه وإبراز أعماله[١٥٣]. وقد عمل مؤتمر الجزائر بمبدأ لم يتخطه، ومفاده أن المصطلحات العلمية الدالة على نبات أو حيوان توضع معرّبة تجاه المقابل العالمي بالحروف اللاتينية أو العربية[١٥٤]. لكن بعد سنوات، حصل المكتب على الاعتراف الفعلي ضمن الادارة الثقافية بالجامعة التي

(١٥١) المكتب.

(١٥٢) «مؤتمر توحيد المصطلحات العلمية،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ٢، ص ٥٦ ـ ٦٠.

(١٥٣) محضر ١٩٦٥/٩/١.

(١٥٤) «أنباء المكتب الدائم للتعريب،» ص ١٤٣.

اعترفت بكفاءته في حقل المصطلحات، ووجهت مذكرة تطلب منه إعداد دراسة حول توحيد المصطلحات العلمية، واحصاء ما تمّ في ذلك، وتقديم مقترحات قابلة الدرس خلال ما ينوي عقده من أعمال في مؤتمر تقرر لفترة ما بين ٢٠ إلى ٣٠ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٩[١٥٥]. وانطلاقاً من هذا الاعتراف بإمكانات المكتب وما يمكن أن يضطلع به من نشاطات اصلاحية، لم يعد عمل المكتب مقتصراً على التنسيق بل شرع في إحصاء نقائص المفهوم العربي، مستنبطاً المفاهيم الجديدة التي يقدر انتاجها اليومي بـ ٥٠ كلمة، أي ١٨,٢٥٠ سنوياً، كما ورد في احصاء صادر عن منظمة اليونسكو. ولمجرد الإفادة، اعلم عميد جامعة الكويت (رسالة في ١٩/١٢/١٩٦٣) أن الاتحاد العلمي العربي نشر ١٥,٠٠٠ لفظة، خلال مؤتمره الرابع الذي عقده في القاهرة في شباط/ فبراير ١٩٦١.

وأمام هذا السيل الاصطلاحي العالمي، لا بد من تكاتف الجهود. ولذلك نجد المكتب يولي تأييداً مطلقاً لمشروع توحيد المجامع العربية، رغم ما في ذلك الموقف من تناقض، لأن هذا التوحيد سيؤدي إلى تكليف المؤسسة المنبثقة عنه بتنسيق الألفاظ، وهو العمل ذاته الذي يقوم به المكتب. وقد نظرت اللجنة في ذلك واستخلصت الرأي أن هذا الاتحاد سيعمل، خلافاً لذلك على التخفيف من أعباء المكتب الذي يقتصر عمله على التنسيق الإداري، بحيث يعوّض ما فات على الاتحاد المجمعي. فمثلاً أغفلت المجامع تنسيق أعمال الترجمة، فكان المكتب مهيأً للقيام بذلك، فأعد قوائم في مشاريع التعريب، ونسّق اللغة المدرسية معداً العدة لتأليف الكتاب المدرسي العربي، وذلك عمل ليس من اختصاص المجامع[١٥٦]. وكان من المتوقع التآم ندوة في بغداد لتوحيد المصطلحات وتوحيد وسائل العمل في ميدان الأشغال العامة والهندسية، مباشرة بعد مؤتمر الجزائر لسنة ١٩٦٤. لكن انعقد المؤتمر الثاني لـ ١٣ قطراً عربياً لوزراء التربية، من ٢٢ إلى ٢٩ حزيران/ يونيو، وقد شارك فيه المكتب. وعاد المؤتمر إلى ما أوصى به مؤتمر ١٩٦١، في خصوص تشكيل الشعب، الذي وافقت عليه الجامعة منذ نيسان/ ابريل ١٩٦٣ وأشار مؤتمر بغداد بتحويل كل مجمع إلى فرع لاتحاد المجامع المقبل، والذي تقرر بعثه منذ المؤتمر الأول سنة ١٩٥٣ بالقاهرة. واقترح تأليف «الكتاب الأم» الذي يكون مرجعاً في تأليف الكتب المدرسية[١٥٧]. وهذا النشاط الذي أبداه المؤتمرون، رغم أنه لا يتبع عادة بالتنفيذ، كان ـ حسب رأي المكتب ـ دلالة على رغبة جامحة بتنسيق الجهود في المادة المعجمية وفنياتها، لكن الغفلة المقلقة تترك دائماً الحبل على الغارب[١٥٨]. فقرر المكتب مقاومة سياسة تجميد الأوضاع، واختار العمل المباشر، فنشر معاجم صححتها المؤسسات اللغوية

---

(١٥٥) المكتب، تصريح في ٢٧/١٢/١٩٦٤.

(١٥٦) المصدر نفسه.

(١٥٧) المكتب، مذكرة إلى الجامعة رقم ٩٢، في ٢٩/٢/١٩٦٨.

(١٥٨) «مؤتمر وزراء التربية والتعليم العرب، الثالث، الكويت، ١٧ ـ ٢٢،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٥٨٩.

المختلفة. وتلك طريقة أشد نجاعة لأنها ناتجة من عمل طويل المدى ساهم في انجازه كثير من الأجهزة(١٥٩).

وبذلك ندرك أن على المكتب مواجهة الصعاب من كل جهة وفي الوقت نفسه، وتحريك السواكن ومقاومة اللامبالاة وعدم الفهم الذي تواجهه بها أقسام الجامعة. وقد اجتهد في إحياء مشاريعه وعمل على إشراك أقطار عدة. وينبغي سلوك مثل ذلك الجهد لفقدان التنسيق بين الأعمال. وعلة ذلك موجودة في قوى الجذب التي تريد بها أقطار عدة فرض اللفظة التي شاعت عندها، كلّفها ذلك ما كلفها(١٦٠). وقد انعقد مؤتمر وزراء التربية الثالث في الكويت من ١٧ إلى ٢٢ شباط/ فبراير ١٩٦٨، ولم تعلم الجامعة المكتب بالحضور في حينه وبصورة رسمية(١٦١)، رغم أن ما دار فيه يدخل في اختصاصات المكتب، إذ نظر في معجم الألفاظ المستعملة في العلوم والرياضيات في نهاية التعليم الثانوي. وقد ناقش أيضاً قضية توحيد المناهج في المدارس الثانوية ومدارس المعلمين، ومناهج التعليم التقني والمهني. وكلها مسائل تتعلق بها اهتمام المكتب الذي حصل لا محالة على تأييد المؤتمر خاصة في تشكيل الشُعب(١٦٢). وانعقد كذلك مؤتمر اقليمي تربوي ثالث بمراكش وبإشراف منظمة اليونسكو، من ١٢ إلى ٢٠ كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠، وبمشاركة ١٦ قطراً عربياً. وأيّد المكتب في الاستمرار لفائدة تحقيق التعريب، ذلك أن استخدام اللغة القومية ييسر الفهم عند التلميذ، وينمّي من تحصيله، ويرفع من المستوى الدراسي(١٦٣)، كما انعقد بصنعاء مؤتمر التربية الرابع، من ٢٣ إلى ٣٠ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٢، وقد شارك فيه المكتب، وتقرر عقد مؤتمرات التعريب بصورة دورية، وبحث قضايا العربية وتوحيد المصطلحات، وهي تقريباً القضايا نفسها التي تثار كل مرة في مثل هذه الاجتماعات، فيصادق على توصيات لم تجد طريقاً إلى التنفيذ الشامل. وقد ألحّ هذا المؤتمر على استعجال التعريب، داعياً المنظمة إلى دعم عمل المكتب(١٦٤). ولم يتردد المكتب أيضاً في المشاركة في المؤتمرات العلمية العربية والأجنبية، خاصة وأن مجلته تتعرض لأعمالها. فكان المؤتمر العلمي الخامس المنعقد في بغداد سنة ١٩٦٦، وتلاه المؤتمر السادس في دمشق (١ ـ ٧ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٩) الذي عرض عليه المكتب

---

(١٥٩) الحاج مير، «الدراسات العربية والاسلامية في اسكوتلندا،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ص ٣٨٤.

(١٦٠) المكتب، تقرير عن أعماله في ٢٦/٤/١٩٧٣، موجه إلى المؤتمر التاسع للمنظمة.

(١٦١) وثائق مؤتمر وزراء التربية والتعليم العرب، الرابع، صنعاء، ٢٣ ـ ٢٨ كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢، **تقرير المدير العام** (القاهرة: جامعة الدول العربية، ١٩٧٣).

(١٦٢) «نشاط المجلس الأعلى للعلوم في سوريا،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ٣٧٦.

(١٦٣) «مجلس البحث العلمي الأردني،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٤٦٦.

(١٦٤) *Études* (1964); p. 11.

تقريراً ضافياً عن مهامه في حقل التعريب. ويعتبر المكتب أن الشك الإيجابي هو الذي حمل على التساؤل بشأن العلم المدرسي الذي شاع في العصر الوسيط والذي ورث مبادئه عن أرسطو. ثم حل دور العلم التجريبي في القرن التاسع عشر. وعندئذ بدأت الشقة تتسع بين الشرق والغرب، وتكاثرت الاختراعات والاكتشافات الغربية، فخلفت العلوم التطبيقية العلوم العقلية التي لم تعرف إلّا كمجرد نظرة فكرية في الأشياء. وبدخول القرن العشرين وجد الوطن العربي نفسه في تبعية للعلم والمصطلحات الأوروبية. وأراد اللحاق بركب الحضارة الحديثة، فعجز عن ذلك وعن مواجهة التحدي. وقد اختارت الصحافة العربية في تلك الفترة، الحل الوسط الذي تمثّل عندها في ابتكار الألفاظ الجديدة التي هي في حاجة إليها للتعبير عن الأفكار الجديدة. ولا شك أن إنشاء المجامع العربية نظم هذه الأعمال الاصطلاحية وقعّدها. ونذكر أن وفداً عن المكتب قام برحلة في الأقطار العربية سنة ١٩٧٢، فأتيح له الاطلاع على مدى رسوخ هذه الوقائع التاريخية الحديثة في أذهان خبراء التعريب، مع وجود اختلاف في ادراك القضايا التعريبية. فمنهم من يرى أنه ينبغي تدريس العلوم باللغات الأجنبية، لكونها علوماً غربية، ومنهم من يريد التعريب التام، في حين أن الانتاج العلمي في تزايد مستمر ولا يترقب المرور عبر العمليات التعريبية. لكن التعريب يبدو أنه أثمر في سوريا، فقد لوحظ أن المتخرجين العلميين من الجامعة السورية، نجحوا في دراساتهم بأوروبا والولايات المتحدة، وتمكّنوا من استيعاب المعرفة العلمية الجديدة دون مشقة تذكر. وكان على المكتب أن يوضح أوضاع التعريب، كما هي الآن، التي تحتم مواجهة قضايا عدة (مقاومة الدخيل، تفصيح العاميات، وضع المعاجم...). وأن عمله لا يقصد منه التعريب بقدر ما يستهدف توحيد مختلف «اللهجات العلمية» الشائعة في الأقطار العربية. ولهذه التسمية ما يبررها في أن كل قطر عربي يعرّب ما شاء من مصطلحات هو في حاجة إليها، مستعيناً باللغة الأجنبية التي تدرس بها العلوم عنده. فنجم عن ذلك وجود ألفاظ عدة، وحتى جمل علمية مقابل مفهوم علمي واحد موجود في لغته الأصلية الأجنبية. وبتجميع هذه البوادر الابتكارية، يتيسر عمل الباحثين والمؤتمرين والمدرسين. ويمكن الانطلاق من معاجم اللغة لاحتمال وجود الكلمة القديمة التي تطابق المفهوم الجديد، وإلا فالمكتب يلجأ إلى الأعمال المجمعية والخبراء. ويسير المكتب على ذلك النهج بغية العمل بالأساليب التي تتيحها اللغة، من تعريب ونحت واشتقاق، وألا يكون وضع المصطلح هو الحل الذي نتجه إليه عند تعذّر الأعمال الأخرى. ويفهم المكتب من التعريب صوغ الكلمة الأعجمية على وزن عربي، وذلك، ليمكن ترويجها على وزن تقبله الأسماع العربية. ويندر أن يسلك المكتب سبيل الوضع الاصطلاحي إلّا إذا طلب منه ذلك، وفي هذه الصورة، فهو يستشير المجامع قبل الشروع في ذلك العمل لخروجه عن دائرة اختصاصه[١٦٥]. وبذلك ندرك اهتمام المكتب بالمشاركة في المؤتمرات العلمية ومعايشة ممارسة الوضع الاصطلاحي. من المعلوم أن سوريا تملك اتحاداً علمياً منضوياً في الاتحاد العلمي العربي، بالإضافة إلى وجود المجلس الأعلى

---

(١٦٥) مصطفى الشهابي، «المصطلحات العلمية المعروضة على المؤتمر الرابع للاتحاد العلمي العربي،» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**، السنة ٣٦ (تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٦١)، ج ٤، ص ٦٧٨.

السوري للعلوم. فانعقد بدمشق (١٩٦٩) المؤتمر الذي ذكرنا، وفتح آفاقاً جديدة لتيسير التجديد العلمي، فقرر المجلس الأعلى للعلوم منذ ١٩٦٨ تنسيق ترجمة الكتب الروسية، مع جامعة دمشق وحلب، وأن يستخرج منها المصطلحات العلمية(١٦٦). ولا ننسى أن للأردن مجلساً من هذا النوع منذ ١٩٥٧، عمل في اتجاه دعم البحث العلمي في مختلف الفروع(١٦٧).

وقد احتفل مؤتمر دمشق ذلك الذي اشتغل بالمهام العلمية العربية لسنين، بذكرى تأسيس الجامعة والمجمع السوري، وبعاشر أسبوع للعلم، فينبغي أن نتذكر أن هذه الجلسات العلمية بدأت منذ ١٩٥٠، وأن أول مؤتمر علمي عربي كان في ١٩٥٣، وكان ذلك في الاسكندرية، بمشاركة ٣٠٠ عضو، وهو الذي قرر بعث الاتحاد العلمي العربي. وسارت المؤتمرات على تلك الوتيرة (القاهرة، ١٩٥٥)، وكان العلماء يقدمون بها أبحاثاً في العلوم الأساسية والتطبيقية. وأسهمت منظمة اليونسكو فيها بتكليف خبرائها بمهام لمدد مختلفة. وقد جمع أحدهم جذاذات عدة، ما يقرب من ١٤٠٠ لفظة في الفيزياء، بتعريفها المستمد من المعاجم المصنفة لا على حروف الهجاء، بل على المواضيع. والواقع أن قضية المصطلحات لن تأتي في هذه الجلسات إلّا في فترة لاحقة. ذلك أن العمل تركّز في البداية على مقارنة ما يجد من مصطلحات أجنبية بما ترجم من كلمات في أقطار عدة، وكان الاحتياط أن يعمل المترجم على الامتناع عن تأويل اللفظة(١٦٨). وعلى هذا الأساس، يمكن تكوين قوائم اصطلاحية من تلك الخلافات المذكورة، أي أن يحوّل ما كان عجزاً فائدة لتنمية اللغة العلمية، وهي منهجية مستمرة إلى الآن ومعمول بها، لأن «توحيد المصطلح عربياً، هو الطريق اليتيم إلى خلق لغة علمية عربية، تعليماً وتعلماً وبحثاً وتطبيقاً، مما يطوع للأمة العربية اقتحام المعاصرة التقانية أخذاً وعطاء»(١٦٩). ومع ذلك فلن يكون هذا الحل على حساب المفاهيم العلمية. وفي المؤتمر العلمي الثالث (بيروت، ١٩٥٧) بدأ العمل في سبيل المحاولة لتوحيد الترجمة لقسم من تلك الألفاظ. وتقدم المؤتمر الرابع (القاهرة، ١٩٦٤) خطوة أخرى، فنظر في ما يقرب من ١٥٠٠٠ لفظة(١٧٠)، في حين أن المؤتمر الخامس (بغداد، آذار/ مارس ١٩٦٦) نظر في ٢٠٠٠٠ لفظة تقريباً. ودار الاقتراح حول وضع معجم علمي موحد، وهو الهدف الأسمى الذي ينشده العلميون كلهم، والمؤسسات كلها، من بينها المكتب طبعاً. وقدمت ٣٠٠ مقالة علمية إلى المؤتمر السادس، فتقرر نشرها في أعمال المؤتمر، وبدورة المؤتمر السابع (١٩٧١)، وقع التفكير في عقده بإحدى

---

(١٦٦) عبد الحليم منتصر، «المؤتمر العلمي العربي السادس، ١ - ٧ نوفمبر ١٩٦٩، دمشق،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ٣٤٩ - ٣٥٢.

(١٦٧) ابراهيم السامرائي، «الدلالة الجديدة والتطور اللغوي،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ١١.

(١٦٨) ناصر الدين الأسد، «الأصالة والتجديد في الثقافة العربية المعاصرة،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ١٩٥.

(١٦٩) انظر: محيي الدين صابر في خطابه ضمن وقائع مؤتمر التعريب السادس، في: **اللسان العربي**، العدد ٣١ (١٩٨٨)، ص ٥١.

(١٧٠) **اللسان العربي** (١٩٧٦)، ص ٣٧٢.

العواصم المغربية، بغية توثيق الروابط العلمية العربية، وتأييداً من الاتحاد العلمي العربي لما يقوم به المكتب. فتقرر أن توجه إليه ما قدم من أبحاث في مختلف العلوم، وذلك عامل ينمي به ثروته الاصطلاحية[١٧١].

وقد تفتح المكتب أيضاً على الندوات ذات الطابع الثقافي والديني. فشارك في الندوة الثقافية بمدينة فلورانسا في ايطاليا (١٤ ـ ١٦ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٢)، وقد بحثت في ما بحثت، في الثقافة المغربية والتاريخ الحضاري المغربي[١٧٢]. وشارك كذلك في الملتقى الخامس للفكر الإسلامي (وهران، ٢٠ تموز/ يوليو ١٩٧١). وقد عقدت المنظمة في القاهرة، في تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٧١، ملتقى حول الأصالة والتجديد، اهتم به المكتب، لأن المسائل المطروحة تندرج في مشاغل الباحثين المغاربة. ذلك أن الأصالة تتضمن فعلاً فكرة التميّز لبلوغ التنمية الثقافية والأدبية وتزويدها بقيم جديدة. وإن عدنا إلى أصل كلمة أصالة، فإنه يمكن القول إن عناصرها مستمدة من اللغة والفن والفكر الموجود في الأمة التي ظهرت بها. وذلك يعني اكتشاف قيم ثقافية جديدة. وبهذا المعنى بحث الملتقى في عناصر الثقافة العربية المتميزة بدوامها التي يمكن أن تلتقي بحضارة العصر الحديث، وكذلك في ما يجد من تفاعل متبادل ومؤثرات ثقافية متنوعة. وما عرفت به الأصالة خلال المناقشات لا يعني أنها تخضع لروح التقليد أو أن اخلاصها مطلق للتراث بأكمله، وكذلك فلا يعني التجديد أن نقبل كل التيارات الموجودة في الأدب والثقافة. يمكن أن يكون التجديد اجابة حقيقية على وضع شامل، كما أنه يمكن أن يشكل جملة من النزعات الثانوية أو «انشقاقاً». إن الوطن العربي بصدد معايشة المواجهة القائمة بين الأصالة والتجديد، وما يترتب عنها من نتائج في الثقافة وأشكالها المعبّرة كالشعر، والمسرح، وهو يواجه أيضاً التيار التعصيري الذي يشمل النهضة الأدبية والفكرية الحديثة[١٧٣].

وعن التعريب ومستقبل العربية، قدم مدير المكتب محاضرات بمعهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة. وجمعت في كتاب عن إشكالات القضية التعريبية في الوطن العربي، فتطرّق إلى مختلف الملامح اللغوية والعلمية لهذه القضية. «وقد تنبأ المؤلف عن اللغة العربية بمستقبل مشرق إذا ما تضافرت الجهود لدعم فكرة التعريب من مختلف الجهات»[١٧٤]. وتطرق إلى الموضوع ذاته في محاضرات ألقاها بطرابلس (تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٧٦). وتخطى الوطن العربي إلى العالم الافريقي، فألقى سلسلة من المحاضرات (١ ـ ٨ تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٧٥) في داكار عاصمة السنغال عن قضايا اللغة العربية المعاصرة. وعلى الصعيد الاسلامي، نجد المكتب يشارك في لقاءات عدة، كان الأول في الرباط، حيث عقد المؤتمر

---

(١٧١) «مؤتمر التضامن الاسلامي، الرياض، ٢٠ ـ ٢٦ آذار/ مارس ١٩٧٦، مؤتمر التضامن الاسلامي حول التضامن الاسلامي في مجالات العلم والتكنولوجيا،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ص ٣٦٠.

(١٧٢) «أنباء المكتب الدائم للتعريب،» ص ٣٦٤.

(١٧٣) المكتب، رسالة، ١٩٧١/١/١٦، و١٩٧١/٨/١١.

(١٧٤) **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)** (١٩٦٢)، ج ٣.

الأول للتضامن الإسلامي في العلم والتكنولوجيا (٢٩ آذار/ مارس - ٤ نيسان/ ابريل ١٩٧٥). وانعقدت جلساته ثانية في الرياض (٢٠ - ٢٦ آذار/ مارس ١٩٧٦). وكانت «الفكرة الأساسية لهذا المؤتمر حول واقع المؤسسات العلمية سواء المشتغلة بالتعليم أو البحوث، وكذلك المؤسسات الصناعية في العالم الاسلامي، ومحاولة لدراسة زمنية لهذه المؤسسات للكشف عن بعض القوانين التي تحكم نموها، ثم الاستفادة من تجارب الآخرين في هذا المجال، لتفادي الأخطاء وتصحيح الاتجاه، وتوطيد قواعد التعاون في المستقبل»[١٧٥]. ويرتبط بهذا المؤتمر ما كان من نشاطات دراسية على الصعيد الاسلامي، مثلاً ما يجد ضمن الجامعات الاسلامية من اتجاهات لمسايرة العصر وتخريج طلاب يمكن تشغيلهم رغم أنهم تكونوا تكويناً تقليدياً في الشؤون الدينية خاصة. فاستوجب ذلك تطوير المناهج التقليدية التي كانت شائعة في العصور القديمة والتي صارت اليوم قابلة للتحسين، من وجهة أساليب تبليغها وبالنظر إلى محتواها. وهو موضوع هام يمكن أن يتمحور عليه جوهر المناقشات التي يدور رحاها في مؤتمر الجامعات الاسلامية (الأول بفاس في ١٩٦٧، والثاني بالرباط في ١٩٧٦). وتمثل مقترح المكتب بصدد هذا المؤتمر في «جعل اللغة العربية عملياً لغة للتكنولوجيا والعلوم في أقسام نموذجية بالجامعات الاسلامية، انطلاقاً من تجارب بعض الدول العربية التي عربت الشعب العلمية في التعليم العالي»[١٧٦]. ومشاركات المكتب متعددة خارج المغرب، وهي المؤتمرات العلمية المقامة حول الشخصيات العربية، مثل ابن منظور الذي نظم له ملتقى في تونس (قفصة، ٢٣ - ٢٥ نيسان/ ابريل ١٩٧٦)، فتمّ البحث في قضايا لغوية قديمة وحديثة انطلاقاً من معجمه لسان العرب. وفي أعلى مستوى، تكون المنظمة حاضرة في المؤتمرات الثقافية (عمان، ٢٠ - ٢٣ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٦) التي تنعقد بين الوزراء لتقرير الصورة التي بها يواجه الاستلاب الثقافي المتمثل في مظاهر الاغتراب اللغوي والفكري والثقافي، فيكون العمل عن طريق تكامل الأجهزة الثقافية وتعميم الثقافة عن طريقها[١٧٧].

ولم يأل المكتب جهداً لإقامة اتصالات مثمرة مع مؤسسات دولية منذ تأسيسه سنة ١٩٦٢، شملت منظمة اليونيسكو ومنظمة الأغذية والزراعة والمنظمة الدولية لتوطيد المقاييس. وتوصل المكتب بمشاريع عمل من منظمات أخرى، وعلى رأسها اليونسكو التي قدمت طلباً في ١٩٧١ لإعداد معجم متعدد اللغات في مادة علمية. فقد سبق أن طلبت مصر من اليونسكو نشر معاجم مترادفات في اللغات الواسعة الانتشار، وكان ذلك منذ ١٩٦٨، على أن يشمل ذلك العربية. وبفضل جهود المكتب التوحيدية، كان عمل المكتب على الصعيد الدولي محدوداً لا محالة، لأن الأسبقية في تحقيق المشاريع كانت للأقطار العربية. وبذلك تنوّعت ميادين نشاطه الاصطلاحي، فقد طلب مؤتمر المصادر (الرياض، ١٩٧٣/١١/٢٤ - ١٩٧٣/١٢/١) وضع دليل للمصطلحات في المصادر.

---

(١٧٥) محمد العربي الخطابي، «اللغة العربية والتطور،» **اللسان العربي**، السنة ١ (حزيران/ يونيو ١٩٦٤)، ص ٣٢.

(١٧٦) ادريس بن الحسن العلمي، «مزالق التعريب،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٥٧٠.

(١٧٧) المكتب، رسالة رقم ٤٧١، ١٩٦٤/٤/٢٠.

أما بالنسبة إلى المؤسسات الخاصة، فقد أكد المشروع الإقليمي للمالية العامة والإدارة الذي مقرّه بيروت أن مساعدة المكتب حاسمة لإنجاز أعماله، لأن توحيد المصطلحات الاقتصادية في العربية من شأنه أن يفيد المشروع ويمكنه من إعداد دورات تدريبية للخبراء القادمين إليه من الأقطار العربية. وقد استعانت الشركات العالمية بالمكتب، مثلاً الشركة العربية الأمريكية للنفط (آرامكو) التي بعثت للمكتب بقائمتين في الألفاظ الصناعية النفطية وفي الألفاظ الطبية باللغتين[178]. وكذلك طلبت الشركة المغربية للكهرباء (أوريلاك) من المكتب ترجمة ألفاظ الالكترونيك والكهرباء إلى العربية، فبعث ذلك المشروع فكرة إعداد العدة لوضع معجم تقني في تلك المادة، إذ تبين أنه مفقود في السوق الاصطلاحية[179]. وعلى ذلك النحو، لم يقتصر المكتب على العمل النظري المعجمي الذي لا طائل من ورائه، بل عرض خدماته على مؤسسات متنوعة الاختصاصات لتمكين خبرائه من فرص حية يمارسون فيها العمل المعجمي القائم على أوضاع لغوية محسوسة.

٧ ـ اختصاصات المكتب

لم يبدأ المكتب العمل وهو يتمتع بتنظيم أساسي واضح المعالم، اعترفت به الأقطار العربية حال تأسيسه. فأثّر ذلك في طريقة عمله التي تمكن من صقلها وبلورتها على مرّ السنين، معوّلاً في ذلك قبل كل شيء على جهوده الخاصة. وربما كان وضعه الاداري المبهم مقصوداً، إذ لم تبد الجامعة ثم المنظمة أول الأمر تفهماً كاملاً وادراكاً للحقائق التي كان المكتب يعمل بموجبها على صعيد المغرب العربي المتطلع إلى كسب رهان التعريب وتأصيل جذوره الثقافية. ذلك أن الوضع غير القانوني الذي خضع له المكتب في البداية، كان معطلاً كابحاً لكل ما يطمح فيه من أعمال مثمرة (مثلاً صلاحيات الشُعب بالنظر إلى اختصاصات المكتب كانت محل نظر)[180]. وكثيراً ما قدم تقارير ضافية إلى الجامعة ثم إلى المنظمة منها تقرير عن نشاطه السنوي (١٩٧١ ـ ١٩٧٢) يذكر فيه أن استقلاله الفني مرتبط بأمر أول، هو العمل من أجل الجامعة والمنظمة وفروعها، ثم يأتي دور الأعمال القطرية والدولية، ولن تؤكد أعماله وتجسّدها سوى مؤتمرات التعريب التي تصادق عليها بعد مراجعتها وتصحيحها أو تنقيحها إن استوجب الأمر، وبذلك تدخل حيّز الشرعية إن صح القول. ويؤيد مؤتمر التعريب منتوج المكتب إذا كان ايجابياً مثمراً، طبق ما نص عليه نظامه التأسيسي الذي بعث به وزير الخارجية المغربي إلى الجامعة في ١٤ مادة (رسالته رقم ٣٤٥٢/٢، في ١٩٦٩/٨/٧).

يتمثّل دور المكتب في نشر المصطلحات العلمية من كل نوع، بعد تصحيحها وموافقة السُلَط المعنية عليها. وبالإضافة إلى عمله المعجمي التصنيفي، الذي أقرّته عليه مؤتمرات

---

(١٧٨) المكتب، رسالة أحد العمداء بفرنسا.

(١٧٩) المكتب، رسالة رقم ٣٢٦، ١٩٧٢/٥/٣.

(١٨٠) «معلمة مركزة عن القبائل والمدن والقرى،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ٣٢٨.

التعريب، فهو يعمل على التنبيه إلى أخطاء النحو والأسلوب، فيعمل بذلك على صيانة اللغة في واقعها اليومي، كما هي شائعة بين المتكلمين، ويحاول التوسيع من امكاناتها التعبيرية بتنمية ألفاظها العلمية والفنية، والعمل على توحيدها في مظهرها الفصيح والعامي، من ذلك أنه اجتهد في الاتجاه إلى سنّ ما يمكن من تقارب بين اللهجات العربية، فحاول تفصيحها ورفعها إلى مستوى اللغة السليمة، كما سنرى ذلك في الفصل المخصص للبحث في اللهجات[١٨١]. وهو العين الساهرة على سلامة الاصطلاحات، فقاوم ما طرأ عليها من عيوب لغوية استغلق بسببها مدلولها العلمي، فوجب تلافي المخاطر المتجسمة في استخدام المفاهيم العلمية والتقنية إلى غير محلها، بحيث إن هذا الاتجاه أدى إلى خلق الفوضى الفكرية في ميدان فَرَضَ وجوده وأقامه على الدقة والوضوح اللذين لا يشوبهما أيّ ابهام. وسواء ترجمنا أو عرّبنا أو نحتنا أو اشتققنا، فالمسألة ليست كامنة في استعمال القواعد الصرفية الواضحة المستقرة بقدر ما هي متمثّلة في السير على منهج بالٍ دافع عن اللغة بأن أكثر من مفرداتها. فقد سرت هذه العادة السيئة في الاتجاهين، فإن بدأنا بتعديل المقابلات العربية لمفهوم أجنبي واحد، أو عددنا المفاهيم الأجنبية ازاء المفهوم العربي الواحد، فالضرر موجود في الحالتين، وهو يرمي العالم بالقصور في تأدية المدلول العلمي أو التقني على أحسن وجه. فوجب على المكتب، وفي نطاق صلاحياته العمل الدائب المستمر لمقاومة هذا الميل إلى الوفرة الخانقة التي تغمط حق المدلول في الدقة والوضوح، وذلك بإضفاء المعنى النوعي الدقيق على كل لفظ علمي، وبذلك نكون قد ساهمنا في الحد من مضار الاشتراك اللفظي الذي عمل على اغراق المدلول العربي في الغموض. وإذا ما تمعنّا مثلاً في لفظة قانون، التي ترجمت إلى عدة كلمات: statut, loi, code, droit، معانيها متميزة في لغتها الأصلية، فإننا نتبين أن العمل الاصطلاحي ما زال في حاجة إلى الصقل والتمحيص. هذا في مجال القانون، فما بالك في الدقائق العلمية المستجدة كل يوم والتي ما انفك تشعبها في تزايد مستمر. وقد تحدّث مؤلفون عدة عن هذه الفوضى وكأنها أمر حتمي لا يمكن الخلاص منه. لكن يمكن اصلاح الأمور بقليل من الحكمة. فمثلاً يمكن أن تقابل كلمة droit شُرْعَة وشريعة أو شَرْعَة، وكلمة code مدوّنة، وكلمة statut نظام أساسي، وكلمة loi قانون. وما دمنا في الميدان القضائي، لنذكر صفة عام وخاص. من الضروري أولاً أن نميّز بين عام général وعمومي public. ويستعمل مقابل خاص spécial وprivé، في حين نقصد معنى تؤديه كلمة مقصور. وعلى ذلك، ينبغي الحد من هذه الاشتباهات، وذلك بمقابلة المدلولات العربية والأجنبية لفظاً لفظاً، والعمل طبق اللفظ الذي ثبت وضوحه وشاع لدقته ويسر النطق به، ولكل صفاته الأخرى التي عليها تقرر وضعه[١٨٢].

وعملاً بمقصد الدقة هذا، استعانت السلطات المغربية في تعريب عناوين المحلات التجارية وأسماء الشركات والنظر في أصل الكلمة أو العبارة الدالة على الصفة التجارية،

---

(١٨١) «أنباء المكتب الدائم للتعريب،» ص ١٦٤.

(١٨٢) محضر، ١٩٧٠/٤/٢٣.

وهذا من شأنه أن يمدّنا بمساهمة قيّمة في باب التطور التاريخي الذي طرأ على اللغة. وعلى هذا الأساس ساعد المكتب في هذه الحملة وفي غيرها، كلما استفتي في مسألة لغوية. فمثلاً استخدمت وشاعت كلمة جامور في المغرب والأندلس، دلالة على منارة المجسد المضاءة، لكن المؤرخ ابن عذاري ذكر كلمة تفافيح[183]. وقام المكتب بالبحث في الأمر وأيد استعمال كلمة جامور. واستفتي أيضاً في كلمات أخرى، مثلاً فقّارة المعروفة في الجزائر، وخطّارة في المغرب، ومعناهما واحد، وتدلان على الآبار المتصلة، وتمّ الحصول على ذلك المعنى بعد جرد ما كان في المكتب من مصادر متعلقة بالموضوع[184]. هذا اجابة عن طلبات فردية. أما إذا وردت استيضاحات لغوية من مؤسسات فنية، مثلاً الاتحاد البريدي العربي، فيحاط الجواب بكامل التحريات الضرورية. فقد طلب الاتحاد ما كان من مصادر تقابل كلمة (Questionnaire) فجمع منها المكتب: استفهام، استخبار، استعلام، استجواب، استفسار. ولا يقتصر على الرد الايجابي، بل ينبّه على الاحتمالات الخاطئة أو السلبية أو المسيئة للمعنى الأصلي. في هذه الكلمة، لا مجال لاستعمال كلمة استقصاء (Exhaustion)[185]، التي تعني استيفاء الأمر لا السؤال عنه فحسب. واستمر المكتب في بذل جهوده على الصعيد المحلي، فقدّم مساعدته إلى وزارة الداخلية المغربية، وعمّم تعريب اللوافت الاشهارية. فقد نبّهت تلك الوزارة (في منشور رقم ٦٦٣٦، ١٩٦٥/٣/١٥) للقرار التعريبي الاجتماعي في كل الولايات، وكلف المكتب بمراقبة العملية[186]. وتعيّن استبدال اللوحات الأجنبية بلافتات معرّبة مكتوبة بلغة صحيحة مطابقة للقواعد ولفن الخط العربي والذوق السليم. وعملت مراكز المحافظات على اتمام هذا العمل، وقرّر المكتب وضع معجم يتضمن أنواع اللافتات يمكن توزيعه في الأقطار العربية، توحيداً للرموز التجارية والعبارات المكتوبة على واجهات المحلات التجارية[187]. ولعل بأقطار المشرق، تبدو هذه الأعمال بمثابة الجزئيات الطفيفة في حقل التعريب، في حين أن التعريب الذي يكتسب صبغة اجتماعية واضحة يفيد قضايا التعريب في التعليم والادارة، لترابط القضايا اللغوية. وعلى ذلك، كان على المكتب أن يجيب عن كل الطلبات المحلية، مهما بدت تافهة، دون أن يكون مقصده تعميمها على مجموع الأقطار العربية. وتوجد اللجنة لا محالة لترشد المكتب إلى السبل الواجب توخيها في قضية الأعمال التعريبية الفردية[188]. فتلك أعمال تستجيب لطلبات خاصة ولا تشكّل تخطيطاً للمهمة الأساسية المنوطة بالمكتب والمتمثلة في التنسيق[189]. وعلى ذلك، استمر المكتب دون حرج في

---

(١٨٣) محضر اللجنة ٤ ـ ٥ شباط/ فبراير ١٩٧٢.

(١٨٤) محضر ١٩٧٤/٤/٢٢.

(١٨٥) مذكرة إلى الجامعة ٩٣ في ١٩٦٨/٢/٩.

(١٨٦) المصدر نفسه.

(١٨٧) المكتب، رسالة ٤٤، ١٩٧٢/١٠/٩.

(١٨٨) عبد العزيز بنعبد الله، «من مظاهر الوحدة: التكامل بين شقي العروبة،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٦.

(١٨٩) **اللسان العربي**، السنة ١٣ (١٩٧٦)، ص ٣٦٠.

مساعدة المؤسسات الحكومة والخاصة. فقد طلبت منه مدينة فاس تعريب بعض العبارات: International Telephone & Telegraph (I.T.T.)، فاقترح المكتب (دولي تلفون برق)، لكن شاعت وبقيت الرموز (أ. ت. ت.) ولم يعترض المكتب على ذلك بل وافق على الاستمرار في ترويج تلك الرموز، لأسباب عملية[١٩٠]. لقد اتجهت جهود المكتب في بدايته إلى المظهر الفني الموجود في التعريب قبل سلوكه العمل طويل النفس. فكان ذلك بمثابة الحل الأمثل لتحسين انتاجه، وفي الوقت نفسه تمادى القسم الفني بالمكتب في الفترة نفسها، على تجميع المصطلحات الموجودة، التي كانت بصدد الوضع، وبذلك أعدّ العدّة لاتساع العمل التخصصي في حقل التنسيق المعجمي. ولا مانع، ونظراً إلى بعد مركز المنظمة عن المكتب، من اعتباره أمانة فنية يتجسّم دورها في جمع المصطلحات العلمية وانتقائها دون وضعها ودون فرض رأيه في اختيارها[١٩١].

وقد دام شبه النزاع هذا بين المكتب ودوائر الجامعة سنوات عدة. فهو لم يلحق بالجامعة من ناحية، إذ لم تتخذ قراراً حاسماً بشأنه. ومن ناحية أخرى، يحجر عليه المبادرة بالوضع الاصطلاحي عند ادراك فراغ ينبغي ملؤه، وقد اعتبرت مبادراته اللغوية ملحقة الضرر بالجامعة (يعني مجمع القاهرة الذي تضايق منها). وقد تساءل المكتب سنة ١٩٦٨ عن السبب الذي جعل الجامعة ترشح المعاجم الموضوعة في مصر على الصعيد الحكومي، وكأنها ملزمة للأقطار العربية كلها. ومن شأن مثل هذا السلوك أن يبعث الاضطراب في سير العمل التنسيقي المشترك. وبذلك وبعد مرور أعوام على بادرة مصرية أخرى في حقل مصطلحات المرحلة الابتدائية أرادت فرض قوائمها فرضاً جماعياً، تيقّن المكتب من وجود عناصر تعارض في وجوده رغم أنه جرد لغة الكتب الفرنسية في التعليم الابتدائي، وطلب من الجامعة دون جدوى عقد ندوة في هذا الصدد. بل إنها وافقت سنة ١٩٦٧ على المشروع المصري دون علم من المكتب الذي بذل جهوداً ما أحوجه إليها، في تجميع مصطلحات التعليم الابتدائي دون أن يستخدمها لتقرير وضع المعاجم لها. وما ترتب عن تجاهل اختصاصات المكتب هو أن الأمور اكتست صبغة سياسية واضحة اعتبرت مساساً بالمغرب[١٩٢]. لقد فكرت الجامعة منذ تأسيس المكتب وبتاريخ ٢٠ نيسان/ ابريل ١٩٦٢، في إنشاء لجنة عامة مكلّفة بالترجمة والتعريب، وذلك يتنافى وروح ومنطوق ما صادق عليه مؤتمر ١٩٦١ من توصيات. فلم يترقّب المكتب طويلاً، وكاتب الجامعة (رسالة رقم ١٢٢، ١٩٦٢/٤/٢٨) في الأمر، فأوضحت الادارة الثقافية بها (رقم ٥٢٨، ١٩٦٢/٥/٣١) أن ذلك يعني جمع لجان التعريب في الأقطار العربية[١٩٣]. واستؤنف النظر في ذلك سنة ١٩٦٥، وقررت المنظمة أيضاً تنظيم مكتب مكلف بتنسيق الترجمة بين الأقطار العربية، ومساعدة المكتب[١٩٤]. ومن مهامه القيام

---

(١٩٠) المكتب، رسالة إلى الأمين العام للجامعة في ١٩٦٥/١٢/٣٠.

(١٩١) **مجلة مجمع اللغة العربية** (بغداد) (١٩٥٩)، ص ٥٦.

(١٩٢) محضر ٣ ـ ٩ حزيران/ يونيو ١٩٧٠.

(١٩٣) المكتب، بحث في التعريب.

(١٩٤) المكتب، حصة اذاعية، ١٩٦٥/٢/٢٨.

ببحث في وسائل الترجمة، وضبط قوائم المؤلفات المترجمة، وما يقرر من أعمال جديدة في حقل الترجمة. وقد وقع النظر أيضاً في فكرة انشاء ادارة للترجمة في كل قطر، عملاً بتوصيات مؤتمر وزراء التربية في بغداد (١٩٦٤)[١٩٥]. وبذلك نتبين أن الخلافات جدّت على الصعيد الاداري. فقد طلب الأمين العام للجامعة (٢٨/٧/١٩٦٥) أن لا يخاطب المكتب الأقطار العربية إلاّ عن طريقه، في حين أنه كان يتصل بها مباشرة. وكان على المكتب أن يعمل بالنصوص التي تحدّد اختصاصاته. ولذا، كثيراً ما أكد أنه لا يقوم بوضع المصطلحات، بل يقتصر عمله على تجميع الألفاظ وتنسيقها بعد أن ولدتها المؤسسات الأخرى. وهو يقبل ويوافق وجوباً على القوائم التي توجّه إليه[١٩٦]. وأكد كذلك عدم تدخله في الشؤون العربية، حتى ولو اكتست طابعاً لغوياً وثقافياً. بل يكتفي بوضع تجربته وتخصصه في خدمة الأقطار العربية، خاصة لإعداد الخبراء في حقل انجاز التعريب في كل قطر يروم ذلك.

وقد استقر المكتب على وضع اداري واضح عندما ألحق بالمنظمة. فأتيح له تحديد معالم نشاطه، بموافقة لجنته (دورة كانون الثاني/ يناير، شباط/ فبراير ١٩٧٥) وتقرير ثلاثة اتجاهات: أن يعمل المكتب بواسطة مجلته على توعية المسؤولين بضرورة انجاز التعريب في جميع مراحل التعليم، خاصة في المغرب، الإجابة عن الطلبات التعريبية المستعجلة التي ترغب في مساعدة لغوية من المكتب، على أن توجهها مؤسسات رسمية، دون أن يمس ذلك بسير أعماله الذي تقرره اللجنة سنوياً. ومن حقها الاطلاع على محتوى مشاريعه الاستثنائية بغية ادماجها في البرنامج السنوي، ونشرها في صورة قوائم قابلة للمراجعة والملاحظات والتصحيحات، وذلك قبل الموافقة على ترويجها. وعلى المكتب أيضاً نشر المعاجم التي تحصل على موافقة مؤتمرات التعريب (منها مؤتمر ١٩٧٣). وبالخصوص ينبغي أن يبذل قصارى جهده في تنسيق مختلف الأعمال المعجمية، ويعمل طبق منهجية واضحة تحترم الأولويات المدروسة مسبقاً، وتعتبر النتائج المؤملة وتأثير ذلك في حركة التعريب. وعلى هذا الأساس، يمكنه مقاومة الفوضى السائدة في وضع المصطلحات. وله أن يطلب العون من المعهد المغربي للتعريب في خصوص ما يرد عليه من الطلبات المحلية التي تقدمها أجهزة الإدارة والتعليم، ويتصل بمعهد الألسنية والصوتيات الموجود بالجزائر، والمقصود من ذلك الإفادة من الامكانات التقنية في شأن التجميع الاصطلاحي والترتيب والمعالجة الآلية لما يجد من مصطلحات، بحيث يتيسر على المكتب التفرّغ للخدمات المعجمية. ولقد كان مجمع القاهرة في وقت من الأوقات قد اعترض على تولي المكتب بنفسه تنسيق المصطلحات المعالجة داخل المؤسسات اللغوية والعلمية. ذلك أن ما يوجد من صلة عضوية بين مؤتمر ١٩٦١ وبين انشاء المكتب هو الذي قرر للمكتب حق بل واجب التنسيق. ذلك لأن المغرب العربي كان في حاجة ماسّة إلى مثل تلك المؤسسة التي ترعى قضية التعريب في خطوطها الوطنية وفي تفاصيلها الفنية. وإضافة إلى الدعم المغربي وحتى العروبي الذي تمتع به المكتب وما زال، فإن عمله التنسيقي

---

(١٩٥) انظر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الخطة القومية للترجمة (تونس: المنظمة، ١٩٨٢).

(١٩٦) *Arabica* (1970), p. 323.

إنما هو اختصاص اداري مقرر في هياكل الجامعة على الأقل من الوجهة النظرية. ومهما كان الأمر، فهو يقرر أعماله على منتوج المجامع والمؤسسات الأخرى، أي على ما نشر من حصيلة اصطلاحية بمجلات تلك المؤسسات، فيعود المكتب إلى النظر في محتواها ويبوّبها طبق الحاجة إلى محتواها العلمي، ويرتّبها قوائم جامعة صالحة أن تكون معاجم للوطن العربي. وقد اشتمل مجمع القاهرة مثلاً على عدد من الأعضاء المغاربة منذ عشرات السنين، فلا يعقل أن يناوئوا المكتب لمجرد الاشتباه في مضمون صلاحياته. وكان من الأعضاء من استشيروا لدى المكتب في عمله التوحيدي الذي لا يمكن تحقيقه إلا بمساعدة الهيئات المجمعية ذاتها، وجهاز المكتب يشكل الصلة العاملة على تقريب وجهات النظر الاصطلاحية بين مختلف الهيئات التي تصنع المصطلحات العلمية والتقنية. فلو كانت أعمال المجامع قد تسرّب إليها الخلل، كأن تكون مثلاً قد وضعت كثيراً من المقابلات ازاء المفهوم الأجنبي الواحد، ويلاحظ المكتب أنها في الواقع اللغوي لم تكن سوى ألفاظ سطحية غامضة غير متأصلة لم تنفذ إلى مكنون المفهوم الأجنبي، فما عليه إلا الاتصال بالمجامع وغيرها للفت النظر إلى تلك العيوب، دون أن يقرر مصير تلك الكلمات، فذلك يخرج عن نطاق عمله، بل على تلك المؤسسات أن تيسر عمله التنسيقي فتتفق على انتقاء اللفظ الأصلح الموافق لقواعد اللغة والدلالة. وإلاّ فللمكتب المبادرة باستنباط واستقصاء المفاهيم الجديدة، مستعيناً بطرق علم الدلالة المقارن وبمضمون القواميس والمعاجم قديمها وحديثها وبلغات مختلفة. وبنهجه ذلك المنهج، يمكنه جمع حصيلة هامة حية تفرض العربية على الصعيد الدولي بصفتها لغة علمية. وإذا ساهم المكتب بقسطه في التنمية اللغوية في المدرسة والثقافة والتقنية، فهو إنما يعمل بموجب المادة الرابعة من نظامه الداخلي الذي يوافق عليه مجلس المنظمة سنة ١٩٧٢، ونصها: «يقوم المكتب بالمساهمة الفعالة في الجهود التي تبذل في الوطن العربي للعناية بقضايا اللغة العربية، ومواكبتها للعصر، واستجابتها لمطالبه». لكن من حقه ألاّ يتضرر من تصريحات عدة مثيرة متناقضة جعلته يعتمد مثل هذه الوثائق لتأكيد وجوده، فإن كان للمجمع حق الفصل في الصور اللغوية بعد استشارة خبرائه، فلا يمكن للمكتب الاقتصار على تسجيل المقابلات العربية للكلمات الأعجمية، بل عليه استعراض التسميات المختلفة الموضوعة قبل تقرير اختياره لإحداها، ذلك أن طموحه يتجاوز مجرد الترتيب الاصطلاحي، وهو يروم استكمال المعجم العربي. والمرحلة الأولى من مهمته تتجسم في تركيز اللغة العلمية الحديثة وترتيبها وعرضها على مؤتمر التعريب، ومقصده من ذلك التوحيد والتأكيد والترسيخ.

وتتلخص أهداف المكتب في ايمانه بتحسن المفاهيم العلمية وقابليتها للتطوير والمراجعة، وتلك فائدة كبرى ناتجة من العمل التعريبي. والأمر لا جدال في نتائجه، إن لم يقع تعجيز المكتب عند انجاز مهامه. فهو يعمل بمبدأ السرعة المدروسة والنجاعة ونوعية العمل الذي يكتسي أقصى ما يمكن من التحري والمراجعة. وبعد مرور فترة سوء التفاهم دخل المكتب في هذه السنوات القليلة الماضية مرحلة التأييد والدعم، إذ اتضحت حدود صلاحياته ورسخت كفاءته في حقل العمل المعجمي، خاصة وأن العمل أصبح موزعاً بينه وبين المؤسسات الأخرى، فزالت بذلك الاشكالات التي عاقته في الماضي. فإذا تخصص أي

مجمع في وضع المصطلحات وتوليدها، فقد بقيت للمكتب مهمة ترتيب الألفاظ التي حصلت على تأييد كامل قائم على قواعد علمية ولغوية لا تقبل الدحض. وللمكتب استكمال المعاجم بكلمات جديدة ربما غابت عن أذهان أعضاء المجامع ولجانها المتخصصة، مضيفاً إليها اللغة الثالثة التي تفيد في الواقع في بلورة المفهوم العلمي، فيتناقص بذلك حجم الخلافات الاصطلاحية وتتقلص نسبتها، وربما تزول من المعجم الموضوع على قاعدة علمية. ومن هذه الوجهة، لا شك أن عقد الندوات المتخصصة بإشراف المكتب عامل على بلورة المفاهيم العلمية العالمية، وبالتالي تخليصها من شوائب الغموض التي تتنافى والقواعد العلمية المقررة المجرّبة في وضع المصطلحات العلمية. واضافة إلى ذلك يكون العامل الزمني حاسماً في بقاء المصطلح أو زواله، فتتم التصفية بين ما شاع من مصطلحات وردت من مصادر مختلفة ويتدخل الخبراء لوضع المصطلح في موضعه من حيث قيمته في التأدية العلمية والوضوح والدقة. لكن في الماضي خامر التساؤل أفراد المكتب في أمر قيمة ما يوضع في الوطن العربي من مصطلحات وموقف المكتب منها، وما يمكن أن يفعله لفائدة المغرب العربي الذي كان بصدد انجاز التعريب، وما يوجد من صلات بين أعمال المكتب ونظامه التأسيسي، وإلى أي حد يكون مسؤولاً عن اللغة العلمية العربية، وعلى ما خوّله لنفسه من امتيازات علمية معجمية أعدّ في ضوئها ما عنّ له من معاجم دون موافقة المؤسسات والمنظمة. وآل ذلك الوضع إلى التأكيد بأن المكتب تجاوز كثيراً أهمية ما هو مطلوب منه بذله، إذ أضاف مصطلحات جديدة إلى ما وضع في مؤسسات أخرى، وهو أمر يوسّع من شقة الخلافات اللغوية العلمية. وقد طلب السودان مثلاً في الدورة الرابعة للمنظمة (٢٩ آب/ اغسطس ـ ٣ أيلول/ سبتمبر ١٩٧١) حمل المكتب على تقديم كل مشروع معجمي إلى مؤتمر التعريب قبل القيام بطبعه في أجزاء المجلة أو توزيعه على الخبراء والدارسين.

ومع موافقة الجميع على وجوب استدراك ما فات في حقل المصطلحات، فإن المخطط الواجب اتباعه لم يبدأ في التبلور إلّا بعد تأسيس المكتب ومنذ انعقاد مؤتمر ١٩٧٣. أما إذا وزنا الجهود المبذولة في الماضي، وقارناها بالنتائج المؤملة التي حصلت فعلاً وكانت ناجعة، فإن النسبة تكون عكسية. لا ينكر أن العربية قطعت أشواطاً منذ بداية القرن العشرين، فقد واجهت المجامع معاً مشكل التوليد، ووضع قواعد الاشتقاق، وكانت تلك الطريقة معمولاً بها في مجمع القاهرة. واجتهد علماء مثل الكرملي وأمين معلوف في تقوية هذا العمل. لكن التعريب عامة بقي ضمن أعمال التجريب التي لم يحدد مداها ولا موضوعها ولا شكلها، فلم يكن قادراً على التكيف بالوضع الجديد. فصار ضرورياً وضع خطط لتحقيقه.

ومع ذلك، فقد بدأ المكتب واستمر على تشجيع كل بادرة خلّاقة، وعمل على توحيد التيارات الفكرية في الوطن العربي، باعتبار أن اللغة لم تعد اليوم مجرد أداة فكرية، بل إنها الفكر ذاته. فهي تعبّر عن أعمق ما في الحضارة. وبذلك، اعتبر المكتب اللغة ظاهرة غرست جذورها في العلم الحديث. والغاية من ذلك تحقيق وحدة المفردات الحديثة، على أساس الألفاظ التي تؤيدها أكبر عوامل الشيوع، فإذا كانت الجهود في الماضي البعيد والقريب قد ألحّت على الاشتقاق والتعريب والترجمة، فقد حدث كثيراً أن ذلك الزاد اللغوي اصطبغ

بروح اقليمية مؤسفة بثّت الاضطراب والفروق بين الألفاظ الموضوعة في هذا القطر العربي أو ذاك. ومن المعلوم أن الفكرة العلمية واحدة لا يعتريها التفكك، مهما كسبت من تلون في المعنى. وعلى ذلك يكون ثراء العربية عبئاً ثقيلاً لا يسدي أية خدمة لها. وقد واجهت مؤسسات لغوية عدة هذا العائق، لكن دون توحيد ولا تنسيق. فقد كان لزاماً على الأقطار العربية إنشاء جهاز تنسيقي في الوقت نفسه الذي أسست فيه المجامع. وكان على ذلك الجهاز الإشراف على العمل الاصطلاحي وتعميم المصطلحات العلمية. وقادت مثل هذه المشاغل إلى انشاء المكتب في المغرب العربي الذي شعر بالحاجة إلى تطوير اللغة بغية تخطيط برامجه في التنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، تلك الأبعاد الثقافية المتداخلة التي في مقدورها خدمة قضايا التعريب واعتباره العامل الرئيسي في التنمية الشاملة.

وإذا أجملنا، يمكن القول إن العمل التنسيقي يستهدف ايجاد الكلمات العربية الموحدة المطابقة للمفاهيم الانكليزية والفرنسية، والتحري في المقابلات الموجودة وجرد المدلولات العلمية. وعلى هذا الأساس، يكون عمل المكتب منطلقاً من مقترح ينظر فيه من وجهة البحث التاريخي اللغوي وفي أصول الكلمات. ثم يضبط قوائم الألفاظ المنسقة التي تناقش في المكتب، ثم تحال على المؤسسات المعنية في الوطن العربي، وأخيراً تحظى بموافقة تامة أو معدلة في أقرب مؤتمر للتعريب. وبالفعل، فقد كان أحد المواضيع المطروقة في مؤتمر ١٩٧٣، الصورة التي بها يقع تطوير العربية إلى مستوى اللغات العلمية. فتبيّن أنها قابلة لأن تكون لغة علمية نامية، لقدرتها على استيعاب العلوم والفنون. وحتى لا يعطل ذلك، ينبغي التعجيل بطريقة توحيد العمل الاصطلاحي بحيث إن المفاهيم التي وضعتها مؤسسة لغوية أو علمية معينة لا ترسخ نهائياً في قطر ما ثم تبقى فيه لا تتعداه، فتجبر الأقطار الأخرى كلها أو بعضها إما على استنباط مفهوم آخر، أو تبحث عنه أنّى تجده. وتيسيراً لشيوع اللفظة العلمية في الأقطار كلها، في الوقت نفسه، لا مفر من استغلال الامكانات العظيمة التي توفرها وسائل الاعلام. فلو خصصنا يومياً حصة صباحية وأخرى مسائية لترويج لفظة علمية أو أكثر، وأشركنا المنتفعين بتلك الوسائل من سامعين ومشاهدين في تلك الحملة الترسيخية، لما تعطلت الأوضاع الاصطلاحية بهذه الصورة المؤسفة. فلم يعد كافياً الاقتصار على المعاجم وحدها لإشاعة اللغة العلمية الصحيحة. والمهم هو أن تكون تلك اللغة جاهزة تحت طلب من يبتغيها لقضاء شؤونه العلمية أو الاجتماعية أو الاقتصادية. وحتى مجرد عرض الفكرة العلمية العامة، فهو يتطلب اختياراً دقيقاً في الألفاظ، لا يخضع لقواعد بلاغية أو لسنن الكتابة الأدبية بقدر ما هو مطلب خاضع للقاعدة العلمية الموضوعية التي تستبعد الأساليب البلاغية الشخصية من جناس ومحسنات لفظية. بل إن اللغة العلمية تقاوم كل إفراط في الأساليب البلاغية بحيث إن العمل على اضافة النصوص العلمية الجيدة في كتب المختارات الأدبية عامل فعّال في ترويج اللغة العلمية العربية التي تفيد لا محالة من الوسائل النحوية والصرفية الجاري العمل بها لتحسين الطرق التي بموجبها توضع مفردات اللغة الدقيقة المعبّرة عن المفاهيم العلمية. وقد طبق ذلك في الألفاظ الحديثة؛ فاشتق من بيضة: بيضي، أي منتوجات البيض، وبيضوي أي له شكل البيضة. وكذلك جرثومي، وجراثيمي عالم في

الجراثيم. وهذه إنما أمثلة على استعمال النسبة في المادة العلمية. ولا يمنع ذلك من الاعتراف أن البحث عن الدقة في الدلالة والصرف أدى إلى ابتكار صيغ ضعيفة، مثلاً تقييف (تزيين)، وتعَنّي بدل علم دلالة الألفاظ. أما عن الربط بين الخلق العلمي والتدريس العلمي بالعربية، فذلك مدعاة لربط التطور اللغوي بالرقي العلمي. أضف إلى ذلك أن تفرغ الطالب مدة إلى التأهل بالعربية العلمية، يجعله مستعداً للتخصص باللغات الأخرى، لأنه لا يمكن استيعاب المعرفة باللغة القومية فقط (ينشر سنوياً مليونان من المقالات العلمية بأربعين لغة). فترتب عن ذلك انتقاء الأبحاث وترجمة ما نحن في حاجة إليه. وتلك كانت طريقة القدامى، وعلى رأسهم هارون الرشيد مؤسس بيت الحكمة التي تولى بعده ابنه المأمون دفع العلم العربي أشواطاً وأشواطاً. والمعتقد بعد هذا أن الرغبة في تطوير العربية لا شك فيها، وهي تتفق مع اتجاه المكتب. ومن حق كل قطر أن يسهم بقسطه في هذا المضمار، لكن مع الاحتياط من الإغراق في بعث لغة علمية محلية، فيؤول الميل إلى ترقية اللغة إلى عمل انعزالي فاصل. ويستفحل هذا الوضع في الكليات ومع الفريق الواحد من الطلاب، إذا تقاسمه استاذان في التمارين التطبيقية. ويجتهد كل منهما في ترويج لغته العلمية التي اجتهد في ابتكارها، فربط بذلك مصير طلبته العلمي الذي هو أمر موضوعي أصلاً، برغبته في تفضيل مصطلح على آخر أو الاستدلال على مبدأ علمي بعبارة غريبة غير شائعة. فإذا بلغ الوضع هذا الحد من البلبلة بالنسبة إلى صف من الطلاب، فما بالك به على صعيد الوطن العربي؟ ومن هذه الزاوية، يتضح إلى أيّ حدٍّ يتأيد موقف أنصار تقديم التعليم العالي باللغات الأجنبية، ويكمن ادعاؤهم أن المفهوم الأجنبي فريد يسمح بالوحدة الفكرية، في حين أن تعدد الألفاظ بالعربية يبعث على الاضطراب الفكري. فهل يفيد بعد ذلك أن نقول للطالب إن اللغة العربية العلمية كانت مفهومة في الأندلس أو في الهند في عصر البيروني وفي بلاد ما وراء النهر في عصر ابن سينا؟ لا خلاف أن اتساع المعرفة يعني التشعب والفروق، لكن الفروق لا تشمل إلا الجزئيات المحلية. أما المبادىء فهي مستقرة شائعة على الصعيد العالمي، وهي تكون أوثق رباط بين العلاقات الدولية. فبوجود أجهزة الجامعة المتخصصة، ومنظمتها الثقافية ومكتبها لتنسيق التعريب، وبوجود اتحاد المجامع، والجامعات، بصفتها وحدات ثقافية لا تخضع للشكليات الادارية، والاتحادات العلمية القطرية، فلا يفهم كيف لم يبلغ الشعور حداً من الرهافة بحيث يكون التوحيد اللغوي عامة أول دافع على التنمية العلمية. فمهما كان للمكتب من كفاءات، فلا ريب أن تدفق المصطلحات من كل قبيل يحد من انتاجيته في هذا الحقل، إذا لم يتأيد بشعور شامل بالأهمية القصوى التي يكتسيها التوحيد في المدركات العلمية. إن تعاونه مع تلك المؤسسات عامل فعّال في التقدم بالوحدة الاصطلاحية خطوات شاسعة. ويكون ذلك لو اتفقت المؤسسات الاصطلاحية في ما بينها على أحسن السبل التي تمكّنها من تنسيق عملها بعمل المكتب، بحيث يعرف كل جهاز حجم صلاحياته. وفي الجملة تحدّدت بصورة واضحة اختصاصات المكتب في اعتباره جهازاً مركزياً لتجميع الوثائق العلمية اللغوية الصادرة عن الهيئات العربية، وحتى الأجنبية، العاملة على بلورة اللغة العلمية العربية ومصطلحاتها، ومبتغاها في ذلك التعاون مع المكتب على تكييف اللغة العربية بحاجات الحياة العصرية.

الفصْل الثالِث

منهجيّة التنسيق بين المعاجم

لا شـك أن العمل الـرئيسي الذي يقـوم به واضعـو المصطلحـات يبقى محدوداً لـو قنع بضبط بعض القوائم ونشرها في مجلة معينة لا تتعدى حدود رواجها القـطر الذي تصـدر فيه. والعبرة لا محالة بشيوع تلك الألفاظ بين أكبر عدد ممكن من المستعملين لها. ولا شك أيضاً أن العمل يزيد قيمة بقدر ما أحيط بوسائـل البحث اللغوي والتحـري في شكله الذي وزن بـه، وخصوصاً بنصاعته الإدراكية، بحيث يكون قد صيغ صيغـة علمية تعتـبر أول ما تعتـبر قوتـه الإدراكية حتى يكون في مستوى المفهوم الـدولي. ولا سبيل إلى كـل هذه المميـزات إلاّ ضمن مؤسسات لغوية علمية تعمل بقواعد ثابتة دقيقة واضحة، وقد هيّأت لعلمائها وخبرائها مختلف أدوات العمـل المعجمي وعلى رأسهـا القواميس العـالمية والمـوسـوعـات العـربيـة والأجنبيـة، والمعاجم قديمها وحديثها الأحادية اللغة أو مثناتها أو متعددة اللغات، وذلك منهج سارت عليه المجامع كما سار عليه المكتب. ويضاف إلى ذلك اعتماد معاجم صغرى أو متـوسطة الحجم أو حتى قوائم اصطلاحية في مواد متخصصة علمية أو تقنية من وضع المجامع العـربية الأربعـة، منذ أن أنشىء مجمع الأردن، كما سبق أن بيّنا. تلك مصادر من الدرجة الأولى تعتمد لتقعيـد العمل المعجمي على قواعد تتبلور عند انجاز تنسيق الألفـاظ العلمية المـوضوعـة في مؤسسات متعددة، وذلك الدور أنيط بالمكتب الذي يجمع ما وضع بتعريفاتها مهما كان مصدرها، ويحال ذلك على قسم المصطلحات ومشروعات المعاجم «المختص بتبويب هذه المصطلحات تبويباً موضوعياً، وترتيبها ترتيباً هجائياً، وإثبات مقابلها الانجليزي والفرنسي مع إثبات ما لهـا من تعريفـات، ويشار إلى مـا اتفق عليه منها وما اختلف فيه، ثم تطبع في كراسات خاصة بحيث تكون صالحة للعرض. ولا يعرض على الحلقـات والندوات إلا المختلف فيه»[1]. وبعد عرض ذلك على مؤتمـر التعريب، تنشر تلك المعـاجم المنسقة باسم المنظمة والمكتب اللذين يتصرفان في حقوق نشرها دون غـيرهما. وتـرقباً للمؤتمـر الرابـع للتعريب المقرّر عقده في ١٩٨٠، علماً أن المؤتمر الخامس يوافق انتهاء تحقيق التخطيط الخماسي

(١) اللسان العربي، السنة ١٣ (١٩٧٦)، ص ٣٥٨.

في ١٩٨٣، فإن الحركة المعجمية التي غطت إلى الآن مواد التعليم الثانوي، وبداية في التعليم العالي في بعض مواده، فإن المقترحات منصبة على تحقيق ذلك في آخر مرحلة هي المرحلة العليا، بصورة تشمل المناهج الجامعية واطاراتها المدرسية التي ينبغي الرفع من مستواها التعريبي في دورات تدريبية ضمن تخصصاتها. وقد طرحت هذه المسألة للدرس في ندوة خصصت للبحث في قضايا التعريب وعقدت في طرابلس في ١٩٧٥. واستكمالاً لدربة الأساتذة، عرض على النظر مشروع «إنشاء أكاديمية التعريب في الجامعات العربية أملاً في أن يتحقق بواسطتها وعن طريقها تهيئة الكوادر المؤهلة القادرة على تسيير متطلبات تعريب التعليم في الجامعات والمعاهد العلمية. . ولو نظرنا إلى واقع الأفراد العلميين ممن يمارسون التدريس والبحث العلمي في الجامعات العربية اليوم، لوجدنا أن عدداً كبيراً منهم بحاجة إلى ممارسة اللغة العربية قبل غيرهم، وأنهم بحاجة إلى فهم قواعد هذه اللغة واستيعاب متطلباتها»[٢]. ولذلك، كان لزاماً على الجامعات وبعد تهيئة المصادر اللازمة تحسيناً للعمل المعجمي أن تساعد الأساتذة الذين درسوا في بلدان أجنبية، على التمكّن من اللغة العربية لمواكبة الحركة التعريبية، ذلك أن أمر استغلال المصطلحات والمعاجم الموضوعة والمشاركة في المؤتمرات التعريبية والندوات المتخصصة التي تنظّمها المؤسسات العربية، وجرد ما يصدر من قوائم بالألفاظ الجديدة، ومتابعة الحركة المعجمية عامة في مختلف الفروع العلمية، كلها أدوات صالحة للعمل، لا لدى الخبراء فحسب، بل أيضاً عند العلميين الذين هم في حاجة أكثر من غيرهم إلى استغلال الأدوات اللغوية خاصة منها التي تعالج قضايا تخصصهم. وقد ذكرنا آنفاً كيف أن ما يرد من طلبات على المكتب في خصوص المقابلات العربية للمصطلحات الأجنبية جعله ينمي من عدد تلك الأدوات المساعدة على العمل الاصطلاحي والمنشورة في اللغة العربية أو التي تكون فيها هذه اللغة طرفاً بحيث إن عدد المصادر المعجمية يوسع من دائرة ما يراد من نجاعة للعمل التنسيقي ذاته. ومشاركة أهل الصنعة من العلميين والتقنيين والخبراء كفيلة قبل أي انتاج اصطلاحي بإدخال ما ينبغي من تحسينات على المنهجية بجميع مظاهرها، سواء في إعداد الأبحاث بالعربية أو انتاج المعاجم بعد وضع مصطلحات لها، أو استغلال ما بالمصادر العربية والأجنبية من امكانات لغوية تفيد الحركة المعجمية[٣]. فكل ذلك يشكل مجموعة من العناصر المتكاملة المؤيدة لإنجاز التعريب. فمثلاً، نجد من بين الاعتراضات على التعريب الاحتجاج بأن الوطن العربي يمر بأزمة حضارية شاملة، وأن علماءه لا قدرة لهم على مواكبة ما يجدّ في العالم من مستحدثات علمية. وترقّباً لحل تلك الأزمة، لا بد من الاستمرار في استخدام لغة ثانية، والاقتصار على نشر العربية في المواد الأدبية والانسانية إلى أن يتجسّم النشاط العلمي العربي في الابتكارات

---

(٢) كمال عبد الله قبيسي، «عمليّة التعريب ومستلزماتها في المجالات العلمية والتعليمية،» **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ١، ص ١٢٤.

(٣) انظر: محمد حسن آل سيني، «المعجم الذي نطمح إليه،» **مجلة المجمع العلمي العراقي**، السنة ٣٩ (آذار/ مارس ١٩٨٨)، ج ١، ص ٢٩ ـ ٥٧؛ وأيضاً: يوسف عز الدين، «المعجم الذي نريده،» **مجلة المجمع العلمي العراقي**، السنة ٣٨ (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٧)، ج ٤، انظر: عفيف عبد الرحمان، «من قضايا المعجمية العربية المعاصرة،» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ١٢، العدد ٣٥ (تموز/ يوليو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٨)، ص ١١ ـ ٧٤.

والاكتشافات العلمية والتقنية. ويتجسّم المشكل في الميل إلى عدم المسارعة بالتعريب لفقدان الأساتذة الأكفاء والكتب العلمية. فكأن تلك العوامل تخلق عفوياً إن لم نعمل على خلقها وإعدادها. ولذا، ارتبطت قضية التعريب بالإنتاج المعجمي الذي يجتهد على تجسيمه الخبراء واللغويون. وعلى هذا الأساس لا يمكن التريّث إلى أن تبرز المعاجم ومعها حصيلة المصطلحات التي لا يتوقف ابتكارها في العالم ولو لحظة. ثم «هل بلغهم أن هذه المصطلحات الجديدة لا تبدأ في الظهور حتى تحققها المعاجم؟ أم هي تنبت مباشرة من الباحثين والمدرسين والمؤلفين السبّاقين، يصدرونها لكي ينقل ما يتداولونه من المفاهيم؟ وعلى المعاجم بعدئذ دورها في تحقيقها ورصد استعمالاتها حتى تصبح مرجعاً للاحقين»[٤]. طبعاً، يمكن أن يُعترض بأن المبادرات الفردية إذا تكاثرت، فستبث البلبلة في الجهاز الاصطلاحي وتسد الطريق أمام العمل المنهجي المنسق الذي تتضافر على إعداده المجامع والمؤسسات العلمية وأجهزة عربية رسمية مثل المنظمة والمكتب. وقد سارت المنظمة فعلاً على منهجية مدققة، وبموجبها تختار الخبراء لتنوّع لغتهم واختصاصهم ويجرد هؤلاء اللغة العلمية من الكتب المدرسية، وترتب في قوائم، «وأمام كل مصطلح مقابله العربي المستعمل فعلاً في الكتب المدرسية المقررة وفي لغة التدريس في بلد الخبير»[٥]. واعتماد لغة الخبير الأجنبية التي يدرس بها أو يتقنها اضافة إلى اتقانه العربية، هو المنطلق للتفكير في وضع ما نحن في حاجة إليه من معاجم جزئية علمية متخصصة في مادة أو فرع من الفروع العلمية والتقنية. وبذلك، يتكاتف استغلال ما وجد من قواميس تقليدية كبرى وموسوعات عالمية وعربية، واستحداث ما يجب من معاجم علمية متخصصة لمساعدة الطلاب والأساتذة والاداريين والأفراد على التعامل اليومي مع اللغة الفصحى العلمية، كما تعوّدوا معايشتها في حقل الأدبيات والشؤون الدينية والانسانية والاجتماعية، واعتبروها أداة لتفكيرهم وتثقيفهم وترسيخهم في بيئتهم الأصلية.

١ ـ استغلال القواميس القديمة[٦]

تشكّل المعاجم القديمة مرجعاً أساسياً للغة العربية الفصحى عبر العصور، رغم ما مرّت به تلك اللغة من مؤثرات. وقد عايشت فعلاً، خلال القرنين التاسع والعاشر، فترة تمازج، يمكن مقارنتها بفترة التمازج اليوناني اللاتيني في آخر القرن الثاني، وفترة التمازج اللاتيني الروماني، وأخيراً فترة الثورة الفرنسية[٧]. لكن اللغة ظاهرة حية، وينبغي أن تستجيب لحتميات كل عصر، وتدوّن معجماً يسجل الكلمات بمعانيها الراهنة. ويبدو أن المعجم العربي قد تأخر عصوراً عدة عن المنهجية المعجمية الحديثة، وقد أثبت ذلك أنيس

---

(٤) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ١، ص ١٣٨.

(٥) **اللسان العربي**، السنة ١٣ (١٩٧٦)، ص ٣٦٦.

(٦) ابراهيم السامرائي، **المعاجم العربية القديمة**، الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة العربية الأردني (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٣)، ص ١٨٣ ـ ٢١٤.

(٧) «Notes sommaires sur la formation des noms abstraits en arabe et l'influence des modèles grecs,» *Revue d'études islamiques* (1934), p. 510.

المقدسي[8]. ومع ذلك فإن العربية خضعت لسنّة التطور منذ عصر الخليل، رغم أن كتب اللغة الفصحى استمرت على تحديد اللغة بدلالات متجمدة منذ العصر الجاهلي والقرن الأول الهجري. وقد تخصصت اللغة في كونها أداة القرآن المعجز من جهة، وأنه يتحتم تطويرها من جهة أخرى[9]. ومن رأي ابن جنّي أن اللغة عبارة عن جملة من السلاسل التي ظهرت مع حاجات المتكلمين في شكل مولدات صيغت قياساً على ما وجد أصلاً في صورة خلافات لغوية. وأضاف ابن فارس أن اللغة والكتابة العربية من الوحي الإلهي[10]، ولذلك فالجمود المعجمي مبرر، رغم ما فيه من حيف يعوق تطور اللغة ومجاراتها متطلبات العصر الذي توجد فيه. من ذلك أن القواميس العربية لا تورد معلومات عن الكلمات التي أضيفت للغة القرشية بعد ظهور الاسلام، ولا عن الكلمات التي شاعت في عصرٍ ما ثم أهملت في العصور الموالية[11]. الواقع أننا «نتطلع إلى معجم تاريخي يضع للفظة تدرج معانيها في الاستعمال، ويعرض هذا التدرج مقروناً بشواهد، وهو عمل ضخم وكبير، ولكن أهميته تضائل من شأن كل جهد أو نفقة في إعداده. ونتطلع كذلك إلى معجم تاريخي يورد أقوال اللغويين ضمن تتابع تاريخي...»[12]. وحتى ابتكار النقط النائبة عن الحركات لاقت معارضة في البصرة، لأنها لم تتفق ومبدأ نزول القرآن ونكران خاتمه بحيث يكون القرآن الكريم في مأمن من كل محاولة تحويرية. وإلى جانب ذلك، هناك مصالح شخصية ينبغي حمايتها، نعني جماعة قرّاء القرآن الذين حفظوا نصه عن ظهر قلب بغية تعليمه، وكانوا يروونه للحفّاظ. فكان ظهور الحركات بمثابة الخطر المتهدّد لوضعهم الاجتماعي ونفوذهم الديني[13]. وإذا أفدنا من لفظة قاموس الضخامة في الحجم وتوفر كل مفردات اللغة التي أحاط بها ذلك التأليف الذي دلّ في الماضي على ما خلفه الأجداد من تراث لغوي نما من عصر إلى آخر، صار المعجم اليوم دالاً على جملة كلمات اللغة المرتّبة على الهجاء العربي، وتحدّد مدلول المعجم أكثر من ذلك، فاتجه إلى معنى تخصصي في مادة علمية معينة، فصار ما عرف بـ **المنجد** يشتمل على مواد اللغة عامة، وصار المعجم يستدل به على الفروع العلمية والفنية المحددة في كلماتها والتي يضاف إلى عربيتها لغة أو لغات أخرى.

وكانت تعرف قديماً معاجم أصيلة طريفة ألّفها بعض النحاة الذين كانوا يناقضون قواعد القياس المجمع عليها ويدرجون عبارات جديدة، شرحاً لكلمات فصيحة، في حين أن إحدى ميزات المعجم في الماضي كانت متمثلة في الإحجام عن استخدام عبارات غير مستمدة من

---

(8) «نظرة في تطور المعجم العربي،» **أبحاث**، السنة ٢ (آذار/ مارس ١٩٤٩)، ج ١، ص ٣٥.

(9) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **معرفة أحوال اللغة**، ص ٥٥ ـ ٥٨.

(10) محمد المبارك، **النثر العربي**، ص ٢٠٧ ـ ٢١٨.

(11) «فن البناء في آخر القرن التاسع عشر،» **المشرق**، السنة ٢، العدد ١ (كانون الثاني/ يناير ١٨٩٩)، ص ٦٧.

(12) شكري فيصل، «قضايا اللغة العربية المعاصرة: بحث في الاطار العام للموضوع،» **اللسان العربي**، العدد ٢٦ (١٩٨٦)، ص ٣٣.

(13) Charles Pellat, *Le Milieu basrien et la formation de Gāhiz* (Paris: Maisonneuve, 1953), p. 76.

الفصيح الجاهلي أو من صدر الإسلام[14]. وكان العمل اللغوي في القرن الأول الهجري متجهاً إلى شرح غريب الكلم في القرآن والحديث والشعر، وتمادى العمل اللغوي حتى القرن الثاني عشر. وبهذا المعنى، عمل المعجميون على تضمين الأحاديث النبوية الثابتة بأسانيدها القوية والضعيفة تدليلاً على استعمالات لفظ معين في سياق معين. والملاحظ أنهم لا يذكرون نص الحديث للتدليل مثلاً على أن الفعل لازم أو متعد، بل كانوا يروون على مشيئتهم ما يحلو لهم من أحاديث والتصرف فيها. لكن القاعدة المعجمية الحديثة عدلت عن هذه الطريقة التقريبية الشخصية، ولجأت إلى طريقة موضوعية تستشهد بالنص الحرفي لأن النص وحده يبرر استخدام لفظة معينة في سياق محدد[15]. وكان هدف المعجميين القدامى صادقاً في البحث وتدوين وتجميع اللغة العربية الفصحى. فاتجه اجتهادهم إلى التنقيب عن الغريب، وعن جنس الكلمات وعددها إفراداً وتثنية وجمعاً، ومزايا الانسان والحيوان والنبات وصفاته، وأصناف البشر والمواضيع والبلدان، ومسائل الاشتقاق والترادف والمشترك، واللحن وشرح الكلمات وما كان منها معرباً[16] إلى آخر ما هنالك من مسائل معجمية.

ويبدو أن الصينيين كانوا أول من وضع المعاجم في العالم، وذلك قبل قرون من الميلاد، فاعتمدوا الرموز الموجودة في اللغة الصينية، وعملوا بطريقة دقيقة في موضوعيتها. وعلى هذا، يكون المعجم الصيني قد سبق النحو اليوناني[17]. ومن المحتمل أن المعاجم العربية ظهرت في بلاد ما بين النهرين، وذلك قبل ظهور المعاجم الصينية بمدة طويلة، هذا إذا اعتمدنا لوحات من طين من العصر الشومري كشفت منذ بضع سنوات، وقد نقش عليها كلمات بشروحها[18]. وتبلور المعجم العربي حقاً مع **العين** للخليل، وهو أول قاموس يتضمن الأصل بمشتقاته. وما زال المعجميون المعاصرون يتدارسونه بكامل الإكبار والعناية، لما أبرزته طريقة وضعه من عبقرية في اللغة العربية الفصحى المجموعة بمثل تلك الطريقة الدقيقة التي ابتكرها مؤلفها. وما زالت يعترف لها بأنها الطريقة المثلى لترتيب الكلمات[19]. ذلك أنها تورد المعلومات اللغوية المحيطة بالكلمة، وأيضاً عناصر صالحة للمعرفة الصوتية الضرورية لوضع المعاجم، بحيث إن عالم اللغة يجد في مثل هذا التأليف أربعة عناصر متكاملة هي التهجية والنطق

---

(١٤) **مجلة مجمع اللغة العربية** (بغداد) (١٩٥٩)، ص ٥١.

(١٥) أنستاس الكرملي، «الكفل: تعريفه ووصفه،» **المشرق**، السنة ٢، العدد ١ (كانون الثاني/ يناير ١٨٩٩)، ص ٦١ - ٧١.

(١٦) عدنان الخطيب، «المعجم العربي،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (دمشق)، السنة ٤ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥)، ص ٢٠٣.

(١٧) تمام حسان، **مناهج البحث في اللغة** (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٥)، ص ٢٣١.

(١٨) **هنا لندن** (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٥).

(١٩) انظر: نجيب اسكندر، «صناعة المعاجم والجدول الهجائي الكامل،» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ٣، العددان ٧ - ٨ (كانون الثاني/ يناير - تموز/ يوليو ١٩٨٠)، ص ٣٣ - ٤٧. وقد تطرق مجمع القاهرة في الدورة ٥٣ (١٩٨٧) إلى الميزات الواجب توفرها في المعجم العربي الأصيل، انظر: عدنان الخطيب، في: **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ١١ (تموز/ يوليو - كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٧)، ص ١٢٩.

والقاعدة النحوية والشرح[20]. وقد نهج الخليل نهجاً بموجبه تمكن من اعادة تشكيل المعجم العربي انطلاقاً من كل التركيبات الممكنة نظرياً في معاني الكلمات. ويبدو بعد ذلك التخلي عن الأصول النظرية وإهمالها أمراً معقولاً، لأنها لا تجد مبرراً في الاستعمال. ولا يمكن قبول خلق الخليل معاني الجذور خلقاً اعتباطياً لأنه محصها ووضعها على قاعدة حسابية رياضية لا غير[21]. والحقيقة أنه لا يمكن اعتبار المعجم حاوياً اللغة كلها. فهو يتضمن كلمات مستمدة من نصوص قليلة جداً بالنظر إلى ما شاع في لغة الاستعمار، والتي أمكن حفظها وتدوينها. وقد وضعت الأوزان استنباطاً من الكلمات، وصارت أقيسة لما يولد من ألفاظ. فصارت قضية تجميع اللغة أمراً تجاوز الرواة والكتب، لأن اللغة كائن حي يتطور باستمرار، ولا يقف حجم مفرداته عند حد معين[22].

ولا شك في أن القواميس القديمة تضمّنت بعض العيوب المترتبة على وضعها في ظروف غير ظروفنا ولحاجات غير حاجاتنا. فكان ما احتوته من كلمات وما تلاها من شروح ضافية، خدمة لفائدة فهم كتاب الله وسنّة رسوله أولاً وبالذات. وتطور الأمر إلى أن صار تدويناً لغوياً اعتمد لغة العصر الجاهلي والقرن الأول. كان وضعها سيئاً بمعنى أنه حدّد غاياته، ولم يعن مثلاً بتوحيد اللغة بقدر ما عني بتأكيد وفرة اللغة العربية وثرائها الطائل. فلم تتحد أساليب البحث عن دلالة الكلمات وما يجب من رموز تيسيراً للبحث اللغوي: نجد من بين المقترحات الحديثة بعض الجهود في تبسيط ذلك، كأن يقال (مُكَرْنَثْ) مقابل الألفاظ التي تقبل التذكير والتأنيث[23]. ولم تثر مسألة ترتيب الكلمات، وهل يكون ذلك على ترتيب حروف الكلمة أو على الاشتقاق؟ وترتيب الفعل في الماضي، وتحديد الشرح الواحد باللفظ الواحد، واستيفاء مختلف معاني الكلمة الواحدة، وحذف الكلمات المشتقة من أصول ضعيفة أو الشائعة في قبيلة معينة، وعلى الحد من دلالات المترادفات. وتعويضاً عن كل هذه المحذوفات، يستحسن اضافة أفكار الحياة العصرية والمصطلحات العلمية[24]. ذلك هو الرأي السائد لدى المؤسسات اللغوية والعلمية العربية، بحيث انها تتعهد بالسهر على صيانة اللغة من كل تحريف يمس بسلامتها، وفي مقابل ذلك، تعمل على تخليصها من الشوائب العالقة بها لحدّ الآن، خاصة في الحقل المعجمي[25]. وهي ترى لزاماً عليها تناول التراث المعجمي، أي

---

(٢٠) حسّان، مناهج البحث في اللغة.

(٢١) Pellat, *Le Milieu basrien et la formation du Gāhiz*, p. 76.

(٢٢) محاضر مجمع القاهرة، ١٩٤٨، ص ٧.

(٢٣) وهيب دياب، «عثرات الأقلام،» اللسان العربي، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ٢، ص ٢٢.

(٢٤) فؤاد حنا ترزي، «المعاجم العربية وضرورة تهذيبها وتطويرها،» مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)، السنة ٤٧ (نيسان/ ابريل ١٩٧٢)، ج ٢، ص ٣٩٢.

(٢٥) «إن دراسة نظام المعجم العربي ترتبط بدراسة مراحل نشأة اللغة العربية ونشأة الكلام الانساني: لذا يجب أن يدرس نظام المعجم العربي على ضوء الأطوار والمراحل التي مرّت بها نشأة الكلام الإنساني» (ص ٩١). انظر: جعفر دك الباب: «نظرة جديدة إلى المعجم العربي، القسم الأول: مراحل تشكّل نظام =

اللغـة المدوّنـة بكلماتها، بـالمراجعـة والتقييم على مقـاييس متطلبـات الـظاهـرة الاصـطلاحيـة الحديثة، يحدوها في ذلك عنايتها باللغة وقضاياها عـامة، التي ليس من حقهـا اهمالهـا حتى لا تتهم بأنها تؤسس عملها على سلامة لغوية معينة حتى ولو كانت نسبية، ومع ذلك فهي شاعرة بالواقع اللغوي المعاصر. فالمجـامع مثـلاً تستخدم يـومياً مـا لديهـا من موارد معجميـة قديمـة وحديثة، ويتـاح لها بـذلك فـرص للبحث الدلالي المقـارن بين مـا ينضوي في بـاب الكلمات القديمة وبين ما ظهر من كلمات حديثة. ومفاد ذلك تجلية ما أمكن من ألفاظ استغلقت علينـا معانيها، وذلك بموازاة الألفاظ القديمة والحديثة واستنطاقهـا واستخراج مـا حوت من دلالات ماضية وباقية. وعلى هذا الأساس، تأكدت الاستعانة بالمعـاجم الكبرى، منهـا **لسان العـرب** لابن منـظور (توفي سنـة ١٣١١/٧١١) الأفريقي المغـربي. وقد اشتمـل تـأليفـه عـلى ثـمانيـة مجلدات. وعرفته الـطبعة الأولى بـأنه جـامع اللغـة والنحو والصرف والفقـه والأدب والتفسير والحـديث[٢٦]. وابن منظور (ولـد سنـة ٦٣٠هـ) رتّب كـما هـو معلوم الأصـول عـلى الحـرف الأخـير، ومقصده من ذلـك مساعـدة الشعراء في البحث عن القـافية. وكـما تـواتـرت عـادة أصحـاب المعاجم في تلك العصـور، فقد استقصى وجمـع ما مضى من تـآليف لغـويـة، منهـا **الصحَـاح** للجـوهــري (تـوفي في ١٠٠٦/٣٩٧) وهــو المعجم المخـير عــلى غـيره لسهــولـة استعماله، وقد اشتهرت مقـدمته التي كتبهـا الأمير السعـودي فهد بن عبـد العزيـز، وعرفنـاه بفضل ما كتب عنه من تحقيقات. وقد أكّد عباس محمود العقـاد أن المقدمـة صالحـة أن تكون فاتحة لكـل المعاجم العـربية. ولم ينكـر ابن منظور أن معجمـه (٩٤,٠٠٠ كلمة) مـرتب على فصول، على طريقة **الصحاح**، **والجمهرة** لابن دريد (توفي سنـة ٩٣٣/٣٢١)، **والمحكم** لابن سيده (توفي سنة ١٠٦٦/٤٥٨) الذي ألّف بعد مدة قصـيرة من ظهور **الصحـاح**. **والصحاح** يعترف له بـالأسبقية بـين المعاجم التي ظهـرت في الغرب الاسـلامي[٢٧]. كما اشتهـر **التهذيب** لـلأزهري (تـوفي سنـة ٩٨٠/٣٧٠). وإذا مـا أشرنـا إلى **القـامـوس المحيط** للفـيروزابـادي (٧٢٩ ـ ٨١٧ هـ/١٣٢٩ ـ ١٤١٤ م)، فلا شك أننا سنلاحظ أن هـذا التأليف اشتمـل على أسماء المكان التي توردها عادة معاجم البلدان. وقد انتقد **القاموس المحيط** لهذه البادرة لكـونه قاموساً مخصصاً للغـة. لكن تبين في مـا بعد أن هـذا الإلحاق كـان مفيداً لفقـدان الخرائط في عصره. وقـد تخلّى عن الشـواهد، واستخـدم الحروف رمـوزاً واختصارات، وقـد ظهر بعـده وبـوحي منـه مختصر من **المحيط** اقتصر عـلى الكلمات الشـائعــة، محتفـظاً لـ **القـامـوس المحيط** بالشروح الطويلة، إتاحة للقارىء فرصة التعرّف على الكلمات الصحيحة المـطابقة لـلاستعمال

= المعجم العـربي واكتمالـه،» **اللسان العـربي**، العدد ٢٦ (١٩٨٦)، و«نـظرة جـديـدة إلى المعجم العـربي، القسم الثاني: المبادىء التي يقوم عليها نظام المعجم العربي والتسلسـل الزمني لـظهورهـا،» **اللسان العـربي**، العدد ٢٧ (١٩٨٦)، ص ١٢٧ ـ ١٣٧.

(٢٦) أبو الفرج محمد أحمد، **المعاجم اللغوية في ضوء دراسـات علم اللغة الحـديث** (بيروت: ١٩٦٦)، ص ٢٦.

(٢٧) *Miscelanea de Estudios Arabes y herbraicos* (Granada: Universitas Granada, [n.d.]).

الاجتماعي[٢٨]. وكان لشهرة **القاموس المحيط** مفاعلات معجمية أبرزها ما ألّفه الزبيدي من تعليق وشروح ضمنها تأليفه **تاج العروس**[٢٩]. «ويعد **التاج** خلاصة ما سبقه من قواميس، كما يعد آخر المعجمات المطوّلة التي اتبعت نظام الباب والفصل أو نظام القافية، لأن مدخل الكلمات فيه حرفها الأخير. ولقد ظهرت شخصية الزبيدي فيه إلى حد جعله يفوق مجرد شرح أو تعليق إلى أن يصير في نظر اللغويين كتاباً مستقلاً ومعجماً قائماً بنفسه»[٣٠]. ولحداثة **تاج العروس**، واستمراره في ترتيب أصوله على الحرف الأخير، اعتبر الزبيدي (توفي ١٢٠٥/١٧٩١) مقلداً لابن منظور في **لسان العرب**. أما ابن سيده، من مدينة مرسيا، فقد صنّف **المخصص**، ودوّن فيه الأسماء والموصوفات وبوبها على المواضيع، ثم ذكر صفات الأشياء القريبة من الاسم الأول[٣١]. ولنا أن نتساءل عن مدى تجديد تلك المعاجم التي أفادت في عصورها، وتستمر فوائدها لو أتيح للخبراء في علم المعجمية العمل على تطويرها.

وقد كان **لسان العرب** فعلاً محل مراجعة بدأت مع الشيخ المؤيد لسلامة اللغة العربية، لكنه يقول بالاتجاهات الحديثة في تعصير المعاجم العربية، نعني عبد الله العلايلي مؤلف معجم على الطريقة القديمة مع إضافة فصل في المصطلحات العلمية والتقنية. وقد ورد في المقدمة الجديدة اتجاه جديد مفاده أن العربية لم تعد لغة الشعر والخطابة والماورائيات فحسب، بل صارت أيضاً أداة لنقل المعرفة العلمية المتجسمة في الكشوفات والمخترعات.

وقد كان **لسان العرب** محل تحقيق أول قام به عبد السلام هارون، وتلاه تحقيق ثان وطبعة جديدة أشرف عليها مهاجر سوري من البرازيل هو يوسف خياط الذي أفادنا أن حنينه إلى اللغة العربية دفع به إلى العودة إليها عن طريق **لسان العرب**، لما يشعر به المهاجرون من غربة فكرية، ولاعتقادهم أن لغة الضاد هي الرباط الذي يقاومون به روح الانبتات. وانطلق بمنهجيته من نظام الجذاذات وإعادة ترتيب الأصول على الحروف العربية، لا على الحرف الأخير في الكلمة، كما وقع في طبعة بولاق في عشرين مجلداً. وسنة ١٣٧٤/١٩٥٥، ظهرت طبعة صادر في بيروت في ١٥ مجلداً ثم في ٨ مجلدات، وأضيفت شروح الكلمات التي أغفلها ابن منظور. ثم صدرت الطبعة الجديدة (كلفتها نصف مليون ليرة لبنانية) في ثلاثة مجلدات (١٩٥٦ - ١٩٧٠) في بيروت، واستغلت الامكانات الجديدة في الطباعة لتصغير حجم الحروف من ٢٢ إلى ١٦. وقد رتّبت الهوامش التي لا يحتاج إليها القارىء الباحث عن شرح المفردة، وألحقت بآخر كل مجلد، في حين أن الطبعات السابقة وضعتها أسفل الصفحات.

---

(٢٨) الطاهر أحمد الزاوي، **مختارات القاموس مرتب على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير** (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤).

(٢٩) انظر: ابتسام مرهون الصفار، «دراسة جديدة عن الزبيدي وكتاب تاج العروس،» **اللسان العربي**، العدد ٢١ (١٩٨٣)، ص٢١ - ٢٦.

(٣٠) أنور الجندي، «المصطلحات العلمية في اللغة العربية،» **اللسان العربي**، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ١٣٠.

(٣١) «المعجم العربي الألماني: منهاجه وموضوعه،» **اللسان العربي**، السنة ١ (حزيران/ يونيو ١٩٦٤)، ص ١٣٢.

وأضيف ملحق هام من المصطلحات العلمية التي اقتبس جانب منها عن ابن منظور، وأدرجت في أربع لغات هي العربية والانكليزية والفرنسية واللاتينية. ومن خصائصها إدراج المعنى العلمي للكلمة، مثلاً «سعر» كلمة لغوية تتضمن دلالة علمية خاصة بالطاقة الحرارية المترتبة على الغذاء.

وكما سنرى في الفصول القادمة، يمكن أن نتساءل عن مدى النجاعة الحاصلة من تحقيق المخطوطات والكتب القديمة. الفائدة الأولى من ذلك أن إحياء التراث يتيح لنا فرصة فريدة في العودة إلى اكتشاف اللغة القديمة وتغذية المعجم العربي بما يمكن من إحياء القديم من الكلمات والعمل على إشاعتها من جديد في زاد اللغة المعاصرة الحية المتطورة باستمرار. ثم إن إحياء التراث يقدم أيضاً قضية التنمية الثقافية والفكرية عامة ويساند ما نرومه من تقدم وحضارة علمية. فلا عجب بعد ذلك أن تجاز الكتب المحققة، كما حصل لمعجم أحمد بن فارس (٣١٢ ـ ٣٩٥هـ) **متخير الألفاظ** الذي نشرته مجلة المكتب[٣٢] (في ١١٠ ص)، بعد أن تم تحقيقه في كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠، بحيث تعرفنا على عصر المؤلف ومحيطه العلمي والأدبي. من ذلك أنه عاش في عصر انقسامات ونزاعات سياسية، وانتزاع أملاك، ووطأة الجباية العقارية والزراعية، ومجاعات وحروب بين الفرق. لكن رغم كل هذه الظروف السيئة، عاش ابن فارس فترة رخاء ثقافي ازدهر في مراكز تنافست في جلب العلماء، وساعدت على ظهور موسوعات في القرن الرابع الهجري. كان ابن فارس بارعاً في الفقه ومناظراته حيث انتسب إلى المذهب الشافعي ثم تحوّل عنه إلى المالكية. ومن بين شيوخه أبوه العالم الفقيه، ومن تلاميذه الهمذاني صاحب المقامات. كان ابن فارس عالماً وشاعراً. وقد نشر له ١٥ كتاباً، وله خمس مخطوطات، وفقد ٣٤ من كتبه. ونشر له في لندن سنة ١٩٥١، **تمام فصيح الكلام**، وهو تأليف كتب بخط المؤلف ومؤرخ في سنة ٣٩٣هـ. وقد كشفت منه نسخة مؤرخة في ٦١٦هـ كتبها ياقوت، في مدينة Dublin. كان ابن فارس يعمل بقواعد مدرسة الكوفة النحوية، فكان يفضل لغة العرب على القياس والعقل. وقد عالج المسائل النحوية في كتبه الخمسة الخاصة بالنحو، وسار أحياناً على نهج البصرة. أما في اللغة، فكان يعمل بالمبادىء المقررة في مدرسة الكوفة، حيث يورد الكلمات الواضحة الصحيحة ويهمل الكلمات العامية الغريبة الحوشية. وقد حلّل المحقق المعجم معتمداً وسائل الوضع المعجمي الشائعة في عصر ابن فارس، فرتّب اللغة وبوّبها على المواضيع (**كتاب المطر، كتاب النبات، كتاب النخل**. . .). والملاحظ أن المدارس المعجمية المعروفة باتجاهاتها الأربعة، استخدمت الطريقة الصوتية مع الخليل ثم ابن سيده، ثم كان الترتيب الهجائي والتبويب على المواضيع اعتباراً للترتيب على حرف الكلمة الأخير (معجم الجوهري، معجم ابن منظور، قاموس الفيروزآبادي، قاموس الزبيدي. . .). وشاعت طريقة الزمخشري في **أساس البلاغة**، وفتحت الطريق للمعاجم العصرية.

---

(٣٢) أحمد بن فارس، «متخير الألفاظ،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٣٣٧ ـ ٥٠١.

ومن المعلوم أنه قد وضعت في العصور القديمة معاجم المعاني خدمة لكتاب الدواوين الذين كانوا في حاجة إلى معرفة الألفاظ الرنّانة والعبارات المنمقة المخصصة لموضوع واحد والتي لا تدرجها إلاّ مثل تلك المعاجم. وكان من بينها **متخير الألفاظ** لابن فارس. وقد حقّق بفضل مقابلة مخطوطات عدة، كانت ملك أسرة المحقق هلال ناجي من العراق، الذي تمكّن من تقديم التأليف مصححاً متضمناً هوامش في أسفل الصفحات، مشكولاً كله، مراجعاً في ما اختص به المؤلف في رسم الكلمات. وقد استكمل المحقق من مصادر أخرى المعجم المتركب من ١١٤ باباً. وقد اختصر ابن فارس ما قدم من أفكار، فاختار أحسن الألفاظ وأنسبها (واغتنمها فرصة لتخصيص فصل في اختيار الألفاظ)، وعني بالصور الشعرية والتشبيهات، وأهمل كل كلمة عامية، مستشهداً بمصادر استقى منها شواهده، التي كان أغلبها مستمداً من الأحاديث النبوية. وقد أوضح ابن فارس في التصدير أنه اختار أيسر الكلمات، وختم بالجمل التي تضرب مضرب الأمثال[٣٣]. وبذلك يكون محقق هذا المعجم قد اتجه إلى تجديد ما سبقه من تحاليل (قائمة بـ ٣٧٧ مصدراً) لأول مرة[٣٤].

وأول من بدأ بمعاجم الأبنية هو سيبويه، وتبعه في ذلك كثيرون. لكن لا يبدو أن ابن فارس قد اعتبر هذه المسألة في معجمه. والملاحظ أن المحقق لم يربط بين حياة المؤلف والمحيط السياسي والاجتماعي لذلك العصر. ثم إن ما خصصه للكلام على الحياة العلمية والأدبية لم يتضمن أية اشارة إلى أعمال اللغويين في القرن الرابع الهجري، في حين أنه كان ينبغي الاهتمام بذلك والتحدّث عمّا كان لهم من مشاغل. وكان يجب أيضاً إعلام القارىء بالمنهجية والقواعد المعمول بها في مدرسة الكوفة التي انتسب إليها ابن فارس، والمستمدة صراحة من المعجم المذكور. ولم يذكر المحقق ما اعتمده من مقاييس لشرح الكلمات، فترتب على ذلك صعوبة الافادة من ملاحظاته أو أن يوضع فهرس على الترتيب الهجائي يتضمن جميع الكلمات[٣٥]. وأما بخصوص معاجم الأبنية، فقد كان سيبويه مؤلف **الكتاب** مبتكرها، وتبعه في ذلك ابن السّكّيت إذ عرف عن سيبويه أنه خصص للأبنية فصولاً في **الكتاب**. لكن من اشتهر حقاً بهذا النوع من التأليف هو أبو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي[*] الذي طبع بطابعه المعاجم الأحادية اللغة والثنائية اللغة[٣٦]. وقد كان كتابه **ديوان الأدب** محل تحقيق[٣٧] تواصل على حلقات ثمان[٣٨]. وقد اعترف له بالفضل في نهج الطريق السوي للمعجمية

---

(٣٣) سليمان هادي الطعمة، «متخير الألفاظ،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٣٢٦.

(٣٤) **حوليات الجامعة التونسية** (١٩٧١)، ص ٢٢٤.

(٣٥) أحمد مختار عمر، «معاجم الأبنية في اللغة العربية: المعاجم الكاملة،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ١٣٣.

(*) وهو غير الفارابي الفيلسوف (م).

(٣٦) المصدر نفسه.

(٣٧) أحمد مختار عمر، «الفارابي اللغوي،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ص ٣١٣ ـ ٣٣٧.

(٣٨) انظر: **اللسان العربي**: ١٩٧٩، ١٩٨٠، ١٩٨٢، ج ١ إلى العدد ٢٢ (١٩٨٣).

العربية. ولا عجب أن ظهر تأليفه فيما عرف بعصر المعاجم، «ففيه ألف أكبر عدد من المعاجم المشهورة المعتمدة، وفيه أخذ المعجم الصورة المألوفة لنا، وفيه اتجه العلماء إلى ترتيب الألفاظ ترتيباً هجائياً وبدأوا ينصرفون عن الترتيب الجاري على حسب المعاني»[٣٩]. ثم إن الفارابي اللغوي لم يكتف باعتماد مصادر السابقين المعجمية، بل محّصها، وتبين عيوبها، وانتهى إلى وجوب تحوير أسلوب وضعها، فقرّ رأيه على اعتبار الترتيب الهجائي في تصنيف المعجم، لكنه عمل بالترتيب على الحرف الأخير. وقد اتخذ تلك الطريقة ابتكاراً منه وتحولاً عن المنهجية الصوتية المعتمدة في تأليف الخليل. هذا بالاضافة إلى أنه قلّل من الشواهد ولم يذكر منها إلاّ مواضعها أو أن يشير إليها. «ومع ذلك لم يسمح الفارابي لفكرة الاختصار أن تفسد عليه عبارته فتحيلها إلى رموز وألغاز، ولم يتركها تنفذ إلى معجمه فتصيبه بالخلل فتجور على بعض اختصاصاته»[٤٠]. والحق أن الفارابي رغم اختصاراته، قد غلب المنطق على تفريعات كتابه، وتفوق على سيبويه في ضبطه لذلك التوزيع وإخضاعه لصرامة عقلية لم يتخلّلها الاضطراب، وهو أمر حيوي بالنسبة إلى تداول المعاجم القديمة. ومع ذلك فهو لم يتخلص من عادات السابقين في معالجة الصيغ وترتيبها وإن كان مخالفاً طريقتهم، إلاّ إنه لم يتخلص بعد من العوائد النفعية العاجلة (الترتيب على الحرف الآخر يفيد الشعراء قبل غيرهم في البحث اللغوي). ثم إنه نادراً ما ذكر مصادره التي استمد منها مادة تأليفه، لكن التحقيق أثبت أنه اعتمد **الكتاب** لسيبويه وأدب **الكاتب** لابن قتيبة **والغريب المصنّف** لأبي عبيدة. زد على ذلك ما استقاه من المراجع الثانوية مثل كتب **النوادر والأضداد والمعاني**.

ومما ذكره المحقق في مزايا **ديوان الأدب**، أنه أول معجم عمل بالترتيب الهجائي ونظام الباب والفصل، في حين أن مؤلفي المعاجم قبل الفارابي قلّدوا كتاب **العين**. وهو الأول في العمل بنظام الأبنية وحصرها وتوزيعها على نظام دقيق. وقد تخلّى الفارابي عن العمل بقلب الكلمات وإدراج صورها المختلفة، كما تخلّى عن كثير من الكلمات القياسية. ولم يخل التأليف من مآخذ طبعاً: فعلى مرتاد **ديوان الأدب** «أن يعرف نوع الكلمة هل هي سالمة أو مضاعفة أو مثال أو من ذوات الثلاثة أو الأربعة أو المهموز، ليبحث عنها في كتابها ثم إذا فرغ من ذلك عليه أن يبحث في قسم الأسماء إن كانت اسماً أو قسم الأفعال إن كانت فعلاً، فإذا انتهى من ذلك عليه أن يبحث عن الكلمة في المجرد إن كانت مجردة، وفي المزيد إن كانت مزيدة. فإذا انتهى من ذلك أخذ يبحث عن البناء باعتبار حركاته أو موقع حروف الزيادة فيه...»[٤١]. وبذلك التفصيل المنهجي بحثاً عن الكلمة، يتبين لنا أن **ديوان الأدب** لا يمكن أن يستعمل من طرف المتدرّب الريض بل لا بد أن يكون بين أيدي الاخصائي، يعالج به ما يفيد تطعيم المفردات الحديثة في حقل العلم والتقنية والحضارة بما أمكن من التحريات الصرفية النحوية، بغية اخراجها موضوعة وضعاً سليماً لا يمكن الخدش فيه لصيانة اللغة وقواعدها. وهذه إنما نقطة يمكن بفضلها تسخير ما جاد به الماضي من مؤلفات معجمية ولغوية لفائدة دعم اللغة العربية الحديثة وتأسيسها على سلامة المدلول والبنية. ومن هذه الزاوية يحق لنا أن نعتبر الدراسات اللغوية التقليدية بمثابة الدرع الواقي

---

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٣٢٨.

(٤٠) المصدر نفسه، ص ٣٣٣.

(٤١) أحمد مختار عمر، «الفارابي اللغوي،» **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ١، ص ٣٨.

المغذي لكل وضع اصطلاحي رصين، وعلى الرغم من أن الفارابي وزع الصيغ وشتتها بين طيّات أبواب تآليفه، «فهو يخدم الصرفيين ويمدهم بذخيرة وافرة من الألفاظ المتجانسة، يستطيعون منها أن يستمدوا ما يريدون من الجانب الصرفي، ولكنه لا يخدم الباحث اللغوي الذي يبحث عن الدلالة وينظر إلى المادة اللغوية كلها نظرة عامة شاملة ويعقد الصلات بين صيغ المادة الواحدة ويردها كلها إلى أصل واحد»[٤٢]. فلزم معرفة الكلمة المحددة للإفادة من هذا المعجم مع كامل التحري واليقظة من مآخذ الكتاب. وفي الجملة، إن ما تمخض عن المدرسة الفارابية هو الاتجاه إلى الأوزان الفعلية في معاجم الأفعال، والاتجاه دون تفريق إلى جمع الأفعال والأسماء في المعاجم التامة، وبذلك نقترب من ماهية المعجم العربي الحديث، الذي يخضع إلى ترتيب الكلمات عملاً بقاعدة جليلة في الصرف هي قاعدة الاشتقاق، التي لا تتحدّد المفردة بموجبها إلاّ بردها إلى أصلها. والملاحظ أن **معجم الأفعال** لم يبدأ في الظهور إلاّ في القرن الثاني الهجري. وكان أول معجم في وزن فَعَل وأَفْعَل، وقد تضمن البحث في معاني الوزنين. وكان مؤلف ذلك أبو حاتم، يدون المعاني المتفرقة والنوعية لكليهما، وقد حاول ترتيبهما بمعانيهما المتفقة والمختلفة، معتمداً في ذلك الحرف الأول. وهو المنهج نفسه الذي سلكه الزجّاج إذ إنه رتّب ذلك إلى أوزان متحدة المعنى أو مختلفة بأوزانها الخاصة بها، لكنه لم يدخل في حسابه حرف الحشو، أي عين الفعل في الماضي، فأدى به ذلك إلى الخلط الذي شاركه فيه أبو حاتم أيضاً. أما ابن القوطية في الأندلس فقد بحث في أوزان الماضي ثلاثة (أَفْعَلَ وفَعَلَ). لكن لا يبدو أنه استفاد ممن سبقه من مؤلفين بالمشرق، ذلك أنه رتّب الأصول عملاً بالنظام الصوتي الذي استعمل قبل آخر القرن الرابع الهجري، ثم عدل عنه. ورتبت الحروف المتماثلة فتعارض ذلك بما سار عليه الخليل من نظام في ترتيب تأليفه **العين**.

ومن الأندلس (قرطبة) ألف السرقسطي كتاباً في الأفعال وقسمه إلى ٢٨ باباً، على عداد الحروف المرتبة على النظام الصوتي، كما فعل سيبويه، لكن خلافاً لما سار عليه الخليل، إذ رتبت الأفعال على الحرف الأول. وخصص المؤلف قسماً للفعل الثلاثي على وزن فَعَلَ، وقسماً آخر للرباعي تضمن الأوزان المشتقة من الفعل الثلاثي أيضاً. وبذلك يكون هذا المؤلف وابن القوطية قد عملا بالنظام الصوتي، فكان ما ألّفاه عسير المنال. ومما أُلّف في الأفعال أيضاً كتاب ابن القطاع (توفي سنة ٥١٥هـ)، وقد ورد به ما كان من عيوب في تأليف ابن القوطية. وعدل مؤلفه عن مجاراة السرقسطي في ترتيبه المفصل إلى أقصى حد، بل اعتمد الترتيب الهجائي في جمع الأفعال من وزن أَفْعَلَ وفَعَلَ، وضمها إلى قائمة الأفعال الصحيحة والمهموزة والمضاعفة والمعتلة. أما الزوزني (توفي سنة ٤٨٦هـ) فقد ألّف كتاباً بالفارسية والعربية في الأسماء والأفعال، وقسّمه إلى ٢٢ فصلاً على عداد الأوزان الفعلية. وبدأ بالثلاثي المجرّد ثم الثلاثي المزيد، وكذلك في الرباعي، مستخدماً الترتيب على الحرف الأخير. وطبع تأليفه **تاج المصادر** في اللغتين العربية والفارسية، سنة ١٣٢٠/١٩٠٣، فجاء حلقة متممة لمثل هذه المؤلفات، رغم أن المؤلف لم يفصل بين الأفعال والمصادر. وقد رشّح هذا الكتاب

(٤٢) المصدر نفسه، ص ٣٩.

للحصول على جائزة المكتب، لكن تحقيقه كان محل نقد، من ذلك أن المحقق يذكر المصادر دون ذكر المكان الذي به أودعت المخطوطات. ولم يذكر أيضاً الأسماء الكاملة لكتّاب عدة، وهو أمر ضروري في الكتب القديمة. ولم يعمل بمنهجية من شأنها توضيح مسالكه في تحقيق هذا التأليف(٤٣).

والملاحظ أن طرق تحقيق الكتب القديمة تتحدد في صفاتها، منها محاولة إحياء التأليف المحقق، بحيث يستطاع قراءته في عصرنا بيسر، ومطالعته لفهم محتواه واستيعاب ما تضمن من أفكار. فلا مفر إذاً من توضيحه بزيادة عناوين فرعية، وإضافة ما يراه المحقق من شروح على هوامش مؤلَّفه. ولا يغفل كل متعلقات المحيط التاريخي الذي عاش فيه المؤلِّف، وكل ما يتصل بشخصية المؤلِّف ذاتها، وذلك بغية إنارة السبيل أمام القارىء الذي لا يمكن إرهاقه.

وفي الجملة، كان القرن الرابع الهجري العصر الذهبي للمعاجم العربية. ففي ذلك العصر ألّف الفارابي، كما بيّنا **ديوان الأدب**، ونسخه موجودة بعواصم عدة، منها باريس، لندن، استنبول، طهران (وتوجد عشر نسخ بمصر). ويطول الحديث عن هذا الكتاب لما ابتكره لفائدة المنهجية المعجمية العربية، مستغلاً ما سبقه من تآليف في القياس لترتيب مادته على الهجاء. وكان أول معجم رُتّب ونظّم وبوِّب وفصّل، فنظم مادته على الأوزان وأنهى العمل بما سنّه الخليل عندما قدم الأوزان بمعانيها. ورتّب أيضاً الأفعال على فصول المعجم، فقدم خدمة هامة للصرف(٤٤). وكان غرضه من ذلك، كما ذكر في المقدمة، جعل معجمه أداة عمل عند أهل اللغة، بعد القرآن والحديث وكلام العرب. فقد رتب الأفعال على خاصياتها الصرفية، والأسماء ومتغيراتها، وطور الكلمات في أصولها ومشتقاتها. وبذلك صار التصنيف المعجمي في القرن الرابع الهجري خاضعاً لقضية المنهجية، لكثرة هذه المؤلفات آنذاك. فقد جدّد الفارابي المعجم العربي لما عمل على ترتيبه على الحروف الهجائية، اعتماداً للحرف الأخير لا محالة، وقد ذكرنا أنه أسدى بذلك خدمة جلى للشعراء وكتاب السجع وما يؤلفون من نصوص متكلفة يثبتون بها قدرتهم على التلاعب بمفردات اللغة. ومن مآخذ تأليف الفارابي أنه اعتمد ما طرأ من تحويرات على الحرف الأول والثاني في الأوزان الفعلية، فكان ذلك مبعثاً على حيرة الباحثين، رغم اللجوء إلى العمل بالنقط المميزة والحركات. فقد جمع الفارابي الكلام المسموع والقياسي، مميزاً بالضرورة الأفعال والأسماء بتميز حروفها الزائدة، ثم عمل بالاشتقاق في الفصول الفرعية. ولا شك في قدرة المؤلف المنطقية واللغوية التي شهدت بها المقدمة، حيث دلّل فيها على التوهّم اللغوي المعروف اليوم بما سمي بالقياس الخاطىء، فقد كشف عن دلالات مفقودة في الكتب السابقة الخاصة بالأوزان الفعلية المشتقة، في حين أنه لم يتحرر تماماً مما نقلته تلك المؤلفات من أفكار خاصة بالتصنيف المعجمي.

---

(٤٣) أحمد مختار عمر، «معاجم الأبنية في اللغة العربية،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ٣، ص ١١ - ٢٤.

(٤٤) أحمد مختار عمر، «الفارابي الفيلسوف واضع أول معجم جامع،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ٢، ص ٥.

والملاحظ أنه شرع في تدوين اللغة بداية من عصر **ديوان الأدب**، بعد أن استنبطت وجمعت خلال فترة الاستشهاد، وتلا ذلك تقنين البحث اللغوي، فأفاد فقهاء اللغة من المنهجية الجديدة، وحاولوا توسيع آفاقها. وقد اعترف القدامى بما كان لـ**ديوان الأدب** من قيمة كبرى، لأسبقيته في استعمال الترتيب الهجائي. فقد عمد مؤلِّفه إلى ترتيب الأوزان المتشابهة، وعدل عن قلب الحروف في الأوزان، كما فعل الخليل، فتخلّى بذلك عن النظام الصوتي في ترتيب الكلمات، وميّز الأوزان المعتلة بالواو والياء في الأسماء والأفعال، فكان ما سار عليه الفارابي من منهجية مساعداً لعلم الصرف. لكن لم تستفد من ذلك الدلالة التي يحتاج علمها إلى تكوين فكرة تامة عن اللفظة بجميع معانيها. ولم ييسِّر الكتاب عمل الباحثين، لأنه لا يورد الأصل بمشتقاته المرتبة في الواقع بمثيلاتها في عدة تفريعات صرفية. ومع ذلك فقد بلغ تأثير **الديوان** للفارابي حداً شمل المعجم التركي (ديوان لغة الترك) الذي ذكر معنى الكلمات بالعربية. وكان تأليفاً شبيهاً بتأليف الفارابي إلى حد بعيد، خاصة في الصورة التي بها أُلِّف، وقد لاحظ ذلك المستشرق بروكلمان Brockelmann، وكذلك في تفريعات المواضيع والمصطلحات المستعملة. واقتبست عدة مؤلفات أخرى منهجية الفارابي، ولم تقتصر على المادة اللغوية. فمثلاً نجد تأليف **شمس العلوم** مؤسساً على ترتيب الأوزان ومشتملاً على فروع عدة علمية. وكذلك الشأن في كتاب الزمخشري **مقدمة الأدب** الذي هو عبارة عن تصنيف رتّب على المواضيع ترتيباً اعتباطياً نوعاً ما، خاصة في الأسماء، يتعارض وما توخاه الفارابي الذي أغفل البحث في الحروف في حين أن **مقدمة الأدب** خصص لها فصلاً[٤٥].

وبعد عصور الركود في الانتاج المعجمي كما في غيره، يمكن أن نقول إن المعاجم العربية القديمة ما زالت إلى اليوم تستخدم مصادر أساسية في اللغة العربية، رغم ما كان فيها من نقائص وجدها بعض الباحثين متمثلة في عنايتها «بإثبات الألفاظ القديمة حتى ولو كانت غريبة وميتة، وتحاول توضيحها والاستشهاد عليها بالقرآن والحديث والشعر الذي يحتج به، وتهمل كثيراً من الألفاظ والاستعمالات الجديدة التي وردت على ألسنة الشعراء والكتّاب المتأخرين، فالاحتجاج يقف عند هؤلاء المؤلفين عند نهاية العصر الأموي، ولا يمتد إلى العصر العباسي، بحجة أن اللغة فشا فيها الكثير من اللحن والخطأ على ألسنة العامة من الناس، لاختلاط العرب بالأعاجم من فرس وروم وأتراك وغيرهم»[٤٦]. وبالفعل بيّن البحث اللغوي المستقصي أنها متون لغوية تحدّدت مادتها إلى نهاية القرن الثاني الهجري، في حين أن ازدهار الحضارة العربية وما تبع ذلك من ابتكار لغوي معبّر عن الحياة المتمدنة بكل مظاهرها لم يبلغ مداه إلاّ في العصر العباسي والأندلسي، فترتب على ذلك أن اللغة لم تواكب الأنماط الحضارية، ففقدت فاعليتها بطول المدة. فلو أردنا بالإضافة إلى ذلك إحصاء ما ورد بها من أخطاء لحصرها مثلاً الترتيب المعجمي على الحرف الأخير وما يتطلب ذلك من جهد في عكس العمل التصنيفي غير الطبيعي، إذ إن البصر يتابع الكلمة من أوائلها، وقد ثبت ذلك

---

(٤٥) عمر، «معاجم الأبنية في اللغة العربية: المعاجم الكاملة،» ص ١٣٣ ـ ١٦١.

(٤٦) عيسى فتوح، «نظرة في معاجمنا اللغوية،» **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ١، ص ١٦١.

فيما قام به علم النفس من تجارب مخبرية خاصة بتدريب الطفل على كسب المادة اللغوية، لتبينا أنها لا تناسب ما بذل فيها لتأليفها، وما أفدنا منها لو صنفت على طريقة هجائية تقليدية. فمن مآخذ **الصحاح** للجوهري الذي ذكرنا، والذي سبقه الفارابي في العمل بنظام القافية في ترتيب المفردات، أنه تضمن كلمات أعجمية معرّبة قليلة لا محالة سميت بها أشياء مادية، وضاعت اليوم، حتى أمكن التساؤل عن وجود خطر وهمي ناجم عن تعريب الألفاظ الأعجمية لحاجة العربية إلى ذلك في وقت ما، ثم تزول لزوال تلك الحاجة «حينما يلغى المُخْتَرَع الذي وُسِم بها، أو يحل محله مُخْتَرَعٌ أكثر حداثة منه، أو تنزوي اللفظة بين أسطر المعجم لا يخرجها منه إلا باحث أو عالم»(٤٧).

ومن المعلوم أن آخر القرن التاسع عشر عاش تجربة أخيرة تمثّلت في ظهور معاجم ولو مصغرة، حاولت تقليد ما سبق من معاجم قديمة، وإن لم يكن في محتواها بأكمله ففي شكلها وطريقة تصنيفها، ذلك أن مؤلفيها عملوا على صيانة اللغة وتم لهم ذلك، اعتماداً لمرجعين أساسيين غذّوا بهما مؤلفاتهم اللغوية، نعني **الصحاح** للجوهري و**القاموس المحيط** للفيروزآبادي. فأتت تلك المؤلفات أيسر تناولاً في حجمها ومحتواها، وصارت أدوات أفاد منها العمل المعجمي في المؤسسات اللغوية. واستمرت قناعة بعض مؤلفيها بأن ترتيب المعجم على الحرف الأخير من الكلمة مفيد للشعراء المتسابقين وراء القافية المنسابة، لكن مع الملاحظة أن شقاء الباحث اللغوي مريع لوجود ما يحتاج إليه من شروح وما يرغب فيه من دلالة تتضمنها مفردة معينة. فبالعمل بالترتيب الهجائي الطبيعي القائم على الحرف الأول من الكلمة، تصير تلك المعاجم ذات فائدة جمة. وقد صارت تلك حال **لسان العرب** لابن منظور الذي أدخلت عليه تحويرات مهمة كما أسلفنا القول، فتلافت ما كان به من غموض ناجم عمّا سلكه المؤلف من اختصار شديد صار من المعميات، ولتناول المفردة في مراحل عدة من بنيتها الصرفية، مما يستوجب العودة إلى ترتيبها مراراً، ويزيد في بلبلة المُطالِع. ولا شك أن ما يؤمل من تجديد يلحق المعاجم القديمة لا بد أن يشمل ترتيب كلماتها بحيث ترتب على حروفها الأولى، وأيضاً الفعل الأصلي الذي ينبغي أن تحيط به كل مشتقاته مرتبة على تشعبها التصاعدي، ثم يأتي دور الصيغ الاسمية، وادخال التحسينات الضرورية على المظهر الدلالي وإكساء المفردة دلالة واضحة قصيرة دقيقة. إنه عمل مستعجل لا شك في ذلك، وإن الشاغل التربوي التدريسي هو المتفوق في ظروفنا الراهنة بحيث ان كل تحسينات تطرأ على المعاجم الكبرى التقليدية ستؤثر لا محالة في ما سيأتي من تصانيف معجمية لاحقة. لكن هل أن الشاغل «الهجائي» سيكون غالباً على بنية الكلمة كلها، فيفصل بين الجذر الأول ومشتقاته؟(٤٨).

ربما كانت هذه العملية «الجذرية» والحق يقال، ضرورية يستفيد منها المتروضون على اللغة الذين لم يتدربوا على استخراج الأصل المجرد من أحد مشتقاته، لكن ما نتوقعه هو أن

---

(٤٧) المصدر نفسه، ص ١٦٩.

(٤٨) انظر: محمد صالح بن عمر، «دراسة احصائية بالحاسب الالكتروني للجذور الواردة في «الصحاح» و«اللسان» و«التاج»،» **مجلة المعجمية**، العدد ١ (١٩٨٥) (تصدرها جمعية المعجمية العربية بتونس).

تلك الطريقة ستمنع على مستعمل المعجم العربي، المصنف على ذلك النحو العصري، الانتفاع بما يتشكل لديه من نظرة شاملة تعطي ما لكل مفردة من كيان هيكلي[٤٩]. على أن اللغة لا تقتصر على القاموس بل إنها موجودة أيضاً في الكتب الأدبية والعلمية. ولا مفر من سلوك طرق جديدة في تصنيف معاجم تساير التطور اللغوي والعلمي الذي يترقب نهاية القرن العشرين ودخول القرن التالي. لقد تبيّن بالتجربة أن «الترتيب الألفبائي الذي يضع الجذر بين قوسين بعد كل مدخل هو أصلح وأنسب للمتعلمين. أما الترتيب الجذري الذي يدرج مشتقات كل جذر وفقاً لنظام معلوم، فهو أكثر نفعاً للمتقدمين من دارسي اللغة وطلابها»[٥٠]. وقد تفرّغت لجان المجامع لذلك التصنيف المعجمي، وإن لم تخرج معاجم، فقد نظرت في المفردات الجديدة وقررت رفضها أو تهذيبها وقبولها في المعاجم العصرية لحاجة المجتمع إليها في خطته الانمائية الشاملة التي يتحتم عليها أن تعبّر عن مدلولاتها بما تجود به اللغة الحديثة من كلمات دالة لا تحتاج إلى كبير شروح. وكذلك الأمر بالنسبة إلى المعاجم ثنائية أو ثلاثية اللغة، التي ينبغي أن تكون أصلاً في خدمة اللغة العربية ونموها بفضل ما يجدّ من كلمات تعبر عن ضرورات العصر الحديث، والتي وقع رفضها أو إهمالها، في حين أن الاستعمال اليومي جعل منها ألفاظاً شائعة، ويكفي تهذيبها ليقبلها الذوق اللغوي العربي، وبذلك لا يقف مبدأ صيانة العربية الملوّح به في كل حين حجر عثرة أمامنا.

٢ ـ استغلال القواميس الحديثة

فما هي إذاً مميزات القاموس الجديد في نهاية هذا القرن؟ ذلك تساؤل يخامر كل من فكر في تنمية اللغة العربية بوسائلها الخاصة تعبيراً عن اللغة التي راجت في الماضي وما زالت شائعة إلى حد الساعة لما وجد المستعمل فيها من لياقة لغوية في البنية الصرفية وتناغم الحروف وتحريكها منسجمة يسيرة النطق دالّة في شكلها ودلالتها.

من مزايا المعجم المعاصر أن يتضمن الألفاظ الحديثة، وكذلك يعود بنا إلى مفردات العصر الجاهلي، على الأقل ما بقي منها في شعر تلك الحقبة والعصر الاسلامي الأول. ويتدعم ذلك المعجم الحديث بمختارات من الشواهد الشعرية والنثرية المستمدة من كل العصور. وينبغي أن نجد به قائمة بأهم المصطلحات العلمية والأسماء التاريخية والجغرافية، خاصة أسماء أعلام الأشخاص والأماكن القديمة التي يعسر في الوقت الحاضر وجود مقابلات عربية لها في المعاجم الموجودة بين أيدينا، وربط كل هذه الملاحق بمؤلفات الأدب العربي خاصة. والانطلاق يكون طبعاً من الترتيب الهجائي العربي بحيث تسبق الأفعال الأسماء،

---

(٤٩) عبد الحق فاضل، «نظرة معجمية سريعة،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ٢، ص ١٠ ـ ١١.

(٥٠) علي القاسمي، «ترتيب مداخل المعجم،» **اللسان العربي**، العدد ١٩ (١٩٨٢)، ج ١، ص ٢٦. انظر أيضاً: يوسف عز الدين، «المعجمات العربية وتوحيد المصطلح العلمي،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة)، العدد ٥٣ [د. ت.]، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٩.

وتسبق المفـردات المجردة المفـردات المـزيـدة، ونبـدأ بـالفعـل الـلازم قبـل الفعـل المتعـدي، والمحسوس قبل المجرد، والكلمة المجسمـة في الواقـع قبل الكلمـة المجازيـة. ولقد عـبر عن شروط المعجم الحديث هذه الأمين العام لمجمع القاهرة. وبذلك ندرك أن المؤسسات اللغوية تؤيد التيار الدافع إلى تجـديد المعجميـة العربيـة[٥١]. فمنذ سنـة ١٩٣٦، أبدت وزارة التعليم المصرية رأيها في خصوص انتاج قـاموس كبـير الحجم مصور عصري، يتضمن ألفـاظ العلوم والتقنيـات[٥٢]. وقد حـدّدت منهجية هـذا **المعجم الكبير** الـذي يخضع لعمـل ضخم ينـاسب امكانات المجمع، وهو متميز عن **المعجم الوسيط** الذي سيأتي ذكره. وقد تقرّر طبعه بحروف كبيرة الحجم نسبياً، وتضمينـه شواهـد نثريـة وشعريـة من كل العصـور، وكذلـك الأحاديث النبوية المرتبة زمنياً، ويشمل كذلك كل الأصول اللغوية، مـع اعتبار مـا يجدّ من احتـمال ذكر أحاديث خاطئة بعضها يطول إلى حد تجاوز ما بالمفردة من دلالة صحيحة. وكما هو معلوم، لا تذكر الأحاديث في نصّها، بل نقلت رواية وأوّلت عند اسنادها. وبذلـك يوجـه نقد إلى هـذا المعجم لعـدم اقتصاره عـلى الأحاديث الصحيحـة والآيات القـرآنية وأشعـار الجاهليـة وصدر الاسلام. وقد ذكر كثيراً من الأعلام وقلّل من أعلام المكـان التي هي مجهولـة لدى القـرّاء في أكثرها. والمقترح هو الاقتصار على أهم هذه الأعلام للأشخاص والأماكن. لكن هذا المعجم اعتمد قواعد الألسنية المقارنة، فذكر عنـد الاقتضاء أصـول اللغات السـامية، والصـورة التي تنطق بها بالأحرف اللاتينية، لقلة الحركات العربية وصعوبات الـطباعـة. ومع ذلـك لم تقض تلك الأحرف على جميع الصعوبات، نظراً إلى الفـروق القائمـة في النظام الصـوتي الانكليزي والفرنسي. أما الطريقة التي سلكها إلى شرح الكلمات، فتبدأ بالجذر الذي يشرح بالتـدريج، فيبـدأ الشرح من المعاني القـريبة الشـائعة متقـدماً من المحسـوس إلى المجرد. وتعـاد الكلمـة المقتبسة من اللغات الأجنبية القديمة والحديثة إلى أصولها، من وجهة اشتقـاقها، وتشكـل عند الضرورة، مع اضافـة المصادر والصـور المجازيـة المستعملة[٥٣]. ولم ينته المؤلفـون من تصنيف **المعجم الكبير** تصنيفاً كاملاً، بل توقف عنـد حرف الخـاء في المجلد الأول الذي صـدر. وقد كان متوقّعاً إدخال تحسينـات ملموسـة على المعجميـة العربيـة في طبعات أخـرى، والاحتفاظ بالرموز الصوتية اللاتينية التي يمكن تثبيتها في جدول ومقابلاتها العربية الموحدة، وذلك حفاظاً عـلى مستوى نـطقي رفيع[٥٤]. والـواقع أنـه تقرر أن يكـون استعمال **المعجم الكبـير** متيسـراً، ويتخذ له صورة القواميس الأجنبية التي كانت سهلة التناول واضحة الـترتيب. وقد صنّف في مجلدين من ١٩٤٠ إلى ١٩٦٠، ونـاهـز عـدد كلماتـه ٣٠,٠٠٠ كلمـة رتّبت عـلى الحـروف

---

(٥١) «مصطلحات في علم أمراض النساء،» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**، السنـة ١٦ (١٩٦٣)، ص ١٨٢.

(٥٢) «قرارات المجمع في هذه الدورة: القرارات العلمية،» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**، السنة ٧ (١٩٥٣)، ص ١٧٨.

(٥٣) عبد الله درويش، **المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين للخليل بن أحمد** (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٦)، ص ١٤٨.

(٥٤) فاضل، «نظرة معجمية سريعة،» ص ١١ ـ ١٥.

الهجائية، لا على الاشتقاق الذي يرتّب المفردات على أصولها. فسبق الفعل الاسم، والبسيط المركب، كما بيّنا أعلاه. ولا شك أن ما توخي من ترتيب يرجع إلى قواعد صرفية تتيح مثلاً التنبيه إلى اللغة الضعيفة[55]، خاصة وأن طزيقة القياس بجميع تفريعاتها مكّنت من استغلال قوائم (فيشر) لوضع هذا المعجم الكبير المتميز بأصوله الساميّة الدالة على معنى شامل[56].

وطبعاً لم يشكل هذا العمل الأول سوى خطوة نحو تجديد المعجمية العربية، وربط هذا المشروع التحديثي بقضية التعريب، إذ «لا يخفى أيضاً أننا في حاجة ما بعدها حاجة إلى التعريب من اللغات الأجنبية، ولا يتسنى ذلك إلا بمعرفة لغتنا على وجه أدق، وكيف تتسنى هذه المعرفة ونحن على خلاف دائم حول معاني الكلمات»[57]. وهو لا يكفي بمفرده لتشغيل المؤسسات الاصطلاحية الحديثة العهد، ومنها المكتب، التي أسست عملها المعجمي والتوليدي على مجموعة من المعاجم المتعددة اللغات، خاصة أن النقص الحاصل في اللغة العلمية حمل على تنمية وضعها، والتحرّي فيه، وصدّ ما شاع من أخطاء، لأن الدقة العلمية لا تبرر التنكّر لسلامة اللغة وتجاوز قواعدها، بل يمكن التوفيق بين هذا وذاك. وقد لمحنا ولّمح معنا مستعملو القواميس القديمة إلى بعض هفواتها، خاصة لغتها المدونة التي لم يعد جانب منها صالحاً للمتطلبات الراهنة، فوجب اعتمادها كأساس متين وتجاوزها في الوقت نفسه لتغذية اللغة العلمية، ذلك أنها شكّلت في عصر ما المتن الفصيح للعربية[58]، فكانت فصاحتها نسبية توافق بعض العصور وبعض البلدان وفقدت تبعاً لذلك كثيراً من نجاعتها. إن «العامل الديني هو الذي جعل اللغويين ـ أو أغلبهم ـ يرتبون الكلام في ذلك السلم المتفاوت الدرجات. . . والعامل القومي هو الذي يجعل الكلمة أفصح من الكلمة الأعجمية الدخيلة، والعامل الاجتماعي هو الذي يجعل لغة المثقفين هي الأفصح من لغة العامة. . .»[59]. وبما أن المعجم الفصيح تحدّد لغوياً للعصر الجاهلي وصدر الاسلام، متجاهلاً العصور اللاحقة ومعوّلاً على الفترة التي عاش خلالها مؤلفه، فإن منهجيته قد تجاوزها أيضاً التطور المعجمي الذي توخى تنظيماً معاصراً في المعجمية العالمية، وشروحه كانت أيضاً غامضة فاقدة الدقة في المدلولات. كما أن المعجم القديم لا يتضمن جهازاً توضيحياً يعمل به اليوم القاموس الحديث (مصورات، خرائط، رسوم بيانية، جداول، استعمال الألوان. . .)[60]. وكثيراً ما أساء النسّاخ إلى المعاجم القديمة، كإهمال النقط المميزة

(٥٥) **مجموعة البحوث والمحاضرات**، ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨، ص ٦٥.

(٥٦) ابراهيم مدكور، **مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً: ماضيه وحاضره** (القاهرة: المجمع، ١٩٦٤)، ص ٦٢ ـ ٦٨.

(٥٧) حسن الكرمي، **المعجم العربي والتعريب**، الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة العربية الأردني (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٣)، ص ٢٦٧.

(٥٨) عبد العلي الودغيري، «قضية الفصاحة في القاموس العربي التاريخي،» **اللسان العربي**، العدد ٣٣ (١٩٨٩)، ص ١١٩ ـ ١٤٩.

(٥٩) عبد العلي الودغيري، «اللفظ ومستواه الصوابي من خلال «موطئه الفصيح» لابن الطيب الشرقي،» **اللسان العربي**، العدد ٢٨ (١٩٨٧)، ص ٦٣.

(٦٠) ابراهيم مدكور، «المعجم العربي في القرن العشرين،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة)، السنة ١٦ (١٩٦٣)، ص ٧.

ورداءة الخط، وأضيف إلى ذلك وسائل قصدت الاختصار والايجاز، في حين أنها عملت على الزيادة في الغموض الذي غمر كثيراً من المفردات التي خلت من الشكل أو أعوزتها بعض الحروف، فكانت كتابتها الغامضة مستغلقة على الافهام، خاصة إذا دوّن بعضها دون إلحاقها بالأصول التي اشتقت منها. ومع اعترافنا برغبة جامحة كانت مسيطرة على مؤلفي المعاجم، وتمثّلت في جمع اللغة وتدوينها، فإنهم اتجهوا بسبب ميل في نفوسهم إلى تدوين ما تلقوه عن الرواة والمشافهة، وزادوا فيه ما عنّ لهم، متوخين بصورة مفرطة مسلك النقد الشخصي غير الخاضع لقواعد علمية متفق عليها. فتجاهلوا وأهملوا المفردات المولّدة لاعتبارهم إياها خارجة عن اللغة الفصحى، وترتّب على ذلك أن وضعت مثل تلك المعاجم وهي خالية من أسماء أصناف الحيوان والنبات المجهولة آنذاك في العالم الاسلامي وحتى الوطن العربي. فجاءت الشروح مقتضبة جداً واقتصرت على ذكر نوع الشيء (نبات، شجر، عشب، بقول، أو أن يقال إن الحيوان من الطيور أو الجوارح وكفى. . .) فكانت النتيجة خطيرة على وضوح المدلولات العلمية التي خضعت في تعريفاتها المتناقضة أحياناً للغو فقهاء اللغة وإبهامهم العلمي، وذلك ناتج من غياب علماء الاختصاص الذين كانوا قلّة في تلك العصور، ولم يتميّزوا بصورة تجعلهم يقولون القول الفصل في مادتهم. ولندرك مدى التطور اللغوي العلمي، لنذكر فقط أنه لا تردد اليوم في استخدام أسماء الحشرات أو النباتات الشائعة في لغة العامة، إذا كانت مفقودة في المعاجم القديمة[61]. وتطور الرأي إلى حد أن المعجم الحديث المرغوب فيه صار خاضعاً لشروط بدونها لا يعترف له بأية ميزة علمية «فإن المعجم العربي الحديث لم يقم على بحث لغوي شامل بغية تحديد التعابير الاصطلاحية والسياقية التي تستعمل فيها المفردات»[62]. والمطلوب منه أن يشتمل على أسماء الأفعال والحروف في استعمالاتها عند الكتّاب، وترتب ترتيباً تاريخياً مطابقاً للترتيب الهجائي، دون الرجوع إلى بنى الكلمات. والملاحظ أن الطريقة النظرية الخاصة بالمعجمية العربية تبدو أكثر تقدماً من العمل المعجمي ذاته[63]. وعمل هذان العنصران معاً على صيانة العربية في معاجمها القديمة، رغم النقائص في الترتيب، وإهمال المولّدات، وما أغفل من معرّبات، وما رسخ من طريقة المشافهة التقليدية غير المنطقية أحياناً في تدوينها اللغة.

وقد عملت المعجمية العربية الحديثة على اضفاء قواعد منطقية على البحث اللغوي، فاعتمدت الأبحاث في الأدب والتاريخ ودواوين الشعر، وكتب الرحلات. . . وذلك لكي

---

(٦١) مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث (القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٥٥)، ص ٢٨.

(٦٢) علي القاسمي، «التعابير الاصطلاحية والسياقية ومعجم عربي لها،» اللسان العربي، العدد ١٧ (١٩٧٩)، ج ١، ص ١٩. ومن المعلوم أن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم نشرت بمشاركة دار لاروس المتخصصة في إصدار المعاجم والموسوعات (باريس)، المعجم العربي الأساسي، فكان ثمرة جهد بذل طيلة ثماني سنوات (١٩٨١ ـ ١٩٨٨).

(٦٣) حسين نصار، المعجم العربي: نشأته وتطوره (القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٩٦٨)، ج ٢، ص ٧٦٩ و٦٨٥.

تـدوّن الألفاظ الجـديدة المشتقـة أو المعرّبـة. لكن ما يـلاحظ عليها هـو تسبيق المفردات عـلى العبارات والجمل، في حين أنه ليس للكلمة سوى قيمة لغويـة مقررة من شـأنها أن تسيء إلى الفكرة، وأن الشيوع وحده هو العامل الحاسم الذي يقرر مصير الكلمة(٦٤).

وبعـد إلقاء هـذه النظرة الشـاملة على المعـاجم السائـرة في طريق التحـديث ومقارنتهـا بالمعاجم التقليدية، في الإمكـان الآن اتمام ذلـك ببعض العلامـات التاريخيـة التي بدأت منـذ القرن الثامن عشر حـين ألّف جرمـانوس فـرحات (١٦٧٠ - ١٧٣٢) **أحكـام باب الإعـراب** «الـذي اعتمد فيـه على القـاموس المحيط، والمصـادر التي نقل عنهـا فأخـذ منها مـا أهمله القامـوس من ألفاظ، وأضافها إليه من جديد، فجاءت مكملة له، ملتحمة بمادته كل الالتحام»(٦٥). ومهّد أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ - ١٨٨٨) بمعجمه **الجاسوس على القاموس** للمعجم العربي الحديث، ثم تلاه بطرس البستـاني (١٨١٩ - ١٨٨٣) صاحب **محيط المحيط** وهـو المعجم الـذي صـار سهـل التنـاول، ولنعرّج على ذكر **المنجد** للأب لويس معلوف، وكانت أول طبعة لـه سنة ١٩٠٨، كـما سنرى ذلك. ومقصدنـا من هذه النـظرة العمل عـلى محاولـة تبين الـطريق المؤدية إلى تحسـين منهجية تصنيف المعجم العربي الحديث. كما تبدو فائدته لا بالمقارنة مـع ما تنتجـه دور النشر الأجنبية المتخصصـة في إصدار القـواميس اللغويـة ومتفرعـاتها العلميـة، بل الأهم من ذلـك تدارس السبـل الفنية التي بهـا يكون المعجم العـربي المقبل أداة تجعـل اللغة العـربية معـروفـة متيسّرة مأنوسة لمن يرتادها من الناطقين بها وغيرهم المقبلين على تدارسها من غير أهلها. وذلك عمـل المؤسسات اللغوية التي تكون بممارسة التجارب المعجمية المتكـاملة قادرة عـلى إدخال مـا يجب من تحسينات في الشكل والمضمون لا مفر من ادخالها على الأداة الأساسية التي بها تعـرف كل لغة حية من اللغات العالمية.

ويبدو لنا أن أقرب مصدر معجمي لدينا هو **تاج العروس** للزبيدي. ذلك أنه ظهر سنة ١٧٩٠، ونشر أول مـرة سنـة ١٨٨٨ فتـوج لـذلـك مجمـوعـة القـواميس الكـبرى في اللغـة الفصحى، التي بدأت بمعجم الخليل **العين** في القرن الثـاني الهجري. وقـد تخلل ذلك ظهـور معـاجم عدة عـربية تضمّنت لغـة أخرى أو أكـثر، وكان ذلـك لفـترة طـويلة (من ١٥٠٥ إلى ١٨٦٨ تقريباً)، وقد وردت قائمـة بها عـلى صفحات مجلة المكتب(٦٦). وستـلاقي المعجمية في العصر الحديث عوائق من نوع جديـد. فقد اصـطدمت العربيـة بالصعـوبات نفسهـا، حالمـا اتصلت بـالعلوم الغربيـة. فقد حـاول العلماء في مصر في مـطلع القـرن التـاسـع عشر ايجـاد مقابلات للشؤون العلميـة بكلمات عربيـة وتركيـة وفارسيـة وفرنسيـة(٦٧). وبما أن الحضـارات

---

(٦٤) مصطفى جواد، المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية العصرية (القاهرة: المطبعة العصرية، ١٩٥٥)، ص ٣١ - ٣٢.

(٦٥) فتوح، «نظرة في معاجمنا اللغوية،» ص ١٦٢.

(٦٦) الصـديق بن العربي، «معجم المعـاني العربيـة المؤلفة خـلال مائة عام، ١٨٦٩ - ١٩٦٩،» اللسـان العربي، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ص ١٦٢.

(٦٧) *Mélanges de l'institut dominicain d'études orientales*, p. 345.

القديمة فضّلت المظاهر الروحية في الثقافة، فإن العصر الحاضر فرض متطلبات الحضارة التقنية وفتح الباب أمام وضع معاجم جديدة، كانت أهم ميزاتها تيسير البحث عن اللغة الصالحة ومراجعة الدلالات التي جثم عليها ما تراكم من قرون الانحطاط الفكري، وإحياءها بتجديد مدركاتها العلمية تعبيراً عن أفكار العصر الحديث، واعتماداً لما جدَّ من مفاهيم في اللغات الحديثة. ولا بد من الاشارة إلى أن المستعربين الغربيين كانوا سبّاقين في البحث عن سبل جديدة اعتباراً لمعطيات الألسنية المقارنة التي كانت في بدايتها، لكنها تطورت اليوم في ما يخص اللغة العربية فساعدت على وضع المعاجم حسب تصورات جديدة. ثم إنه ينبغي الاستعانة بالتراث العلمي لتطوير العربية، وتلك منهجية سار على هديها مجمع القاهرة الذي حاول وصل المعجمية بالنهوض بالتراث اعتماداً على ما سبق في الحقل اللغوي من زاد يجب تحليله تحليلاً علمياً واستخراج مميزاته سداً لنقائص المعاجم القديمة في الميدان العلمي. ومن مخاطر هذا الاتجاه ايقاف كل مبادرة والسير باللغة العربية إلى وضع يجعلها تكتفي بإمكاناتها وتنغلق على ذاتها، فنعود إلى أخطاء الماضي(٦٨).

وكما لمحنا إلى ذلك، يبدو أن أول معجم على النمط الحديث(٦٩) ظهر في بيروت عام ١٨٦٧ بعنوان **محيط المحيط** للمعلم بطرس البستاني. وبالفعل فإنه «أول المعاجم المجدّدة، ولعله أهمها، محيط المحيط وضعه المعلم بطرس البستاني، أحد الأعلام بين رواد النهضة الحديثة سنة ألف وثمانمائة وسبعين. معتمداً قاموس الفيروزآبادي. ومضيفاً إليه ثروة من المفردات والتعابير المعاصرة والدارجة والمولدة التي أهملها جامعو المعاجم العربية»(٧٠). وقد تلاه **قطر المحيط** (١٨٦٩) للمؤلف نفسه الذي استهدف جرد اللغة، وأسماء المكان، والقبائل، والأشخاص، والاقتباس من مادة المعاجم القديمة بعد تشذيبها. وطبع المجلد الأول من **محيط المحيط** في ٧ آب/ اغسطس ١٨٦٧، وتبيّن أنه خالف المعجم الذي تولد عنه، والذي استمد منه وجوده، نعني **القاموس المحيط** للفيروزآبادي. ذلك أنه قرر العمل بترتيب معاكس سار فيه على حرف الكلمة الأول. وقد أضاف معجم البستاني بعض الأصول وتوسّع فيها، مما كان قد اختصرها القاموس، وأهمل غيرها (خاصة أسماء الأشخاص)، مضيفاً إلى معجمه ألفاظاً جديدة(٧١). كان غرضه لا التجديد فحسب، بل احترام شروط التصنيف المعجمي السليم. ذلك أنه ينبغي الاختيار بين أنواع الكلمات التي ينبغي تدوينها، وسلوك طريقة في ترتيب المفردات وتعريفها. فالطرق على عداد أنواع الترتيب، اضافة إلى مميزات وأهداف يجب احترامها طبقاً لمقاييس يخضع لها العمل المعجمي. فالشرح أساسي في المعاجم ووضوحه بالغ الأهمية. أما المظهر التاريخي، فينبغي

---

(٦٨) محمد رشاد الحمزاوي، «مكانة مخصص ابن سيده من المعجمية العربية المعاصرة ومساهمة التراث العربي في تطوير العربية،» **حوليات الجامعة التونسية** (١٩٧٢)، ص ٧، ٨ و١٥.

(٦٩) أحمد شفيق الخطيب، **حول المعجم العربي الحديث**، الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة العربية الأردني (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٣)، ص ٢١٥ ـ ٢٤٦.

(٧٠) المصدر نفسه، ص ٢٢٣.

(٧١) يوسف أسعد داغر، **مصادر الدراسة الأدبية** (بيروت: جمعية أهل القلم في لبنان، ١٩٥٦)، ج ٢، وعمر الدقاق، **مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم** (بيروت: ١٩٧٢)، ص ٢١٨.

العمل به في المعاجم التاريخية التي نحن في أمس الحاجة إليها. وقد شرع في ذلك العلّامة (فيشر) بمجمع القاهرة. وقد عمل فعلاً على جمع الكلمات الفصحى وسجّلها على جذاذات يميناً وفي أعلاها. لكنه توسع كثيراً في التعليلات النحوية دون أن يغفل الشواهد التي استقاها من دواوين الشعر، فذكر الصفحة والبيت. وكان هذا العمل رغم نقصه، عاملاً مكّن مجمع القاهرة من إعداد معجمه(٧٢). وعند تحديد مفهوم العمل المعجمي العصري، نجد أنه يرمي إلى الإحاطة بالكلمة والتحري في دلالتها قبل تقرير إعادة طبع المعاجم القديمة فحسب. فتلك عملية لم تعط نتائج ملموسة في تطوير اللغة خاصة، وانها لم تهيىء صلتها بالنهضة العلمية اللغوية التي يمر بها واقع الوطن العربي. بل إن تلك المعاجم كانت مشحونة بكثير من الأوهام والأفكار الخاطئة التي شاعت في عصر اختلف طبعاً عن زماننا في إدراك الأمور. وقد كانت الأفكار المعجمية الوهمية تؤخذ في عصورها مأخذ الحقائق الثابتة التي رسخت إلى يومنا هذا، واعتبر بعضها من التراث. ونرتّب على طبع المعاجم التقليدية دون مراجعة أن تناقل المعجميون المعاصرون ما فيها واقتبسوا منها في مؤلفاتهم المعجمية. فلم يعد كافياً تكليفهم ولجان المجامع في اللغات القديمة والحديثة والنحو والبلاغة والأدب بهذا العمل التصنيفي، بل لزم أن يشاركهم فيه أخصائيون تنسيقاً للأعمال المتعلقة بالمعجمية العربية الحديثة(٧٣). فلم يعد المجال متسعاً للرواية ونقل اللغة وحده، وتدوينها كما كانت في الماضي، بل حاجتنا اليوم تتمثل في إدراك دلالة المفردة في سياقها، وما سماه المعجميون القدامى أنفسهم بـ «قرينة النص» التي بها يستدل على معنى الكلمات والتي تساعدنا بمطالعة النص والجملة على فهم كنه المفردة. وكذلك على النحاة معرفة القواعد وأهميتها ومفعولها المطبق على كل أصناف الكلمات، ومنها الحروف التي تتطلب معرفة قواعد استعمالها وقيمتها الدلالية التي بفضلها يمكن استخدامها في مواضعها. وهذا عمل صار عسيراً في وقتنا لكثرة الألفاظ وتنوعها، خاصة أننا لم نعد نقتصر على المعنى اللغوي للكلمة(٧٤). ومع أن المعاجم التي واكبت النهضة العربية الحديثة طرأ عليها بعض التحسينات والتجديد، لكنها لم تقم بتدوين ما يكفي من الكلمات المولدة التي صارت مادة لغوية شائعة ضرورية. فلا يمكن أن نقول إنها أتاحت للعربية تنمية زادها الاصطلاحي. لكن لا شك أن المعاجم القديمة التي تعهدت بألّا تورد إلّا اللغة العربية الفصحى استمرت في وضعها إلى اليوم، وبقيت المرجع الأساسي الأول والمنطلق لكل تجربة معجمية جديدة(٧٥). فبعد أن صدر **محيط المحيط**، بدأت تظهر سلسلة من

---

(٧٢) درويش، **المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين للخليل بن أحمد**، ص ١٣١، ١٥٧ - ١٦٠، ١٣٧ و١٤٣.

(٧٣) الخطيب، **حول المعجم العربي الحديث**، ص ٢٠٩ و٢١٤.

(٧٤) عبد الرزاق محي الدين، «العمل المعجمي بين علوم اللغة العربية،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (بغداد)، السنة ١٦ (١٩٦٨)، ص ٣ - ٦.

(٧٥) علي الخاقاني، «مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (بغداد) (١٩٦٢)، ص ٢٤٦، وابراهيم السامرائي، «الجديد في اللغة والمعجم العربي الحديث،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (بغداد)، السنة ١٣ (١٩٦٣)، ص ٢٦٥ - ٢٦٨.

المعاجم العربية الحديثة[٧٦] تولّت مهمة التعريب باللغة لفترة طويلة. فكانت مؤلفات مجددة في مظهرها ومحتواها، وتفتحت للمولّدات العلمية، وقد تجاوز عددها ١٥٠ معجماً[٧٧]. ومن بين هذه التآليف المعجمية التي دعمت تيار تجديد اللغة التي تشكل مادة المعاجم الحديثة، لنذكر **أقرب الموارد** للشرتوني (نشر في بيروت سنة ١٨٨٩)، وأضيف له **ذيل الموارد** (١٨٩٣). كان بمثابة العمل المصنف طبق قواعد المعاجم التقليدية، لكنه أدرج المصطلحات العلمية والمولدات وأسماء الأعلام. وتضمن أخطاء ونقائص في استعمال الإعجام، وشروحاً مركبة تركيباً تلاعبت بدلالات المفردات، وقد يستنكرها أعلام اللغة (مثلاً كلمة خريطة). وتضمن أيضاً كلمات تركية شائعة رتبها المؤلف في صنف المعرّب والمولّد، في حين أن المعرّب يخص الكلمات الأعجمية الموزونة على وزن عربي. وأما المولّد فهو خاص بتوليد الكلمات الجديدة الطارئة على اللغة العربية الفصحى. ذلك أن المعرّب هو من الكلمات التي صاغها العرب أنفسهم على وزن من أوزانهم، وينبغي تمييزه عن الكلمات التي تسربت من اللغات الأجنبية في لغة الحديث، لكنها لم تصر لذلك فصيحة شائعة. وقد طرأت مساوىء عدة على هذا المعجم، كأن يغفل استعمال كاف التشبيه طبقاً لما سار عليه **القاموس المحيط**. وقد ذكر كلمات عدة مستمدة من غير المعاجم أو كتب اللغة، مثل كتاب **المفردات** لابن البيطار، وكتاب **الألفاظ الكتابية** و**العقد الفريد**[٧٨]. وإذا قارنا هذا المعجم بمعجم البستاني، نجده قد عدل عن ذكر أغلب قواعد النحو والصرف، التي تساعد على إدراك الكلمة. فلم يذكر إلاّ قليلاً رواة اللغة والمصادر التي أخذ عنها، لكنه تجنب التكرار والغموض الموجود عند ابن منظور. وقام باشتقاق الكلمات من أصولها، فانطلق من الجذر ثم اشتق الكلمات بزيادة حرف وحرفين. وقد اعتبر دوزي (Dozy) معجم البستاني أحد التصانيف التي جمع فيها ما اقتبسه عن بعض المعاجم القديمة، مضيفاً إلى ذلك عدداً كبيراً من الكلمات والدلالات المولّدة، وكلمات من لهجة سوريا[٧٩]. ومن رأي هذا المستشرق أنه يعوز الشروح اللغوية الوضوح، بل إن الغموض قد اعتراها لأننا لا نعلم النظام الذي تنتمي إليه[٨٠]. ومن المآخذ التي أخذت على معجم البستاني أنه ارتكب الأخطاء نفسها التي وقع فيها فريتاغ Freytag، فخلط بين اللغة التركية والفارسية والفرنسية، في حين أن لين Lane ذكر مصادر اللغويين الأوائل[٨١].
أما فانيان Fagnan فقد سلك طريقة عمل تعلقت بتكوين جملة من ملاحظاته التي جمعها خلال مطالعاته كتب الفقه المالكي خاصة، فتشكل بذلك جهاز لغوي منوع ساهم في تيسير

---

(٧٦) «Notes sommaires sur la formation des noms abstraits en arabe et l'influence des modèles grecs,» p. 510.

(٧٧) المصدر نفسه.

(٧٨) بن العربي، «معجم المعاني العربية المؤلفة خلال مائة عام، ١٨٦٩ - ١٩٦٩،» ص ١٦٢ - ١٦٥.

(٧٩) Reinhart Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes* (Paris: Leyde, 1967).

(٨٠) المصدر نفسه.

(٨١) محمد جميل الخاني، «المعجمات الحديثة،» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**، السنة ٢٣ (كانون الثاني/ يناير ١٩٤٨)، ج ١، ص ٧٩ - ٨٦.

وضع تأليف له، كان عبارة عن ملحقات للقواميس العربية[٨٢]. ورغم أن ابراهيم اليازجي اتجه إلى الفصاحة، فقد اعترف بأن اللغة العربية قد تقوّت في العصر الحديث، وان اللغويين المعاصرين شرعوا في إحياء لغة الماضي[٨٣]. وفي هذا المضمار يمكن إدراج محاولة الأب اليسوعي لويس معلوف الذي أنتج المنجد في اللغة والآداب والعلوم الذي أعدته المطبعة الكاثوليكية في بيروت، وتكرر طبعه إلى الآن، فبدأ العمل في وضعه من ١٩٠٨. واستمر حتى ١٩٢٧ وكان هدفه إضفاء طابع عصري على المعجم العربي. فأدخل ٤٨ صورة ملونة صارت ٧٤ في طبعة ١٩٥٦، وهي الخامسة عشرة من طبعات المنجد، إضافة إلى أكثر من ١٢٠٠ رسم و١٠٠ خارطة و٥٢ خارطة ملونة. ونجد نوعاً آخر مقتبساً عن المنجد في تأليف الأب تـوتل واعتمد مصادر عربية وغربية، وقد كان موضوعاً لتعليقات مجمعية اهتمت بمادة حرف الألف. ولا شك أنه دعم الاتجاه الذي سار عليه المنجد للأب معلوف[٨٤] الذي دخل طبعته العشرين سنة ١٩٦٩، وقد ألحق بها معجم الأعلام. وقد كان شاغل المؤلف هذه المرة في اشتقاق كل كلمة بداية من أصلها، تلافياً لكل إبهام في الدلالة. لكن لا يمكن أن يشكل المنجد مرجعاً ثابتاً للباحث والأخصائي، لما تضمنه من أخطاء في خصوص التاريخ الاسلامي والتراث العربي، إذ وردت به هفوات منتمرة[٨٥] كان ينبغي تلافيها لو عمد واضعوه إلى تشديد التحري ومراجعة المادة قبل الشروع في طبعة جديدة. فقد كان يجب اصلاح التعريف المخصص للأمور العلمية، ومراجعة معجم الحيوان لمعلوف والمعجم الزراعي للشهابي[٨٦].

ويعسر السكوت عن مثل هذه الهفوات خاصة وان المشرفين على كل طبعة متعددون، وإن المهلة المخصصة لإعدادها دامت سبع سنوات، ذلك أن تجميع المفردات وتدوينها بدأ إثر الفراغ من الطبعة الأولى ونشرها. ومنذ سنة ١٩٣٠، تجمع ما يقدر بـ ١٨,٠٠٠ تأليف و٣٠٠٠ مخطوط بالمكتبة الشرقية بجامعة القديس يوسف في بيروت. ورغم هذه الامكانات الجاهزة، تمادى المؤلفون في نشر الهفوات عن التاريخ الاسلامي[٨٧]. وقد استمر المحققون في سرد أخطاء المنجد، إذ تضخم عددها مع ارتفاع عدد الطبعات الجديدة المتوالية دون انقطاع. فقد كانت متنوعة، منها الأخطاء اللغوية، كأن تستعمل الكلمات التي تشكل موضوعاً للنزاع في شأن مضمونها الدلالي، وأن لا ترد بـ المنجد التحريات والتدقيقات الضرورية عن أصول الكلمات، وأن يهمل إصلاح ما فات في الطبعة السابقة، فقد عدّت على المنجد ٢٥٠٠ هفوة في معجم الأعلام فقط، وقد أغفلت (قصداً؟) فترات عدة من

---

(٨٢) E. Fagnan, *Avertissement additions aux dictionnaires arabes* (Beyrouth: [s. n., s. d.]).

(٨٣) ابراهيم اليازجي، **لغة الجرائد** (القاهرة: [د. ن.، د. ت.]).

(٨٤) عبد الله كنون، «نظرة في منجد الآداب والعلوم،» **اللسان العربي**، السنة ١ (حزيران/ يونيو ١٩٦٤)، ص ١١٣.

(٨٥) الدقاق، **مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم**، ص ٢٢٣.

(٨٦) مصطفى الشهابي، «نظرة في المنجد،» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**، السنة ٣٢ (تموز/ يوليو ١٩٥٧)، ج ٣، ص ٤١٦.

(٨٧) المصدر نفسه.

تاريخ الاسلام، وحرّفت حقائق تاريخية وجغرافية وسياسية عدة، فرسمت خارطة الأردن مع خارطة فلسطين، وأغفل على الخارطة ذكر المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ . . .»[٨٨]. ومما ظهر من تآليف معجمية موجهة إلى الطلاب، وهو أمر يحتم أقصى ما يمكن من التحري في العمل على صيانة اللغة التي تشكل مادة مثل هذه المعاجم المدرسية، إضافة إلى ما ينبغي تدوينه من معلومات متنوعة صحيحة لا تحيّز فيها لخطورتها على تشكيل ذهنية التلاميذ وتأصيلهم في بيئتهم العربية، وهذا الذي يحدو الباحثين والمحققين في الحقل اللغوي الحديث، على التشدّد تجاه طبعات **المنجد** لرواجه في كل البيوت ولدى مختلف أصناف التلاميذ خاصة في التعليم الثانوي، نتبين أنه لا يمكن أن تحتكر هذه الطبعة أفكار الطلاب. وهذا ما حدا ببعض المدرسين في تونس على إنتاج **القاموس الجديد للطلاب** (١٩٧٩)، وقد استجاب لتوصية صدرت عن وزراء التربية في المغرب العربي، الذين عقدوا مؤتمرهم في تونس سنة ١٩٦٤، وقد ذكرت تلك التوصية اقتراحاً مفاده تأليف قاموس حديث دقيق يسير الاستعمال. فصدر القاموس المذكور، ورتّبت كلماته على الهجاء العربي لا على الاشتقاق، تيسيراً لعمل المتعلم، وتأيد شرح الكلمات بالآيات والأحاديث والشواهد من الأمثال والأشعار تعويداً للتلاميذ على اللغة الفصحى، ووردت به قائمة بالمصطلحات العلمية والفنية اقتبست عن مادة الرصيد اللغوي الذي تقرر نشره في التعليم على صعيد المغرب العربي ليكون الزاد المشترك الأدنى بين أطفاله، يتخاطبون به فيكون أداة التفاهم بين الأجيال المغربية، فجاء توطئة ودعماً لمشروع الذخيرة اللغوية العربية الذي قدمه وفد الجزائر إلى المؤتمر السادس للتعريب، والمقصود بها «عبارة عن قاموس جامع للألفاظ العربية»[٨٩].

ونشرت طبعاً معاجم أخرى فجاءت مصححة الاتجاهات التي عيبت على **المنجد**. فقد اعترض مؤلف **الرائد** على التشعّب المحيط باللغة واقترح ادخال تحسينات على طرق تعليم العربية. فكان ذلك الاتجاه الجديد أكثر وضوحاً عند العلايلي في معجم لم يستكمل، ظهر في بيروت (١٣٧٣/١٩٥٤)، خصص فيه قسماً للعلوم والتقنيات. فقد ميّز بوضوح الكلمة الفصيحة من الكلمة الأعجمية واللفظة المولدة. واعترف في مقدمته بالتناقض القائم بين الاتجاه المتشدّد المفرط في المحافظة على سلامة اللغة وبين اتجاه يعمل على تسديد ضرورات العصر، ويلزم بالنزوع إلى آفاق جديدة في البحث اللغوي لم يعد خاضعاً فقط لقانون المحافظة على التراث اللغوي. وقد أسّس معجمه على استخراج الوحدة الدلالية الكامنة في الجذر الأم، فأمكن بذلك اشتقاق كل الكلمات الممكنة في اتجاه معين تخول تحويل الكلمة المشتقة إلى مصدر اشتقاقي جديد بدوره (من جذر رَجَلَ، نستمد رِجْل)[٩٠]. وقد لاقى هذا

---

(٨٨) رودولف زلهايم، «ثبت لأهم مصادر مراجع ترجمة عبد الله بن الزبير حسب الترتيب الزمني،» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**، السنة ٤٩ (أيلول/ سبتمبر ١٩٦٥)، ج ٤، ص ٨٦٥، **واللسان العربي** (١٩٦٤)، ج ١، ص ١٨٠.

(٨٩) **اللسان العربي**، العدد ٣١ (١٩٨٨)، ص ٢٧.

(٩٠) عبد الله العلايلي، **المعجم: موسوعة لغوية علمية فنية** (القاهرة: ١٩٦٣)، ص ٥، ٧ و١٤.

المعجم تأييداً ما لدى مجمع القاهرة، الذي كان يخشى دائماً أن يمتد استخدام القياس امتداداً متناهياً فوضوياً، كما أيّده طه حسين وغيره[91]. وعند هذا الحد يمكن التساؤل عن احتمال ظهور نوعين من المعاجم: معجم الردود الفورية الملموسة النفعية الوجدانية، ومعجم الفكر المجرد[92]. ويبدو أن هذا التمايز المعجمي لم يتضح بالنسبة إلى المعاجم القديمة سوى في استخدامها كعلامة تجريدية، للنسبة الملحقة بآخر الكلمة (إيّة). وبهذا المعنى لربما مارست اللغة العربية المفردات المجردة من طريق الفلسفة اليونانية، في حين أن تلك الألفاظ المجردة لم تعد سوى «كلمات رامزة» في مستوى الاسمية، لا «كلمات قوة» في مستوى الواقعية[93].

وفي الجملة لا مفر من أن نلاحظ ما بلغته المعجمية العربية من تقدم، فلم تعد تبالي كثيراً بالنظرية القائلة بتعطيل تطور اللغة وتجميده في مرحلة محددة مسبقاً[94]. فقد اكتسحت اللغة تيارات الفصحى الجديدة وعايشت الفصاحة ومقاييسها التقليدية. فصار اليوم الباب مفتوحاً في وجه الاجتهاد اللغوي المتمثّل في القياس، كما فتح من قبل الباب على مصراعيه في وجه الاجتهاد الديني. فصار اليوم من حقنا ابتكار الكلمات أو الاقتباس عن دراية ما نحتاج إليه من ألفاظ أجنبية، وذلك بصوغها على الأوزان العربية، كما فعل أجدادنا من قبل[95].
الحقيقة أن المعاجم القديمة أفردت مكاناً للاعتبارات الصوتية والصرفية الضرورية لكل شرح، وأوردت كلمات نموذجية وكان ذلك ممكناً في وضع اللغة العربية بصفتها لغة اشتقاق. ولعل هذه الميزة الأخيرة هي التي شعبت البحث عن الكلمات في القاموس العربي، إلّا إذا تدرب الباحث على ما يوجد من روابط ترد المشتقات إلى أصل وحيد، وكذلك معرفة قلب الحروف التي تجمع في وأي (حروف العلة)، كأن تقلب الواو ياء أو العكس، وكلها معلومات صرفية لا يقدر على التصرف فيها كل شخص. ولنضف أن المعجم العربي كثيراً ما يذكر شرحاً تقريبياً غير دقيق، لكلمات مفصولة عن السياق أو قرينة النص. ولا يشكل ذلك الشرح معنى وظيفياً أو معنى له دلالة، في حين أن كل كلمة تتضمن دلالات عديدة موازية لدرجة شيوعها ومثل هذه الوضعية شبيهة بما عليه البلاغة، حيث يدرس اللفظ من وجهة الدلالة والبيان وأيضاً من وجهة المجاز. والملاحظ في هذا الصدد أن ما عليه المعجمية العربية من تقدم ينبغي ربطه بعلم البيان، وذلك لكي تنظم ما يجب من ترتيب هجائي على الكلمات لا على الجذور، لأن من شأن هذه الطريقة أن تحسن من المردود المعجمي. ذلك أن كل كلمة من تلك الكلمات يمكن أن تصير «جذراً» بدورها، تثبت «شخصيتها» بما توجد عليه من وضع مستقل ضمن المعجم. ويكون ذلك الأمر عاملاً على تحديد قوة استعمال وشيوع الكلمة،

---

(٩١) «بين المجلة وقرائها،» اللسان العربي، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٢٦٩.

(٩٢) *Mélanges de l'institut dominicain d'études orientales,* p. 345.

(٩٣) «Notes sommaires sur la formation des noms abstraits en arabe et l'influence des modèles grecs,» p. 510.

(٩٤) انظر: محمد رشاد الحمزاوي، «في سبيل نهضة المعجمية العربية في القرن العشرين،» مجلة المعجمية، العدد ٤ (١٩٨٨)، ص ٣ - ١٠.

(٩٥) «Notes sommaires sur la formation des noms abstraits en arabe et l'influence des modèles grecs,» p. 510.

ويسمح بجرد المعاني التي لها قيمة لغوية صرف أو قيمة اصطلاحية، أو أنها من النوادر. وإلى هذا الحد، لا يمكن لتلك النتيجة إلّا أن تكون مفيدة، بفضل ما يجدّ من تأثير في الأسلوب وتحسين على بنية الجملة العربية، وكذلك تهذيب اللفظة العلمية التي لا يستعملها الكتّاب العرب في الوقت الحاضر، فيلزم القارىء لذلك بالبحث عنها وعن دلالتها بعد بذل جهود مضنية ما أحوجه إليها[٩٦].

وبالإضافة إلى المعاجم الأحادية اللغة القديمة والحديثة، نستخدم أيضاً الموسوعات المتعددة اللغات، وكذلك المعاجم الثنائية أو الثلاثية اللغة، سواء كان محتواها لغوياً أو متخصصاً في علم أو تقنية معينة: وقد عددت هذه الأصناف قبل عقد (١٩٧٠)، فتبين أنه نشر ٢٣ معجماً (عربي - فرنسي)، و١٤ معجماً (عربي - انكليزي)، و٦ معاجم (عربي - ألماني)[٩٧]. ويمكن القول إنها أدوات عادية للعمل اللغوي والوضع الاصطلاحي. ذلك أن العمل الاصطلاحي ثم المعجمي يتطلب معرفة لغة أو لغتين بالإضافة إلى اتقان العربية، وذلك شرط في القدرة على الاسهام الايجابي فيه وابتكار ما نحن في حاجة إليه من مصطلحات موضوعة في لغات ثلاث على الأقل، أي اللغات المعروفة في الوطن العربي. وقد درس أحد المستشرقين الفرنسيين الذي كان عضواً بمجمع القاهرة - ماسينيون (Massignon) - هذه المسألة، محاولاً تبين الصورة التي يمكن بها للمعاجم العربية الاستفادة من القواميس الأوروبية الحديثة[٩٨]. فلا نستغرب بعد هذا أن نجد المجلس الدولي للغة الفرنسية يساهم في إعداد معجم زراعي، بصفته الجهاز المشرف على إشعاع اللغة الفرنسية في العالم، تكون فيه اللغة العربية الطرف الثاني الذي لا تتحرج اللغة الفرنسية في ١٩٨٠ ونهاية القرن العشرين أن تقتبس منها بعض أسماء النباتات والحيوانات، وكل ما يحيط بالأمراض الزراعية والتربية الحيوانية من كلمات مخصصة نوعية في اللغة العربية لها دلالة علمية في الميدان الزراعي بصورة شاملة. وقد حدّد مع خبراء عرب منهجية معجمية مدققة لتحقيق ذلك المشروع[٩٩]. ومن مصادر المصطلحات التي بقيت معتبرة، تأليف قديم يشكل موسوعة في العلوم الاسلامية تستخدم مرجعاً رئيساً للدارسين، ألّفه التهانوي (توفي سنة ١٧٤٠)، وقسم فيه الأدب إلى اثني عشر عنصراً. لكن ما أنتجه المستشرقون من طبعات شكل **موسوعة الاسلام** (صدرت في ١٩٣٣، وبدأت الطبعة ٢ وما زالت، منذ ١٩٦٩). وقد صدرت أيضاً موسوعة عربية أنشأها شفيق غربال بالقاهرة سنة ١٩٦٥، وظهرت موسوعة أخرى أشرف عليها فريد وجدي، عرفت بـ **موسوعة القرن العشرين** في ١٠ مجلدات، وقد عملت على منهاج

---

(٩٦) المكتب، مؤتمر ١٩٧٣، بحث تمام حسان.

(٩٧) بن العربي، «معجم المعاني العربية المؤلفة خلال مائة عام، ١٨٦٩ - ١٩٦٩،» ص ١٦٦، و**اللسان العربي** (١٩٧١)، ج ٢، ص ٤٢.

(٩٨) لوي ماسينيون، «المعاجم الأوروبية الحديثة ومدى ما تستفيده المعاجم العربية منها،» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**، السنة ٧ (١٩٥٣)، ص ٣٥٩.

(٩٩) **مجموعة البحوث والمحاضرات**، ١٩٦١ - ١٩٦٢، ص ٢١١.

الموسوعات الأوروبية تصنيفاً تضع على أساسه قواميس اللغات والعلوم. وظهرت في لبنان موسوعة أخرى في الآداب والعلوم والفنون والمعارف العامة (١٩٥٥)، وكانت موجهة إلى الصحفيين بغية مدهم بما هم في حاجة إليه من وثائق ضرورية لنشاطهم[١٠٠].

والواقع أن إدخال لغة أوروبية في المعجمية العربية المعاصرة قدم بعداً جديداً للغة وعنصراً لمقارنة البنى اللغوية في لغات مختلفة. وتؤيد المعاجم الأوروبية الخاصة باللغة العربية تشكيل لغة أساسية، مثل ما عرف بالعربية الحيّة عند المستعرب الفرنسي بيلاّ. وقد ألّف ذلك في ١٩٥٢ وأعاد طبعه في ١٩٦٠. ورتّب معجمه الصغير على الأصول، إبرازاً للغة البنى العربية (٢٧٠٠ كلمة من ٩٠٠٠ و٩٠ بالمئة من اللغة الشائعة). وقد سبقه مستشرق فرنسي آخر هو بيرشيه (Bercher) بمعجم عربي فرنسي (١٩٥٣، ٣٠٠٠ كلمة) كان اقليمياً في لغته، وخصص «للغة» التونسية المهذبة. ومن المعلوم أن المعجم الانكليزي العربي صدر مراراً باسم الياس في صورة حديثة، وكذلك مثله في النظام العربي الانكليزي، وقد أقحم به مؤلفه ما يقرب من ٦٤,٠٠٠ كلمة كثير منها من العامية المصرية. وقد اتجه به إلى الناطقين بالانكليزية الراغبين في تعلم اللغة الفصحى، ولم يبد لذلك أنه عني بصورة رئيسية باللغة العربية الحديثة. وانطلاقاً من هذه الأعمال المعجمية، وما جدّ فيها من تواجه بين العربية وغيرها من اللغات، بدأ البحث حول ما جدّ من تداخلات بين العربية وغيرها. وقد وضع خلافاً لذلك، بارانوف (Baranov) معجمه في ٣٣,٠٠٠ كلمة، وأضاف إليه المفردات التقنية التي اكتست طابعاً عصرياً صميماً لا وجود له مثلاً عند هانز ڤير (Hans Wehr) الذي وضع قاموسه سنة ١٩٤٩، معتمداً على المادة المدوّنة في ٤٥,٠٠٠ جذاذة، ولكنه لم يستخدم كل ما صدر عن مجمع القاهرة من ألفاظ. واعتباراً أن المعجم يشكل عند بعضهم أساس اللغة، فقد اعتبر القاموس السابق جرداً كاملاً لمفردات اللغة الحية. وما ثار في وجه هؤلاء المعجميين المستعربين هو مسألة الترتيب، رغم أن مجمع القاهرة قرر منذ ١٩٣٩ العمل بالترتيب الهجائي، وذلك بعد أن نظر في ١٩٣٥ في مسألة نظام الاشتقاق وموازنته بالترتيب الألفبائي. واعترض الأب فليش على أن النظام الهجائي يقضي على التركيبات الطبيعية في الكلمات العربية[١٠١]. واعترض غيره على ذلك مبيناً أن هذا يسيء إساءة عميقة إلى الأصول الصرفية في اللغة العربية. لكنه يتيح بلوغ كل الحلول الممكنة في الجذور الثنائية والمشتقات مصدر التقنية. وإضافة إلى هذه التجارب، لنذكر ما قام به دوزي (Dozy) من تحديدات عريضة للقاموس العربي الحديث، فأكد أنه ينبغي ذكر المعنى التاريخي الصحيح للكلمات وأيضاً تعريف الدلالات المختلفة التي طرأت على الكلمة في بلاد العرب وفارس وافريقيا واسبانيا. وما يمكن توخيه لبلوغ هذا الهدف، هو اقتباس أمثلة من أمهات الكتب ومن مختلف العصور، ترسيخاً لتاريخ كل لفظة، وتمييز المعاني الخاصة بلفظة معينة تمييزاً دقيقاً، كما

---

(١٠٠) الفلاح (نشرة التعاون العربي ـ الفرنسي)، السنة ٢ (أيلول/ سبتمبر ١٩٧٨).
(١٠١) المكتب، حصة اذاعية، ١٩٦٤/٣/١٥.

استعملت في كل قطر عربي[102]. وقد اقترح للتقدم بالمعجمية العربية خطوات، ترتيب الكلمات حسب المؤلفين والمواضيع، والاقتصار على ما شاع من مفردات في قطر واحد. ولعل هذه الطريقة تمكن من جرد اللغة تدريجياً، على الصعيد القطري ثم الإقليمي ثم العربي.

وقد تأسست المعاجم الثنائية اللغة على مثل هذه المعاجم الأوروبية الأساسية الخاصة بالعربية، اعتباراً لاختيار الفرنسية والانكليزية لغة ثانية. ومن بين هذه السلسلة المعجمية ذات القيمة المختلفة، رسّخ البعض منها وصارت أداة ناجعة[103]. ومنذ القرن الماضي بيّن دوزي (Dozy) المخاطر التي تحيط بمثل هذه التآليف ونقائصها المترتبة في الواقع عمّا رسخ من عيوب في المعاجم العربية القديمة، التي لم تساير التطور اللغوي بل اكتفت بالمحافظة على سلامة اللغة بصورة مفرطة آلت إلى تجميد اللغة العربية في قوانين القرن الأول من الهجرة، في حين أن العربية ما لبثت أن ظهرت كأداة حضارية تفاعلت مع الكلمات الأعجمية المعبّرة عن أفكار جديدة حتى تعطلت حيويتها بمفعول تقنيات فقهاء اللغة والنحاة. ومع ذلك فهي لم تتردد في الاستزادة من الكلمات المولّدة التي لم تدوّن في سجل الألفاظ الفصيحة. ونجد أن المعاجم العربية التي بدأت تظهر في القرن الماضي قد نهجت نهج المعاجم التقليدية. وهذا المستشرق نفسه لا يؤيد من المعاجم الحديثة في بداية هذا القرن ويعتبره أحسنها، سوى المعجم العربي الفرنسي الذي صدر في الجزائر سنة ١٨٧١ تأليف بوسييه (Beaussier)، ويتطلب وضعه من جديد أو النسج على منواله سنوات طويلة. وإضافة إلى هذا المعجم، نجد معجمياً فرنسياً آخر كازميرسكي (Kazimirski) يحيي لأول مرة المصطلحات العلمية القديمة، ويترجمها إلى الفرنسية، وبذلك يكون قد ساعد في آخر القرن الماضي، على ظهور اللغة العربية الحديثة. وتلك كانت السبيل التي سلكها بيلو (Belot) وهو يرى أن العربية تخوض تحوّلاً كاملاً، وهي مستمرة مع ذلك على ارتباطها بأصولها الفصيحة. وقد وضح في قاموسه الفرنسي العربي (تقديم الطبعة الأولى) أن التردد قائم بين الكلمة التي تصاغ في الحياة اليومية، والكلمة النابعة من الشعور اللغوي العميق المسيطر على الكاتب. فنحن في حيرة من أمرنا، سواء قبلنا المولّد أو تخلينا عن الكلمة الفصيحة. وكانت الأسباب المنهجية قد اضطرت اللغويين والخبراء إلى اقحام أداة لغوية ثانية تكون ناقلة للحضارة المعاصرة، وكانت تلك قناعة سهيل ادريس في قاموسه الثنائي اللغة المنهل[104]. وعلى هذا الأساس، صارت الثنائية

---

(١٠٢) Reinhart Dozy, «Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes,» *Journal Asiatique,* vol. 8 (1846), pp. 364-365.

(١٠٣) استمر صدور مثل هذه المعاجم بصورة مطردة فبالنسبة إلى الفرنسية، ظهر على التوالي:

Jean Jacques Schmidt, *Vocabulaire d'arabe moderne: Arabe-français, français-arabe,* 2 vol. (Paris: [s.n.], 1983); Zaki Coussa, *Dictionnaire pratique arabe-français* (Paris: Conseil international de la langue française, 1987), et Daniel Reig, *As-sabil: Dictionnaire arabe-français, français-arabe* (Paris: Larousse, 1983).

(١٠٤) جبور عبد النور وسهيل ادريس، **المنهل: قاموس فرنسي - عربي**، ط ٧ (بيروت: دار العلم للملايين؛ دار الآداب، ١٩٨٣). يذكر المؤلفان في التصدير «أن المشكلة الكبرى التي اعترضتنا في أثناء عملنا هي نفسها التي تعيق تدفق المعاني الحضارية في لغتنا».

اللغوية المعجمية بعداً يخدم تطوير اللغة العربية الحديثة. فتكرّرت مثل هذه التآليف إلى حد تعسّر معه تحليلها كلها أو حتى استعراضها. فالخبراء في الميدان المعجمي الذين يمارسونها ويقيمون محتواها خلال تنقيباتهم الاصطلاحية لهم الكفاءة على الوجه الأكمل لمقارنتها وتقدير محتواها اللغوي. ولذلك، سنقتصر على تحليلها بإيجاز، خاصة منها المعاجم التي تبدو لنا ذات استعمال مستمر بين اللغويين الذين ما انفكوا مع العلميين يجتهدون في تنمية الثروة الاصطلاحية ومراجعة المصطلحات المبتكرة، لأن أحسن المصطلحات هو ذلك الذي يخضع باستمرار للتحري والمراجعة والاصلاح والتحسين، ويتدعم مثل هذا الجهد بوجود المصادر المعجمية المتجددة المراجعة هي أيضاً، المتجهة دوماً في طريق التحسين والإثراء العلمي. وما يعمله المكتب مثلاً هو بلوغ مآربه في تنسيق وتقريب وانتقاء أحسن المصطلحات استعداداً لتصنيف المعاجم المتخصصة في الميادين العلمية والتقنية. وتطورت فكرة التأليف المعجمي(١٠٥) بحيث شملت، كما سنرى ذلك مفصلاً، لغة الحضارة والحياة الاجتماعية، كمعاجم الأمثال (وعددها ١٠٣٠، مثلاً) المقارنة بين العربية والانكليزية. فقد ضبط الخبير الأمثال والحكم العربية وقارنها بما يعادلها من أفكار تعبر عنها الأمثال الانكليزية. ذلك أن المثل يشكل نصاً مجرداً يعكس الملامح الثقافية لأمة من الأمم، وهي تستخدمها في مواقعها من الكلام. وبذلك نتعرّف على أن الأمثال الانكليزية تتّسم بطابع المدن، وهي تدوّن دون شرح أو تحديد تاريخي في لغة عصرية. والخلاصة أنه ينبغي كتابة تاريخ الأمثال(١٠٦).

أما بخصوص المعجم المزدوج اللغة العام (مثلاً انكليزي - عربي)، فلا شك أنه ينبغي وضعه بحيث يخدم في الوقت نفسه الناطقين بالانكليزية والناطقين بالعربية، دون أن ندعي أنه يرضي كل الرضى المنتفعين به، خاصة من وجهة التعبير والادراك، ذلك أن الألسنية الحديثة أقرّت فعلاً أن المعجم ثنائي اللغة يجب أن يتّجه إلى الناطقين بالعربية ويحملهم على التعبير بالانكليزية وفهم هذه اللغة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الناطقين بالانكليزية والمقدمين على استخدام العربية. والمتوقع أن تفشل مؤلفات عدة في الاستجابة لهذه المقاييس، لأن ناشر مثل هذه القواميس يستهدف مسبقاً الاستجابة للاتجاهين في آن واحد، لأسباب اقتصادية بديهية. ومن جملة هذه المعاجم انكليزي - عربي، نجد تأليف اسماعيل مظهر (القاهرة، ١٩٥٠) الذي حاول مواجهة الاخصائي بالأفكار المقتبسة من الواقع والمجاز، كما حاول إيناسه بالأسلوب الانكليزي، فأورد شواهد شعرية ونثرية اقتبسها من أحسن المؤلفات. ولم ير مانعاً قط من استخدام الكلمات المنحوتة إذا أمكن التعبير بهذه الوسيلة عن فكرة جديدة، أو

---

(١٠٥) عبد القادر الفهري، «المصطلح اللساني (معجم انكليزي - فرنسي - عربي)،» **اللسان العربي**، العدد ٢٣ (١٩٨٤)، ص ١٤٠. «والمعجم اللساني شأنه شأن المعاجم القطاعية الأخرى موزع بين معجم داخلي أي المعجم الأحادي اللغة، ومعجم خارجي أي معجم متعدد اللغة». انظر أيضاً: محمد حلمي هليل، «المصطلح اللساني وقاموس اللسانيات،» **اللسان العربي**، العدد ٢٨ (١٩٨٧)، ص ٢٩ - ٧٥، حيث يراجع القاموس السابق مراجعة نقدية.

(١٠٦) ممدوح حقي، «المثل المقارن بين العربية والانكليزية،» **اللسان العربي**، السنة ١١، العدد ٢ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ص ٣٩٣.

الكلمات المولّدة للدلالة على أشياء كانت مجهولة قبل ذلك في اللغة أو لضرورة علمية، إذ من المعلوم أن العربية رفعت صيغها من ٣٠٠ إلى ١٢٠٠ عندما غادرت بلاد العرب. وقد تمادت معاجم عدة ثنائية اللغة في النسج على منوال القواعد التقليدية الصرفية الخاصة بمظاهر الفعل الزمنية والمصادر. ونهج ذلك النهج القاموس العربي - الانكليزي الذي وضعه ورتبات الذي اعترف لا محالة أنه يمكن التدرّب على الصيغ التقليدية الفصيحة بالرجوع إلى المعجم.

ويشكل **المورد** (طبع في ١٩٦٧، ١٩٦٩، ١٩٧١) لمنير بعلبكي ثمرة مجهود جمع مفردات المعجم الانكليزي والأمريكي، وكذلك المعجم (إنكليزي - عربي)، والمعاجم العلمية المزدوجة اللغة الخاصة بعلم أو فن معين، وقوائم المجامع، وفهارس الكتب العلمية المنقولة إلى العربية التي ارتفع عددها نسبياً، وارتفعت أيضاً نسبة الأخطاء الواردة فيها. ولنشر إلى **المورد الوسيط** (ما يقرب من ٥٠,٠٠٠ كلمة، وبلغ غيره ٧٠,٠٠٠ كلمة) الذي وضع فيه المؤلف ألفاظاً مولّدة عربية، واعتمد تعريفات مفصلة اكتست صيغة عامة أكثر مما كانت نوعية. فنجم عن ذلك نقص في حجم المعلومات التي ينتظرها منه الأخصائي، خاصة في علم الحياة والطب. ولم يستقر على زيادة أداة التعريف إلى الاسم، اضافة إلى أنه يورد الفعل في المضارع، في حين أن القاعدة المعجمية الميسّرة على المطالع، تحتّم البدء بالأصل الفعلي في الماضي[١٠٧].

ويبدو أن **المورد**، ييسر على الناطق بالعربية فهم الكلمات الانكليزية، وذلك بضبط النبر، وذكر المقابلات العربية. ولعل مؤلفه قد صاغ لنفسه طريقة عمل خاصة به. وكانت قرينة الاتفاق في الأصول الرئيسية مع قاموس الياس، تقدر بـ ٨٧ بالمئة، ٤٨، وتكون قرينة الاختلاف مساوية لـ ١٣ بالمئة، ٥٢. هذا ولم يؤسس المؤلف طريقته تلك على القاموس التاريخي لأكسفورد، ولا على قاموس (Webster)، ولم يستعن بالعقل الالكتروني لأن مثل تلك الوسيلة تتجاوز لغاية الآن امكانات الأقطار العربية. ومع ذلك، فقد جرد أصوات اللغة الانكليزية. والملاحظ أنه كان عرضة لبعض التشويش في ترتيب الكلمات على الهجاء الانكليزي، مع الاشارة إلى الاختلافات الموجودة في كتابة كلمات عدة. على أنه كان أول معجم انكليزي - عربي يقدم بعض المعلومات الصوتية في اللغة الانكليزية، كانت لا محالة قليلة ولم تشر سوى إلى نطق الأصول دون أن تتسع إلى الأمثلة. وكان في امكانه الاقتباس عن قاموس (Webster). ولم يستخدم المؤلف النظام الصوتي الانكليزي ولا الرموز التي وضعتها الجمعية الدولية لعلم الأصوات. وبذلك، لم يتضح النبر الصحيح بحيث يكون لكل صوت علامة فريدة. وهو يسوق المعاني الأصيلة لكلمات عدة. لكن لا يبدو أن قاموس **المورد** مهيأ للقيام بمثل هذه المهمة المخصصة عادة للقواميس الانكليزية الصرف، وهو عمل يفيد أكثر لو شمل الكلمات العربية. لكن المعلومات النحوية والصرفية كانت قيّمة، مع الاشارة

---

(١٠٧) محمد عبد الغني حسن، «نظرات في دمية القصر وعصرة أهل العصر،» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**، السنة ٤٨ (نيسان/ ابريل ١٩٧٣)، ج ١، ص ٣٩٣.

إلى اغفـال الأفعال التي تقبـل مفعولـين، واسم العدد، والفـاعل المجـرد. كـما أهمـل تجميـع الكلمات التي تشتق من أصل انكليزي واحد، وهو اتجـاه معروف عنـد المعجميين المعـاصرين في جمـع الكلمات التي من أسرة واحدة، وكـذلك فهـو عمل عـادي في العـربيـة تيسيـراً عـلى المبتدئين في استيعاب المفردات. وبالرغم مما طرأ على **المورد** من نقـائص، فقد وفق إلى ضبط المقابلات العربية ضبطاً سليماً دقيقاً، مرتباً الأفكار على النظام التـاريخي، وهو أمـر غير معتـاد كثيراً في معجم اللغتين، ذلك أن القارىء يـرغب أولاً في الاطلاع عـلى ما للكلمـة من معان حديثة راهنة، دون المطالبـة حتماً بمـا طرأ عليهـا من أطوار دلاليـة. وكانت نسبـة الأمثلة التي ذكرها عن الأفكار تقدر بـ ٧٠ بالمئة، ١٤. والتوزيع المثـالي أن يقابـل كل فكـرة مشروحة في **المورد** بمثال. ومع ذلك، فقد عمل عـلى إدخال المصـورات إلى **المورد**، ولـو أن أهمية بعضهـا ضعيفة عند القارىء العربي، مثلاً صورة مسجد، لكنه عمل برموز متشعبة نسبياً. ولم يكتس **المورد** لا محالة أي صبغة موسوعية، ففقد بذلك جانباً من أهميتـه التي كانت تنمـو لو أضـاف أسماء الأشخاص والأماكن الحضارية الانكليزية الأمريكية والفهارس، بذلك تجنّب ما طرقتـه المعاجم العربية التقليدية مراراً من مواضيع هي متناقلة حديثها عن قديمهـا بحيث إنّ المطالـع لا يكتشف مـادة جديـدة فيها[108]. ومـع هذه النقـائص، فقد اعتـبر **المورد** «رائـداً بين المعـاجم الانكليزية العربية في تطبيق بعض مبادىء علم اللغة الحديث، غير أنه لم يستـطع الخروج عن التقليـد المعجمي الذي لا يزال يعاني من بعض النقص هنا وهناك. ونقولها باعتزاز إن المورد هو أحسن معجم ثنائي اللغـة صنفه عربي لخدمة العرب. فخصاله حميدة كثيرة: مواد وفيرة تعنى بصورة خاصة بالتعابير الاصـطلاحية والمصـطلحات العلميـة الحديثـة، دقة في اختيـار المقابـل العربي، ادخـال الرمـوز الدالـة على طـريقة اللفظ وكـذلك الشـواهد التوضيحية لأول مرة في عالم المعاجم الانكليزية العربية»[109].

ولم تنفك الضرورات التقنية والمهنية تبعث أيضاً على نشر معاجم نوعية مثل التي يؤلفها مهندسون، كمعجم وديع فانوس الذي استخدم الألمانيـة لغة ثـانية (١٩٦٣)، وقـد مهّد لـه مؤلفه بقائمة من الألفاظ التقنية في الألمانية والعربيـة (١٩٦٢)، وذلك استجـابة للمستعـربين الالمان الذين رغبوا في الاطلاع على المفردات العلمية في اللغة العربية. أمـا **المعجم**[110]، فقد اجتهد في احترام قاعدة المفهوم العلمي المتضمن دلالـة واحدة. وكأنه وطأ لتحسينات أخـرى وجدناها فعلاً في معجم جيد (القاهـرة، ١٩٦٢) الماني ـ عـربي، الذي شكّـل الكلمات شكلاً تاماً (قرابة ٣٠,٠٠٠ كلمة)، مضيفاً إليها قوائم في تصريف الأفعال. وللمؤلف نفسه معجم ايطالي عربي كلماته مشكولة، لأن المؤلف يعتقد أن الشكل ينير الـدلالة. وعـلى هذا الأسـاس تكون المعاجم التقنية دعماً للتنمية الاقتصاديـة. فقد حتّمت ضرورة المهنـة على الخـبراء الألمان مثلاً معرفـة مبادىء العـربية. ولعـل ذلك مـا حدا بـالمكتب إلى اعتبار اللغـة الالمانيـة احدى اللغات الصالحة لمعاجم عدة متخصصة في حقل التقنيات، وذلك تماشياً مع تـطور العلاقـات

---

(١٠٨) **اللسان العربي** (١٩٧٤)، ج ١، ص ١٦٩ - ١٧٩.

(١٠٩) المصدر نفسه، ص ١٧٨.

(١١٠) Wadie Fanous, *Arabisch/Deutsches Technisches Wörter-buch* (Cairo: [n. pb.], 1967).

العربية ـ الالمانية في الصناعة والتجارة. ومن الملاحظ أن المعجميين الألمان أسهموا بقسطهم في الانتاج المعجمي. فقد حاول معجم (G. Krahl) (١٢,٠٠٠ كلمة، ١٩٦٤) ترضية تلك الحتميات الاقتصادية، فانتقى الألفاظ المناسبة بالاعتماد على تواترها وحجم شيوعها، متجنباً ذكر كل المقابلات العربية الممكنة، لأن الباحث الألماني لا يقبل بالمفردات فوق الحاجة. وقد تلقى المكتب من جهته مشاريع معجمية عدة، مثلاً معجم اسباني ـ عربي وضعه مهاجر عربي بالأرجنتين وأستاذ في العربية بالجامعة الوطنية. واقتصر معجمه على بعض الحروف (أ، ب، س، ش) في ٣ مجلدات (١٥٠٠ صفحة)، معتمداً معجم البستاني والمنجد. وبالنسبة إلى اللغة الاسبانية اعتمد القاموس المصور للمجمع الاسباني، الذي تضمن لغة قشتالة بعباراتها العامية والاقليمية وحتى الأمريكية التي كانت شائعة في اللغة الاسبانية[١١١]. وفي مستوى أعلى، صار الخبير المعجمي في حاجة أكثر فأكثر إلى المعجم ثلاثي اللغة، الذي يضيف بعداً اصطلاحياً جديداً يتيح المقارنة العلمية الصحيحة بين لغات عدة، لما يجدّ من مطابقات ومفارقات بين اللغات الثلاث، تخضع من الوجهة الاحصائية لقرينة التواتر الاصطلاحي. ويتم ذلك من طريق وضع الفهارس بمداخلها المتنوعة. وهذا ما توخاه جروان السابق في قاموسه (بيروت، ١٩٧٢) الذي أراده في خدمة الحياة الراهنة بحيث يعكس حيوية اللغة بقبولها الألفاظ المولّدة وأحدث التراكيب التي شاعت في المواد المتنوعة. وقد شمل هذا القاموس أيضاً المفردات التي شاعت في لغات الأقطار العربية، معتمداً بذلك قرار مجمع القاهرة الذي أيّد إضافة ما شاع في البلاد العربية إلى اللغة المصطلح عليها[١١٢]. ولم يقتصر المؤلف على المفردات المقتبسة من المعاجم وقوائم المجامع، بل وضع الألفاظ المستعملة في الأجهزة الحكومية التي تنتشر كل في ميدان اختصاصها لغة معينة ينبغي حصرها واستغلالها لاثراء اللغة العربية الحديثة.

ثم إن الوجهة الأخرى التي تضاف إلى التصنيف المعجمي الصرف، متمثلة في القيام بجرد لغوي تاريخي لبلورة المفاهيم والإعداد لوضع معجم المعاني المقرر في نشاط المكتب، باتفاق مع المنظمة. وقد بيّنا أن دوزي (Dozy) شرع منذ القرن التاسع عشر في ذلك، وضمّه إلى ملحقه للقواميس العربية، واستمر ذلك المشروع منذ بضع سنوات، بإشراف المستشرق الفرنسي الراحل بلاشير (Blachère) الذي لاحظ في نص «التنبيه» بمعجمه[١١٣]، أن فنيات اللغة العربية الحديثة غالباً ما كانت توضع انطلاقاً من مبادىء ودلالات تبين استمرارها في أقصى المولدات إقداماً. وقد سار ترتيب هذا المعجم الثلاثي اللغة على الأصول اعتماداً للعمل الاشتقاقي المؤثر قطعاً في مظهر الدلالة والاشتقاق. لكن ذلك لم يحل دون التمييز بين المبادىء الأساسية المترابطة ببعضها أحياناً، مع وجود عناصر متفوقة تميّز كلمات دالة فريدة آخر الأمر.

---

(١١١) المكتب.

(١١٢) جروان السابق، مجمع اللغات: عربي ـ فرنسي ـ انكليزي (بيروت: ١٩٧١).

(١١٣) Régis Blachère, *Dictionnaire arabe-français-anglais* (Langue classique et moderne) (Paris: Maisonneuve et Larose, 1967).

ولا شك أن وضع المعاجم بلغات عدة يفيد في نشر العربية ضمن لغتين أو أكثر، حتى أن المكتب لم يتردد في النظر في معجم عربي أذربيجاني، بدأ تأليفه بتوضيح منهجيته. وقد صنّفه المجمع الأذربيجاني، وهو مكتوب بالحروف الروسية، وسمي قاموساً، على طريقة الفيروزآبادي، مع أن تسميته معجماً أليق بمحتواه وحجمه المقتضب. ولم يعمل في ترتيبه بالهجاء العربي الذي اعتبره المؤلف متشعباً تجاوزه العمل المعجمي. وأمثلته مستمدة من لغة البلاد وقد كتبت باللغة الروسية، فانعدمت لذلك فائدته بالنسبة إلى قارىء العربية. ومن رأي المؤلف أن الترتيب الهجائي ينبغي تغليبه على الترتيب الاشتقاقي القائم على الأصول الصرفية القديمة التي يرى أنها أرهقت المعجمية العربية. وعليها ترتيب الكلمات مستقبلاً على مقاييس جديدة تشمل أبعاداً لغوية ونحوية وصرفية وحتى صوتية، ويحسن أيضاً مراجعة طريقة الشرح بالمترادفات والاشتراك اللفظي[114]. إن العمل على توسيع دائرة المقارنة اللغوية يخدم قطعاً تطوير المعجمية العربية. فمن العربية يمكن الانطلاق المثمر إلى اللغة الاسبانية وإضافتها إلى المعجم العربي، ذلك أن الاسبانية اقتبست آلاف الكلمات منذ الفتح العربي وما تلاه من اقامة نصف مليون شخص ناطق بالعربية في الأندلس، وما ترتّب على ذلك من وضع اصطلاحي في النبات والكيمياء والحيوان والجبر والفلك والفن بكل مظاهره والتقنيات المختلفة. وكذلك، فإن ازدهار صفات الشجاعة والفروسية عند الشعب العربي والاسباني أتاح ظهور مفردات جديدة. ولا أقل من نشر معاجم تثبت المطابقات بين اللغتين وتستمد من المعاجم الاسبانية وما يقابلها في اللغة العربية (باستثناء أسماء الأشخاص والأماكن طبعاً). وفي صورة وجود هذا التطابق التام بين الكلمتين، من وجهة الدلالة، يمكن إقرار أصالة عربية للكلمة. وإذا تشابهت الكلمتان واختلف معناهما، فلم يعد ممكناً قبول تلك الأصالة، خاصة وأن أغلب تلك الكلمات تغيّرت أو أهملت، لما طرأ من تطور على النظام الصوتي في العربية والاسبانية. لكن اللغويين الاسبان ما زالوا في الجملة يعترفون بأن العامل العربي في تكوين اللغة الاسبانية يأتي مباشرة في المرتبة الثانية بعد العنصر اللاتيني[115]. فبمثل هذا الاتجاه العامل على توسيع دائرة المعجم العربي الحديث، واضافة لغات أخرى تغذى اللغة العربية بمقدار من المفردات العلمية والحضارية، وأحياناً تقتبس عنها أيضاً عدداً من كلماتها النوعية في مجالات معينة، يمكن خدمة قضية التعريب والإسهام في تنسيق قضاياه، وبالخصوص تنسيق ما توفّره له تلك اللغات من زاد علمي متمثّل في عديد المصطلحات من كل صنف. وبذلك يتمكّن خبراء المعاجم في المؤسسات اللغوية العربية ومن بينها المكتب، من تنويع مصادرها وتحسين نتائج عملها، لأن العربية قد تخلّصت نهائياً في ما يبدو من شائبة صيانة نفسها المفرطة، وأقبلت تتعامل مع اللغات الأخرى دون عقدة تعجيز ودون التخلي عن سلامتها أيضاً، وهدفها أن ترتفع إلى مستوى اللغات الدولية.

---

(١١٤) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ١، ص ٢١٢ ـ ٢٤٦.

(١١٥) المصدر نفسه، ص ١٨٢ ـ ٢٠٢.

٣ ـ تجديد المعجمية العربية

لقد مرّ بنا أن مجمع القاهرة شرع منذ تأسيسه في إعداد معجمه الكبير، دعماً لضبط قواعد اللغة، وعزم أيضاً على وضع معجم الألفاظ الفنية العصرية (في كراسات) وذلك بعد جرد جذاذات المفردات. وقد ربط بين **المعجم الكبير** ومعجم مصور يستمد مادته من الأول. ويقع تأليف معجم وسيط[١١٦] يحتل موقعاً وسطاً بين المعجمين المذكورين، وانتهى العمل منه سنة ١٩٥٦[١١٧]. والواقع أن مؤتمر ١٩٦١ قد أيّد هذا الاتجاه العامل على وضع المعاجم المبسطة، منها معجم المعاني والمعجم المصور الذي ينبغي أن يكون حياً ويتضمن الكلمات الشائعة.

والملاحظ أن **المعجم الوسيط** استهدف العمل على تحديد المعجمية العربية، محاولاً تبسيط المعجم وتعصيره، وهو عمل أيّده مجمع القاهرة الذي استمر على مبدئه في الدفاع عن سلامة اللغة، وقنع بوجوب مساعدة الطلاب والمثقفين وتزويدهم بمعجم يقبلونه بحيث يكون سهل التناول، مقبول الترتيب، مصوراً، متضمناً المصطلحات العلمية الصحيحة الشائعة. وعلى هذه المبادىء سار المجمع في مشروعه، وتفرّعت لجنة خصيصاً لإعداد **المعجم الوسيط**[١١٨]. والملاحظ أنه أثيرت «مسألة احتواء المعجم الوسيط بعض الكلمات العامية، وأنا لا أرى ضرراً في أن يثبت المعجم أي كلمة عامية دارجة على ألسنة الناس شريطة النص على عاميتها»[١١٩].

والواقع أن هذا المشروع الذي تقرر تحقيقه بطلب من وزارة التعليم المصرية صدر منذ ١٩٣٦، مساعدة للأقطار العربية على إعداد معجم شبيه بما تنتجه البلدان الأجنبية. ولذا، تحتّم أن يقع إحكام تصنيفه ويتضمّن مصوّرات تستجيب لضرورة الشروح. وبذلك، نجده يتضمن ٣٠,٠٠٠ عنصر، و٦٠٠ صورة، وما يقرب من مليون كلمة. لكنه عدل عن ذكر الأعلام، بعد أن تقرر أن تضاف له المصطلحات العلمية والتقنية. ومع ذلك، فقد ورد به ذكر الأسماء التاريخية والجغرافية المقتبسة في أغلبها من المعاجم القديمة. ويا حبذا، لو اغتنم الفرصة لتجديدها ومراجعتها بغية تدقيقها[١٢٠]. لكنه لم يتردّد في إضافة الألفاظ والعبارات

---

(١١٦) ادريس بن الحسن العلمي، «مع المعجم الوسيط في طبعته الثانية،» **اللسان العربي**: العدد ٢٣ (١٩٨٤)، ص ١٠١ ـ ١٠٢؛ العدد ٣٠ (١٩٨٨)، ص ٧٥ ـ ٧٨، والعدد ٣٣ (١٩٨٩)، ص ١٥١ ـ ١٥٤.

(١١٧) المكتب، حصة اذاعية،٥/٢/١٩٧٢.

(١١٨) فيشر، «قرارات طبع المعجم،» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**، السنة ٣ (تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٣٦)، ص ٣٤، و«الباب الأول في: أقيسة اللغة وأوضاعها العامة الاحتجاج بلفظ الحديث،» **اللسان العربي** (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ٣١٦.

(١١٩) عدنان الخطيب، «وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية (القاهرة) في الدورة ٥٤ (١٩٨٨)،» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ١٢، العدد ٣٤ (كانون الثاني/ يناير ـ حزيران/ يونيو ١٩٨٨).

(١٢٠) عدنان الخطيب، «نظرات في المعجم الوسيط،» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**، السنة ٤١ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٦)، ج ١، ص ٤٠.

الجديدة الموضوعة في الأقطار العربية[121]. وفي الجملة، نلاحظ أن **المعجم الوسيط** عمل على إزالة حاجز الفضاء والزمان من حسابه، فأدرج كلمات من آخر القرن الثاني الهجري كانت قد شاعت في الأمصار، ولغة البدو حتى آخر القرن الرابع الهجري، في حين أن ذلك الأمر كان بمثابة الحواجز الفاصلة بين مختلف العصور التي مرّت بها اللغة العربية. والمستخلص أن هذا المعجم لم يعترف بالأسبقية لأي عصر أو مكان معين، في ما يتعلق بصيانة اللغة. وبذلك، فقد أدرج المولّدات التي لا يمكنه دونها الادعاء بأنه معجم معصر، لأن تحديثه ينبغي أن يشمل بصورة عامة البحث عن منهجية جديدة للمعجمية العربية تؤثر في ترتيب المعاجم وتركيبها ومحتواها. ذلك أن **المعجم الوسيط** يرتّب الكلمات فعلاً على نطقها، لا على بنيتها الصرفية. وبذلك، يكون مجمع القاهرة قد عدل عن البحث عن أصول الكلمات ومشتقاتها، ولكنه لم يعدل عن الترتيب الهجائي العادي[122]. وبفضله، يمكن وجود معنى الكلمة العصرية من معرّب ومولّد أو أي كلمة اكتسبت معنى جديداً وكانت شائعة في الماضي ربما بدلالة علمية، وهي مفقودة حتى في المعاجم المعاصرة، مثل **المنجد** و**أقرب الموارد**، اللذين سبق تحليلهما، واللذين وفق بينهما **المعجم الوسيط**. ولكنه أهمل بعض الأصول، وقدم تحديدات عسيرة، كما أنه أغفل كثيراً الحياة الاجتماعية اليومية ومفرداتها التي وافق عليها مجمع القاهرة (مثلاً: إتيمان)، وأشار على اللجنة المختصة بإدراج ألفاظ الحضارة الحديثة[123]. ولكنه اجتهد في تقديم صور تمثّل ألفاظاً ربما غير معروفة كثيراً (مثلاً، اسطوانة)[124]. ولقد تخلّى **المعجم الوسيط** عن النوادر التي لا تفيد، مثلاً صفات عدة للإبل وأمراضها وأدويتها، وكذلك الكلمات غامضة المعنى التي دوّنتها المعاجم القديمة[125]. بل إنه تشدّد في أمرها واستبدلها بالمصطلحات العلمية الشائعة، واللغة اليومية، وقد مكّنه ذلك من تعميم القياس واحترام القواعد المعجمية المعروفة[126]. وإذا ما قارنّاه بالمعجم الكبير، فإنه ينبغي الاعتراف أن **المعجم الكبير** سار طبق منهجية دقيقة اعتبرت المظهر اللغوي والموسوعي العلمي في اللغة، وكذلك الاشتقاق، ولم يصدر منه إلّا مجلد في ٧٠٠ صفحة، سنة ١٩٦٧، شمل حرف الهمزة[127].
أما عند مقارنة **المعجم الوسيط** بـ**المنجد**، وغير ذلك من المعاجم، فإن الرأي السائد أن ذلك المنتوج المعاصر اكتسى طابعاً تجارياً يمكن أن يسيء إلى اللغة. ولا نكون جادين إذا أكدنا أن

---

(١٢١) أحمد، **المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث**، ص ٣٨.

(١٢٢) ابراهيم مدكور، «المجمع في خدمة اللغة العربية،» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**، السنة ٢٢ (١٩٦٧)، ص ٢٢.

(١٢٣) منصور فهمي باشا، «كلمات حضرات الأعضاء،» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**، السنة ٦ (١٩٥١)، ص ٢١٤.

(١٢٤) أحمد، **المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث**، ص ٣٩.

(١٢٥) «مع المعجم الوسيط،» **اللسان العربي**، السنة ٢ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥)، ص ١٠١.

(١٢٦) الدقاق، **مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم**، ص ٢٢٦ و٢٢٨.

(١٢٧) مجموعة من المقالات عن المعجم الوسيط في: **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)** (١٩٦٣ - ١٩٦٧).

تلك المعاجم تعبير عن اتجاه يشمل «مدرسة معجمية» قائمة الذات. وإنه لا يمكن مقارنتها بحال بـ**المعجم الوسيط**. وهناك مآخذ أخرى ذات طابع منهجي، منها التساهل في معالجة قضية الترتيب المعجمي، وهو «تسيب» منهجي، و «طبيعة الترتيب بحسب الجذور معرّاة من زوائدها. ورغبة المجمع من وضعه المعجم الوسيط في التخلص من سلبيات التعقيد الذي يحدثه الترتيب بحسب الجذور»[128]. فالفروق عظيمة بين مجمع شاغله صيانة اللغة خدمة للعلم، وهو الذي ما انفك يراقب أعماله ويتحرّى قبل إصدارها ويعمل على الاستجابة لمتطلبات العصر، وبين هذه «المدرسة» التي تبحث عن ترويج منتوجها. وقد فند ما قام به مجمع القاهرة من عمل، المزاعم القائلة بتقهقر العربية في حين أنها كانت لغة مهملة، خاصة وأن المعاجم القديمة لا يمكنها أن تستجيب للمطالب الحديثة في مختلف العلوم، والعاقل المدرك للأمور لا يمكنه أن ينتظر منها ذلك[129]. فقد وضع المجمع هذا المعجم التاريخي للعربية وشرع في ذلك منذ ١٩٤٠، وبدأ في نشره سنة ١٩٦٢[130]. وقد أكّد الأمين العام للمجمع أن **الوسيط** يتضمن كلمات جديدة ومصطلحات علمية لم تدخلها السلطة المجمعية الفرنسية إلى قاموسها إلاّ بعد قرن وفي طبعته الرابعة[131]، وقد أشار مؤلفوه كذلك في التقديم، إلى مميزات لهجات القبائل، فتجنّبوا الحديث عنها ضمن المعجم[132]. وخلافاً لـ **المعجم الكبير**، فقد عدل **المعجم الوسيط** عن البحث الاشتقاقي للأصول العربية في اللغات السامية، محوّلاً القارىء إلى مصادر أخرى، ولعله قد تأثر في ذلك بمعجم أكسفورد. أما عن الكلمات الأجنبية، فقد وضعها على الترتيب الهجائي، لعسر ايجاد أصولها[133]. ولم تعوزه الرموز الدّالة، فسبق المفرد على الجمع لشرح الكلمة، وحذف الجمع إذا كان جمع قلة أو جمع كثرة. وبذا، اعتبر أداة بحث لغوي دون أن يتخلّى عن الوسائل الموضحة المجسّدة للمفاهيم كالصور[134]. ومع ذلك، فلم يخل من نقائص خاصة بالشروح وإهمال بعض المفردات، ولغة المؤلفين، والمصطلحات العلمية، وما عليه الألفاظ الفصيحة من دلالات حاضرة، وزلاّت اللسان والقلم، وإدخال كلمات أجنبية مرّت عبر اللغة العامية (كَنَبْ، لغة قاهرية مقتبسة عن الايطالية)، كما أنه لم يخل من أخطاء الطباعة. وقد تسرّع بعض الناقدين في القول إن مؤلفي **المعجم الوسيط** لم يحترموا

---

(١٢٨) ابراهيم بن مراد، «مشاكل الترتيب المنهجية في المعجم العام العربي الحديث: تطبيق على «المعجم الوسيط»،» **مجلة المعجمية**، العدد ٣ (١٩٨٧)، ص ١١ ـ ٣٩.

(١٢٩) **مجلة مجمع اللغة العربية** (دمشق) (١٩٧٠)، ص ٩١٩ ـ ٩٢٢، وأبو طالب زيان، «المعاجم اللغوية بين ماضيها وحاضرها،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (دمشق)، السنة ٤٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥)، ص ٣١٠.

(١٣٠) عدنان الخطيب، «المعجم الوسيط،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (دمشق)، السنة ٣٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٣)، ص ١٦٩ ـ ١٧٠.

(١٣١) **اللسان العربي** (١٩٧٠)، ج ٢، ص ٢٤.

(١٣٢) «قرارات المجمع في هذه الدورة: القرارات العلمية،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة)، السنة ٧ (١٩٥٣)، ص ١٧٧.

(١٣٣) المصدر نفسه، ص ٥٦.

(١٣٤) أحمد، **المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث**، ص ٧٩ و١٢٤.

جيداً قاعدة المجمع في صياغة اللغة، وكان عليهم أن يقتفوا مثال المجمـع الفرنسي[١٣٥]. لكن الواقع أن ميزاته غلبت نقائصه. فبعد أن رتّب الكلمات حسب نطقهـا، واقتصر على شـواهد أساسية، فقد عمل على تطوير اللغة، «فقـاس السمعي، وقبل الكثـير من الألفاظ المـولّدة والمحـدثة أو المعرّبة، أو الدخيلة، وفتح المجال للعديـد من ألفاظ الحيـاة العامـة، والألفاظ التي أدخلتهـا الحضارة، ويكفيـه شهرة أنه جـدد اللغة، وجعلهـا عصرية، وهـدم الحدود الـزمانيـة والمكانيـة التي أقيمت خطأ بـين عصور اللغـة المختلفـة»[١٣٦]. نـاهيـك أن تـوصيـات مؤتمـر ١٩٧٧، التي كـان من بينهـا مـا تعلق بـإشـاعـة المصطلحات العلمية والجهود اللغوية، أكدت أن تتكفل إحدى الدول العربية بـإعادة طبعـه، إذ كـان ثمـرة مجهـودات دامت ربـع قـرن. وقـد اختص وحـده بتـدقيق الكلمات القـديمـة وتوضيحها، وعمل على رفع ما ساد من لبس في الأضداد، وجاور بين ألفـاظ القرن العشرين وألفاظ الجاهلية وصدر الإسلام. «وقد توسع في المصطلحات العلمية الشائعة ودعا إلى الأخـذ بما استقـر من ألفاظ الحياة العامة، وخطا في سبيل التجـديد اللغـوي خطوات فسيحـة، ففتح بـاب الوضـع للمحدثـين، شأنهم في ذلك شأن القدامى سواء بسواء، وعمّم القياس فيما لم يقس من قبـل، وأقرّ كثيـراً من الألفاظ المـولّدة والمعرّبة الحديثة، وشدّد في هجر الحوشي والغريب»[١٣٧]. ولا مفر من الملاحظة أن المعجم لم يجد صنواً له في الحقل المعجمي، بدليل أن ما أنتج تسمى بالمنجد أو القاموس، في حين أن هذا المعجم استهدف في ما يبدو إشاعـة تلك اللغة الـوسـطى التي احتلت مكـانها، فـأخـذت من اللغـة الفصحى القديمة واللغة الحديثة حاجتها.

وتوسع النشاط المعجمي إلى إرادة إصدار معجم المعاني، على طريقة القواميس الأجنبية (مثلاً معجم روبير Robert وصنوه المكمل له، تأليف تشـارلس ماجنيس Charles Magnis. وقد خاضت المجامع في الأمر، وفكرت في تكليف المكتب بالشروع في تصنيفه. كـان الغرض من ذلـك مساعـدة الباحث والكـاتب وهواة الأدب، وذلـك بتزويـدهم لا بمعجم كلمات بـل بمعجم أفكار يتيح لهم فعلاً وجود الكلمة المطابقة لفكرة معينة تمرّ بخاطرهم ولا يمكنهم التعبير عنها. والملاحظ أن المعجم التقليدي ومعجم المعاني متكاملان. وتحقيقاً لنجاعة العمل، تقـرر اعتماد تجارب أجنبية، فيقتبس عن روبير Robert طريقته في تحديد ملامح الموضوع المطروق، التي تتصـل بمسـائـل أخـرى، ويؤخـد عن مـاجنيس Magnis طـريقتـه في تـرتيب الكلمات. ويستحسن أيضـاً مجـاراة ابن سيـده في **المخصص**، الـذي شرح الكلمات دون غمـوض[١٣٨]. ومثل هذا المشروع وجد له أصداء في الخارج، وعرف بأنه يشكل عنصراً من أعمال المؤسسات

---

(١٣٥) دياب، «عثرات الأقلام،» ص ٢٤؛ ادريس بن الحسن العلمي: «مع المعجم الـوسيط،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٥٢٣، و«مع المعجم الـوسيط في طبعته الثـانية،» **اللسـان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ٢٦٧.

(١٣٦) فتوح، «نظرة في معاجمنا اللغوية،» ص ١٦٣.

(١٣٧) ادريس بن الحسن العلمي، «مـع المعجم الـوسيط في محـاسنـه،» **اللســان العـربي**، السنـة ١٤ (١٩٧٦)، ج ١، ص ٣٣٨.

(١٣٨) «المعجم العـربي للمعـاني،» **اللسـان العـربي**، السنـة ١ (حـزيـران/ يـونيـو ١٩٦٤)، ص ١٢٩ و١٣٣.

المختلفة في الأقطار العربية(١٣٩). والمعروف أن المكتب خصص له فقرة في خطته التعريبية، واجتهد في رسم منهجية واضحة تعتمد جرد المفاهيم التي تكتسي قيمة عالمية من الموسوعات والمعاجم العصرية الانكليزية والفرنسية، ومقارنتها بمثيلاتها في العربية. وبفضل ما يتمّ من مقارنات، يمكن سد النقص والخانات الفارغة، ثم يوضع في ضوء ذلك اللفظ العربي المطابق لفكرة، وربما تستفيد المعاجم الأجنبية من الأفكار الخاصة بالعربية، وذلك عملاً على توحيد المفاهيم العالمية ضمن خطة التعاون بين الشرق والغرب. والواقع أنه يبدأ بوضع الكلمة ثم يشرع في البحث عن الفكرة، في حين أننا نعلم أن الخاطرة والمعنى هو الذي يمر بالفكر أولاً(١٤٠). ويجمع كل ذلك في معجم ثلاثي اللغة يكون بمثابة الحاوي المجدّد للأعمال القديمة والحديثة، ويرتّب الكلمات على المعاني أو المواضيع التي ترتبط بها، في حين أن الترتيب الهجائي ييسر إيجاد الكلمات والعبارات المتعلقة بمعان محددة. وعلى هذا الأساس، يمكن استخراج حصيلة أولى للعربية بمظاهرها الايجابية والسلبية، وتبين فقدان مفاهيم عدة ينبغي الاجتهاد في وضعها(١٤١). ومن المعلوم أن مؤتمر ١٩٦١ قد صادق على توصية بوضع معجم المعاني للتسهيل على الناطقين بالعربية إيجاد اللفظة الدقيقة المطابقة للفكرة والصورة التي تمرّ بخاطرهم. وخوّل المكتب مهمة إنتاج مثل هذا المعجم في كراسات تحال على نظر الخبراء في الوطن العربي(١٤٢). فأدرج هذا العمل وأعدّت له منهجية مناسبة، وذلك بعد أن أيّد مؤتمر وزراء التربية لسنة ١٩٦٤ السير في هذه السبيل. فتمثّل المنهج في التخلّي عن الألفاظ الغامضة، واقصاء الأضداد، والاحتفاظ بأحسن دلالة لدقتها ووحدتها وانفرادها بالمعنى(١٤٣). من ذلك أنه ينبغي تجنّب الأفعال المزدوجة مثل باع الذي يعني في آن واحد البيع والشراء، والمحافظة على المعنى الأكثر شيوعاً. أما الاشتراك اللفظي، فحلّ إشكاله يكون بالتخلي عن المعنى النادر الذي لا يفيد اللغة في شيء، خاصة وأنها تتضمن كلمات أخرى أقوى دلالة. ثم إنه ينبغي تمييز المترادفات بدقة، فلا يكتفى كما هي الحال في المعاجم، بسردها دون التأكيد على الفروق بصورة كافية عند استخدامها لشرح مفردات أخرى، بل المهم إعطاء المعنى النوعي التام لكل مرادف، كما تفرضه الفكرة، لأن المعنى وحده قادر على إحيائه وإعادته إلى الشيوع. وتدقيق المعنى أوكد إذا كانت أسماء النبات والحيوان وألفاظاً علمية أخرى. أما أسماء النوع، كالأدوات والآلات، فينبغي مطابقة الاسم بالشيء في العربية وفي اللغة الأجنبية،

---

(١٣٩) *Bulletin de la Asociaciones Espanola d'Orientalistas*, vol. 1 (1965), p. 197.

(١٤٠) عبد الهادي التازي، «الشيخ الشبيبي معلمة من معالم العراق،» **اللسان العربي**، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ٣٤٤.

(١٤١) «المفقود في اللغة العربية موجود في معاجم مرقمة،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ٢، ص ٤٥.

(١٤٢) عبد العزيز بنعبد الله، «معجم المعاني،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ٢، ص ٢٠٨.

(١٤٣) محمد عنبر، «معجم المعاني،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ٢، ص ٣٦.

وإضافة الشرح المناسب المستمد من القواميس الأجنبية الكبرى. ويتم جرد معاجم اللغتين (انكليزي - عربي، وفرنسي - عربي)، وتدوين المفردات على الجذاذات، وترتيبها على المواضيع المبوّبة المحدّدة المدوّنة ألفاظها بالعربية وبالانكليزية على جذاذات. ومن باب أولى يتدرج معجم المعاني من باب إلى جزء، حسب ما يوجد من مفردات مجمعة. ويوضع كل باب في معيجم منفرد، تيسيراً على الخبراء لتحرير ملاحظاتهم. لكن يبدو أن ما أعدّ من قوائم تجريبية لم تستفد من هذه المنهجية، للنقص الحاصل في عدد الخبراء، والوسائل المؤيدة للعمل العلمي المنهجي[١٤٤]. وقد بدأ العمل الفعلي في حقل معاجم المعاني من ١٩٦٤، حيث بلغ المكتب معجم **لآلي العرب**، الذي يجمع المفردات العربية الخاصة بموضوع واحد بأضدادها ومشتركها ومترادفاتها المرتبة طبق طريقة جديدة لم تستعمل بعد في المعاجم العربية. وقد اقترح مؤلفه جمعه في سبعة مجلدات (وجزء ثامن يختصر ما سبق) ويضيف إليها جزأين للشعر منذ العصر الجاهلي حتى اليوم، على أن تبوّب القصائد على المواضيع (في ١٦٠٠ صفحة)، وهو كما نرى عمل ضخم يتركب من المعجم والمختصر (فيه ٩٢٩ موضوعاً)، ويتضمن المعجم الكبير ٧,٢٠٠ موضوع وما يقرب من مليون كلمة[١٤٥]. وتصدّت مجلة المكتب لنشر الجزء الأول منه، ودعت الجهات العربية إلى المساهمة في نشره، لأن ذلك يتطلب مصاريف باهظة، حتى ولو وقع التخلّي عن الشواهد، فحجم نصه لا يقل عن ٧٥٠ صفحة (من ٣٧٠٢ ص). ذلك أن مثل هذا العمل فريد في نوعه في الوقت الحاضر، عظيم القيمة. وقد جمع المؤلف ما تفرق من أفكار دوّنت في الماضي أو في العصر الحديث، وتضمنتها مؤلفات عديدة، فكان عملاً جامعاً استكمل المولّدات حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، وكانت مواضيع شتى، مثلاً في الكتابة واللباس[١٤٦]، في المنزل وما يحيط به[١٤٧]، وحتى في البقايا والنفايات في مختلف المواد[١٤٨].

وعلى هذا الأساس، واعتباراً لأن مثل هذه الأعمال المعجمية هي بمثابة الموسوعة اللغوية، فإن التفكير يحدونا باستغلال ذلك وإعداد معاجم مبسطة ومصورة تتضمن الكلمات الشائعة الحديثة المشكولة المقتبسة من الدوريات وأيضاً قوائم المجامع، ويقع ترتيبها على الهجاء كما وافقت على ذلك المجامع، وتشرح كلماتها بأمثلة جيدة شائعة[١٤٩]. ومثل هذه المعاجم تتجسّم نجاعتها في التعليم الابتدائي، وتشكّل الواسطة بين المدرس وتلاميذه[١٥٠].

---

(١٤٤) «مقدمة معجم المعاني،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٣٢٥، وسالم رزق، «معجم حديث المعاني لآلىء العرب،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ٢٥١.

(١٤٥) المكتب، رسائل، ١٦/٧/١٩٦٤، و٢٦/٤/١٩٦٥.

(١٤٦) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ٢، ص ٣٣٦.

(١٤٧) **اللسان العربي**، السنة ١٣ (١٩٧٦)، ج ٢.

(١٤٨) المصدر نفسه، ص ٢٤٥.

(١٤٩) المكتب، حصة اذاعية، ١٤/٥/١٩٦٦.

(١٥٠) محضر ٢٤/٤/١٩٧٤.

وقد قررت الجامعة في جلسة ٧ آذار/ مارس ١٩٧٠، دعوة دورة دراسية للانعقاد بغية إعداد ذلك **المعجم المبسط** لفائدة تلاميذ المرحلة الابتدائية. وقامت أمانتها العامة بتوجيه قوائم الكلمات المجرودة للنظر فيها قبل توحيدها على المستوى العربي في هذه المرحلة(١٥١). لقد نشأت هذه الفكرة في المكتب طبق مفهومه المعجمي وطرق عمله، وهو الذي طالب بتلك القوائم لمقابلتها بما يتلقاه الطفل الأوروبي بفرنسا وايطاليا وانكلترا واسبانيا. ومثل هذا التحري والمقارنة من شأنه أن يكشف لنا عن النقائص الموجودة في لغة الطفل العربي. اضافة إلى هذا المشروع، وجد مشروع آخر يتجه إلى المواطن العربي وتمكينه من كل الكلمات التي هو في حاجة إليها خلال حياته اليومية، والتي تشرح له على قدر مستواه الفكري والثقافي(١٥٢). والمقصود من ذلك تحديد المستوى الوسط القائم على جملة من المعارف التي يجب تحديد حجمها بعد جرد لغة كتب القراءة. ويعتمد هذا العمل مقارنة ما حصل عليه من نتائج برنامج اللغة الفرنسية الأساسية سنة ١٩٥٣، على صعيد البحث. كما يعتمد على اللغة الانكليزية الأساسية التي تستخدم التواتر اللغوي، عملاً بالرأي القائل إن الكلمات الشائعة هي الكلمات المتواترة(١٥٣). وقد اتجه الباحثون منذ سنة ١٩٤٠ إلى جرد العربية، وأسس ذلك العمل على ما حققه بريل Brill من جرد لصحيفتين بفلسطين شمل ١٣٦,٠٨٩ كلمة، وقام بالعمل نفسه في مصر، فبيّن «أن خمسمائة كلمة ترد حوالى ٦١ بالمئة من نسبة مجموع الكلمات. وان ألف كلمة ترد حوالى ٧٦ بالمئة من نسبة مجموع الكلمات، أي أن ألف كلمة تكون ثلاثة أرباع الثروة اللفظية للكاتب»(١٥٤). وشمل ذلك ٢٠٠,٠٠٠ كلمة أشرف على احصائها بيلي Bailey أيضاً. وعلى سبيل الاطلاع يمكن مراجعة ما شحنت به الصحف والوسائل الاعلامية الحديثة من مصطلحات مولّدة شائعة بين الكتّاب والسامعين والجماهير عامة(١٥٥). لكن هل يمكن لهذه المادة أن تشكّل اللغة العربية الأساسية التي نحن في حاجة إليها يومياً للتخاطب والتفاهم في ما بيننا؟ لقد قامت في لبنان الدعوة لمثل هذه اللغة بغية وصفها كما هي وصفاً علمياً موضوعياً وضبط قرينة التواتر في الكلمات وبنى العربية. وقد جاء الاعتراض على مثل هذه الطريقة لأنها تتناقض و «ما تدعو إليه المجامع العربية والدول العربية شعوباً وحكومات لتعريب العلوم والمصطلحات، لأن وضع اللغة على ما هي عليه الآن يعني مثلاً ابقاء اللغة الفرنسية في المغرب العربي وجعلها اللغة الأساسية، لأن الاستعمار الفرنسي أدى إلى شيوع اللغة الفرنسية بين أوساط العرب والمسلمين»(١٥٦). فإذا كانت هذه الأعمال الإحصائية قد بررها وجود أجانب أشرفوا عليها، مثل بيلي Bailey الذي قام بإحصاء نصوص الصحافة المصرية الأسبوعية وجرد كتب المرحلة الابتدائية سنة ١٩٥٣، فلا يحتاج

---

(١٥١) المكتب، تقرير الأمين العام (٧ آذار/ مارس ١٩٧٠).

(١٥٢) المكتب، رسالة وزير التربية بالأردن.

(١٥٣) محمد حسين علي، «مشروع المعجم المبسط،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ٢، ص ٢٩ ـ ٣٢.

(١٥٤) **اللسان العربي**، السنة ١٣ (١٩٧٦)، ص ١٧٩.

(١٥٥) المصدر نفسه، ص ٢٣٠ ـ ٢٤٤.

(١٥٦) المصدر نفسه، ص ٣٥.

العرب اليوم إلّا إلى تغذية لغتهم بالمصطلحات العلمية. لقد أراد بيلي Bailey ضبط ألفاظ الصحافة العربية. أما التجربة التي قام بها بريل Brill، فقد تمثّلت في انتقائه ٤٧ كلمة عربية، تراوح تواترها بين ١٠٠ و٣٠٠، وقد رتّبها على الحروف الهجائية، ثم عرضها على أشخاص يتكلمون العربية وطلب منهم الإشارة إلى الكلمات التي تبدو لهم أكثر تواتراً. وبذلك كان عمله أهم لأنه أدخل عامل الإحصاء في الألسنية العربية، وربما حصل ذلك لأول مرة. وقد حاولت طريقة الجرد والإحصاء في الفرنسية والانكليزية تحديد اللغة وتبسيط النحو واللغة، لأن تينك اللغتين كانت لهما ألفاظ جاهزة تستجيب تماماً لضرورات الحياة العصرية. فإذا بلغت كلمة لقوة شيوعها، مرحلة الإدراك ودخلت الآلية اللغوية، فذلك لأنها فرضت وجودها على المستعملين، لشدة تواترها، مثلاً كلمة تليفون التي غلبت (هاتف) الكامنة في الشعور. وكذلك بالنسبة إلى كلمتي كاتب وأمين اللتين تنازعتا مكاناً احتلته مفردة شائعة وقع تعريبها نعني سكرتير، في حين أن اللغة الفصحى تشبّثت بلفظة وضعت في المجامع هي أمين سر(١٥٧) التي تمخضت ربما عن إحياء اللفظ القديم الدال على معنى من معاني الحضارة العربية.

وندرك أكثر الاعتراض على هذه اللغة العربية الأساسية لعلمنا أن الأهداف اللغوية المنشودة تتمثّل في إعداد مشاريع أكثر التزاماً بالنظرة العملية التي يسدى بفضلها عديد من الخدمات اللغوية الاجتماعية، منها مثلاً المعجم المصور الذي يعتمد جرد كتب المطالعة والحساب ومبادىء العلوم، المستخدمة في الأقطار العربية وفرنسا وايطاليا، وألفاظ المجامع ومفردات الكتب المدرسية، ومراجعة المفاهيم الأجنبية. ويهم أن يتضمن هذا المعجم الكلمات الحسّية المصوّرة وغيرها غير الملموسة(١٥٨). ومن المعلوم أن عدد المعاجم العلمية العربية المصوّرة في تزايد(١٥٩). وقد لفت هذا المعجم المصوّر نظر أعضاء المجامع مثل مصطفى الشهابي(١٦٠). أما المركز المغربي، فقد وضع ذلك المعجم وأضاف له فهرساً بالفرنسية والعربية، وخصصه لتلاميذ المرحلة الابتدائية (٩٥٠ رسماً و١٥٠ لوحة). والمقصود منه تمكين الطفل من التكوين العلمي بفضل ما يتجسّم لديه من مفاهيم علمية مصورة ومدلول عليها بالعربية(١٦١).

٤ ـ منهجية وضع المعاجم

لقد تدعمت التجارب المجمعية بطول المدة في حقل تصنيف المعاجم العلمية، وتبعها

(١٥٧) المكتب، حصة اذاعية، ١٩٧٦/٦/٢٠.

(١٥٨) علي، «مشروع المعجم المبسط،» ص ٢٩ ـ ٣٢.

(١٥٩) «المعجم المصور،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ٢٧٥.

(١٦٠) «المعجم المصور،» **اللسان العربي**، السنة ٤ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٦)، ص ٢٩٦.

(١٦١) *Compton's Illustrated Science Dictionary* (Cairo: 1970), p. 63.

خطة تنسيق التعريب (١٩٦١ - ١٩٨٨)(*)

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الأعمال
الأول	الرباط	نيسان/ ابريل ١٩٦١	ضبط الخطة العامة
الثاني	الجزائر	كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٣	اقرار معاجم الحيوان، الفيزياء، الكيمياء، الجيولوجيا، النبات، الرياضيات (تعليم عام)
الثالث	طرابلس ليبيا	شباط/ فبراير ١٩٧٧	معاجم الجغرافيا والفلك، التاريخ، الفلسفة والمنطق وعلم الاجتماع والنفس معجم الصحة وجسم الانسان، معجم الرياضيات تعليم عالٍ: معاجم الإحصاء والفلك والرياضيات البحتة والتطبيقية.
الرابع	طنجة المغرب	نيسان/ ابريل ١٩٨١	معاجم تقنية في الكهرباء وهندسة البناء والمحاسبة والتجارة والطباعة والبترول والجيولوجيا والحاسبات الالكترونية
الخامس	عمان	أيلول /سبتمبر ١٩٨٥	معاجم الفيزياء النووية والتربية والاجتماع والانثروبولوجيا والفيزياء العامة والكيمياء العامة وعلم اللغة واللسانيات.
السادس	الرباط	أيلول/ سبتمبر ١٩٨٨	معجم مصطلحات الآثار والتاريخ، معجم مصطلحات الموسيقى، معجم مصطلحات الجغرافيا، معجم مصطلحات الاقتصاد والقانون

(*) صادق عليها المؤتمر.

المكتب في بلورة عمله في تنسيق الألفاظ العلمية، ذلك العمل الذي يُعد لتوحيد اللغة العلمية العربية في الوطن العربي. واندرجت هذه الأعمال ضمن خطة تنسيق التعريب (راجع الصورة المرفقة). قطعت مراحل منها، فكان البدء في التخطيط التعريبي سنة ١٩٦٩، كما رأينا ذلك في الفصل المخصص لقضايا التعريب في الأقطار العربية، ثم تلته الخطة العشرية (١٩٧٣ - ١٩٨٣)، وضمنها تحددت خطة بثلاث سنوات تجسّدت مع موعد المؤتمر التعريبي الرابع المقرر لسنة ١٩٨٠. وكانت هذه المرحلة ممتدة من ١٩٧٨ إلى ١٩٨٠[١٦٢]. ومجمل كل

(١٦٢) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ١، ص ٢٤٣. عن لجان متابعة المعاجم التي أقرّها مؤتمر التعريب الرابع، انظر: **اللسان العربي**، العدد ٢٣ (١٩٨٤)، ص ٣٤٢ - ٣٤٤.

هذه الأعمال الجزئية المنتجة لا محالة والتي ظهر منها عديد من المعاجم المخصصة لمختلف المواد العلمية التي قدرت الآن بنحو ثمانين معجماً، أوضحت معالم العمل المعجمي المندرج ضمن «خطة متكاملة لتنسيق المصطلحات العلمية العربية وتوحيدها تتضمن ثلاث مراحل رئيسية وهي: ١ - تنسيق مصطلحات موضوعات التعليم العام، ٢ - تنسيق مصطلحات موضوعات التعليم المهني والتقني، ٣ - تنسيق مصطلحات التعليم العالي»(١٦٣). وهي المعول عليها لتحقيق مشروع أكبر متمثل في المعجم العلمي والتقني العام. وترقّباً لذلك، ينبغي مراجعة ما حصل في المعاجم اللغوية، كالاختلاف بين الشروح المقدمة أو نقصانها، أو تحولها إلى لغة مجازية أو لغة مترجمة عن مفاهيم أجنبية، في حين أنه يحسن توخي طريقة قرينة النص لاستكمال الشرح(١٦٤). ويستكمل العمل المعجمي ذاته بالإشارة إلى الكلمات الخاطئة. ولم يعمل معجم **الرائد** (بيروت، ١٩٦٤) بهذه الطريقة، إذ أغفل الإشارة إلى الكلمات الصحيحة والكلمات الخاطئة، كأن يذكر من الكلمات الأصل العربي الفصيح، والكلمات القديمة أو المولّدة، أو مفردات العامة والمعرّب منها(١٦٥). ولنشر إلى أن التحري في أصل الألفاظ التي وافقت عليها المجامع وردها إلى أصولها، أمر حيوي في المعاجم العلمية. وقد سمي **معجم غلاّب** (في جزأين، ١٩٦٥ و١٩٦٦) **موسوعة العلوم الطبيعية**، وقد تضمن خاصة ألفاظ العلوم الزراعية الخاصة بالحيوان والنبات والأمراض، والاقتصاد الزراعي، فكانت مادته لا تتفق تماماً وعنوانه ومنهجية وضعه(١٦٦). هذا وقد استقر التفكير حالياً على انتاج موسوعة عربية شاملة تشمل مختلف العلوم العربية والاسلامية، مع الملاحظة أن الباحثين يستقون المعلومات التي تبدو قيّمة من الموسوعة التي أعدّها المستشرقون والمعروفة بموسوعة الاسلام **دائرة المعارف الاسلامية** التي تصدر باللغة الفرنسية والانكليزية. إنها لغة العمل لدى دارسينا وواضعي معاجمنا. وعلى هذا، نجد المكتب الذي شعر بتحوّل العلميين عن الفوضى الاصطلاحية والارتجال في الادراك العلمي، «يضع المصطلح بلغتين أجنبيتين معاً هما الانكليزية والفرنسية ويضع أمامه جميع المصطلحات التي عرب بها منسوباً كل منها إلى صاحبه إن كان مجمعاً علمياً أو أستاذاً لغوياً مشهوداً له بالتفوق، أو معجمياً معروفاً... وينشر ذلك على شكل معجم ألفبائي الترتيب ويضعه تحت أنظار العلماء العرب لمدة لا تقل عن ستة أشهر ثم يدعو إلى مؤتمر للعلماء المتخصصين يعقد في ظل الجامعة العربية بالعواصم العربية على التوالي، فيتدارسون المعجم وينقدونه ويختارون المصطلح الذي يريدون فيصبح شبه إلزامي. واختيار مصطلح واحد من بين مجموعة مصطلحات يوحّد التعريب حتماً، ويسهّل السبيل على الدارسين والمدرسين والمؤلفين والكتّاب»(١٦٧). ويضاف إلى هذا المجهود المخطط العمل على تدارك النقص الاصطلاحي، وذلك بأن يشرع في اختزان المصطلحات العلمية والتقنية التي تضمنتها المعاجم

---

(١٦٣) الصباح، ١٩٧٩/١١/٢١.

(١٦٤) أحمد، **المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث**، ص ١٠٢.

(١٦٥) مصطفى الشهابي، «ملاحظات شتى على معجمات حديثة،» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**، السنة ٤٣ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٨)، ج ١، ص ٦.

(١٦٦) المصدر نفسه، ص ٨.

(١٦٧) عبد العزيز بنعبد الله، «تداخل اللغات وأبعاده الإنسانية،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ج ١، ص ١٠.

في الحاسب الالكتروني ليتاح تنميتها ومراجعتها وتصحيحها، فتبقى حقاً معاجم حيّة نامية باستمرار. ويتطلب ذلك الخزن عملاً فنياً ينطلق من شفرات رائدة بفضلها يمكن تسجيل المصطلحات على الأشرطة المغنطية[168]. ولتصور أهمية هذا العمل، يمكن التفكير بما يسديه من خدمات لانجاز معجم المعاني السابق ذكره والذي «سيساعد لا على تدارك النقص الموجود في اللغة العربية فحسب بل وعلى امداد اللغتين الفرنسية والانكليزية بما ينقصهما من المفاهيم الانسانية التي تنفرد بها لغة القرآن»[169]. والمظنون أن تضافر جهود تبدو صعبة التوفيق والتحقيق، من شأنه أن ينمّي من «مصداقية» المعجم العربي، أي أن تكون له الفاعلية لا على الصعيد العربي فحسب، بل أيضاً على الصعيد الدولي[170]. ومدلول المصداقية هذا طريف وحديث جداً.
وقد وقع التساؤل مراراً في أقطار ذات لغة إشعاعها عالمي، عن الفائدة العاجلة والآجلة المرجوة من تصنيف مثل هذه المعاجم، وهل تخدم فعلاً اللغة القومية وتزيد في سيطرتها على العلم والتقنيات، ومن انتشارها في المجال الدولي. إن هذه الوفرة يمكن أن تصير تخمة معجمية، تجعل قضية المصطلحات من الهامشية بمكان، وتغطي علينا ما ينبغي مواجهته باستمرار إن أردنا أن تنهض اللغة العربية في المحيط العالمي، دون أن تكون في معزل عن اللغات الأخرى، كلما عنّ لها أن تفكر وتخطط وتعيش قضاياها بمفردها وتحجم عن الإسهام في محاورة اللغات العالمية والاحتكاك بها، بغية اكتساب أبعادها الدولية. يعني ذلك أن تكون اللغة قادرة على تصور سياسة شاملة لنفسها ولأبعاد تطورها التي تروم بلوغها. وبناء على ذلك فلا تقاس مثل هذه الأمور بمسائل تعنى بالمصطلحات والأدب والالسنية ووضع المعاجم فقط بقدر ما ينبغي على اللغة العربية أن تكون أداة في خدمة القضايا العالمية في شتى الميادين، وبذلك تتحصل على المقدار الذي تستحقه من المصداقية التي أشرنا إليها، إذ لا يمكن خوض القضايا والانتصار فيها بواسطة المصطلحات والمعاجم فحسب، بل إن العمل الميداني الذي تسير فيه اللغات العالمية يتجاوز ذلك الحد. وربما يقال إن المرحلة التي تقطعها العربية يحتم عليها المرور بتلك الطريق التي تبحث عن منفعتها العاجلة. هذا صحيح، لكن لا نقنع بذلك الموقف إذا اكتفينا به ترضية لضمائرنا، والمنطق يحتم علينا أن تستند العملية المعجمية الاصطلاحية إلى قاعدة وخلفية فلسفية متينة الجذور متأصلة في الواقع العربي، تستمد منها مسيرتها ومنهجيتها، وتقرر وتبلور وتطور مفاهيم مسايرة للواقع المعاش، لا الواقع كما نتصوره فعلاً. من ذلك أن الاقتصاد في الجهود يقودنا مثلاً إلى التساؤل عن اتخاذ المعاجم الدولية قاعدة عمل نستبدل بها ترددات المنهجية الراهنة وتوقعاتها الخاطئة أحياناً، وأن يشارك أكبر

---

(١٦٨) **اللسان العربي**، السنة ١٣ (١٩٧٦)، ص ١٤.

(١٦٩) عبد العزيز بنعبد الله، «المعاجم الحديثة العامة والمختصة،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ج ١، ص ١٦١.

(١٧٠) انظر: علي القاسمي، «مشاكل المترجم العربي في المنظمات الدولية،» **اللسان العربي**، السنة ٣٣ (١٩٨٩)، ص ٣٧ ـ ٤٤؛ محمد ديداوي، «علاقة النظرية بالتطبيق أو نحو نظرية الترجمة،» **اللسان العربي**، العدد ٢٩ (١٩٨٧): «تكوين المترجم العربي في الأمم المتحدة» (ص ١٣٧)، وأيضاً: علي الراعي، «الثقافة العربية والترجمة،» **العربي**، السنة ٢١، العدد ٢٤٥ (نيسان/ ابريل ١٩٧٩)، ص ٣٨ ـ ٤١.

عدد ممكن من الخبراء العرب والأجانب في وضعها ومراجعتها ومكافحة نسخها. وفي الجملة، يستحسن عقد الاجتماعات الدورية لمراجعة هذه المعجمية، وبلورة مفاهيمها التي تختلف تفصيلاً باختلاف نوعية المعجم المنوي وضعه. فمثلاً، يكون استخدام الفرنسية لغة ثانية فقط في المعجم العلمي واستكماله بمقابلات عربية توازي تلك الموجودة في هذه اللغة، يسبّب نقصاً في مصداقية المعجم وعلميته، إذا أغفلت مفاهيم اللغة الانكليزية. فهاتان اللغتان، تتكامل مفاهيمها في الواقع المعجمي بحيث تستفيد اللغة العربية العلمية من ذلك. وربما يفسر ذلك في المغرب العربي بالعجز الموجود في الخبراء العلميين الناطقين بالانكليزية. ويمكن بفضلهم تعميم استخدام هذه اللغة على المعاجم.

وقد تدخّل المكتب منذ سنين في هذا الأمر (جلسة ٦ نيسان/ ابريل ١٩٧٠)، وفكّر في تهيئة التوحيد المعجمي حول أغراض تعريبية يتضمنها معجم محدّد في مادته لغاته الثلاث ومصطلحاته الموحدة ضمن المقررات المجمعية العلمية (في جذاذات على ٣ أعمدة لكل لغة، طبق النموذج المرفق الخاص بمشاريع المعاجم). واضافة إلى اختلاف الأداة اللغوية الأجنبية حسب الأقطار العربية، توجد طبعاً أسباب لغوية كامنة في اللغة العربية ذاتها، كالترادف والاشتراك اللفظي، والتغافل عن إحياء القديم من التراث العلمي العربي. وبما أن التعليم هو الأساس الذي به تبنى الحضارة العلمية، فقد تركزت الجهود على انتاج المعاجم الخاصة بالمواد الدراسية في التعليم الثانوي والتعليم العالي، طبق أسلوب عمل مدقق يستمد زاده من انتاج المجامع الذي يفهرس في مسارد بالانكليزية والفرنسية والعربية، ويجمع كل ذلك في معجم ألفبائي بالنسبة إلى كل لغة من اللغات الثلاث، وذلك في موضوع العلم والتقنية والحضارة. ومن الوجهة المعجمية النظرية، يمكن اعتماد معجم الألفاظ المعرّبة المتضمن كل المفاهيم الأجنبية التي توضع تجاه الكلمات المعربة، سواء كانت موحّدة أم لا. هو معجم يتوج كل الجهود السابقة، فيشكل بذلك المرجع العام في الألفاظ العلمية ويساعد على تنسيقها.
وعلى هذه القاعدة، وضع الديوان المغربي للتجارة الخارجية ما سماه بـ **المشترك في التعريب** (فرنسي - عربي، ٣٣٠ لفظة بمناسبة أسبوع التعريب الذي نظم من ٣ إلى ٩ كانون الثاني/ يناير ١٩٦٣). لقد رتّب هذا المعجم على الهجاء اللاتيني، مستمداً أغلب كلماته من كتب اللغة. ولوحظ عليه أن دلالة بعض ألفاظه غامضة، وأنه فات على البعض الآخر نصف قرن وليس لها مقابلات في العربية. وقد اقتصر على ايراد الشواهد، دون أن يقدم معنى الكلمة وما طرأ عليها من تطور، فاكتست معنى حديثاً ينبغي العمل به واستيعابه دون الاستناد إلى اللفظة الأجنبية[١٧١]. وهو لم يحدد المفردة بحيث تتضح دلالتها[١٧٢] لكنه أضاف كلمات أخرى،

---

(١٧١) محمود تيمور، «كتاب المستدرك في التعريب،» **اللسان العربي**، السنة ١ (حزيران/ يونيو ١٩٦٤)، ص ١١٩، و«تعقيب على نقد المستدرك في التعريب،» **اللسان العربي**، السنة ١ (حزيران/ يونيو ١٩٦٤)، ص ١٢٠.

(١٧٢) محمود تيمور، «المستدرك في التعريب،» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**، السنة ١٧ (١٩٦٤)، ص ٦٠.

وترجمها إلى الفرنسية وزاد شروحاً مستمدة من المعاجم[١٧٣]. وطبقت المنهجية المعجمية بالاشتراك بين المكتب والمركز المغربي للتعريب، وذلك بغية إعداد معجم الرياضيات بفضل ما جدّ من مصادر. وقد شمل الجرد قوائم الألفاظ الخاصة بهذه المادة، واعتمدت المؤلفات العربية والفرنسية. وتقرر أن يقوم خبير بضبط المصطلحات بالفرنسية والانكليزية، التي تشكل «مساعد المعرب»، وذلك بأن تسجل الألفاظ على جذاذات مرقمة. واعتمدت هذه المنهجية أيضاً في الفيزياء والكيمياء، في مرحلة ثانية. لكن الترتيب كان على الحروف الفرنسية، ثم أضيفت المقابلات الانكليزية والعربية، وأعيد الترتيب بداية من الانكليزية. واعتمد للكيمياء معجم وضعه المكتب سنة ١٩٦٤، اضافة إلى الجذاذات وقاموس في الكيمياء. وفي خصوص الفيزياء لا بد من الرجوع إلى معجم متعدد اللغة، يكون موضوعاً على الأقل بالفرنسية والانكليزية، وبذلك يتاح اعداد الجذاذات الخاصة بهذه المادة[١٧٤]. وعلى هذا النحو يمارس العمل المعجمي الذي لا يقتصر على لغة واحدة ولا مادة واحدة، بحيث إن تنوّع المواد واللغات عاملٍ فعّال في التنمية المعجمية وتطوير المفاهيم العلمية المتأتية من مقارنة المدركات العلمية المعبّر عنها بلغات متعددة. ثم إنه لا مفر من بروز المصطلح العربي في معجم تعددت لغاته، ويتيسر كذلك استنباطه، انطلاقاً من المفهوم الدولي الشائع لدى كل العلميين على اختلاف لغاتهم. وعلى هذا الأساس، يمكن المبادرة بإعداد معاجم أخرى وتطوير ما سبق وضعه. وازدواج اللغة الأجنبية إنما يستهدف الاستجابة للوضعية التعليمية التي توجد عليها الأقطار العربية التي تستخدم لغة ثانية، إما الانكليزية وإما الفرنسية. ولا مجال لنشر تلك المعاجم إلّا بعد أخذ الآراء الخبيرة في شأنها وتوزيعها على العلميين واللغويين المبرزين في الأقطار التي ستستخدمها في مدارسها[١٧٥].

ولا يستبعد أن تدخل المعاجم العربية العلمية لغة رابعة في مستقبل يمكن أن يكون قريباً. وهو في الحقيقة أمر حتمي بالنسبة إلى المعاجم التي تكتسي طابعاً تقنياً رفيعاً يكون متمثلاً في انتشار معجم معين على الصعيد الدولي، فيجب اضافة اللغة الألمانية أو الروسية. وأما تطوير المعجم، فلا شك أنه عمل ضروري وبه يمكن المحافظة، لأسباب وثائقية، على أصله، وإضافة قائمة تكميلية له تجسّد للدارس أنه معجم مواكب لما جدّ في الفترة الراهنة من مدارك علمية حديثة جداً. وتكون نجاعة المعجم العربي أكثر وضوحاً عند متابعة التوحيد الاصطلاحي وتعميمه على المعاجم المختلفة. وعند هذا الحد من تجسيد المنهجية الخاصة بوضع المعاجم ومراجعتها باستمرار، يتيسر نشره معجماً مستقلاً، أو على صفحات الدوريات العلمية، ومن بينها طبعاً مجلة المكتب خاصة إذا كان المعجم من انتاجه، إذ ربما لا يقدر

---

(١٧٣) «الجديد في المستدرك للتعريب،» **اللسان العربي**، السنة ٢ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥)، ص ١١١.

(١٧٤) المكتب، مذكرة.

(١٧٥) عبد الحق فاضل، «ما هو المكتب الدائم؟» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ٣، ص ٥.

ملاحظات المؤتمر	المصطلح المقرر في مؤتمر التعريب	ملاحظات	المصطلح المقترح	المصطلح المنسق في مكتب التعريب
				1 - آبق = قنب مانيلية (ش) (م. ع) (أ) Abaca, Bananier textile, chanvre de Manille النبات هو موزي النسيج والأبق (بالتحريك) حبال تفتل من نسجة (م. ع.) 2 - Abele, حور أبيض Peuplier blanc (الصفحة السفلى من ورقته فضية اللون عليها زغب أبيض ثلجي (ش)) 3 - Abelmosch حب المسك (ش) Abelmosch, Ketmie musquee, ambrette graine de musc (hibiscus abelmoschus) الكلمة الفرنسية من العربية وهو نبات من الخبازيات تستعمل بذوره في صناعة العطور (ش) 4 - Aberration (chromatic) الزيغ اللوني Aberration chromatique 5 - Aberration (spherical) الزيغ الكروي Aberration sphérique 6 - Abietinae تنوبيه (ش) Abiétinées (من فصيلة الصنوبريات) (Abies = sapin تنوب) 7 - Abortive - Abortif ناقص التكوين 8 - Abrotanum = Artemisia قيصوم (ش) Abrotonê, aurono - herbe-royale

المكتب على نشر المعاجم مستقلة، لما يتطلب ذلك من نفقات تتجاوز ما حدّدته له المنظمة من موازنة سنوية[١٧٦]. وفي فترته الأولى، كانت تلك المعاجم توجه إلى المستعربين الأجانب والخبراء في الأقطار العربية بغية النظر فيها وإبداء الرأي واعادتها إلى المكتب. وإذا عملت المعاجم في الفيزياء والكيمياء التي قلنا سابقاً إنها من وضع المركز المغربي للتعريب، بموجب ما سارت عليه مصر وسوريا من نهج اصطلاحي، وتم ذلك حوالى سنة ١٩٦٤، وسلك المركز طريقة وضع الكلمات على الوزن العربي، والاقتباس عن اللغات الأجنبية، والترجمة طبق طرق توختها الدلالة العربية، ونحت ما يمكن نحته[١٧٧]، فإن المكتب طوّر أساليبه بحيث لم تعد تسير على الصعيد القطري، بل على مستوى الوطن العربي، وذلك لنشر ما وحّده من مصطلحات جمعت في مشاريع معجمية يمكن أن تحظى بالموافقة العروبية وتطبق في مناهج التعليم[١٧٨]. وقد اعتبر المعجم العلمي في المغرب العربي بمثابة الأداة التي تحوّل حل قضية الثنائية اللغوية في التعليم والثقافة[١٧٩]. وعلى هذا الأساس، اتجهت النية في مؤتمر ١٩٧٣ إلى تدارس المعاجم الستة التي ذكرنا، مرفوقة بأوراق مخصصة للملاحظات التي يبديها الخبراء في أجل أقصاه ستة أشهر. وللمكتب تنسيقها بعد ذلك وعرضها على مؤتمر التعريب. وهناك طبعاً معايير لاستخدام المصطلحات في المعاجم التي تقرّها مؤتمرات التعريب[١٨٠]. ومن الأقطار من احتفظ بأصول هذه المعاجم وأعاد صوراً منها، كما فعل الكويت، وأرفقها بملحوظات خبرائه، بحيث تنطلق العملية من ملاحظات الخبير على ما نسّقه المكتب، وينهي ذلك إلى جلسات ولجان مؤتمر التعريب التي تبدي رأيها، وتصادق على القوائم من المصطلحات المقررة التي تصير نهائية قابلة للاستعمال. وقد بيّنا أن تلك المعاجم الستة أعدت في مصر، مكتوبة على الآلة (مرقونة) ثم طبعت منها نسخ على الناسخة (انطلاقاً من الهجاء الانكليزي)، وقبلت دون الألفاظ الفرنسية التي أضافها المكتب معتمداً تعليقات وزارات التربية في الكويت والعربية السعودية والأردن وليبيا والعراق. فكان هذا المجهود عبارة عن نواة معجمية طيبة يمكن تنميتها بفضل ما يجدّ من مادة علمية أساسية وقع اغفالها (مثلاً في علم الحياة) رغم أنها شائعة في أقطار أوروبية عدة وحتى عربية. وبعد جرد ما وضع وما ألحق بالمعاجم الأصلية من قوائم اصطلاحية اضافية، نتحصل على الجدول الآتي:

---

(١٧٦) لكن هذه المنظمة ما انفكت تحيط المكتب بالرعاية الشاملة، انظر: محمد المنجي الصيادي، «جهود جامعة الدول العربية ومنظماتها في حقل التعريب،» **شؤون عربية**، العدد ١٣ (آذار/ مارس ١٩٨٢)، ص ٤٦١ ـ ٤٨٥.

(١٧٧) «المعجم السياحي،» **اللسان العربي**، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ٢٥٤.

(١٧٨) «جامعة موسكو ومعجمنا في الفيزياء والرياضيات،» **اللسان العربي**، السنة ٢ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥)، ص ٨٤.

(١٧٩) «مظاهر الوحدة والاختلاف في عاميات المغرب والشام،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٥٣٢.

(١٨٠) محمد رشاد الحمزاوي، «المنهجية العربية لوضع المصطلحات: من التوحيد إلى التنميط،» **اللسان العربي**، العدد ٢٤ [د. ت.]، والعدد ٢٢ (١٩٨٣)، ص ٢١١ ـ ٢١٣.

المـواد	عدد المصطلحات بالمعاجم الأصلية	ما أضافه المكتب (# #: تقريباً أو يكاد)
رياضيـات	١٧٢٩	# # ٢٠٠٠
فيزيـاء	٢٠٨٥	# # ٣٠٠٠
كيميـاء	١٩٢٥	# # ١٣٠٠
علم الحيوان	١٤٥٣	# # ١٨٠٠
علم النبـات	٢٢١٣	# # ٢٠٠٠
علم طبقات الأرض	١٥٨٧	# # ٤٠٠٠

لقد تضمنت تلك المعاجم المقابلات العـربية لـلألفاظ الانكليـزية، كـما قررتهـا مصر، لكن العمـل التنسيقي يفرض أن تـوضع كـل الألفاظ الشـائعة رهن المـواجهة. فـوجب جمع الكلمات النـاقصة والمكـررة غـير المشروحـة، وبـالأحـرى التي لا يمكن ردهـا لمـدرك علمي. والأسلوب التعريبي الذي اتبع في مصر لوضعها مغاير لما هو معمول بـه في الأقطار الأخـرى. فلزم أن يضاف ما وافق عليه مجمع القاهرة، لكنه لم يدرج بالمعاجم الستـة، مع العنـاية عـلى الاستفـادة من المنهجية المعجميـة بالعمـل عـلى التخـلّي عن الألفـاظ التي تـوضـع في أشكـال متنوعة، وغيرها الذي طرأ عليها تغييرات عند تعريبها. فمثلاً نجـد مقابـل Modulus مقياس في الرياضيـات ومعدّل (أو مُعَـامِل) في الفيـزياء. فكـان أن واجه الخـبراء قوائم كلمات سيئـة التعريب، أو أنه لم يوجد لها مقابلات عربية في مصر وغيرهـا من الأقطار. وتبـين أنه لا يمكن توخي الترجمة الحرفية المطلقة بل تفضيل الكلمات المطابقة لأحد الأوزان العـربية. والـواقع أن فكرة وضع المعاجم مادة مادة ما انفكت تخامر الأذهان منذ ١٩٦٢، فناقشتها لجنة المكتب سنة ١٩٦٣. ذلك أن المنهجية المعجمية في هذه المؤسسة المغربية العربيـة لم يعترف لهـا بحق وضع المصطلحات، وبالتالي المعاجم، بصورة صريحة. وإلاّ لتأكد بأن محـاولة التنسيق القـائمة عـلى تصور خاطىء يقول بوجـود مسبق لوحـدة اصطلاحيـة اقليمية، مـآلها الفشـل، خاصـة وأن الأجهـزة العلمية في مصر ذاتهـا وفي غيرهـا من الأقطار، لم تتفق في مـا بينها عـلى انتقـاء كـل الكلمات العربية المطابقة للمصطلحات العلمية الأجنبية. وقد ثبت فعلاً وجود ألفاظ عـدة في تلك المعاجم تقابل مفهوماً انكليزياً واحداً، ويضاف إليها مـا ابتكرتـه الأقطار الأخـرى. ولا يشكل آخر الأمـر اللفظ الذي يـزعم أنه مـوحّد في مصر، سـوى بادرة قـام بها جهـاز علمي معين. والبداية تكون بتـوحيد اصـطلاحي قطري يتم بـين أجهزتـه العلمية، تـرقباً للتـوحيد العـربي. والأخطر من ذلـك أن تبقى معاهـد التعليم ترزح حـيرى تحت وطأة هـذه الحـالـة، وكـذلك الكليـات ثم الجامعـات إلى أن ينتهي التـوحيـد الاصـطلاحي إلى مستـوى وزارات التعليم التي تقوم بالتوحيد على الصعيد الوطني[١٨١]. ورغم أن تلك المعاجم المذكورة لم تخضع

(١٨١) «المعاجم العلمية،» اللسـان العربي، السنـة ٨ (كانـون الثاني/ ينـاير ١٩٧١)، ج ٢، ص ٥٥ - ٦٣.

للمنهجية التي سطرتها الجامعة، ولم تحاول الاستفادة من خبرة المختصين في العلوم، فلم تقع احالتها أيضاً على المنظمات العربية المختصة، مثل منظمة النفط والمواصفات والطيران المدني والاتحادات العلمية القطرية، والاتحاد البريدي، واتحاد الاذاعات العربية...(١٨٢). فأدى ذلك إلى أن كانت المعاجم الستة بعد مؤتمر ١٩٧٣، محل نقد جديد تعلق بالصورة التي وضعت بها. واستمر هذا النقد يتابع المشاريع المعجمية: «ويقيننا أن معاجم المصطلحات العلمية وخاصة المعاجم الموحدة للمصطلحات، لا يمكن أن تنجز في مؤتمر من المؤتمرات يجتمع لمدة من الزمن محدودة ويلتقي فيه أناس ليسوا دائماً من ذوي الاختصاص»(١٨٣). وقد لاحظ الخبراء العجلة التي بها نشرت في جزء واحد، وما نتج من ذلك من نقص فادح في مصطلحاتها المخصصة للتعليم العام في المرحلة الثانوية، والاسم الذي تسمّت به، كان ملفتاً للنظر، فقد وزّعت على أنها المعجم الموحد للمصطلحات العلمية لمراحل التعليم العام (في ١٠,٠٠٠ نسخة). وكان منتظراً نشرها في كراسات منفصلة تيسيراً لتداولها والنظر في كل علم على حدة. ذلك أنه بلوغاً لإقرار المصطلح العلمي، وهو الشرط الضروري ليستوعبه التلميذ، يجب تحديده بإيجاز غير مخل بالوضوح، وتجسيده للمتعلم. فتمّ الاتفاق على مراجعة تلك المعاجم، وذلك بعقد ندوتين سنة ١٩٧٤ و١٩٧٥، بمشاركة المندوبين إلى مؤتمر ١٩٧٣ وخبراء آخرين، ويقوم تدارسها على أصولها وما ضبط في شأنها من جذاذات أعدّها المكتب، ودوّن بها التعريف العلمي الدقيق لكل مفهوم(١٨٤). ولم تكن الحتميات المنهجية فقط هي التي أدت إلى هذه التحريات. ذلك أن المكتب، محمول بنظامه الداخلي الذي حددته اللجنة (اجتمعت في الرباط، ٢٢ - ٢٦ نيسان/ ابريل ١٩٧٤) ووافقت عليه المنظمة، على تجميع المصطلحات المنشورة في الوطن العربي في المجامع والأجهزة التي تعينها اللجنة وترتبها على مقاييس علمية موضوعية. كما أن المصطلحات ترتب مع مقابلاتها الانكليزية والفرنسية، ويضاف إليها تعريفاتها ويشار إلى الاتفاق أو الخلاف بشأنها. وكما قلنا، تحال في كراسات على الخبراء أو الندوات، ثم يبتّ فيها مؤتمر التعريب، فتشكّل المادة العلمية الضرورية لنشر المعاجم تحت مسؤولية المكتب. وقد تعوض الندوات (لشدة النفقات: ١٧٠٠٠ دولار) بعقد لجان الخبراء للمراجعة والتدقيق والشكل عند الضرورة، واضافة التعريفات والشروح لكل مصطلح، اعتماداً للمعاجم الأصلية والجذاذات والقواميس الانكليزية والفرنسية.

هذا في خصوص المعاجم الموجهة إلى الطلاب الناطقين بالعربية، وقد ساد الرأي أن استكمال الاشعاع الثقافي في العالم من طريق اللغة العربية، يستلزم إعداد «معجم عربي أحادي اللغة للناطقين باللغات الأخرى»(١٨٥)، وذلك لأنه لا يمكن اعداد معاجم ثنائية اللغة على عداد

---

(١٨٢) محضر ١٩٧٣/٦/٣.

(١٨٣) محمد صلاح الدين الشريف، «المعجم بين النظرية اللغوية والتطبيق الصناعي،» **مجلة المعجمية**، العدد ٢ (١٩٨٦)، ص ٤٣.

(١٨٤) محضر ١٩٧٤/٤/٢٩.

(١٨٥) عبد العزيز بنعبد الله، «الأرقام العربية،» **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ١، ص ١١.

الراغبين في تعلم العربية والناطقين بلغات أخرى. وهـذا المشروع يندرج في خـطة «نشر اللغة العربية في العالم»[١٨٦]. وينبغي طبعاً اخضاع مثل هذا المعجم إلى منهجية مدققة تتفـرع عن علم اللغة التطبيقي. والدافع إلى ذلك يتمثّل في عدة مميزات، منها أن «غير الناطقين بـالعربيـة تجابهم صعوبة نطق الوحدات الصوتية (الفونيمات) التي لم تعتد على أدائها أعضاء النطق لعـدم وجودهـا في لغتهم، ولا يعرفون بالسليقة مواضع النبر، ويخطئون في تنغيم الجملة»[١٨٧]. ومن مميزات المعجم أحادي اللغة تـوفير المعلومات المحيطة بالتدرّب على العربية، والتقليل من المادة اللغويـة ذاتها بحيث يقتصر عـلى تمكـين الأجانب من العـربية، من رصيـد أسـاسي من المفـردات يمكنهم من ربط الحـوار مـع الناطقين بها ومخاطبتهم في أمور عاديـة[١٨٨]. والاقتصاد في حجم هـذا المعجم يعني الإكثار من الرموز والاختصارات والمعلومات النحوية الأساسية. فمثلاً يكتفي بأصول الأفعال ومعـانيها، دون التعـرّض لمعاني مشتقـاتها، علماً بـأن هذا المعجم يسبق الكلمات الحـاضرة عـلى الكلمات القديمة. وطبعاً ينبغي التفكير في توخي ترتيب يلائم المبتدئين الأجانب.

ولا يمكن بداهة العمـل بترتيب معـاجم المعاني التي تـتطلب دراية مسبقـة باللغـة، ولا يحسن العمل بالترتيب القائم على الاشتقاق، وهو الترتيب الأصيـل في اللغة العـربية، الـذي يوحد بين اللفظة وفروعها المتحدة معها في حـروفها الأصليـة ودلالاتها، لأن سلوك مثـل هذا الترتيب يؤدي إلى تعجيز المبتدئين في تعلم العربية، تبقى العمل بالنظام الألفبائي الذي ترتّب فيه الكلمات على الحرف الأول، لكنه عامل على تشتيت المشتقات العـربية بـين طيات المعجم المذكور. ولذا، فكر أحد الخبراء في تهيئة ترتيب آخر، بحيث «ترتب كافة المداخل الفبائياً وأمام كل مدخل يوضع بين قوسين الجذر الذي اشتقت منه كلمة المدخـل. و. . . ترتب كـل مواد المعجم حسب أصـول الترتيب الجذري، ثم يوضع كشاف في أول المعجم ترتب فيه كافة الألفاظ الفبائياً، ويوضع أمام كل لفظ الجـذر أو رقم الصفحـة التي يرد فيهـا مع معنـاه والمعلومات الأخـرى المتعلقة بـه»[١٨٩]. ويركـز هذا المعجم عـلى الصور التي تنطق بها الكلمات وكيفيتها وتهجئتها ومواضع نبرها، ويكون المردود جيداً بقدر ما ضبطت الرموز الصوتية واستقرت على صورة واحـدة للحرف الـواحد. ويتيسر ذلـك بتعميم الشكل على كامل ألفاظ المعجم، ويتيح ذلـك تدقيق المعلومـات النحويـة المؤدية إلى التـدرّب على تركيب الجملة العربية واستكمال أجزائها، شيئاً فشيئاً، كما يفيد ذلك في إيصال المعلومات الصرفيـة إلى المتدرب الأجنبي (عـين المضارع). أمـا من وجهة الـدلالة، فلن يكـون المعجم ناجعاً إلّا إذا أدى الدراية اللغوية حقها، فعمل عـلى تبليغ الشرح اللفـظي والمعنوي دون أي غموض أو لبس. ولعل ربط ذلك الشرح بالواقع الحضاري العربي من شأنه أن يضفي أبعاداً

---

(١٨٦) انظر: محمد المنجي الصيادي، «نشر اللغة العربية في العـالم،» **شؤون عربيـة**، العدد ٧ (أيلول/سبتمبر ١٩٨١)، ص ٨٩ ـ ١١٥.

(١٨٧) بنعبد الله، المصدر نفسه، ص ٨.

(١٨٨) علي القاسمي، «مـاذا نتوخى في المعجم العـربي للناطقـين باللغـات الأخرى،» **اللسـان العربي**، العدد ٢٠ (١٩٨٣)، ص ١١٣ ـ ١١٨.

(١٨٩) بنعبد الله، المصدر نفسه، ص ١١.

دلاليـة مستقرة ومتـطورة في آن واحد عـلى الكلمات. ويتأيـد ذلك بتقـديم تسجيلات وصـور ورسوم مدعمة للعمل المعجمي المكتوب، اضافة إلى الشواهـد الحيّة المبينـة. «وينبغي أن تصاغ الأمثلة التوضيحية التي نستخدمها في المعجم المخصص لغير الناطقين بالعربية بلغة ميسرة في حدود المفردات الأساسية التي تصاغ بها التعاريف وبقية مواد المعجم»(١٩٠).

٥ ـ المعلوماتية وتطوير المعجمية العربية

كان شاغل جرد مفردات اللغة العربية حديث العهد، بل إنه شـاغل راهن يـواكب ما طرأ على تفريعات الألسنية من مقاصـد ثوريـة تستهدف استغـلال أرقى الأجهزة للعمـل على تطوير اللغات. ذلك أنـه من العسير انتقـاء الكلمات دون تحديـد مقاييس دقيقـة في لغة مثـل العربية عرفت بوفرة مفرداتها. فلقد أيّد مؤتمر التعريب الرابـع استخدام التقنيـات الحديثـة في العمل المعجمي. فمن أحد التقارير المعروضة عليه «أن الاستخدام في مقـدمة مـا تطمـح إليه اللغـة العربية في تحـركها، وأن الاستفـادة من معطيـات التقدم العلمي هـو أقل مـا يجب أن نواجـه في خدمتنـا للغة، وبخاصة أمام تكاثر المصطلحات واشتداد الحاجة إلى وضعها واشاعتها...»(١٩١). حتى أن مطلب التحرير والكتابة يفرضان ايجاد الكلمات واستخراجها من المعاجم دون ثبات وجودهـا فيه، خـاصة إذا خامرتنـا فكرة تقليب بنيتهـا والتردّد في المعيـار الذي بـه نقرر صـلاحيتها أو عـدمها، فيكـون الشك في وجودها إذا كانت قليلة الشيوع بين الناس(١٩٢). لقد اعتبر الأصل الثـلاثي بنية تـردّ إلى حروف ثلاثـة، ويبحث عنها في المعجم عـلى ذلك الأسـاس، وكانت تلك ميـزة كبرى في الكلمة العربية تجهلها اللغات الآرية حيث ترتب الكلمة كما هي موجـودة. وكذلـك يعبر عن تلونات الفكر في العربية بجذر الفعل اعتماداً لتنوّع طارىء على الحركات بدون زيادة خـارجية تمثلها السوابق واللواحق، كما هي الحال في اللغات الهندية الأوروبية(١٩٣). وقـد قطع تـدوين الكلمات وتجميعها مراحل متعددة، إذ جمعت دون أي تنظيم، ثـم رتّبت ألفبائيـاً ولم يكن ذلك ترتيباً معتـاداً (من الهمزة إلى اليـاء)، ثم جاء التـدرّج الصوتي. وعـدنا إلى الـترتيب الألفبائي المؤسس عـلى الحرف الأخـير ثم على الحـرف الأول. وحل الآن دور تعتـبر فيـه بنيـة الكلمـة الصرفية لا جذرها الأصلي الذي ننطلق منه بحثاً عن مشتقـاتها المتنـوّعة تنـوّع معانيهـا، لكن دون التحرّر من الأصل(١٩٤). ومن المعلوم أن الاشتقاق وسيلة دالة على حيوية اللغة العـربية، تسمح بالـرجوع إلى الجـذر ومجموع الكلمات التي تـتركب من حروف ذلـك الجذر، وفي بنيـة

---

(١٩٠) المصدر نفسه، ص ١٦.

(١٩١) انظر: «مؤتمر التعريب الرابع (طنجة)،» **اللسان العربي**، العدد ١٩ (١٩٨٢)، ص ١٨٨.

(١٩٢) تمام حسان، **اللغة بين المعيارية والوصفية** (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨)، ص ١٩.

(١٩٣) لوي ماسينيون، «محاضرة ألقاها المستشرق الفرنسي في مدرسة الحقوق العربية،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (دمشق)، السنة ١ (أيلول/ سبتمبر ١٩٢١)، ص ٢٧٠.

(١٩٤) «تعليق على كتاب تهذيب اللغة الأزهري،» **مجلة مجمع اللغة العربيـة** (دمشق)، السنة ١ (أيلول/ سبتمبر ١٩٢١)، ص ٢٧٠ ـ ٣٠٧.

ثنائية أو ثلاثية. وجملة الكلمات تلك المستمدة من جذر واحد، تتضمن الحروف الثلاثة نفسها المشتركة في الدلالة على فكرة عامة لا تمنع على مشتقاتها من تضمن معنى خاص يبتكر انطلاقاً من عدد من العناصر المميزة الملونة لها، دون أن تفصلها عن الأصل المتمثل في الجذر الثلاثي المجرد. تلك حال المصدر واسم الفاعل واسم المفعول، وأفعل التفضيل، وأسماء المكان والزمان والآلة، وهي أوزان لا مقابل لها في اللغات الأخرى. وبذلك تكون الوحدات الدلالية والصوتية متضامنة لتمكين الكلمة من قوة الدلالة التامة. لكن المعاجم العربية التقليدية، التي حدّدت مظاهر الدلالة في الكلمات حتى نهاية القرن الأول الهجري، عطلت ما ينتظر من تطور لغوي، رغم ظهور بعض المولدات في كتب الفقه والفلسفة. وبذلك لم تقم المعاجم بتحقيق الترتيب التاريخي، بل اقتصرت على ايراد المعنى الجديد للكلمة، والتذكير بالفكرة القديمة.

ويبدو أن أحمد بن فارس هو أول من دوّن المعاني المختلفة للكلمة منطلقاً من الأصل، وكان ذلك في كتابه **مقاييس اللغة**. ولا لزوم للقول إن العربية كانت في حاجة إلى ممارسة مثل هذه التجربة التي شكلت في الوقت نفسه جرداً دلالياً معجمياً شمل الكلمات بصفتها وحدات في المعجم، وشمل أيضاً دلالاتها[١٩٥]. وقد مثّلت الأصول الثلاثية (٣٢٧٦) بالنجوم الموجودة في سماء اللغة[١٩٦]. وتدل تلك المجموعات في اللغة العربية على جملة من التغييرات التي تحافظ في كل الصور على صحة وضعها الأصلي سليماً. ولا تسمح تلك التحويرات بإدخال تغيير جذري على ترتيب المعجم العربي، في حين أن الترتيب العادي يتيح فوراً بلوغ الازدواج الأصولي الموجود في الأوزان المشتقة التي هي مصدر التقنية[١٩٧]. وبإدخال الحشو ضمن الأصل الفعلي، يمكن مجاراة الفكرة وتطوير المعنى الذي يتحوّل من السياق الحرفي إلى المعنى الجديد عبر التضمين. إن كل هذه المعلومات تقودنا إلى وجوب التحليل المسلط على الكلمة العربية من الوجهة الصرفية، وذلك قبل التفكير في التعريب اللفظي ذلك أنه ينبغي البحث عن تواتر شيوع الكلمة المتولّد في الواقع عن الأصول الثلاثية، ويكون العمل بمنطق الرياضيات بحيث نضع على احداثيات الكلمات المشتقة من الأصول، ويثبت بالخط الثاني الكلمات المزادة، نعني الأسماء والموصوفات. ويتولّد عن تقاطع المنحنيات المنطلقة من ذينك الخطين كلمة يمكن أن تصير شائعة أو أن تترقب فرصة سانحة للظهور، فهي في حالة كمون وتأهب للشيوع. ولنلاحظ أن بنية الكلمة العربية تشمل الحروف الثلاثة التي تتركب منها اللفظة الأصيلة، ذلك الأصل أو الجذر الذي يشكّل حجر الزاوية لكل هيكلة رياضية تطرأ على اللغة. فتحتم أن يتم العمل على تكييف وتصحيح الحاسبات الالكترونية والنظامات،

---

(١٩٥) محمد المبارك، فقه اللغة: دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية (دمشق: مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٠)، ص ٢٧، ٥٣، ١٠٥ و١٨٣ - ١٨٤.

(١٩٦) *Arabica* (1954), pp. 5 et 11.

(١٩٧) المصدر نفسه، ص ١٤.

وتهيئتها حتى تلائم الأوزان العربية، لأن مسألة وضع الأوزان أو على الأقل النماذج ينبغي أن تندرج في الواقع اللغوي العربي. لقد كان موضوع «تعريب الحاسوب» محل اهتمام الخبراء في الاعلامية-المشتغلين بـ «تكنولوجيا الالكترونيات الدقيقة والمعلوماتية في البلاد العربية الذي نظمته اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (اسكوا) بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية (اليونيدو) في آذار/ مارس ١٩٨٤ في الكويت، حيث خصص الاجتماع يوماً كاملاً لأبحاث التعريب»[١٩٨]. فقد استمر فعلاً العمل بالأوزان التقليدية «المشخصة» بحيث يظن السامع أن للكلمة معنى غريباً موحى به، لما يحاط السياق به من تهيئة لا تترك سوى لمسة دلالية مادية مدركة ضمن ازدواج المعنى في اللفظة[١٩٩]. وقد قدست تلك الأوزان دون تمييز وجمدت مدة طويلة حتى ظن أنها سحر حلال، فأنستنا ما فيها من مجرد ادراك معقول. وعلى هذا، ينبغي أن نعود إلى القياس الصحيح لتكون الأوزان في وضع الاتزان من وجهة الدلالة[٢٠٠]. والاشكالية تتمثّل اجمالاً في تدارس المعطيات العامة التي ينبغي توفيرها لاحصاء الأصول العربية، واستغلال ما تتيحه الوسائل الآلية المعمول بها في الحقول الصناعية والمصرفية، واخضاعها بغية ادخال التحسينات الممكنة على الصورة التي يوضع بها حالياً المعجم العربي. أما عمل الخبراء فيتمثل في «تحديد مختلف متطلبات انشاء قاموس عربي متكامل للحاسب الآلي، بحيث يكون هذا القاموس قابلاً للتوسع، في المنهاج والمضمون، ليشمل كل المستجدات، وبحيث يتضمن مختلف العناصر اللغوية المطلوبة في مجالات التحليل الصرفي والتحليل النحوي، والتحليل الإعرابي، وكذلك في تحليل الكلام»[٢٠١]. فقام المكتب بالاتصال في تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٦٨، بمؤسسة IBM في باريس، للنظر في ما تتيحه تجاربها من امكانات لتطوير المعجمية العربية[٢٠٢]. وقد عمل مدير تلك المؤسسة منذ ١٩٦٧ على ربط الاتصال بين المكتب ومدير مركز الأبحاث للغة الفرنسية، والنظر في صور التعاون لإعداد معجم ثلاثي اللغة ومعاجم مختصة. ويتطلب توخي هذا الاتجاه اعداد هيكل عام من الجذاذات لكل الألفاظ العربية، ويضاف إلى ذلك جرد القاموس الكبير تأليف لاروس (Larousse) وكذلك ملاحقه. فيكون ذلك قاعدة للقيام بمقارنة منطقية استقصائية، يمكن بموجبها الكشف عن الألفاظ التي لم يوضع لها مقابل بعد في العربية[٢٠٣]. وتبيّن أن المركز الفرنسي المذكور لم يبدأ في استخدام الوسائل الالكترونية في تلك الفترة، ذلك أن التحاليل الأساسية تنجز بواسطة أجهزة البطاقات المثقوبة[٢٠٤]. ومن جهة أخرى، كانت مؤسسة Bull

---

(١٩٨) اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا والبنك الاسلامي للتنمية، «مستلزمات بناء قاعدة معطيات للمفردات اللغوية العربية،» (١٩٨٩)، ص ٣.

(١٩٩) ريمون طحان، «اللغة العربية والبيانية،» المشرق، السنة ٦٤ (تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٠)، ج ٦، ص ٧٦٧ و٧٧٤.

(٢٠٠) «أنباء المكتب الدائم للتعريب،» اللسان العربي، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٥٩٩.

(٢٠١) المصدر نفسه، ص ٣.

(٢٠٢) المكتب، رسالة، ١٩٦٧/١٠/٢١.

(٢٠٣) المكتب، رسالة، ١٩٦٧/١٢/٢٠.

(٢٠٤) المكتب، رسالة، ١٩٦٧/٦/٣٠.

General Electric بصدد وضع قاموس في اللغة الفرنسية، بمشاركة المركز القومي للبحث العلمي الفرنسي (باريس)، واستخدمت لذلك الغرض جهاز غاما ٦٠[٢٠٥]. ومثل هذه التجارب لا يمكن إلاّ أن تساعد على تحقيق المشاريع المعجمية العربية. لقد كان المكتب يطالب منذ ١٩٦٤ بالاعتمادات لترتيب جذاذاته، فما بالك لو طالب باقتناء جهاز من أجهزة الحاسبات الالكترونية[٢٠٦]. فقد عزم على ترتيب ذلك بواسطة الجذاذات المثقوبة في هوامشها. وسبقت الأوساط الجامعية بفرنسا في البحث في المعجمية العربية، وأعدت مركزاً لذلك البحث العلمي في الموضوع، بغية معالجة الوثائق بصورة آلية على الحاسب الالكتروني (١٩٧١/٧/٢٥). وقد ساهمت جامعة الكويت في مشروع جرد الأصول في اللغة العربية، على أساس جرد معجم **الصحاح** للجوهري، بواسطة الحاسب الالكتروني[٢٠٧]. وتمّ ذلك في شكل دراسة احصائية لأصول الكلمات العربية[٢٠٨]. وقد ضبطت النظّامة أو العقل الالكتروني (أو الرتّابة) هذا البرنامج، وكلفت ذاكرتها باستغلال مفردات المعجم المذكور. وسجلت نتائج العملية في جداول[٢٠٩]. وكذلك تواصل البحث على معجم ابن منظور **لسان العرب**[٢١٠]. وإضافة إلى ذلك كانت الاهتمامات بجرد الأصول العربية موجودة. فقد تلقى المكتب مثلاً مشروعاً معجمياً استهدف رد الكلمات العربية إلى أصولها، فأمكنه بذلك الاطلاع على مثل هذه الوسائل المعجمية الحديثة جداً[٢١١]. وشارك كذلك في مؤتمر المستشرقين التاسع والعشرين، الذي انعقد في باريس من ١٦ إلى ٢٢ تموز/ يوليو ١٩٧٣، لتدارس معالجة النصوص والمعجمية العربية بصورة آلية[٢١٢]. وهكذا، أصبحت المعجمية العربية محل أبحاث

---

(٢٠٥) المكتب، رسالة رقم ٧٨٨، ١٩٧٢/٨/٢٢.

(٢٠٦) لكن المشروع بقي محل تنظير كمعطى معجمي: «فالمعربي لفظة منحوتة من «معجم» و«عربي». أما معجمية نسبة إلى المعجميات فإنها تسمية ما زالت مضطربة لأن مدلولها يختلف من مؤلف إلى آخر»، انظر: ليلى المسعودي: «قاعدة المعطيات المعجمية: المعربي،» **اللسان العربي**، العدد ٢٥ (١٩٨٥)، ص ٩١، و«علم المصطلحات وبنوك المعطيات،» **اللسان العربي**، العدد ٢٨ (١٩٨٧)، ص ٨٥ ـ ٩٣.

(٢٠٧) أنشيء في السعودية البنك الآلي للمصطلحات باسم المركز الوطني السعودي للعلوم والتكنولوجيا (الرياض) لمواكبة نقل المعلومات إلى الباحث العربي في كل مكان من الوطن العربي. انظر: **اللسان العربي**، العدد ٢٤ (١٩٨٥)، ص ٣٠١ ـ ٣٠٥. أما المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فهي تتوفر على «فارابي» بنك للمعلومات من أهدافه توحيد المصطلحات والرموز، **اللسان العربي**، العدد ٢٤ (١٩٨٥)، ص ٢٨٥ ـ ٢٩٣.

(٢٠٨) ابراهيم أنيس، «النظامة الالكترونية تحصي جذور مفردات اللغة العربية،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٢١١.

(٢٠٩) المكتب، رسالة، ١٩٧٢/٩/٢٩.

(٢١٠) **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ٢٥.

(٢١١) المكتب، رسالة إلى الأستاذ بيلا في ١٩٧٣/٦/١٠، وردّه في ١٩٧٣/٦/١٩.

(٢١٢) أنيس، «النظامة الالكترونية تحصي جذور مفردات اللغة العربية،» ص ٢٠٧. انظر أيضاً: عامر ابراهيم قنديلجي، «بنوك وشبكات المعلومات، نماذج عربية وأجنبية،» **اللسان العربي**، العدد ٢٥ (١٩٨٥)، ص ١٠٩ ـ ١٥٤ (وهو عبارة عن بحث موثق مدعوم بالرسوم).

من نوع جديد تجاوزت كثيراً العصور القديمة التي كانت تدوّن خلالها اللغة مشافهة وبفضل تنقلات ورحلات الرواة. إن الاتجاه الجديد استهدف ادخال الأساليب الآلية في وضع المعاجم. والمقصود طبعاً اقتصاد كبير في الجهود والوقت والنفقات وبصفة خاصة اضفاء طابع النجاعة الكاملة والمردودية الرفيعة لنتائج الجرد اللغوي. ذلك أن معالجة الكلمات وتجميع المعلومات عنها بواسطة هذه الطريقة المعاصرة، والترتيب الآلي للجذاذات، لا شك سيدعم عملية تطوير المعاجم ويهيء أسباب المناعة العلمية(٢١٣)، بفضل استمرار المراجعة والتحسين والاضافة حتى لا يقال إنها معاجم بقيت متأخرة عن عصرها. ولا ننسى أن هذا الحل يتيح وقتاً أكبر للخبراء للتفرّغ للعمل اللغوي الصميم الذي يصير متيسراً بتعميم الأساليب الآلية في المعالجة اللغوية، ويجنبهم الترتيب اليدوي للجذاذات. لكن المشكل المهم هو ابتكار الجهاز الذي يتكيف والحروف العربية. وقد ظهرت محاولات بفرنسا مثلاً وبغيرها، استهدفت تكييف العقل الالكتروني باللغة العربية، ويبدو أنها مثمرة. لكن تضافر الجهود العربية كفيل وحده بالعمل على انتاج هذا الجهاز المخصص للأحرف العربية. وترقباً لذلك يزدوج العمل اليدوي بالعمل الالكتروني المساعد على الترتيب الألفبائي. ويظهر ممكناً ترقيم الكلمات المدونة على الجذاذات بالعربية، وهو أمر من شأنه تكثيف العملية المعجمية، إذ إن الرقم يعوض الكلمة في العقل الالكتروني. ثم إن التفكير اتجه إلى استخدام الانتساخ، بأن تكتب الكلمات العربية بالحروف اللاتينية، وهذا أيسر وأكثر انتاجية، ويمكن بفضل هذا الحل استرداد القوائم التي لم توجد لها مقابلات في العربية عن طريق جرد الألفاظ الفرنسية (أو الانكليزية) من القواميس الكبرى المندمجة في مجموعة ممركزة. ولا يمكن تحقيق استغلال ذلك إلاّ بعد أن تدمج كل المقابلات العربية، وتمركز كل الجذاذات في قطر واحد(٢١٤).

وإلى هذا الحد من البحث والتنقيب عن الوسائل الملائمة للنهوض بالمعجم العربي، ومجاراة التطور العلمي، فكرت المنظمة، نظراً إلى تكاثر المعاجم وتنوّع لغات العمل المعجمي، في «استخدام الحاسب الالكتروني في الانجاز المعجمي الذي يضطلع به مكتبنا. ولحين شراء الحاسب الالكتروني المطلوب، فإن مصلحة المكتب أن يستخدم التسهيلات التي تقدمها إليه الوكالة العربية والعالمية المتخصصة المماثلة التي تمتلك بنوكاً للكلمات، حيث تقوم بخزن المصطلحات العلمية والتقنية بعدد من اللغات في ذاكرة الحاسب الالكتروني، وترغب في اضافة المقابلات العربية لهذه المصطلحات»(٢١٥). وقد عقدت ندوة بالرباط في هذا الموضوع، وكان انطلاق الفكرة من تراكم المصطلحات، وما

---

(٢١٣) علي القاسمي، «نحو تطوير بنوك المصطلحات أداة للبحث المصطلحي والعلمي،» **اللسان العربي**، العدد ٢٨ (١٩٨٧)، ص ٧٧ - ٨٣. انظر أيضاً: فاضل حسن أحمد، «مصطلحات في برمجة الحاسبات الالكترونية،» **اللسان العربي**، العدد ٢٤ (١٩٨٥)، ص ١٧٣ - ١٨٨.

(٢١٤) مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، «نحو انشاء بنك الكلمات،» **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ١، ص ٢٤٩.

(٢١٥) معهد الدراسات للتعريب، **العربية المعيارية المشكولة بالشفرة العربية**، ط ٢ (الرباط: [المعهد]، ١٩٧٩)، ص ١ - ٥٠.

يتبع ذلك من تجميعها في المشاريع المعجمية بحيث تحتم البحث عن حل علمي يتيح استغلال ذلك الزاد المعجمي بأيسر السبل وفي أسرع وقت ممكن. وعند هذا الحد تبلورت الفكرة المتعلقة بطواعية الحروف العربية التي تضمن خزن الكلمات على الصعيد العربي ثم الدولي، وتمثّل ذلك في الطريقة المعيارية التي وضعها معهد التعريب المغربي في الرباط. وتعرف هذه الطريقة بأنها نسق من الكتابة المطبعية التي تسمح أشكالها بإضافة الشكل التام أو الجزئي أو الكتابة دون شكل. وقد تواترت التوصيات باستخدامها في الطباعة والكتابة على الآلة، وذلك منذ ١٩٥٦، وفي مؤتمر ١٩٦١، للنهوض بالكتاب العربي، وكذلك في مؤتمر ١٩٧٧، وتتفق كل التوصيات على مساعدة هذه الطريقة المتعلقة «بتبسيط حروف الطباعة العربية مع خفض عددها لتساير القواعد الدولية السائدة»[٢١٦]. وبعد اتفاق المنظمة والأجهزة العربية وبعض الدور الأجنبية، تبلور المشروع في الاستعداد لسد النقائص أو العجز في الاختزان لجدة الأمر، وسيبدأ بتخزين مصطلحات وافقت عليها مؤتمرات التعريب، ثم المعاجم التي وضعتها المجامع والمكتب، ثم الكلمات الشائعة. وتمّ الاتفاق على تزويد بعض المؤسسات الأجنبية بما تجمع من مصطلحات عربية، مثلاً بنك الكلمات بجمعية علوم الفضاء الايطالية التي شرعت في استخدام الحروف العربية المشكولة كما روجتها الطريقة المعيارية السابقة الذكر، وتم ربط التعاون كذلك مع شركة «سيمنز» الالمانية للغرض نفسه. واتضح أن التعاون مع قسم الخدمات اللغوية بشركة «سيمنز» سيتسع مداه. ذلك أن لهذه الشركة مخزونات اصطلاحية بثماني لغات، وهي تريد اضافة اللغة العربية إلى بنك كلماتها، وتزود المكتب بالمصطلحات التي تجمعت لديها، «كما تقوم الشركة بإدخال المصطلحات التقنية العربية التي يبعث بها المكتب في بنك الكلمات التابع لها وتستكملها بالمصطلحات الالمانية مضافة إليها الانكليزية والفرنسية أو احداهما»[٢١٧]. اضافة إلى أن هذه الدار مستعدة لتسليم المكتب ما يتجمع لديها من ألفاظ بمواد علمية لم يسبق إلى تجميعها المكتب أو إحدى المؤسسات العربية. وهي تتبادل مع المكتب جميع المصطلحات التي تجمعت لديها لكونها عقدت اتفاقات مع مؤسسات أوروبية مماثلة. هذا ولم يقنع بالاتفاق مع هذه الدار فحسب، بل وسع من شبكة اتصالاته لكي ينمي لفائدة تطوير المعجم العربي، الزاد العربي من أنواع المصطلحات التي يقع خزنها واستخدامها في حينها. وقد طلبت منه وكالات عدة متخصصة بخزن الكلمات: وكالة روما، اتحاد الجامعات الفرنسية، بنك الكلمات في كندا، مركز توثيق جامعة الموصل. وبالطبع، فإن الجامعات العربية مدعوة إلى المساهمة في هذا المشروع الخاص «باستحداث بنك معلومات للتعريب والمصطلحات العلمية في مقر الأمانة العامة لاتحاد (الجامعات العربية) يتصل بالمراكز أو الجهات العاملة في مجال التعريب والمصطلحات العلمية»[٢١٨]... وكل الاستعدادات متضافرة على السير بخطة تنسيق التعريب قُدُماً بحيث تقدم إلى مؤتمر التعريب الرابع (١٩٨٠) مصطلحات التقنيات ومقدار هام من مصطلحات

---

(٢١٦) مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، المصدر نفسه، ص ٢٤٨.

(٢١٧) المصدر نفسه، ص ٢٥٠.

(٢١٨) محمد مجيد السعيد، «دور مؤسسات التعليم العالي في توحيد المصطلح وإشاعته،» **اللسان العربي**، العدد ٢٩ (١٩٨٧)، ص ١٥٧.

التعليم العالي، وتستكمل الأعمال في المؤتمر، في العام (١٩٨٣). وتتوّج كل هذه الجهود عند ابراز المعجم العلمي والتقني العام إلى الوجود وكان يتوقع ذلك الانجاز سنة ١٩٨٦، إذ تتبلور مصطلحات هذا المعجم في كشف يندرج في رابط مقره المكتب ويوصل بالرابط الدولي الموجود في روما. وتتم العملية طبعاً بإشراف المنظمة التي تكون بهذه الصورة قد غطّت ما يبتكر من مصطلحات أوروبية وأمريكية، ورفعت من قدرة اللغة العربية على استيعاب المادة العلمية ولغتها التي تؤدى بها، وجعلت منها أداة يمكن أن تواجه اللغات الدولية وأن تكون على الأقل في خط موازٍ لها على الصعيد الدولي. «وهكذا سيتم بإشراف المنظمة خزن المصطلحات الموحّدة، ووضع شارة خاصة على غير الموحّد، مما تم تجميعه وتوزيعه في الوطن العربي، في شكل مشاريع معجمية تناهز الآن المائة بثلاث لغات»[٢١٩].

٦ ـ المعاجم العلمية

لقد رسخت القناعة بأن العربية، كما قال العلايلي، لا يمكنها أن تقتصر على الميدان الأدبي، وان اشعاعها لا بد أن يتّسع إلى حقل التقانة الذي لا حدود له، كما أوضح ذلك في معجمه المرجع الذي رتّبه معتمداً قاعدة الاشتقاق. وقد ضمنه المصطلحات العلمية، بالرغم أنه كان مخصصاً للغة فقط، اعتقاداً منه أن أصحاب المعاجم ليس لهم من حل يخرجهم من دائرة المعاجم التقليدية إلّا بالاستجابة لحتميات أكيدة تتمثّل في تجسيد الحضارة العلمية المعاصرة في اللغة العربية. فقد تعددت طبعات المؤلفات الموسوعية المخصصة لنشر العلم بين مختلف أصناف القرّاء. وكان لزاماً على مؤلفيها تعميم المعرفة العلمية ومبادىء التقنية باللغة العربية، على الأقل مجاراة للانتاج العلمي الغربي الذي طغى على سوق الكتاب، فاتجه إلى الأطفال في الرياض والطلاب والعلميين في المستوى الجامعي التخصصي. فمن التعميم مثلاً أن نكون على علم بالاسم الدقيق لمختلف العلوم مع تحديد دقيق واضح (مدعم بمثال إن أمكن) لموضوع كل علم، فيكون ذلك العمل متجسّماً في وضع «معجم أسماء العلوم والفنون والمذاهب والنظم»[٢٢٠]. فقد وجدنا مثل ذلك المعجم في مجلة المكتب، لكن دون أن يتضمن تحديدات العلوم والفنون المذكورة في ترتيب على الألفباء اللاتيني (٦٢٦ لفظة). أجل إن المكتب بذل نشاطاً واسعاً في حقول انتاج المعاجم المتنوعة موادها[٢٢١]، لكن بعد عملية التعميم هذه، جاءت مرحلة الانتقاء والتفنن والتركيز على عدد محدود من المعاجم التي يشرع فيها بعد اعداد مادتها اعداداً اضافياً بحيث يكون استكمالها هو العامل الأهم في النظرة المعجمية الجديدة، التي توخّاها المكتب عندما عهدت إليه المنظمة باستغلال أحدث الأجهزة

---

(٢١٩) **اللسان العربي**، السنة ١٢ (١٩٧٥)، ص ٢٨٩.

(٢٢٠) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠٧.

(٢٢١) علي القاسمي: «ببليوغرافية المعاجم المتخصصة،» **اللسان العربي**، العدد ٢٠ [د. ت.]، ص ١٣٥ ـ ١٧٤، والعدد ٢١ [د. ت.]، ص ١٥٧ ـ ٢٠٥، و«إنها معاجم تساهم في الترجمة ونقل التكنولوجيا،» **اللسان العربي**، العدد ٢٥ [د. ت.]، ص ٤٥ ـ ٥٤.

التي تتيح خزن المصطلحات واستخراجها عند الحاجة. وبهذا ندرك أن العمل الكمي قد يتناقض شيئاً فشيئاً لفائدة العمل الكيفي الذي يمكّن من تحسين المعاجم باستمرار، واخراجها بعد التفكير في صلاحياتها كأداة عمل لدى الخبراء والعلميين، قبل أن تكون مادة علمية استقصت ما جدّ من مصطلحات، والإكثار من المساعدات العربية المتنوعة ييسر النهج المعجمي النوعي؛ فقد تعهّدت سوريا مثلاً بطبع ثلاثة معاجم كان وافق عليها مؤتمر ١٩٧٣، كما قبل مجمع بغداد بطبع معاجم الفيزياء والحيوان والرياضيات (بحساب ١٠,٠٠٠ نسخة لكل معجم). كما أن التفكير في بعث «نادي المعاجم»[٢٢٢] يفيد في بعث جو من الاهتمام والنقاش حول ما يترقّب من فوائد في نشر المصطلحات العلمية من طريق توزيع المعاجم، ويتيح أيضاً الاتجاه إلى دعم الانتاج المعجمي بعد التعرّف عن كثب على نشاط المؤسسة صانعة المعاجم، ومعايشة منجزاتها في نظرة شاملة للخدمات التي قدمتها فعلاً لتطوير اللغة العربية[٢٢٣]. ومن فوائد هذا الإبلاغ المعجمي أن اتسعت فكرة نادي المعاجم العلمية وبلغت لندن حيث وجدت أصداء ومساعدة على ترويج الانتاج المعجمي العلمي لفائدة المهاجرين العلميين[٢٢٤]. أما على الصعيد القطري، فنجد مثلاً المجلس الأعلى للعلوم في سوريا يقرر تخصيص أجزاء موسوعته إلى مواضيع جديرة بالأهمية تبرز من خلالها الأبحاث والدراسات العلمية الطريفة التي قام بها العلميون في البلاد وخارجها[٢٢٥]. ولنشر أيضاً إلى ما تقوم به الدوريات العلمية من جهد في نشر اللغة العلمية الفصحى، مثلاً مجلة **العلوم** التي تصدر في بيروت منذ آذار/ مارس ١٩٥٦، وكذلك مجلة **العلم والتعليم** في تونس (منذ ١٩٧٢)، وديدنها اكتشاف ما في القرآن من عناصر للعلوم الحديثة. عملت تلك الدوريات على اشاعة المعرفة العلمية، ولا شك أن مثل هذا التيار يبعث على خلق الروح والذهنية العلمية، وكذلك طريقة للتفكير الموضوعي باللغة العربية، لا يتم بدونه الخلق العلمي. ثم إن مثل هذا الاتجاه يعمل على ترويج المخترعات والتعريف بها في المدارس والكليات، خاصة وأن هذه المؤسسات قليلة الانتاج في مجال البحوث العلمية. أما على الصعيد المعجمي، فإن انتاج المصادر المعجمية العلمية تكاثر في بيروت. فمثلاً طالعنا في ١٩٧١، معجماً انكليزياً ـ عربياً للمصطلحات العلمية والتقنية والرياضية، من تأليف أحمد شفيق الخطيب، وقد استجاب للتيارات العلمية التعريبية السائدة في الأقطار العربية، كما استهدف سد بعض الحاجة لمثل هذه التآليف. وقد أضاف إلى مادة المعجم (٦٠,٠٠٠ كلمة و١٥٠٠ صورة) مولدات عديدة، وجداول العناصر الكيميائية والرياضية. وقد اعتبر مرجعاً علمياً موحداً في مستوى التعليم الثانوي. لكن لا يمكنه تعويض المعاجم المتخصصة التي يحتاجها الباحثون. وكان على المؤلف أن يضع الألفاظ باللغات الثلاث المعمول بها، نعني العربية والفرنسية

---

(٢٢٢) «مصطلحات الفقه والقانون،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ص ١٥٥ ـ ١٦٩.

(٢٢٣) المصدر نفسه، ص ٣٦٨.

(٢٢٤) وثيقة المجلس الأعلى، ص ٦.

(٢٢٥) ممدوح حقي، «معجم المصطلحات العلمية،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٤٣٨.

والانكليزية[٢٢٦]. ولتلبية الحاجة إلى مثل هذه المراجع العلمية، فلا مندوحة من تخطيط انتاجها، تلافياً لما عسى أن يحدث من انتاج معجمي متكرر، وأن تصنف المادة العلمية على الطريقة المعجمية القديمة التي تواتر فيها التدوين، لاحق عن سابق، فيكون التكرار والإعادة حيث أردنا الابتكار والتجديد، خاصة وأن نمو المادة العلمية لا يتوقف. وخشية الفوضى الاصطلاحية وتأثير ذلك في عملية التعريب ما زالت قائمة حيث تنعكس هذه الفوضى في تباين المصطلحات على المؤلفين والمترجمين الذين يحتارون في اختيار أصلحها لكتاباتهم، مما يضطرهم إلى اضافة مسارد لما يستعملونه منها أو من غيرها[٢٢٧]. فيمكن مثلاً توزيع الانتاج المعجمي العلمي على فترات، كأن تنشر مثل هذه المؤلفات كل أربع سنوات، تمكيناً للمؤلفين من استكمال المادة العلمية وتقريبها من الوقت المقرر لصدور المعجم، فيكون الانتقاء وسلامة المصطلحات لغوياً معياراً صالحاً صائباً يجعل نشر المعجم في مادة الاختصاص قد جاء في حينه. وبذلك يكون على المعجم ادراج ما جدّ من اكتشافات واختراعات حديثة العهد، ينبغي على الدارسين معرفتها، خاصة في التعليم الثانوي والعالي. ولربما يتيسر هذا الاستمرار المعجمي لو فرقنا بين اللغتين بحيث يكون المعجم الأول «انكليزي - عربي» وصنوه «فرنسي - عربي». ولا يمكن اعتمادها طبعاً في الدراسة بشرط أن يحددا المفاهيم تحديداً مدققاً لا تساهل فيه ولا سطحية نسميها خطأ التبسيط العلمي[٢٢٨]. ويمكن لمثل هذه المعاجم أن تكتسي الصبغة العلمية العامة، وتصدر بالعربية ولغة أخرى، أو أن تختص بعلم معين فتتضمن ما نشرته الدوريات من مصطلحات ناتجة بدورها من أبحاث علمية قيّمة مشهود بسلامتها اللغوية. ذلك أن مؤلف المعجم العلمي العام يخاطر بهيبته العلمية إن هو جازف بتصنيف مثل هذا المعجم الذي يكون له حتماً طابع موسوعي شامل أكثر مما يصطبغ بالطابع العلمي الدقيق، لأن المؤلف الواحد لا يسعه وضع مصطلحات العلوم المختلفة بجميع تفرعاتها. ولذلك تكون ألفاظ هذه المعاجم متصفة بنقائص عدة في مادتها العلمية واللغوية. لكن برز البعض منها، كمعجم أمين المعلوف (انكليزي - عربي) الذي تميّز بسلامة ما ترجم من أصناف حيوانية من العربية إلى الانكليزية[٢٢٩].

وينبغي كذلك الحديث عن منجزات المجامع في حقل المصطلحات العلمية، التي تم بفضلها تأليف المعاجم العلمية. فقد كان مجمل ما نشر في القاهرة سنة ١٩٥٧، ١١٣٣١ لفظة في الطب، وعلم الحياة ٣٧٠٠، و٢٣٥٠ في القانون، و١٧٠٠ في الرياضيات، و١٥٥٥ في علوم الطبيعة. ومقارنة بما نظر فيه المركز المغربي للتعريب في ندوة عقدت من ٢٧ إلى ٣٠

---

(٢٢٦) مصطفى الشهابي، «بعض المؤلفات الحديثة في المصطلحات العلمية،» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**، السنة ٣٧ (نيسان/ ابريل ١٩٦٤)، ج ٢، ص ١٧٩، والشهابي، **المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث**، ص ١٣١.

(٢٢٧) صادق الهلالي، «تباين مصطلحات المعاجم العلمية وأثره على التعريب،» **اللسان العربي**، العدد ٣٠ (١٩٨٨)، ص ٢٢٠.

(٢٢٨) المصدر نفسه، ص ٤٧ و٤٩.

(٢٢٩) الشهابي، «بعض المؤلفات الحديثة في المصطلحات العلمية،» ص ١٧٩.

كانون الثاني/ يناير ١٩٦٤، نجد ٢٢٧٠ لفظة في الكيمياء، ٢١٥٠ في الرياضيات، ٣٥٠٠ في الفيزياء، أي ٧٩٢٠ لفظة في الجملة شكلت المادة العلمية المخصصة لإعداد ثلاثة معاجم في تلك المواد العلمية.

أما المكتب فقد أعدّ تلك المعاجم في الفترة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥، لأن المركز كان تابعاً له، في حين أن خطته التعريبية لفترة ١٩٦٦ ـ ١٩٧٠ شملت إعداد تسعة معاجم أخرى. أما للفترة التالية ١٩٧١ ـ ١٩٧٣، فقد راجع المعاجم الستة التي عرضت على مؤتمر ١٩٧٣[٢٣٠]. وفي الجملة، وكما ذكرنا آنفاً، بلغ مجمل ما أعدّه المكتب من مشاريع معجمية في الحقل الثقافي والحضاري والعلمي والتقني، ما يناهز المئة معجم[٢٣١]، منها الذي كانت مادته في الاجتماع والقانون والاقتصاد، وغير ذلك. كما تسلّم مشاريع معجمية من حلب، معجم الأذن والحنجرة والجهاز الحلقي (١٩٧٢/٣/٢٠)، ومن مراسله في موسكو، معجم الطب بالروسية (١٩٧٢/٣/٢٠)، وأيضاً بالانكليزية والعربية طبعاً، ومعجم الطرق (١٩٧٢/٨/٧). ووجه له مجلس العلوم في سوريا معجم طبقات الأرض والنفط (١٩٧٢/٨/٢). وورد من القاهرة (١٩٧٢/٨/٥) تأليف في العلوم الاجتماعية وألفاظ الفلسفة. ومن الرياض، معجم النبات (١٩٧٢/٩/٩). ومن الأردن تأليف عن تقاليد وعادات هذا القطر ولهجاته. وكما نلاحظ، فإحصاء مثل هذا العدد، في فترة سنة واحدة ومن أقطار مختلفة، دليل على أن الحركة المعجمية العربية نشيطة وتشمل العلوم بكامل أقسامها. وطبعاً، لا يمكن طبعها حتى على صفحات المجلة، لقلة الاعتمادات المخصصة للمكتب، في حين أن نشرها عامل على مراجعتها ونقدها، وتغذية اللغة العلمية العربية بألفاظها وذلك إنما يكون عاملاً لا على تطوير اللغة العلمية فقط، بل أيضاً على تيسير مطالب التعريب في الوطن العربي.

أما المعاجم الحضارية، فالمقصود منها إكساب القارىء الألفاظ الفصيحة المبسطة الخاصة بالحياة الاجتماعية، وهي تشمل قسماً من معجم المعاني. ولقد حلّلنا بإطناب ما تم في خصوص وضع المعاجم العلمية الستة المعروضة على موافقة مؤتمر ١٩٧٣. ومع ذلك فلم تقتصر الجهود على مرحلة التعليم العام، بل بدأت بالتعليم الابتدائي، وبلغت مراحل التعليم العالي. ففي المرحلة الابتدائية، وضع معجم الحساب ومعجم مبادىء العلوم، وقصد به الإعداد العلمي الأولي بالعربية، المقدم كمعرفة أساسية بلغة عربية علمية متيسرة في هذا المستوى. وبدأت العناية بالتعليم الجامعي منذ انعقاد مؤتمر ١٩٧٧ حيث عرضت على الموافقة معاجم عدة: في الرياضيات، والاحصاء، والفلك[٢٣٢]. وقد خص التعليم (الثانوي) العام

---

(٢٣٠) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ٣ (عدد خاص بمؤتمر التعريب الثالث).

(٢٣١) انظر: «الملف الثالث: انجازات المكتب في موضوعات قارة. . .،» **اللسان العربي**، العدد ٣٤ (١٩٩٠)، ص ٢٣٨ ـ ٢٤٥، و«جداول المعاجم الموحدة،» **اللسان العربي**، العدد ٣٤ (١٩٩٠)، ص ٢٤٦ ـ ٢٥٦.

(٢٣٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩١.

بمعجم في الرياضيات، وآخر في الفلك الذي انضم معجمه إلى مادة الجغرافية[٢٣٣]. وكعادته أضاف المكتب ملاحق تتمم ما كان من نقص اصطلاحي في هذه المواد، مصححاً الأخطاء ومضيفاً ما رآه صالحاً من ألفاظ. وقد تمثّل عمله هذه المرة في «جمع هذه المعاجم من قوائم المصطلحات التي تلقاها من الأقطار العربية بعد أن استخرجها أساتذة مختصون في تلك الأقطار من واقع الكتاب المدرسي المعوّل عليه في التدريس فعلاً، وبعد جمع ما تلقاه عن طريق المنظمة من تلك القوائم، ثم طبعها كما هي دون أن يتاح للمكتب إبداء الرأي فيها بسبب ضيق الوقت»[٢٣٤]. والحقيقة أن الجهود في حقل تعريب العلوم الرياضية كانت أيضاً فردية سابقة لهذا المؤتمر. فقد أشرف المجمع الأردني على إعداد معجم للرياضيات[٢٣٥]، بلغ نهاية التعليم العالي في مرحلته الأولى. فقد عولجت مصطلحاته الانكليزية (قرابة ٥٠٠٠)، فوقع تحديدها وذكر مقابلاتها العربية وما تفرع عن تلك المصطلحات أضيف أيضاً بمقابلاته العربية[٢٣٦]. أما بخصوص علم الفلك، فقد أعد أيضاً معجم (انكليزي - فرنسي - عربي مثل المعاجم السابقة)، وعرفت بعض الألفاظ تعريفاً مقتضباً أو ضافياً حسب أهميتها، كما وقع شكل البعض الآخر (وشمل ٥٠٢ مصطلح)[٢٣٧]. والملاحظ أن عدداً من الأعلام المكتشفين لكواكب عدة هم من الأعاجم، فيحسن كتابة أسمائهم بالأحرف اللاتينية إلى جانب كتابتها بالعربية.

وكما أن المعاجم الحضارية الصغرى أو الفرعية ستقود حتماً إلى وضع المعجم العام (أو معجم المعاني)، كذلك فإن تجمع المجامع العلمية والتقنية سيؤدي دون شك إلى وضع المعجم العلمي والتقني العام. وهو المشروع الذي بدأ التمهيد له منذ ١٩٦٦ وحتى ١٩٦٩، فدعي الخبراء في الأقطار العربية إلى المساهمة في هذه المهمة بأن يجمعوا الألفاظ التي تشكل مادة اختصاصهم، سواء كانت قديمة أو حديثة، وأن يصححوا ما شاع منها. ولهذا الغرض وجهت الجامعة مراسلات إلى وزراء الخارجية (مذكرة في ١٩٦٧/٢/١٧) ترغب فيها بالدعم الأدبي والمادي لإنجاز ذلك المشروع الذي تقرر أن يكون حجمه في حجم القاموس[٢٣٨]. وقد دعت شعبة المغرب إلى عقد ندوة في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٨ للنظر في خطة العمل،

---

(٢٣٣) المصدر نفسه، ص ٢٢.

(٢٣٤) **اللسان العربي**: السنة ١٤ (١٩٧٦)، ج ٢، ص ٢٤٧ - ٢٥٧، والسنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ٢، ص ٢٧٥ - ٣٠٨.

(٢٣٥) انظر: أحمد سليم سعيدان، **الرياضيات عند العرب**، الموسم الثقافي الثالث لمجمع اللغة العربية الأردني (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٥)، ص ٧٣ - ١٠٥، انظر أيضاً: رشدي راشد، **تاريخ الرياضيات العربية بين الجبر والحساب**، سلسلة تاريخ العلوم عند العرب؛ ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩).

(٢٣٦) المكتب، رسالة الجامعة في ١٩٦٦/١٢/٢١.

(٢٣٧) عبد السلام العجيلي، «مستقبل العربية كلغة عالمية رهن بمستقبل العرب،» **اللسان العربي**، السنة ٥ (١٩٦٧)، ص ١٣٩؛ طه الولي، «ترجمة القرآن إلى لغات شرقية وغربية،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، و«مصادر المعجم العلمي العام،» ص ٤٨٢.

(٢٣٨) **المجلس الأعلى السوري** (دمشق: المجلس، ١٩٦٣)، ص ٢٦.

بمشاركة المختصين الموجهين من طرف المجامع والاتحاد العلمي العربي. وقد وافقت منظمة اليونسكو على تقديم مساعدة مالية لتنظيم مثل هذه الندوة. فشرع المكتب المكلف بالتنفيذ، في تسجيل قوائم الألفاظ على الجذاذات[٢٣٩]. وعرضت جامعة دمشق أن تشارك في هذا المشروع، ومساهمة من المجلس الأعلى للعلوم في سوريا فقد تقرر العمل على تنسيق اللغة العلمية في القطر السوري، تخلصاً من الفوضى المتزايدة في المادة الاصطلاحية[٢٤٠].

وما واجه به المكتب من جهته مؤتمر ١٩٧٣، تمثل في تنويع إنتاجه المعجمي الذي شمل الميدان الزراعي في العلوم الغابية والخرائطية وعلم النبات والأزهار والطحانة والسكر والشمندر، والحشرات، والأسماك... وشمل أيضاً القطاع المهني في الأجهزة والأدوات، والسيارة، والطيران، والملاحة... كما انتفع قطاع الاعلام بالمشاريع المعجمية في الاعلام والفنون الجميلة والاذاعة والتلفزة...»[٢٤١]. ومن المعلوم أنه لا يمكنه التعريب بل التنسيق، كما عرفنا ذلك من تحليل اختصاصاته، لكن لا يعني هذا التدقيق أن نشاطه اللغوي مغلق، بل إن خطته التي بدأت سنة ١٩٧٢ تضمنت العمل على اضافة اللغة الالمانية والروسية إلى معاجمه[٢٤٢]. ولا شك أن الأبعاد التي كست المعجم العلمي العام استوجبت مثل هذه المنهجية المتعددة اللغات. وإلّا فكيف نقنع بجرد اللغة العلمية وتدوينها على الجذاذات؟ طبعاً تقتصر مرحلة البداية على ما ورد في القوائم والمعاجم الأجنبية[٢٤٣]. لكن حتميات الخطة العشرية بدأت منذ ١٩٦٦، وكانت الأولى من نوعها في حقل التعريب. وكما هو معلوم، فقد تبعتها خطة العشرية الثانية وأقصاها سنة ١٩٨٦. وعلى هذا الأساس فإن التخطيط العلمي يرمي إلى تغطية التطوير اللغوي في الوطن العربي، بإنتاج المعجم العلمي ومعجم المعاني الذي نشر منه بعض كراسات، والمعجم «العصري» الذي لا يمكن وضعه إلّا بعد توحيد الألفاظ، وسلسلة من المعاجم المختصة تتوج بالذات بالمعجم العلمي العام الذي ذكرناه مراراً لقيمته على الصعيد العربي. وسيكون بمثابة حصيلة لأشغال التنسيق للكلمات العلمية والتقنية وسيتقرر بإنجازه مصير المعجم العصري العام. هذه نظرة على التدرج الذي وقع توخيه لإنجاز المشاريع المعجمية المتنوعة. ويساعد على الوصول إلى هذه الغاية ما يقرب من ٢٠٠٠ من المراسلين العلميين والشعب، وكل الأفراد الذين ألفوا أو ساهموا في إعداد قوائم ألفاظ أو مشاريع معاجم. وأمكن بذلك تحرير قرابة ٢٠,٠٠٠ جذاذة سجلت بها الألفاظ القديمة، يضاف إليها ما يجدّ من مبتكرات اصطلاحية يومية.

لقد ناقشت الندوة السابقة الذكر محتوى هذا المعجم العام، معتمدة في ذلك على

---

(٢٣٩) المكتب، تقرير عن الأعمال.

(٢٤٠) حقي، «معجم المصطلحات العلمية،» ص ٤٣٩.

(٢٤١) «مصادر المعجم العلمي العام،» ص ٤٨٣.

(٢٤٢) «معجم أسماء العلوم والفنون والمذاهب والنظم،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (١٩٦٩)، ص ٣٣٠ ـ ٣٥٤.

(٢٤٣) المكتب، نشرة اخبارية، العدد ٤ (آذار/ مارس ١٩٧٩)، ص ١١.

التثليث اللغوي المعمول به في الانتاج المعجمي: انكليزي - فرنسي - عربي، فرنسي - انكليزي - عربي، عربي - انكليزي - فرنسي. وقد تقرر إدخال الصور والشكل في الطبعة الثانية، في حين تيسر الطبعة الأولى إلى أقصى حد. وكالعادة تكون حصيلة ما يجمع من مصطلحات المادة اللغوية العلمية المنسقة الصالحة لإعداد هذه المعاجم. وعلى الخبراء إصلاح ذلك ومراجعة مقابلاته العربية حتى يمكن ترتيب المادة المعدّة على الألفباء اللاتيني، وتدوينها على جذاذات مزدوجة (انكليزي - عربي، وفرنسي - عربي)، ثم توضع في أعمدة وتطبع على أوراق منفصلة. وبذلك يمكننا معرفة ما عرّب في الوطن العربي من ألفاظ. ومزيداً في التحري والتدقيق، تحال على المختصين لإبداء الرأي وإتاحة الفرصة لظهور معايير انتقائية جديدة. وتكون تلك الملحوظات بمثابة معطيات متممة للمعجم العلمي، تثبت ما تبقى من ألفاظ ينبغي إيجاد مقابلات عربية لها. وبهذه الصورة نكون قد اجتهدنا في تحسين الطرق المنهجية ومتابعة استنطاق السبل الأقوم لإنجاح تعريب المصطلحات العلمية. فمثلاً نتساءل في علم الحياة هل ينبغي وضع اللفظة بالعربية أم تعزيب الكلمة الأعجمية على ما هي عليه من عجمة النطق والدلالة؟ أو يقع إحياء القديم الأصيل؟ من ذلك أن قاموس لاروس Larousse ذكر Tar (طارة)، وردها إلى أصلها طرحة Dame Jeanne الذي انتقل إلى العربية في شكل دَمْجَنة، في حين أن الفصحى تستخدم دَبّة، وهي كلمة شائعة في أقطار الخليج[٢٤٤].

والدافع إلى كل هذه التدقيقات هو النفاذ إلى منهجية قويمة قابلة للتطور بحسب ما يوضع من معاجم مزدوجة اللغة تشمل أسماء العلوم التي ذكرنا، ومادتها أيضاً من أدوات وأجهزة خاصة بالحيوان والنبات (٢٣٤ لفظة)، والعلوم (١١١)، والمهن (٣٩٠)[٢٤٥].

٧ - المعاجم التقنية والمهنية

إن تشعب التقنيات وتكاثرها جعل واضع الألفاظ المختص أو اللغوي يتسابق مع الانتاج العالمي في هذا الميدان حتى يتمكن من تسجيل ما يروج في دنيا الصناعات الحديثة من تعابير وألفاظ متخصصة إلى حد بعيد، يعسر أحياناً وضع المقابلات العربية لها. وبذلك لا يمكن مؤسساتنا اللغوية المعجمية أن تستجيب لكل ذلك الزاد الوفير الذي لا ينقطع إن لم تتضافر جهودها في هذا المضمار. ومن حسن الحظ أن الأعمال الفردية في الميدان التقني غير قليلة، وعادة ما يقوم بها مهندسون متخصصون وعلماء قادرون على ابتكار المقابلات العربية لقوائم المفردات التقنية، تسد إلى حد ما النقص الموجود في الانتاج المعجمي الرسمي.

ومن الجهود التي ينبغي الإشارة إليها ما قامت به جامعة الموصل من استعداد لخزن المصطلحات التقنية العربية في ذاكرة الحاسب الالكتروني الموجود لديها، وذلك بالاتفاق مع

---

(٢٤٤) عبد العزيز بنعبد الله، «مصطلحات الحِرَف والمِهَن،» اللسان العربي، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ج ٢، ص ١٩٣ - ٢٤٦.

(٢٤٥) انظر: المصدر نفسه.

المكتب الذي تجمعت لديه منذ تأسيسه حصيلة لا يستهان بها[٢٤٦]. والحديث عن التقنية يقود إلى التفكير في وضع معجم الحِرَف والمهن[٢٤٧]، وهو «خاص برجال الحِرَف والمهن حيث نقتصر غالباً على أسماء المحترفين وأرباب المهن أو الخبراء، لسهولة أسماء المهنة أو الحرفة الآتية على وزن فعالة أو فعالية»[٢٤٨]. وقد تضمن تمييزاً بين الحرف والفنون والمهن. وبذلك تكون ألفاظه (١٣٤٠) قد شملت الحياة الصناعية والاقتصادية عامة، مع العناية بالأسماء الدقيقة لكل عمل[٢٤٩]. ويمكن أن يتضمن طبعاً أسماء العلماء وصناع المنتوج التقليدي. وقد استخدمت أيضاً صيغة فَعالة أو فِعالة أو إفْعَالِيَّة. مثلاً: أزيائي، اجتماعي، سواء كان عالماً في الاجتماع أو خبيراً في هذا العلم، اشتقاقاتي: خبير في الاشتقاق[٢٥٠]. وأحياناً تشتق صفة الصنعة من اسم الصانع: بهلنة، حرفة البهلوان. . . ويتصل بهذا المعجم ما عرف بمعجم الملكية الصناعية في أربع لغات (انكليزي ـ فرنسي ـ اسباني ـ عربي) الذي أعدته المنظمة العالمية للملكية الفكرية (جنيف، ٤ ـ ١٩٧٨/٢/١٧) في موضوع التشريع الصناعي وممارسة المهن. وقد كلف الخبراء العرب بوضع المقابلات العربية، وذلك باعتماد مناهج المجامع، فتم «العمل على تحديد معنى كل مرادف بالضبط حسب سياق النص الوارد فيه، مع مراعاة أساليب أخرى كاستعمال المضارع بدلاً من الماضي»[٢٥١]. ثم يكون التنسيق بين الأقطار العربية في هذا المجال، واعتبار مرادف عربي لكل مصطلح أجنبي ومطابقته للمفهوم بفضل ما يكتسبه من شمولية ووضوح. وبذلك اتجه العمل الاصطلاحي إلى تعديل القائمة الأولى وتوسيعها لأنها خصصت في الأصل للبراءات والعلامات، فأضيف لها الملكية الصناعية ونقل التقانة وعقود الترخيص. وجمع المعجم في دفعته الأولى (٣٢٦ لفظة)، وصار قابلاً للنشر والموافقة العربية. وانطلاقاً من مبدأ مراجعة المعاجم العلمية، بالإضافة لها أو تعديلها بالنظر إلى ما يجدّ في الميدان العلمي من مفاهيم جديدة، طرأت تحسينات من ناحية شكل الكلمات على «معجم الحرف والمهن» (٧٥٦ كلمة)[٢٥٢]. وقد أعد المركز المغربي للتعريب معجم الأشغال العامة الذي وجه إلى المؤسسات المعنية. وقد علقت شعبة الأردن على مصطلحاته (عربي ـ انكليزي)، مقترحة ألفاظاً وعبارات أخرى بالنسبة إلى العربية هي شائعة في هذا القطر[٢٥٣]. ويتفرّع عن هذا التأليف القاموس

---

(٢٤٦) «الحرفيون من العلماء،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (١٩٧٣)، ج ٣، ص ٣١٣.

(٢٤٧) عائشة عبد الرحمن، «مقترحات حول: التصميم العشاري لموسوعة المغرب العربي،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٢٨١ ـ ٢٩١.

(٢٤٨) **اللسان العربي** (١٩٧٨)، ج ٢، ص ٦٧.

(٢٤٩) عبد العزيز بنعبد الله، «معجم الحرف والمهن،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (١٩٧٣)، ج ٣، ص ١٦ ـ ٢٤٦.

(٢٥٠) المصدر نفسه، ص ٢١٧.

(٢٥١) المنظمة العالمية للملكية الفردية (ويبو)، «مصطلحات الملكية الصناعية: انكليزي ـ فرنسي ـ اسباني ـ عربي،» **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ٢، ص ٦٧.

(٢٥٢) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ٢، ص ٧٦.

(٢٥٣) «معجم الأشغال العمومية،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ٢، ص ٣٦٨ ـ ٣٧٣.

التقني للطرق (فرنسي - عربي - انكليزي) الذي وضعه مهندس ونشره المكتب[٢٥٤]. ووزعت فصول منه على المؤسسات المختصة التي يمكنها الإسهام في مراجعته. كانت قناعة المؤلف أن الطرق بالنسبة إلى المدن هي بمثابة الشرايين في الجسم مثلها مثل سكك النقل التي أعدّت لها مصطلحات وترجمت إلى الفرنسية والانكليزية[٢٥٥]. فقد لاحظ فقدان اللغة الخاصة بهذا الميدان، ولم يعثر إلّا على بعض الألفاظ في الكتب القديمة. فعمل على إعداد نواة اصطلاحية قابلة للتنمية. ويتضمن قاموسه قرابة ٥٠٠ مصطلح مرتبة على الحرف الأول مرفوقة برسوم تقنية. لكن اتضح أن المترادفات كثيرة فقد ذكر ٣٨ مرادفاً لكلمة طريق، اضافة إلى ما يرادف هذه الكلمة في اللغة الفارسية (الباري. . .). ولم يضف هذا القاموس الكلمات الحديثة الدالة على التقنيات الحديثة، في حين أنه شرع في انشاء الطرقات بداية من أوائل القرن التاسع عشر، بفضل وجود الآلات البخارية والنفطية. وترتب على ذلك وضع لغة خاصة منسقة بإشراف الجمعية الدولية الدائمة لمؤتمرات الطرق. وكان أن نشر هذا القاموس سنة ١٩٥١ في ست لغات (١٢٠٠ لفظة). وقد وزعت الأمانة العامة للجامعة (مذكرة في ١٩٥٧/٢/٧) هذا التأليف وكلفت المهندس أنيس شباط (صاحب قاموس تقني للطرق المذكور أعلاه) بوضع قائمة الألفاظ الانكليزية والفرنسية ومثيلاتها في العربية، كما وضعها مجمع القاهرة، مع تخصيص خانة لكل لفظ شائع في كل قطر عربي. وبذلك كانت قائمة مقارنة تضمنت ما شاع من ألفاظ تقنية خاصة بالطريق، في مصر وسوريا ولبنان والعراق والأردن، ومقابلاتها الانكليزية والفرنسية. وقد نظر المؤتمر العربي للمواصلات سنة ١٩٦١ في هذه اللغة، وقبل منها ٢٥٠ لفظة (من ١٢٠٠). وتقرر في ١٩٦٦ توزيع معجم الطرقات المذكور، وعاد إلى مراجعته المؤتمر الثاني عشر للمواصلات. وتطور العمل المعجمي الخاص بلغة الطرقات على الصعيد الدولي. فقد نشرت الجمعية الدولية المذكورة أعلاه بمساعدة منظمة اليونسكو، ثلاثة معاجم (فرنسي، انكليزي، اسباني)، وتخلت عن الألفاظ الخاصة بأجهزة الطرقات، وأضفت أهمية أكبر على قضايا المرور. فتضمنت هذه القائمة الجديدة ٥٥٣ لفظة نشر نصفها للمرة الأولى. وقد أعد أنيس شباط المعجم العربي، فاعتمد قوائم مجمع القاهرة، والمؤتمرات العربية للمواصلات. ثم عرّب ما يقرب من ٣٠٠ لفظة شائعة دولياً. واكتسى الجهد المبذول في هذه المادة الهندسية طابعاً عربياً أكثر شمولاً في السنوات الأخيرة. فقد وضعت إدارة النقل والمواصلات التابعة لأمانة الجامعة معجماً (انكليزي - فرنسي - عربي) في الطرق والنقل البري، وقدمته لمراجعة خبراء المكتب قبل تعميمه على الأقطار الأعضاء في الجامعة. كان المقصود من هذا التأليف تيسير وتوحيد التفاهم بين المختصين في ميدان الطرقات والنقل. وكان المنطلق قاموس الجمعية الدولية الذي أضاف إليه كل قطر عربي ما لديه من مصطلحات شائعة تقابل ألفاظ ذلك القاموس. «ثم صدر قرار من مجلس جامعة

---

(٢٥٤) أنيس شباط، «من رسالة الطرق إلى القاموس التقني للطرق،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ٢، ص ٦٣ - ٩٧.

(٢٥٥) **اللسان العربي**، العدد ٢٠ (١٩٨٣)، ص ٣٥٣ - ٣٥٧.

الدول العربية في دورته العادية الثالثة والخمسين، بتشكيل لجنة فنية من المندوبين عن الدول الأعضاء للاتفاق بصفة نهائية على القاموس المعرب للمصطلحات الفنية المستعملة في الطرق والنقل البري»[٢٥٦]. فكان معجماً بلغ طوره الأخير المتمثل في المراجعة والتدقيق الاصطلاحي قبل تعميمه[٢٥٧].

من مزايا معجم المعاني أنه اتسع ليشمل فروعاً عدة من النشاط التقني كالبناء وما يليه من قوائم ألفاظ قريبة منه. كان معجم البناء (عربي ـ فرنسي) يتضمن ألفاظاً مشروحة شرحاً طيباً في ميدان الهندسة المعمارية والتصميم الهندسي، والأسس، والخنادق، وأشغال البناء وموارده[٢٥٨]، وأدواته، وتجهيز البيوت، وزينتها. وقد أعيد نشره في المجلة (١٩٧٣)، وشُكِّلت كلماته وأضيفت المقابلات الانكليزية[٢٥٩]. ومن هندسة العمارة إلى الأشغال الكبرى، وتمثّل ذلك في حضور المهندسين من الاتحاد السوفياتي خلال تشييد سد أسوان، فكانت العنفات محل عناية معجمية[٢٦٠]. فورد على المكتب من مراسله في موسكو قائمة مقارنة رتبت ألفاظها (روسي ـ انكليزي ـ عربي) وأضيفت تعاريف لها، وأحيلت على نظر لجنة المهندسين بمجمع القاهرة، خلال وضع تلك العنفات في بناية السد لضخ المياه ونقلها[٢٦١].

وفي حقل المراسلات، أعد الاتحاد البريدي العربي قاموسه للألفاظ البريدية. فقد أوصى مؤتمره الأول الذي عقد في الرياض سنة ١٩٦٠ باستعمال الأرقام العربية. والمحتمل أن ذلك سيستخدم في مجال النشاط البريدي. فقد ضبطت لجنة معينة للغرض ما ينبغي إدخاله من تصحيحات على ما وضعه الاتحاد من ألفاظ وكذلك المقابلات بالفرنسية، وما يقترحه المكتب في هذا الصدد. اقترح خبراؤه تعديل بعض الكلمات: Retrait = استرداد (الاتحاد)، سحب (المكتب) وفي خصوص Émission، اقترح المكتب (اصدار)، لتواتر استعمال هذه الكلمة في الأقطار العربية. واقترح مقابل Modèle صيغة (الاتحاد: نموذج). وكانت المناسبة جيدة لتدقيق بعض المصطلحات القانونية. ذلك أن كلمة Article = مادة لا غير (ويستخدم

---

(٢٥٦) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ٢، ص ٧٦.

(٢٥٧) المصدر نفسه.

(٢٥٨) انظر: «مصطلحات الخرسانة،» **اللسان العربي**، العدد ٢٣ (١٩٨٤)، ص ٢٥٧ ـ ٣٠٣، والمعروف أنه معجم مبوب حسب المواضيع وقد عقب عليه أحد الخبراء: محمود فيصل الرفاعي، «ملاحظات عامة حول مصطلحات الخرسانة،» **اللسان العربي**، العدد ٢٧ (١٩٨٦)، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٨.

(٢٥٩) عبد العزيز بنعبد الله، «معجم البناء،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ٢، ص ٢١٠ ـ ٢٣٠، و«معجم البناء،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ص ١١٣ ـ ١٣٨.

(٢٦٠) انظر: محمود فيصل الرفاعي، «نهج جديد في التعريب لاصطلاحات العلوم الهندسية،» **اللسان العربي**، العدد ٢٢ (١٩٨٣)، ص ١٩٣ ـ ١٩٩.

(٢٦١) كيفورك ميناجيان، «مصطلحات العنفات،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ٢، ص ١٠٤.

أحيـاناً بنـد أو فصل) لكن لا نستعمـل فقرة أبـداً. ومن التصحيحات أن يقـع العـدول عن العبارة وتعوض بكلمة مفردة: Domicile = مـوطن (المكتب، في حين أن الاتحـاد أدرج عبارة بأربع كلمات). وعمل الخبراء مدعم بذكر مصادر المقترحات التي وقع انتقاء أحسن ما بها من ألفاظ، اعتماداً لقاعدة علمية معروفة تتمثل في اعتبار قرينـة التواتـر عند انتقـاء اللفظ المقابـل العـربي، وذلك ربـطاً بما لكـل كلمة من شيـوع لدى من يستعملهـا من العلميين والأسـاتذة ومؤلفي المعـاجم[٢٦٢]. ولا شك أن الاتحـاد البريـدي أدرك المنهج الـذي ينبغي أن يسير عليـه الوضع الاصطلاحي. فواصل المطالبة (رسالة في ١٠/٦/١٩٧٢) بالمقابلات العربية للكلمات الانكليزية الخاصة بإدارة البريد وما ينبغي اصلاحه واضـافته من مقـابلات فـرنسية رائجـة في أقطار المغرب، وذلك بموافقة الاتحاد البريدي العالمي. ومن الملاحظات المركزة، ما حـام حول لفظة Technique التي ترجمت في الماضي بـ «فني»، في حين أنـه شاع اليـوم لفظ معرّب مـولّد تقني[٢٦٣]. وما يتصل بهذا الميدان هو طبعاً الاتصالات السلكية واللاسلكية. فقد طلبت اذاعة الرياض قائمة بالألفاظ الموجودة في مجمـع القاهـرة استكمالاً للمعجم الـبريدي الـذي وضعه الاتحـاد الـبريـدي العـربي. فنشرت بـالمجلة ألفـاظ هـذه المادة (انكليـزي، عـربي، ١١٢ لفظة)[٢٦٤]. ويقوم ذلك النشاط بمختلف فروعه على الكهرباء، فأوجب وضع لغة خاصة بهذه المادة. وقد صدر في باريس سنة ١٩٧٣، قامـوس فرنسي ـ عـربي للمهندس والتقني، تضمن ما يقرب من ٤٠٠٠ كلمـة. ومن رأي مؤلفه أنـه يمكن أن تستوعب العـربية بـوسيلة النحت والاشتقاق الألفاظ الأجنبية[٢٦٥]. وقد وضعت في المغرب قائمة بألفـاظ الكهربـاء (٧٨) نقلت إلى العربية مشكولة، كما صدر في سوريا المعجم الكهربائي الالكـتروني (انكليزي ـ فـرنسي ـ روسي ـ عربي). وقد تصدى الخبراء لمراجعة وتصحيح بعض كلماته وتعليـل ذلك: مثـلاً راج بأنواع عـدة مصطلح كـان ينبغي تحديـده وتوحيـده Computer[٢٦٦]. وارتبط ذلك بمـا طرأ من تطورات على الجهاز نفسه، فاقترح نظّامة مقابل حاسبة، لما تميز به الجهاز من نظام عمل.

وكذلك كان يشتمل معجم المعاني على قسم خصص للكهرباء والميكانيكا والسيارة التي ينبغي التحصيـل على أسماء قطعهـا التقنية الـدقيقة المتشعبـة، فأعـدت قائمـة أولى (عـربي ـ فرنسي، ١٠٣ لفظات)[٢٦٧]. وساهم المهندسون في وضع هذا التأليف المعجمي المختص منـذ سنين، مثلاً مـا وضعه في هـذا الميدان بعضهم سنـة ١٩٤٧ في القاهـرة. وقـد تضمن هـذا

---

(٢٦٢) «تعقيب على المصطلحات البريدية،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (١٩٧٢)، ج ١، ص ٣٤٢.

(٢٦٣) «ملاحظات المكتب الدائم للتعريب على قاموس المصطلحات البريدية،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ٢، ص ٣٧٤ ـ ٣٩٨.

(٢٦٤) «مصطلحات سلكية ولاسلكية،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ٢، ص ٣٠٦ ـ ٣١٠.

(٢٦٥) «قاموس فرنسي ـ عربي للمفردات الكهربائية،» **الأصالة**، العددان ١٧ ـ ١٨، ص ٣١٢، والمصدر نفسه، ص ٣١١.

(٢٦٦) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ٢، ص ٣٢١.

(٢٦٧) *Diary of Mechanical Engineering.*

المعجم المخصص للهندسة الآلية ٥٥٠٠ لفظة مقابل ١٦٢ وضعها مجمع القاهرة في عشرين سنة. وبما أن النقص الاصطلاحي عطّل اشاعة هذه الألفاظ، فلم يزل التقنيون العرب يستخدمون ما حصلوا عليه من لغة خاصة بمهنتهم في الأقطار الأجنبية، ذلك أنهم لم يعثروا على لغة جاهزة إلاّ ما ندر وما نشر في الدوريات المجمعية. وقد لوحظ في هذا الباب أن مؤلفي المعاجم كانوا يدركون ما لمبادراتهم المعجمية من ضآلة، فتركوا لمن يخلفهم العناية بالقيام بما يجب انتقاؤه من أصلح مقترحاتهم الاصطلاحية وأقومها[٢٦٨]. وبذلك لحقت الفوضى أيضاً المصطلحات التقنية لفقدان اللغة الحية التامة الموحدة في هذا الباب، خاصة أنه لا يمكن السكوت عن أي غموض فيها، لأن ذلك الوضع يؤدي إلى حدوث اتفاقات اصطلاحية غريبة، لخضوعها لملكة التقنين في تأويلها وقلّة موارد الصرف في نقط معينة[٢٦٩]. ويمكن التعرّض لبعض ما ظهر من غريب في هذا المجال: حَقَن Inoculer، مِحْقَن Seringue، أيضاً مِحْقَن Injecteur وذلك عملاً بقاعدة وزن أسماء الآلة. ووضعت مقابل كلمة Ressort سبع ترجمات متنوعة[٢٧٠]. لكن هذا لم يمنع من ظهور معجم السيارة[٢٧١] مشكول الألفاظ (انكليزي - فرنسي - عربي، ٣٣٢ لفظة). ووسائل النقل العمومي المتمثلة خاصة في القطار وما يثيره من ذكريات لدى الركاب والعاملين به من رجال السكة الحديدية، حتم وجود معجم القطارة (فرنسي، انكليزي - عربي) وبه ١٨١٢ مصطلحاً، وقد جمع أحدث الألفاظ الخاصة بهذا الميدان ونقلها إلى العربية.

أما عن الطيران المدني وهو وسيلة أخرى للتنقل، فقد وضع معجمه من طرف المنظمة المتخصصة التي أحالته على المكتب للتصحيح والاستكمال. وقد عيّب عليه ما كان من أفعال في المضارع بدل الماضي. فكان على الخبراء أن يحولوها إلى أصولها بعد ردها إلى المعلوم، لأن صيغة المجهول عسيرة الادراك دون شكل. ويزيد عسرها عند التفكير بأنها أفعال من المفروض أن ترشدنا إلى معارف تقنية دقيقة. وحتى الملحوظات المطبعية كانت المآخذ بشأنها كثيرة، مثلاً كتابة الأصول بالانكليزية بحروف بارزة تفوق حجم حروف الكلمات المشتقة. فإذا كتبنا ب، ر، د، دون حركات، تكون دلالاته متعددة، وكذلك المِيل (قيس، أو المَيْل؟). فطالما أن الكلمات معزولة عن قرائن النص، فإنه تتعذر قراءتها وإدراكها إدراكاً صحيحاً. وبناء على ذلك فإن الصورة التي يطبع بها كل معجم من الأهمية بمكان ليستفاد منه كل الاستفادة. لكن بدون إفراط في التصحيح والتحسين: فمثلاً بالإكثار من حروف التاج الانكليزية، يميل القارىء لهذا المعجم الانكليزي - العربي إلى الظن بأن ما احتوى عليه من الأسماء هي من الأعلام. ومن حسن التدبيج فصل الكلمات العربية بواسطة النطق لا

---

(٢٦٨) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ٢، ص ٢٨٠ - ٣٣٢.

(٢٦٩) **اللسان العربي**، السنة ١٢ (١٩٧٥)، ج ٢، ص ١٧٩ - ٢٥٢.

(٢٧٠) «تعقيب على مشروع معجم الطيران المدني،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ٢، ص ٣٠٨ - ٣٩٢.

(٢٧١) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ٢، ص ٢٨٠ - ٣٣٢.

بعطات، وذلك عملاً بما جرت عليه العادة في القواميس. ثم إن ما ترك من فراغات بين الأسطر ضخم من حجم هذا المعجم في حين أنه كان موجهاً للاستعمال السريع في المطارات. أما عن ترتيب الكلمات، فيعسر فرز عدد منها بسبب ما جدّ من أخطاء مطبعية، أو الترتيب الألفبائي حيث وجبت الإشارة إلى الثلاثي من كل كلمة أولى وأخيرة، وشرح الرموز، وتجنب وضع المفردات في مواضع غير منتظرة، والخلط بين المعنى في اللغات الثلاث. إذ إنه معجم موضوع على الترتيب الانكليزي الذي وجب شرحه الأول متبوعاً بشرح متوافق في مضمونه بين اللغات الثلاث. من ذلك أن الشرح في العربية قدم خلال السطور أو فوق الشرح الانكليزي الذي تميّز عمّا ورد ذكره من شروح في المعجم العسكري. لقد كان هذا المعجم كثير الاختصار بالنظر إلى معجم المنظمة العالمية للطيران المدني، الذي اقتبس عنه مادته. من ذلك أنه أهمل ذكر ألفاظ أساسية مثل: Aeronef, Airliner, Air Cargo, Air disturbances، فوجب إضافة ما يقرب من ١٣٠٠ لفظة مقتبسة عن المعجم العسكري ومصحّحه. كما أن معجم الطيران المدني هذا لجأ إلى الترجمة والتعريب لإضافة ما ينبغي إضافته[٢٧٢]، وراجعه المكتب بطلب من مجلس الطيران المدني التابع للأقطار العربية (في دورته العاشرة، ٤ ـ ١٢ أيلول/ سبتمبر ١٩٧٢). وما أتمه من عمل كان يتمثّل في استكمال المعجم بسلسلة من الشروح، لما كانت عليه المفردات الانكليزية من اقتضاب كبير آل أحياناً إلى الغموض، واضافة ما يجب من الألفاظ الفرنسية الواضحة أحاطت بالملامح المتعددة للمفهوم، وشاعت خاصة في المغرب العربي، وتواتر استعمالها من طرف أعوان الملاحة الجوية، كما شاعت أيضاً في سوريا ولبنان. والمقصود من مصطلحات الطيران المدني الموضوعة بالعربية الدلالة على الأفكار والمبادىء المستمدة من المفاهيم. فتحتم لذلك قبول الألفاظ الانكليزية والفرنسية وانتقاء أحسنها وأصوبها بعد ذلك، بعد تصحيحها واضافة ما يقابلها من ألفاظ فرنسية[٢٧٣]. وثمرة هذه المراجعات المتكررة تجسّدت أخيراً في نشر معجم الطيران العام[٢٧٤] الموجّه أكثر للمغرب العربي، لبدئه بالفرنسية ثم الانكليزية ثم العربية. ولا نغفل أن رجال البحر في حاجة أيضاً إلى اللغة التقنية الشائعة في خدماتهم التي تستخدم الانكليزية، كما هو معلوم، فوضع لهم معجم تضمن مصطلحات السفانة والسفن[٢٧٥] (فرنسي ـ انكليزي ـ عربي، ١٥٨١ لفظة). وبذلك تكون اللغة العلمية قد استجابت للمواصلات بأصنافها برا وجوا وبحراً.

وأهمية ميدان المعلوماتية (الإعلامية) غير خافية، فوجب وضع معجم لها (انكليزي ـ

---

(٢٧٢) «تعقيب على مشروع معجم الطيران المدني،» ص ٣٠٨ ـ ٣٩٢.

(٢٧٣) «مصطلحات الإعلامية،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (١٩٧١)، ج ٢، ص ٦٠٧ ـ ٦٤٧.

(٢٧٤) «ملاحظات حول المصطلحات الاعلامية، الجزء ١، A-G،» **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ٢، ص ٢٦٩ ـ ٢٨٧.

(٢٧٥) عبد العزيز بنعبد الله، «مصطلحات السفانة والسفن،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ج ٢، ص ٣ ـ ٦٠.

فرنسي - عربي، ٢٧١٣ لفظة) مشكول إلى حد ما، وساهم في وضعه مهندس بالمكتب الوطني للسكك الحديدية المغربية، كان مسؤولاً عن الأجهزة الحاسبة. وقد أوضح امكانات هذا العلم وما ينبغي وضعه في العربية وصفاً لمميزات النظّامة التي تعيد المعلومات في جزء صغير من الثانية. وقد بدأ هذا العلم مع الفيلسوف الفرنسي باسكال Pascal في القرن السابع عشر وجهازه الآلي للحساب (١٦٤٠). وقد أعدّت المنظمة العربية للعلوم الادارية مشروعاً يشكّل دليلاً في لغة الحاسبات الالكترونية. وقد تمخض هذا العمل عمّا أنتجه المكتب ومركز بغداد للحاسبات الالكترونية، والجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء بالقاهرة، من قوائم اصطلاحية استكملتها المنظمة المذكورة. وقد احتوى القسم الأول من معجم الاعلامية على المداخل الانكليزية وما يقابلها بالفرنسية والعربية، مضافاً إليها شروح تعريفية لمصطلحات عدة جديدة بالنسبة إلى هذا الميدان في اللغة العربية العلمية. وقد عرفت المعلوماتية في الدليل مقابل Information Processing و Informatique، وهي «تطلق على جميع التقنيات المتعلقة باستعمال الآلات الالكترونية في الأشغال الادارية والتنظيمية». والملاحظ أن هذه الآلة الفريدة التي ظهرت في الخمسينيات قد تطورت كثيراً بحيث صارت تقوم بالعمليات الحسابية المعقّدة بعد خزن البرامج في ذاكرتها، واختير مقابل Ordinateur كلمة نظّامة عوض «الحاسب الالكتروني».

والمستخلص من هذه الأعمال المعجمية أن عدداً من الأقطار العربية تعد معاجم تقنية عالية بغية استخدامها قطرياً لضرورات ملحّة. ويبدو أن التحوّل إلى نشرها خارج بلدانها لم يتجسّد بصورة فعّالة سريعة، لأن المطالب المحلية صارت ملحة، ولا يمكن ارضاؤها إلا بقدر ما يوجد من كفاءات قطرية. فقد شرع العراق في المبادرة بوضع معجم عسكري لجيشه، وذلك بإحياء القديم والعودة إلى المصادر الكبرى كالقرآن. ثم الاقتباس من المعاجم القديمة مثل المخصص لابن سيده، كان بمثابة الحل الذي نهض بهذا المشروع. وكان القرآن المصدر الأساسي لتوحيد اللغة العسكرية التي روّجت ألفاظها في العراق في صورة حديثة بعد استخراجها من القرآن[٢٧٦]، وتم السير على ذلك النحو عملاً بمشروع تقدم به أحد رجال الجيش الذي كان عضواً بمجمع بغداد. والملاحظ أن الخلافات الموجودة بين المصطلحات العسكرية تزايدت أيضاً في هذا الحقل. فوجب توحيدها، وإلّا امتنع التعاون المثمر بين الجيوش العربية. اضافة إلى مشروع التعاون في الشؤون الخاصة بالدفاع الوطني والقومي، وتجسد ذلك النقص التعاوني في باب تبادل التجارب والمؤلفات، لأن أداة العمل تختلف لغوياً بين الأقطار العربية. وجدت محاولات بين المجامع بغية توحيد اللغة العسكرية، ووضعت قوائم في لغات العمل الثلاث، شملت الرتب والتشكيلات العسكرية[٢٧٧]. لقد كان لسوريا جيش منذ سنة ١٩٢٠، فوضعت مصطلحات عسكرية وعادت إلى استخدامها سنة ١٩٤٣

---

(٢٧٦) محمود شيت الخطاب، «المصطلحات العسكرية في القرآن،» **اللسان العربي**، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ١٥٧ - ١٥٨.

(٢٧٧) محمود شيت الخطاب، «تاريخ المعجم العسكري،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ١٨٠ - ١٩١، و **مجلة مجمع اللغة العربية** (دمشق) (١٩٧٠)، ص ٢٨٧ و٢٩٧.

بعد انتهاء الاحتلال. ولم يقع الشروع في نشر المعاجم العسكرية إلا بداية من سنة ١٩٥٩، وكان ذلك في لبنان (معجم فرنسي - عربي) كان المعجم اللبناني الأول من نوعه. والملاحظ أن الجيش السوري أو اللبناني تشكل من فرق عدة خدمت في الجيش الأجنبي خلال الحربين العالميتين، ثم شكّلت نواة الجيش الوطني، وهو نفسه الوضع الذي كانت عليه الجيوش بأقطار المغرب. فكانت لغة العمل بالنسبة إلى هذه الأقطار هي الفرنسية، لكن العزم على تعريب الحياة العسكرية كان نهائياً، لما للأمر من حساسية ومساس بالأمن الوطني. ثم إن أغلب أو كثيراً من أفراد هاته الجيوش كانوا من الأميين فلا مفر من استخدام اللغة القومية لإعدادهم على أحسن وجه. وقد وضعت كل من سوريا ولبنان والعراق لحسابها الخاص الألفاظ المتعلقة بالرتب العسكرية ومختلف الخدمات وأنواع الأسلحة. وصدر في مصر قانون الجيش تحدد بموجبه وضع الرتب العسكرية بالعربية[٢٧٨]. ويبدو أن المعجم العسكري اللبناني الذي انطلق من الفرنسية انتشر لدى الأقطار الناطقة بهذه اللغة، في حين انتشر المعجم العراقي (١٢٠٠٠ لفظة) في الأقطار الناطقة أو المستخدمة للغة الانكليزية. ولم يشارك في إعداد المعجم العراقي أعضاء المجمع، بل أشرف عليه جهاز أركان الحرب الموحد بين مصر والعراق، فجرت محاولة بينهما لتوحيد ٨٠٠٠ لفظة[٢٧٩]. وقد وضع القطر اللبناني معجمه في جزأين (١٠٠٠٠ لفظة) مضيفاً إليه معجم البحرية (١٩٦٣، ٢٠٠٠ لفظة) سنة ١٩٥٩. وتلاه القطر السوري سنة ١٩٦١، فاقتبس معجمه من المعاجم الكندية والفرنسية والعراقية والمعجم اللبناني طبعاً، وقد عزم على نشره (٤٠٠٠٠ لفظة) بعد توحيد مفرداته مع اقتباس بعضها من اللهجة، واضافة مفردات عدة فصيحة.

كان الجهد المبذول لوضع هذه المعاجم عسيراً، خاصة أنه استوجب تدخل الخبراء من أرفع اختصاص. وبدأت فكرة توحيد المعاجم العسكرية اعتماداً لما نشر من معاجم قطرية، تتبلور سنة ١٩٦٨، واستخدام المؤلفات المنشورة أو المخطوطة، وكذلك قوائم الألفاظ العسكرية، وكتب اللغة، والمعاجم العسكرية الأجنبية. وقد اجتمعت لجنة من الضباط مزدوجي اللغة، بغية تقريب المواقف اللغوية بخصوص المفردات الموجودة في اللغة الانكليزية والفرنسية، كما دونتها المعاجم العسكرية التي سبق نشرها. وقام الممثل اللبناني بهذه المهمة في كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩، في ما يتعلق بالمعجم اللبناني والسوري، مقترحاً استعمال ما شاع من ألفاظ في الجيش اللبناني. وقررت اللجنة التنسيق بين الاتجاهين، وذلك بزيادة أو حذف الكلمات في لغتي العمل. وبعد مراجعة المعجم الانكليزي - العربي وتوحيده صار عدد المفردات ٨٠٠٠، وشملت الألفاظ الانكليزية والأمريكية والكندية، وما شاع في منظمة الدفاع الأطلسي. أما المعجم العسكري الفرنسي - العربي الموحّد الذي أعد عاجلاً في النصف الأول من سنة ١٩٦٩ لفائدة الجيوش العربية التي تستخدم الفرنسية أداة عمل، فقد اقتصر

(٢٧٨) تقديم المعجم العسكري المصري، ١٩٦١.

(٢٧٩) «ملاحظات حول المعجم العسكري الموحّد،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ٢، ص ٤٦ - ٥٢.

على المصادر الفرنسية، وجمع قرابة ٤٠٠٠٠ كلمة. وتمثلت المرحلة الأخيرة في مراجعة المعجم المكتوب على الآلة، وإصلاح الكلمات في اللغات الثلاث. وأرفق ذلك بشكلها، فكان استخدام الشكل في المعاجم العسكرية يتم لأول مرة. ذلك أن هذه المعاجم تعتبر مؤلفات لغوية قبل كل شيء، عملاً على القضاء على ما يطرأ من لحن وتحريف على الكلمات، فيصير ذلك شائعاً تماماً بين الجنود. وقد حصل ذلك فعلاً عند استخدام المعاجم السابقة غير المشكولة. والملاحظ أن بعض الجيوش استعان بالضباط فحسب. فأدخل هؤلاء ألفاظاً شائعة بدلالة تقنية، في حين أنها كانت مفردات تختلف باختلاف الجيوش من الوجهة الدلالية والصرفية. وعلى هذا الأساس التزم المعجم الموحّد باستخدام الفصحى لا غير، لأن الكلمة الفصيحة تتضمن المظهر العلمي كما تتضمن المظهر اللغوي. وتجنب هذا المعجم الكلمات الأجنبية الصعبة، مبتدئاً بالترجمة قبل التعريب، باستثناء الفيزياء والكيمياء، وموافقاً على الكلمات الشائعة في أكثر الجيوش، ومضيفاً على اللفظ الفرنسي دلالة تامة في اللغة الفصحى، ومطبقاً القواعد الصرفية المتمثلة في قياس أسماء الآلة على وزن مَفْعَلَة. وقد استخدم المعجم العسكري الموحد (فرنسي - عربي) ٧٣ مصدراً ملاقياً صعوبات جمّة عند نشره الذي لم يتحقق إلّا سنة ١٩٧١، ورغم ذلك فقد كان دليلاً على قدرة العربية على استيعاب لغة التقانة العسكرية. وقد كان هذا المعجم محل شروح وتصحيحات، سواء في طبعته الانكليزية - العربية حيث اعتمدت مؤلفات أربعة أقطار منها مصر التي وضعت معجماً في ٤٠٠٠٠ لفظة تقريباً وفي جزأين (فرنسي - عربي وانكليزي - عربي). ولم تستخدم في معجمها وسيلة النحت إلّا نادراً، لكنها اضطرت إلى استخدام التعريب اللفظي. وقد أدرجت ألفاظ عدة مولّدة وعامية لشيوعها[٢٨٠]. ثم اعتمد أيضاً معجم سوريا ولبنان والعراق، وكان للعربية السعودية والسودان معجمها المخطوط. وبتوحيد هذا المعجم الناطق بالانكليزية، فسوف يكون في خدمة العسكريين والصحفيين أيضاً، الذين ليست لديهم ألفاظ نوعية جاهزة تساعدهم على تحرير مقالاتهم المتخصصة في الشؤون الحربية. ثم إن الخلافات الاصطلاحية ستخف وطأتها، مثلاً بين المعجم العراقي والمعجم المصري (Battery = سريّة في العراق، بطارية في مصر Bataillon = فَوْج في العراق وكتيبة في مصر. والعكس بالنسبة إلى كلمة Régiment)[٢٨١].

بإحصاء المشاريع المعجمية والمقصود بها كما بيّنا، الأعمال المعروضة على المكتب من قبل الهيئات والخبراء للنظر والمراجعة والتصحيح والاستكمال والتنسيق في آخر مرحلة من منهجية المؤسسة المنسِّقة للمصطلحات، وكذا قوائم المصطلحات العلمية والتقنية التي تكون اضافات للمعاجم، على امتداد السنوات الأخيرة (١٩٧٩ - ١٩٩٠)، بالاعتماد على ما نشرته مجلة **اللسان العربي**، يمكن القول إن الاستيفاء المؤقت المهم للمجال الحضاري والاداري قد ترك الفرصة متوفرة لبذل جهد واضح تجلى في نشر قرابة ١٨ معجماً، وقوائم اصطلاحية (منها ١٣

---

(٢٨٠) المصدر نفسه.

(٢٨١) المصدر نفسه.

أعدها المكتب) في عدة اختصاصات مهنية وتقنية، الحرف والمهن، الملاحة البحرية، الطباعة، الصناعة المعمارية، الترسانة، حفر الآبار النفطية، الطرق وهندستها، السكك الحديدية، المطارات، التكييف (تبريد وتدفئة) والهندسة الصحية، وفي التقنيات الدقيقة: الإعلامية، الكهرباء، الميكانيكا، المعجم العسكري وحتى المختصرات الهندسية(٢٨٢).

٨ ـ معاجم العلوم الصحيحة

إن النجاعة القصوى المبتغاة للمعاجم العربية العلمية تتجسد أساساً في الميدان الدراسي، لسهولة غرسها في ذاكرة الطلاب بأصنافهم ودرجاتهم المختلفة، ولكثرة أعدادهم، وبالتالي فإن التعريب المدرسي هو الذي يعول عليه في إنجاح قضية التعريب عامة وإعطائها أبعاداً حضارية عميقة الجذور. ولذلك كان العمل على توحيد المصطلح المدرسي يمثل جوهر اشكالية التعريب. من ذلك أن التعليم الابتدائي حلقة يتيسر إعداد تعريبها خاصة في مادة الحساب ومبادىء العلوم. وقد وضع فعلاً معجم فرنسي ـ عربي نشر في آخر ١٩٧٠ في ٢٠٠٠٠ نسخة من طرف المكتب. وقد كان ثمرة لجرد الكتب المدرسية الحسابية بالعربية وبلغات أخرى. وإضافة إلى الألفاظ الخاصة بالحساب أدرجت ألفاظ الهندسة والنظام القياسي وتبين أن المفردات كثيرة في هذه المرحلة، فوجب انتقاء أيسرها وأكثرها شيوعاً لدى المعلمين والتلاميذ وفي الكتب المدرسية العربية. وتضمن المعجم أمثلة بها المترادفات الحسابية تدليلاً على الفروق في الدلالة، كما وجدت بالمعجم الاختصارات والرموز الخاصة بالقياس والكيل والوزن. أما ما اعتمده من مؤلفات، فقد ذكر استخدام **المعجم الوسيط** ومنشورات المجامع والمؤلفات المتخصصة. ومن الملاحظ أن الطفل الأوروبي يحصّل في المدرسة الابتدائية ما يقدر بـ ٧٥٠٠ مفهوم في حين أن الطفل العربي لا يمتلك إلا ٤٣٣٠. وقد أعدت هذه الاحصائية بفضل ثمرة جرد الكتب المدرسية في التعليم الابتدائي، وساعد المعلمون على ذلك. ولنشر أن الكتاب الابتدائي الفرنسي يتضمن بنسبة الثلثين زيادة عما يتضمنه الكتاب العربي المماثل له في الدرجة، وذلك بالرغم مما يزخر به الكتاب العربي من وفرة لفظية. ونتيجة ذلك فإن الطفل يبلغ المرحلة الثانوية وهو متحصل على معلومات ناقصة لا تمكنه من متابعة الدراسة الثانوية والاستفادة منها. وما جدَّ من تجربة مشتركة في حقل المعاجم الدراسية بين المركز المغربي للتعريب والمكتب، تمخض عن وضع ثلاثة معاجم تكلمنا عنها سابقاً، في الرياضيات والفيزياء والكيمياء. وقد عرضت على مؤتمر الجزائر سنة ١٩٦٤ وعلى مجمع القاهرة سنة ١٩٦٥، فشكّل المجمع لجنة للنظر فيها(٢٨٣). كما نظرت فيها سوريا والأردن...

---

(٢٨٢) انظر: **اللسان العربي**، العدد ١٧ (١٩٧٩)، ج ٢، وج ٣؛ العدد ١٨ (١٩٨٠)، ج ٢؛ العدد ١٩ (١٩٨٢)، ج ٢، و(١٩٨٣) إلى (١٩٨٧) حيث انخفضت وتيرة نشر المعاجم لصالح الأبحاث. أما اللغات فكانت تتراوح بين اللغتين (انكليزي ـ عربي أو فرنسي ـ عربي) وبين الثلاث لغات (انكليزي ـ فرنسي ـ عربي).

(٢٨٣) «معاجمنا في الميزان: ملاحظات المجامع والمجالس العليا للعلوم والجامعات،» **اللسان العربي**، السنة ٤ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٦)، ص ٢٦٢.

لاعتبارها أول تجربة للمكتب في وضع المعاجم للمرحلة الثانوية والعليا. وتم وضعها بلغات العمل الثلاث انطلاقاً من اللفظة الأجنبية المتبوعة بمقابلها في العربية. ففي معجم الكيمياء، قررت اللفظة العربية الشائعة قاعدة الانتقاء في المصطلحات الفرنسية والانكليزية. وقد تضمن هذا المعجم (٢٢٧٠ لفظة منها ٢٧٠ وضعت في المغرب الأقصى) ألفاظ التفاعلات والظواهر والرموز والأدوات المستخدمة في هذه المادة. ووجب تحديد المفهوم العلمي طبق معايير الاتفاق العام المعقود ضمن منظمة اليونسكو. ووقع إصلاح ١٠٥ من الألفاظ قامت به سوريا التي طلب منها المكتب أن تقوم الجمعية الكيماوية السورية بجرد كتب الكيمياء المؤلفة أو المنقولة إلى العربية[٢٨٤]. وشارك الأردن في إصلاح ٢٦٨ لفظة، ملاحظاً، تكرار كلمات بالفرنسية هي شائعة عادة في الانكليزية، ومطالباً بالمحافظة على الرموز الكيماوية العالمية بالأحرف اللاتينية[٢٨٥]، وأصلح مجمع القاهرة[٢٨٦] ١٥٠، وراجعت لجنة الكيمياء المجتمعة بالرباط في ٣٠ كانون الثاني/ يناير ١٩٦٤، ١٨٠ لفظة (وذلك قبل انعقاد مؤتمر الجزائر في شباط/ فبراير ١٩٦٤)[٢٨٧]. وأمام تشعب العمل الاصطلاحي في هذه المادة، تطرح اعتبارات عدة في التصنيف المعجمي. فقد لاحظ الشهابي بخصوص كلمة راديوم، أن مدرسين عدة يلحقون بالكلمات المختومة بلاحقة um والمعرّبة بواسطة الواو والميم، وهو حل مقبول بخلاف من استخدم وسيلة سيئة متمثلة في إلحاق الميم آخر اللفظة وإدغامها في الحرف السابق (ثاليم). وينبغي الإشارة أيضاً إلى أن الرمز الدال (ر) على راديوم، يمثل أيضاً معدن الرصاص (ر)، وهذا الأمر يبعث على الاشتباه الناجم عن فقدان علامة متفق عليها. وبهذه النظرة، يعني الاصلاح أول ما يعني العمل على ازالة الاشتباه. هذا موقف مكتب تنسيق التعريب من الرموز والمختصرات. وهو ما انفك ينشر للمؤسسات والخبراء ما يقترحون من حلول لاشكالات الرموز[٢٨٨]. وأبرز مجهود في مجال الرموز هو الذي استمر عليه مجمع اللغة

---

(٢٨٤) «وزارة التربية والتعليم السورية: تعديلات على معجم الكيمياء،» **اللسان العربي**، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ج ١، ص ٢٨٤ - ٢٩٣؛ «تعديلات المجلس الأعلى السوري للعلوم،» **اللسان العربي**، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ٢٦٤ - ٢٧٨؛ انظر: جابر السكري، «المصطلح الكيميائي في التراث العربي،» **اللسان العربي**، السنة ١٧ (١٩٧٩)، ج ١، ص ١٥١ - ١٦٢؛ وأيضاً: «المصطلح الكيميائي: مشاكله وحلوله،» **مجلة المجمع العلمي العراقي**، السنة ٣٩ (آذار/ مارس ١٩٨٨)، ص ١٣٣ - ١٤٤، وانظر أيضاً: إحسان عباس، **تصنيف العلوم عند العرب**، الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة العربية الأردني (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٣)، ص ٦٩ - ٩٩.

(٢٨٥) «في اطار المعجم العلمي والتقني العام: معجم الكيمياء: ملاحظات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ٢، ص ٣٥٣.

(٢٨٦) انظر: حامد عبد الفتاح جوهر، «تقرير عن مشروع معجم الكيمياء العامة،» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**، العدد ٥٢ (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٢)، ص ١٩٤ - ١٩٥.

(٢٨٧) مصطفى الشهابي، «خواطر في اللغة والمصطلحات،» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**، السنة ٣٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٤)، ص ٣.

(٢٨٨) فاضل حسن أحمد، «المختصرات المعتمدة في الهندسة والتكنولوجيا (انكليزي - عربي)،» **اللسان** =

العربية الأردني الذي بذل جهوداً متعددة متنوعة من أجل تصور «نظام عربي للرموز العلمية»[٢٨٩] والعمل على «تعريب رموز وحدات النظام الدولي ومصطلحاتها» إذ «يجب الاستفادة من الخصائص والمميزات الكثيرة للغة والحروف العربية، ومن الامكانية المتوافرة في كتابة الحرف الواحد بعدة صور»[٢٩٠].

وتوجد مثلاً ألفاظ متعددة تدل على أسماء الآلة. فمثلاً نجد مقابل Hygromètre مرطاب (المكتب)، ومقياس الرطوبة أو هيغرومتر (مجمع القاهرة). أما للأحجار الكريمة، فقد روّج المكتب ياقوت أخضر مقابل topaze، ووضع المجمع ياقوت أصفر. ويمكن القول إن معجم الكيمياء كان حصيلة مفيدة في الجملة. فقد أفاد في سوريا حيث لم تصنف ألفاظ هذه المادة معجماً، فأشاعت في الكتب المدرسية والجامعات ما وضعه المكتب بعد أن علق عليه المجلس الأعلى للعلوم. فمثلاً أورد حامض مقابل Goût acide وحمض مقابل Acide بالذات[٢٩١].

وقد تضمن معجم الرياضيات (جبر، حساب، حساب المثلثات) كل الألفاظ الشائعة في الأقطار العربية، وكان موضوعاً لنقد شعبة الأردن[٢٩٢]. أما معجم الفيزياء (في جزأين)، فقد اشتمل على فصول في الحركية والحرارة والضوء والكهرباء والمغنطة. ومرة أخرى، اتضح أن الخلافات الاصطلاحية كانت موجودة بين الأقطار وفي القطر الواحد. فمثلاً استخدمت سوريا (Angle vertical) مقابل الزاوية الشاقولية والزاوية الرأسية، في حين ان الاجماع اتجه إلى استعمال الزاوية الرأس. والملاحظ أن هذه الخلافات متأتية من عدم تنفيذ مقررات المؤتمرات العلمية التي تواصل عقدها منذ ١٩٥٥[٢٩٣]. وساهم الخبراء في إبداء رأيهم بصدد هذه المعاجم، منهم أستاذ فقه العربية في معهد اللغات الشرقية بموسكو. ومفادها ترجمة ما كتب حول وضع القاموس في الفيزياء والرياضيات انكليزي - فرنسي - عربي، باللغة الروسية. ومن رأي المؤلف أن الوسائل العملية لتوليد المفردات هي الاقتباس والتحوّلات في الدلالة والنحت، ملاحظاً أن كثيراً من الأصول تدل على المفهوم ذاته. ومن رأيه أن مثل هذا القاموس يستجيب تماماً لحتميات المعجمية الحديثة المطلوبة في مثل هذه المؤلفات. وما تفوّه به من رأي إنما يعني طبعاً المعاجم الثلاثة التي اعتبرها قاموساً للمواد الثلاث.

= العربي: العدد ٢٥ (١٩٨٥)، ص ١٦١ - ٢٢٥ (١٧٧٩ مصطلحاً)؛ العدد ٢٧ (١٩٨٦)؛ العدد ٣٠ (١٩٨٨)؛ العدد ٣١ (١٩٨٨)، ج ٢، والعدد ٣٢ (١٩٨٩).

(٢٨٩) أحمد سليم سعيدان، في: **اللسان العربي**، العدد ٢٧ (١٩٨٦)، ص ٣٩ - ٤٤.

(٢٩٠) اعداد مجمع اللغة العربية الأردني (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٧٩)، ص ٩. كما نظّم المجمع ندوة الرموز العلمية وأشكال الحروف العربية، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ٦، العددان ١٩ - ٢٠ (كانون الثاني/ يناير - حزيران/ يونيو ١٩٨٣)، ص ٢٣٦ - ٢٤٦. وقد تنامى عمل المجمع وبلغ درجة مهمة، انظر: مجيد محمد علي القيسي، «مشروع مجمع اللغة العربية الأردني للرموز العلمية العربية،» **مجلة المجمع العلمي العراقي**، السنة ٣٩ (حزيران/ يونيو ١٩٨٨)، ج ٢، ص ٢٢٦ - ٢٤٩.

(٢٩١) **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ٢.

(٢٩٢) «في اطار المعجم العلمي والتقني العام: معجم الكيمياء: ملاحظات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر،» ج ٢، ص ٣٥٣.

(٢٩٣) نعيم الحمصي، «العدد في اللغة العربية،» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**، السنة ٢، العددان ١١ - ١٢ (تشرين الثاني/ نوفمبر - كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٧)، ص ٥٣٢.

وقد ساهمت شعبة الأردن أيضاً بملحوظاتها النقدية حول المعاجم الثلاثة، مصححة الألفاظ والعبارات، ومعرّبة بعض المفردات: فمثلاً وضع المكتب مقابل Baromètre métallique مضغاطاً معدنياً، وعرّبت الشعبة بارومتر معدني، فردت المصطلح اللاتيني مكتوباً بالأحرف العربية، كما هي الحال بالنسبة إلى الرموز. وكما هو معلوم، اتسعت حلقة هذه المعاجم وشملت المعاجم الستة المقدمة إلى مؤتمر ١٩٧٣، والتي وضعتها مصر. وأتاح ذلك القيام بعمل استقصائي لفائدة اللغة العلمية المدرسية في التعليم الثانوي، شمل الفيزياء أو الطبيعة (٢٠٧٦ لفظة أصلية و٣٠٤٣ أضافها المكتب في ملحق)، والجيولوجية (١٥٨٧ لفظة أصلية وأضيف ملحق بـ ٥٩٣٨)، والرياضيات (١٧٢٩ و١٨٢١ إضافية)[٢٩٤]، والكيمياء (١١٠٧ لفظة وملحق بـ ٩٨٥)، والنبات (٢٢١٣ لفظة وملحق بـ ٢٠٠٠)، والحيوان (١٤٥٣ لفظة وملحق بـ ١٧٤٨)[٢٩٥]. ولا شك أن الرياضيات كان وزنها كبيراً لدى الخبراء، فتعددت الأبحاث المكتوبة حول الأرقام العربية. ذلك أن هذه القضية تميّزت بما كان لاسم العدد من قواعد شاذة في النحو، وما كان لها من تناقض نسبي. ويبدو أن هذا الباب في النحو يعمل بموجب قواعد مستقلة متضاربة غير مستقرة، حتى ان نصّين من الوثائق القديمة لا يتفقان من الوجهة القياسية. وهكذا صار هذا الموضوع شائكاً وشحن باعتبارات فرعية اختلف فيها النحاة[٢٩٦]. ولعل المغرب العربي سلك حلاً تجاه وضعية الأرقام العربية عندما قرر نشرها في التعليم والمجتمع بالعودة إلى أصالتها كما هي شائعة اليوم على الصعيد العالمي.
ومن الأبحاث التي نشرت بمجلة المكتب (١٩٦٦) نتبين واقع هذه الأرقام، كما وضحها مدير المكتب العربي للاتحاد البريدي العالمي. فكان ذلك شاهداً دعمه مخطوط موجود بالمكتبة العامة بالرباط مؤلفه ولد بفاس في أواسط القرن الرابع الهجري، وكتب قصيداً عن الجبر مودع نسخ منه في باريس وبرلين وأكسفورد والقاهرة، وقد وقع شرحه مراراً، كان تأليفاً عن استخدام أرقام الغبار التي هي من أصل عربي مغربي. وسبق أن قدم إلى مؤتمر ١٩٦١ بحث عن الأرقام الهندية التي يبدو أنها اقتبست وسائل الحساب من الآراميين الذين رتّبوا العدّ بداية من اليمين ومن أكبر عدد، في حين أنه أعوز النظام الحسابي الهندي الصفر، وهو الذي ينطلق فيه العد من اليسار، ويستخدم علامة خاصة لكل عدد. وقد تحسّن ذلك النظام بفضل ادخال الصفر في شكل نقطة ثم دائرة. ويبدو أن الهنود عرفوا الصفر اليوناني وعمموه على العد العشري (يعني لفظ صفر بالعربية الفراغ، وهو بالمعنى نفسه في اللغة الهندية). أما لفظة Chiffre، فلم تكتس المعنى المعروف اليوم إلّا بداية من القرن الخامس عشر: ولعل كلمة Cipher بالانكليزية مشتقة من الكلمة اليونانية Sipos. وشاع نظام العويدات المعروف عند الأمم الساميّة في جنوب بلاد العرب.

---

(٢٩٤) أبو فارس، «دليل جديد على عروبة الأرقام المستعملة في المغرب العربي،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١ ص ٢٣١.

(٢٩٥) **التربية الوطنية** (نيسان/ ابريل ١٩٦٦)، ص ٤٠ ـ ٤٨.

(٢٩٦) ألبير ديتريش، «دور العرب في تطور العلوم الطبيعية،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٩٩.

أما الأعداد ٥ و١٠ و١٠٠ و١٠٠٠، فقد مثّلت بالحرف الأول من أسمائها. وربما كان ذلك النظام عربياً قاعدته الألفباء، مثله في ذلك مثل النظام اليوناني. وهو نظام الهند في المشرق والمغرب. وهو النظام العددي المعروف بالغبارية، من غبار الذي كان يبسط على لويحات بغية رسم الأرقام عليها. وقد انتشر في أوروبا باسم قطع Bocce gerbert (٩٣٠ - ١٠٠٣) التي يسّرت وضع نظام العد والنظام العشري الأوروبي. ولذلك فإما أن يكون النظام العددي العربي مقتبساً من الهند اعتماداً لرأي نلّلينو Nallino وعلماء آخرين، دون أن يتم الاتفاق على صور الأرقام، وإما أن نميل إلى الرأي القائل على لسان علماء اللغة القدامى أن لا شك في الأصل اليوناني لهذا النظام. وقد قرر المسعودي والبيروني الأصل الهندي للأرقام العربية، في حين أن أصل النظام العشري يوناني في ما يبدو. وخالف بحث قدم إلى مؤتمر ١٩٦١ الآراء السابقة، وأراد تأييد الأصل الهندي للأعداد وألحّ على ما أدخله العرب من تحويرات منذ قرابة عشرة قرون. وعاد بحث تقدمت به وزارة الاعلام الكويتية إلى مؤتمر ١٩٧٣، إلى طرق الموضوع مقدماً التعداد الغباري الذي استخدم على أوراق البردي المصرية في القرن الثالث الهجري. والتحريض الآن منصب على استعمال هذه الأرقام لأسباب اقتصادية وسياسية ودولية، تعويضاً للأرقام «الهندية» المستعملة في المشرق العربي في الوقت الحاضر. ذلك أن النظام الهندي كان وحده شائعاً حتى القرن العاشر الميلادي، اضافة إلى شيوع «حساب الجمل». ولم يستخدم العلماء المغاربة إلاّ في فترة متأخرة النظام الغباري الذي يعسر الاقتناع بأنه من أصل أوروبي أو عربي، لأنه من أصل هندي استخدم بفارس في العصور القديمة. ولا يتأكد الأصل العربي للنظام العددي الراهن إلا بعد مطالعة الموسوعة الايطالية التي يبدو أنها انفردت بتأكيد هذه المعلومات. وبناء على ما سبق، اقترح الكويت العمل بالأرقام «الأوروبية»، إلى جنب الأعداد المعرّبة التي لا ينبغي استبدالها نهائياً، تعللاً بأن الأرقام الشائعة حالياً بأنها أوروبية أو غبارية، هي عربية أصيلة[٢٩٧]. وفي هذا المنحى، يبدو واضحاً منذ عصر اقليدس الذي جرى نشر مبادئه مئات المرات في مختلف اللغات، كما وقع لكتاب الخوارزمي الذي لم تكن شهرته فريدة، لأن مدرسة الرياضيات بالقاهرة كانت مزدهرة طيلة النصف الأول من القرن الحادي عشر. ولنشر إلى ابن الهيثم والكرخي في بغداد، وابن سينا في فارس، والبيروني في افغانستان. فقد عملوا جميعاً على تطوير الجبر وحساب المثلثات. وقد كان الخوارزمي لا محالة أول من أدخل الأرقام والصفر، رغم معارضة الفلكيين والمنجمين الذين تبنوا تماماً نظام حساب الجمل القائم على الحروف. وقد ألّف الخوارزمي في الأرقام الهندية، ونقل كتابه إلى اللاتينية. وقد ثبت أن حساب المثلثات كما شاع في عصر الطوسي العالم الرياضي في عصر المغول، لم ينتشر في أوروبا إلا بعد أجيال عدة. وكانت الهندسة أيضاً محل عناية العلماء منذ عصر اقليدس. وبفضلها نما ازدهار العلوم الرياضية عامة، وأفاد ذلك في النهوض وبعث الرياضيات الحديثة. ويهتم الوطن العربي

---

(٢٩٧) محمد العربي الخطابي، «عن التعريب وقضاياه،» **اللسان العربي** (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٢٨٤.

ومتخصصوه بقضية تطوير تدريس هذه المادة. فكان ذلك موضوعاً عقدت من أجله ندوة بالقاهرة بإشراف اليونسكو (٨ ـ ١٧ آذار/ مارس ١٩٦٩) وأنشئت فعلاً لجان محلية لدرس اعادة تنظيم تدريس الهندسة، وبعث الرياضيات الحديثة التي وضع لها ٣٠٠ لفظة. وألّف كتاب مدرسي في ثلاثة أجزاء للتعليم الثانوي باللغة الانكليزية. ونقل إلى العربية في العراق. وكانت له ترجمات متنوعة في الأقطار الأخرى، فأدى ذلك إلى الخلط في المفاهيم الهندسية.

ويمكن اقحام الرأي العام في ما ينوى اصلاحه من محتوى مقرر العلوم الرياضية، وذلك بإنشاء جهاز مناسب ييسر تبادل الخبرات في هذا الميدان. ويتضمن تحديث هذا التدريس وضع لغة ضرورية لنشر المفاهيم الرياضية الجديدة. ويبدو أن التعاون بين اللغويين والرياضيين لم يعطِ أكله، خاصة في حقل الرياضيات الحديثة والعليا التي تجاوزت بتشعبها كفاءة المعجمي. ولم يوضع سوى ٥٠ لفظة في هذه المادة الجديدة، و١٠٠ في الجبر الحديث[٢٩٨]. لكن المفردات القديمة يمكن أن تفيد في هذا الباب. استعمل قديماً مقابل (Axiome) مصادرة، ويستعمل اليوم بديهية أو فرضية. والملاحظ أن النقص الذي يظهر في لغة الرياضيات لا يعود إلى ضعف أو نقص في وسائل الاشتقاق وأدوات التعبير، بل إلى ندرة المؤلفين العلميين الأكفاء، خاصة في هذه المادة. وما توافق عليه المجامع لا يشكل سوى العناصر الأولى، في حين أن الألفاظ الضرورية ترجمت ترجمة سيئة من طرف اخصائيين لم يمارسوا إلاّ قليلاً وسائل اللغة العربية الاشتقاقية. فمن الضروري احترام عوامل الدقة الدلالية والسلامة اللغوية والتعبيرية عند وضع المصطلحات الرياضية، يعني ذلك أنه ينبغي الجمع بين الشروط المنطقية اللغوية وشروط الذوق السليم، وكذلك المحافظة على ما يوجد من صلة بين عناصر العبارات (الاضافة، والاسم والموصوف. . .) وذلك للمحافظة على سلامة البنى اللغوية[٢٩٩]. وإلى ندرة المؤلفين، تضاف ندرة التآليف الرياضية. وسبب ذلك صعوبة ايجاد الألفاظ المناسبة في هذه المادة باللغة العربية. ويمكن أن يساعد المدرسون على وضع هذه الألفاظ، محاولين شرحها بمشاركة التلاميذ، توضيحاً لِبُنَاها الصرفية. ولكن، ينبغي لهم قبل ذلك استيعاب المفاهيم الرياضية، وتوجيههم إلى أوضح الألفاظ بغية المساعدة على ترسيخها في أذهانهم[٣٠٠].

والمعروف أن علم الفلك عريق راسخ الجذور منذ العهد الوسيط في الوطن العربي، ومنذ عصر البيروني وقبل قرون من ظهور كوبرنيك، الذي عمل لا محالة على القضاء على

---

(٢٩٨) محمد واصل الظاهر، «المصطلحات الرياضية في اللغة العربية،» **اللسان العربي**: السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ٢، ص٧؛ السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ١٤٥، والسنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٧)، ص ٢٠٠.

(٢٩٩) أحمد الطيب، «ارتباط العربية بالاسلام تلقائي غير مفروض على الشعوب الاسلامية،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ١٠٠.

(٣٠٠) أحمد شوكت الشطي، «كيف تبلور الفكر العربي في علم الطب،» ص ٦٧، وعبد الرحيم بدر، «وازدهار اللغة العربية رهن بتشبُّع الدولة بالروح الاسلامية،» **اللسان العربي**، العدد ٦ (١٩٦٩)، ص ٢٣٢.

حجج بطليموس. وكان الفضل للبيروني الذي كشف دوران الأرض حول الشمس، وتحدّدت بفضله الظاهرة نفسها عكساً، اعتماداً لمنهجية تجريبية حملت ابن الهيثم على القول إن جميع الكواكب تعكس النور، باستثناء القمر الذي يستمد نوره من الشمس[٣٠١]. وقد اعتبر العرب لذلك أول من مارس علم الفلك بعد القدامى، فتولدت عن ذلك لغة مختصة. فمثلاً قيل إن (Now) بالانكليزية متولدة عن نوء = الآن، ومنها اشتقت كل المفردات الزمنية وألفاظ الملاحة. وقد قوّم العلماء المسافات السماوية بالقياس الحقيقي للدرجات، ولم يكن ذلك عن طريق القياس التقريبي، بل استعمالاً لوحدات قياسية كالرمح (١٤)، والذراع (١/٦ من ١٤) أي درجتان و٢٠ ثانية، والشبر (١/٣ الذراع)[٣٠٢]. وبمراجعة أسماء الكواكب، التي ما زالت مستعملة إلى يومنا، نقتنع بحقيقة تطور علم الفلك في العصر الذهبي العربي[٣٠٣]. ولنشر إلى أن أسماء الكواكب العربية استمرت شائعة، في حين أن معاجم هذا العلم تروج ألفاظاً جديدة لأنها أخطأت الصواب لما قام مؤلفوها بترجمة أسمائها الأعجمية بدل أن يعودوا إلى إحياء أسمائها القديمة. لقد كتبت الأسماء العربية في الواقع بالأحرف اللاتينية وحافظت على دلالتها العربية، فصارت الآن اعلاماً في اللغات الحية[٣٠٤]. وقد أمكن تلافي ذلك عند التفكير في إعداد المعجم العلمي العام، وضمنه طبعاً ألفاظ فلكية بالانكليزية والعربية وضعت في كلية العلوم بالقاهرة، مضافاً إليها الحواشي التي استخدمت فيها الألسنية المقارنة واللغات القديمة واللاتينية واللغات الحية[٣٠٥]. وشارك من بغداد خبراء لإبداء ملحوظات متعلقة بهذه النواة المعجمية الفلكية. وقد ورد ذكر نجم الجوزاء (Betelgeuse) وكان ينبغي استعمال إبط الجوزاء. ولا شك أن ما ارتكبه النساخون اللاتينيون من أخطاء أثر في عدة عبارات فلكية، فحرّف معانيها وجعلها معماة لدى العلماء العرب في الوقت الحاضر[٣٠٦].

وتتسع الأعمال الرياضية المختلفة بالاعتماد على رموز مقننة اهتمت بتحديدها المنظمات العربية المختصة، وتدراستها مؤتمرات التعريب كما أسلفنا. وقد اجتهدت المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس في توحيد ذلك الزاد المتمم الضروري للغة العلمية العربية. فرتبت ١٩٣٥ مصطلحاً في معجم (عربي ـ انكليزي ـ فرنسي) مع اعتبار المداخل في اللغات

---

(٣٠١) عبد الحق فاضل، «تاريخهم من لغتهم العنقاء،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ١٩٧.

(٣٠٢) عبد الرحيم بدر، «الترجمة من العربية إلى العربية،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ٣٦.

(٣٠٣) محمود رضا مدور، «مصطلحات فلكية،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٤٦٢ و٤٧٢.

(٣٠٤) جورج حبيب الخوري، «ملاحظات على المصطلحات الفلكية،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ٢، ص ٣٦٦.

(٣٠٥) Y. Marquet, «Sabéens et Ikhwàn-safa,» *Studia Islamica* (1966), p. 67, et **اللسان العربي** (١٩٧٦)، ج ٢، ص ٤.

(٣٠٦) المصدر نفسه، ص ٧٦.

الثلاث، بحيث ان هذا المعجم احتوى في الواقع على ثلاثة أقسام، وصار يضم في جملته قرابة ٢٠٠٠٠ لفظة. وقد أتى «دليل مصطلحات المواصفات القياسية العربية» شاملاً لما ينبغي معرفته في حقل الوحدات القياسية في كل الفروع العلمية.

خلال العشر سنوات الأخيرة لا يبدو أن الاهتمام تركز على انتاج وتنسيق المعاجم الخاصة بالعلوم الصحيحة. وتعليل ذلك أن مؤتمر التعريب (١٩٧٣) أقرّ المعاجم في هذه المواد لفائدة التعليم الثانوي، واستمر مؤتمر طرابلس (١٩٧٧) على هذا المنوال، إذ وافق على عدد من معاجم التعليم العالي في المواد العلمية. فخلال المدة المتراوحة بين ١٩٨٠ و١٩٩٠، لم ينشر المكتب على صفحات مجلته سوى سبعة معاجم (وتوائم مصطلحات) أعد منها اثنان فقط، وتناولت علم المحجرات والتاريخ الطبيعي، وميكانيكا الموائع، وعلم توازن القوى، والطاقة النووية، والكيمياء، والطب الاشعاعي، وأسس علم الجيو ـ كيمياء، وكلها مواد تخصصية تجاوزت فترة الدراسة إلى البحث.

هذه المعاجم كلها بلغتين (انكليزي وعربي) إلا معجم واحد بثلاث لغات[٣٠٧].

٩ ـ معاجم العلوم الطبيعية

في هذه العلوم «ليس التطور الذي أصاب العلوم الطبيعية متوقفاً على انتقال العلم اليوناني وغيره إلى اللغة العربية بل إنه محصلة كبرى نتجت من استخدام الطريقة العلمية والتراث العلمي العربي القديم وما ورد في القرآن والأحاديث النبوية الشريفة من توجيهات، أوصت بطلب العلم وتكريم العلماء، اضافة إلى ما ورثه العرب من الحضارات العربية القديمة، وما نقلوه من تراث علمي أجنبي يوناني وهندي وفارسي، وما أفاضت به العبقرية العربية من انجازات وابداعات تثبت قدرة العالم العربي على تمثيل جميع العلوم واستيعابها بسرعة والسعي الدائب إلى تطويرها»[٣٠٨].

وإذا كانت العلوم الصحيحة تنضوي تحت راية الدقة والعدد والقياس، فإن العلوم الطبيعية ترتبط بها في مجال استعمال القياس والآلة، والإفادة من معطيات تلك العلوم المشتملة ـ كما هو معلوم ـ على الرياضيات والفيزياء والكيمياء، المسماة أحياناً بعلوم الطبيعة. ومن هذه الوجهة لا يمكن الخلط بين العلوم الطبيعية وعلم الطبيعة التي تجمع بين الفيزياء والكيمياء خاصة، هذا على الأقل بالمدلول الأصلي لهذه التسميات. وينبغي في هذا المقصد اعتبار متشعباتها وما تفرع عنها منفردة أو مشتركة من اختصاصات تتجه أكثر فأكثر إلى أن تصير هي أيضاً علوماً قائمة بذاتها، وفي خصوص تضمينها في اللغة العربية العلمية، ينبغي طبعاً الانطلاق من وضع المصطلحات الأساسية ثم جمعها في المعاجم النوعية. فمثلاً ارتبطت قضية مصطلحات الألوان بفصول الصرف المخصصة لاسم اللون الذي كان موضوعاً تطرقت

---

(٣٠٧) انظر: **اللسان العربي**: (١٩٧٩)؛ (١٩٨٠)؛ (١٩٨٢)، ج ٢، و(١٩٨٧).

(٣٠٨) ياسين خليل، **العلوم الطبيعية عند العرب** (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠)، مقدمة الكتاب، ص ١٥.

إلى تحليله اللغـات الساميّـة، ومن جملتها اللغـة العربيـة[309]. وارتبـطت صفـة اللون بصيغـة المبالغة حتى ان ما كان من علائق بين هذين العنصرين صار وثيقاً. وكان هـذا الأمر واضحـاً في الآرامية والعبرية حيث يضاعف الحرفان الأصليان الأخيران. إن أسـماء الألوان في العـربية من المصادر على وزن فُعْلَة في حالة الرفع. وهي تشكّل العنصر المجرد الأوحـد في الاصطلاح اللوني[310]. ويبدو أن للون الأحمر مفردات هامة، وربما تضمن أتم قائمة في سلسلة الألـوان. وبتطور مدلـولات الأوزان الصرفية، عـوضت أكثر فـأكثر أسـماء الفاعـل (مثلاً فـاقع) صيغـة المبالغة، لأنها تؤكد بصورة أقوى حيوية التلونات الدقيقة. أمـا على الصعيـد المعجمي، فيبدو أن سلسلة الألوان تربو على ٤٠٠ خاصة بـالألوان الأسـاسية (مقـابل ٣٠ إلى ٤٠ في اللغـات الأخرى). لكن الصعوبات بيّنة إذا أردنا تعريف كل تلك التموجات اللونية. لكن بالرجـوع إلى القواميس القديمة، يمكن وضع المعجم الخاص بالألوان، كما فعل الخبراء بالمكتب (عربي - فرنسي، ٣٨٤ لفظة)[311]. وينبغي طبعاً اعتماد قواعد وضع الألفاظ الدالة على الألوان: فَعَـل (حَلَك)، فُعْلَة (صُفْـرَة)، إِفْعِـلال (اخْضِرَار)، أَفْعَـل (أَحْمَـر)، فَعْلَلَة (بَـرْقَشَـة)، فُعَـالي (فُقَاعِي)، مُفَعَّل (مُرَقَّط)، مُفَعْلَل (مُبَرْقَع)[312]. وأضيف إلى هذا المعجم بعد شكل كلماتـه، المقابلات الانكليزية (٣٥٠ كلمة)[313].

وعلماً بـأن هناك ارتبـاطاً بـين معجم علم طبقات الأرض ومعجم النفط، نـظراً إلى أن الأبحـاث الأرضية تمكن من كشف المعـادن والنفط الذي يشكـل مـادة حسـاسـة في الأقـطار العربية تستوجب إعداد معجم خاص يتضمن المقابلات العربية للمفاهيم التقنيـة والعلمية في مادة النفط، اتضح أن إطار معجم المعاني قـابل لـوضع معيجـمات فرعيـة منها مـا هو خـاص بالمعادن فرنسي - عربي يضاف إليه الشكل والمقابلات الانكليزية، ترقباً لجمع الألفاظ بالفقـرة المعجميـة نفسها[314]. وكتـوطئة قـامت كلية العلوم بـدمشق بوضـع مفردات في علم طبقـات الأرض (فرنسي - عربي، وإنكليزي - عربي)، وكذلك كلية الزراعة بجامعـة عين شمس التي رغبت منذ ١٩٦٨ في مشاركة المكتب في القيام بأعمال معجمية عدة، خاصة وأن كلية الهندسة بتلك الجامعة وضعت مـا يقرب من ٣٠٠٠ لفـظة في اللاسلكي[315]. أمـا بخصوص النفط،

---

(٣٠٩) انـظر: عبد الكـريم خليفة، «الألـوان في معجم العربيـة،» مجلة مجمع اللغـة العـربيـة الأردني، السنة ١١، العدد ٣٣ (تموز/ يوليو- كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٧)، ص ٩ - ٤٤.

(٣١٠) عبـد العزيـز بنعبد الله، «معجم الألـوان،» اللسان العـربي، السنة ١٠ (كـانون الثـاني/ ينـاير ١٩٧٣)، ج ٣، ص ٢٧٦.

(٣١١) المصدر نفسه.

(٣١٢) المصدر نفسه.

(٣١٣) المصدر نفسه.

(٣١٤) «معجم الأحجار والمعادن والفلزات،» اللسان العربي، السنـة ٧ (كانـون الثاني/ ينـاير ١٩٧٠)، ج ٢، ص ٣٠٩.

(٣١٥) «مصطلحات علم الجيولوجيا،» اللسان العربي (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٤٤١، وعمر الجارم، «مصطلحات الأمراض النفسية والعقلية،» اللسـان العربي(كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٤٥٠.

فإن أغلب الكلمات الاصطلاحية من أصل انكليزي. ولذا، قرر مجمع بغداد وضع قائمة مماثلة بالعربية، وكان ذلك منذ ١٩٥٦. لكن لم توجد مقابلات عربية نوعية تعادل مثيلاتها الانكليزية. فوضع المجمع المذكور مفردات تدل على التكرير والتنقيب والانتاج اللفظي وأحالها على المجامع الأخرى[٣١٦]. وكان قرار الجامعة (مذكرة رقم ٤٣٠، ٢٥/١/١٩٦٩) حاسماً لتعريب هذا الفرع العلمي[٣١٧]، وذلك بعد أن عزم مجلسها الاقتصادي على توحيد الفاظ النفط بأن توجه القوائم إلى الأقطار العربية ثم ينظر فيها الخبراء وتنسق بمشاركة المكتب. وشمل العلم الاقتصادي البحث في ثلاثة قطاعات: القطاع الاقتصادي، وقطاع الانتاج، وقطاع التصنيع. وشارك في هذه المهمة أقطار عدة هي: ليبيا، السودان، مصر، الكويت، لبنان، العربية السعودية، العراق. والملاحظ أن الشركة العربية ـ الأمريكية للنفط (أرامكو) كلفت قسم الترجمة بها بإعداد معجم انكليزي ـ عربي للألفاظ المالية[٣١٨] الخاصة بالعمليات النفطية وراجعه المكتب.

واستمرت الجامعة في النهوض بهذه القضية الاصطلاحية، فوجهت إلى تلك الأقطار (رسالة في ٢٧/١١/١٩٦٩) جدولاً بالألفاظ المستخدمة في صناعة النفط، طالبة منها المساهمة في العمل التنسيقي بمشاركة ادارة شؤون النفط بها والمكتب، وبذلك يتاح لكل قطر التعرّض لتجربته في هذا الميدان والمشاركة في بلورة معجم النفط[٣١٩]. وقد تكفلت بذلك بعد مدة منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول. وتم لدى الخبراء العمل على اضافة اللغة الفرنسية إلى المعجم المذكور، وأعدّ معجم تكميلي لمراجعة الألفاظ، وساعد على بلوغ الهدف المعهد الفرنسي للنفط، الذي سبق له أن نشر قاموساً تقنياً لصناعة النفط[٣٢٠]. كما طبعت في ١٩٧٣ شركة آرامكو قائمة لها قيمة المعجم (٩٨٢٨ لفظة)، تحددت مصطلحاته إلى ٩٦٠٠ نهائياً، فكانت في الواقع الطبعة الثانية، التي اتسع حجمها إلى مناحي النشاطات النفطية، من مواصلات وبرامج خطية وتقنية النظامات وشؤون احيائية، ومصطلحات أرضية. ويمكن القول بوجه الإجمال إن معجم الشركة لا يقل اتقاناً عن المعاجم التي أعدتها الجهات الأخرى، وهو يكون بالإضافة إلى معجم المكتب حصيلة واسعة من مصطلحات هذا العلم[٣٢١]. لكنه يستعمل للدلالة على موضوعه كلمة بترول في حين أن كلمة نفط فصيحة

---

(٣١٦) «معجم مصطلحات المجمع العلمي العراقي،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (بغداد)، السنة ٤ (١٩٥٦)، ص ٦٥١، والمجمع العلمي العراقي، «مصطلحات صناعة النفط،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (بغداد)، السنة ٥ (١٩٥٨)، ص ٢٠١.

(٣١٧) انظر: أحمد سليم سعيدان، «في سبيل تعريب التعليم الجامعي في العلوم الطبيعية،» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ٢، العددان ٥ ـ ٦ (أيار/ مايو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٩)، ص ٣٠ ـ ٤٢.

(٣١٨) المكتب: رسالة في ١٩/٣/١٩٧٢، ورسالة رقم ٢٨٣، ١٢/ ٤/١٩٨٢.

(٣١٩) **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ٢، ص ٩٨.

(٣٢٠) المكتب، رسالة رقم ٨٧٨٣، ٢٩/٤/١٩٧٠.

(٣٢١) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ٢، ص ٣٨٣.

قديمة شائعة. وقد عمد المكتب لإعداد معجمه النفطي إلى تقسيم أبوابه إلى القطاعات الثلاثة المذكورة، فحصل على ١١٦٥ لفظة بثلاث لغات، اضافة إلى ٢٦٣٩ لفظة ضمّها المعجم الملحق. والتردّد تركز على الاختيار بين بترول ونفط (وهي كما أسلفنا كلمة عربية فصيحة من بابل، يقال إنها نَبْتو). ويمكن تسمية الأخصائي في هذه الصناعة (نفّاط) قياساً على زيّات وسمّان. ووقع الخوض أيضاً في مقابل كلمة (Réservoir)، فقيل احتياطي واحتياطي النفط، وهي عبارة تقابل في الواقع مخزون النفط. وقيل صهريج ومكمن وكمين، فكانت كلها مفردات متفرقة في منشورات خاصة بصناعة النفط. وآخر ما ذكره في هذا الموضوع خزين (فَعِيل) الدال في آن واحد على اسم الفاعل واسم المفعول في بعض الصور، ويجمع على أفعلة أخزنة[٣٢٢]. لكن التغافل عن تدقيق مثل هذه الأسماء يسيء إلى صناعة تزايد تشعب قضاياها اليوم.

لا شك في الفائدة التدريسية المترتبة على الربط بين دراسة الآثار والتاريخ والجغرافيا في وحدة تربوية منسجمة متناسقة الحلقات. وعلى هذا الأساس وضعت المعاجم التاريخية الجغرافية انطلاقاً من القطر، كما وقع في بلدان عدة، كأن يصنف المعجم عن احداث المغرب مثلاً، ويتصل بذلك أسماء الأشخاص والأماكن المرتبة[٣٢٣]، فيتدخل عامل الآثار والجغرافيا في هذا العمل، ويمكن بلوغ ذلك بمساعدة الموسوعات والقواميس القديمة والحديثة وقوائم المجامع[٣٢٤]. وتعريب مثل هذه المواد يكتسي أهمية خاصة شعرت بها المؤسسات اللغوية، فقدمتها على تعريب التدريس في العلوم الاجتماعية والانسانية. وقد ثبت ذلك لدى الأساتذة والمختصين، وأوضحوا موقفهم من هذه القضية في الاستفتاء الذي نظّم سنة ١٩٦٦، الذي تحدثنا عنه في المقدمة. لقد برزت تلك الحقيقة التي لم تعد في حاجة إلى أدلة ووسائل إقناع، والمتمثلة في أن العلوم التي تكون في حاجة إلى تقنيات خاصة يسبق تعريبها على المواد التي يقتصر فيها على الوثائق المكتوبة، كما هو الشأن مثلاً في مادة الفلسفة، بخلاف التاريخ والجغرافيا اللتين تشكلان مبحثاً يستخدم مساعدات تعليمية كالخرائط والوثائق المصوّرة والأشرطة وحتى التساجيل (مواقف تمثيلية توحي بعدة أحداث تاريخية) هي الآن موجودة ومسوقة بلغات أخرى غير العربية، وهي لحاجة المدرسين إليها، تحتم استغلالها بلغاتها الأصلية. وقد درس المؤتمر العربي للجغرافيا سنة ١٩٦٢ قضية تعريب ووضع الألفاظ لهذه المادة رغم اعتبارها تابعة للعلوم الانسانية[٣٢٥]. خاصة وأن القضية معروفة منذ العصور

(٣٢٢) فاضل، «ما هو المكتب الدائم؟» ج ٣، ص ٥.

(٣٢٣) عبد العزيز الدوري، كتابة التاريخ عند العرب: **الفكرة والمنهج**، الموسم الثقافي الخامس لمجمع اللغة العربية الأردني (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٧)، ص ٧١ ـ ٩٥. انظر أيضاً: توفيق سلطان اليزبكي، «قائمة مصطلحات تاريخ القرون الوسطى،» **اللسان العربي**، العدد ١٧ (١٩٧٩)، ج ٢، ص ٣١٥ ـ ٣١٧.

(٣٢٤) بن العربي، «معجم المعاني العربية المؤلفة خلال مائة عام، ١٨٦٩ ـ ١٩٦٩،» ج ٢، ص ١٨٠.

(٣٢٥) انظر: محمد المنجي الصيادي، «قائمة مصطلحات الجغرافيا للمدارس الثانوية المستعملة بالقطر التونسي (انكليزي ـ فرنسي ـ عربي)،» **اللسان العربي**، العدد ١٧ (١٩٧٩)، ج ٢، ص ٣١١ ـ ٣٢٥.

القديمة حيث كان علماء الجغرافيا من علماء اللغة أيضاً، ولم تكن هذه المادة تتطلب مثل هذه الوسائل المساعدة التوضيحية التي ذكرنا. فلم تستخدم علوماً أخرى متعددة بل كانت علماً وأشاعها المترجمون والجوّالون وكتّاب الرحلات، لكنها انسجمت في إطار لغوي عربي وأفادت من الأبحاث والتدوين الذي شمل اللغة العربية عامة[٣٢٦]. وبذلك كانت الجغرافيا علماً قديماً معرباً، فلقد «فازت ظاهرة التعريب الجغرافي باهتمام وجهد مبكّر من المسؤولين المتخصصين والمختصين في عدد من الأقطار العربية، لأن مشكلة التعريب في أقسام وشُعَب علم الجغرافيا متعددة الأطراف وبعيدة الجوانب»[٣٢٧]، بفضل ما حدث من تفاعل بين العلوم العربية والعلوم الأعجمية[٣٢٨]. وقد ثبت عودها فعلاً كرمز عن الشمول ورفض للتخصص والاستثناء، وسط هذه التداخلات وامتزاج المعارف من كل قبيل، التي كانت بغداد محوراً له في فترة منتصف القرن التاسع[٣٢٩]. وبفضل بروز لغة مشتركة متلوّنة، عبّر علم الجغرافيا عن أدبه بحرية نسبية في التراكيب واللغة، مع الحفاظ على بنى الفصحى. أما بخصوص المصطلحات الجغرافية، فقد استوحى الجغرافيون العرب معارفهم من كتب بطليموس، لكنهم لم يخضعوا للمعرفة الكتبية وحدها للتعرّف على العالم واكتشاف مجاهله، خاصة وأنها كانت معرفة محدودة قاصرة جداً، بل إنهم اتجهوا مباشرة إلى البلاد المختلفة، يرحلون إليها بصورة مباشرة، فلاحظوا ودوّنوا الألفاظ الأعجمية، ووزنوا المفردات الجغرافية العربية. أما اليوم فاستعجال الطلبات التدريسية حتّمت اختصار الطريق، والمبادرة بوضع المعاجم في هذه المادة ومتفرعاتها. وصار توليد الألفاظ متجاوزاً لما يمكن إحياؤه من مفردات شاعت في العصور السالفة، ذلك أن الاتجاه اليوم إلى اضفاء التعليل العلمي المركز على الأحداث الطبيعية عمل على ابتكار لغة جغرافية جديدة، كما لوحظ أن تلك اللغة القديمة جمعت في الواقع وبالمقاييس المعاصرة جملة من المفردات من النوع العجيب الذي يبعث على الاستغراب وتفسير الأمور بمهاترات سحرية غامضة، فلم تعامل لذلك تلك اللغة إلّا بنظرة تاريخية لأنها لا تواكب قطعاً المقاييس العلمية الحديثة في محاولة فهم الأحداث الجغرافية وتعليلها. ومع ذلك عند صلاح بعض كلماتها، قد وقع تبنيها، وإلّا فقد عربت عدة ألفاظ، وعملت الترجمة على انتقاء أصلحها: (Hinterland) حوز أو ظهير، مَحْل(= Magma) وصار عسيراً الآن التخلي عن كلمات شاعت ورسخت مثل الدلتا، أرخبيل، أطلس، بركان. ووضعت غيرها واتسع في معانيها الاصطلاحية التي عرفت بها في الماضي: انكسار، صقيع، اضافة إلى المترادفات الكثيرة التي خصصت للظواهر الطبيعية، فمثلاً كان للسحاب عشرون اسماً هي في الحقيقة صفات تريد الإحاطة بتقلباته. ذلك أن مثل هذه

---

(٣٢٦) André Miquel, *La Géographie humaine du monde musulman jusqu'au milieu du XIe siècle* (Paris; La Haye: Mouton, 1967), pp. 24, 339 et 358.

(٣٢٧) أحمد رمضان شقلية، «التعليم الجغرافي الجامعي،» اللسان العربي، العدد ٢٧ (١٩٨٦)، ص ١١٧.

(٣٢٨) «نشاط المجامع والمكتب الدائم للتعريب،» اللسان العربي، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٤٥٥.

(٣٢٩) ديتريش، «دور العرب في تطور العلوم الطبيعية،» ص ١٠٢ ـ ١٠٤.

الكلمات موجودة بالآلاف وتعتبر من المترادفات. لكن هل يمكن اعتبارها ألفاظاً تتضمن معنى نوعياً أو أنها متقاربة من وجهة الدلالة غامضة المعنى؟ ويضاف إلى ذلك التسميات العامية الخاصة بالرياح والجبال، وهي خاصة بكل قطر عربي، وفي الامكان تعميمها لنوعيتها الدلالية (حمادة، فقّارة في موريتانيا). وبذلك يمكن القول إن الجغرافيا أيضاً لم تسلم من الفوضى الاصطلاحية. من ذلك أنه يقابل كلمة (Structure) خمس مفردات على الأقل: بنية، تكوين، تشكيل، تركيب، بناء. فصار مفيداً في هذه الصورة العمل على نشر لفظ أجنبي واحد، خاصة وأن مؤتمر ١٩٧٧ وافق بالنسبة إلى التعليم الثانوي العام والعالي على قوائم اصطلاحية في الجغرافيا والفلك منسقة ينبغي استخدامها للتدليل على نجاعة مثل هذه اللقاءات العلمية التي لم يعوزها في الماضي إلّا مبدأ التنفيذ الفوري لما تقرره[٣٣٠]. وصنع الخرائط يجسم الحياة الطبيعية الجغرافية، فصارت بذلك الخرائطية علماً قائم الذات تشكلت من أجله سنة ١٩٦٠، الجمعية الخرائطية الدولية. وقد نظرت في مشروع نشر معجم متعدد اللغات (انكليزي، فرنسي، روسي، الماني، ايطالي، اسباني). وكان الاقتراح أن تضاف العربية أيضاً وأن يقوم المغرب بهذا العمل اللاحق، يشارك فيه المكتب[٣٣١] بتوليد اللفظة الخرائطية العربية. وقد أفاد رئيس الجمعية بالفراغ من هذا العمل (في ١٩٧٢/٦/٩). وتتمثل منهجية البحث لوضع المصطلحات الخرائطية العربية على ما وضع من ألفاظ فرنسية واسبانية (لغتا العمل بالمغرب)، ثم الكلمات الانكليزية، وأخيراً المفردات الالمانية، وذلك طبق ما يجدّ من نقائص في إحدى هذه اللغات. وقد تبيّن أن اللغة الالمانية بصفتها اللغة الأساسية في المعجم الخرائطي قد سدت هذا النقص الموجود في اللغات الثلاث الأخرى. فصنف في الواقع معجم الماني عربي، وعند الاقتضاء أضيفت الألفاظ الفرنسية الاسبانية، ثم الاسبانية والانكليزية. وطبعاً يخضع هذا الانتاج المعجمي للعمل النقدي كبقية المشاريع الأخرى[٣٣٢].

وما يتصل بالطبيعة يشمل ويؤثر في وضع الانسان الحياتي، وذلك هو موضوع الصحة وعلم الصحة الذي خصص له مؤتمر ١٩٧٧ معجماً للتعليم العام، وكأن ذلك المعجم تمهيد لدراسة الطب والعلاج المعروف قديماً عند العرب. وقد اقتبس من المؤلفات اليونانية زاده الأول، فنما الطب العربي وتطور مع العلوم الأخرى. وبالعودة إلى قانون ابن سينا (٣٧٠/٩٨٠ - ٤٢٦/١٠٣٧)، وقصيدته في الطب (قد نشرت هذه الأرجوزة جامعة الجزائر سنة ١٩٥٦) الذي تضمّن أكثر من ١٣٠٠ بيت، وتضمّن عدداً كبيراً من المصطلحات

(٣٣٠) ادريس بن الحسن العلمي، «الجديد من المستدرك في التعريب،» اللسان العربي، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٤٧٩ و٥١٨.

(٣٣١) «معجم المصطلحات التقنية الأخراطية متعدد اللغات،» اللسان العربي، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ٢، ص ١٢٣.

(٣٣٢) أحمد شوكت الشطي، «العربية لغة خلدها القرآن،» اللسان العربي، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ١٨٦.

الطبية[٣٣٣]، يمكن التدليل على ما بلغه الطب العربي في الماضي من تقدم، وكيف شملت اللغة العربية في ذلك العصر ما وضع من ألفاظ طبية جديدة. كان ابن سينا يشير بالعلاج و«تمارين» بدنية، والاستحمام، والتدليك، والمعالجة بالماء البارد، فصارت تلك النصائح علاجات «حديثة» اليوم[٣٣٤]. وروي أن المستشفيات في قرطبة تجاوز عددها ما وجد منها في بغداد، في أواسط القرن الرابع الهجري. ومن ألّف في الطب العربي لا بد أن يلاحظ أن هذا العلم تدهورت حاله في القرن التاسع بالأندلس. إذ إن ابن سينا قد توفي في أواسط ذلك القرن، وقد بلغ تأثيره حتى الأندلس، كما بلغ علم أبي الريحان البيروني وأبي القاسم. وتوجد مخطوطات كثيرة لهؤلاء العلماء بخزينة الأسكوريال. وبعد قرون من ذلك، نجد مدرسة الطب بمصر تستأنف النشاط بقصر العيني، بفضل ما كان لها من مترجمين، فأشرفت على إعداد مؤلفات كثيرة جداً نقلت إلى العربية، وكذلك كان في الجامعة الأمريكية في بيروت، وجامعة دمشق التي فرضت مصطلحات طبية بقيت منتشرة إلى الآن. ولم يقع التفكير في وضع المعجم الطبي العربي إلاّ منذ فترة حديثة جداً. فقد التأم المؤتمر الطبي العربي في بغداد سنة ١٩٦٣، وقرر توحيد المصطلحات الطبية. وعملت مجلة المكتب والمجلات المجمعية على نشر القوائم المتصلة بالطب ضمن المعجم العلمي العام الذي لن ينشر إلاّ بعد أن يتم انجاز مختلف المعاجم الفرعية (انكليزي - عربي)، وكذلك ما أشاعته وزارة الصحة المصرية من مفردات لعلم الصحة والوقاية الاجتماعية. وقد رتبت تلك المواد[٣٣٥] واشتقت كلماتها على وزن افتعال وافتعلال، لكونهما يدلاّن على ما يصيب الجسم من التهابات (اكتباد من كبد، اشتريان من شريان). وتبين أن أعضاء الجسم تتكيف أسماؤها بمثل هذه الأوزان. فوزن افتعلال خاص بالصيغ الرباعية أو الصيغ التي لا يسمح أصلها بوزنها على افتعال (كما كان في كلمة شريان)، وتلك قاعدة من القواعد التي أقرّها مجمع القاهرة في الاشتقاق. ولوزن افتعلال فوائد في صور معينة تمكن من تحسين مردوده الصرفي، وتحدد بذلك حجم المشتقات الواسع الخاص بوزن افتعال. وقد طورت هذه المقترحات وأتاحت الكشف عن حلول عدة تنسيقاً للعمل القائم بين المختصين في العلوم الطبية المتكاملة.

يجب القول إن العمل الاصطلاحي في المجال الطبي قد اتسع واتخذ أبعاداً جديدة في السنين الأخيرة نظراً إلى تأثير النشاط الطبي في التنمية الاجتماعية والمردود الاقتصادي. وفضلاً عن ذلك فاعتماد التراث محفز كبير للتقدم في هذا المضمار[٣٣٦].

---

(٣٣٣) محمود الجليلي، «صيغ المصطلحات الطبية العلمية،» **مجلة المجمع العلمي العراقي**، السنة ٣٤ (تموز/ يوليو ١٩٨٣)، ج ٣، ص ٥١ - ٨٥.

(٣٣٤) المصدر نفسه، و«المعجم السياحي،» **اللسان العربي**، السنة ٤ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٦)، ص ٢٥٤.

(٣٣٥) *The New Medical Pharmaceutical Dictionary* (Cairo: [n. p.], 1970).

(٣٣٦) سامي خلف حمادنة، **بين العبادي والرازي في تاريخ العلوم الطبية ومصطلحاتها**، الموسم الثقافي الثالث لمجمع اللغة العربية الأردني (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٥). وبصفة أعم انظر: عبد =

وتوّجت تلك الجهود بما قام به المجمع العلمي العراقي الذي حقق عملاً هاماً تمثل في انتاج **المعجم الطبي الموحد**(٣٣٧) (انكليزي ـ عربي، الطبعة الثانية، ١٩٧٨). إن اتحاد الأطباء العرب هو الذي أشرف على هذا العمل منذ أن كلف سنة ١٩٦٦ لجنة بتوحيد المصطلحات الطبية. «على أن اللجنة وجدت نفسها تجاه فيض من الألفاظ المترادفة للمعنى الواحد وعديد من الألفاظ الدخيلة الأعجمية البناء، وواجهها كذلك تعدد المعاني للفظ الواحد في المعاجم العربية»(٣٣٨)، فرتّبت لنفسها خطة وجيهة، فلم تتخذ إلّا كلمة عربية واحدة مقابل التعبير الأجنبي، وأضافت ما شاع من كلمات عربية، كما اختارت المعنى الواحد من بين معان عدة، وتخلّت عن الكلمات المعربة، واستخدمت كل سابقة أو لاحقة متفق عليها من قبل، وقاست على الأوزان العربية المعروفة(٣٣٩). وعلى هذا الأساس من التوحيد بين ألفاظ اللغة الطبية، ينبغي أيضاً توحيد جهود أهل الاختصاص بناء على ما بينها من تكامل صناعي. فمثلاً كان عالم التشريح لا تشغله المواد الطبية الأخرى التي تزيد في معارفه، فلم يجد دافعاً إلى ترجمة ألفاظ مادته(٣٤٠). ولذلك، كان لازماً توحيد المصطلحات الطبية العربية وتبويبها في أبواب: الألفاظ الواجب ترجمتها كاملة (os = عظم)، وقد تجاوزنا هذه المرحلة، لأن اللغة القديمة لم تعرف علم الحياة، لكن تمّ الآن جرد آلاف الكلمات من هذا العلم (٤٣٠٠ جردها المكتب للتعليم) ونظرت فيها المؤسسات المعنية قبل توحيدها(٣٤١)، لأن المسألة تعني علم الحياة كما تعني علم الأحياء الدقيقة. وقد نحتت آلاف الكلمات الأجنبية لهذا الغرض، وكذلك كان في الجراحة وعلم وظائف الأعضاء. كانت الترجمة مفيدة لأنها شملت أسماء الأعضاء في علم التشريح.

= العزيز بنعبد الله، «تاريخ التراث الطبي الاسلامي بالمغرب،» **اللسان العربي**، العدد ١٩ (١٩٨٢)، ج ١، ص ٢٠٦ ـ ٢١٣.

(٣٣٧) انظر: صادق الهلالي، «ملاحظات حول المعجم الطبي الموحد،» **اللسان العربي**، العدد ٢٣ (١٩٨٤)، ص ٧٦ ـ ٨١، «منهجية وضع المصطلحات العربية في القاموس الطبي الموحد». الملاحظ أن الاتحاد الطبي العربي نسّق جهوده مع منظمة الصحة العالمية وصنف معجماً يعرف الآن بـ **المعجم الطبي الموحد (انكليزي ـ عربي ـ فرنسي)**، ط ٣ مزيدة ومنقحة (سويسرا: [د. ن.]، ١٩٨٣)، ص ٧٩.

(٣٣٨) اتحاد الأطباء العرب، **المعجم الطبي الموحد: انكليزي ـ عربي**، ط ٢ (بغداد: [الاتحاد]، ١٩٧٨).

(٣٣٩) «السوابق واللواحق، اقتراحات اتحاد الأطباء العرب،» **اللسان العربي**، العدد ٢٤ (١٩٨٥)، ص ١٨٩ ـ ٢٠١.

(٣٤٠) انظر: محمد هيثم الخياط، **تعريب العلوم الطبية**، الموسم الثقافي الثاني لمجمع اللغة العربية الأردني (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٤). وأيضاً: حسني سبح، «تعريب علوم الطب،» **اللسان العربي**، العدد ٢٧ (١٩٨٦)، ص ٢١ ـ ٣٠، و«منهجية وضع المصطلحات الطبية،» **اللسان العربي**، العدد ٢٧ (١٩٨٦)، ص ٩٣ ـ ١٠٤. هذا التوجه التعريبي الطبي لا زال متأكداً، فقد أكد مؤتمر المجمع (القاهرة) الأمر، إذ رحّب بقرار مؤتمر الطب العربي بأن يكون عام ١٩٨٨ سنة يشرع فيها تدريس هذه المادة باللغة العربية في كافة الجامعات العربية، على أن يتحقق التعريب الطبي في مدة لا تتجاوز عقداً. انظر: **اللسان العربي**، العدد ٣١ (١٩٨٨)، ص ٢٠٩.

(٣٤١) حبيب صادر، «لغتنا في خدمة الطب والعلم،» **اللسان العربي**، السنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٧)، ص ٢٠٦ ـ ٢١٤.

ويمكن أن تقبل ألفاظ أخرى شرحاً جزئياً؛ فمثلاً في كلمة (Ostite, Ostéite)، يوجد لاحقة تشير إلى الالتهاب، فوجب إذاً استخدام الاشتقاق كوسيلة لتوليد الألفاظ. وربما قيل إنه يوجد بالعربية سلسلة من الكلمات لا تقبل الترجمة، لكن ابن سينا ولّد ما أمكن، مثلاً شهيق وزفير.

والبداية تكون بالبحث عن اللفظة التقريبية، ثم يمكن الدلالة على اللفظ المنشود. وإلاّ فكيف نفسّر ما أنجز لحد الآن في هذا الميدان بالذات؟ واقتباساً عن مراجع دولية مثل ما دوّن في علم التشريح وانطلاقاً من اللغة اللاتينية، وتضمن معجم التشريح بذلك خمس لغات، اضافة إلى اللغة السابقة (لاتيني، عربي، اسباني، انكليزي، فرنسي)[٣٤٢]. وبالطبع فلم يخل هذا المعجم من مآخذ كغيره من المنجزات المعجمية العلمية الجديدة على العربية. فقد لوحظ أن القسم اللاتيني والعربي متطابقان، في حين أن اللغات الأخرى أضافت ألفاظاً إلى الأصل اللاتيني. ثم إن ما ورد من مصطلحات فيه هو دون ما شاع منها في العالم. والأهم من ذلك تيسير استعماله بفهرسة ألفاظه حسب كل لغة. أما تداوله في الكليات الطبية، فقد عربت كليات معينة تدريسها الطبي، وينبغي أن نحدد «إلى أي مدى تتجاوب هذه المصطلحات التشريحية مع تعريبات الكليات الطبية نفسها في مختلف الأقطار العربية». وهنا أيضاً وجب نشر ما اتفق عليه من مصطلحات طبية على صعيد كل قطر، ومقارنة ما جدَّ في الأقطار العربية الأخرى بذلك الزاد الطبي، ثم العمل على التوفيق بين كل القوائم المعمول بها بغية توحيد المفاهيم الطبية. وكذلك في خصوص مادة الدراسة في موضوع الدم والعظام، أدرج الموضوع في معجم المعاني، فنشر **معجم العظام**[٣٤٣] (١٦٥٢ لفظة)، **ومعجم الدم** (١٤٣٣ كلمة)، وكان ذلك للمرة الأولى في العالم العربي. ويبدو أن ألفاظاً خاصة بالدم أغفلت، مع بلورة ما ورد من شروح وتحديثها. وكذلك الأمر في **معجم العظام**، قلة في المصطلحات المتخصصة وكثرة في الألفاظ غير المرتبطة بالمادة، والملاحظ أنه لا يمكن الإفراط في اتخاذ الألفاظ القديمة قاعدة راسخة في وضع المعاجم الحديثة، لأن كثيراً من تلك الكلمات صار ينافي المفاهيم العلمية الحديثة[٣٤٤]. يضاف إلى ذلك ما يحصل من فروق في المدلولات الانكليزية والفرنسية، حتى ان نجاعة التعريب صارت تقتضي «الانطلاق من مفهوم علمي انساني شامل لا يتأثر لا بالفكر الغربي ولا بالفكر الشرقي، لأن مجال العلم واحد وهو انساني المبنى والمعنى»[٣٤٥]. ويفيد وضع المعاجم المصورة تجسيداً للعظام وأشكالها وما يطرأ عليها.

ويتعسّر الأمر لما يتسع تخصص المادة الطبية، فمثلاً، تقتضي الضرورة تعريب كلمات شائعة (Quinine, Cocaïne) ويستحسن مراجعة الوسائل المستعملة في توليد اللغة الطبية،

---

(٣٤٢) حسني سبح، «حول معجم المصطلحات الطبية،» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**، السنة ٣٤ (كانون الثاني/ يناير ١٩٥٩)، ص ٨٨.

(٣٤٣) **اللسان العربي**، السنة ٩ (١٩٧٢)، ص ٣٨٧.

(٣٤٤) «تعقيب على مصطلحات التشريح،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ص ٣٤٥.

(٣٤٥) *Hitti's Medical Dictionary* (Beirut: [n. pb.], 1972).

وسيتبين لنا أن الترجمة مهملة، في حين أنه يمكن العمل بكلمات قديمة بعد التحري في مطابقتها للمدلولات الطبية الحديثة. من ذلك أن المميزات المتفوقة في علم الوراثة(٣٤٦) نقلت إلى العربية بثلاث ألفاظ جديدة لم تقدر على تعويض المصطلح القديم (السمات المتعاندة)، وكذلك الأمر بالنسبة إلى عملية قيصرية التي عرفت قديماً بكلمة حشأة (على وزن فَعَلَة) الدالة بالتدقيق على المفهوم. ويمكن أن يمدنا المصدر بمشتقات وأوزان من شأنها أن تحل بعض الصعوبات الخاصة باللواحق اليونانية اللاتينية. فمثلاً اللاحقة Tomie تعبر عن فكرة العمل الجراحي، ويمكن نقلها إلى مصدر على وزن فَعْل (مَعْد Gastrectomie). والملاحظ أن التوسع في الدلالة يرتبط دون شك بالسياق (يعني مَعْد أيضاً اقتلاع الرمح كما أن عَصْب Neurotomie يعني لف الرأس بغطاء). لكن من واجبنا استغلال كل المعاني التي تعبر عنها الأوزان: مثلاً في صورة بتر أحد الأعضاء وابتغاء التعبير عن المبالغة بفضل المصدر، يكون بواسطة وزن تِفْعَال (تِمْعَاد = Gastrectomie)، وهو وزن قياسي شائع يعوّض جملة عربية تعني اجراء عملية على المعدة. وكذلك، ينبغي العمل على احياء الألفاظ القديمة مجازاً، وذلك إنما هو حل آخر يتيح تزويدنا بمفاهيم أخرى (Embryon = مضغة، Foetus = جنين، وهي ألفاظ قرآنية)(٣٤٧). ولعله كان ينبغي اعتبار هذه المعطيات خلال ما يقترح من ترجمة معجمية، كما كان الشأن في ترجمة القاموس المتعدد اللغات (قاموس Clairville الطبي) الذي نقلته إلى العربية كلية الطب في دمشق، ونشرت لغته في التدريس الطبي(٣٤٨). واعتمدت مؤلفات معجمية أخرى كتب العهد الوسيط، للرازي وابن سينا، واستعملت تلك الكتب في جامعة Tübingen في القرن الخامس عشر، وفي جامعة Louvain في القرن السابع عشر، وفي جامعة Montpellier في القرن الثامن عشر. عالج المعجم المشار إليه بالعربية لأول مرة مقاييس الرقابة الصيدلية على الروز الحيوي (Bio-assays)، والأجساد المضادة (الأنسولين والهستماين ومضاداتها، وكذلك روائز دستور الأدوية والتسمم، وهو ما أتاح تطوير اللغة الطبية). ولنشر أيضاً إلى معجم آخر(٣٤٩) استخدم الأوزان البسيطة (فَعل وفُعَل) للأمراض وتَفَعّل للتعبير على الكثرة، وفَعّال للمبالغة، ومِفْعَل ومِفْعَال ومِفْعَلَة لتوليد أسماء الآلة، وذلك طبق القواعد المعروفة. وقد أيّد مؤلفه المعرّب إثراء للغة الطبية ويكون بمثابة الحل المعطل لخلافات الترجمات الاصطلاحية. وقد عني بالعمل بالمقررات المجمعية في خصوص وضع الألفاظ

---

(٣٤٦) انظر: محمد أحمد الشهريجي، «مصطلحات علم الوراثة والعلوم الوراثية (انكليزي - عربي)،» **اللسان العربي**، العدد ١٧ (١٩٧٩)، ج ٢، ص ٧ - ١٤٣. وقد أثار هذا العمل ملاحظات حول علم الوراثة والعلوم الوراثية ومقترح لمصطلحات علوم الوراثة. انظر: **اللسان العربي**، العدد ٢١ (١٩٨٣)، ص ١٥٩ - ١٩١.

(٣٤٧) «معجم طبي جديد: مصطلحات في أمراض الأذن والأنف والحنجرة،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ٢، ص ١١٠.

(٣٤٨) **اللسان العربي**، السنة ١٢ (١٩٧٥)، ج ٢، ص ٣٦ - ٩١.

(٣٤٩) عبد العزيز بنعبد الله، «معجم المعاني،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ٢، ص ٣٥٠.

الحديثة، مع تجنب التراكيب المزدوجة الموضوعة نحتاً[٣٥٠]. وعلى ندرتها، فإن ما يثار من حين إلى آخر لنشر القوائم الاصطلاحية في مختلف التخصصات العلمية[٣٥١]، وجمعها في معاجم متخصصة أيضاً[٣٥٢]، من مناقشات لغوية طريفة، يحمل على الظن أن تلك المطبوعات تجد صدى كبيراً ونفعاً لدى الباحثين، كما كان من تحاليل لغوية حول أصول مصطلحات طب العيون[٣٥٣]، هي عربية الأصل أم يونانيته، وما يحاط ذلك بأدلة وحجج تحاول الاقناع. ولم يغفل الحيوان والنبات في الوضع المعجمي، إذ صنف معجم للأفاعي والحيات[٣٥٤] شكلت كلماته (٢٦٩)، وأضيفت لها شروح (عربي ـ انكليزي ـ فرنسي) توضح أنواع هذه الحيوانات وأوصافها. كما وضع معجم للحشرات وأجناسها، وأسماك البحر وأسماك الأنهار والسماكة وما يتبعها (عربي فرنسي)[٣٥٥]. وقد اقتبست هذه المعاجم الأخيرة جانباً كبيراً من لغتها من القواميس الكبرى، كـ**لسان العرب** و**المعجم الوسيط** لمجمع القاهرة وقوائم المجامع. وفي الجملة، ان المجهود المجمعي في المجال الطبي استمر محاولاً تغطية أكثر ما يمكن من التخصصات الطبية المتطورة. فبين ١٩٧٩ و١٩٨٧، تسلّم المكتب من الخبراء المراسلين ١١ مشروعاً اصطلاحياً (كلها انكليزي ـ عربي) تشمل زراعة الأنسجة وعلم الوراثة والجهاز العصبي والأمراض النفسية والعصبية وعلم النفس وعلم النفس التحليلي والمهني والقياس النفسي والأمراض النسائية وأمراض العين، ومشروعاً صيدلياً واحداً في علم الأدوية[٣٥٦].

والترابط بين الحيوان والنبات والأرض وخدمتها لا يحتاج إلى أدلة، وترابط كل ذلك بحركة المياه الموجودة على سطح الأرض وفي جوفها، كلها عوامل تشكّل الظواهر الطبيعية التي من أجلها وجدت العلوم الطبيعية وما توّجت به أعمالها من وضع للمعاجم المختلفة. وترتّب ذلك في حركة معجمية عربية لم تخل من صعوبات تجسّمت عند وضع اللغة العلمية بمفرداتها التي منها ما هو شائع المدلول بحيث اختلف مفهومه العلمي عمّا عرف به حتى

---

(٣٥٠) **اللسان العربي**، السنة ١٢ (١٩٧٥)، ج ٢، ص ٣٦.

(٣٥١) بخصوص مشروع مصطلحات علم حياة الجهاز العصبي (انكليزي ـ عربي)، انظر: صادق الهلالي في: **اللسان العربي**، العدد ٢٨ (١٩٨٧)، ص ١٢١ ـ ١٧٤، حيث يقترح المؤلف منهجية: «ثبتنا المصطلحات العربية بالشكل الذي تلفظ به بلغاتها الأصلية أو باللغة الانكليزية من دون تحريف. إن ذلك بنظرنا مهم جداً كي يتعلم دارس الطب بالعربية أن يتلفظ هذه الكلمات بالصورة التي يلفظها بها أهلها» (ص ١٢٢).

(٣٥٢) عبد العزيز بنعبد الله، «المعاجم الحديثة العامة والمختصة،» ص ١٦٣.

(٣٥٣) صادق الهلالي ومحمد حكمت وليد، «مصطلحات العين وأمراضها (انكليزي ـ فرنسي)،» **اللسان العربي**، العدد ٢٦ (١٩٨٦)، ص ١٣١ ـ ١٩٢. لهذا المشروع منهجية: «وقد وضعنا في حالات قليلة مصطلحاً بديلاً ثانياً عند عدم قناعتنا التامة بالمصطلح الأول سواء المنشور في المعجم الموحد أو الموضوع له من قبل بعض المجامع» (ص ١٣٢).

(٣٥٤) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ٢، ص ٣٨٥.

(٣٥٥) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٦٦.

(٣٥٦) انظر: **اللسان العربي**: من ١٩٧٩، ج ٢ إلى ١٩٨٧.

احتمل أحياناً أن يكون اتساع معناه مجازاً بمثابة الغموض الادراكي. فمثلاً في معجم الدم السابق ذكره، ترجمت لفظة Vascularisation بتوعية (رقم ٣٤٠) وهو لفظ شائع في الوقت الحاضر في اللغة السياسية ووسائل الاعلام، ويقصد به إشعار الجماهير والفات اهتمامها وايقاظها لمسائل عدة (الوعي هو حالة تكون عليه النفس متيقظة). وبالمعجم نفسه، اجتمع في كلمة (١١٤٢) عدد من الحروف المصفرة يمكن أن يستنكرها علم الأصوات العربي ((Séro-Pulurent = مصل وصديد، مصليصديدي))، رغم أنه تعبير منحوت يتركب من كلمتين عربيتين. ولا يمنع ذلك من العمل على تحسين الألفاظ الموضوعة وتقديم وضوحها وتأديتها الدلالة على الجزئيات اللغوية التي يمكن تجاوزها طبعاً دون مساس بسلامة اللغة. ولذا، فلم يتوقف العمل المعجمي خدمة لقضية التنمية، خاصة إذا اعتمد مؤلفات شاركت في الإشراف عليها منظمات وحكومات أخرى، مثلاً كما وقع في معجم الهيدروجيولوجية وعلم المياه الجوفية من انتاج انكليزي، ثم نقل إلى الفرنسية ثم إلى العربية[٣٥٧]، وقد تضمن بعض الشروح بالعربية والفرنسية (١٧٩٨ لفظة). وقضية أسماء النباتات بأنواعها والأشجار وأصنافها لا زالت قائمة الذات رغم ما بذل من جهد لتطويع لغتها و«معجمتها»[٣٥٨]. وقد تمثّل ذلك في معجم للنبات الأصيل[٣٥٩] (عربي - فرنسي). وقد سبق أن عمل المكتب أيضاً على جمع ألفاظ الزهور (٥٣٨ لفظة، انكليزي، عربي، فرنسي) في معجم يتجه إلى تعليم علم النبات في التعليم الثانوي، وساعد على استيعابها شكلها شكلاً تاماً. ومن آثار الطريقة القديمة في تدوين اللغة النباتية وغيرها، أن بعض المعجميين لم يتردد في اقتحام المناطق القاحلة تطلعاً إلى أسماء النباتات وإدراكاً للعشائر النباتية ومجموعاتها كما عرفها العرب[٣٦٠]، ولا تخلو مثل هذه المعاجم من تعليقات وتصحيحات وتصويبات أملتها التجربة وطول الخبرة وممارسة أصناف النباتات التي تعد بالآلاف[٣٦١]. ذلك أن التقسيم النباتي الذي مهر فيه العرب والذي يخضع للقوائم اللاتينية الآن، أكد أن العرب «طوروا فعلاً تصنيفاً خاصاً لأهم النباتات التي كانت تنتشر في ديارهم، وخاصة بالنسبة إلى عدة مجموعات هي الحموض والأمرار والكحليات والحرف والدهامين والبقل»[٣٦٢]. إضافة إلى ما ابتكروا من تسميات للمناطق الجافة، كانت دقيقة

---

(٣٥٧) عبد العزيز بنعبد الله، «معجم الزهور،» اللسان العربي، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ٣، ص ٩٠.

(٣٥٨) المصدر نفسه، ص ١٦٤.

(٣٥٩) محمد نذير سنكري، «مصطلحات لأسماء نباتات المناطق الجافة وشديدة الجفاف والصحارى العربية،» اللسان العربي، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٣٦٠) انظر: محمد نذير سنكري، «تحقيق التحقيق لمعجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي،» اللسان العربي، العدد ١٧ (١٩٧٩)، ج ٢، ص ١٥٣ - ١٦٠.

(٣٦١) ابراهيم السامرائي، «المقنع في الفلاحة،» مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة ٦، العددان ١٩ - ٢٠ (كانون الثاني/ يناير - حزيران/ يونيو ١٩٨٣)، ص ١٢١ - ١٤٧، وخيري الصغير، «تعليق على تعليقات على كتاب المقنع في الفلاحة،» مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة ٧، العددان ٢٣ - ٢٤ (كانون الثاني/ يناير - حزيران/ يونيو ١٩٨٤)، ص ٢١١ - ٢١٣ و٢١٥ - ٢٢٩.

(٣٦٢) «الأمير مصطفى الشهابي،» اللسان العربي، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٥٨٤.

حتى ان العلماء الأوروبيين اقتبسوها برمتها وفي صيغها العربية. «والواقع أن التقسيم العرفي العلمي الذي وضعه العرب لنباتات المراعي الصحراوية له أهمية بالغة لأنه انعكاس لخبرة طويلة ناتجة عن بحث يومي»[٣٦٣]. وعلى هذا الأساس وضع معجم لأسماء نباتات الأراضي الجافة كالصحارى العربية (لاتيني - عربي ٦٢٥ لفظة)[٣٦٤]. وما يحيط بقضية التنمية الزراعية في الأقطار العربية أدى إلى الاهتمام بوضع معجم زراعي يكون له قيمة دولية، بحيث ينطلق المجهود على الصعيد القطري والاقليمي[٣٦٥]، وبذلك يقام الدليل على توفر ووفرة المصطلحات الزراعية، إذ «إننا أمام تراث لغوي مكتوب ضخم لم يقع جرده بعد، بل إن أغلبه لم يحقق، فاستعماله يثير من هذه الناحية مشاكل عديدة منها أنه يصعب التأكد من مدلولات هذه الألفاظ القديمة التي مرّ عليها عهد طويل...»[٣٦٦]. ولا ينكر أن العربية استمدت جانباً من معجمها النباتي من لغات أخرى حين تفاعلت معها فأثمرت مصطلحات مبتكرة[٣٦٧]، كما أن المنتوجات الزراعية حظيت هي أيضاً بالاهتمام المعجمي نفسه المتمثل في تحقيق معاجم في السكّر والبنجر[٣٦٨] (انكليزي - فرنسي - عربي، ٥٨٩ لفظة)، ومعجم في الخشابة والخشب وعدد ألفاظه ما يقرب من ألفين[٣٦٩]. كان معجماً صادراً عن الاتحاد الدولي لصيانة الطبيعة والموارد الطبيعية، فوقع نقله إلى العربية مع الحرص على أداء المعاني. «ذلك بأن المصطلحات الأجنبية لا تتفق دائماً مع معانيها اللغوية، فليس من المنطق إذن أن نتقيد بترجمة ألفاظها. بل اصطفينا مصطلحنا العربي مستخلصاً على الأغلب من فحوى التعريف الذي يشرح المقصود بالمصطلح الأجنبي»[٣٧٠]. ويندرج كل ذلك النشاط ضمن ما للطبيعة علينا من حق الصيانة. وقد ميّز المترجم المصطلح عن اللفظ العادي برقم خاص يتيح التعرّف على مدلوله العلمي حين قراءته. واشتمل هذا المعجم على مصطلحات عامة عن الأرض والتنظيمات الطبيعية ومصطلحات تخص التربة والمياه وحياة النبات وحياة الحيوان... ويرتبط بذلك البحث عن مصطلحات لتحليل التربة، وهذا علم مفيد للتنمية الزراعية، لأنه يعدّها بانتقاء التربة الصالحة لكل صنف نباتي غذائي ويحول دون تبذير الجهود والنفقات في أعمال البذر العشوائية، إذ إنه يوفر معلومات مخبرية عن محتوى الأرض الزراعية. ومن المؤكد أن تدريسه ونشره بين المزارعين لا يثمر إلّا إذا كان بالعربية. وهذا أمر معمول به في مصر؛ وبذا شاعت

---

(٣٦٣) المصدر نفسه.

(٣٦٤) سنكري، «مصطلحات لأسماء نباتات المناطق الجافة وشديدة الجفاف والصحارى العربية».

(٣٦٥) لحسن بنلفقيه، «فصائل نباتات الشمال الافريقي: مصطلحات نباتية في علم التصنيف،» **اللسان العربي**، العدد ٣٤ (١٩٩٠)، و**معجم فصائل النبات (فرنسي - عربي)**، ص ١٨٠ - ١٨٥.

(٣٦٦) عبد اللطيف عبيد، «المعجم الفلاحي العربي،» **اللسان العربي**، العدد ١٧ (١٩٧٩)، ج ١، ص ٢٩٧ - ٣٠١.

(٣٦٧) محمد التونجي، «تعليقات فنية على الألفاظ الفارسية في معجم النبات العربي،» **اللسان العربي**، العدد ٢٧ (١٩٨٦)، ص ٢٤١ - ٢٥٨.

(٣٦٨) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ٣، ص ٢٦٦.

(٣٦٩) عبد العزيز بنعبد الله، «مصطلحات الخشابة والخشب،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ج ٢، ص ٨٧.

(٣٧٠) **اللسان العربي**، السنة ١٢ (١٩٧٥)، ج ١، ص ٢٠٩.

ألفاظه في المشرق، ولترسيخه يكفي أن يتفق الخبراء المعنيون على حصر مصطلحاته وتوحيدها[٣٧١]، ووقع تعريفها بصورة دقيقة مبسطة خاصة وأنه «ليس موسوعياً فإن تعاريفه لا يمكن أن تشمل كل الاستعمالات الممكنة للمصطلح أو أن تأخذ كل المستثنيات بنظر الاعتبار. وبغية ابقاء النص محدداً، ولتسهيل ترجماته تقرر اقتصار التعاريف على عشر كلمات معبرة، حيثما أمكن ذلك»[٣٧٢]. وقد تعرّض هذا المعجم لملاحظات نقدية عدة. من مآخذه أنه يوجز لحد الابتعاد عن الوضوح والاخلال به بحيث وجب زيادة بعض الكلمات أو العبارات المرشدة، كما وقع في الطبعة الفرنسية. وقد تأكد في الطبعة الانكليزية الاتجاه إلى «الايجاز المكثف» الذي جعلها متميزة عن مثيلتها الفرنسية. والخلاصة من كل ذلك أن معجماً وضع على صعيد دولي وتضمن كثيراً من الهفوات يؤيد ما يصنف من معاجم عربية رغم قلّة الخبراء والمصادر الكبرى المساعدة على إنجازها.

طبعاً كان مصطفى الشهابي من أعلام المعجمية النباتية والزراعية عامة، بما ضمت من علوم النبات والعلوم الغابية. وقد نشر الشهابي (١٨٩٣ - ١٩٦٨) تأليفاً في الألفاظ الزراعية سنة ١٩٥٧، إذ كانت تشكل اختصاصه، بعد أن تخرج مهندساً زراعياً بمدارس فرنسا، وكان وزيراً للزراعة في سوريا، ورأس المجمع السوري سنة ١٩٦٢[٣٧٣]. وقد تضمن معجمه في المصطلحات الزراعية (فرنسي، لاتيني، عربي) ١٠٠٠٠ لفظة، وضع منها ٣٠٠٠ لأول مرة طبق القواعد المعمول بها في المجامع. فقد استغل مصادر عربية قديمة، ومعاجم ومؤلفات نباتية وحيوانية أوروبية، وأدرج ألفاظاً معربة ومولّدة تميّزت بقرابة معناها الأصلي من المفهوم الفرنسي. والحقيقة أن العلماء القدامى لم يتعرفوا على كثير من أسماء النباتات المزروعة أو غير المزروعة التي تتميز بأسماء من أصل لاتيني أو يوناني. لكن الشهابي وضع لا محالة أسماء عربية لنباتات زراعية معتمداً أصول المصطلحات العلمية، ومطبقاً قواعد التعريب والترجمة لأسماء العشائر النباتية. ولم تقبل المجامع إلاّ قليلاً من الألفاظ النباتية التي وقع تحديدها (وعددها ٥٦)[٣٧٤]. أما عن الحشرات المجهولة عند العرب، فقد اعتمد كذلك الأصول واستخرج أسماء النباتات التي تكتسحها تلك الحشرات، طبق طريقة شائعة متفق عليها. ومما يشار إليه أن الآفات الزراعية المتأتية من الحشرات تصدّى لها الخبراء معللين ذلك بأن الكتب العربية والمكتبة العربية تفتقر كلها إلى معجم المصطلحات الخاصة بالحَلَم والقُراد. وقد اكتشفتُ ذلك عندما قمت بترجمة أحد الكتب المهمة عن الحَلَم الضار بالنباتات الاقتصادية[٣٧٥]. ولم يتردد في

---

(٣٧١) عبد المنعم بلبع، «مصطلحات في علم التربة (انكليزي - عربي)،» **اللسان العربي**، السنة ١٨ (١٩٨٠)، ج ٢، ص ١٤٩ - ١٩١.

(٣٧٢) المصدر نفسه، ص ٢١٥.

(٣٧٣) «الأمير مصطفى الشهابي».

(٣٧٤) «المعجم السياحي،» ص ٢٥٨.

(٣٧٥) جليل أبو الحب: «مصطلحات تركيبية للحَلَم والقُراد،» **اللسان العربي**، العدد ١٧ (١٩٧٩)، ج ٢، ص ١٤٥، و«اقتراح حول التسمية العامة للكائنات الحية قائمة بالأسماء العامة للحَلَم،» **اللسان العربي**، العدد ١٢ (١٩٨٣)، ص ٢٧٩ - ٢٩١.

تعريب أسماء الأجسام الكيماوية البسيطة والمركبة، لأن ذلك يندرج ضمن مشاغله الزراعية[376].

وكان ينبغي جرد هذه اللغة الزراعية النامية. وكعادة المكتب، أضيف ذلك باباً من أبواب معجم المعاني. فاتسع العمل المعجمي الزراعي إلى معجم الأدوات الزراعية (عربي - فرنسي، ٢٣٤ لفظة) المرتب على الأصول، والذي اقتبس منهجه من كتاب الشهابي في المصطلحات الزراعية[377] الذي نشر أيضاً معجم الألفاظ الغابية (انكليزي، فرنسي، عربي) في ١٠٠٠ لفظة، موضحاً ومعرفاً هذه المادة. وساهمت منظمة الأغذية والزراعة في هذا التأليف وطلبت من المكتب القيام بالترجمة العربية للنظام العشري العالمي، المعروف بنظام اكسفورد للعلوم الغابية، وذلك اهتماماً منها بمتابعة المثل الدولية المتبعة في قضايا العلائق القائمة بين اللغات والعلوم والتقنيات التي يرتبط بها تطور عالم الريف[378]. وقد راجع المكتب هذا التأليف بطلب من منظمة الأغذية والزراعة وأضاف مقدمة لمعجم العلوم الغابية بغية تعميمها من وجهة الفكرة والمنهجية الاصطلاحية كما انتشرت باللغات الأخرى ونقلت إلى اللغة العربية.

استمر الجهد في النهوض بالعمل المعجمي الزراعي لأن الأمن الغذائي قضية مصير بالنسبة إلى المستقبل العربي. والأمر واضح وقد أيّده الخبراء الذين أرسلوا مشاريعهم ومقترحاتهم. كان الاهتمام بمصطلحات علم الحيوان وتصنيفه محدوداً[379] وتجسّم في معجم ومتابعة امتدت من سنة ١٩٨٠ إلى ١٩٩٠. أما في المجال النباتي، فكان الجهد واضحاً وتجسّم في تسعة معاجم، صنف المكتب منها واحداً في علوم التربية، وساهمت المنظمة العالمية للتغذية بمعجم النباتات المفيدة. وكان نصيب الخبراء قد تمثّل في المصطلحات الزراعية ووقاية النبات وآفات الزراعة ومحاصيل العلف والمراعي، ومصادر الزيوت والدهون[380].

١٠ - معاجم العلوم الاجتماعية والانسانية[381]

من العسير التمييز بين مختلف العلوم لتشابك مسائلها وترابطها. فلا يمكن والحالة تلك

---

(٣٧٦) عدنان الخطيب، «فقيد العربية الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (دمشق)، السنة ٤٣ (تموز/ يوليو ١٩٦٨)، ج ٣، ص ٦٥٧.

(٣٧٧) «معجم الآلات والأدوات والأجهزة،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٣٤٥.

(٣٧٨) «نظام التصنيف العشري لأكسفورد من أجل العلوم الحراجية،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ٢، ص ٨٧.

(٣٧٩) ابراهيم نحال، «نقل ألفاظ التصنيف الحيواني إلى العربية،» **اللسان العربي**، العدد ١٨ (١٩٨٠)، ص ٩٢ - ١٠١.

(٣٨٠) انظر: **اللسان العربي**: (١٩٧٩)، ج ٢؛ (١٩٨٠)؛ (١٩٨١)، و(١٩٨٢).

(٣٨١) انظر: محمود ابراهيم، «تعريب العلوم الانسانية: قضايا ومقترحات،» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ٢، العددان ٥ - ٦ (أيار/ مايو - كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٩)، ص ٤٣ - ٦٦.

اعتماد أي تصنيف لها، مكتسياً صبغة نهائية. ولم يقع حتى الآن أن اتفق العلماء على ترتيب مستقر للعلوم، بحيث ان كل علم يعرف حده. لكن ليس إلاّ مستحيلاً أن يقع تجميعها وتبويبها أبواباً عامة تشمل أقسامها. وعلى هذا، يمكن القول إنه يتعذر علينا التفريق بين مميزات العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، فرتبناها من الوجهة المعجمية والتنسيقية، ونظراً إلى متطلباتها المنهجية على الأقل، بحيث لا حاجز يفصل بين الاتجاه الانساني الفردي وبين الاتجاه الجماعي العام. وأول ظاهرة خاصة بتعريب هذه العلوم، وبناء على ما تحقق في هذا المجال، ان التعريب العلمي حاز على الاهتمام الأول والمكانة البارزة، علماً بأن تعريب الانسانيات والاجتماعيات كان مفروغاً منه ولم يثر اشكالات خطيرة. وقد كان من رأي بعض الباحثين أن تعريب العمليات والتقنيات يكتسي سهولة أكبر «لأن مضامينه محددة أساساً ولا تتغير بتغير المجتمعات، خصوصاً ما جد في عصور التطور العلمي الحديث واكتشافاته واختراعاته»(٣٨٢). صحيح أن هناك العلوم الثابتة ثبات مبادئها ونظرياتها كالرياضيات مثلاً، لكن سنّة التطور العلمي والتقني تفرض التحوّل المستمر ومراجعة النظريات السابقة التي ما كانت صحيحة إلاّ بالنسبة إلى مرحلة من مراحل التطور العلمي. ثم إن قضية التعريب في الوطن العربي هي قضية تاريخية سياسية قبل كل شيء، بالإضافة طبعاً إلى أبعادها الانسانية والاجتماعية، ذلك أن رغبة هذه الأقطار في اللحاق بركب العلم الحديث ومتفرعاته فرضت عليها التعجيل ببث المعرفة العلمية والتقنية بأيسر السبل أي بلغتها القومية بغية النجاعة والنتائج الراسخة المضمونة في الكسب العلمي المؤدي كما هو محتمل إلى مشاركة في ابتكاره لا الاقتصار على استهلاكه فحسب. وترقباً لذلك لا بد من اللجوء إلى اللغات الأجنبية، سواء بتدريسها أو بتدريس العلم بواسطتها، وأيضاً بتصنيف المعاجم المتعددة اللغات في مختلف المواد العلمية التي تحتاجها اللغة العربية. وما يقال في ذلك إن التعريب يتحدد بتحديد المادة العلمية التي يعمل فيها. فمن الواضح أن تعريب الانسانيات يختلف عن تعريب التقنيات؛

«فتعريب مصطلحات الانسانيات خصوصاً في أهمها: العلوم التاريخية، والسوسيولوجية، والسياسية، والاقتصادية والنفسية والدينية والانثربولوجية، وحتى الفلسفة والقانون (بالنسبة إلى الشريعة الاسلامية الخالدة) لا بد أن تنطلق فيه معايير تحديد المضمون من أرضيتنا بعد الاشارة في البداية إلى مضمونه في لغته. أما إذا تبنينا مضامينه في لغته الأم، فسوف يصبح وسيلة من وسائل مسخ حضارة أمتنا وعطائها تحت شعار تجديدها وتحديثها»(٣٨٣). إنه لمنهج طريف للتعريب في الانسانيات وما يستوجبه من تخطيط في التنفيذ وفي التصور. فلم يعد التعريب في هذه العلوم الحساسة مجرداً تجرد المواد العلمية الخاضعة لمبدأ المقياسية، بل إن العلوم الانسانية تؤثر مباشرة في تكوين الفرد ومشاعره وأسلوب تفكيره الظاهر والباطن. ومن هذه الزاوية، تكون النظرة المنطلقة من تراثنا القومي مفيدة، إذ تجنبنا نقل المناهج الغربية برمتها دون تكييفها بالأوضاع الوطنية والقومية. ذلك أن التصورات الموجودة في العلوم الاجتماعية والانسانية انطلقت وتطورت بمفاهيم غربية بحتة ولا صلة لها عضوية بالمقومات الحضارية العربية. فوجب لذلك العمل على التحري في المفاهيم الانسانية

---

(٣٨٢) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ١، ص ١٣١.
(٣٨٣) المصدر نفسه.

الاجتماعية التي نبتغي اكسابها للمتعلمين، لأن القضية صارت تكتسي الآن أبعاداً حضارية مصيرية لا يمكن المجازفة بها. فوجب إذاً مراجعة المقاييس التي بموجبها تصنف المعاجم في هذه العلوم، والتحري في مضمونها ومصطلحاتها، والتأكد من أن مستقبل الحضارة العربية يحتاج فعلاً إلى النهوض بكيانه لمثل هذه المدارك، أو أنه في أمسّ الحاجة إلى استنباط تصورات جديدة من ماضيه. ولارتباط الحضارة العربية بمقوماتها الدينية، ولاعتبار الدين ظاهرة تندرج في العلوم الاجتماعية من وجهة تحليل قواعده التي تنبثق من كتابه المقدس الذي كان موضوعاً لتحاليل وترجمات متعددة كما هو معلوم، فأدى ذلك إلى سلوك نوعين من الأبحاث، البحث عن المعاني الأصلية للمفردات القرآنية التي يحتمل أن جانباً منها اقتبس عن اللغات القديمة، والبحث عما كان من تأثير للغة القرآنية في اللغات الأخرى التي نقل إليها القرآن. وقد أمكن فعلاً وجود ما يزيد على ١٦٥٠ كلمة قرآنية في ٢٢ لغة (منها ٣٥٢ كلمة في الانكليزية). وقد نشرت مجلة المكتب قائمة بهذه الكلمات وأيدتها بشواهد (رقم ٢٢ : ten = يدان ـ رقم ٧٧ : center في الآية) ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ ـ رقم ٩٢ : street = سراط وحتى (أوروبا) فيبدو أنها مستمدة من القرآن: فمن كلمة غروب، نتحول إلى أوروب . . . آ، . . . الخ[٣٨٤]. وعملية التجميع هذه أتاحت إعداد فهارس تعد العدة لوضع معجم قرآني حقيقي[٣٨٥]. والواقع أن اللغة القرآنية كان لها تأثير منذ العهد الوسيط إلى أيامنا، فكانت موضوعاً لنوعين من الأبحاث: تحديد دقيق لمعنى المفردات والبحث عن الكلمات المقتبسة من لغات أخرى غير العربية[٣٨٦]. وخلافاً لذلك، نجد نظرة أخرى معاكسة تقول بأن اللغات الأخرى اقتبست كلمات عدة من القرآن، وبذلك يمكن اكتشاف تأثير الكتاب على ما كان لتلك اللغات من وسائل تعبيرية. وقد اعترف فعلاً علم الدلالة وعلم أصول الكلمات في العصر الحديث بما اقتبسه القرآن من اللغات الأخرى. ومن المعلوم أن المفسرين أيدوا ذلك الرأي منذ القديم بصورة ضمنية، واعتبروا كفراً التصريح بوجود مثل هذه الألفاظ الأعجمية في القرآن حاوي اللغة العربية الفصحى. ولا يمكن مثلاً الاعتراض على رأي مفسر من طراز الطبري الذي قال إن الكلمات الأعجمية التي ربما وجدت في القرآن لا تعدو أن تكون مطابقات عرضية بين المفردات العربية وما يوجد من كلمات مثيلة عند الأمم الأخرى. وأضاف أن مثل هذه الكلمات المشتركة بين الأمم وجدت منذ الأزمنة الغابرة[٣٨٧]. ثم إنه لا يمكن تفسير كلمات القرآن إلاّ إذا وافقت السنّة، وتجاوزت كل نظر مذهبي يمكن رده إلى موقف احدى الفرق. وما طرأ من تطور في اللغويات جعل العلماء اليوم يحاولون تحليل ما ورد في القرآن من مفاهيم، تحليلاً آلياً احصائياً يتيح تحديد ما للألفاظ القرآنية من قيمة دلالية وتواتر احصائي.

---

(٣٨٤) عبد المجيد شوقي البكري، «الكلمات القرآنية في اللغة الانكليزية،» **اللسان العربي**، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ١٦١ و١٦٥.

(٣٨٥) انظر: عبد السلام هارون، «معجم ألفاظ القرآن الكريم بين المعاجم وكتب التفسير واللغة،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة)، العدد ٥٣ (شباط/ فبراير ١٩٨٤)، ص ٢٧ ـ ٣٨.

(٣٨٦) *Studia Islamica* (1956), pp. 19 et 40.

(٣٨٧) المصدر نفسه، ص ٤٢.

فمثلاً يقابل مصطلح Determinism لفظاً تقريبياً هو «ج بْ ر» الذي لا يمدنا سوى بترجمة تقريبية وفي أوضاع سياقية عدة فقط، في حين أن جملاً قرآنية عدة تصف الوضع الذي يطابق مثل ذلك المفهوم الغربي[٣٨٨]. والعكس صحيح ويطابق ما للقرآن من اعجاز يعسر معه على المترجمين له، الغوص إلى عمق معانيه. ومن المترجمين من حاول التأويل بمعنى الشرح والتفسير اعترافاً بعجزه عن أداء معانيه تأدية كافية[٣٨٩]. ويعتمد مثل هذا المنحى ما للسورات من وحدة دلالية يكون لها القرآن الكل الجامع. وقد أحصيت ٢٣٣ ترجمة للقرآن في أوروبا، وتطلبت معرفة علوم اللاهوت المقارنة ودراية بالعلوم الاسلامية وبفقه اللغة العربية. ويبدو أن موقف المترجم تجاه القرآن يتسم بشعوره بما عليه من مسؤولية وما لمهمته من عظمة. ويستدل على ذلك بثراء اللغة العربية العظيم، وأصناف الشعور والتعبير ونفسانية الأمة الناطقة بهذه اللغة، وهي أمور ليست سهلة على المترجم، خصوصاً وأنه يرفض أن يحيد عن النص أو أن يكسيه تأويلاً شخصياً، إذا اعترضه تعبير عسير على ادراكه، مستغلق على فهمه[٣٩٠]. ولم يقع أن تحققت لحد الآن ترجمة حرفية للقرآن بصورة تامة. ومن رأي فيشر أن من بين الآيات المترجمة، لا يوجد بعض منها يمكن أن يرضي الرغبات اللغوية الموجودة في أوروبا، في حين أن القرآن انتشر بها منذ ١٥٣٠ في البندقية. وقد سبقت ذلك العصر ترجمة لاتينية للكتاب تمت سنة ١١٤٣، وطبع نصه الألماني سنة ١٦١٦. وتلت طبعات أخرى بلغات عدة أوروبية كالفرنسية والسويدية والهولندية والروسية والايطالية. ونشرت سنة ١٨٦٦ سورات من الشعر بالانكليزية. وقد عرفت أيضاً اللغات الشرقية (فارسية، سريانية، عبرية، أردية، جافانية، بنغالية، تركية) النص القرآني[٣٩١]. ويبدو أن ما أحيط به القرآن من اهتمام حمل اللغويين العرب على تطوير أبحاثهم والتعريف باستنتاجاتهم، ومفادها أن القرآن لم يقبل المترادفات بل إنه استخدم المفردات في معنى دقيق محدد لا يمكن أن تؤديه كلمة أخرى. فمثلاً استخدمت كلمة حلم ورؤيا تعبيراً عندنا عن الفكرة نفسها، لكن الكلمة الأولى تتضمن أيضاً معنى الكابوس، في حين أن الثانية تعني المنام البهيج الواضح. وكذلك تستعمل حَلَفَ بمعنى الحنث، في حين أن أقسم تدل على اليمين الصادق. وتوجد مسائل أخرى متعلقة بالأسلوب القرآني، كأن يقع التخلي عن الفاعل، ابرازاً ليقين متمثل في حدث معين خارج عن ارادة الفاعل، وأن يستعمل القرآن سجعات ليست شكلية بل تمليها الفكرة وضرورات البلاغة[٣٩٢].

---

(٣٨٨) Michel-May Elzière Allard, *Analyse conceptuelle du coran sur cartes perforées,* I code, II commentaire (Paris: Mouton, 1963), p. 2.

(٣٨٩) A.J. Arberry, *The Koran Interpreted* (London: Oxford University Press, 1964).

(٣٩٠) Boubakeur Hamza, *Le Coran: Traduction nouvelle commentée* (Paris: Fayard, 1972), p. xiv.

(٣٩١) طه الولي، «ترجمة القرآن إلى لغات شرقية وغربية،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٦١ ـ ٦٦.

(٣٩٢) عائشة عبد الرحمن، «من أسرار العربية في البيان القرآني،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٢٣ ـ ٣٧.

وقد أفاد تطور الدراسات القرآنية واتساعها، الأبحاث اللغوية الخاصة بالكتاب بصورة خاصة وبالعربية عامة، سواء كانت في الماضي أو ما ترتب على اجتهاد العلماء في العصر الحديث، بغية الوصول إلى تفهم أكثر للقرآن. وترتب على ذلك العمل اعداد معجم للمصطلحات القرآنية لا يتجه إلى الاخصائيين فقط[٣٩٣] الذين لا يجدون به إلا شرحاً لغوياً في جمل مقتضبة يعسر ادراك معانيها أكثر مما يعسر فهم الألفاظ ذاتها التي يجب شكلها، لا الاقتصار على تقديم قياسها ووزنها دون شكل أيضاً. وإلّا كان ذلك العمل المعجمي يتصف بالبدائية، وهو لا يتناقض - لا محالة - ومشروع المعجم القرآني المتطور. وقد صنف لحد سنة ١٩٦١ مثل هذا المعجم (في ثلاثة أجزاء) متضمناً الشروح من وجهة الدلالة والصرف (مجرد ومزيد، مصادر)، مقدماً المعنى الحسي على المعنى المجرد. ويستفيد هذا المعجم طبعاً من معجم لعلوم اللغة يحدد المفاهيم اللغوية الحديثة من جميع الأوجه. ولا شك أن التعريف بمختلف المذاهب والنظم وتعاريفها الواضحة الدقيقة تساعد الباحث في النص القرآني، خاصة إذا تضمن معجم النظم والمذاهب[٣٩٤] هذا، المقارنات بين المذاهب في الأديان الأخرى (انكليزي - فرنسي - عربي، ٥٧١ لفظة)، وأدرج ما يسود العالم الآن من مفاهيم دينية فلسفية متطورة مضطربة تجعل المقارنة لفائدة الاسلام. والحقيقة أن ما تقوم به المؤسسات العربية لفائدة الدراسات الاسلامية غني عن التعريف. فقد كان التشريع الاسلامي محل اهتمام علمي ظهر مثلاً في الكويت منذ ١٩٦٦ حيث كان مشروع موسوعة الفقه بصدد الإعداد. وقد عمل المكتب من جهته على إعداد معاجم في الفقه المالكي (المجلة ١٩٦٦، عربي - فرنسي، ٨٣٣ لفظة)، مستفيداً من أعمال كلية الشريعة بدمشق بغية وضع موسوعة عامة للفقه المالكي. وتطور الأمر إلى الربط بين القديم والحديث، وتمثل ذلك في معجم الفقه والقانون[٣٩٥] (فرنسي - عربي، ٤٣٢٣ لفظة). وكان الاهتمام واضحاً بالحديث، وتجسّم ذلك في وضع معاجم خاصة بالمصطلحات الحديثة[٣٩٦] سارت على منهجية معينة، وتُرجمت إلى لغة أجنبية لحاجة الأجنبي إلى الايضاح في هذه المسائل مما «يعطيه فكرة اجمالية تبعد عن ذهنه ما قد يسبق إلى فهم خاطىء بسبب غرابة أصول هذا العلم عن غير المسلمين وغرابة مصطلحاته عن مألوفهم»[٣٩٧].

وكان معجم المصطلحات الحديثية السابق ذكره موضوعاً نقدياً قام به أحد الاختصاصيين في قضايا الحديث النبوي. وما يلام عليه مؤلفه هو أنه اتجه به إلى الأجانب كما ذكر، قبل اتجاهه به إلى المعنيين أولاً، المحتاجين إلى ما تضمنه من لغة حديثية فنية، ذلك أنه «ينبغي أن تكون الغاية من هذا المعجم أن يكون بمثابة مفتاح لكل لفظ (مصطلحي) يمر بدارس السنّة المطهرة

---

(٣٩٣) بن العربي، «معجم المعاني العربية المؤلفة خلال مائة عام، ١٨٦٩ - ١٩٦٩،» ص ١٧١.

(٣٩٤) عبد العزيز بنعبد الله، «مصطلحات النظم والمذاهب،» **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ٢، ص ٢٠٢ - ٢٢٤.

(٣٩٥) **اللسان العربي**: السنة ١٤ (١٩٧٦)، ج ٢، والسنة ١٥ (١٩٧٦)، ص ٢٢٠ - ٢٧٥.

(٣٩٦) نور الدين عتر، «معجم المصطلحات الحديثة،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ص ٢٢٠ - ٢٧٥.

(٣٩٧) المصدر نفسه، ص ٢١٦.

عربياً كان أو عجمياً، ويبين الحكم فيه بإيجاز، مع الإحالة ـ لمن شاء التوسع أو التوثق ـ إلى المصادر المعتبرة التي اعتمدها المؤلف في هذا الكتاب»[٣٩٨]. والمعجم النوعي إنما ينبغي أن يكون مكتفياً بمادته ولا يحمل مطالعه على الرجوع إلى مصدر آخر. ولذا، وجبت العناية بالرموز وترقيم المصطلحات، مع تخفيف وسائله الايضاحية، وإلاّ اشتبهت الأمور على المطالع دون أن يكون مقصد الاختصار مؤدياً إلى الاستغلاق والتعجيز. وفي الجملة، كان يجب أن «يكون تأليفاً كافياً وافياً للمراجع، وقد يأتي الوفاء لبعض الألفاظ بالإحالة على غيرها، ولكن بعض الألفاظ لا بد من شرحها وبيانها عند ذكرها»[٣٩٩].

وضمن دراسة المذاهب الاسلامية، جمع ما ورد من أحاديث في الموطأ بمعجم، رتب من الألف إلى الياء. وكان متوقعاً اعداد أعمال معجمية أخرى مماثلة بالنسبة إلى المذاهب الأخرى. وهي تقوم على جرد وترتيب المصادر الأساسية، وذلك بغية المقارنة بقواعد التشريع المعاصر، في ما يتعلق بما لقواعد الفقه الاسلامي من قيمة قضائية وتشريعية شهد بها ما دار من نقاش في تموز/ يوليو ١٩٥١، بمعهد دولي للقانون المقارن مقرّه باريس، واعتمد كذلك ما راج من أفكار خلال أسبوع التشريع الاسلامي الذي عقد بإشراف المعهد المذكور. ولا شك أن تنوع المذاهب يشكّل في حد ذاته ثراء في المفاهيم والمعلومات القضائية التي ينبغي استغلالها في مشروع معجمي بدأت نواته جاهزة منذ ١٩٥٥ بدمشق. والمعروف أن الفقه الاسلامي كان يبدو مغموراً في المؤلفات القديمة التي يعسر الإفادة منها. حتى إن حب الاطلاع لدى أسرة القضاء كانت تردّ على أعقابها لما كان عليه الفقه من تحجر في هياكله التقليدية ولغته المتشعبة. فمنع ذلك على الباحثين الاقتباس من معينه، إلاّ إذا كان لهم سابق دراية وتخصص به. ومن أهداف الموسوعة الفقهية المنوي تصنيفها (وفي ثلاثة أجزاء) في الكويت الذي سيتحمل نفقات نشرها، صوغ النص الأصيل لقواعد الفقه الاسلامي في لغة ميسرة، والإشارة إلى ما توخته المذاهب من حلول وما اتخذته من مواقف، ثم ترتب النصوص الفبائياً[٤٠٠]. وقد نشر بمجلة المكتب طبقاً لهذه المعطيات المنهجية الجزء الأول من معجم الفقه والقانون (فرنسي ـ عربي)، وقد تقرر نشره في عشرة أجزاء، بداية من حرف الألف والباء، ووزع في الوطن العربي فهرس لألفاظه العربية. وقد رقمت المقابلات العربية (المنقولة عن اللاتينية والفرنسية)، فتم بذلك جرد ١٠٠٠٠ لفظة قضائية مستمدة من المعاجم والمؤلفات والدوريات، ودونت الجذاذات مرتبة على الحرف اللاتيني، ونشرت نتائج ذلك. وما سلكه معجم الفقه من منهجية تمثّل في ترتيب اللفظ اللاتيني والفرنسي، ويقابله المفردة أو المفردات العربية: وقد أشير إلى تعدد الترجمات بعلامة ≠ والدلالات بـ +، وتعدد الألفاظ العربية بـ ×. وضبط كذلك المظهر الدلالي: مثلاً ترجم Abaissement بمصدرين، خفض

---

(٣٩٨) عبد اللطيف أبو غيدة، «تقرير عن معجم المصطلحات الحديثة،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ج ١، ص ٢٧٩.

(٣٩٩) أحمد بن عزوز، «معجم أحاديث الموطأ،» **اللسان العربي**: السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ٣، ص ٣١٤، والسنة ١١ (١٩٧٤)، ج ٣، ص ٣١٣.

(٤٠٠) مصطفى الزرقا، «موسوعة الفقه الاسلامي،» **اللسان العربي**، السنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٧)، ص ٢٣١.

وانخفاض. وقد أشارت علامات عدة إلى أصل الألفاظ مذهبياً وقطرياً. وقد شارك في إنجاز هذا العمل قسم التعريب بديوان التجارة الخارجية المغربية[٤٠١]. ونظرت فيه شعبة الأردن ونقدته، معترفة أن علماء المغرب والأندلس اهتموا كثيراً بمذهبهم المالكي منذ القرن الثاني الهجري. وقد ساهموا بذلك بصورة فعّالة، فأثروا التراث الفقهي حتى انه تيسر الآن جمع اللغة الفقهية من المصادر التي توالت واستقصت الموضوع على مر القرون، فعدت ملكات أجيال من الفقهاء في العصر الحديث، وجدوا فضلاً عن ذلك هذا التراث متوفراً ومترجماً بالفرنسية. فكان ذلك حافزاً على العودة إلى اكتشاف التراث الفقهي وتجسيده في معجم الفقه للمذهب المالكي. ولا شك أن مثل هذا الإنجاز سيشع على منجزات تقرر للمذاهب الأخرى في حقل المعجمية الفقهية. لكن شعبة الأردن لاحظت تكرر ترجمات الألفاظ العربية إلى الفرنسية في ٨٠ لفظة تقريباً. لكن مؤلف المعجم أوضح أن الفقه المالكي يتميز بدقته، وأن الفرنسية اشتهرت بأنها لغة القانون لتعبيرها عن كل معانيه. وإن تكرار المقابلات الفرنسية لا يمكن عزوه إلاّ إلى أن تلك اللغة لا يمكنها أن تستجيب تماماً لنوعية الفقه الاسلامي ومصطلحاته. الواقع أنه ينبغي مراجعة المفاهيم الفقهية والنظر في أساليب ترجمتها، رفعاً لكل لبس من وجهة الدلالة[٤٠٢].

ولم تكن الأبحاث الصوفية بمعزل عن المعجمية الفقهية. فانطلاقاً من دراسة لأصول التصوف قام بها مدير المكتب[٤٠٣]، أعدت العدة لوضع معجم في مصطلحات التصوف ارتفعت ألفاظه من ٩٨٠ سنة ١٩٦٦ إلى ١٤٠٠ سنة ١٩٧٧ (فرنسي - عربي)، واقتبست مصطلحاته من القرآن. وقد أشير إلى أن مثل هذا المعجم يشكل الرابطة بالأعمال الصوفية السابقة إذ يحدد ما جدَّ من ألفاظ لدى دارسي التصوف من المستشرقين، ويوضح مدلولاتها ويصحح ما لحقها من تحريف ناتج من سوء فهم. وهو يكون المرجع والزاد المتيسر[٤٠٤] لمن أراد العمل في هذا الميدان[٤٠٥]. وقد تأكد ذلك بوجود من يعدّ دراسات جامعية بغية جمع معجم عام للتصوف الإسلامي لفائدة الطلاب في أوروبا المهتمين بقضايا التصوف، وهو لعمري اهتمام يستوجب التبحر في القضايا الدينية[٤٠٦]. ويبدو أن ألفاظ التصوف الإسلامي قد أثرت في الديانة البوذية التي أثبتت تآليفها[٤٠٧] ما للتصوف عند المسلمين من روح أصيلة،

---

(٤٠١) «معجم الفقه والقانون،» **اللسان العربي**، السنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٧)، ص ٢٣٣.

(٤٠٢) عبد الكريم خليفة، «معجم المالكي في الميزان،» **اللسان العربي**. السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٥٤٤.

(٤٠٣) عبد العزيز بنعبد الله، «الفكر الصوفي الاسلامي وأصوله،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ١٠٣.

(٤٠٤) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ١، ص ٤٢.

(٤٠٥) خليل سمعان، «القرآن والمعجم الصوفي،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٥٥٠.

(٤٠٦) المكتب، رسائل، D.J.L. Michon (1967).

(٤٠٧) D.T. Suzuki, *Essais sur le bouddhisme zen*.

ويتاح بذلك المقارنة بين ألفاظ التصوف وألفاظ البوذية المقابلة (ستره = Texte = سورة)[408].

ونظراً إلى ما يوجد من صلة وتماثل في التصورات القضائية بين المفردات الواردة في معاجم القانون العلماني، ومعاجم الفقه الديني، فكان ذلك حافزاً على الربط بينهما في المنهجية، فقد صار مبرراً وضع معجم مشترك بين الفقه والقانون. وكان ذلك فرصة لشعبة الأردن لكي تبدي رأيها وتقترح على هذا الأساس تجديد قسم من اللغة القضائية العربية. واتضح من خلال التقرير الذي أعد في الموضوع أنه لم يقع انتقاء الألفاظ بل وقع ترتيبها ومقابلاتها الفرنسية دون تفضيل مصطلح على آخر. وقد اعتمدت تلك الشعبة مصادر من المشرق العربي لتبرير ملاحظاتها التي كان بعضها مقبولاً. لكن اعتمد المكتب أيضاً ما لاحظته هيئة المحامين الأردنية، كما حلّل من وجهة فقه اللغة والدلالة مظاهر لغوية وقعت مناقشتها، مثلاً ما ذكر في خصوص مادة الكحول من تدقيقات خاصة بترجمتها[409]. وبصورة عامة، وقع الاعتراف بما لتطعيم الفقه الاسلامي بالقانون الحديث من فائدة تعمل على تطويره. «ونقل الفكر القانوني غير العربي إلى اللغة العربية سوف يشجع على الدراسة والمقارنة ثم التأصيل بين مختلف النظم القانونية، ولسنا مبالغين لو قلنا إن نقل تلك الدراسة سوف يؤدي إلى اثبات سمو الفكر الاسلامي والعربي. ويشجع هذا على عملية عكسية، هي نقل تلك الدراسات المقارنة إلى اللغات الأجنبية، ويعود من جديد الدور الثقافي الذي ينبغي أن تقوم به الشريعة الاسلامية في تطوير الفكر الانساني»[410].

وتتطلب ترجمة المصطلحات القضائية تحريات حتى في المفردات الشائعة مثل Statuts loi, Code droit ذلك أن هذه الألفاظ تثير صعوبات ناجمة عن اللبس في الاستعمال الذي تكرر بسبب ما صدر من مبادرات في شأن ترجمتها[411]. ولذلك، صار من المفيد القيام بمقارنات هامة بين المصطلحات القضائية العربية ومثيلاتها الأجنبية، بلورة للتصورات الخاصة بها، وربطاً لها بمختلف فروع القانون، وذلك اعتباراً لأوضاع الأشخاص المادية والمعنوية، والأشياء والأملاك، والأعمال والعقود، والملكية، وكلها مصطلحات ينبغي التدرّب على استعمالها دون لبس بينها، لمساسها بالحياة اليومية الاجتماعية والبشرية[412]. وقد وضع مجمع القاهرة مصطلحات قضائية موحدة بعد أن عقد لها ندوة سنة ١٩٧١، بغية النظر في استغلال مكاسب التشريع الحديث والفقه. لقد شاع المصطلح القضائي شيوعاً كبيراً بالفعل، لارتباطه الوثيق بالحياة الفردية كما بالحياة الاجتماعية. وهو يتميز باستقراريته، فكان بذلك مكتسباً

---

(٤٠٨) عبد العزيز بنعبد الله، «المصطلح الصوفي العربي وأثره في المصطلح البوذي،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٥٢١.

(٤٠٩) «معجم الفقه والقانون في الميزان،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٥٢٥ - ٥٤٣.

(٤١٠) حسن صادق المرصفاوي، «تعريب أمهات الكتب في الفكر القانوني وتوحيد مصطلحاتها،» **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ١، ص ١٦٠.

(٤١١) العلمي، «مزالق التعريب،» ص ٥٧٠.

(٤١٢) عبد الرحيم بن سلامة، «مقارنات بين المصطلحات القانونية العربية والأجنبية،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ٢، ص ٣٣.

للميزات المثالية المطلوبة من المصطلحات تيسيراً لتنسيقها وتوحيدها، وأمكن بذلك أن يوافق المجمع المذكور على ألفاظ عدة بالمئات. وقد شملت (عربي - فرنسي) العرف التجاري المتمثّل في العقود والالتزامات (٨٨٧ لفظة)، والتأمين (٢٦١ لفظة)، والقانون التجاري (١٩٤)، والقانون الاداري (٢٢٤)[٤١٣]. ويضاف إلى ذلك وضمن معجم المعاني، قوائم السفن (٢٦٢) والقانون البحري، المرتبة ضمن معجم القانون وما يحدد من ألفاظ في القانون الدولي العام بتعريفاتها الدقيقة وأمثلتها الموضحة. والمعروف أن ناشرين عدة، ما انفكوا يصدرون من وقت إلى آخر المعاجم المختصة الموضوعة طبق ما جدَّ من أفكار وتعابير في القانون الحديث[٤١٤]. ومن البديهي القول إن ما رسخ من علاقات بالنظم القانونية الانكليزية والفرنسية فرض نشر معاجم تميّزت بألفاظها النوعية المختصة باعتبارات اقتصادية سارية في كل دائرة لغوية. فوجب لذلك التخفيف من صعوبات المصطلحات القضائية الفنية، رغبة في التعرّف على قواعد القانون الغربي[٤١٥]. فمثلاً جدّت محاولة لتوحيد تشريع العمل في مؤتمرات المحامين العرب (المؤتمر الثالث سنة ١٩٥٧)[٤١٦]. وأعدّت هيئة المحامين بسوريا قائمة بـ ٣٠٠ لفظة وافق عليها المؤتمر المذكور، ورتبت ألفبائياً باللغة الفرنسية، فمثلت أول محاولة من نوعها. وقد تبيّن أنه ينبغي كذلك العمل على توحيد لغة القضاء، كما توحد الفقه في الماضي، بسبب اختلاف القوانين المدوّنة على الطريقة الفرنسية أو العرفية على الطريقة الانكليزية، وما يحيط بذلك من أحكام صادرة وفق قضاء يعسر معها تفهم النصوص واستيعاب المصطلحات القضائية المولدة التي لا يمكن الموافقة عليها برمتها وفي وضعها التي بدت به[٤١٧]. هذا مظهر مجمل لما يسير عليه النشاط المعجمي الوضعي والتنسيقي في حقل العلوم الاجتماعية الدينية والحديثة والفقهية بمدلولها اللغوي والديني ومظاهر الحياة الفردية والعامة المتمثّلة في التقعيد القانوني الحديث.

أما في ميدان العلوم الانسانية البحت، فقد جرت العادة أن تنطلق من مادة الفلسفة والإشعاع على بقية المواد المعتبرة في التصور القديم، تفريعات عن المعرفة الجوهرية المتوجة للحكمة البشرية. وقد تركّز النشاط المعجمي في وضع معجم الفلسفة كما حدّده مجمع القاهرة بحيث لا يكون تأليفاً يؤرخ لتلك المادة، بل كان المقصود منه إحياء القديم من المصطلحات الفلسفية، إلّا إذا وقع تعويضها بألفاظ حديثة أو أنها لم تعد تطابق المفهوم

---

(٤١٣) «مصطلحات قانونية،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ٢، ص ٩٢ - ١٣٥.

(٤١٤) *Faruq's Law Dictionary* (Cairo: [n. pb.], 1970).

(٤١٥) حارث سليمان الفاروقي، «المعجم القانوني: انكليزي - عربي،» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**، السنة ٤٠ (تموز/ يوليو ١٩٦٥)، ج ٣، ص ٦٦٠.

(٤١٦) «تعديلات المجلس الأعلى السوري للعلوم،» **اللسان العربي**، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ٢٨٧.

(٤١٧) المصدر نفسه.

الفلسفي المعاصر. ثم تبدأ مرحلة التدوين المرتبطة بتوضيح المفاهيم التي شاعت منذ بداية القرن العشرين. لكن هذا الجمع لا يتحدد بعصر أو مذهب فلسفي معين من شأنه أن يؤثر في تجريد اللغة الفلسفية. ذلك إذا رمنا توحيد اللغة العلمية العربية، فلا مفر من مطابقة المصطلحات زوجاً زوجاً، اللفظة الأجنبية والعربية[418].

فقرّ عزم مجمع القاهرة على ترتيب كلمات العلوم الاجتماعية التي تجسد ما بلغته المجتمعات العربية من تطور. وقد بدأ هذا العمل المعجمي منذ ١٩٤٠، وشمل معاجم خاصة وفهارس المؤلفات. لكن عدد تلك الألفاظ لم يتجاوز ٢٠٠٠، وقد اعتمد مرجعاً تأليف اليونسكو بالانكليزية، وأتاح تجميع لغة العلوم الاجتماعية وتطويرها، فحذفت الألفاظ التي تكتسي صبغة وطنية محلية، وأضيفت مفردات نوعية خاصة بالوطن العربي، وذلك بغية وضع معجم يتماشى واهتمامات الأقطار العربية[419]. ونتبين من خلال هذه البادرات ما يوجد من ترابط بين العلوم الاجتماعية والانسانية بحيث إن المجمع نفسه اشتغل بظهور المصطلحات الفلسفية في الاسلام[420]، بل إنه عقد مؤتمراً للفلسفة وعلم الاجتماع (القاهرة، ٣ ـ ٨ أيار/ مايو ١٩٧١) شارك فيه المكتب. وانقسم هذا المؤتمر إلى لجنة للبحث وافقت على ما يقرب من ٢٠٠٠ لفظة ينبغي نشرها بالجامعات والمؤلفات الفلسفية. وما يمكن تبينه في خصوص هذه الألفاظ أن وضعها اتّسم بالتردّد. وقد كان عددها محدوداً في بداية الأمر، ثم تزايد بفضل استغلال ما أُلّف في علم الكلام والأعتزال، وهو المذهب الذي أنشأ أول مدرسة فلسفية في الاسلام. ولا شك أن المعتزلة وضعوا تصورات خاصة بالفقهاء قطعاً، لكنهم أعدوا أيضاً نظريات عن الطبيعة والأخلاق وعلم النفس. ورغم أن أعمال المترجمين كانت ضعيفة، فقد يسّر ذلك تغذية اللغة العربية بالمؤلفات الفلسفية واللاهوتية التي كتبت بالعبرية والسريانية والهندية والفارسية واليونانية واللاتينية. فقد أفادوا مثلاً من أعمال شرّاح مدرسة الاسكندرية التي كانت قيّمة. وفي الجملة كان عمل هؤلاء المترجمين ايجابياً إذ خلّف لنا مصطلحات ذات قيمة ما زالت مستعملة شائعة، وقد اقتبسوها من مؤلفات أرسطو، ورسخ منها خاصة ألفاظ علم المنطق، اضافة إلى مؤثرات مفردات الفقه الاسلامي. وبفضل ذلك الزاد القيم، استفاد المترجمون القدامى من وسائل اللغة على أحسن وجه، من اشتقاق ونحت ومصادر وحروف النفي (لا نهائية)، واستغلوا كثيراً وسيلة التعريب. وقد طوّر فلاسفة الاسلام مثل الغزالي وابن سينا اللغة الفلسفية، لكن الملاحظ أن المترجمين في القرن التاسع عشر لم يعتمدوا ذلك الزاد اللغوي العلمي، وقد تحسّن الوضع في القرن العشرين فتجدّدت

---

(٤١٨) ابراهيم مدكور، «تقديم المعجم الفلسفي،» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**، السنة ١٩ (١٩٦٥)، ص ٣١٧.

(٤١٩) ابراهيم مدكور، «مؤتمر مصطلحات الفلسفة وعلم الاجتماع،» **اللسان العربي** (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٤٥٩.

(٤٢٠) ابراهيم مدكور، «نشأة المصطلحات الفلسفية في الاسلام،» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)** (١٩٥٣)، ص ٢٦١.

لغـة الفلسفة وتـدقّقت، وبدأت معـاجمها تـظهر في مصر سنـة ١٩٦٤، فسـاعـدت المعلمـين والمتعلمين على استيعاب المفاهيم الفلسفية[٤٢١].

والملاحظ أن المخطوطات اللغوية هي التي حظيت ومـا زالت بأكـبر اهتـمام في مجـال التحقيق والنقد. ويستحسن طبعاً تعديل هذا الاتجاه والعناية أكثر بالمواد الأخرى كـالفلسفة. وقد تم فعلاً تحقيق بعض المخطوطات من هذا القبيل، من بينهـا واحدة كتبهـا مؤلفها بيـده، نعني **المقولات العشر** للبليدي (محمـد الحسني). وقد كـان هذا الكتـاب محل شروح كثـيرة في عصر المؤلف. وكان موضوعه ما خلّفه أرسطو في موضوع المقولات العشر في الفلسفـة، التـي قام بالتعليق عليها هذا المؤلف (القـرن الثاني عشر من مهـاجري الأنـدلس إلى مدينـة البليدة بالجزائر، وقد درس بالأزهر وانتسب إلى المـذهب المالكي). وقـد تمّ تحقيق الكتاب بـإشراف المكتب، وأضيف إليـه شروح جديـدة وتعليقات. وأهميـة مثل هـذا التـأليف متمثلة رغم مـا طغى عليـه من شروح، في تضمنه اللغـة الفلسفية الشـائعة في العهـد الـوسيط، التي كـانت جـامعة للكليـات. فوجب تـرقب تخليصها من شكليـات المنطق، كـما وقع فعـلاً عند فصـل الكيمياء، عمّا أحاط بها من شوائب كانت سحـرية أكـثر منها علميـة. وتخصص الفلسفة أدى إلى قيام علوم جديدة (علم النفس، الأخلاق، ما وراء الطبيعة، علم الجمال. . .) كـانت في الماضي فروعاً ملحقة بها. فحتى المنطق صار يتدرج إلى التخصص[٤٢٢].

وإضـافة إلى نشر المخـطوطات القـديمة، فـلا شك أن مـراجعـة اللغـة والمصـطلحـات الفلسفية ونظريـات الماضي يسـاهم في تطويـر معجم الفلسفة. ومهـما كان، فـإن ذلك يتيح مقارنة مثمرة بين المصطلحات قديمها وحديثها. كان إذاً كل علم ملحقاً بالفلسفـة، مثلاً علم الحركة الذي درس ضمنها. وقد كان اخوان الصفا على رأس من درسوا حركة الأجساد التي ضبط عناصرها ابن سينا. كانت الحركة وضعية يحتل خلالها الجرم مواضـع عدة، مثـلاً الجرم الثقيل الذي يتجه إلى أسفل، خلافاً للحركة الطبيعية والميل الطبيعي التي يتحـرك فيها الجـرم متجهاً إلى وضعه الطبيعي، مثلاً الجسد الخفيف الذي يتجه إلى أعلى. والقوة الطبيعيـة تتمثّل في الميل الطبيعي الذي تجسّمه جاذبية الأرض والثقل الذي يعيـد الجرم إلى وضعـه الطبيعي، في حين أن الميل القصري والحركة القصرية تعني خضوع الجسـد إلى حركـة خارجيـة. أضف إلى ذلك الحركة الانتقالية حيث ينتقل الجسد ويحدث مقاومة حفاظاً عـلى وضع قـار، وهو مـا عرف قديماً بالميل إلى المدافعة. وتعتبر في الحسـاب كمية الحـركة أيضـاً أو قوة الحـركة أو ميـل كمية[٤٢٣]. والمقصود من هذا العرض الموجز لما شاع من مصطلحات اعتبرت فلسفية في العهد الوسيط هو التفكير في الصور التي بها يمكن إفادة مؤلفي الكتب الدراسية خاصة بعـد ما وافق مؤتمر ١٩٧٧ موافقـة نهائية عـلى معجم الفلسفة للتعليم العـام. ولم يتخلف هؤلاء المؤلفون لا

---

(٤٢١) المصدر نفسه، ص ٣٤٠.

(٤٢٢) المصدر نفسه، ص ٣٤٠.

(٤٢٣) جلال شوقي، «علم الحركة في الفلسفة العربية: مفاهيمه وألفاظه،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ١٨٣.

محالة عن استغلال ذلك الزاد في أبحاثهم ووضع مصطلحات مجددة مطورة تكون بمثابة مولدات فلسفية اجتهدت أيضاً في حل بعض اشكالات السوابق واللواحق اليونانية واللاتينية في هذه المادة. فقد جرب مقابل السابقة Meta إفْعِيلي: Métaphysique = اطْبيعي، ومقابل اللاحقة Logie استخدمت فَعْلِيَاء: Ontologie = أَجْدِيَاء، ومقابل Isme كانت صيغة فُعْلَانِيَّة أو فُعُلَانِيَّة: Dualisme أُحْدَانِيَّة، ومقابل السابقة Pan، طبقت أَفْعُلي + المصدر: أَنْطُقِوِيَّة. أما بخصوص سابقة Anté وPré، فقد استخدمت فُعْلُوَان: Préhistoire أُرْخُوَان. وبالطبع، فإن قضايا ما يتبغي تقعيده أو تقريره من وجهة الصرف ما زال اشكالاً مطروحاً لم يستفد إلّا من الحلول المؤقتة الجزئية التي استغلتها لا محالة المصطلحات الفلسفية لفائدة تطوير لغتها. من المعروف مثلاً أن لفعل (وجد) ثلاثة مصادر: وجود = L'être، وجدان = Conscience، إِجْدَان = لفظة نادرة أفادت في ترجمة Existence التي تنقل عادة إلى (وجود)، مع العلم أن اللفظة اتسعت إلى (وجودية = Existentialisme). أما ما قابل المفهوم الذي ابتكره الفيلسوف الألماني كانط Noumène، فقد شاع لفظ عَقْلَان، وعوض عبارة برمتها. ونجد Paradoxe = افتحار، Utopie = مخالة. وقابل Scholastique مترجمات عدة، منها لفظة ميزتها عن Scolaire = مدرسي، فقيل مَدْرَسَاني الذي مكّن من التخلي عن كلمة معرّبة هي أسكلائي. وكذلك بان الفارق بين علماني = Scientiste وعلمي = Scientifique. وقد استعمل العلايلي وزن فَعَالَة، ترجمة للاحقة Logie، وهذا الوزن شاع أصلاً للدلالة على الحِرَف، لكنه تطور في هذه المادة دلالة على حالة فكرية. والنسبة بحرف الياء أفادت كثيراً، لكن لا يمكن استخدامها في كل الصور (Ontologique = إِجْدِيَائِي، و Ontologiste = إِجْدَانِي)[٤٢٤]. وانطلاقاً من ترتيب كل هذه التجارب الاصطلاحية المبعثرة والتي ينبغي تنسيقها أيضاً قبل تنسيق المصطلحات ذاتها، على الأقل في مادة الفلسفة، يتاح للمعجميين تهيئة نواة صالحة للتحسين المعجمي (فرنسي ـ عربي في المغرب، وانكليزي ـ عربي في المشرق)، اضافة إلى المعاجم الفرعية الأخرى[٤٢٥]. ونخص بالذكر منها المعاجم المسايرة لقرارات التعريب القطرية والعروبية بحيث يكون المعجم جاهزاً مؤيداً لتنفيذ الخطة الظرفية المحددة في المقرر الدراسي في إحدى مراحله. وعلى هذا، تأكد أكثر فأكثر العمل على توحيد المناهج على الصعيد العربي. والمفهوم من ذلك الاتجاه أن يقع توضيح مفاهيم علم الاجتماع، التي راجت في بداية السبعينيات، وتبين الآن أنه ينبغي مراجعتها، وقد بذلت الجهود في هذا الاتجاه «لنقل مصطلحات العلوم الاجتماعية وترجمتها أو تعريبها، وهي جهود شاقة وطويلة لا يجوز التهوين من شأنها والتقليل من أهميتها. لأنها سدت بغير شك بعض الفراغ في المكتبة العربية...»[٤٢٦]. وبالخصوص تكييفها

---

(٤٢٤) **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ٢، ص ١٥٦.

(٤٢٥) **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ٢، ص ٢١.

(٤٢٦) أحمد زكي بدوي، «معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (انكليزي ـ فرنسي ـ عربي)،» **اللسان العربي**: العدد ١٧ (١٩٧٩)، ص ٢٦٩، والعدد ١٨ (١٩٨٠)، ج ٢، ص ١٩١ ـ ٢٢٩. هذا المعجم يتضمن شروحاً للمصطلحات، وهو يتعرض للمفاهيم التربوية الحالية كالتحصيل أو المردود والعمر التحصيلي وهو يتجاوز الشائع من المصطلحات التعليمية ليشمل مفاهيم علم النفس التربوي.

بحتميات التطور الخاصة بالوطن العربي، بعد توسيع دائرتها إلى مناطق أخرى في العالم غير أوروبا تغذية للمدارك الاجتماعية العربية الناشئة(٤٢٧). وقد تجسّمت جدّة هذه المادة في ما ضمت المحاولات المعجمية في علم الاجتماع وعلم النفس من شروح تحدّد المفاهيم بصورة واضحة(٤٢٨). من ذلك ما خص به مصطلح «الاغتراب العقلي» من توضيح: «والاستلاب أو الاغتراب أو الألينة Alienation مصطلح كثر استعماله حالياً، يعني من حيث المنطوق العام حالة الإنسان الذي يعيش في وضعية اجتماعية معينة بمؤسسات ورموز التزم بها، بعد ذلك عمائياً، فحوّلت بالتالي وجدانه عن مشاكله وقضاياه الحقيقية. والاستلاب أو الألينة من حيث المفهوم الماركسي تمر بمراحل: تشيؤ، تبديل، اسقاط، ضياع في الإسقاط، لتصل في النهاية إلى أعلى مراحل الألينة أو الاستلاب، وهي المرحلة التغميضية للواقع الاجتماعي، أو واقعية اللاواقع...»(٤٢٩). والمنهجية التي سلكها **معجم علم الاجتماع وعلم النفس والانثروبولوجيا الاجتماعية** (فرنسي ـ انكليزي ـ عربي) الذي لا يشكل في قسمه الأول إلّا قائمة مصطلحات أولى بدأت ببعض الحروف، تقوم مثل المعاجم الموضوعة، على استغلال المصادر الأجنبية خاصة، وما اشتهر من المعاجم اللغوية العربية بحيث ينبغي اتمام ذلك بالإفادة من قوائم المجامع والجامعات وما وضع من معاجم في الاختصاص. ومع ذلك فقد عمل مؤلفه على تحديد مدلولات هذه الألفاظ الاجتماعية النفسانية اعتماداً طبعاً على الأصول التي وردت بها في لغاتها. والسبب في ذلك أنها مقولات أجنبية، فكان لزاماً اعتماد ما جدّ في التأليف الاجتماعي الغربي، واستخراج أهم مفاهيمه ومقابلتها بمفردات عربية منتقاة: «أما كيفية وضع المصطلح المقابل بالعربية للمصطلحات الفرنسية والانكليزية، فقد تمّت حسب ما هو متعارف عليه، في مثل هذه المعاجم أولاً: اعطاء الأولوية للمقابل العربي المتفق عليه عربياً إن وجد، وإن كنا لاحظنا تعدداً في اختيار المقابل المعادل العربي، حسب الأقطار العربية، مما اضطرنا إلى احترام هذا التعدد بإضافة ما هو شائع منه... ثانياً: في حالة عدم وجود المقابل المعادل أساساً، كنا نلجأ إلى الاشتقاق... والنحت. ثالثاً: وفي نهاية المطاف حين صعوبة وجود المقابل المعادل أو اشتقاقه، كنا نلجأ إلى تعريب المصطلح الأجنبي مباشرة...»(٤٣٠). ويفيد أيضاً الأقطار العربية السائرة في طريق النمو أن تحصل على معجم يتضمن مصطلحات التنمية الاجتماعية. وقد عملت ادارات الجامعة في هذا السبيل بغية توحيد مثل هذه الألفاظ. واعتمدت في ذلك التشريعات الاجتماعية، وما يلحق بها من مواضيع خاصة بالتخطيط والسكّان والخدمات والتعاون والضمان الاجتماعي... واستمد قسم آخر من المفردات من علم الاجتماع وما تفرّع عنه من مواضيع خاصة بالتنمية في المدن والريف. وطبعاً وزيادة في التحري الاصطلاحي، وزّع هذا المعجم (انكليزي ـ فرنسي ـ عربي ١١٩٠ لفظة) على المؤسسات المختصة(٤٣١). كما أن قضية التربية والتعليم شغلت

---

(٤٢٧) **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ٢، ص ٢١.

(٤٢٨) انظر: «Sciences sociales, sociétés arabes,» *Peuples méditérranéens*, nos. 54-55 (janvier - juin 1991).

لا سيما محمد كرو، «وضع عالم الاجتماع في العالم العربي أو كيف يتبنى العالِم العمل السياسي؟» ص ٢٤٧ ـ ٢٦٨ (بالفرنسية).

(٤٢٩) رشدي فكار، «مصطلحات علم الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا الاجتماعية،» **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ٢، ص ٢٥.

(٤٣٠) المصدر نفسه، ص ٢١.

(٤٣١) بنعبد الله، «مصطلحات النظم والمذاهب،» ج ٢، ص ٢٢٥ ـ ٢٦٧.

الخبراء، لمفعولها المباشر على مستقبل الأقطار العربية، فأعدت لذلك معاجم عدة، خدمة للبحث العلمي باللغة العربية في حقل التربية التي صارت تعامل بمثابة العلم المتفرع عن علمي الاجتماع والنفس. فقد وجّه المركز العربي للوسائل التعليمية بالكويت معجماً في الوسائل التعليمية إلى المكتب ليضيف المقابلات العربية الخاصة بمفاهيم وتقنيات المساعدات التعليمية الحديثة، المعروفة بالوسائل السمعية والبصرية[٤٣٢]. وقد أضفنا إلى ذلك مصطلحات تستخدم في البحث التربوي[٤٣٣] مستخرجة من الوثائق المكتوبة باللغة الفرنسية، وارتفع عددها فصارت معجماً (فرنسي - انكليزي - عربي، ١٧٢٧ لفظة) يشكل زاداً اضافياً في هذا الميدان[٤٣٤]. وقد توضحت معالم الفكرة التي قادت بعض المؤلفين إلى وضع معاجم التربية. ذلك «أن الفكر التربوي السائد في مجتمعنا فكر غربي في جوهره وفي شكله، مسيطر بروحه وحرفه على عقول المغاربة والمشارقة على السواء»[٤٣٥]. يضاف إلى ذلك تضمين هذا المعجم ما تركه الأجداد في المجال التربوي من مؤلفات، وما يفرض هذا العمل من مراجعات في التفكير التربوي وتحديد المدارك التربوية الخاصة بالبيئة العربية[٤٣٦]. وفعلاً ان تجديد النظرة إلى المستقبل يفرض العودة إلى الماضي بغية التنقيب العلمي عمّا يمكن اقتباسه منه، وذلك أمر واضح في مادة التاريخ حيث ان الباحث العربي لم يعد في إمكانه الاقتصار على التآليف الأجنبية التي ألّفها أساتذته الذين درس عليهم، لما تضمنت من بعض الأفكار المنهجية المسبقة التي تستند إلى خلفية تاريخية حضارية معينة اخنى عليها الدهر أحياناً. وبما أن الهياكل الجامعية العربية لم تستكمل بعد كل الاختصاصات، فإن هذا النقص يمكن تعويضه بتوجيهات قومية يسير على هديها الباحث المتقدم إلى جامعة أجنبية، تكون مساعدة له على الاسترسال في البحث الذي اختار، دون وجل من الوقوع في الانحرافات الفكرية الخاطئة[٤٣٧]. والتسلح بمثل هذه المبادىء يفيد مستقبلاً في تأليف الكتاب المدرسي والأبحاث التخصصية التاريخية، وقد تدعم ذلك بما أقرّه مؤتمر ١٩٧٧ من مصطلحات في مادة التاريخ صارت قابلة للرسوخ في التعليم العام[٤٣٨].

لم ينفك الخبراء المراسلون لمكتب تنسيق التعريب يبعثون بمشاريعهم المعجمية والاصطلاحية. كانت الحصيلة محدودة في مجال العلوم الانسانية، وتركزت خاصة على العلوم

---

(٤٣٢) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ٢، ص ٦٩ - ١١٤ و٣ - ٥٧.

(٤٣٣) المصدر نفسه، ص ٣١١ - ٣١٩.

(٤٣٤) محمد المنجي الصيادي، «المصطلحات التعليمية،» **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ٢، ص ١٥٤ - ٢٠١.

(٤٣٥) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ١، ص ١٧٨.

(٤٣٦) انظر: رشدي أحمد طعيمة، «مفاهيم واصطلاحات في التربية وطرق التدريس،» **اللسان العربي**، العدد ١٧ (١٩٧٩)، ج ٢، ص ٧١ - ٧٢.

(٤٣٧) أحمد العايد، «معجم الأطفال الأساسي المصور الثنائي اللغة،» **اللسان العربي**، العدد ٢٠ (١٩٨٣): «فهذا المعجم إذن هو أداة قد يسهم في الحوار. هذا الحوار الذي ينشأ عليه الغربي متطهراً مما علق بآبائه وأجداده من أوهام وأخطاء في حق العرب، وبالذات الحضارة العربية الاسلامية» (ص ١١٠).

(٤٣٨) المصدر نفسه، ج ٣.

الاجتماعية، وعلم الاجتماع وعلم النفس والانثروبولوجيا الاجتماعية، وفي مادة الجغرافيا وما يشملها من تخصصات فرعية؛ كأشكال الأرض والمناخ والأرصاد الجوية والبيئة، وما أثمرت من علوم ومصطلحات مبتكرة لمادة حديثة جداً(٤٣٩).

١١ ـ المعاجم الإدارية

نظراً إلى ارتباط تعريب التعليم بالتعريب الإداري، فقد تأيدت الفكرة القائلة إن التعريب إنما هو اختيار سياسي وحضاري، بمعنى أنه يشكل طريقة شاملة للاتجاه الفكري الذي يستند إلى اللغة القائلة. وعلى هذا الأساس بدأت الأوساط المغربية تطالب أيضاً بالتعريب الإداري. وكان العمل المهيء لذلك قد قام به في أقصى المغرب مثلاً المركز المغربي للتعريب الذي أعدّ للإدارة العامة بناء على ما جمعه من جذاذات. كان المنطلق أن تجرد المصطلحات الإدارية الموجودة بالفرنسية منشورة على المطبوعات والوثائق والجريدة الرسمية، وكل وثيقة محلية، يضاف إلى ذلك قوائم المجامع وما سبق نشره من معاجم في هذا الباب. وقد انطلقت المنهجية المسطرة من جذاذات وضعت بالفرنسية ورُتّبت ألفبائياً بالمقابل أو المقابلات العربية. ثم تجمع الألفاظ غير المعرّبة، بمعنى التي لم يقع نقلها إلى العربية، مع وضعها بغية نشرها في الوطن العربي قاطبة(٤٤٠). وكما وقع لإعداد المعاجم الأخرى تتبع الطريقة نفسها التي تبدأ بالألفاظ الموضوعة في الأقطار العربية، ثم التي أعدّها المكتب، ثم عمل الخبراء وما يطرأ على كل ذلك من ملحوظات ناقدة. ونفذت فعلاً هذه الخطة على دليل العلوم الإدارية(٤٤١) المشتمل على ١٤١٨ لفظة عربية موحدة، الذي تقرر وضعه بثلاث لغات (انكليزي ـ فرنسي ـ عربي). وقد عنيت اللجنة المكلفة بوضعه بإعداد معيجمات موازية، أيضاً، مستمدة من المعجم الإداري العام وخاصة بالخدمات الادارية (بريد، أشغال عامة، صحة...). وتقرر توزيعها على الموظفين تلافياً لكل اضطراب يطرأ على سير الإدارة عند البدء بتحقيق التعريب داخلها، وبذلك يتاح للمستخدمين وجود اللفظة العربية المناسبة بسرعة. وخطط لإعداد ذلك المعجم في خمس سنوات، وتقرر أن يتضمن الألفاظ الشائعة والخاصة باللغة الفنية المستعملة في الأقسام الإدارية. وإن لم يظهر بعد المعجم الإداري العام، كما هي الحال بالنسبة إلى المعجم العلمي العام لما يتطلبه ذلك العمل من إمكانات عظيمة، فقد نشر منه في مجلة المكتب جزء هام مشكول الكلمات، بلغت جملة ألفاظه قرابة ٨٠٠٠(٤٤٢).

---

(٤٣٩) انظر: **اللسان العربي**: (١٩٧٩)، ج ٢؛ (١٩٨٠)، ج ٢؛ (١٩٨٣)؛ (١٩٨٦)، و(١٩٨٧).

(٤٤٠) المكتب: حصة اذاعية، ١٩٦٢/١٢/٢.

(٤٤١) «مشروع دليل المصطلحات العربية الموحدة في العلوم الادارية،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ٢، ص ٤٧.

(٤٤٢) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ٢، ص ٨، وج ٣، ص ١٢١.

وقد نظّمت المنظمة العربية للعلوم الإدارية أول مؤتمر لها بالقاهرة (٢٠ ـ ٢٨ شباط/ فبراير ١٩٧١) شارك فيه المكتب كما شارك في ندوة الخبراء في مسائل الميزانية (١٩ ـ ٢٩ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٠) وقدّم معجماً (انكليزي ـ عربي) في هذه العلوم التي تتفرع إلى ميادين عدة، خاصة باللغة الادارية، مثلاً توجد مصطلحات خاصة بالشرطة صدرت عن المنظمة العربية للدفاع بدمشق، ووضعت طبعاً في اللغات الثلاث بعدما كانت محرّفة بالعامية والتركية[٤٤٣]، ونجاعة مثل هذا العمل المعجمي الاداري تتطلب تدخل أساتذة القانون الاداري ممن تكونوا باللغة الفرنسية. لكن ينبغي لهم اتقان الأساليب الانكليزية المتوخاة في الادارة ليبادلوا زملاءهم في المشرق العربي الخبرة والمصطلحات الادارية. وقد رسخت تلك الأساليب في فلسطين والسودان وأقطار الخليج بالخصوص. أما الأقطار الأخرى، فقد اقتبست الكثير من المصطلحات الادارية الفرنسية، بحيث صار من الضروري العمل على تنسيق لغة الادارات العربية. واختصاراً للوقت والجهود، يستحسن أن توحد لغة معجم المنظمة الادارية العربية ولغة المعجم المتمّم له الواجب وضعه، ويؤيد ذلك ما يوجد من فروق في الدلالة بين المصطلحات المقتبسة عن الانكليزية، والمصطلحات المقتبسة عن الفرنسية التي كانت واضحة التأثير في القانون العام، في حين أن التأثير الانكليزي كان متجسماً في القانون الخاص، اضافة إلى أنه ينبغي حصر الألفاظ التي لا تتفق والواقع الاداري العربي وحذفها من المعجم المنسق المحدد للمفاهيم الادارية العربية وما يترقب منها للنهوض بالتنمية الشاملة[٤٤٤]. وتفرع عن ذلك المعجم الكبير أعمال محددة في نطاق بعض المؤسسات الراغبة في وضع مصطلحات خاصة بنشاطها، مثلاً الأمانة الدائمة لمركز التنمية الصناعية للدول العربية الذي طالب بالحصول على المقابلات العربية في علم الاحتساب[٤٤٥]، وهي جملة من الألفاظ الفنية الدقيقة الشائعة في الحياة المالية والمصرفية. ومنذ انعقاد اللجنة الاقتصادية والمالية لدى المكتب (١٩٦٥/١١/٢٣) بحضور خبراء في الاقتصاد، كان الشعور واضحاً بما للاقتصاد والنمو الشامل من ترابط، فتم الاتفاق على توحيد الجهود المنسقة للغة الاقتصادية والمالية، انطلاقاً من المصطلح الفرنسي الشائع في كل قطاعات التخصّص[٤٤٦]. واتّسعت تلك الجهود وتفرّعت إلى اختصاصات اقتصادية متنوعة. ساعد على نشرها خبراء ومؤسسات كمصلحة الجمارك المغربية (المعجم الجمركي)، وقوائم أعدّها المجمع الأردني في التجارة والاقتصاد والمصارف، ومعجم المحاسبة وآخر للتجارة، وشاركت المنظمة لضبط الجودة بمعجم في هذا الميدان (١٩٨٤)[٤٤٧]. فكان ذلك الموقف بمثابة الظاهرة الجديدة لخطة التعريب المغربية التي اتسعت تدريجياً لمختلف ميادين الحياة الوطنية والعروبية، وذلك عملاً على تعريب أطر الموظفين والمحافظة في آن واحد على مستوى المردود الاداري والتقني، اعتباراً

---

(٤٤٣) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ١، ص ٢٠٣.

(٤٤٤) المصدر نفسه، ص ٣٢٦.

(٤٤٥) المكتب، مذكرة في ١٩٧١/١/٢٥.

(٤٤٦) المكتب، محضر ١٩٦٥/١١/٢٦.

(٤٤٧) انظر: **اللسان العربي**: (١٩٧٩)، ج ٢ و٣؛ (١٩٨٠)، ج ٢؛ (١٩٨٢)، و (١٩٨٦).

لما في السير على هذا النهج التعريبي المنطقي من صعوبات بالنسبة إلى امكانات كل قطر، فكان لزاماً السير على خطة تدريجية لا مباغتة فيها[٤٤٨]. فابتدأ العمل بجرد قوائم الألفاظ الشائعة بالفرنسية تأهباً لإعداد المعجم (١٩٦٦) الخاص بالألفاظ المالية والاقتصادية الذي سيتسع إلى معجم عام للاقتصاد كان مقرراً إعداده في قرابة ٨٠٠٠ لفظة، وبلغ فعلاً ٦١٤٩ مصطلحاً[٤٤٩]. وشارك في هذا الاحصاء الاصلاحي الأقسام الادارية، وابتدأ فعلاً بقوائم في اللغة الاقتصادية المحددة ألفاظها واحصاءات عن الانتاج. وبتطور الخبرات على مر السنين، أصبح العمل الاصطلاحي يطمح إلى إنشاء بنوك المعلومات لخزنها، خاصة أن الحاجة ماسّة إلى مثل ذلك في المجال الاقتصادي، حيث «يراعى في اعداد المكنز دائماً العلاقات التحليلية والأدوار والدلالات المتصلة بالألفاظ، وخاصة إذا كانت هذه الألفاظ تشمل أنشطة اجتماعية أو اقتصادية. . .»[٤٥٠]. والواقع أن أهمية العلاقات الدولية على الصعيد الاقتصادي لم تعد غائبة عن أذهان المسؤولين في الأقطار العربية، كما بيّن ذلك أحد مؤلفي المعاجم في الألفاظ السياسية[٤٥١]. ورغم ذلك، لا زال التردد يسود المصطلحات الاقتصادية والسياسية، كما ورد في قاموس الألفاظ الاقتصادية والتجارية (بيروت، ١٩٧٢) إذ لم يسر العمل طبق ما شاع من ألفاظ، كما أنه لم يقع الاتفاق على انتقاء الألفاظ الواجب نشرها. وتوسيع دائرة العمل المعجمي شملت أيضاً مؤسسات أجنبية مثل (أرامكو) التي نشرت معجماً (انكليزي - عربي، ٤٥٠٠ لفظة) كانت تعوزه توضيحات في دلالة الكلمات، كما ساء تقديمه من الوجهة المطبعية. فكان المكتب يعمل على تقييم مثل هذه الأعمال لتوحيد المصطلحات المالية بعد تنسيق ما وضع من قوائم مجمعية وغيرها في الأقطار العربية[٤٥٢]. ويرتبط بذلك مساهمته في تصحيح ومراجعة ذلك الانتاج الذي تشرف عليه عادة مؤسسات عربية تابعة للجامعة، مثلاً ما قدمه مكتب العمل العربي من قوائم خاصة بميدانه (انكليزي، فرنسي، عربي، ٣١٦ لفظة)[٤٥٣] ومنذ أن اجتمع خبراء العمل (٦ - ١١/١١/١٩٧٦) بالقاهرة، وقرروا جمع هذه المصطلحات الخاصة بالعمل وتوحيدها ثم اشاعتها، تبلورت تلك المفردات الدقيقة التي تجنبت الغموض، واعتمد واضعوها منهجية واضحة. واضافة إلى ذلك، تقرر استكمال هذه المنهجية والاستمرار في المراجعة والتدقيق بحيث «يتم العمل على إصدار المعجم ونشره في جميع البلاد العربية حتى تكون هناك لغة عمل واحدة تسهّل التبادل الفكري وتوحّد المفاهيم في مسائل العمل»[٤٥٤]. ومن الصعيد العربي أتيح التعامل المعجمي على الصعيد الدولي، وكان ذلك مع منظمة اليونسكو التي أعدت معجم

---

(٤٤٨) المكتب، محضر ١٩٦٥/١٢/٣.

(٤٤٩) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ٣، ص ٥.

(٤٥٠) شوقي سالم، «المكانز العربية: مسائل فنية ولغوية - تخطيط لا غثاء، المكنز العام العربي للمصطلحات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية،» **اللسان العربي**، العدد ٢٥ (١٩٨٥)، ص ٧٨.

(٤٥١) أحمد عطية الله، **القاموس السياسي**، ط ٣ (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٨).

(٤٥٢) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ١، ص ٢٠٧.

(٤٥٣) «مصطلحات العمل،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ج ٢، ص ٦١.

(٤٥٤) المصدر نفسه.

مصطلحات المؤتمرات[٤٥٥]. وقد أعدّ كالعادة في اللغات الثلاث، وأضيفت له شروح وملاحظات على أعمدة تضمّنت اللفظ العربي، المقابلات العربية التي اقترحها المكتب مسبوقة بالألفاظ الانكليزية والفرنسية، كل ذلك كان مرفوقاً بالمراجع المعتمدة وشروح فقه اللغة المؤيدة للمقترحات والتصحيحات[٤٥٦]. من الشروح المدعمة ما خصّ به ظرف المكان (حيث) إذ اعتمدت بشأنه مصادر أصيلة في المعجمية العربية. ذلك أنه استخدم خطأ ظرف زمان في قوله حيث إنه، فعوض بتصحيح جاء فيه (بما أنه، أو نظراً إلى أنه، وأيضاً لما كان)[٤٥٧]. إن هذه «الحيثيات» كما هو معلوم شائعة في لغة السياسة الدولية فتبين أنه من المفيد إعداد معجم لمصطلحات الدبلوماسية. وقد نشرت أعمال من هذا القبيل (انكليزي - عربي في ١٠٠٠٠ كلمة) اقتبست مفرداتها من عبارات شائعة بالإذاعة والصحافة والمؤلفات السياسية. وقد أمكن للمؤلف أن يدقق الجمل المستخدمة في ميدان السياسة والدبلوماسية ويقتبس من اللغة الانكليزية الأمريكية المخصصة لذلك. الواقع أنه توجد من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ كلمة في الدبلوماسية العربية ينبغي مراجعتها تدقيقاً للمفاهيم الانكليزية[٤٥٨]. وفي الجملة، لا شك أن ما قامت به المنظمة العربية للعلوم الادارية في حقل المصطلحات تجسد فعلاً في وضع معجم اداري عام يتضمن الألفاظ الاقتصادية ومفردات المحاسبة والإحصاء والقانون، لارتباط هذه المادة بالنشاط الاداري كما أسلفنا، ولما يترتب على ذلك من ترفيع في المردود والانتاجية الادارية، ويكون ذلك على الصعيد القطري منطلقاً يعدّ العدّة للمعجم الكبير في الادارة العربية بجميع تفريعاتها واختصاصاتها.

١٢ - المعاجم الحضارية

إن وضع المعاجم من هذا النوع يشكل العامل الأقوى في ما يبدو على تبلور الشعور اللغوي كأصفى ما يكون. ذلك أنه إذا وجدت العربية صعوبات في الحصول على اللغة العلمية واستيعابها، فإنها ما انفكت منذ البداية لغة ناقلة لألفاظ ومفاهيم الحضارة بكل جزئياتها وتشعباتها. فكانت مناسبة للدفاع عن قيم اللغة العربية وأصالتها. وقد اعتبر بعض أعضاء المجامع أن اللغة العربية تشكل أحسن أداة لنقل مبادىء القومية، فيتحتم حمايتها من مشاريع الغزو المتمثلة في اقتراح كتابتها بالحروف اللاتينية، أو في «تعميم» الفصحى يعني تحويلها إلى لغة عامية في التخاطب والتعليم والثقافة عامة. أما قضية اعتبار العربية لغة صعبة، فالتفكير في ذلك إذا ارتبط بما عليه كسب اللغات الأخرى من عسر، كما هو الشأن في الفرنسية والانكليزية التي مارسها بأحجام متنوعة الناطقون باللغة العربية، هذا إذا تغافلنا

---

(٤٥٥) المكتب، رسالة إلى رئيس اليونسكو رقم ٢٢، ١٩٧٢/١/١٣.

(٤٥٦) بنعبد الله، «معجم المعاني،» ج ٢، ص ٣٠٠.

(٤٥٧) المكتب، المصدر نفسه.

(٤٥٨) مامون الحموي، «المصطلحات الدبلوماسية في الانكليزية والعربية،» مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)، السنة ٢٥ (نيسان/ ابريل ١٩٥٠)، ج ٢، ص ٢٨٨.

عن السكوت عن الصعوبات الكامنة في تلقين اللغات الأخرى مثل الألمانية أو السويدية[٤٥٩]. وقد قال جرجي زيدان إن العربية كائن حي لا تعترض على استخدام الألفاظ المولّدة من وجهة عبقريتها أو بناها، خاصة إذا رجعنا إلى العصر الجاهلي قبل القيام بتوليدها ولم نجد أثراً لتأدية مفهوم حديث تأدية صحيحة، فيكون لنا ذلك النقص بمثابة الميسّر لابتكار الكلمة الجديدة[٤٦٠]. وتأصيل اللغة بالعودة إلى الماضي السحيق إنما يشكل العنصر الحضاري الأول الذي يطور العربية إلى أداة فعالة للتقدم[٤٦١]. وأبديت آراء أخرى ادعت أن تشعب العربية كامن في الأساليب المتوخاة في تعليمها لأنها لا تلقن كأداة حضارية بل تلقن كمعرفة لغوية خارجاً عن الفطرة اللسانية التي تكتسب بالسليقة، وهي تعلّم طبقاً لقواعد لا يستوعبها المتعلّم لا لعسرها فحسب بل لأنها لا تغرس جذورها في واقعه اللغوي، وذلك دون أن يكون قد ملك ناصيتها في خاتمة المطاف[٤٦٢]. كان محمود تيمور شاعراً بهذه الأمور التي عطّلت النمو اللغوي الشامل، وقد تبين أن ذلك مردّه إلى أن العربية بقيت لغة كتابية أكثر من كونها لغة حوار، فصاغت كلماتها لا سليقة بل بالعمل بوسائل عدة صرفية[٤٦٣]. وقد كان أول من وضع معجماً (انكليزي ـ فرنسي ـ عربي) في ألفاظ الحضارة الحديثة. وبالفعل، جمع ما تبعثر من مفردات في الكتب والصحف، وحاضر في الموضوع، وكان يقترح في نهاية كل محاضرة سلسلة من الكلمات سبق له أن حللها واستخرجها من الكتب القديمة، أو كان قد وضعها بنفسه، أو أنه خصص أو عمم مفهومها[٤٦٤]. وقد لاحظ أن ما يجدّ من تداخلات بين الألفاظ يقع في مستوى قيمتها الدلالية والإدراكية في اللغة الفصحى. لكن ما هي المقاييس التي بموجبها يتم الانتقاء؟ فبدا وكأن الكفاح الدائرة رحاه بين الكلمات العربية والأعجمية قد تحول إلى منافسة بين الألفاظ العربية التي تريد البقاء والحصول على دائرة يتسع اشعاعها أكثر فأكثر[٤٦٥]. وقد اتجه فريق من أعضاء المجامع إلى البحث عن الكلمات المتروكة التي ينبغي احياؤها وإشاعتها، في حين أن أفراداً آخرين من أعضاء المجامع فصلوا ترتيبها وتهذيبها وانتقاءها بغية ضمان أحسن استعمال لها[٤٦٦]. وقد استمر محمود تيمور من جانبه في نشر قوائم ألفاظ الحضارة إرادة منه في إحيائها بمتابعة ما يجد في حقل توليد المفردات في كل مناحي

---

(٤٥٩) عمر فروخ، **القومية الفصحى** (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٧)، ص ١١.

(٤٦٠) جرجي زيدان، **اللغة العربية كائن حي** (القاهرة: دار الهلال، [د. ت.])، ص ١٣٩.

(٤٦١) عائشة عبد الرحمن، **لغتنا والحياة** (القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٩)، ص ١٩٩.

(٤٦٢) محمود تيمور، **مشكلات اللغة العربية** (القاهرة: مكتبة الآداب ومطبعتها، ١٩٥٦)، ص ٩.

(٤٦٣) مصطفى الشهابي، «ملاحظات لغوية واصطلاحية،» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**، السنة ٣٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٢)، ج ١، ص ٣ ـ ٤.

(٤٦٤) محمد العربي الخطابي، «اللغة العربية والتطور،» **اللسان العربي**، العدد ١ (حزيران/ يونيو ١٩٦٤)، ص ٣٢.

(٤٦٥) مدكور، **مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً: ماضيه وحاضره**، ص ٥٩.

(٤٦٦) المصدر نفسه، ص ١٦٠.

الحضارة المعبّر عنها بالفرنسية والانكليزية، فكانت مناسبة لتهذيبها وتطويرها حتى تروج في العربية عبر معجمه المعروف بالجديد في ألفاظ الحضارة(٤٦٧). وقد اصطلح على أن يكون اللفظ الحضاري هو ذلك الذي شاع بين الجماهير العربية بغية الدلالة على أشياء الحياة في البيت والشارع، وبهذه الصورة يشكّل ذلك اللفظ القاسم المشترك الأعظم لكل فروع المعرفة. ولا شك أن قسماً من اللغة الحضارية مستمد من اللغات الأجنبية أو من أصل عامي، لكنه تراجع أمام حملات مقاومة الأمية وتعميم التعليم، وهي التدابير التي يمكن بفضلها فرض اللفظة المكتوبة التي تشيع في الصحف. وإلا فستعود الألفاظ الأعجمية إلى سالف سيطرتها، ويقاوم هذا التيار بفضل ما لنا من شعور لغوي يحتم علينا العمل على سدّ النقص الاصطلاحي(٤٦٨).

ولو قارنّا ما ينبغي عمله لفائدة الألفاظ الحضارية بما يتوخى في المواد الأخرى مثلاً في مصطلحات اقتصادية أو مالية أو غيرها، لتبينا بوضوح أن الأول يتطلب عنصر السرعة، لأن اللفظ الحضاري يرتبط بالحياة اليومية ومطالبها المفاجئة التي لا تترقب الأناة للدلالة على المستجدات الطارئة اليومية(٤٦٩) خاصة وأنها تتعلق بشؤون الحياة العامة التي لها تأثير مباشر على الوجدان اللغوي الجماهيري، إضافة إلى ما يعن لوسائل الإعلام من مبتكرات طيبة أو سيئة(٤٧٠). فقد جدّ في معجم المصطلحات المالية مثلاً كثير من النقاش الذي أحاط بإخراجه(٤٧١) والذي لاحظ عيوباً في مصطلحاته من وجهة المعنى والمبنى قابلة للاصلاح اليسير، لأن شيوعها سيكون محدداً مقتصراً عادة على أهل الاختصاص. لكن الخطورة تبرز في المعاجم الحضارية التي تتجه ألفاظها إلى مختلف الأصناف المستفيدة منها، خاصة أن «الأمر الواقع فعلاً أن كل بلد عربي قد عرّب الكثير من الألفاظ الأجنبية من علمية وتقنية وفنية وصناعية... وصار يستعملها لنفسه بصرف النظر عمّا إذا كانت فصيحة أو مغلوطة أو عامية في بعض الأحيان أولاً، وعمّا إذا كانت تطابق المعنى المطلوب أو لا تطابقه ثانياً. وعمّا إذا كانت تتفق مع مصطلحات الأقطار العربية الأخرى أو لا تتفق معها ثالثاً. هذا فضلاً عن انتحال الألفاظ الأجنبية واستعمالها كما هي في كثير من الأحيان بدلاً من استعمال ألفاظ عربية تقوم مقامها رابعاً»(٤٧٢). بهذا الوصف نتبين إلى أي حد يجب بالإضافة إلى التحري المعتاد في انتقاء المفردة الحضارية، الاستجابة الفورية لسد ما يحصل من مبتكرات أجنبية في

---

(٤٦٧) محمود تيمور، «الجديد في ألفاظ الحضارة،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ٢، ص ١٦.

(٤٦٨) انظر: عبد الكريم خليفة، «معجم موحد لألفاظ الحضارة،» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ١٣، العدد ٣٦، ص ١١ - ١٩، **ومجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة)، العدد ٥٣ (شباط/ فبراير ١٩٨٤)، ص ١٦٨ - ١٨١.

(٤٦٩) **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٤٠٥ - ٤١٠.

(٤٧٠) مكي الحسني، «لغتنا العربية بين مجامع اللغة ووسائل الإعلام،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (دمشق)، السنة ٦٥ (نيسان/ ابريل ١٩٩٠)، ج ٣.

(٤٧١) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ١، ص ٢٠٧.

(٤٧٢) **اللسان العربي**، السنة ١٣ (١٩٧٦)، ص ١٤٥.

اللغة الحضارية المشاعة بين مختلف الطبقات. ولا شك أن أول خدمة جليلة تقوم بها المعجمية العربية في مسيرتها الراهنة هو العمل الدائب المتواصل لخدمة اللغة الحضارية العربية من وجهة انتاج كلماتها الحيني. ولا أكثر نفعاً من وسائل الاعلام التي ينبغي استغلالها إلى أقصى حد لإشاعة الألفاظ اليومية التي تدخل تواً إلى البيت وتنتشر في الشوارع على أفواه المتكلمين. وموازاة لهذا العمل اليومي، تتركز شواغل المعجميين على الاستمرار في إعداد معجم المعاني الذي يكون الأداة الفعّالة في تبويب مواضيع هذه اللغة الحضارية تبويباً منطقياً تدريجياً، يكون بمثابة الفرصة السانحة للرجوع إلى مراجعتها وتنقيحها أو تصحيحها عند الاقتضاء، وذلك خلال المعالجة اللغوية لشؤون الحياة العصرية. لقد كان معجم المعاني يستهدف فعلاً أن يكون الصورة التي تعكس الحضارة الحديثة المعبّر عنها بواسطة لغة شائعة قادرة على الدخول إلى جميع الأوساط لما تميّزت به من يسر وسلاسة. والواقع يحتم علينا أن يكون مستهلك الألفاظ الحضارية في مأمن من العجز الاصطلاحي لفقد لفظة أو أكثر تكون الحاجة إليها ماسة، بل إن الواجب اللغوي يقتضي أن يتملك المتكلم شعور بأن العربية الموجودة لخدمة العصر الحديث مستعدة دائماً وفعلاً لمساعدته في هذا الباب. وقد حاولت المؤسسات اللغوية السير في هذه السبيل، كأن توضع بالعربية مفردات التربية البدنية في مجمع بغداد، وكأن يتم في الرباط استكمال القائمة بالمقابلات الانكليزية والفرنسية، وإعداد ما يقرب من ١٣٥٠ لفظة. واشتغل الخبراء بإعداد ألفاظ (٥٠٠ لفظة) السيارة وآليتها، بحيث تبين أن هذه التجارب المعجمية، وإن لم يسبقها التخطيط المحكم المسبق، فقد كانت مثمرة، وجعلت التفكير في الاشتراك بإعداد المعجم الحضاري أمراً قابلاً للتنفيذ، بحيث يشمل مثل هذا المعجم جميع ميادين النشاط العصري. لكن ما ينبغي اعتباره أن نظرة كل مؤسسة لغوية عربية تتميز ببعض الاختصاصات المحلية التي من شأنها أن لا تتفق مع المؤسسات المماثلة[٤٧٣]، كأن يتجه بعضها إلى استعمال الشائع من الألفاظ ويميل غيرها إلى الاقتباس من الكتب مثل تأليف محمود تيمور. فقد لوحظ أن بعض الألفاظ المنتقاة كانت متكلفة (مثلاً: سمي Bidon صفيحة إذا كانت من الزنك، ومدلجة إذا كانت من الخشب؛ وقد انتشرت الكلمة الأولى في لغة الكتابة، في حين أن الثانية كانت مجهولة تقريباً). وكانت بعض الألفاظ الأخرى مختلفاً عليها سواء استعملت في أقطار المشرق أو المغرب: ثلاّجة = Glacière في المغرب أو = Réfrigérateur، بينما شاعت برّادة في بعض أقطار المشرق. وروجت في معجم المكتب شوّاية (Gril) ومشواة (Rôtissoire)، وكذلك عصّارة = Pressoir، ومعصرة خصصت فقط لآلة عصر الزيت، وذلك رغبة في تدقيق مدلولاتها الفنية العملية. وما يمكن قوله إجمالاً هو أن لا يستهدف معجم الحضارة التحوّل إلى أن يصبح معجماً للترجمة بل معجم معاني في اللغة العربية يجمع ويرتب أسماء المستحدثات والأدوات والآلات ويبوّبها حول

(٤٧٣) من أعمال المجمع العلمي العراقي مثلاً، أن اللجنة العاملة للنهوض باللغة العربية وضعت «ثلاث مئة مصطلح وعشرة مصطلحات للألفاظ الحضارية المستعملة في العراق وهي إما أعجمية دخيلة، وإما محرفة من أصل عربي». انظر: أعمال المجمع العلمي، الدورة الرابعة في: **مجلة المجمع العلمي العراقي**، السنة ٣٤ (تموز/ يوليو ١٩٨٣)، ج ٣، ص ٣٣٥.

موضوع واحد، ويضاف إليها الشروح الضرورية. وعلى هذا الأساس، فلا يضاف اللفظ الفرنسي أو الانكليزي أمام اللفظ العربي الأساسي إلّا للإفادة فحسب[٤٧٤]. وما يدعم هذا المعجم هو أن تنشر مصادر عدة لها قيمة موسوعية في مواد عدة حضارية، مثلاً قاموس دوزي (Dozy) **المفصّل لأسماء اللباس عند العرب** (وقد وضعه مؤلفه بين سنة ١٨٤١ و١٨٤٣). وقام بنقله إلى العربية مدير الفنون والثقافة الشعبية بوزارة الاعلام العراقية. ومن الصعوبات التي اعترضته، استعمال المؤلف عشرين لغة اعتمدها في المصادر، لوجود تآليف عدة مكتوبة بلغات قديمة (آرامية، سريانية، عبرية، قبطية، حبشية)، بالإضافة إلى اللغة الفصحى القديمة واللغات الأوروبية (فرنسية، هولندية، المانية، اسبانية...) وكذلك اللاتينية واليونانية. وقد اقتبس المؤلف استطراداته من الوسائل التي استخدمها النثر العربي القديم، وهي طبعاً تبدو من الغرابة بمكان في نظر قارئه الأوروبي. وربما جعله ذلك يسهو عن أخطاء في فهم اللغة أدّت إلى أن صار المؤلف يتصرف بحرية في القواعد الصرفية العربية. وقد طالت أحاديثه لكنه مرّ مر الكرام على الأحداث التاريخية، مغفلاً ذلك مصادره، خاصة وأنه اعتمد مراجع-مخطوطة في زمانه. وقد بدا معجم دوزي (Dozy) في الواقع تأليفاً في التاريخ والأدب، ومرجعاً للعادات الشعبية في اللباس العربي خصص للأندلس والمغرب ومصر. ومع أن هذا الكتاب قد فات على وضعه أكثر من قرن، فقد بقي مصدراً من الدرجة الأولى لمن أراد متابعة التقاليد العربية الحضارية في هذا الباب. وقد حاول مترجمه أن يجاري المؤلف في أسلوبه بعد تحقيق ما ورد به من وثائق كان بعضها بالعامية، وتصحيح الأشعار التي استشهد بها المؤلف. وقد توقف النص العربي إلى حد لفظة طاقية[٤٧٥]. وكانت هذه الكلمة موضوعاً لتحليل كتبه الكرملي وقارنه بكلمة العقال، مستعرضاً معانيها في مختلف العصور الاسلامية، ومن الغريب أن المناقشات حول هاتين الكلمتين تواصلتا في أيامنا، ومن الوجهة التاريخية، كان البحث يحوم حول تاريخ ظهور هذين الغطاءين للرأس عند العرب، وهل يتجاوز ذلك قرنين أو ثلاثة؟ ويبدو أن ذينك الشيئين عرفا في العصر الجاهلي ودونتهما المعاجم القديمة بمدلول شائع عن قطعة من اللباس العربي الصميم[٤٧٦]. وعمل المكتب من جهته على المساهمة في وضع حدود لمعجمية اللباس، ضمن معجم الحضارة العام، وكذلك معجم المعاني. فصنّف معجم قوامه ١٩١٣ لفظة (انكليزي - فرنسي - عربي) مشكول الكلمات، واعتمد في

---

(٤٧٤) «معجم الآلات والأدوات والأجهزة،» ص ٣٥٧؛ «المعجم المنزلي،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ٢٣١؛ عبد العزيز بنعبد الله، «المعجم المنزلي،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ٣، ص ٢٥٢، و**اللسان العربي**، السنة ١٣ (١٩٧٦)، ج ١، ص ٣٣٦.

(٤٧٥) رينهارت دوزي، «المعجم المفصل لأسماء الملابس عند العرب،» **اللسان العربي**، السنة ٥ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٧)، ص ٢١٥.

(٤٧٦) **اللسان العربي**: السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ٣، ص ٢٠٨، والسنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٥٤٦.

إعداد ملحق له لسان العرب والمعجم الوسيط[٤٧٧]. ويتصل بلغة اللباس الحياة النسائية التي جمعت كلماتها الأساسية في معجم (١٨٤٤ لفظة) أتى على حياتها الخاصة والصنائع التي تمتهنها، وما يلحق بذلك من مفردات فصحى، خاصة بوسائل زينتها[٤٧٨]. ويرتبط بذلك، وعملاً على غرس ألفاظ الحضارة شفوياً وكتابياً، نشر معجم منزلي مرات عدة (١٩٦٩، ١٩٧٠، ١٩٧٣، ١٩٧٦) وعلى حلقات، وأضيفت المقابلات الانكليزية، وشكّلت الكلمات. وكان المنطلق من الكلمة الانكليزية التي ترجمت إلى العربية ترجمة مقترحة وأخرى حاسمة. وتشمل مثل هذه المواضيع أنواع المساكن والحجرات وما يتبعها من مرافق البيت، وكل محتويات البيت الحديث[٤٧٩]. والحديث عن البيت يقودنا إلى التفكير في إعداد معجم الطعام والمطاعم دائماً ضمن معجم المعاني. ويتضمن هذا التأليف مفردات الغذاء والمطبخ التي اعتمدت ما شاع من لغة خاصة بالفنادق[٤٨٠]، بوّبت على المواد الغذائية، وأدوات المطبخ واللحوم والبقول والثمار والتوابل والأدهان والحلويات والمرطبات والأطعمة والمشروبات، بحيث يمكن اعتبار هذا المعجم المتفرع إلى أبواب ذات أغراض لغوية متقاربة قد أحاط في الجملة باللغة الغذائية كما هي شائعة في العصر الحديث، أو على الأقل كما هي رغبة المعجميين في ترويجها على الأقل على صعيد الكتابة، ترقباً للتحدّث بها ولو في المحادثات المدرسية كذخيرة لغوية قابلة للتكيّف ومقتضيات لغة الحديث التي بدونها تبقى ألفاظ الحضارة مادة معجمية منفصلة عن الواقع اللغوي المعجمي اليومي[٤٨١]. والمواد الغذائية الأساسية تحظى أيضاً باهتمام واضعي المعاجم المتخصصة في مادة الحضارة، مثلاً **معجم الطحانة والخبازة والفرانة** (فرنسي - عربي، ٤٨٩ لفظة). وقد اعتبر هذا التأليف معجماً تقنياً صناعياً وفي الوقت نفسه معجم حضارة. وقد انطلق وضعه من مئة كلمة بالفرنسية وجدت لها مقابلات في العربية مأخوذة من القواميس المزدوجة (فرنسي - عربي) والقوائم المجمعية والمصادر الأخرى المفيدة في الغرض. ولم يقدم معجم الطحانة شروحاً لمفردات عربية ليس لها مقابلات بالفرنسية، وعوض ذلك بفهرسين مرتبين. وقد اعتمد قواميس فرنسية عدة، لاروس (Larousse) الزراعي، ولاروس (Larousse) للقرن العشرين، وقاموس روبير (Robert)، والمعاجم العربية القديمة[٤٨٢]. وقد عمل مؤلفو هذا المعجم على مطابقة الأشياء

---

(٤٧٧) عبد العزيز بنعبد الله، «معجم الملابس،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ٢، ص ٢٠١.

(٤٧٨) عبد العزيز بنعبد الله، «معجم المرأة،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ص ١٨.

(٤٧٩) بنعبد الله، «المعجم المنزلي،» ج ٣، ص ٢٥٢.

(٤٨٠) «معجم الأطعمة،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ٢، ص ٢٤٥، و**اللسان العربي** (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ١٠٦، ٢٥٥ و٢٥٨.

(٤٨١) **مجلة مجمع اللغة العربية** (دمشق) (١٩٦٩)، ص ٦١٤.

(٤٨٢) سامي الدهان، «معجم الطحانة والخبازة والفرانة،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٢٨٩.

بمسمياتها (بزيارة مطحنة في الدار البيضاء). وكان موضوعاً لأعمال نقد وتحقيق قام بها المجلس الأعلى للعلوم بسوريا الذي اعترف بوفرة مفرداته التي تجاوزت ما يوجد في الكتب الأجنبية المماثلة(٤٨٣)، وذلك بفضل ما اعتمده من مصادر عربية. وتواصل تحقيقه، وشمل ذلك ما ينبغي تصحيحه من كلمات بأن تحدد المطابقات بين الفرنسية والعربية لفظاً لفظاً. وقد شاركت شعبة الأردن أيضاً في مراجعته، فتحرّت في المقابلات وقارنت بينها وبين ما هو شائع في المشرق. واقترحت استبدال تلك الألفاظ استناداً إلى درجة تواترها في الوطن العربي، ودرجة دلالتها ودقتها وتنسيقها. وعلّقت على طريقة شرح الكلمات بالعربية، وعرضت جدولاً في الكلمات غير المشروحة وجدولاً آخر في أغلاط الطباعة، مما حمل المكتب على الرد على ذلك واعتبارها في طبعة لاحقة. وقدّرت الشعبة أنه لا مفر من استعمال لفظة وحيدة والتخلي عن المترادفات. لكن العمل التعريبي الذي كان بصدد المخاض في المغرب يقتضي في الفترة الأولى أن تقترح كل الألفاظ الممكنة، وذلك اتاحة إلى تهيئة الأسباب الكفيلة بانتقاء أحسن الألفاظ والمحافظة على ما رفض منها إلى مناسبات معجمية أخرى. أما الكلمات التي أهملت منذ قرون، فمن المهم احياؤها من جديد، مثلاً فِتّان = Bâche تعويضاً لغطاء، والتعريف بها مرة أخرى وإشاعتها كما وقع لألفاظ عدة: سيارة، قطار، سلّة (كرة السلّة)(٤٨٤). وعادت مجلة دمشق (١٩٦٢) إلى تحليل معجم الطحانة الذي كان ينبغي أن يشمل مصادر وفيرة، خاصة المعاجم المزدوجة (فرنسي - عربي، وعربي - فرنسي). ويبدو أن معجم (بيلو) هو الذي استخدم في الغالب، في حين أنه يجب اعتماد المعاجم المهنية كالذي نشر في سوريا سنة ١٩٦٠. وتضمن قائمة من ألفاظ حرفة الطحانة كان من المستحسن مقارنتها بما شاع في المغرب، ومراجعة كتب التاريخ والأدب، وملحق دوزي (Dozy) (في جزأين، نشر في ١٩٣٧ بعنوان **فوات معاجم العرب**)، وتلك بادرة ننطلق منها لتوحيد المعاجم الخاصة بهذه المهنة في المشرق والمغرب العربي(٤٨٥).

ومن الميادين الحضارية التي تستحق جمع مفرداتها، ميدان الفنون المستظرفة أو الجميلة الذي شمل أيضاً الألفاظ الاذاعية والتلفزية، وذلك العمل قد بدأ تحقيقه منذ ١٩٦٩ في قوائم صغيرة وباللغات الثلاث(٤٨٦). وقد اشتمل ٢٨٣٩ لفظة مشكولة شكلاً جزئياً. وكان ثمرة مشروع معجمي تقرر منذ ١٩٦٥(٤٨٧). وكانت المفردات الخاصة بالفنون محل مراجعة ونقد ومقترحات اصطلاحية، الغرض منها تصحيح بعض المفاهيم الشائعة في أوساط

---

(٤٨٣) **اللسان العربي** (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ٨٦.
(٤٨٤) **اللسان العربي**، السنة ١٣ (١٩٧٦)، ص ٣٤١.
(٤٨٥) **مجلة مجمع اللغة العربية** (دمشق) (١٩٦٩)، ص ٦١٤.
(٤٨٦) «معجم الفنون الجميلة والترفيهية والاذاعة والتلفزة،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ٢، ص ٢٠٨ - ٣٠٦.
(٤٨٧) المكتب: حصة اذاعية، ١٩٦٥/٢/١٨.

الفنون[488]. فمن المعلوم أن انشاء المدن والحواضر جلبت معها لغة حضارية يمكن تحديدها بوضع الكلمات المعبّرة عن المفاهيم الشائعة في هذه البيئة الجديدة، وحتى أعلام المدن في حاجة هي أيضاً إلى ضبط أسمائها الصحيحة وتعريبها، خاصة وأن عدداً منها اتخذ أسماء لا نعلم إلاّ القليل عن أصولها. وفي هذا الاتجاه يمكن نشر معاجم تتضمن أسماء المدن القديمة التي أشعّت فيها الحضارة العربية وما طرأ عليها الآن من تحريف أو تنقيح. وما يرتبط بنشاط حضاري في المدن يتمثّل في التظاهرات الثقافية المتنوعة، منها المسرح خاصة. ذلك أن ما يختص من أفكار بهذا النشاط الفكري الثقافي حديث العهد بالنظر إلى الوطن العربي. فقد بدأت نواة الحياة المسرحية في آخر القرن الثامن عشر، وانتشر معها زاد لغوي أعجمي بقي راسخاً لحد الآن، وتعلق بتركيب أو اخراج المسرحية والزينة (ماكياج)، واستمرت هذه الألفاظ راسخة ومنتشرة رغم ما قام به مجمع القاهرة وما نشره محمود تيمور من مفردات حضارية انبرى للدفاع عنها. فتم اعداد معجم صغير وشمل التقديم والنشر والاضاءة والملابس والحركات المسرحية. واستخدمت لإعداده كل الوسائل اللغوية خدمة للأجيال الفتية العاملة بالمسرح. والنقص نفسه واضح في السينما أيضاً، وهو الميدان الذي فيه شاعت الكلمات الأعجمية أكثر من غيره، سواء في ما يخص الأجهزة أو العمليات السينمائية، فخص أيضاً بمعجم مثل ما وقع في الاذاعة والتلفزة، حيث استنبطت المفاهيم التقنية والعامة (معجم انكليزي - عربي)، فنسقت ألفاظه وأضيف إليها ما كان ناقصاً، واقتبس عن القواميس تتمة للغة الفرعية الخاصة بناحية من نواحي الحضارة المعاصرة[489].

وفي خصوص الرسم اشتغل الخبراء بإعداد ألفاظ أدواته وألوانه ومدارسه. وكانت الموسيقى[490] أيضاً محل اهتمامهم فأعدوا لها كلمات خاصة بالإيقاعات والفنّيات وأسماء الآلات الموسيقية الحديثة، وإلى جانب ذلك تمثل السياحة أهم عنصر في المظهر الحي للحضارة المعاصرة المتميزة بنشاطاتها الترفيهية. فكان لزاماً إعداد معجم سياسي (فرنسي - عربي، ثم انكليزي - عربي، في ٨٠٠ لفظة). وقد ساهم اخصائيون في وضعه، وعملوا على ايجاد المطابقات اللفظية، وساهم وضع هذا الزاد السياحي في تحريك الاختصاصات المعجمية بمجمع القاهرة الذي حقق في مدلول الكلمات (Labe, Etiquette = أُعْلُومة، Facture = فُنْداق أو قِنْدَاق)، كما شارك في ذلك تيمور. وهو يعتبر أن ما جمع في هذا المعجم لا يشتمل كله على اللغة السياحية، فقد أغفل مثلاً ذكر ألفاظ الأشهار واللافتات. ولم يقع إخضاع الألفاظ إلى معيار انتقائي موحّد، فكان مستحسناً ذكر اللفظة الشائعة وما يقترح من

---

(٤٨٨) «معجم أسماء العلوم والفنون والمذاهب والنظم،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٣٣٧ و٣٥٤.

(٤٨٩) «معجم الاذاعة والتلفزة لاتحاد الاذاعات العربية،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ٣، ص ٢٧٤.

(٤٩٠) انظر: صادق فرعون، «نواة المعجم الموسيقي،» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**، السنة ٦٥ (نيسان/ ابريل ١٩٩٠)، ج ٢، ص ٢٧٠ - ٢٧٩.

مفـردات. لكن العمل عـلى إزالة اللبس يحمـل عـلى استيعـاب اللفظ الأجنبي ونقله بفضـل الترجمة المناسبة الواحدة[٤٩١]. ومن المعاجم المتصلة بوسائل الترفيه، معجم الرياضيـة والألعاب (عربي - فرنسي)[٤٩٢] وقد شمل الرياضة البدنية ورياضة الشتاء والرياضة البحريـة والفروسيـة والرياضـات الآلية. وقد جاء في لسـان العرب ذكـر للألعـاب العربيـة القديمـة يمكن أن تفيد أسماؤها في تحقيق أسماء الرياضات الحديثة. وقد اجتمع في هذا الصدد المعلقـون الريـاضيون في الأقطار العربية في ملتقى سوسة بتونس (تموز/ يوليو ١٩٧٥) واتفقوا على مئة لفظة موحّـدة لتعليقاتهم[٤٩٣].

وقد تواصلت هذه الأعمال المعجمية المتجهة إلى سد النقص الحاصـل في اللغة العـربية الحـديثة منـذ أن وردت الطلبـات المتنوعـة على المكتب وذلـك منذ ١٩٦٢، سـواء من أقـطار ومؤسسات عربية أو بعض المؤسسات الـدولية. واعتمـد في ذلك مـا تجمع من جذاذات نمت طبعاً مواكبة للعمل المعجمي وتطوره (٢٠٠٠٠٠ سنة ١٩٦٥ و٣٠٠٠٠٠ سنـة ١٩٦٧)[٤٩٤]. ومن البديهي أن أية مؤسسة مهما كـانت كفاءتهـا وتضلعها في المجـال المعجمي، فلا يمكن ولا يحسن أن تقرر للقطر الواحد، ومن باب أولى للوطن العربي كله اللغـة الاصطلاحيـة التي هو في حاجة إليها. لأن الحاجة إلى المصطلحات العلمية والتقنية المدوّنة والمبوّبة حسب موادهـا في قوائم مؤقتة أو في مشـاريع معجميـة هي التي يجب أن تسبق كل عمـل معجمي. إن تدارس الحاجة عـلى الصعيد العـربي تعدّ العـدّة والخطة المسبقـة لوضـع معجم أو أكثر في اختصـاص يكون المستخدمون له في أمسّ الحاجة إليه. وعلى هذا الأساس يمكن أن تتبلور الأولـويات في العمـل المعجمي، وهذا هـو مدار مؤتمـرات التعريب التي لا تقتصر عـلى البتّ في ما يعـرض عليهـا من مشاريـع معجمية، بـل ينبغي أيضاً أن تخـطط للحاجـات المقبلة وتقـرر مـا ينبغي إعداده من وسائل عملية لتحقيق ذلك. ثم إن ما قلناه عن قابليـة هذه الأعـمال إلى التصديق والأخذ مأخذ الجد، يتحتم وضعه موضع النظر، وربط ذلك بما يتوقع من مكانة للغة العربية على الصعيد العربي أولاً وعلى الصعيد الدولي، ضمن نظرة مستقبلية لتنافس اللغات كمصدر من مصـادر الإشعاع، وأيضـاً التفوق الحضـاري وما يتضمنـه من رغبة في السيـطرة الفكريـة والمادية تتذرع بالتبادل الثقافي تـارة، وبالتعـاون العلمي والتقني تارة أخـرى. وبعدمـا قطعت هذه المرحلة من الخدمات المعجميـة التي دعمت ولا شك قـدرة العربيـة على تـأدية الحضـارة العلمية والتقنية الحاضرة، فيمكن التساؤل عـلى امتداد هذا الشوط، أو هـل آن الأوان لقطع مرحلة أخرى في سبيل تطوير العربية من الوجهة العلمية، وذلك باستخـدامها أدق وأحـدث

---

(٤٩١) «المعجم السياحي،» ص ٢٤٧، ومحمود تيمـور، «المعجم السياحي،» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**، السنة ١٧ (١٩٦٤)، ص ٥٥.

(٤٩٢) «معجم الرياضة واللعب،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كـانون الثـاني/ ينايـر ١٩٦٩)، ص ٤١٥ و٤٣٠.

(٤٩٣) انظر: «توصيات الندوة الثالثة لتوحيد مصطلحات الألعاب الرياضية العربية،» **اللسـان العربي**، العدد ٢٨ (١٩٨٧)، ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٤٩٤) المكتب، محضر ١٩٦٢، ١٩٦٥، ومحضر ١٩٧٦/١١/١.

الوسائل التي تختصر السبل بأقل التكاليف في الوقت والجهد، كما يتوقّع ذلك من عزم المنظمة والمكتب وربما المؤسسات اللغوية والجامعية العربية الكبرى من الخطة المعدّة للاستفادة من بنوك الكلمات وخزن المصطلحات، واستغلال ما تتيحه الاعلامية من وسائل متطورة جداً في الحقل اللغوي والمعجمي خاصة. ويرتكز هذا الاتجاه - لا محالة - على ما يراد للعربية من مواكبة جاهزة مداومة للحركة العلمية على أحدث وأرقى ما تكون. وبذلك يمكن التساؤل أيضاً: هل تجاوزنا المرحلة المعجمية التقليدية التي تقتصر على نقل وتأدية المفاهيم العلمية والأجنبية منها خاصة؟ وهل حان الوقت، لعكس التيار ولو نسبياً، بأن ينبع الابتكار العلمي والاصطلاحي من واقع المعرفة العربية وما جدّ فيه من مكتشفات ومخترعات مهما كانت متواضعة محدودة؟ إن ما نطالعه يومياً من وقوع تحسينات محلية جزئية على أساليب علاجية في الطب أو تحسين بعض الأجهزة الآلية، أو محاولات لتطوير بعض النظريات العلمية، يكون من القيمة بمكان لو عملنا على اذاعته في وقته بما لدينا من وسائل اعلامية وبأقصى ما يمكن من السرعة والنجاعة، خاصة وأن التجربة أثبتت عبر التاريخ أن التعريف الموضوعي الدقيق الذي لا يخضع لمتطلبات الدعاية الرخيصة أو الشهرة الزائفة يكون مساعداً على بث الفكرة وتطويرها بين الجماهير من الطلاب والعلميين والدارسين بمختلف أصنافهم، وترسيخ الفكر العلمي الخلاّق.

الفصل الرّابع

التعريب والأبحاث في الألسنية

١ ـ مفهوم اللغة الإنسانية

تكاثرت الصيغ التي حددت بها اللغة عامة والتي ميزتها عن الكلام. ومن اللغويين من رأى أنها مادة طبعتها الحركة وتوازنت فيها الميول. واعتبر بعضهم اللغة أداة الذكاء البشري وجهازه. وفي الجملة، ان أردنا التعرف عليها، فذلك يعني الرغبة في معرفة وظيفة نفسانية. وبذا تكون اللغة في خدمة التعبير وإبلاغ ما يكنّه الفرد إلى غيره. فبواسطة اللغة لا يكتسب الفرد فقط سلطة جدية على الأشياء وعلى الواقع الموضوعي بل إنه يملك سيطرة جديدة على ذاته[١]. أما عن مصدر اللغة الإنسانية الذي كان أصواتاً محكية في بدايته، ثم تطور إلى نظام متقن للتعبير عن الفكر البشري، فقد واكب منحنى تدرجت عليه النظريات التي حاولت فعلاً تحليله والتي رفضتها الألسنية لأن المعرفة الجديدة قد تجاوزت تلك الأقوال. وقد قيل فعلاً إن اللغة يمكن أن تنتج من اصطلاح نشأ بعد قرون من التشكّل، أو أن روحاً عبقرية أو الوحي الإلهي قد أبدعه[٢].

ثم إن اللغة ناتجة من نشاط جسماني وظائفي، وهي تعبير عن التجربة البشرية في وحدات وهبت مضموناً دلالياً ونطقاً صوتياً تمثل في الوحدات الصوتية. ويتجزأ هذا التعبير الصوتي إلى وحدات متميزة متوالية (فونيمات) محددة العدد في كل لغة، ويختلف نوعها وعلائقها المتبادلة أيضاً من لغة إلى أخرى[٣]. هذا بصورة عاجلة حتماً عرض لأهم الأفكار التي وردت في علم الألسنية عن اللغة واللغو بصورة عامة. وبتحديد ماهية اللغة، تعين دور

---

(١) Henri Delacroix, *Psychologie du langage* (Paris: I. Alean, 1933), pp.28, 32 et 57.

(٢) Jean Cantineau, *Études de linguistique arabe* (Paris: Klincksieck, 1960), p.100.

(٣) André Martinet, *Éléments de linguistique générale* (Paris: A. Colin, 1969), p.20.

الكلام في كونه اختراعاً مزدوج الدور والمفعول، فهـو أداة الإبلاغ، والأداة المـدوّنة التي تثبت المعرفة بواسطة التجريد والتعميم في المفاهيم، متيحة لها بذلك النمو اللانهائي[٤]. أما في نـظر اللغويين والنحاة العرب القدامى، فيبدو أن ابن جنّي هو الذي أتى بـأفكار جـديدة في قضيـة نشأة اللغة، مبتغياً بذلك إقحامها في نظرية شاملة قائمة عـلى العلّة الأولى لخلق اللغة المتمثلة في اللّه تعالى. وكانت طريقة هؤلاء العلماء الوصفية التقريبية محدودة الامكانات بالنسبة إلى ما يحتاجه البحث اللغوي من أبعاد تتسع أكثر فأكثر، فترتب على ذلك الحصر العلمي ان تواترت معـرفـة كنـه اللغـة عـلى نسق واحـد أو يكـاد، فحجبت التقـدم في البحث عن منشـأ اللغـة البشريـة[٥]. لكن في عصرنا الحـاضر تطورت الأبحـاث اللغويـة بحيث صارت قضيـة أصـل اللغات تبحث في ماهية المخلوق الناطق الأول على سطح البسيطة، ونجد أصـداء أبحاث في الموضوع على مجلة المكتب. وقاد ذلك التساؤل إلى تتبع أثر لغته وما اصـطلح عليه من كلمات كانت نادرة في بدايتها، أو ربما مفقودة لوجود أصوات «معبرة» مكـانها. وعلى هـذا الأساس، أمكن التساؤل أيضاً عن عناصر تلك المنطوقات، وهل كانت تمثل عناصر ما سمي باللغة الأم التي هي السبب والأصل في نشأة بقية اللغات، وما يمكن عمله هو أن يبحث عن تلك اللغـة الأصيلة في الكتب المقدسة واللغات القديمة والاستعانة بالعلوم والأساطير لـلإحاطـة بمركبـات ومكونات هذه القضية قدر المستطاع وبصورة تقريبيـة، وعملاً بـالمنهج التـاريخي العلمي، من الممكن إلقاء «نظرة جديدة إلى المعجم العربي تثبت أصالة اللغة العربية وتؤكد أن نظامها اللغوي يعكس جميع المراحل التي مرّت بها نشأة الكلام الإنساني»[٦].

وبالاستناد إلى نظرية التـطور عند داروين، يمكن القـول إن المخلوق البشري مرَّ بفـترة حيوانية استنكرها (هكسلي ـ J. Huxley) رغم تأييده للأفكار الداروينية، مؤكداً أن الإنسـان كائن حياتي اجتماعي فريد يتطور طبق ما تسمح به البنية البشرية التي لا شيء يربطها بالطبيعة الحيـوانية. ذلـك أن الإنسان في مقـدوره التفكير في العمـوميات والخـاصيـات، وفي إمكـانـه التنسيق بين عملياته الذهنيـة وإدماجهـا في الوحـدة الاجتماعيـة بصورة خـاصة بـه، كما ذكـر (كاريل ـ Alexis Carrel)، لكن لا يمكن الغوص إلى تركيبها أو تكوينهـا. وفي الجملة، يتميز المخلوق البشري عن الحيوان بوضعه النفساني وحـالته البـدنية وبـانتمائـه إلى كيان اجتـماعي، وملكته في التعبير عن مشاعره ورغباته وأفكاره. وإذا رجعنا إلى ما جمعه المؤرخـون في العصور الإسلامية بادئين بتاريخ الخلق وما تضمنه من صور واقعية وأسـطورية، لتبينـا القدرة الإلهيـة الحاسمة في ذلك. إن خالق آدم وحواء قد مجدته تلك التآليف المتواترة بإسنـاداتها الكثـيرة من جيل إلى آخر، فكانت أهم عامل في ترسيخ الرأي القائل إن علة الكون ومخلوقاته بيد خـالق الأرض والسماوات والعباد الذين منحوا من لدنه قدرة مميزة للأشياء شرها وخيرها، وقد حلّل ذلـك ابن خلدون في المقدمـة. وكما خلق الإنسـان «وعلّمه البيـان»، فقد خلق لغـات يتكلم

---

(٤) Joseph Vendryès, *Le Langage : Introduction linguistique à l'histoire* (Paris: A. Michel, 1950), p.xix.

(٥) *Arabica:* (1963), p.280, et (1964), p.63.

(٦) جعفر دك الباب، «مراحل نشأة الكلام الإنساني،» **اللسان العربي**، العدد ٢٥ (١٩٨٥)، ص ٣٨.

بها، وتعلل ذلك الرأي التاريخي نظرية الواقع اللغوي التي استندت إلى الآيات القرآنية منها التي ذكرناها: ﴿خلق الانسان. علّمه البيان﴾ [سورة الرحمن: ٣ - ٤]. وتخصيص الإنسان بالملكة اللغوية يشكل في حد ذاته فعلاً جسمانياً وظائفياً ندركه ونقيسه. وكلمة «بيان» تشكل القول الحاسم في اللغة البشرية الخاضعة لنواميس عقلية بعيدة كل البعد عن صيحة الحيوان. وقد خص آدم بجزء من السر الإلهي وتعلم الأسماء بوحي منه تعالى. وأيد ذلك القرآن أيضاً: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾ [سورة البقرة: ٣١]. وقد نطق آدم حالما بدأ حياته. ويفيد التاريخ بأسانيده أن نوحاً وأولاده ورثوا لغة آدم وتكلموا العربية لغة الجنة، كما ورد في الحديث المسند. وقد حمل سام هذه اللغة التي صارت بذلك أصلاً لكل اللغات الأخرى، لكونها مجرد لهجات تميزت بمرور الزمن عن بعضها إلى أن انفصلت عن اللغة الأم دون الخروج عن دائرتها نهائياً، لأنها كانت لغات فرعية ترتوي من الينبوع الأول الذي به تحيا وتنمو. وتعدد اللغات هذا إنما هو تعبير عن الحكمة الإلهية السامية، ولم يتحقق قطعاً إلا بعد انقضاء فترة من الوحدة اللغوية الفعلية التي تجسمت فعلاً ودامت. وإذا أنكرنا ذلك، فينبغي إنكار منشأ الإنسانية التي يعود أصلها إلى آدم أبي المخلوقات[٧]، وتمادي إلقاء الأضواء وتحليل هذه القضية بغية التدليل على أن العربية هي اللغة الأم. وقد تعرّض الكرملي إلى هذا الأمر فبيّن أن الأصل في العربية كما في كل لغة أخرى لا محالة، ان تشكلت الكلمات بمقطع واحد بواسطة الصوت المحكي. ثم ما لبث أن أضيف إلى ذلك المقطع الوحيد آخر أو اثنان حسب الضرورة، حتى تضاف فكرة جديدة إلى الفكرة الأولى. . . وقد وجد في العربية ألفاظ وحيدة المقاطع، مطابقة كل المطابقة الكلمات اللاتينية واليونانية من وجهة المعنى، وحيدة المقاطع أو ثنائيتها، ولا وجود لمثل هذا التطابق في اللغات الأخرى[٨]. ذلك كان رأي الكرملي المستمد من الأقوال التاريخية المتواترة. وقد نظر في بنية تشكيل الكلمات وصوغها دون توضيح منشئها الإلهي، خلافاً لما درج عليه علماء اللغة القدامى مثل ابن جنّي الذي اعتبر اللغة ظاهرة إلهية، لاعتقاده أن الإنسان عاجز عن إنشاء نظام لغوي قائم الذات. وبذلك يكون قد استرسل في القول بآراء العلماء السابقين، منكراً على العرب اصطلاحهم على تسمية الأشياء. وقد تعرض لشرح الآية الشهيرة الخاصة بتعلم آدم الأسماء، فبين أن آدم عليم وأبناءه في كل اللغات. لكن أبدى عدد من المفسرين والأصوليين رأياً مخالفاً مفاده أن المصطلحات تدل على الأشياء، لكن ما كان خلقه حاسماً هو ما صدر عن الوحي الإلهي، عبر ما امتلكه الإنسان من أصوات. فقد علّم اللّه آدم ومن بعده الأنبياء الذين اصطفاهم من دوائر لغوية معينة مختلفة استجابة لضرورات ربانية تتجاوز ما كان من تطور للغات القديمة. والخلاصة في هذه النقطة أن المؤيدين لنظرية اللغة من صنع الخالق لم يقدروا على التدليل على ذلك بصورة ملموسة، بل أتوا بدليل عقلي غير علمي من وجهة نظرنا العصرية لا محالة، لكن الفائدة من تحليلاتهم أنها بعثت قناعة راسخة بأن مصير اللغة العربية قضية مرتبطة بالدين، كما سنرى ذلك في

---

(٧) خليل عبد الله، «ميزة البيان في نشأة الإنسان،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ١٦٩ - ١٧٤.

(٨) انستاس الكرملي، **نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها** (القاهرة: المطبعة العصرية، ١٩٣٨).

فصل لاحق، وبذلك المنظار فهي حقيقة بكل تبجيل وكل ما من شأنه أن يرفع من قدرها بين الأمم الناطقة بلغات أخرى. ومن بين مؤثرات هذه النظرية خدمة قضية التعريب على أساس أن اللغة العربية قابلة للتطور ومقتضيات المعرفة العلمية المجردة لتأصل كيانها في القدرة الإلهية. وقد ساد الرأي قديماً أن الإنسان الأول لا بد له من لغة يخاطب بها خالقه، فكانت تلك العلة مفسرة لنشوء العربية بصفتها اللغة الأم، رغم ظهور نظريات أخرى اعتبرت اللغة مثلاً سلسلة من الاصطلاحات وضعها فريق من الحكماء، وقد نادى بهذا الرأي جمع من المعتزلة. وتتسع دائرة تلك الاصطلاحات من جيل إلى آخر، وهذه أيضاً نظرية لا تستند إلى أساس علمي، بل تعتمد صدق الكتب المقدسة. أما النظرية الصوتية، فهي تعد اللغة سلسلة من الأصوات والمحكيات، وما زال هذا الرأي شائعاً في أوروبا. ذلك أن الكائن البشري يحاكي ما يسمعه من أصوات عند الحيوان والظواهر الطبيعية، فيؤول به الأمر إلى محاكاتها، ثم يقصد بدوره ابتكار أصوات يجمعها في كلمات يقبلها ما له من امكانات نطقية يخولها له جهازه النطقي الذي تشعبت قدراته الناطقة، فشملت أصواتاً منغمة متزايدة[9]. وبطول الممارسة تستجيب الكلمات الموضوعية أكثر فأكثر لمقاييس موضوعة مقررة تعترف بها المجموعة التي تشترك في النطق بذات الأصوات ونبرها على شاكلة واحدة أو يكاد، إذا فكرنا الآن في ما صارت عليه اليوم اللهجات المحلية من تعقيدات فرضت على علماء الصوتيات أبحاثاً ميدانية ومخبرية مستمرة بغية التعرف والالمام الدقيق بخصائص كل لهجة في حدودها الفضائية، التي لا تتجاوز أحياناً المدينة الواحدة أو البلدة المتوسطة الحجم والمحدودة السكان. ولإدراك هذا التصور يكفي أن نتذكر الطريقة التي بها شاعت كلمات فاعلة مثل ديمقراطية واشتراكية واقتصاد وسيادة، سواء تلون شيوعها بالصبغة الشرقية أو الطابع الغربي، وسواء كانت شعاراً مجرداً أو اتجاهاً فلسفياً مقنعاً[10]. وبذلك ندرك أن نظرية اللغة الأم قد كانت القاعدة الراسخة في تعظيم اللغة العربية التي اعتز بها علماء اللغة قديماً وحديثاً، إذ تمادينا اليوم نطالع أبحاثاً من هذا القبيل. وتنطلق هذه الفكرة من قاعدة تاريخية مفادها أن العرب من أصل آرامي، ويعود ذلك إلى قبائل ابراهيم الخليل، وقد نزحوا إلى جنوب العراق، فشاعت اللغة الآرامية في بلاد ما بين النهرين وأيضاً شمال بلاد العرب، وصارت لغة رسمية. وقد ذكر (درنجيه Diringer) في كتابه عن الألفباء، وأيده في ذلك (غرومانس ـ A. Grohmans) في بحثه عن العرب بموسوعة الإسلام (الطبعة الجديدة) ان الآرامية كانت اللغة المتفوقة منذ أن شاعت في مصر وبلغت الهند. ويبدو أن الآكاديين كانوا أول من هاجر من بلاد العرب إلى العراق، وتبعهم الآشوريون. وقد خلّف لنا الكنعانيون الألفباء وورثه الفينيقيون واليونانيون واللاتينيون، ثم تركوا لنا اللغة الفينيقية. وآخر من نزح عن جزيرة العرب هم النبطيون الذين تأثروا بالحضارة الآرامية، وشجعوا ازدهار اللغة العربية ثم

(٩) أحمد عبد الرحيم السايح، «اللغة والمجتمع الإنساني،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ١٩٣.

(١٠) عبد الرحيم أبو اليمن، «اختلاف المفاهيم اللغوية بين الأمم، ما المجتمع مثلاً؟» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (١٩٧٣)، ج ١، ص ١٠٤.

كتابتها. وقد ذكر أن التوراة كتبت بلغة آرامية سيئة، وأن اسم موسى من أصل فرعوني. وقد ذكر أيضاً أن العربية هي أقرب لغة من اللغة السامية الأصلية وأقدم لغة في العالم لم تمتزج بلغات أخرى، وربما كان كل الساميين من أصل عربي(١١). ولعل اليونانية واللاتينية أصلهما اللغة العربية الأم، لكونهما لغتين متماثلتين في الأصل ابتعدتا عن اللغة الأم، خلافاً للمجموعة اللغوية السامية التي استقرت بالشرق الأوسط فبقيت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً باللغة الأم ولم تتأثر إلا قليلاً بمجموعات لغوية أخرى(١٢). والتحمس لهذه اللغة الأم مستمر في الوقت الحاضر، وما انفك يدعم النظرية بحجج شديدة الاقناع، قوية البرهان: «فإذا عرفنا أنه لم ينزل أي دين سماوي في بلاد الإغريق أو اللاتين، وإن كل الأديان نزلت في مهد اللغة العربية، وحيث إن البشرية ارتبطت بالأديان في منشئها وتقدمها، وإن البشرية من أصل واحد هو آدم، فمن المعقول منطقياً أن تكون العربية هي السابقة للغات القديمة مثل اليونانية واللاتينية، أي هي الأم، والأخرى هي الفرع»(١٣).
هذا ولا يمكن إغفال ما ينبغي من حصر واستدراك للقضية، وتوضيح أنه لا يؤكد في هذه النزعة المسيطرة على تاريخ اللغات، ان العربية هي الأصل لكل ما عرفه البشر من لغات، بل الأولى تعديل الرأي والقول إن العربية تكون بفضل مميزاتها قابلة لأن ينضوي ويضم إليها مجموعة لغوية عرفت باللغات الساميّة، ما انقرض منها وما بقي، وان الاحتمال الثاني أن تكون أصلاً أو منطلقاً للبحث في أنها قابلة أيضاً لجمع شتات اللغات الحاميّة، وأنه إذا صح الاحتمالان، فهناك احتمال ثالث بأن اللغات الهندية الأوروبية أو الآرية يمكن النظر في احتمال تأصيلها في اللغة العربية الأم.

٢ ـ اللغة كظاهرة اجتماعية

وإذا قبلنا أن الرموز الصوتية تشكل مقاييس اجتماعية وقع الاصطلاح عليها، فيمكن اعتبار اللغة بمثابة النظام التعبيري الشامل الذي استخدم وسيلة للادراك ضمن مجموعة بشرية معينة. وتشكل اللغة نظاماً من الرموز يتحد فيها المفهوم والصورة الصوتية لتكوين كل. واللغة ملك مشاع بين أفراد المجتمع، وبعبارة أدق إنها ملكة خاصة مشتركة بين كل أفراد المجموعة اللغوية(١٤). واللغة المؤسسة على ذلك النحو تخلق عوائد اكتست الصبغة الاجتماعية بصفتها الأداة المشتركة الناقلة للفكر. وكان المعتقد انه كان ينبغي وضع طرق لغوية عبر علم النفس الخاص بالأجيال، حيث توجد مواضع مخصصة للأفعال والرموز. وكانت القناعة راسخة ان اللغة حدث اجتماعي يحدث وينمو ويحرف ويتحسن، بالنظر إلى المجتمع الذي ينتسب إليه، لأن الكلام مؤسس على شرعية الحياة الجماعية التي تعكس الفكر الجماعي، مع

---

(١١) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ١، ص ٧ ـ ١١.

(١٢) المصدر نفسه، ص ١٣٣.

(١٣) **اللسان العربي**، السنة ١٢ (١٩٧٥)، ج ٢، ص ٢٠٧.

(١٤) **Walther von Wartburg**, *Problèmes et méthodes de la linguistique* (Paris: Presses universitaires de France, 1946), p.179.

اعتبار التلونات التي يأتي بها عن وعي أم لا، الجموع والأفراد[15]. ومن هذه الاعتبارات يبرز تفوق الظاهرة الاجتماعية التي يمكن ردها إلى الحياة البدائية في بساطتها. ذلك أن المتكلم يشعر بأهمية الوحدات الصوتية التي تمكنه من استخدام لفظة معينة بلوغاً لهدف معين، وأن الصلة بين الصوت المنطوق ودلالته مباشرة. ويمكن أن يصدر الصوت عن الإنسان أو الطبيعة، بواسطة أشياء أو أجهزة أو حتى أصوات عاطفية ترتبط بما عليه الشخص من حالة وجدانية ونفسانية. ويواجهنا (سابير ـ Sapir) بنظرية أخرى تحدد الكلام ومنشأه بحتمية وضع الواقع في إطار من المدركات[16]. وبهذا المعنى تعرف اللغة بأنها مجموعة من الرموز المصطلح عليها والقواعد التي وضعت مسبقاً لتحدد الكيفيات التي بها تستخدم الكلمات. ويتيح لها ذلك، العيش بعيداً عن المقاييس الاجتماعية، وليس ذلك إلا شذوذاً من الوجهة اللغوية، وأن تعيش عملاً بنواميس معروفة تعترف لها بأن تكون وسيلة تعبيرية حية. الواقع أن المجتمع هو الذي يقرر ما ينبغي تخصيصه من مصير اللغة، وهل يتاح لها التطور أو الارتداد؟ فإن كانت اللغة من الظواهر الاجتماعية، فلا يسعها إلا أن تعوض ضعف الإنسان الجسدي فتمنحه أداة تعبيرية تخول له التفاهم مع أقرانه، ذلك أن الكلمات لا تمثل في الأساس إلا الرموز الصوتية للأصوات الصادرة من الحنجرة. وقد كان رأي علماء اللغة القدامى أن فعل لغا يلغو لغة ولغواً يشير إلى أن اللغة هي جملة من الأصوات المعبرة عن فكرة لا معنى لها في حد ذاتها، لكنها تتضمن معنى في إدراك مجموع السامعين. إن البعد الاجتماعي يقحم الأشياء والأعمال في سياق دقيق بحيث يتقرر مصيرها الجماعي بفضل المفهوم الملتصق بها. ومن وظائف اللغة أيضاً نقل المؤسسات والعادات، والأفكار والرموز، فتتسلم اللغة الخلفية الاجتماعية وتقوم بدورها في المحافظة على التراث الاجتماعي الثقافي المشترك. فقد شرع الإنسان البدائي في التفكير حالما بدأ يتكلم مستخدماً رموزاً وصيحات وأصواتاً وأدوات، وكانت كلها وسائل ساعدته على الكلام والارتفاع إلى مستوى لغة تزايد تطورها لأنها صارت ملكاً اجتماعياً، وإلا لاستحال انشاء الحي والقبيلة والمجموعة البشرية. والدليل على ذلك ما هو مقام اللغة اليوم عليه قدرة تعمل على الالتحام الاجتماعي، كما أن اللغة ملك للفرد يستخدمها ويتصرف فيها كدافع على تكيّفه الاجتماعي. وهي تشكل أحسن قاعدة لإقامة الحياة الاجتماعية المتزنة القائمة على التاريخ المشترك. وتشابك هذه العوامل وتداخلها للإحاطة بمميزات العامل اللغوي أدت اليوم بالعلماء إلى تدارس اللغة كل حسب اختصاصه، رغبة منهم في تعميق أبعاد هذا المفهوم. وقد ميزوا في اللغة بالأخص نظاماً من الألفاظ الدالة والمدلولات، والرموز والأصوات. واعترف المناطقة والفلاسفة للغة بأنها الوسيلة المثلى للإبلاغ والفكر والتدوين والاسترجاع. وحلل علماء الاجتماع وظيفتها في المجتمعات ومدى مفعولها على الأفراد والجموع البشرية في إدراك نوعية الحياة وتطورها. إلا أنه لا يمكن حصر اللغة في إحدى هذه المدركات، وإلا لحبست في القيام بدور يقضي خلاله على الوظيفة الكلامية. وقد حدد اللغويون القدامى كالجرجاني وابن جنّي وابن منظور، وهم يتفقون في ذلك مع علماء

---

(15) Ferdinand Brunot, *La Pensée et la langue*, 3ème ed. (Paris: Masseet, 1936), p.xxi.

(16) السايح، «اللغة والمجتمع الإنساني،» ص ١٩٩ ـ ٢٠١.

الاجتماع المعاصرين، مفهوم اللغة في كونها جملة من الأصوات بفضلها تعبّر كل أمة عن حاجاتها التي تتطور مع العصور، فتطور اللغة في الوقت نفسه. واللغة اصطبغت بالصبغة الاجتماعية، خاصة ان ضرورات الحياة أنشأت جملة من المصالح متشابكة بين الجموع مهما كانت الجموع بدائية، فتأثرت لغاتها بنمط من التطور تولدت عنه مجموعات لغوية متميزة، من اللغات الملتصقة أو العازلة أو المعرّبة أو المتعددة تركيباتها، أو المتركبة من الأصوات المحكية، التي وضع لها نظام صوتي وصرفي. وتتسابق تلك اللغات إذا خضعت لنُظُم دقيقة من التعقيدات، وإذا وضعت مفرداتها دون صعوبات. فمنها ما كان لغات «حرة» تملك نظاماً سلساً يرتّب الألفاظ في الجملة، ومنها لغات مستقرة ترتب الكلمات حسب سياق يكاد يكون منتظماً. وتوجد بين هذه وتلك لغات ليست صلبة أو حرة. وبالرجوع إلى ماضي اللغات يتاح لنا الاتصال بما كانت عليه المجتمعات من رقي عبرت عنه لغاتها، دون أن تكشف لنا عن وضعها القديم، كما مرّ بها وكما عايشته. وفي الجملة، فـ «بتناول اللغة من هذين الجانبين الوضعي والتاريخي، يتبين أن اللغة تعد مميزاً فردياً ومميزاً طبقياً، فيمكن أن ندرس اللغة والسياسة، اللغة والاقتصاد، اللغة والدين... الخ، على اثر ذلك نستطيع أن ندرس مراحل التطور اللغوي وصلاته بالمجتمع...»[١٧].

لكن ما طرأ من تطور اجتماعي ثقافي على الإنسان ولغته عبر العصور، وما تلونت به أفكاره، وما جدَّ على اللغة من تحويرات من الوجهة الصوتية، تمثلت في الصورة التي بها تنطق بعض الحروف، ومن وجهة الدلالة والصرف الذي وسع في القياس فنشأت عن ذلك لغات فرعية خولت للغات أخرى أسمى من اللغة الأصلية اكتساحها، ومنافستها ومحاولة القضاء عليها[١٨]. لكن ما يكون من تطور في تلك اللغة يعزز لا محالة وضعيتها. وما يعنى بالرقي في اللغة هو أن يتلاءم تكيفها بحاجات أفراد مجتمعها الناطقين بها. وتبقى مميزات اللغة طالما أن الناطقين بها حافظوا على ذات العادات الفكرية. ومن الخطأ اعتبار الكلام كلًا فكرياً يتطور مستقلاً عن البشر ويتجه إلى أغراض خاصة به. فلا وجود للكلام بدون أناس يفكرون ويتكلمون[١٩]. والعمل على البحث في اللغة من الوجهة الاجتماعية التاريخية يخضع لشروط حددها جرجي زيدان. ومنها أن يبدأ التحليل منذ ميلادها، وتقع متابعتها في أطوار نشأتها وتكونها وربما ينبغي الرجوع إلى ما قبل التاريخ. ويشمل ذلك وضع الأفعال والأسماء والحروف والأوزان المشتقة والأسلوبية. وهذا ميدان فقه اللغة الذي يعنى علمياً بالنظر في هذه المواد المختلفة. ولا شك أنه ينبغي استكمال هاته الأبحاث بتحليل المؤثرات الخارجية، إذ منذ أن اتصلت لغة ما بغيرها فقد وجب عليها استيعاب عبارات وكلمات جديدة، شبيهة في ذلك بالأمة التي تتبنى العادات والمبادىء الأخلاقية التي تسير على هديها أمم أخرى، كما تستوحي من آدابها، وينبغي كذلك تقييم الانتاج الأدبي والعلمي الشامل في تلك اللغة خلال كل

---

(١٧) عبد الغفار حامد هلال، «اللغة بين الفرد والمجتمع،» **اللسان العربي**، العدد ٢٣ (١٩٨٣)، ص ٤٥.

(١٨) أحمد عبد الرحيم السايح، «اللغة الإنسانية: نشأتها، فلسفتها، مفهومها، تطورها،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (١٩٧٢)، ج ١، ص ٤٩ - ٦١.

(١٩) Vendryès, *Le Langage: Introduction linguistique à l'histoire*, p.420.

العصور التي مرت بها، وبذلك تكون لدينا فكرة جامعة عن وضعية اللغة تاريخياً وحضارياً[20]. فضلاً عن أن تقييم أحدث النظريات في علم النظريات وفي علم اللغات يساعد على نشرها واستيعابها واضافة مصطلحات جديدة إلى اللغة العربية[21].

والمقصود من مراجعة ما مرّت به اللغة من أطوار، العمل على اعداد النهضة اللغوية المقبلة لتكون في خدمة المجتمع، لأن اللغة تشكل الأساس الذي به يمكن دفع الأفراد إلى التطور والنمو الاجتماعي بكل مظاهره. وقد كان ذلك فعلاً لما ظهرت صورة أدبية جديدة في ما عرف باللغة العربية الحديثة. وبالفعل نجد في مفتتح عصر النهضة الحديثة تلك الآراء الصائبة التي بعثت في الأمة الطموح والأمل وحفزت الأجيال للعمل الدائب من أجل تحقيق هذا الأمل وتطبيق تلك الآراء لأنها كتبت بلغة حية تعبر عن آمال وطموح الأمة، الأمر الذي جعل من ذلك انتفاضة فكرية تعد حتى الآن نقطة انطلاق نحو الاصلاح والتحرر من التخلف ورواسبه، مثل الآراء التي نادى بها جمال الدين الأفغاني وتلامذته وفي مقدمتهم الامام محمد عبده ورشيد رضا ومن تتلمذ عليهم من أساطين الفكر والسياسة.

٣ ـ اللغة العربية واللغات الأخرى

لقد وفق تنزيل القرآن في إخراج العربية من دائرتها المكانية الضيقة التي كانت عليها في أواسط القرن السادس إلى مستوى العالمية، وكانت اليونانية واللاتينية تسيطران في ذلك العصر على ما عرف بالعالم القديم. فامتد نفوذ اللغة اليونانية فعلاً من جزيرة صقلية إلى بلاد ما بين النهرين، ومن البحر الأسود إلى الحبشة، في حين اتسعت اللغة اللاتينية إلى جنوب ايطاليا والجزر البريطانية، ومن نهر الرَين إلى جبال الأطلس. وقد احتلت العربية بفضل القرآن، واعتماداً عليه، مقام اللغة الحضارية، وشكّلت البوتقة التي ستنصهر فيها الحضارة الفارسية والهندية والاغريقية. ويبدو أن الأمم التي خضعت للغزو الاغريقي واللاتيني قد حافظت على لغاتها، حتى ان اليونانية واللاتينية لم يستمر طويلاً وضعهما كلغتين رسميتين بعد قدوم العرب بلغتهم التي كانت آخر لغة انفصلت عن المجموعة الساميّة وتلقت الإرث الحضاري وقامت على تنميته. كانت العربية واحدة من مثلث لغوي شمل الآرامية التي جمعت الكلدانية والسريانية والآشورية، ثم شمل الكنعانية المشتقة عن الفينيقية والعبرية، وأخيراً العربية[22]. ويبدو عسيراً قبول الرأي القائل إن هذه اللغات لم تخلّف آثاراً في العربية، إضافة إلى ما تلقته العربية أيضاً من اللغات الآسيوية كاللغة الهندية. ويكفي أن نقارن كلمات اللغات الساميّة الأخرى (عبرية، سريانية، حبشية) بالعربية لنتعرف على المفردات غير

---

(٢٠) جرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية** (القاهرة: دار الهلال، ١٩٥٧)، ج ٢، ص ٤٢٦.

(٢١) مازن الوعر، «تشومسكي،» **اللسان العربي**، العدد ٣١ (١٩٨٨)، ص ١٥٧ ـ ١٨٦.

(٢٢) «عوامل ذاتية وتاريخية ودينية،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٨٤ ـ ٨٧.

الساميّة الموجودة بهذه اللغة (أسماء النبات والأدوية والأدوات والمعادن ومنتوجات أخرى لم يعرفها العرب من قبل، كما تسربت إلى العربية ألفاظ الحضارة والديانة والآداب). وقد عبرت هذه الكلمات فارس وبيزنطية، ثم دخلت بلاد العرب واستقرت بها(٢٣)، وكأن ذلك كان عاملاً في المسارعة بتطويرها لدى اتصالها باللغات الأخرى القريبة منها أو الأجنبية عنها(٢٤). ولقد أدى تحليل بنى اللغات إلى القول إن أغلب كلماتها من أصل غريب عن جوهرها، ذلك أن اللغات لا تنشأ عادة مكتملة بل انها تبدأ ببعض الأصوات البسيطة جداً، ثم تضخم عدد الكلمات إلى الآلاف، وارتفعت درجة تجردها بعد اقتباسها من لغات أخرى(٢٥). وتتعلق هذه التداخلات في الوقت الحاضر ببنية العربية ذاتها(٢٦). فمثلاً نجد الصفة التي تسبق الموصوف صورة تتناقض وقواعد العربية، ويؤول ذلك إلى بث اللبس في نظامها الأساسي(٢٧). وأيضاً توجد ظاهرة أخرى جديرة بالبحث، نعني الطريقة التي بها يستخدم المصدر متخذاً معنى الصفة، وذلك تأثراً بالانكليزية (كلمة good = الجود بدل جيد، و noble = نبل بدل نبيل و ill = علة بدل عليل، و tall = الطول بدل طويل، و sick = سقم بدل سقيم)(٢٨). وكثيراً ما لوحظ أن اللغات تتطور بسرعة أكبر كلما تنقلت باستمرار، وكلما زاد عدد الناطقين بها وتنوعوا. وقلما امتدت تلك اللغات إلى مناطق اتصلت فيها بلغات أخرى(٢٩) إلا وتعرضت فعلاً إلى التخلي عما اتصفت به من روح تقعيدية مفرطة، لأن ما يطرأ من تحويرات ومؤثرات يغير من ماهيتها ويجعلها تتجه إلى حيوية أكبر(٣٠). هذا ومن المعلوم أن المستشرق الفرنسي رينان ألف في القرن التاسع عشر كتاباً رئيسياً جامعاً عن اللغات الساميّة ومرجعاً في هذا الباب، قد اجتهد لتخصيص مكان محدد لكل لغة من تلك اللغات، وتمييزها عن قريناتها بصورة تسمح بتعريفها بمميزاتها الشاملة التي تصلها بمجموعة اللغات الساميّة وبمميزاتها المعينة المفردة لها. ذلك أن هذا المؤلف طرح قضية هذه اللغات على صعيد العرق السامي المتميز بإيمانه بوحدة الخالق، ذلك الإيمان الذي لا يشوبه أي مظهر اسطوري، بحيث إن هذه الظاهرة تبرز العلامات «المتدنية» لهذا العرق. وقد استخلص من

---

(٢٣) زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، ص ٤٤.

(٢٤) William F. Mackey, *Bilinguisme et contact des langues* (Paris: Klincksieck, 1976).

(٢٥) حبيب صادر، «لغتنا في خدمة الطب والعلم،» **اللسان العربي**، السنة ٥ (آب/ أغسطس ١٩٦٧)، ص ٢٠٣ - ٢١٤.

(٢٦) *Actes du 5ème congrès de l'association internationale de linguistique appliquée, Montréal , août 1978* (Québec: Presses de l'université de Laval, 1981).

(٢٧) عبد الحق فاضل، «تقديم الصفة على الموصوف،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ أغسطس ١٩٦٥)، ص ٤٣ - ٤٤.

(٢٨) أحمد عبد الرحيم السايح، «اللغة والمجتمع الإنساني،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ١٤ - ٢٢.

(٢٩) انظر: Jean A. Laponce, *Langue et territoire* (Québec: Centre international de recherche sur le bilinguisme; Presses de l'université de Laval, 1984).

(٣٠) Vendryès, *Le Langage: Introduction linguistique à l'histoire*, p.413.

ذلك تأكيدات عدة، ما زالت إلى اليوم محل نزاع. ومفادها ادعاؤه أن اللغات الساميّة ومن بينها العربية لا تقدر على التعبير عن المعقولات. وفي هذا المقام أيضاً ألحّ على الظاهرة البشرية لشدة انتشارها في عصره، كدراسات طريفة بدأت تنمو منذ القرن الثامن عشر بفضل ما نشره الفلاسفة من نظريات حول الإنسان المتوحش الذي كان منشؤه في ما يظن القارة الأمريكية، وما ترتب على ذلك من نظريات خاض فيها العلماء حول منشأ المخلوقات والانتقاء الطبيعي التي خرج بها داروين، وما يلي من ترهات في أمر الأجناس العليا المتحضرة وأجناس دنيا متوحشة بدائية. وقد ألحّ رينان المذكور على فضاء انتشرت فيه اللغات السامية من الوجهة السياسية الجغرافية قديماً، وشكّك في الأصل المشترك لتلك اللغات. وقد حدد اللغات الكبرى في هذه المجموعة بحصر عصور انتشارها. فهناك المرحلة العبرية احتلت فيها اللغة العبرية موضعاً مماثلاً لما كانت عليه اللغة السنسكريتية بالنسبة إلى اللغات الهندية الأوروبية أو الآرية. وقد شكّلت الفينيقية مرحلة انتقالية قبل العصر الآرامي الذي احتلت فيه الآرامية موقع العبرية، فاتخذت لها مركز الجهاز الرئيسي للتعبير عن الفكر السامي، ودعمتها سريعاً النبطية والسريانية اللتان تأثرتا باللغة والفكر اليوناني. وعند حلول دور العربية التي اعتبرها رينان أنقى تعبير عن العبقرية السامية، حام التساؤل حول هذا الوضع الذي اعتبره رينان من فعل العربية ذاتها، مع العلم أن النحو اليوناني لم يمارس أي تأثير في الفكر العربي، خلافاً لما كان في الفلسفة والعلوم الطبيعية التي نقلت إلى العربية بفضل الترجمة. ولا شك أن اللغات السامية خضعت لميزات مماثلة، فكان الجنس مشتركاً بين المذكر والمؤنث، ولم يتميز التعبير الشكلي في المؤنث الاسمي عن الجنس نفسه في المفرد الغائب من الفعل الماضي[٣١]. ومن المفيد العمل بفقه اللغة المقارن محاولة منا لإدراك بعض الأحداث التاريخية القديمة وحتى الأسطورية، انطلاقاً من كلمة العنقاء phoenix التي حددت الأساطير وجودها في بلاد آشور أو الهند أو الحبشة، وانطلقت هذه الكلمة من أرضها إلى اللغة الفينيقية واليونانية. ويمكن مقارنتها بلفظ العنقاء المعروف في بلاد العرب بصفتها موضعاً التقت فيه اللغات الساميّة[٣٢]. ويدعم هذا التعليل ما قيل من أن العربية هي الأصل في وضع الكلمات، وذلك بتفكيك بنية الكلمات الآرامية احتمالاً ووضع أصولها العربية[٣٣]. ويتدرج التساؤل إلى القول باقتباس الآرامية أصول مفرداتها من المادة اللغوية العربية، أو على الأقل أن تكتسي الكلمة صورة عربية انتحلتها الآرامية وحرّفتها أو أدخلت عليها تحويرات[٣٤]. تلك هي السبيل التي سلكها بعض الباحثين اللغويين بالمكتب[٣٥] الذي أوضح

---

(٣١) André Martinet, *La Linguistique synchronique* (Paris: Presses universitaires de France, 1968), p.246.

(٣٢) عبد الحق فاضل، «تاريخهم من لغتهم العنقاء»، **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ٢، ص ١٠.

(٣٣) عبد الحق فاضل، «دخيل أم أثيل،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٥٣ ـ ٦٣.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٦٣.

(٣٥) «عبد الحق فاضل،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٣١٩.

أن المستشرقين يشرحون كلمة عَرَبَ بالقحالة، لأن الكلمة السريانية عَرَبُو تعني صحراء، في حين أن مشتقات (عَرَبَ) تربو على الثلاثين وتتميز بدلالات مختلفة[٣٦]. ولو تقدمنا خطوة أخرى في تعليل الأوضاع اللغوية السامية، لتبين لنا أن العربية استوعبت «اللهجات» السامية الأخرى وأجملتها فتوفر لديها ثراء معجمي زاد اتساعه أكثر فأكثر، مع الملاحظة أن المجموعة السامية تشمل سوريا وبلاد ما بين النهرين وأن العربية تشمل بلاد العرب. وهذه الميزات التي تستند إليها العربية عملت على تكوين قناعة لدى الباحثين وعلماء اللغة الذين تأهلوا ضمن الهياكل الإسلامية العربية، وتشكل فعلاً شعورهم اللغوي بأن العربية هي اللغة الأم بالنسبة إلى المجموعة الساميّة على الأقل، وأن العربية انفصلت عن تلك المجموعة كما انفصلت عن اللغة المضرية اليمنية الحميرية المعتبرة لغة عربية «غريبة» بالنظر إلى لغة مضر المحفوظة إلى يومنا، بفضل ما قام به رواة اللغة الجاهلية الذين دونوا المفردات والأفكار لذلك العصر السابق للدين الإسلامي. وقد انتشرت ورسخت اللغة العربية الأصيلة في قبيلة قيس وتميم وهذيل وجانب من كنانة وطيء. فمثلاً لقد ورد بجميع اللغات السامية كلمة هيكل في حين أنها شاعت كلفظة من ألفاظ العبرية. ووجدت هذه الكلمة أيضاً في لغة رموز مقطعية غير معرّبة وغير ساميّة، نعني اللغة الشومرية ثم انتقلت إلى الآكادية ثم إلى العربية. وكان هذا اللفظ ينطق في الشومرية: E-Kal = معهد، وفي الآكادية Ekallu[٣٧]. وجملة القول إن الجغرافيا قربت بين الآرامية والعربية التي أدمجت اللغة السابقة بفضل ما كان لعبقريتها من عظمة. وتمثلت تلك القوة في غزارة الجذور الثلاثة[٣٨] التي تركز البحث على أصولها المشتركة[٣٩]، وقد تبين طابعها الصرفي وتأثير الحركات، كما تأكد وجود ألفباء أساسي منشق عن الفينيقية، فشكّل كل ذلك جملة من العوامل أفادت منها العربية لمد تأثيرها في البلدان التي خضعت للسيطرة الرومانية والبيزنطية، وأتيح بذلك تعليل الانتقال المباغت من اللاتينية إلى العربية بما كان من شعور ساد المراكز الحضرية، وتمثل في الحاجة إلى لغة مكتوبة حقاً، تكون لغة الدواوين والمبادلات، وتتجاوز طبعاً اللهجات المائعة الاقليمية غير المكتوبة التي عرفت عليها اللهجات البربرية[٤٠]. وبالبحث عن أسباب وأصول التحولات في أسرة اللغات السامية تمكنت من الرجوع إلى الأصول وتجسيدها في اللغة الأولى بهذه الأسرة المحتمل وجودها في عربية سبأ باليمن؟ ومن مخاطر هذا الاتجاه تقلص الدائرة السامية وتحديدها في مميزات مشتركة مدققة، وذلك بعد ما جدَّ من نتائج تمخضت عن البحث المتعلق بتقسيم هذه

---

(٣٦) ابراهيم نياس، «الضاد الخالدة،» **اللسان العربي**، السنة ٥ (آب/ أغسطس ١٩٧٣)، ص ٢٩ - ٣٠.

(٣٧) المصدر نفسه، ص ٢٠٣ - ٢٠٥.

(٣٨) عبد الحق فاضل، «قصص في اللغة العربية،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٣٣٤ - ٣٥٤.

(٣٩) عبد الحق فاضل، «تاريخهم من لغتهم العنقاء،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ١٥١ - ١٥٧.

(٤٠) Maurice Lombard, *L'Islam dans sa première grandeur* (Paris: Flammarion, 1961), p.97.

اللغات إلى أسر فرعية علل وجودها بالظروف التاريخية. من ذلك أن هجرة العبريين إلى مصر خلّفت آثاراً في اللغة الكنعانية، أي في العبرية التي اقتبست عنها ألفباءها الذي به كتبت نصوص العهد القديم. ومن الواضح أن العربية لغة الجنوب قريبة من العبرية، حتى أن فقهاء اللغة العبرية لم يعجزوا عن اتقان العربية والتأليف بها، وذلك في حدود ما ساد من اعتقاد حول تصور الوحدة في اللغات السامية التي بدأ أهل الاستشراق في التعرف عليها منذ القرن السابع عشر(41). وقد ميز بالخصوص المظهر الصوتي للمجموعة السامية من حيث تفوق الحروف على الحركات. وكان من رأي الساميين أن الفكرة الأساسية تخضع للحروف في تصور الكلمات، أما الحركات فلم توجد إلا دلالة على التغييرات الطارئة على التصور الأساسي(42). أما مفردات تلك اللغات، فهي تجمع بالخصوص تحت رمز الحروف الثلاثة للأصل، وبذلك تصاغ المصادر بالاشتقاق من الأصل المشترك. أما ذلك الأصل، فهو يشكل جذراً واحداً توجد متفرعاته في المركبات الاسمية التي تعددت بها التشكيلات الثنائية. ويعبر عن الظاهرة الزمنية في المجموعة السامية في مظهرين أساساً، الماضي المركب باللواحق والمضارع المكون بالسوابق. ولا يمكن في هذه المجموعة اعتبار الماضي والمضارع بالمفهوم الذي استقر في نحو اللغات الهندية الأوروبية، بل بالأحرى في دلالتها الأصلية بمعنى الفعل المنتهي أو الذي لم ينته بعد(43). وبالنظر إلى هذه الجزئيات المتجمعة حول أسرة اللغات السامية(44)، فإنه يمكن الاستفادة من ذلك لإثراء البحث الخاص بالعربية ومواد علم الألسنية لهذه اللغة الذي من فوائده خدمة قضية الأصول اللغوية المترددة بين انتسابها للغات عدة قديمة، فيكون ذلك الأمر عائقاً منذ وضع المصطلحات الحديثة وتصنيف القوائم المعجمية التي دونها تكون قضية التعريب في مأزق، إذ إن الحاجة إلى المفاهيم العلمية لا يمكن أن تترقب العمل اللغوي الطويل النفس، فلا مفر إذاً من توجيه بعض مقررات البحث لخدمة شؤون التعريب وعلى رأسها الاستجابة الفورية لطلبات اصطلاحية نعرف كلماتها الأعجمية وليس للخبير المعجمي إلا أن يبتكر المقابلات العربية. ومما ييسر عمله أن يجد تحت طلبه مثلاً معجماً في الأصول العربية، من فوائده اعادة مجموعات من الكلمات العربية التي دخلت اللغات الأخرى، بعد أن طرأ عليها طبعاً التحريف والمسخ الذي عسّر اكتشافها في اللغات الأجنبية. وقد جدّت محاولات لجمع أشتات هذه الكلمات العربية الأصيلة لغوياً، الأعجمية نطقاً. وقد برز ذلك العمل بالنسبة إلى الكلمات العربية الموجودة في اللغة الفرنسية(45) التي بلغت أصولها في المبحث

---

(41) الطاهر أحمد مكي، «الخط العربي : نشأته وتطوره،» **اللسان العربي**، السنة 6 (كانون الثاني/ يناير 1969)، ص 43 - 57.

(42) Carl Brockelmann, *Précis de linguistique sémitique* (Paris: P. Geuthner, 1910), p.13.

(43) المصدر نفسه، ص 149.

(44) انظر: سمير ستيتية، «معالم جديدة للمنهج المقارن بين اللغات السامية: جوانب أنثروبولوجية ونفسية واجتماعية،» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة 10، العدد 30 (كانون الثاني/ يناير - حزيران/ يونيو 1986)، ص 63 - 77.

(45) محمد سليم رشدان، «اللغات السامية في مجال علم اللغات،» **اللسان العربي**، السنة 7 (كانون الثاني/ يناير 1970)، ج 1، ص 45 - 48.

الأول أكثر من ٦٠٠ لفظة. ولعل الأبحاث اللاحقة تتجه إلى لغات أخرى تحصي ما فيها من كلمات عربية أصيلة. أما بالنظر إلى اللغات الشرقية، فإن مدرسيها يستطيعون ـ خدمة لقضية التعريب ـ القيام بدور مهم يتمثل في العمل على كشف الكلمات الدخيلة من تلك اللغات ووضع المقابلات العربية المناسبة لها[٤٦].

وبلوغاً لمستوى الألسنية الساميّة المقارنة، فإنه ينبغي استيفاء عدة شروط من اللغويين العاملين في هذا الحقل، منها إتقان العبرية اتقاناً كافياً (بوجهها القديم والحديث)، والآرامية في خصوص تكوين الأفعال والأسماء، والضمائر، ودراسة اللغة والمؤلفات من الوجهة التاريخية، والاطلاع على اتجاهات المدارس اللغوية مثل مدرسة الرّها. وقد عرفت هذه المنهجية الخاصة بفقه اللغات المقارن منذ العصور القديمة زمن أفلاطون. وكانت تعالج التآليف الخاصة بالقضايا والتاريخ وقواعد لغة سامية معينة، وذلك إفادة لفقه اللغة العربية. لكن لا يعقل الاقتصار على المبادىء التي كانت شائعة في المدرسة القديمة بالاسكندرية التي درست فقه اللغات القديمة، خاصة وأنه بظهور عصر النهضة في أوروبا ثم في القرن الثامن عشر، تطور ميدان البحث اللغوي بعد أن قطع مراحل عديدة، المرحلة الإيطالية، ثم الفرنسية، ثم الانكليزية، والهولندية، وأخيراً المرحلة الألمانية. وأتيح بذلك كشف النقاب عن النقوش والمكتوبات في لغات قديمة جداً ورموز اللغة المصرية والشومرية، وإدراك الذهنيات والعمل على ظهور نشاطات عدة بحثية. لكن مرحلة التنقيب عن أطوار اللغة العربية ما زالت في بدايتها[٤٧]. والأساس الذي ينبغي الانطلاق معه انطلاقاً جديداً يتمثل في امتداد مدروس للبحث اللغوي كي تحتل العربية مكانتها في أسرة اللغات السامية، سواء كانت غربية أو جنوبية تشمل في دائرتها العربية. وعلى ذلك يجب استغلال جميع الامكانات التي تتيحها الألسنية الحديثة وصولاً إلى تحديد دقيق لبعض القضايا الخاصة باللغة العربية، التي لم تتوصل إلى حلّها، مثلاً المظاهر الصوتية.

وقد انتشر لبس منذ ١٨٧١ مفاده أنه اعتماداً على ما ورد بالعهد القديم، استقرت اللغات التي اشتهرت بأنها سامية والتي ارتبط اسمها بسام بن نوح، في بلاد العرب وبلاد ما بين النهرين واليمن. فكان ذلك التأكيد بمثابة المجاز أكثر من أنه كان حدثاً تاريخياً. فقد جمعت الكتب القديمة بين كلمة «ساميّة» وبين شعوب ولغات معينة، وأنكرت عليها هذه الحجة. وبدأ الحديث عن اللغة العربية التي تطورت منذ العصر الأكادي[٤٨]، والتي ورثها

(٤٦) محمد التونجي، «دور أساتذة اللغات الشرقية في قضية التعريب،» **اللسان العربي**، العدد ٢٠ (١٩٨٣)، ص ١٢٣ ـ ١٣٤.

(٤٧) محمد معروف الدواليبي، «العرب والحضارة الإنسانية،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ص ٧٨.

(٤٨) انظر: احسان محمد جعفر، «اللغة الأكادية توأمة اللغة الفصحى،» **اللسان العربي**، العدد ٢٨ (١٩٨٧)، ص ٢٥ ـ ٢٨.

الكنعانيون والآراميون. واعتمد فيشر منذ ١٩٠٧ هذا الرأي فوضع معجماً تاريخياً للكلمات العربية، مقارناً بينها وبين الأصول الموجودة في اللغات «السامية»[٤٩]. وقد تزايدت الأبحاث في هذه اللغات منذ أن اعتبرت رموزاً للأمم التي ورد ذكرها في التوراة. وقد سيطرت أفكار عدة على المناقشات التي دارت حول هذه اللغات التي وقع ربطها خاصة باللغة الآرامية وأحياناً بالعربية بصفتها اللغة الأم. وقد انفصلت العربية عن هذه الأسرة، فكانت آخر لغة انفصلت عن المجموعة السامية، واعتبرها بعض علماء الساميات لغة تستجيب للشروط اللازمة لتلك اللغات لكونها حافظت على مميزات اللغات السامية بصورة مثالية، وهي المميزات التي بلغت حد النضج في العربية، من ذلك ما بلغه الإعراب من مستوى رفيع، وما كان من أسبقية الحروف على الحركات، وتغيير الحركات التي بها يتحدد معنى الأصول. وتميزت العربية أيضاً بتنوع أوزانها الفعلية، كأن يقابل وزن فاعل ووزن فعّل، فيمكن بذلك تعيين معانيها المتعادلة وتداخلات الدلالة في بعض الصور[٥٠]. وتستفيد العربية أيضاً مما حدث من تداخلات في اللغات السامية التي تطورت قبلها بحيث كان الاعراب فيها بمثابة طريقة للنحت، فأثرت مما تضمنته تلك اللغات من أحسن مميزاتها. وتم لها بذلك تطور ملموس في مفرداتها وبناها، بفضل القوافل التجارية التي كانت تعبر بلاد العرب حاملة معها اللغة الشائعة في بلدانها[٥١]. لكن بروز العربية وتشكّلها تميزا عمّا حدث في اللغات السامية الأخرى، فقد فاقتها بنحوها الثري وبوفرة مفرداتها التي جعلت منها لغة شعر وأدب، وبتوحيد لهجاتها، واستكمل فقه اللغة العربية أوضاعها النحوية والصرفية المتبقية[٥٢]. وورد على العربية الثراء اللغوي، وتنوعت لهجاتها، فكان ذلك وضعاً خاصاً طرأ على هذه اللغة التي ستخص بأعظم لهجة لأقوى قبيلة عربية هي قبيلة قريش التي سيتأيد ما كان لها من بنى ومفردات بفضل نزول القرآن. وما حصل من تطابق بين لغة القرآن ولغة القبيلة العربية العظيمة كانت فكرة دافع عنها طه حسين وبعض المستشرقين. ومع ذلك فلا يذكر التاريخ أن قريش أنجبت شعراء كباراً بصفتها القبيلة التي عنها انبثقت اللغة الفصحى. ذلك أن التاريخ أثبت أن تفوق لهجة على اللهجات الأخرى يرتبط فعلاً بوجود شعراء وكتّاب عظام بين أفرادها. إلّا أن السلطة الدينية التي تحملتها قريش بصفتها سادنة الكعبة قبل الاسلام، وما كان لها من عظمة اقتصادية وسياسية، وما أفادته لغوياً من زاد أتاها من اللهجات الأخرى، عوّض عليها النقص في الانتاج الشعري، وجعل منها سيدة المصير الجديد الذي كان يترقب بلاد العرب، والذي تمثل خاصة في أن الرسول من قريش. وستتميز عطاءات القبائل الأخرى في الأشعار والأمثال وأيام العرب والقراءات القرآنية، محددة طابع اللهجة القرشية التي ستنصهر في بوتقتها «اللغات» القبلية الأخرى التي لا تتميز في الواقع عن بعضها إلا ببعض

---

(٤٩) *Revue d'études islamiques*, p.180.

(٥٠) أحمد عبد الرحيم السايح، «اللغة العربية بين اللغات السامية،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ٣٢ - ٤٣.

(٥١) *Enciclopedia Italiana*, vol. 3 (1949), p.841.

(٥٢) السايح، المصدر نفسه.

الخاصيات الصوتية وبعض الجزئيات الدلالية تثبيتاً لهويتها(٥٣).

إن تداخل اللغات هذا يكتسي أبعاداً تخص اللغة الواحدة ولهجاتها كما في العربية قبل الإسلام خاصة، وتخص أيضاً ما يجدّ من تفاعل بين اللغات لأسباب تاريخية أو ظرفية أو لغير ذلك من الأسباب. ومفاد ذلك دراسة «العوامل التي جعلت كلمة بعينها تؤثر تأثيراً خاصاً في لغة شعب ما في عصرٍ ما، مستشفين من وراء ذلك مدى ارتباط بعض الشعوب بعضها ببعض، وأسباب هذا الارتباط. ولسنا نقصد بذلك سوى محاولات وإسهامات أولية لا يمكن أن ننتظر منها الشيء الكثير، غير أنها قد تفتح ـ إذا ما تبلورت منهجيتها ـ آفاقاً جديدة وثيقة الصلة بنفسانية الشعوب»(٥٤). وقد تبادلت اللغات التفاعل والتداخلات، بتأييد من الناطقين بها أنفسهم، وعملاً بالمبدأ اللغوي المعروف في علم الألسنية، والقائل إن الناطقين ميّالون بطبعهم إلى بذل أقل جهد نطقي ممكن، بحيث صارت الإفادة من اللغات القريبة أو الغريبة أمراً متحتماً لبقاء اللغات ذاتها. من ذلك مثلاً أن العبرية استعانت بالعربية لإدراك المفاهيم والمعاني الواردة بكتاب العهد القديم، وسمي ذلك الموقف باتجاه سار عليه «أنصار تعريب العبرية»(٥٥). وما تبادلته العربية عند نقل الكتب إليها من مؤثرات في التراكيب والألفاظ معروف(٥٦)، حتى مع الأقطار البعيدة كما جدَّ مع اللغة الهندية في نواحٍ حضارية عدة كالحياة البحرية والتوابل. أو كما بيّنه ساطع الحصري في خصوص اللاتينية في المشرق التي لم تتفوق على اليونانية، مما يفسر تبادل أقوى بين العربية وهذه اللغة قبل أن تتفاعل اللاتينية والعربية. ذلك أن اللغة اليونانية «كانت مقترنة بحضارة أرقى من حضارة الرومان، وبأدب أرفع من الأدب اللاتيني، ولذلك أثرت في اللاتينية أكثر مما تأثرت بها. فحافظت البلاد اليونانية على شخصيتها اللغوية، على الرغم من خضوعها لحكم الرومان وسيطرتهم السياسية»(٥٧). ويكفي أيضاً التلميح إلى تأثير العربية العميق في اللغة الاسبانية لأسباب تاريخية معروفة. والملاحظ أنها كلمات علمية في الامكان استغلالها الآن تغذية لحركة التعريب مثلاً(٥٨)، بعد التحري في أصولها وما طرأ عليها من تحريف في الاسبانية. وجدّت محاولات لاخضاع ذلك لمنهجية تبحث عنها في المعاجم الاسبانية والعربية. ويؤيد هذا الاتجاه اللغوي المعجمي العلمي ما ذكره العلماء الاسبان أنفسهم من أن العربية تحتل المرتبة الثانية بعد اللاتينية في تكوين لغتهم(٥٩). ناهيك بأن اللغة العربية من باب أولى أثرت في اللغات الأفريقية التي تشكل في الواقع مجرد لهجات محلية. وتم ذلك بفضل الرحلات العلمية إلى أقطار المغرب خاصة

---

(٥٣) المصدر نفسه.

(٥٤) عبد العزيز بنعبد الله، «تداخل اللغات وأبعاده الإنسانية،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ج ١، ص ٨.

(٥٥) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ص ١٥٩.

(٥٦) **اللسان العربي**، السنة ١٢ (١٩٧٥)، ص ٣٠٢.

(٥٧) ساطع الحصري [أبو خلدون]، «اللغة العربية واللغة اللاتينية: مقارنة تاريخية،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ص ٥٣ ـ ٦٤.

(٥٨) انظر: محمد حلمي هليّل، «اللغويات التطبيقية ومعجمها،» **اللسان العربي**، العدد ٢٢ (١٩٨٣)، ص ٣٥ ـ ٥٦.

(٥٩) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ص ١٨٢ ـ ٢٠٢.

والسودان ومصر. وتحتم على الأفارقة لذلك «إدراج كثير من المفردات العربية وأفكارها في مخاطباتهم الشعبية، وفي أحاديثهم في النوادي بعد أن تعودوا استعمالها في الأوساط الدينية والثقافية تلقائياً من الجو الإسلامي السائد»[٦٠]. كما أنه يبدو هاماً ما دخل اللغة الانكليزية من كلمات عربية أصيلة، رغم أن الاشتقاق الأوروبي لم يؤكد ذلك بل شكّك في أصولها العربية، مدعياً أن مصدرها مجهول وهي تعتبر لا محالة قائمة مبدئية جديرة بالنظر والتحري في كلماتها[٦١]، وترتب على ذلك ضبط مقابلات بين عدد من المفردات، تحدد بموجبها ما سمي بـ «مظاهر الوحدة والتشابه بين اللسانين العربي والإنكليزي»[٦٢].

وما طرأ على العربية من تبادل مع اللغات الأخرى قديماً وحديثاً، وما بذلته من عطاء لها، لم يؤثر في كيانها، بحيث كانت وبقيت اللغة العربية الفصحى التي انتشرت بفضل القرآن، فصارت أداة موحَّدة (بالفتح) وموحِّدة (بالكسر) في بلاد العرب، وضمّت إليها لهجاتها، ومنها لهجات اليمن والحبشة. وكانت لغة سلسة، لها من المرونة ما جعلها تقبل الأساليب التعبيرية الجديدة، وكذلك وسائل الوضع المعجمي التي لم تضحّ بجوهر اللغة في سبيل الحلول السهلة، بل فتحت للعربية طرقاً جديدة في سبيل الثراء العلمي والعمل المدعم لبث المعرفة بأشكالها كافة[٦٣]، ومع أنه لم يعد يشك في أصالة العربية وانتسابها إلى أصول سامية قديمة، فقد جدَّت نظرية معاكسة تقول إن الأصل المشترك للغات كافة هو الأصل الآري أو الهندي الأوروبي. فبنظرة خارجة عن العربية وخارجاً عن الاطار الحامي السامي، يمكن التحري في هذا الرأي المخالف للنواميس المقعدة منذ قرون. وقد تركز الجهد في البحث عن الكلمات العربية التي ينبغي إعداد مطابقات لها من كل قبيل، وذلك تجاه اللغة اليونانية واللاتينية، سواء كانت مطابقات في الدلالة أو الأصول التي نبع منها معناها، أو النحو والصرف. والمقصود من ذلك القيام بتحليل استقصائي لبنية الكلمة العربية. إن مراجعة الأصل القرآني أي الإلهي المنزل للعربية أثار فعلاً ردوداً قامت على الأسس الدينية ومبادىء فقه العربية، ومع ذلك فقد خول التسامح العلمي النظر في هذه النظرية ودراسة إمكانية الاستفادة منها في الألسنية العربية. من ذلك ان الكلمات التي لم يثبت أصلها العربي والتي اعتبرت مقتبسة من اللاتينية أو اليونانية أو من لغات أخرى، ستتأيد بها هذه النظرية. فمثلاً: Patricium = بَطْريق باللاتينية والعربية، وقانون (Kanon) موجودة في اللغتين. واعتماداً للمقاييس الدلالية والخاصة بأصول معاني الكلمات، توجد كلمات مشتركة بين العربية وإحدى هاتين اللغتين. وفي ضوء ذلك، تحددت مراجعة ما كان عليه في الماضي ترتيب اللغات. ولعل هذا الاتجاه يعوّض علينا ما فات من نقص بل فقدان لغات مقارنة في العربية ودام ذلك الأمر قروناً عديدة، فتواترت المعرفة اللغوية على حالها دون تغييرات تذكر. ولو تم ذلك في

---

(٦٠) **اللسان العربي**، السنة ١٣ (١٩٧٦)، ص ٧٣.

(٦١) المصدر نفسه، ص ٥٩.

(٦٢) المصدر نفسه.

(٦٣) عبد العزيز بنعبد الله، «وحدة اللغات،» **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ١، ص ٨٣ - ١٠٨، و «عوامل ذاتية ودينية وتاريخية،» ص ٨٧ - ٩١.

الماضي البعيد، ودخلت لغات أخرى حلبة المقارنة (مثل اليونانية واللاتينية)، لأمكن العربية أن تتصرف في قواعد علم اللغات المقارنة تصرفاً أوسع[٦٤].

٤ ـ مسائل في الألسنية العربية

إن الدراسة العلمية للغة والكلام وهو موضوع الألسنية حديث العهد، ولم يبدأ فعلاً إلا في القرن الماضي. وقد اكتشفت الأهمية التي تكتسيها لغة الحديث المحكية وأسبقيتها على اللغة المدوّنة. واصطلح على ذلك العلم في العربية[٦٥]، ووضعت له مسميات عرف بها، ولا يمكن القول إنها شائعة كل الشيوع: سيمياء المباني وهو العلم الذي يبحث في ملامح الكلمة في فترة معينة، في حين أن سيمياء المعاني يبحث في ما طرأ من تحوير على معنى الكلمة خلال العصور[٦٦]. وقد تأكد الآن أن الألسنية المتزامنة تهتم بما توجد عليه الألفاظ المتواجدة من علاقات منطقية ونفسية تشكل نظاماً قائماً، وذلك كما تدركها المجموعة بالشعور نفسه[٦٧]. وفي المقابل نجد التخالف الزمني يأتي في المقام الثاني بحيث تكون الألسنية من هذه الناحية تبحث خلافاً لذلك في العلاقات التي تربط بين ألفاظ متوالية لم تدرك من طرف ذات الشعور الجماعي، وتتناوب تلك العلائق دون أن تشكل في ما بينها نظاماً قائم الذات[٦٨]. وبناء على ما ينبغي إشاعته من مفردات لمثل هذا العلم الطارىء على اللغة العربية ومختلف العلوم المحيطة بفقهها، كان ينبغي إعداد الألفاظ الدقيقة تعبيراً عن هذه المفاهيم التي ينبغي توحيدها «بعد القيام بحصر المقابلات الموجودة عن طريق الحاسب الالكتروني وبنك المعلومات، وأن نحدد كخطوة أولى أيّها يمكن أن يكون المصطلح المفضل، وأيّها يكون المصطلح المقبول، وأيّها يكون المصطلح المستهجن...»[٦٩]. وبذلك نكون قد أسهمنا في تنمية هذا العلم ودفعنا إلى البحث في قضايا الألسنية كما تكيفت بأوضاع اللغة العربية ومتمماتها كعلم الدلالة والأصوات وأصول الكلمات، إذ «يبدو أن المصطلحات اللغوية المتوافرة حالياً في العربية من نصيب علم الأصوات باعتبار

---

(٦٤) صالح العتري، دراسة عن العلاقات في الأصول والدلالات بين اللغات القديمة واللغة العربية (باريس: جامعة باريس، ١٩٧٣)، و *La Presse de Tunisie*, 3/9/1974, et *L'Action*, 4/9/1974.

(٦٥) عبد القادر الفاسي الفهري، «المصطلح اللساني: معجم انكليزي ـ فرنسي ـ عربي،» **اللسان العربي**، العددان ٢٦ ـ ٢٧ (١٩٨٦)، وانظر: تحليل عبد المجيد الماشطة لـ: **معجم مصطلحات علم اللغة الحديث**، وضع نخبة من اللغويين العرب (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٣) في: **اللسان العربي**، العدد ٢٤٠ (١٩٨٥)، ص ١٣٧ ـ ١٤٠.

(٦٦) عبد العزيز بنعبد الله، «الوحدة الأصلية بين اللغات مظهر لوحدة إنسانية عريقة: نظرية طريفة تبرز أسس هندسة الوحدة،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ٥.

(٦٧) F. de Saussure, *Cours de linguistique générale* (Paris: 1964), p.140.

(٦٨) بنعبد الله، المصدر نفسه، ص ١٣.

(٦٩) محمد حلمي هليّل، «المصطلح اللساني وقاموس اللسانيات،» **اللسان العربي**، العدد ٢٨ (١٩٨٧)، ص ٦٧.

استقرار مبادىء ومصطلحات هذا العلم نهائياً»(٧٠). ويواجه هذا الاتجاه المخبري الاحصائي في اللغات بمواقف تدافع مثلاً عن الأصول العربية لجذور اللغات الأخرى، والبحث عن الأصول المشتركة بينها وبين العربية والشروع في إعداد قوائمها. ذلك أن اعتبار وحدة اللغات كما أوضحه مدير المكتب يعني في واقعه الحديث عن الوحدة البشرية التي كانت قائمة منذ البداية. فكان مناسباً البحث عن اللغة الأصلية التي كانت المصدر في اشتقاق اللغات الأخرى، وذلك بالتأريخ لتطور الكلمات، وما جدَّ بينها من روابط في المترادفات الموجودة في اللغة الواحدة. فإذا أمكن وصل كلمة في لغة معينة وأصل صوتي، فإنه يتاح لنا اعتبار تلك اللغة التي نطقت بها الإنسانية المصدر الأول. ويمكن أن تشكل مجموعة من اللغات أساساً واقعياً، مثلاً أسرة اللغات السامية أو اللغات الهندية الأوروبية. وما ينتهي إليه موضوع إنسانية اللغات هو أن يبرز آخر الأمر الملامح الموجودة في الوحدة الأصلية بين البشر، التي يشكل فيها التبادل اللغوي أحد العناصر(٧١). أما عن الألسنية العربية، فقد يعزى مولدها إلى الألسنية الهندية، خاصة النظام الصوتي الذي استند إليه الخليل لوضع معجمه. وقد ذكر أن انطلاق هذه الألسنية تأكد عند ضبط قراءات القرآن وتدوين اللغة، بحيث شكّل ذلك الأمر منطلقاً دينياً لوضع قواعد ضابطة للعربية، وكان ذلك بتأييد الألسنية اليونانية التي استعملت هي أيضاً الشواهد الشعرية في تدوين اللغة(٧٢). وواجب عالم اللغة اليوم هو تخليص الدراسات في الألسنية العربية من هذه الفرضيات التي لا تقدر إلا من باب الأقوال المحتملة التي لم تثبت بالأدلة العلمية. فمثلاً البحث في قضايا العربية كظاهرة اجتماعية حضارية، «تكاد تكون في حكم المعدومة لأن الدراسات التي تناولت اللغة العربية كظاهرة حضارية لم تكن دراسات بالمعنى العلمي»(٧٣). على أن الدراسات التي من هذا القبيل لا مفر لها من الخضوع لتخطيط دقيق يضاف إلى ممارسة العربية وتسليط الأضواء على ما ينتج بها في مختلف المواضيع التي يتطرق إليها كل من يكتب بهذه اللغة. ولو عدنا إلى الشعر الجاهلي لوجدنا به كل ما أمكن التعبير عنه من المشاعر الإنسانية والأفكار الباطنة بصورة يمكن معها استنباط ما طرأ من تقدم على تلك اللغة من تطور. وبذلك يمكن التفكير في «عقد مقارنة موضوعية بين تصور النفس في كل من الفكرين العربي والاغريقي، وترجع أهمية هذه المقارنة إلى أن الفكر الإغريقي هو الفكر الذي ظل حاكماً ومسيطراً على الفكر الإنساني طوال العصر القديم إلى فترة ظهور الإسلام»(٧٤). هذا في إطار محدود في أبحاث الألسنية العربية، فحري بنا أن نتجاوز البحث اللغوي في العربية الذي اتصف

---

(٧٠) محمد رشاد الحمزاوي، «مشاكل وضع المصطلحات اللغوية أو تقنيات الترجمة،» **اللسان العربي**، العدد ١٨ (١٩٨٠)، ج ٣، ص ٧٦.

(٧١) فيريتيوف رندغرن ، «علم اللسانيات العربية،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ج ١، ص xxvi.

(٧٢) رشاد محمد خليل، «تكوين الفكر العربي قبل الإسلام من اللغة،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ص ٩٣.

(٧٣) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ١، ص ١٠١.

(٧٤) عبد الرحمن أيوب، «المفهومات الأساسية للتحليل اللغوي عند العرب،» **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ١، ص ٢٠.

بالروح التقليدية المتوارثة عن الكتب القديمة، ونحدد معالم المنهجية الجديدة المدققة التي تخدم قضايا العربية في الوقت الحاضر وعلى رأسها قضية التعريب. ومنذ العصور القديمة، استمر اللغويون على البحث اللغوي المنزّه عن حصر للأهداف المنشودة في كل عمل لغوي، والمتمثل في خدمتها أحسن الخدمات بأن تتركز أبحاثها على ما يفيد تطورها وربطها بالتطور الحضاري الشامل، وذلك بتحديد المبادىء التي عليها يؤسس البحث في قضايا الألسنية العربية[75]. وما يترقب من فوائد من الدراسات اللغوية الخاصة بالعربية هو أن تضبط العلاقة الموجودة بين الأشكال اللغوية وما تقوم به من وظائف في الكلام. ويترتب على ذلك أن للألسنية كما لكل علم، مزايا تطبيقية تتمثل في هذا الباب في تقدير النتائج المنتظرة من هذا العلم وتأثيرها في تنمية تعليم العربية وبالتالي الترفيع من قدرة الطلاب على التحصيل اللغوي وممارسة بنى اللغة وأساليبها في التعبير والتحرير[76] وقد اتضح اليوم أن «من أراد أن يحلّل بناءً لغوياً تحليلاً دقيقاً يوقفه على أبعاد عناصره المختلفة عليه أن يجعل تحليله من خلال مسرح الحدث اللغوي الذي دار عليه»[77] وهذا رأي سبق لعبد القاهر الجرجاني ان التزم به، فهو يرى أنه يجب إقامة أهمية كبرى لطريقة النطق، وكيفية الأداء، ومراعاة ما يدل عليه المقام. «وربما كان أكثر الانتقادات التي توجه إلى التعليم التقليدي للغات إقناعاً، بإصراره على الصواب، وقواعد النحو، وأهدافه المحدودة، هو افتقاره لهذا البعد الاجتماعي، فقد افترض أن اللغة عبارة عن مفهوم لغوي، ويبدو أنه ـ التعليم التقليدي للغات ـ لم يعبأ كثيراً بفكرة المواءمة، وبالأسلوب القائل بأن السلوك اللغوي إيجابي بالنسبة لمواقف اجتماعية مختلفة»[78]. ومن فوائد ذلك أيضاً العمل على تطبيق المكسب اللغوي فوراً لأنه حاصل بصورة تكاد تكون عفوية ارتبطت بسلوك المتعلم[79]. وهذا ما يجنبنا مثلاً مزالق التعريب وتحريف الدلالة الذي يسيء إلى المعنى العربي الأصيل بقياسه على معنى أعجمي[80]. وهو المنظار الأعجمي نفسه الذي يجعلنا نتشكك في وضع الكلمات وضعاً عربياً سليماً، ولنتذكر ما أحاط بلفظة مشترك من تقلبات لحيرتنا من فتحها أو كسرها. والواجب يقضي في مثل هذه الصور أن نعمل على استغلال القليل الذي جادت به الألسنية العربية أو علم اللسانيات كما سمي أيضاً، وذلك للبحث في أصول الكلمات وما طرأ عليها من تطور عبر العصور، كأن ننظر في تركيب الحرفين الأصليين في الكلمات المتماثلة، باستثناء الكلمات المعربة، سواء كان الأصل ثنائياً (حرفان متماثلان) أو ثلاثياً. وربما انخفضت الأصول إلى حرف واحد: تأريخاً لفعل (nettoyer) الذي يرجع أصله إلى القرن الثاني عشر، نجده يطابق نظّ بالعربية، ويقابل (to swab) سفّ. ومن

---

(٧٥) المصدر نفسه، ص ٢٠.

(٧٦) س. بييت كوردر، «مدخل إلى اللغويات التطبيقية،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ص ٧٤.

(٧٧) البدراوي زهران، «من قضايا اللغة: وجوب تحليل البناء اللغوي من خلال مسرح الحدث الذي دار عليه،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة) (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٢)، ج ٥٠، ص ١٠٣.

(٧٨) كوردر، المصدر نفسه.

(٧٩) ادريس بن الحسن العلمي، «المشتركة بين الفتح والكسر،» **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ١، ص ١٤٧.

(٨٠) المصدر نفسه، ص ١٤١.

بـاب أولى أن نفكر في مـا يطرأ من سـأم على استعـراض هذه المتـماثلات الصـوتية واللغـويـة والـدلالية: (couper, to cut)، يقـابلها في العـربية فـكّ، حطّ، قطّ، خاصـة وأننا نجـدهـا بصفحات القواميس. وأما المترادفات، فتقتبس للمقارنة من لغات مختلفة، استناداً إلى التغـير أو استرسال الحروف الواضـح في الكلمات الدالـة على المفـاهيم التي ظهرت في فجـر الحضارة البشرية. وقد شملت تلك الأصـوات العناصر الـطبيعية ومنتـوجات الـطبيعة. وتشـابه هـذه الكلمات كبير من وجهة وحداتها الصوتية الأسـاسية Kubos, cubus, cube = كعب. وكـذلك الأمر في الألوان، وهـو أمر ملحـوظ (ألمانيـة: Blank، روسية: Byelty، إسبـانية: blanco، عربية: أبيض)[٨١].

والمعروف أن تطوير فقه اللغـة في العربيـة أو في غيرهـا يمر عن طـريق إقامـة علاقـات مقـارنة بـاللغات الأخـرى. وعلم اللغة زادت أهميتـه وتأثـيره في ذلك، إلى حـد أن مفـاهيم الألسنية بدأت في التشعب الذي يعسر معه تحـديدهـا تحديـداً واضحاً. فلكـل مفهوم منهـا، ينبغي إيجاد التعريف الذي يخول تماماً التعرف على واقـع ارتبط فعلاً بـالصنف المعزول. ومن جهة أخرى، فلا يمكن إقصاء أي عامل أشـارت إليه اللغـة الشائعـة بواسـطة اللفظ الواجب تحديده[٨٢]. أما بخصوص اللغة العربية، فإنه من الواجب استبعاد قضايا النحو القيـاسي وفقه اللغة التقليدي من حقل الألسنية وعلم دلالة العربية، والتعلق بالمظهر البنـائي، وهي السبيل التي سار عليها لغويون عدة، جمعوا جملة من الملاحظات الخاصة بـالعربيـة أتاحت لهم تحـديد معالم بنية خاصة بهذه اللغة يقبلها أيضاً العقل الغربي، ويتيح خاصة وضعها في علم الألسنيـة العامة كما في نحو اللغات الساميّة المقارن، وكذلك في نفسانيات اللغـات، والجماليـة الشكلية المتعلقة بالأغراض النحوية[٨٣].

والبحث في بنية العربية يضع الصلة القائمة بين هذه اللغة والفكر ضمن إطـار جديـد يعرف بإطار المدرسة الهيكلية الذي يسمح بالكشف عن التحويرات والفروق والمـطابقات التي تحدث في حدود دقيقة والمحدودة قواعدها وأشكالها. ذلك أن اللغة خاضعة لقوانين الاستقرار والتقدير الكمي. ويتطلب الكشف عن مميزات العربية العـودة إلى علم الاحصاء الـذي يعين قرينة التواتر لشيوع اللغة، وبفضل تلك القرينة تنتقى المادة اللغوية اعتباراً لمعنى الكلمات من الوجهة المعجمية، والعمل بالمميزات النحوية والصرفية. والعمل عـلى معالجـة تواتـر الكلمات والبنى والأشكال أو الأوزان يؤدي إلى البحث عن الواقع اللغوي بغية الوصـول إلى معطيـات اللغة ومعطيات المنطق، لأن اللغة ما هي إلاّ أداة تبليغ للفكر، أمـا الرمـوز الصوتيـة فليست سـوى إشارات تـدل على المجـردات والمحسوسـات[٨٤]. ولتنفيذ مثـل هذا الـبرنامـج الواسـع

---

(٨١) بنعبد الله، «الوحدة الأصلية بين اللغات مظهر لوحدة إنسانية عـريقة: نـظرية طـريفة تـبرز أسس هندسة الوحدة،» ص ٨ ـ ١٣.

(٨٢) **مواقف**، العدد ١٥ (١٩٧١)، ص ٤٦.

(٨٣) بنعبد الله، المصدر نفسه، ص ٥ ـ ٧.

(٨٤) المصدر نفسه، ص ٨ ـ ١٣.

للنهوض بالألسنية العربية التي تبدو في آزمة[٨٥]، فلا مناص من استغلال التكنولوجيا المتطورة حيث ان المشكلة الرئيسية في علم اللسانيات عند العرب المحدثين هي مشكلة أيديولوجية، فبقدر ما يكون هناك ايديولوجيا عربية متكاملة الأبعاد سياسياً واجتماعياً وثقافياً وعلمياً واقتصادياً وعسكرياً، يكون هناك علوم عربية واضحة المعالم[٨٦].

وقد تأكد أن الفروع العربية المختلفة متكاملة، وينبغي أن تكون كذلك لبلوغ أحسن النتائج[٨٧]. فمثلاً تبحث الألسنية في دلالة الألفاظ وما يطرأ عليها من تحويرات في المعنى تتمة للبحث في الظاهرة الصوتية، إضافة إلى أنه يجب إبراز الملامح المختلفة الموجودة في اللغة بصفتها أداة للتعبير الفكري، ويتم ذلك في السياق اللغوي والاجتماعي العام. وإلا فإن المجهود المبذول يبقى معطلاً إن لم يستند إلى الوشائج التي نسجتها اللغات واللهجات بين الأمم. وتضفي هذه الامكانية على الألسنية وجهة تستخدم ما لديها من وسائل لتجعل اللغة في خدمة التفاهم، إذ تشعبت العلائق بين اللغات منذ أن دخلت برج بابل. وإذا دخلنا مجال الألسنية التطبيقية وما يمكن أن تجنيه العربية من فوائد، تبينا أن المقابلات العربية المعجمية للألفاظ الانكليزية أو الفرنسية أو حتى الروسية، إنما تفيد اللفظة العربية التي تتبلور وتحتك بغيرها، وكأنها قد مرّت بفترة امتحان للبقاء أو الزوال. ويدعم هذا الاتجاه ما ثبت فعلاً من مطابقات لغوية تأكدت بالأمثلة التي أتت عفواً دون ترتيب معين، فكانت شاهداً على وجود الوحدة الدلالية اللغوية لأصول عدة من لغات تنتمي إلى مجموعات متباينة (مشى = marcher بالفرنسية، marchivorat بالروسية، marchar بالاسبانية، march بالانكليزية...)[٨٨]. ويمكن التوسع في الأمثلة مع اعتبار ترتيب الحروف في الأصول العربية[٨٩]. ولا شك أنه لا يمكن إنكار أن العربية قد تأثرت أولاً بجذورها البدوية. ذلك أن البدوي يتقمص فعلاً شخصية أمير الكلام ومستودع اللغة العربية الفصحى. وقد روى علماء اللغة العربية القدامى ذلك لقناعتهم به، وتمادينا اليوم نذكر بسلامة اللغة وواجب صيانتها من كل زيف أو تحريف. ولم نتردد مرة في القول إن اللغة البدوية الفصيحة كما رواها اللغويون مشافهة عن البدو، تشكل في عصرنا القاعدة لتجديد العربية، ولذلك ينبغي حماية هذه اللغة من اكتساح

---

(٨٥) فناري أحمد محمود، «أزمة اللسانيات في العالم العربي،» **المجلة العربية للدراسات اللغوية** (شباط/ فبراير ١٩٨٨)، ص ٩ - ٣٣.

(٨٦) مازن الوعر، «اللسانيات والعلم والتكنولوجيا: نحو تعريب موحد للسانيات التطبيقية العربية وبرمجتها في الحاسبات الالكترونية،» **اللسان العربي**، العدد ٢٢ (١٩٨٣)، ص ٣٢.

(٨٧) بنعبد الله، «الوحدة الأصلية بين اللغات مظهر لوحدة إنسانية عريقة: نظرية طريفة تبرز أسس هندسة الوحدة،» ص ١٤ - ١٧.

(٨٨) عبد الله خميس، «لغة البادية،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ١٦٩ - ١٧٤.

(٨٩) محمد المبارك، «التفاعل الحضاري في تكوين اللغة وتطويرها،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ص ٤٩ - ٥١.

التعابير الحديثة حتى تتهيأ لها أسباب المناعة والنهضة الجديدة[٩٠]. فقد حدد التاريخ والجغرافيا مدى التفاعل القائم بين اللغة والحضارة العربية القديمة، بفضل اللغة الفصحى، لغة القرآن والقيم الدينية والثقافية الإسلامية، والكتابة العربية[٩١].

وقد استُكملت هذه العودة إلى المفاهيم الأساسية وألفاظ الحضارة الإسلامية، أي إلى ما كانت عليه العربية في الماضي، وجودها في ما قدمه ابن خلدون من تحاليل خاصة بمميزات هذه اللغة، وكما هو معلوم فقد كتب الكثير عن أفكار ابن خلدون، وأحصي مؤخراً ما يناهز ٤٠٠ كتاب وبحث في ذلك. لكن تبين أن آراءه حول علوم العربية لم تحلل تحليلاً عميقاً، وهي النحو والمعجمية والبيان والبلاغة والأسلوب والأدب[٩٢]. وقد لاحظ ابن خلدون أن معرفة علوم اللغة ضرورية لفهم القرآن والحديث والدين. وقد أولى النحو المرتبة الأولى لفائدة هذا العلم في إفهام الآخرين مقصوده. وقد رتّب العربية ضمن اللغات الأخرى، لما تميزت به من عبقرية في الإيجاز كإيجاز الأمثال مع قوة الدلالة. وفي الجملة، إن العربية هي اللغة التي تعبر بأكبر وضوح عن الفكر، إذ بالإضافة إلى الكلمات، فهي تملك الحركات التي بها تميز الفاعل المرفوع عن المنصوبات والمجرورات، وهي تملك أيضاً حروفاً تحور الأصول الفعلية أو الأفعال المتحركة أو الذوات، دون أن تحتاج إلى كلمات أخرى[٩٣]. ومع الاعتراف بأن العربية يعوزها بعض العوامل التعصيرية، وأنها أثّرت وتأثرت بلغات عدة، فلا يمنع ذلك من وجود القناعة الراسخة بأنه ينبغي أن تتاح لها الفرصة لكي تقوم بالدور اللازم الذي تخوله لها إمكاناتها الصرفية والمعجمية. ولعلها بدأت لغة بدائية وانطلقت من المقطع البسيط إلى المقطع الثنائي الذي تجسم في بعض الأصول. وتطورت الأصول فوضعت كلمات اكتست دلالة أكثر تشعباً، وألصقت المقاطع البسيطة التي كانت العناصر المركبة في اللغة البدائية التي تطورت ورغبت في التعبير عن المعاني الجديدة التي واجهتها، فاستعملت المقطعين وغيرت من وضع الحروف لمطابقتها الظواهر الطبيعية. وبذلك بدأ صنع اللغة يشعر بنفسه أكثر فأكثر دون أن يبلغ مرحلة التقييس. ذلك أن ترتيب الألفباء لم يظهر بعد، وكذلك قانون تنمية الحروف. ولم تقنن الأعمال اللغوية إلا بداية من وضع المعاجم السليمة والتمييز بين الدخيل والأصيل. وبذلك، بدأت تتفرد الأصوات العربية بصفتها وحدات أساسية، فتأيدت أهمية وضع الحروف وترتيبها وتجسدت في استخدامها وقلبها ضمن الأصل الثلاثي والأوزان الفعلية والاسمية المشتقة، فكان لهذا التوسع اللغوي أثره في تنمية مادة الصرف. أما الأوزان الرباعية وما زاد عنها، فقد أمكن إرجاعها إلى أوزان ثلاثية (مثلاً قرطاس من المعرب وهو

---

(٩٠) المصدر نفسه، ص xx.

(٩١) Ibn Khaldûn, *Discours sur l'histoire universelle: Al Muquaddima* (Beyrouth: Commission internationale pour la traduction des chefs-d'œuvre, 1967), p.1244.

(٩٢) محمد يوسف نور الدين، «التطور اللغوي ونشوء العربية،» اللسان العربي، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ص ١٢٧ - ١٤٣.

(٩٣) De Saussure, *Cours de linguistique générale*, p.58.

يتركب من قرط + آس = ورقة البردي). والواقع أن التحويرات الصوتية ترتبط باللهجات القبلية، وتحدد بذلك عصراً صوتياً تحرر من الظواهر الصوتية. وتبدو الحركات أيضاً بمثابة الحروف التي تتخذ مكاناً متنوعاً ضمن الكلمات، وذلك يعني أنه مرت فترة طويلة قطعتها الألسنية العربية لتحديد وظيفة الحركة التي تشكل حرفاً. وبفضل الكتابة، بقيت بعض الآثار في الكلمات أو القواعد التي تعتبر من الشواذ (مثلاً الواو في آخر عمرو، الذي هو حرف زائد، أو قاعدة المثنى التي تعتبر تدقيقاً تتميز به العربية الفصحى). والقدرة على الزيادة في اللغة أوقفها القرآن، لكن الألسنية العربية تنبهت إلى هذه الظاهرة. ذلك أن القرآن لم يعمل إلا على الوقوف في وجه الفوضى اللغوية السائدة في اللهجات، دون أن تكون له رغبة في تعطيل أو كبح جماح التوسع عن طريق الاصطلاح أو المجاز. والفعل لم ينج من هذا التطور خاصة إذا اكتسى بعض الشذوذ، فرتب أصنافاً خضعت للقواعد الصرفية والنحوية والصوتية أيضاً. وكان ذلك التعدد مفيداً في تلوين المعنى. وزاد تطور العربية بعد مساهمة القرآن في إقرار مفرداتها وتصفيتها من زحمة المفردات الزائدة عن الحاجة. وإذا كانت الألسنية العربية في الماضي منغمسة في خلافات وأقوال مدرسة البصرة والكوفة، فقد تركزت اليوم جهودها لإبراز بنية جديدة للعربية. إذ من الواجب إزالة كل ما من شأنه أن يبث الاضطراب في ترتيب الأفعال (مثلاً عين المضارع) مع احترام القواعد. ثم لا بد من تحديد ما يطرأ من تغيير على حشو الأوزان بحيث ترتبط بالدلالة. وتمثل هذه الأفكار حلولاً للمستقبل تحاول إخراج الكلمة العربية من وضعها وضعفها من وجهة المعنى، ويمكن بهذه الصورة تحويل الجماهير عن العامية التي تعبّر بها عن أفكارها ومشاعرها، وتقريبها من اللغة الفصحى بعد إقناعها أنها لم تعد تلك اللغة التي بدت لها في الماضي بعيدة المنال، وان من يتعلمها لا يفعل ذلك لأسباب ثقافية واجتماعية فحسب، بل لأنها لغته القومية التي عليه أن يتقنها في المقام الأول. وتبدو الفصحى في نظر الناطقين بها بمثابة الحاجز الفاصل عن الواقع والحياة، بسبب أوزانها وشكلها وكلماتها المنتقاة لفائدة نخبة تتحدث بها، وكذلك بسبب ما لها من نظام خاص بحشو الحروف في أصل الكلمة، على ألا تتعدى اللاحقة الحرف الواحد لئلا تفقد الكلمة وزنها العربي، ثم ان الزيادة تتم ببعض الحروف دون غيرها. لا شك في وجود أوزان معينة تستخدم في الكيمياء والتعداد، لكنها تخضع للمعاملة نفسها. وبذلك تأكد أن الألسنية العربية تفرد بعض الأوزان الجديدة التي تحمل معها دلالات جديدة تولد عن وسائل ابتكار المفردات خاصة منها القياس؛ وبمقاومة ما تخلف عن انقطاع تطور العربية بسبب مغادرتها بلاد العرب باكراً، قبل الانتهاء من دورتها التطورية التي ربما تبلورت في أوزان فعلية غير شائعة ومصادر وجموع وصيغ أخرى. لكن علماء اللغة القدامى وكذلك فقهاء العربية المحدثين العاملين على صيانة اللغة جمدوا تلك الانطلاقة المجددة بحيث سبق القياس قاعدة الشيوع خاصة إذا ساءت[٩٤].

---

(٩٤) عبد الهادي الفضلي، «علم الأصوات الحيوانية عند العرب،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٢٤٢.

٥ ـ مسائل في الصوتيات العربية

لقد اقتصر علم الأصوات التقليدي على الوصف والترتيب الدقيق لأصوات العربية. لكن تعذر عليه استخلاص ما كان لها من وظيفة مضبوطة في اللغة. ذلك أن الصور التي بها ينطق الصوت متعددة، وهي في زيادة مطردة ترتبط بالتزايد الذي لا حدّ له من الوجهة النظرية، لعدد الكلمات، دون أن يبرز ذلك وجود معان مميزة. ذلك أن الخدمة الحقيقية التي يسديها إلينا علم وظائف الأصوات متمثلة في السماح لنا باتخاذ بعض الاحتياطات تجاه الشكل المكتوب الذي يجب علينا اعتباره بلوغاً إلى اللغة[٩٥]. فاللغة يجب فعلاً أن تكون المقياس لكل ما يعترض اللغوي من ظواهر في الكلام. ثم إنه لا بد أن نتذكر أن الوحدات الصوتية المميزة تتجمع في نظام متلاحم متضامن العناصر. فإن كانت الوحدات الدلالية تعبّر عما يجول بخاطرنا من أفكار، فإن الوحدات اللغوية الأساسية تدقق ما يوجد من علائق بين تلك الأفكار، فتحدد بذلك العلاقات بين وحدات الدلالة. وبهذا الاعتبار يمكن أن ندرك ما لترتيب الحروف من أهمية بحيث تصنف إلى أصوات مميزة وأصوات غير مميزة. ذلك أن الكلمات بصفتها أزواجاً دنيا، يمكن تمييزها بمقابلة صوتين ويضاف إليها الحركات الدالة في العربية. لقد وقع تحليل الصوت العربي ومما ترتب على ذلك ابتكار مجموعة من أصوات التعجب وما يتبعه من نداء وندبة وغير ذلك من الأصوات المعبرة الموحية المتركبة من حرفين يكون فيها الحرف الثاني عادة ساكناً، فاستخدمت لمناداة الحيوان (مثلاً زَعْ لنداء الجمل) التي يمكن تفصيل نطقها، وهو أمر يقودنا إلى التذكير بما ابتكره العلامة الروسي بافلوف (Pavlov) من حركات عاكسة[٩٦]. لكن هذا العمل الوصفي القياسي الذي قام به النحاة لم يعتبر في حسابه ما طرأ على اللغة من تطور. فقد عولجت الأصوات طبق الصورة التي بها تنطق سواء كانت صحيحة أم رديئة. ويتقرر النطق بأمر من علماء اللغة أو تبعاً لاحدى قراءات القرآن. وهذا لا يعني أنه ينبغي العدول أو إهمال هذه المعلومات الصوتية التي يمكن مراجعتها في تصانيف النحو العربي. لكن إلى جانب هذا الموقف العلمي لا مفر لنا من القول ان القضية الصوتية في اللغة العربية لم يقع تعميقها من طرف النحاة. ومن المعلوم أن المصطلح الصوتي لنحاة العرب القدامى لا يزال قيد الدراسة والحصر، ولم يجمع حتى الآن بطريقة شاملة حتى يمكن أن يفيد منه المترجم والدارس لعلم الصوتيات بلغة الأم[٩٧]. فلم يهتموا مثلاً بالمقاطع والنبر وتنغيم العبارة أو الكلمة، فلم يساعدوا بذلك الشعراء ولم يفيدوا علم العروض وبحور الشعر العربي إلا قليلاً. ومع ذلك، فقد دوّنوا خواص الحركات والوقف. وبذلك كان لعلم وظائف الأصوات في العربية الفصحى نظام وفير ثري في الحروف، وفقير في الحركات، مما

---

(٩٥) Cantineau. *Cours de phonétique*, p.204.

(٩٦) محمد جابر الحين، «هجرة تغلب إلى أرض الجزيرة،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة)، السنة ١٦ (١٩٦٣)، ص ٤١.

(٩٧) محمد حلمي هليّل، «المصطلح الصوتي بين التعريب والترجمة،» **اللسان العربي**، العدد ٢١ (١٩٨٣)، ص ٩٧ ـ ١٣٦.

جعل الكلمة غير مدققة من الوجهة الوظائفية الصوتية. فالكلمة تملك نبراً مستقراً في موضع واحد دوره الرئيسي متمثل في التفوق الصوتي. وخلافاً لذلك، يتميز آخر الجملة أو العبارة تميزاً جيداً بفضل الوقف[98]. وقد تركزت جهود علماء الأصوات العرب بالخصوص على المظهر الوصفي الموجود في كل جهاز صوتي، وعلى سيره في مختلف نقط وأطوار تفصيل الصوت، وهو أمر يدعو للبحث في الإدغام، وذكر ما يوجد من انحرافات بالنسبة إلى القاعدة الصوتية. وعلى هذا الأساس، حددوا الأصوات المتمثلة بحروف الذلاقة، وهي الحروف التي تدل خاصة على القدرة على الكلام بالعربية دون وجل، بحيث ينطق اللسان دون تعثر. ويبدو أنها أكثر الحروف شيوعاً: منها الحروف المائعة (ل، ر، ن) والحروف الشفوية (ف، ب، م) التي سميت بذلك الاسم لا دلالة على أطوار تفصيل النطق أو لظاهرة صوتية أخرى، بل تمييزاً لها عن غيرها[99]. وانشغل علماء أصوات العربية قديماً بما يطرأ من تغيير اعتلال، سواء تم ذلك عن طريق التبديل أم الحذف أم تعويض الأصوات الموجودة بغيرها. وتأيد ذلك الجهد في مراجعة قضية علامة المؤنث مفرداً أو جمعاً، وتحويلها إلى هاء السكت. ولفت نظرهم ما يطرأ على الأصوات من تفخيم في الفصحى أو العامية، في الوحدة الصوتية المميزة: والتفخيم سمي أيضاً الإطباق والاستعلاء والتسمين والتغليظ. وبذلك ندرك أن مثل هذا التصور الصوتي خضع لتسميات عدة، لا شك أن المقصود منها كان الإحاطة بجوانب التفخيم الصوتي. كما اهتموا أيضاً بالمقطع أو الكلمة والتعرف عليهما دون أن يطرأ تغيير على الحركات، بل ان ذلك يحصل بسبب الإطباق الذي يرافق الحرف ويتجاوزه أحياناً[100]. وكثيراً ما أمكن التعرف على المتخرجين في الجامعات الإسلامية التقليدية كالأزهر لما اتصف به حديثهم السريع من تفخيم، ومدّ مفرط في الحركات، ولعل ذلك يؤثر في صحة الكلام الذي تقرر قياسه إلى الحد الضروري، حتى في الحديث اليومي السائر[101].

أما في الوقت الحاضر، فقد تركز الاهتمام على البحث في القضايا الصوتية القائمة في اللغة العربية والعمل على «استخدام الأساليب العلمية الحديثة في دراسة اللغة العربية والإفادة من الدراسات الصوتية في بحوث الصرف والنحو والعروض واللهجات والقراءات...»[102]. واهتم بها المختصون لتطوير العربية وجعلها صالحة أكثر فأكثر لخدمة العلم والحضارة المعاصرة، من ذلك أن التعريب يستفيد لو أمكن مثلاً ايجاد المقابلات الصوتية العربية للرموز الشائعة في

---

(٩٨) *Revue d'études islamiques* (1969), p.771.

(٩٩) تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٨)، ص ٦٦.

(١٠٠) De Saussure, *Cours de linguistique générale*, pp.226 et 315.

(١٠١) أحمد عبد الرحيم السايح، «من خصائص اللغة العربية،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٤٢.

(١٠٢) «مؤتمر اللغة العربية في الجامعات وواقعها ووسائل الارتقاء بها، ٢٦ - ١٩٨١/١٢/٣٠،» **اللسان العربي**، العدد ١٩ (١٩٨٢)، ج ١، ص ١٩٣.

العلوم والتقنيات[103]. ومن المواضيع التي تلاقي الاهتمام قضية الحركات التي تتيح شكل الكلمات والجمل. يعني ذلك أنه لو حلت هذه الإشكالية لأتيح لكل راغب في تعلم العربية يسر التدرب عليها وممارستها بشرط أن يقع رفع اللبس الموجود في كل كلمة عارية من الحركات. وما وقع الخوض فيه حول هذا الموضوع مهد لبعث نظرية حول هذا الأمر، تأسست على قواعد علمية واستمدت مفهومها من معطيات الكهرباء وعلم السمعيات وعلم وظائف الأعضاء، وذلك بغية تحليل ظاهرة ارسال الأصوات واستقبالها: مثلاً يتطلب ارسال حرف الباء جهداً أكبر من الهاء في النطق. وبفضل نغمة الصوت، يمكن ترتيب هذا الحرف بين الحروف المجهورة لا بين الحروف المهموسة. وإن أردنا الآن تحقيق نطق الهاء، فيمكن القول إن الزفير يحمل حبلين صوتيين على تيسير وضع الشفتين وضعاً ليناً. هذا وإن الأصوات تتكيف بالمفاهيم، وهو أمر لاحظه اللغويون القدامى، فرتّبوا على هذا الأساس من تطابق الدلالة والصوت، الأصوات إلى وحدات مقبولة أو مرفوضة من السمع، أي أصوات حسنة أو خشنة[104]. وقد عدل علماء الصوت الآن عن هذه الخطة، مفضلين العمل بنظريات علم الأصوات الذي هو في الواقع مخصص للغات الأوروبية. وعلم الأصوات في العربية لم يفد أيضاً من الاهتمام المخصص للصرف الذي استغل إلى أقصى حدّ القياس دون أن يتخلى عمّا شاع من كلمات سليمة. فإذا كان القياس ظاهرة صوتية في البداية، فإنه ينبغي وضعها خاصة في علاقة تجمع الأوزان الثلاثية، وتدل على «المعنى الحسي» للكلمات، كما ذكرها المعجم بانتظام في اللغات السامية وفي غيرها من اللغات، في حين أن الحركات تحدد القيم النحوية[105]. وقد عمل النحاة القدامى على حل هذا المشكل على صعيد الاستعمال، فاعتبروا الفتحة أخف من الضمة، والكسرة أثقل من الحركتين الأخريين. وانطلاقاً من ذلك، واعتباراً لهذه العناصر، استخلصوا أن أكبر تواتر يوجد في المنصوبات. ويضاف الآن إلى التعليل القديم الأسباب التي تبرر استعمال الحركات، كأن يقع الحديث عن الوظيفة التي تقوم بها الحركات، مثلاً إن الكلمة المرفوعة دليل على وجود عمل أو إسناد، وان الكسرة دليل على الإضافة وقيام علاقة بين كلمتين بحرف أو بدونه، وان الفتحة لا تدخل في باب الإسناد. وفي خصوص الفعل. تعالج مسألة عين المضارع وتربط بتعدد المعاني لارتباطها بتغير حركة عين الفعل[106]. فَعَلَ مخصص للحدث والفكرة المحيطة بتحقيق الفعل، وفعِل مخصص للعمل الغريزي الطبيعي الذي يتمّ على الفطرة، وتمدنا فَعُلَ بمميزات العامل. أما الحرف الأول في الفعل، فلا يمكن تسكينه أو كسره إلا عند الضرورة. بقي أن الفتحة هي الحركة

---

(١٠٣) محمد حلمي هليّل، «معجم المصطلحات الصوتية (انكليزي ـ عربي)،» **اللسان العربي**، العدد ٢٣ (١٩٨٤)، ص ١٠٧ ـ ١٣٧.

(١٠٤) انظر: صبيح التميمي، «ظاهرة اقتران الأصوات وتنافرها،» **اللسان العربي**، العدد ٣٠ (١٩٨٨)، ص ٤٧ ـ ٥٥.

(١٠٥) السايح، «من خصائص اللغة العربية،» ص ٤٢.

(١٠٦) مصطفى النحاس، «عين المضارع بين الصيغة والدلالة،» **اللسان العربي**، العدد ٣٠ (١٩٨٨)، ص ١١ ـ ٣٣.

الطبيعية في الماضي، وهي حركة قارة في آخره باستثناء صور تخضع لنحو الفعل[107]. وتتفوق قاعدة الاستعمال والشيوع في أوزان الفعل، وهي تبدو محيرة للمتكلم إذا استعمل الفصحى نادراً[108].

تتركب بنية الكلمات[109] من الحروف التي يضاف إليها الحركات غير المفصلة في النطق تفصيلاً مستقلاً. وبذلك ليس للحركة معنى قائم الذات بل انها تندرج في وحدة صوتية مميزة (حرف + حركة). لكن الناطق بالعربية يجد دائماً دلالات عدة للحركات الثلاث التي تشكل بالنسبة إليه أبعاداً ثلاثة. فالفتحة هي الدالة في نظره على التأثير الموجه إلى العالم الخارجي: إن الأفعال التي عينها فتحة تفرض أن الفعل صادر عن الفاعل بإرادة حقيقية منه أو مجازية. وتدل الكسرة على أن الفاعل يخضع للفعل أحياناً أي للعالم الخارجي دون أن تتدخل في ذلك إرادته (الأفعال من نوع فعِل: مرض، حزن، عطش. . .). أما الضمة، فهي تدل على أن الفاعل يخضع باستمرار للفعل. لكن لم تعد هذه الشروح تكفي، إذا اقتصرت، كما فعل النحاة القدامى، على الحديث عن الخفة والثقل في الحركات، لأنها تخضع للمظهر الخارجي. لكن ما يمكن اعتماده اليوم في العلم التجريبي لوظائف الأعضاء، وما يمكن التعرف عليه من أوضاع مختلفة للجهاز الصوتي بصورة دقيقة صار يساعد على إحاطة أكبر بالأصوات العربية. فمثلاً تتسبب الفتحة في تحريك الفكين بواسطة ثلاث عضلات. وقد تبيّن أن درجة انفتاح ما يجب من ذلك الجهاز عند النطق بالضمة أقل أهمية، وأنه يتم بفضل تحريك عضلات أخرى. والانفتاح يكون أقل في الكسرة لأن وحدتها محدودة الدرجة الانفتاحية. وقد درس القدامى هذا المظهر الصوتي طبق مقاييس جمالية يشار إليها بالفتحة التي يتناسق بفضلها الحديث لانفتاحه، في حين أن الكسرة رمز على حديث الخضوع، والضمة تشير إلى التراكم. وقد بحث ابن جني في ذلك حسب هذه المقاييس، وألحّ على الحركة والسرعة والخفّة الموجودة مثلاً في فَوَلَ المستعملة في الأوزان الستة الأصلية. وبالمقارنة نجد كَلَمَ التي تدل على سجل أعظم ولا تستخدم إلا خمسة أوزان أصلية. وهذا دليل على حيوية اللغة ومرونتها التي تمثلت في الكلمات المشتقة الواحدة من الأخرى كحلقات متضامنة[110]. وفي الجملة، فإنه يمكن الحديث عن أوضاع خاضعة للعقل عند الحديث عن اللغة والنحو العربي، وسيشعر علماء الصوتيات العربية بذلك لما تفتح أمامهم آفاق جديدة في علم الأصوات تتيح التعبير اليسير

---

(١٠٧) داود عطية عبده، «الأصل في الفعل الماضي سكون آخره،» **اللسان العربي**، العدد ٣١ (١٩٨٨)، ص ٦٣ ـ ٧٦.

(١٠٨) أحمد الأخضر غزال، «فلسفة الحركات في اللغة العربية،» **اللسان العربي**، السنة ١٠، (١٩٧٣)، ج ١، ص ٦٦ ـ ٧١.

(١٠٩) جعفر دك الباب، «نظرية جديدة في دراسة بنية اللسان العربي، القسم الأول: تصريف الأفعال،» **اللسان العربي**، العدد ٣٢ (١٩٨٩)، ص ٩ ـ ٢٧.

(١١٠) عبد العزيز مطر، «علماء الأصوات العرب سبقوا اللغويين المحدثين في ابتكار نظرية التماثل،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ٥٢ ـ ٥٨.

عملاً بقواعد مقررة كاملة التصور(١١١). لكن علماء اللغة القدامى الذين بحثوا في الصوتيات وجدوا اليوم من يؤيد منهجهم ويؤكد أنهم كشفوا عن نظرية الإدغام قبل علماء الأصوات المعاصرين. فقد درس سيبويه هذه المسألة بعنوان التماثل أو المماثلة، فوصل إلى نتيجة مفادها أن ما يطرأ من تغيير في الحروف يعوض خلاله حرف بآخر ملاصق له بمفعول حرف ثالث، إنما هي ظاهرة معروفة اليوم بالضم الملاصق (coalescent assimilation) ثم إن تلاصق حرف وآخر متميز باختلافه الصوتي، ينشأ عنه جذب بين الحرفين بدون تدخل الحركات، كما هي الحال في الحروف المجهورة والمهموسة، وكذلك الأمر في المقابلات بين الحروف. ويتم هذا الإدغام إلى الأمام إذا انجذب الحرف الثاني نحو الحرف الأول (مثلاً التاء نحو الزاء) أو خلافاً لذلك يتم الجذب إلى الخلف. وبما أن الحروف العربية محمولة على كونها فموية (باستثناء الميم والنون حرفي الغنّة)، فإن الانفجار الهوائي يحصل عبر الفم، وبالطبع يوجد تبادل بين الفم والأنف والاستيعاب الذي يشكّل فيه الإدغام حداً أقصى، كما يقع لما نلاحظ انتقالاً في تفصيل النطق، في صورة التجانس التي يدغم خلالها النون في الباء. وقد سمى سيبويه ظاهرة الجذب بين الوحدات الصوتية الساكنة «مضارعة»، وذلك لما عليه الحركات من تناغم، إذ إن سكون الحرف يتيح الإدغام. وقد بحث ابن جنّي أيضاً في الإدغام، فقال بوجود إدغام أصغر، وعنى به تقارب حرفين بدون إدغام(١١٢). وبواسطة هذه الإمكانية التي تتيح تجاذب بعض الحروف، أمكن حل بعض المسائل الصوتية، وتمتعت اللغة بوسائل أخرى تحور بها الحروف، كأن تحور القاف إلى حرف صلب أو همزة أو كاف: (دقّ ودكّ)(١١٣).

إن كل هذه المعلومات الصوتية تشير إلى وجود مرونة وحيوية ومظهر جمالي في الصوتيات العربية. إن الوحدة الصوتية المميزة كما أن «أفعال» الرباعية للأصوات المحكية التي ازدوجت مقاطعها، قد انعكست من وجهة البنية على اللفظة، كأن يقال: ترنّم الحمام، أو أن يكون ذلك بسبب القوة التعبيرية الدالة الكامنة في المفردة: شهوة التي تكررت فيها الشين، وبذل جهد في النطق بالهاء إلى أن ينتقل إلى تفصيل النطق على الشفاه للنطق بالواو، وكلها عناصر تبعث على استخدام الجهاز الصوتي بفضل تقلص العضلات وامتدادها، تلك العضلات التي خصصت للقيام بهذا الدور، وإبراز بعض المعطيات الجديدة القادرة على دفع علم الأصوات في العربية وتصور إمكاناته في صيغة منسجمة منطقية تشخص الإيقاع الذي لا يشكل هو أيضاً سوى قاعدة جمالية لوضع الوحدات الصوتية المميزة، ويرتبط ذلك بما للفكر من توتر وحركة وأيضاً بانسياب الأصوات(١١٤). وبلوغاً لهذا الهدف، ينبغي جرد الظواهر التي لها قيمة

---

(١١١) الياس قنصل، «الحياة في اللغة العربية،» اللسان العربي، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٥٠ - ٥٢.

(١١٢) حامد حسن، «كيف تفجرت طاقات اللغة العربية،» اللسان العربي، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٣٨ - ٤٢.

(١١٣) Vincent Monteil, *L'Arabe moderne* (Paris: Klincksieck, 1960), p.281.

(١١٤) حسين نصار، «الأتباع في العربية،» اللسان العربي، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ١٤٠ - ١٤٨.

صوتية وتحليلها. فقد اعتنى مثلاً اللغويون القدامى بالاتباع وتمادى ذلك عند المحدثين الذين اعتبروه تكراراً لصفة متبوعاً باتباع، يعني ذلك ادخال تحريف مقصود على أحد الحروف الأصلية[١١٥]. ومنذ أن حدد شيخ مدرسة البصرة هذه الظاهرة، فقد استمر تلاميذه في بحث الأمر بعده، فاستخلصوا من ذلك أن اللفظ الثاني في العبارة أي التابع لا يعني شيئاً في حد ذاته، رغم ما يحدثه من مفعول صوتي، كأن يقال: شيطان ليطان. والبدو الذين شهدوا بصحة اللغة الفصحى وأصالتها الجاهلية، اعتبروا الاتباع بمثابة الدعامة التعبيرية، في حين أنه وجده غيرهم يكتسي دلالة معينة، واعتبروه أحياناً مرادفاً للفظ الأول الذي تتضمنه العبارة، وأن للاتباع درجة خاصة من المفعول التصديقي المرتبط بالحكم والأمثال العربية، لكونه يضفي سلاسة على العبارة التي تتحول بفعله إلى سجع. والملاحظ أن الحرف الأخير في العنصرين المكونين وكذلك وزنهما، سواء كانا من المقاطع أو الحروف، متماثل، كما هو الأمر في الشعر والنثر المسجع. وبالطبع ينبغي أن تتركب العبارة على الأقل من لفظتين لا ترتبطان بحرف بحيث ينسجم اللفظ الثاني أي التابع من اللفظ الأول أي المتبوع. وقد أمكن لا محالة تركيب ثلاث كلمات مجموعة بالعبارة نفسها دون الإخلال بوضعية التابع والمتبوع، ويندر أن نتجاوز ذلك الحد. والمقصود أن يؤول ذلك إلى صورة من صور المبالغة التي يمتد فيها معنى اللفظ الأول إلى الثاني. وقد استخدم هذا التركيب العبارات الاسمية وضمّ أيضاً فعلين أو مصدرين باعتبارهما فعلين مقدرين. والمطلوب آخر الأمر أن تتزاوج الكلمات حسب التماثل الذي يسري على الحركات والحروف، ويمكن أن يتطور ذلك إلى تركيب عبارات قائمة الذات لها من الدلالة ما للعبارات العادية المركبة طبق قواعد الكلام المرسل. وما رمى إليه النحاة من توضيح مثل هذه التراكيب التي ساد فيها التكرار والاتباع، هو أن يتيسر للمتكلم تفصيل النطق وتجنيب الجهاز الصوتي القيام بجهدين متباينين في صورة يكون فيها الكلام متنافراً، في حين ان المقصود هو النطق على وتيرة واحدة، أو أن تهيأ الظروف لاستعمال جرس مماثل، وهو أمر شائع في الشعر والسجع والاتباع. وعلى هذا الأساس، اعتبر الاتباع ضمن ما يكون بين المتكلم والسامع من علاقة تحدد الطبيعة الحقيقية للاتباع. ذلك أنه عند توالي صوتين بحيث يتماثل بالضرورة في البنية الصوتية، الحرف الأخير من الصوت الثاني بحرف آخر لكن بتغيير يطرأ على ترتيب الحروف، فإنه يلاحظ مظهر رمزي أيضاً في هذه الوسيلة الدالة على حالة وجدانية خاصة عند المتكلم كالتعجب (حسن، حسن،) يترتب عليها جملة من الفويرقات الواضحة في الاستفهام الإنكاري والندبة مثلاً. وقد تمادت تلك الفروق الصغيرة في وضع عبارات مبهمة لا تكتسي أي معنى دقيق. ورغم هذه النقائص، فقد ساهم الاتباع في إعطاء المتكلم وسيلة يعبر بها عن حالات عاطفية يقدر السامع مفعولها من الوجهة الصوتية وتبعث في نفسه أحاسيس عدة، يساهم بها في مشاركة المتكلم في حالته الشعورية، إضافة إلى الفائدة الإخبارية[١١٦].

---

(١١٥) عبد الحق فاضل، «أقاصيص لغوية: قط وبناتها،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ٣، ص ٥ ـ ١٠.

(١١٦) عبد الحق فاضل، «أخطاء لغوية،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٤١٣ ـ ٤٢٩.

وكتوطئة لضمان ظروف هذا التبادل، ينبغي محاولة جرد الأخطاء الشائعة قبل كل شيء، لأنها تعطّل النقل الجيد للغة. وقد أمكن فعلاً تدوين بعض الأخطاء بسماع الاذاعات ومطالعة الصحف. وتبين أن عددها قد تضخم تضخم النصوص المطبوعة والمذاعة على أمواج الأثير، وذلك لفقدان شكل النصوص، فكان لزاماً انتقاء الأخطاء الأكثر تمثيلاً وتواتراً، بالإضافة إلى أن المعاجم تتضمن هي أيضاً عدداً من أخطاء اللغة أو أخطاء الطباعة على الأقل، يضاف إليها ما تلقاه المتعلمون من أخطاء خلال الدراسة، يعسر بعد ذلك اجتثاثها لرسوخها منذ الصغر، ذلك أن المتعلم يستغرب أن يوقعه معلمه في الخطأ لما يتصف به في نظره من كمالية أخلاقية وعلمية، فيبدو له التصحيح غريباً لجدّة الكلمة على سمعه خاصة، وأن الكلمة الأولى رغم خطأها قد رسخت في ذهنه كما هي. ويمكن أن تكون الأخطاء طبعاً سماعية (مثل خطبة في الجامع أو غيره، وتحرك بكسرة في الحرف الأول، في حين أن خطبة العروس يضم حرفها الأول، وقد شاع العكس). ومفعول الخطأ ينتقل إلى الكلمات المشتقة أيضاً: نقول خَطابة لمن كانت حرفته إلقاء الخطب بالفتحة عوضاً عن الكسرة التي يراد إلحاقها بهذه الكلمة. ومرد مثل هذه الأخطاء الشكل أو استعمال القياس استعمالاً خاطئاً. فقد شاع مثلاً حريق مهول، والصحيح أن يقال (هائل). وقلب الحركات المفقود في العربية استقر اليوم في اللغة الإذاعية في فعلين معتلين: الصحيح أن يقال (هم) نَجَوْا وشاع خطأ نَجُوا، وأن يقال بَقُوا وقد شاع بَقَوْا. وزيادة على البرامج الإذاعية المرسلة بصورة واسعة الآن، شملت الأخطاء ترجمات النصوص القصصية أو غيرها، فاتسعت كمية الأغلاط في اللغة المكتوبة. وللحد من هذا التيار ينبغي أن تشرف لجان وطنية على ما يروَّج من أعمال صحفية ومراجعتها قبل نشرها أو إذاعتها. وقد تنامى حجم الأخطاء بتأثير العامية المحلية: حيث تتغير أحياناً عبارة مثل «أثاث البيت» من المفرد المذكر، وبتأثير اللهجة الشامية المصرية صارت «أساس البيت»، وقد يتمادى الخطأ النطقي ليصبح «تأسيس» الشقة (عوض تأثيث). وقد انتقل الخطأ في نطق حرف الثاء إلى النطق الانكليزي، فصارت شهرة «ثابت»، (سابت) في الاسم العائلي. وقد كان لمفعول قانون التطور اللغوي أن مرت الكلمة الفصيحة عبر مراحل عدة، وطرأ عليها التغيير والتحريف والخطأ، فانحرف شكلها الأصلي. وبذلك تبدو الكلمات المشتقة تترقب استقرارها في وضع نهائي سليم بعد ما تمر بأطوار عدة من الخطأ والصواب. وكما هو معلوم، فقد اشتمل المعجم على الأوزان الشائعة، وتجنّب ذكر كل الأوزان التي يمكن اشتقاقها قياساً، خاصة وأن حماة اللغة الذائدين عن سلامتها يمنعون ذكر كل هذه المولّدات الجديدة رغم مطابقتها قواعد الصرف. أما الشواذ أو الألفاظ التي وسمت بذلك، فهي محل تعريف ترقباً لطرحها من القاموس لفائدة الكلمات المستمدة من الاشتقاق. وتعتبر بمثابة الكلمات المحرّفة إذا كانت غير شائعة، إشارة إلى أن الكتّاب الذين لم يتقنوا العربية إتقاناً كاملاً، اشتقوها على أوزان معروفة تعبيراً عن أفكارهم، فخرقوا بذلك ما سنّه حماة اللغة من قواعد لضرورة تبدو غير منطقية. فبدت وكأنها أخطاء منطقية مقبولة صدقها الشعور اللغوي الواعي ووافق عليها بصفتها ألفاظاً محتملة. الواقع أن العامل الخاص بالنمو اللغوي يتركب من أخطاء التعبير والتفكير. والمتفق عليه أن اللغة ناتجة من محاكاة الأصوات الطبيعية المسموعة كما قال ابن جني التي يكررها الطفل حين يبدأ في ممارسة اللغة، سالكاً

طريقة التجريب بالمحاولات والأخطاء، ويظهر ذلك في تغيير الحروف وإدغامها. وقد مكّنت الألفاظ الثنائية (٢٨×٢٨=٧٨٤) من وضع المعجم العربي (ما يقرب من ١٠٠٠٠٠ كلمة). وما دلت عليه تلك الكلمات من أفكار زادت بزيادة الأخطاء والمجاز. وحتى الأخطاء الصوتية، فقد تولّد عنها عدد كبير من الألفاظ تعبيراً عن الفكرة المحرفة ذاتها لسوء فهم أو مجازاً، وهي تتفرع أيضاً، فكانت أخطاء ابتكارية[١١٧].

وتدخّل عامل سلامة اللغة أيضاً فكان عاملاً فاصلاً حدد درجات جمع اللغة طبق صفاء نطق الكلمات عند المتكلم، أي ما كان من تقنينات وقواعد قيست بها الفصاحة، من ذلك أن عبارات عدة شكلية ميزت بعضاً من مستويات التعبير، فقيل ما سمعته أو ما قالته العرب أو البدو، في حين ان كثيراً من أقوالهم لم يسمعها ولم يدوّنها اللغويون بتمامها. بل ان رواة اللغة أتيح لهم فعلاً تقدير ما ورد على أسماعهم من ألفاظ فرفضوه أو وافقوا عليه، وذلك اعتماداً لقرينة الفصاحة التي ساروا عليها، التي تبدو لهم ناقصة أحياناً في خصوص كلمات عدة. وقد وزعت لمتابعة الأخطاء قوائم أسئلة بحثاً وتحديداً لدى المؤسسات اللغوية المجمعية وغيرها بما فيها المكتب، عن قرائن ومؤشرات الخطأ اللغوي، وما يمكن سنّه من وسائل إصلاحية. وقد اشتملت على مسائل خاصة بكتابة الهمزة تحت ألف الأفعال الخماسية والسداسية، وكتابة الكسرة والتنوين على الألف. وتطبيقاً لذلك المنهج، استحسن دراسة تواتر الأخطاء في الكتابات العصرية وفي دورية معينة مثل مجلة **الأديب**. ويبدو أن تيسير الحلول وتبسيطها من شأنه أن يعمل على ترسيخ الإصلاح. فألف الوصل يكفيه أن يتحمل الوصلة دون الهمزة أو الكسرة. ويستحسن التنوين على الألف في آخر الكلمة، في حين أنه شاع كتابة التنوين على الحرف السابق للأخير، واستمر ذلك في الشكل لحد الآن. ويبدو أن الاستمرار في تجميع أنواع الأخطاء وترتيبها أصنافاً متميزة بصورة نظامية منطقية من شأنه أن يساعد على تلافيها بعد معالجتها معالجة علمية تبوب المسائل، كأن تجمع أخطاء النطق المؤثرة في الأصوات كما رأينا ذلك وفي تحريفها، يضاف إلى ذلك تتبع حجمها بضبط تواترها وشيوعها في الكلام وحصر نوعيتها العامية أو الفصيحة، أو لأسباب اصطلاحية أو إقليمية. وأخطاء الكتابة ورسم العربية تتميز عن الأخطاء الشفوية لتيسر حصرها بالرجوع إلى القواعد النحوية والصرفية. وينبغي بعد تتبع مثل هذه الأغلاط العمل على متابعة أخطاء الأسلوب المتأثرة باللغات الأخرى والترجمة، وذلك يعود إلى باب النحو خاصة. وفي الجملة، يتضح أن روح التفهم العلمي الموضوعي الذي لا يجنح إلى الشعور اللغوي فقط، بل يميز الظرفية الصوتية واللغوية التي نعيش فيها لبعث روح الوفاق ومعالجة الفروق والنزعات التي تفرز اشكالات جديدة من الوجهة الاصطلاحية لا تفيد كثيراً في القضاء على الأخطاء النطقية وغيرها. فمثلاً حرف الجيم الذي يفصل نطقه تارة في مجموعة الحروف القمرية وطوراً في المجموعة الشمسية، إنما يستند نطقه إلى القيام بأقل جهد عرفه علم الأصوات، فانضم هذا

---

(١١٧) مالك أنجاي، «تأثير العربية في السنغال،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ١٥٢.

الحرف خاصة في اللهجات، إلى صنف الحروف الشمسية في حين أنه ينتمي إلى المجموعة القمرية. والخلاصة أنه ينبغي التمييز بين الاستعمال الكتابي الذي نشأ مع اللغة المكتوبة والسجل الشفوي القابل لكل التغييرات. ذلك أنه لم يتأكد أن الجيم كان قمرياً أصلاً لأنه كان بالخصوص حرفاً قوياً مجهوراً جمع بين الشدة والرخاوة، فكثيراً ما أسيء نطقه، حتى انه اتجه إلى حرف الشين، فكانت تحرف الكلمات بموجب ذلك، وتدخل التضارب في المعنى والمبنى.

٦ ـ التعريب ووسائل الاعلام

لا غرو أن وسائل الإعلام في عصرنا تمثل الأداة الجماهيرية الحاسمة للإسراع بقضية التنمية في جميع أطوارها وميادينها. وبهذا المنظار صارت مادتها تشكل مواضيع أبحاث ودراسات، منها دراسة رشحت للحصول على الجائزة التي خصصتها الكويت للفائز، وقد نشرتها مجلة المكتب في طبعة ١٩٧٤[١١٨]. وقد تعلق الموضوع بقضايا الأخبار والتعبير اللغوي الصحافي الإذاعي والإعلامي بصورة علمة، وما يتبع ذلك من توليد في المصطلحات. والمقصود من أمثال هذه الدراسات تحريك الشعور اللغوي الذي ينبغي أن يواكب الوعي السياسي والفكري في الأقطار العربية، وذلك بفضل وجود العربية كلغة إبلاغ وإعلام[١١٩]. وأهمية وسائل الإعلام تتمثل في أنها قادرة وحدها وبسرعة قصوى على تغطية المساحة التي انتشرت عليها اللغة التي اعتبرها بعض علمائها بمثابة الأداة الوسطى بين الواقع الموضوعي والجماهير بحيث انه ظهر علم جديد تخصص في الإعلام اللغوي، متفرعاً عن الألسنية الحديثة ومستعملاً منهجيتها ومطبقاً قواعدها، للحصول على فوائد عملية. والغرض من الإعلام اللغوي الكشف عمّا يوجد من قيمة إعلامية في العبارة العربية التي عليها مواجهة الحضارة الحديثة والتأهب لنقل المفاهيم الراهنة. وعلى اللغة أيضاً أن تقضي على الخلافات القائمة بين وجهي العربية، وأن تتيح ادماج المظهر المكتوب منها في اللغة الجماهيرية بفضل وسائل الإعلام، ولدعم من يدافع عن سلامة اللغة وإضفاء النجاعة الكافية على الدور الذي يقومون به، فإنه يتعين عليهم تعويض الكلمة المناسبة الشائعة في اللغة العامية بمقابلتها الفصيحة الضرورية وترويجها عبر أسلاك الأجهزة السمعية البصرية[١٢٠]. وذلك يعني أن

---

(١١٨) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ١، ص ٣٢٩ ـ ٣٩٨.

(١١٩) **اللسان العربي**، السنة ١٣ (١٩٧٦)، ج ١، ص ١٧٧.

(١٢٠) «وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية (القاهرة) في دورته الخمسين (١٩٨٤)،» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ٩، العدد ٢٧ (كانون الثاني/ يناير ـ حزيران/ يونيو ١٩٨٥)، ص ١٧٩: توصية بالعمل على «توجيه وسائل الإعلام في الوطن العربي للالتزام بالفصحى، وتعيين مختصين يقوّمون ويضبطون الألفاظ التي تستخدم فيها». وقد سبق لهذا المجمع أن حدد إطاراً تعمل فيه وسائل الإعلام لنجاح مهمتها، وهو أن تكون في خدمة الفصحى ودعمها باستمرار للوصول إلى توحيد العاميات، فضلاً عن اختيار البرامج وإعدادها اعداداً جيداً، واختيار إعلاميين أكفاء. انظر: **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ٩، العددان ٣ ـ ٤ (١٩٧٩)، ص ١١٣.

المعول على هذه العملية الترسيخية لاسبيل له إلا مخاطبة الشعور الجماعي الذي أشاع مفهومه عالم الاجتماع الفرنسي دوركايم (E.Durkheim) منذ القرن التاسع عشر. وقد تطور ذلك المدرك إلى تأكيد العقل الجماعي وما يتصل به من أداة لغوية بصفتها ظاهرة اجتماعية متمكنة من نظام لايمكن تجاوزه بدون أن يجد رد فعل صادر عن الرأي العام الذي راكم ما تخلد من معارف متعلقة بالحضارة القومية والإنسانية، تجسمت في القيم الثقافية المحددة للأفكار والمفاهيم الرائجة في محيط معين. والاتصال الذي لا يُقصد به هنا «الاختصاصات الداخلية في علم الاتصال فحسب، بل اختصاصات أخرى أصحابها علماء نفسٍ واجتماع ولغة وحاسوب وهندسة ميكانيكية وكهربائية...»[121] وهو يتجه لاعلام الجماهير ويشكل عاملاً من أحسم العوامل لتكوين الرأي العام الذي ينشأ بدوره بنشوء الاعلام الصادر عن مرسل استخدم وسيلة ما لتبليغ الرسالة إلى المستقبل، ويتأثر الشخص المرسل باللغة المشتركة بين عدد من المتكلمين والتي تبعث على التفاهم والتضامن بين الأفراد وتشكل الدعامة اللازمة للروح القومية. ويتم التمييز الانتقائي بين الوسائل الفضائية البصرية مثل الكتاب والصحيفة واللافتات... وهي تساعد مستعملها على السيطرة التامة على الخبر والمعرفة عامة، والعودة إلى الوراء والسرعة أو البطء في سير المطالعة. لكن لوحظ في بعض الأقطار العربية (مصر، سوريا، الأردن، لبنان) أن الأفضلية اتجهت إلى الإذاعة بنسبة ٦٣ بالمئة. أما الوسائل السمعية الزمنية، فهي تناسب خاصة الأميين ومن كانت معرفتهم بدائية، على الأقل بالنظر إلى بعض البرامج لتعميم المعرفة التي قدمت ضمن خطة مكافحة الأمية، وهي تتطلب مشاركة معينة يسهم فيها السامع الذي تعلق اهتمامه بحصة ما، بالمقدار نفسه الذي كان لغيره من السامعين.

ومن المعلوم أنه منذ عصر أفلاطون وأرسطو، كانت اللغة بمثابة القدرة التي كسبها الفرد منذ نشأته. وفي ضوء ذلك، درس العرب لغتهم كظاهرة حددها القرآن الكريم طبق نظام دقيق نحواً وصرفاً وبلاغة وأصواتاً وتدويناً للشعر. أما عن المعجمية، فقد بذل جهد كبير لوضع تصانيف في المفردات المفسرة، وفي الأوزان القياسية، ورسائل في أبواب معينة، وكتب في فقه اللغة. لكن رغم تلك الجهود المبذولة تراجعت اللغة إلى أشكال منحرفة متكلفة كانت عاكسة للحالة الاجتماعية السائدة في عصور الظلام. وكان القرن التاسع عشر منطلقاً ظهر فيه رواد الصحافة مثل رفاعة الطهطاوي في مصر[122]، الذي اشتغل بالأبحاث العلمية ووصف أشياء الحياة العصرية. وبعد أن كانت اللغة راكدة، بدأت تعيش فترة من النهوض والانتعاش جعلتها تكتسح المفاهيم الجديدة المتجسمة في الحياة الصحافية ولغتها التي اتجهت إلى النزعة الوظائفية الاخبارية أكثر مما اعتنت بالوجهة الجمالية الكامنة في اللغة، واعتبر ذلك أحد المآخذ التي سلطت الأضواء على هذا الأدب الجديد المتشيع للروح العملية الواقعية

---

(١٢١) نبيل حداد، «حول جهد معجمي منشود في الاتصال،» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ١٢، العدد ٣٥ (تموز/ يوليو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٨)، ص ١٢٥.

(١٢٢) انظر: محمد عبد الغني حسن، «لغة الصحافة في مصر منذ ظهور الصحافة في القرن الماضي،» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**، العدد ٥١ (أيار/ مايو ١٩٨٣)، ص ١٣٩ ـ ١٥٢.

والذي تجاوز التقنينات. وقد لزم أن يظهر مثل هؤلاء الأعلام في الصحافة العربية لترسيخ اللغة الجديدة العملية الصحفية التي انفصلت عباراتها عن لغة الأدب متجهة إلى الواقعية والبساطة، فكانت عاملاً من عوامل التقريب بين مختلف المستويات اللغوية. كما أنها دفعت البحث اللغوي في العصر الحديث دفعاً تمثل في التحليل الذي شمل لغات عدة، لفائدة ذلك في الترجمة، فنشأت نواة الألسنية المقارنة المعبرة عن مفاهيمها بـاللغة العربية، ودأب التنقيب عن قوانين الصوتيات وطرق الألسنية ذاتها، بحيث أصبحت اللغة تعرف منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر بأنها جملة من الرموز، وأنها متركبة من الوحدات المنظمة ضمن نظام لغوي كلامي يتمثل فيه المظهر الاجتماعي والفردي لوظيفة الكلام. وأفادت وسائل الاعلام طبعاً من هذه المعلومات كافة، الجديدة على اللغة العربية خاصة، وعملت على استغلالها تحقيقاً لبنى اللغة التي اتضحت فيها المفاهيم والدال والمدلول، ضمن ما رسخ أيضاً من مبادىء في علم الدلالة الذي ساعد فعلاً على فرز العلاقات الواجب ربطها بالجماهير، بفضل ما تتيحه اللغة من إمكانات بصفتها الأداة الفعّالة للاتصال المباشر، فقضي بذلك على اللبس والغموض الذي ساد الميدان الاعلامي. فيمكن القول انه «من مظاهر التطوير والتجديد في قضايا اللغة، قبول التطور في دلالات الألفاظ في حياتنا الحديثة، ودخول التراكيب المولّدة من طريق الترجمة، ولا سيما في لغة الصحافة والأدب المعاصر»[123]. وبرز في ضوء هذه المبادىء الأولية جهاز خضع لمنهجية الاتصال بغية الإعلام، وقد ظهرت بوادرها منذ ١٩٤٩ في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد استهدفت تحليل الرسالة ومضمونها على أساس أن اللغة لا تشكل سوى مدونة من الرموز الإعلامية التي بدت بمظهر الوحدات الصوتية الدالة وهي قابلة للقياس بفضل ما للمخ البشري من قدرة استيعابية، وما للفرد من وظائف نفسانية يقوم بها لاختزان المعلومات، دون إغفال ما يترتب على ذلك من عناصر مشوشة قادرة على تعطيل نقل الرسالة باللغة التي يستند إليها الإعلام. وتتكاتف المستويات الأخرى (في الذوق والجمالية والعلوم والتجريد والاجتماعات والابلاغ) لاضفاء قوة كاملة على اللغة، إذا لم تحتد الخلافات بين الفصحى والعامية احتداداً خطيراً. وبذلك تكون اللغة في الجملة بمثابة الأداة الناقلة للرسالة المتركبة من الأفكار والمعلومات المتبادلة بين الشخص المرسل والشخص المستقبل. وبذا فقد صارت اللغة الإعلامية التي تختار الكلمات التي لا تتسم بالغموض في دلالتها، والتي لا تكون دعامة للعبارات المجازية. وعلى هذا الأساس ينبغي تمييزها عن اللغة الأدبية من وجهة الأسلوب، ويمكن تحليلها بواسطة قطع من النصوص المذاعة أو عيّنات من النصوص المكتوبة الخاضعة لمقاييس علم الأخبار. إن الأسلوب الذي يستند إلى وجدان الشخص المستقبل يتميز بطابع غير إعلامي، وهو مخصص للكتابات الأدبية والشعرية، وما زال هذا المنهج يلقى التأييد عند الباحثين، إذ «فيما يتعلق بوسائل الاعلام عامة والصحافة خاصة، فإن دورها كبير جداً في توفير فرص الاطلاع على الأساليب الجيدة المؤثرة، وفي زيادة اهتمام الفرد يتحسن أسلوبه الكتابي على مستوى المقالة الأدبية

---

(١٢٣) انظر: محمود ابراهيم في: ناصر الدين الأسد [وآخرون]، ندوة حول «اللغة العربية ومواكبة النهضة الحديثة»، الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة العربية الأردني (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٣)، ص ١٥٤.

أو العلمية»[١٢٤]. أما ما يوجد من مظاهر أخرى في اللغة، فهي ميلها إلى تقديم المعلومات في سياق معين مؤسس على السلوك اللغوي عند المتكلم. واعتباراً لهذه المبادىء المنهجية، أمكن علم الأخبار الاستعانة بعلوم أخرى خاصة منها الألسنية التطبيقية، تحليلاً للمادة اللغوية. وفي وضع العربية كلغة دالة ارتبط فيها الأصل الأول وما تولد عنه من كلمات دلّت عليها وظائفها، خضعت لغة الإعلام إلى المقاييس اللغوية العربية، كما أن التعبير الإعلامي بدوره سيطرت عليه فكرة الفورية الاخبارية والعامل الزمني الحاسم في نقل الخبر، وقد استجابت اللغة لذلك بفضل ما وجد فيها من عبارات زمنية كثيرة. وقد حدد النحاة العرب كما هو معلوم، ثلاثة مظاهر زمنية أساسية (الماضي والمستقبل وبينهما مظهر حاضر)، مع اقتصاد خاص في الأصوات في كل بنية. وإن اهتمت العربية كثيراً بالألفاظ، فذلك رغبة منها في تحسين تأدية المعنى بحيث يكون الرمز قادراً على القيام بوظيفته واعلام السامع أو القارىء. وتضمنت هذه اللغة أيضاً وسائل للتعبير عن العلائق المتغيرة بين المتكلم ومحيطه، وهي جاهزة للاستجابة لتساؤلات الصحفي وضرورات عنونة الصحف، لما اتصفت به من إيجاز وحيوية وسرعة إنجاز. وبهذا المنظار صارت لغة وظائفية تملك ألفاظاً مؤدية للمعاني العامة والنوعية، وتستجيب لمتطلبات الإعلام الواضح السريع الدقيق. وعلى هذا النحو اعتبر الجاحظ من الصحفيين. وإن رتبت العربية القديمة في مقام اللغة الفصحى الراقية المشتركة التي سنّت قواعد دائمة، فإن السامع لا يمكنه تحديدها من الوجهة التاريخية لأن هدفه يتجسد في إدراك ما يسمع دون التفكير لأول وهلة في موقع جغرافي معين يحدد به نوعية اللغة واقليميتها. لكن المرجع الأسمى المتمثل في القرآن الكريم يرده إلى التفكير في ذلك، لأن العربية الفصحى هي فعلاً اللغة المشتركة الإعلامية بنسبة قدرت بـ ٩٥ بالمئة. وهي كذلك لأن الجماهير ترغب في إدراك معانيها المكتوبة والمسموعة بمفاهيمها الراهنة. والجماهير مستعدة أيضاً لتجاوز عامياتها إن هيّأنا لها اللغة البسيطة الجاهزة دائماً، الموحّدة مفرداتها، على أن نثبت ذلك في ما يلقى من خطب دينية أو سياسية أو غيرها، لمجرد أنها تتجه إلى وسائل الإعلام لمخاطبة الناس. ولربما يمكن في هذا الباب التأكيد على أن اللغة الإعلامية تشكل نتيجة لما حصل من تقارب بين مظهري العربية. وبهذا المفهوم استخدمها الرواد الأوائل على صفحات الجرائد وأمواج الأثير، وقد انفصلوا عن الاتجاهات التي سارت فيها المدرسة الأولى المتعلقة بأسلوب الماضي الأدبي الذي تحكّم فيه السجع فخنق الفكرة وحبسها في قوالب سطحية شكلية جاهزة. ومن ذلك انطلقت اللغة الصحفية العربية منذ أن ظهرت المدرسة الإعلامية الثانية بقيادة محمد عبده والمويلحي وعبد الله النديم، على الأقل بالنسبة إلى مصر. ومع ذلك فإنها لم تتخلص أيضاً تماماً من أسلوب اللغة الأدبية إلا في بعض الصور، كما فعل أديب إسحاق. ومنذ أن ظهرت جريدة **المؤيد**، بدأت الدوريات الأسبوعية تظهر يومياً. وبذلك انطلقت

---

(١٢٤) مفيق حسن دوشق، «تدريس اللغة العربية لأغراض أكاديمية في ضوء الدراسات الأسلوبية الحديثة،» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ١٥، العدد ٣٠ (كانون الثاني/ يناير - حزيران/ يونيو ١٩٨٦)، ص ١٦١.

النزعة الثالثة وقد تمثلت في الإيجاز والأسلوب السياسي العصري الذي شاع منذ بداية القرن العشرين، وقد تسبب في ظهوره الاحتلال الأجنبي. وقد اعتبر أسلوباً موضوعياً ألف به محمد حسنين هيكل مقالاته على صفحات **الأهرام**. فبدأت اللغة طوراً تجديدياً آخر بحيث صارت أداة للتعبير الحي المتطور[١٢٥]. وتأسس هذا الأسلوب على الواقعية اللغوية التي استخدمت لغة بسيطة بليغة في الوقت نفسه لأداء مستوى جماهيري تعبيري أتاح تقريب لغة الثقافة من اللغة اليومية، فنشأ بذلك البعد الاجتماعي في اللغة العربية التي نقلت الإعلام العمومي، وأضيف إلى البعد الجمالي والفني والأدبي والعلمي والنظري والعملي والاجتماعي. ومثل هذا التلاحم يؤيد ما قيل عن ازدهار العربية التي تحملت في آن واحد مسؤولية التعبير عن التراث التاريخي ومفاهيم المعاصرة، وتقارب كل هذه المستويات التعبيرية في اللغة العلمية العربية الواجب استخدامها وممارستها دون ترقب استكمالها، ذلك أن مكافحة ألفاظها بالواقع اللغوي والاستعمال اليومي هي الأداة الفعّالة لتطويرها. وفي هذا الباب، صارت وسائل الإعلام المساعد الكفوء لتحريك اللغة لفورية الأخبار وضرورة الإجابة الحينية من طرف اللغة التي تتمكن من فرص مستمرة لامتحان قدرتها الاصطلاحية وذيوع ألفاظها بين الجماهير بما فيهم جموع الأميين[١٢٦].

ثم إن اللغة الاعلامية حريصة على احترام القواعد النحوية والصرفية بقدر ما هي حريصة على توخي أسلوب الوضوح والبساطة في القاء الخبر، أو انعدم مفعوله الإعلامي، إذ لا يعقل أن نقبل خبراً تشعبت لغته واستحقت مفرداته البحث والتنقيب في المعاجم عن مدلولاتها. «وحين ننظر في لغة الاتصال بالجماهير التي نستعملها اليوم في أجهزة الاعلام العربي، ممثلة في الخبر والمقال الصحفي والحديث والتقرير الصحفي والمقابلة الاذاعية والتلفازية، نجد أنها لغة مباشرة تصل إلى الهدف الذي تقصده بطريقة فورية، وتنصب عليه متجنبة اختيار الإيحاءات الجمالية والفنية للألفاظ. ولايثارها هذه البساطة والمباشرة، فإنها تتخلى بالتدريج عن العبارات المقتبسة والأنماط المحفوظة المتوارثة التي يعافها الذهن الذكي، وتأباها روح المعاصرة»[١٢٧].

ومما تخلت عنه اللغة الإعلامية أداة التعريف غير الضرورية، وكذلك بالنسبة إلى الأفعال والصفات وبعض الظروف، وذلك التزاماً لمبدأ الاختصار والإيجاز الذي لا يتحول إلى غموض. وزاد مفعول البساطة في هذه اللغة بسبب ما تبنته من تراكيب أجنبية وردت عليها من المؤلفات المترجمة التي بدأت تروج لغة مستجدة بالنظر إلى ما تعوده القارىء العربي. «وقد كان من أثر الترجمة الصحفية، وهي جزء هام من أقسام الأخبار الخارجية في الصحف العربية استخدام أسلوب جديد لا علاقة له بالأدب بل إن اللغة العربية استخدمت تراكيب جديدة مستمدة من طبيعة تعبير اللغات الأجنبية. ومثال ذلك شيوع استخدام الجمل الاسمية وتناثرها وكأنها وحدات مستقلة»[١٢٨]. وهي أيضاً لغة

---

(١٢٥) انظر: محمود الشريف، **ندوة حول دور وسائل الاعلام في اشاعة اللغة العربية الفصيحة**، الموسم الثقافي الخامس لمجمع اللغة العربية الأردني (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٧)، ص ١٢١.

(١٢٦) **اللسان العربي**، السنة ١٣ (١٩٧٦)، ج ١، ص ١٧٨.

(١٢٧) المصدر نفسه، ص ٢٣٠ ـ ٢٤٤.

(١٢٨) المصدر نفسه، ص ١٨٤.

الحركة والمرونة التي تواكب المبتكرات العلمية والتقنية، وبذلك تستهدف اللغة العربية الإعلامية تغطية الحياة ونشاطاتها في الحضارة المعاصرة. وميزة ذلك وفائدته أن تعوض الكلمة العربية فوراً كل محاولة لرسوخ مقابلتها الأجنبية الأعجمية. وهذا واضح مثلاً في ألفاظ الرياضات والإدارة والحياة العامة، وكان منها بمثابة المساهمة في التوعية اللغوية، وهي تمتاز على ما يجد في المجامع وما يصنف في المعاجم بسرعة الابتكار الاصطلاحي والاستجابة الفورية لمستعملي اللغة الحضارية. ورغم قدرة وسائل الاعلام على نشر مثل هذه الكلمات، فلا بد أن يترسب بعضها في الاستعمال الجماهيري لخفتها وسيولتها بالنسبة إلى اللفظة العربية المبتكرة، وكما افتخرت العربية قديماً بما كان لها من أساليب بلاغية وما تفوقت فيه من فصاحة كتابها، فلا يفوتنا أن الفصاحة رهينة عصرها وان ما صلح في فترة تاريخية عاشتها اللغة، لعله لم يعد يفيد بعد عصور، لتغير طرأ على القيم الجمالية اللغوية، ولإدراك جديد لما يترقب من الاستعمال اللغوي الذي أصبح يحدد اليوم بدوائر الاختصاص التي تنتشر فيها اللغة. فالمطلوب من اللغة الاعلامية اليوم هو فورية الاستجابة لما يباغت به رجال الاعلام من أخبار في أمس الحاجة إلى لغة سليمة في مبناها واضحة بسيطة في معناها، على أهبة دائماً للرد على التحديات الاعلامية أنّى كان مصدرها. وسيتيسر ذلك كلما نما زادها من الألفاظ والتراكيب التي هي في حاجة إليها والتي ولدت منها الكثير الشائع الآن بين أهلها والمتعاملين معها من قراء وسامعين ومشاهدين[١٢٩]. وبدا أن مفرداتها من التنوع والوفرة الآن بحيث تأكد إعداد معجم يحتويها على نسق معجم المعاني الذي تحدثنا عنه سابقاً، والذي يفيد رجال الاعلام لتبويبه المفردات والأفكار. «وعلى ذلك فإن معجم المعاني المنشود للغة الاعلامية ينبغي أن يتجنب الحوشي من الألفاظ، وأن يلغي ضدية المفردات المعروفة بالأضداد... وكذلك ينبغي الإقلال من معاني الكلمات المشتركة بحذف معانيها الغريبة أو النادر استعمالها بها مما لا تحتاج إليها اللغة العربية لوجود ألفاظ أخرى تؤديه... كما يجب التمييز بين معاني المترادفات في لغة التعبير الإعلامي بإظهار الفوارق الدقيقة الموجودة بينها أصلاً في اللغة والمطموسة باقتضاب المعاجم شروحها وإيجازها»[١٣٠]. ويحق للغة الاعلام أن تجد ذلك المعجم لفائدة رجالها، خاصة وأنها اعتبرت بمثابة الأداة التي حققت تخليص العربية من شوائبها القديمة. ويحق لها ذلك لإسهامها بقسط هام في التنمية اللغوية وما يتبعها في المجالات الأخرى من تطور خاصة ما تفيده هذه اللغة في مجال التعريب المتمثل في التقاء اللغات على صعيد المفردات المؤدية للأفكار والمفاهيم، وما ينجم عن ذلك في مجال تطور الدلالات واحتكاكها وتفاعلها بفضل ما تجره معها الوسائل الاعلامية يومياً من مدركات نتابع تطورها بتطور الأحداث ذاتها، وما تؤثر به في تكوّن الأفكار على الصعيد القطري والقومي. ويترتب على ذلك ما لقوة الانتقاء في كلماتها من خطر على تنشئة الأفكار الحضارية الجديدة المتعلقة بالتطور والتنمية الاقتصادية والاجتماعية. «ودراسة المفردات في لغة الصحافة تتجه ناحية أخرى غير الناحية التاريخية. فالكلمات لا تستعمل في واقع اللغة الصحفية تبعاً لقيمتها التاريخية. ذلك أن للألفاظ في الصحافة قيمة وقتية أي محددة باللحظة التي تستعمل فيها، وقيمة مفردة خاصة بالاستعمال الوقتي الذي

---

(١٢٩) المصدر نفسه، ص ٢٠٣.

(١٣٠) المصدر نفسه، ص ٢٢١.

تستعمله». إذ لا تكتسي اللفظة إلا معنى واحدا في اللحظة التي تنشر أو تذاع خلالها، خاصة وأن قرائن النص المذاع هو الذي يفرض أن تكون الدلالة موحدة وإلا اختلّ مفهوم الخبر ومنطوقه أيضاً. وإذا ما وصفنا ميداناً معيناً وخصصناه بلغة معينة، فلا يعني ذلك أن اللغة المذكورة بمعزل عن القواعد العامة الموجودة والمعمول بها في العربية، التي يسري مفعولها على جميع أصناف التعبير مهما كانت نوعيته. والمقصود بتحديد اللغة الإعلامية هو جملة من المميزات في الكتابة وانتقاء المفردات الصالحة لتأدية المادة الصحفية والإذاعية والمرئية. ولغة الاعلام تخضع أيضاً للقواعد التي اصطلح عليها حديثاً لتوليد المفردات التي نحن في حاجة إليها، كما اعتمدت منذ البداية القواعد النحوية والصرفية وحتى البلاغية في بعض مقالاتها.

إذ لا يعقل أن تتصف بالشذوذ التحريري لكونها لغة تستند إلى الأحداث السريعة الفجئية، لتبحر الأخبار والمعلومات المتنوعة، بل إنه من واجبها العمل على اعطاء النجاعة القصوى في مجال النشر والذيوع لما تعده وتضعه المجامع من ألفاظ جديدة مبتكرة تخدم التنمية الاصطلاحية في اللغة العربية الحديثة، خاصة وأن الصحيفة الواحدة قد زادت في حجمها، كما نوّعت في مواضيعها، إضافة إلى ما يظهر باستمرار من صحف ودوريات نما تخصصها وطبعاً ما تستخدمه من زاد لغوي يواكب ما هي في حاجة إليه، تعبيراً عن المفاهيم الحضارية العصرية، إلى حد أن الصحيفة اليوم صارت تعتبر بمثابة الموسوعة الحية السيّارة المواكبة للحركة العلمية والحضارية بصورة عامة؛ فأصبحت وثيقة حيّة نابضة لا تعوض جدتها والصور التي بها تنقل ما جدّ من أحداث على الصعيد المحلي أو العالمي. ولعلها قد أسهمت وتسهم بقسط هام في تشكيل مقدار أدنى من الثقافة الجماهيرية التي رسخت جذورها؛ من ذلك أن الناس لم يعودوا يقبلون بتعليل الأحداث الخارقة الطبيعية منها والتاريخية على الطريقة الأسطورية المتسمة بالغرابة والاستغراب، بل إنهم يحاولون قدر ما استطاعوا تفسيرها بما تكوّن لديهم من أفكار مسبقة استقوها من صحيفتهم، أو مما سمعوه بالإذاعة من أخبار وتعليقات حول موضوع معين واستوعبوه بقدر ما كان المذيع متقناً الإلقاء، عارفاً بالمبادىء الصوتية العميقة الجذور في اللغة العربية منذ أن ظهر علم القراءات في القرآن الكريم، ومنذ أن درس الخليل ومن جاء بعده الأصوات العربية دراسة متعمقة. «ولا شك أن هذه اللغة الإعلامية في الصحافة والاذاعة والتلفاز التي تتوسل بجميع وسائل التعبير قادرة على الخروج من الحدود الإدارية للأقاليم العربية. والآن تتقارب اللهجات التي يتوزعها لسان قومي وتتقارب في الوقت نفسه لهجات اللغة الاعلامية. وليس من المستبعد أن تنجح لغة الاعلام في العربية الفصحى المشتركة محل اللهجات السائدة».

وبذلك كان الإعلام في خدمة الفصحى وأسهم في نشرها دون أي شك. ويمكن القول إجمالاً ان المستقبل سيؤكد خطورة دور الوسائل الإعلامية في النهضة الشاملة، لاختصارها الجهد والسبل والوقت، وما تتصف به من سرعة حينية في الإنجاز. لكن اللغة التي تؤدى بها الأخبار والمعلومات ليس لها من ملجأ إلا في المداومة على الوضوح في التعبير والبساطة في التحرير لتشمل مؤثراتها أكبر قدر ممكن من الأفراد الذين حرموا من نور المعرفة، أو لم يتزودوا منها إلا بالنزر اليسير. وهنا تأكد دور اللغة العلمية المتيسرة إذ تواضع أصحابها ونزلوا قريباً من هؤلاء.

وفي الجملة لا ينقص الوطن العربي استخدام هذه الوسائل، وإنما ينقصه حسن

استخـدامها. . «ومـا أروع ما قـامت به هـذه الوسـائل في تقـريب ما بـين اللهجات، والتقـدم خطئ نحـو الفصحى، وإشاعة بعض التعابير الجميلة والتعريف بالتراث وتقريبه من العقول والأذهان. . .»[131].

---

(١٣١) شكري فيصل، «قضـايا اللغـة العربيـة المعاصرة: بحث في الإطـار العام للمـوضوع،» **اللسـان العربي**، العدد ٢٦ (١٩٨٦)، ص ٣٤.

الفصل الخامس

التعريب والأبحاث في علم الدلالة

١ - بنية الكلمة في اللغة العربية

تحافظ الكلمة على قيمتها في اللغات الساميّة واللغات الهندية الأوروبية، وتخضع مع ذلك لممارسات عدة تعالج بها اللفظة محتفظة بكيانها ووحدتها التي لا يمكن فصم عناصرها دون أن تتغير البنية الشاملة لها. ويمكن تعريف الكلمة بأنها مركّب يتضمن الجمع بين دلالة معينة وجملة من «الفونيمات»(*) بحيث يتاح لذلك المركّب فرصة استعماله في صورة نحوية معينة[1]. ذلك أن للكلمة حياة خاصة في حركة دائبة وينبغي معالجتها طبق ذلك الوضع من وجهة المعنى والوزن والنطق. وقد أوضح الكرملي أن بعض الآراء تؤكد أن الكلمة انطلق وضعها من المقطع الواحد (حرف وحركة + حرف ساكن) وذلك محاكاة للأصوات الطبيعية. ثم أضيفت إليها حروف في حشوها أو في أولها أو في آخرها. ويرى آخرون أن الكلمة وضعت بثلاثة حروف في بدايتها وبمقطع أو اثنين، ثم شاعت بين المتكلمين (مدٌّ = مذْ). وفي الجملة، انتقلت نشأة الكلمة وما طرأ عليها من تحوير من مرحلة الصوت المحكي إلى الأصل المزدوج الحرف (في الوزن الثلاثي أو الرباعي). وبيّن فارس الشدياق في كتابه **سر العربية** أن المتكلم بدأ ينطق محاكاة لأصوات الحيوان وما يسمعه من الظواهر الطبيعية أو ما تحدثه الآلات من جلبة، فانطلق الشدياق[2] (١٨٠٤ - ١٨٨٧) يشرح نظرية الثنائية في الكلمة وتفرُّعها إلى

(*) Phonèmes وحدات الكلام الصغرى التي تساعد على تمييز نطق لفظة عن نطق لفظة أخرى.

(١) Jules Marouzeau, *La Linguistique ou science du langage* (Paris: P. Geuthner, 1986), p. 21.

(٢) محمد جميل بيهم، «أعلام اللغة: أحمد فارس الشدياق،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ص ٢٨٩.

عدة مشتقات في معنى عام يشكل الجذر اللغوي[3]. وفي العربية كما في غيرها من اللغات، يبدو أن ما يمكن وضعه من فرضيات يتمثل في الانطلاق من الكلمة ذات المقطع الواحد، ثم التحول إلى الكلمة ذات المقطعين، ثم ندخل فترة التطور اللفظي التي تجسدت في تعدد مقاطع الكلمة الواحدة. وهي نظرية تعتبر بسيطة، عمل على التعريف بها العالمان السابقان اللذان اقتصرا على سرد التأكيدات دون التدليل على المقصود منها بحجج واضحة، وهي شبيهة في ذلك بنظرية العربية التي اعتبرت لغة أمّاً للغات الأخرى، التي تحدثنا عنها في الفصل السابق[4]. فقد استنبط الكرملي مجرد فكرة بنى عليها رأيه قائلاً ان كل كلمة يونانية أو لاتينية بمقطع أو مقطعين يجب أن يكون لها مقابل في العربية التي هي اللغة الأم. وقد سار على هذا النهج بغية الوصول بمقارنته العربية باللغات الأخرى، إلى اكتشاف معاني الكلمات التي لم يشرحها علماء اللغة القدامى. فبمعاشرة الكلمات الأجنبية، يمكن الوصول إلى اكتشاف ما يوحد بينها وبين مقابلاتها العربية، وبذلك تصير مقبولة لدى الناطقين بالعربية.
وقد استخلص أيضاً أن تعدد الأوزان العربية أفادت منه اللغات الحديثة، وبذلك نجده يؤيد التفاعل بين اللغات[5]، وهو أمر طيب في حد ذاته إن لم يكن على حساب إحدى اللغات.
وعلى هذا الأساس، يمكن أيضاً المقارنة بين الكلمات من اللغات الساميّة وغيرها. وقد ميزت اللغات الأوروبية الكلمة بالصلابة وأقرتها في علاقة دقيقة مع الشيء بحيث صارت الكلمة شيئاً دالاً على شيء، لا نستشف منها الأصل في حين أن الكلمة العربية بقيت قريبة من أصولها التي غذّت في رأي بعض اللغويين اللبس، لأن المشتقات وفرت كثيراً، وإلى ما لا نهاية، المدلولات وارتبكت معها المعاني التي لا بد لها من سياق لتوضيحها، سياق مركّب من الصورة الموحية والنغمة النابعة من وجدان المتكلم. لكن الاشتقاق لا يجمّد الكلمة بل بالعكس، فهو يشكّل بالنسبة إلى اللغويين القدامى والمحدثين مصدراً من الحيوية القادرة على رد اللفظة إلى أصلها وتجميع المشتقات كافة حول مادة فريدة تشترك فيها الحروف الثلاثة في معنى عام يتلون كلما وضعت الألفاظ المشتقة من أسرة واحدة، بحيث يختص كل لفظ بمعنى معين ويتميز بحياة وتاريخ خاص يبتعد بسببهما عن الجذر الأم بصورة مختلفة، مع اعتبار أن ذلك الجذر حاضر كامل الحضور. وما يتفرد به اللفظ المشتق هو ما يضفي عليه من معنى نسجته قيمته الدلالية والامكانات التي تتاح لاستعماله. وتتكون تلك القيمة على أساس يتضمن الأفكار العامة للجذر وما فيه من عنصر قار تبينّ أنه لم يشكل حاجزاً في وجه اللغة المقدمة على التطور والقيام بوظيفتها، وهو العنصر الذي يتركب من ثلاثة فونيمات[6]. وكما هو

(٣) عبد الله درويش، **المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين للخليل بن أحمد** (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٦)، ص ١١٧.

(٤) *Revue d'études islamiques,* et *Abstracta islamica.*

(٥) انستاس الكرملي، **نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها** (القاهرة: المطبعة العصرية، ١٩٣٨)، ص ٣، ١٢، ٥٠، ٧٤، ٩٦ و١١٤.

(٦) Jacques Berque, *Les Arabes* (Paris: Sindbad, 1973), p. 44.

معلوم، فإن ميزة الأوزان المشتقة هي القاعدة في التصنيف المعجمي[7] وما يصاغ من أفكار رئيسية يدل عليها الجذر. الواقع أن كل وزن من الأوزان المستعملة حالياً في اللغة العربية تميز بمعنى مغاير لمعناه الذاتي، ويضاف إلى ذلك المعنى الأصلي الموجود في الجذر الذي يضفي عليه مظهراً نوعياً[8]. وتتميز العربية أيضاً بما يطرأ من تحوير وقلب في الحروف المركبة للأصل لأن كل تغيير يحمل معه دلالة جديدة تضم إلى بنية الكلمة، وتنمو هذه العملية بنمو المشتقات الشائعة الموافق عليها. ومن البديهي أن هذا التحوير يمكن أن يترتب عليه رفض للكلمة المولدة من وجهة شيوعها وعدم مطابقتها للذوق العربي الفصيح[9]. ذلك أنه توجد كلمات عدة لم تُطبع بالطابع المعجمي بحيث ان المعاجم العربية قررت رفضها وعدم إدراجها، رغم استعمالها في اللغة المتداولة وأحياناً في الكتب. ومن جهة أخرى يلاحظ أن آلافاً من الكلمات تحتل صفحات من المعجم في حين أن استعمالها تضاءل وربما زال من اللغة الحية. ونجد أيضاً ألفاظاً أعجمية صارت شائعة مأنوسة في السمع لكنها مقصورة على المعاجم والكتّاب، في حين أنه لا مفر من استخدامها لعدم وجود مقابلات لها في العربية تزاحمها في دقتها ووضوحها ومع ذلك، فالاعتراف شامل عند اللغويين وعلماء الدلالة بأنها غير مطابقة للقياس ولا تعادل الأوزان القياسية[10]. وعلى هذه الوتيرة صارت كلمات اللغة وفيرة وتجاوزت نسبتها ما هو مطلوب دون أن تقدر على ترضية ضرورات التعابير الحديثة[11]. ومن المعتاد أن نلاحظ ما ساد الدلالة من لبس وغموض بسبب المحافظة على وحدة الأصل من وجهة الدلالة، بحيث صار الجذر يعطي مفاهيم عديدة حطمت بنيته المعنوية (كتب يعني في الوقت نفسه تحبير الورق والجمع). وبذلك صار السياق المحيط بالكلمة عاملاً حاسماً لتحديد معناها. ويعتبر النظام النحوي كما بنية الكلمة، محدداً للمعنى، وهو يعتبر كافياً فلا لزوم لوضع الحركات في الكتابة. لكن تبين بالإحصاء أن النص العربي يتضمن فقط ٧٥ بالمئة من المعنى، وأن على القارىء تحمُّل ما ينبغي من إدراك يتمثل في الـ ٢٥ بالمئة الباقية[12].

٢ ـ اللحن في اللغة العربية

لقد كُتب الكثير قديماً في هذا الموضوع، وصار أحد المفاهيم اللغوية المؤسسة على علم

---

(٧) محمد المبارك، **عبقرية اللغة العربية: بحث في خصائص الكلمة العربية يكشف عن الصلات العميقة ما بين شخصية الأمة العربية ولغتها** (دمشق: ١٩٥٦)، ص ٦، ١٠ و١٦.

(٨) محمد المبارك ، **فقه اللغة: دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية** (دمشق: مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٠)، ص ٢٧ و٥٣.

(٩) Wojciech Skalmowshi, «A Note on Distribution of Arabic Verbal Roots,» *Folia orientalia,* no.7 (1964), p. 97.

(١٠) الكرملي، **نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها**، ص ٩٧.

(١١) انظر: أحمد محمد قدّور، «في الدلالة والتطور الدلالي،» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ١٣، العدد ٣٦، ص ١٠٠ ـ ١٤٣، وبخاصة «فكرة التطور ودلالات المصطلح»، ص ١٢٠.

(١٢) محمد الخضر حسين، **القياس في اللغة العربية** (القاهرة: المكتبة السلفية، ١٩٣٤)، ص ١١، و Hamilton Gibb, *Arabic Literature* (London: Clarendon Press, 1963), pp. 11 et 159.

الدلالة في الوقت الحاضر، وعلى النحو في العصور القديمة. ويمكننا بذلك متابعة ما طرأ من تطور على موضوع اللحن وما جد في سبيل تصحيح الاتجاه الذي بدا أن اللغة العربية قد خضعت له في فترة من تاريخها الطويل. وظاهرة اللحن هذه تغطي عدة معانٍ. فهي تعني الفطنة الحادة وأسلوباً في الكتابة تمثّل في التورية التي يراد بها المعنى البعيد في حين يستخدم المعنى القريب للكلمة، وتجسد اللحن خاصة في ما شاع من أخطاء نطقية في اللغة العربية. فكانت هذه الشروح مفيدة، أنير بفضلها موضوع تطور الدلالة في الكلمات عبر العصور وتعدد المعاني في الكلمة في عصر ما. لكن المعنى الذي وصل إلينا وبقي هو أن اللحن ظاهرة غريبة عن اللغة العربية الفصحى. والمفهوم منها استخدام الكلمة الفصيحة بصورة خاطئة من وجهة البنية والاعراب بسبب ما شاع من أخطاء عند العامة والصورة التي بها تتسرب إلى خاصة القوم. وبذلك اشتهرت عبارة «لحن العامة» أو «لحن العوام»، والمقصود من ذلك ارتكاب خطأ في الكلام، يؤاخذنا عليه علم الصرف أو النحو في العربية الفصحى، أو أن يكون التركيب رديئاً، أو أن يستعمل الكلمة في غير موضعها. ويكون اللحن مثل الفصاحة مرتبطاً بعصر معيّن ويعني ارتكاب خطأ في معنى الكلمة الذي ينبغي لنا المحافظة على معناها الشائع إلى يومنا. فمثلاً، طرب يعني في آن واحد الفرح العظيم والجزع الشديد، لكن العامة تكاد تستعمل فقط المعنى الأول، أو أن يطرأ اللحن على الوزن في كلمة حروفها صحيحة أو معتلة، أو في الفعل المسند إلى المعلوم أو المجهول... وتتفاقم خطورة اللحن حتى أن النحاة ركزوا جهدهم على هذه الظاهرة أكثر مما ركزوه على بناء الجملة أو الاعراب. فقد كان لاستعمال حروف الجر، مثلاً، تأثير على بنية الجملة، وهو موضوع حقيق بأن يتناول بالبحث العميق. وكان لهذا العيب رواج عند عامة الناس، كما كان حتى عند أهل اللغة الذين لم ينجوا منه. لكن الأخطاء لم تكن كلها دائمة، بل هناك سوانح تطرأ على بعض العبارات: الدولتان الأعظم أو الأعظمان في المثنى، مع الإشارة إن مؤنث أفْعَل في هذه الصورة هي «العُظْمَيَان» في الرفع «والعُظْمَيَيْن» في النصب والجر، وإن فَعُلاء تجمع على فُعْلَيَات لا فُعْلى[13]. ولو أمكن تجميع هذه الملحوظات بالنسبة إلى اللغة العربية الحديثة ضمن معجم خاص بما يطرأ من لحن على اللغة اليومية، لأتيح لنا الاطلاع على مدى رسوخ قواعد الفصحى والصور التي تطبق ويعمل بها، ثم لتمكّنا من تجنيب الناطقين والكاتبين مثل هذه الأخطاء، بإشاعة التراكيب الصحيحة السليمة من اللحن الذي يرافق كل لغة.

والرأي السائد أن العربية مرت بمستويات عدة في العصر الجاهلي، وارتبط ذلك الأمر باللغات القبلية، لكن لا يعني ذلك إمكان تأريخ العصر الذي ظهر فيه اللحن، ذلك أن دخول الأعاجم الإسلام انضاف إلى ما سبق من أخطاء راسخة بعدد من الكلمات التي أصابها اللحن واستقر عليها الاستعمال اللغوي السليم بواسطة التقعيد النحوي والصرفي، دون أن يقدر على اجتثاثها اجتثاثاً كاملاً، وبدأ ذلك منذ النصف الثاني من القرن الأول الهجري. وكان العصر الأموي متميزاً بتشدده في قضية اللحن ولم يتسامح مع مرتكبي الأخطاء. وتفاقم

---

(١٣) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ١، ص ١٢٣.

الأمر في نهاية القرن الثاني الهجري، واستمر إلى القرن الثالث، حسب قول الجاحظ؛ فقد ذكر في كتابه **البيان والتبيين** الهفوات والزلّات التي تعرضت لها لغة القرآن. وقد شاع اللحن في القرن الرابع حتى بين البدو، وبذلك انتهت فترة الاستشهاد التي كان فيها لكلام البدو الوزن الأول الذي يقتدى به. أما أهل الحضر، فلم يتمكنوا سوى من تعلّم اللغة الفصحى وممارسة قواعد النحو والصرف. وقد أكد هذا الاتجاه ابن خلدون، لما قال ان العربية صارت لغة تلقّن بالتمرين والتعلم لا بالفطرة. وكان على الطالب أن يتجنب الكلمات المشبوهة التي أصابها اللحن وشاع عامة بين الناطقين بالعربية، حتى أن العمل بقواعد الإعراب في الحديث صار يجلب الاستنكار والسخرية. وكأن اللحن هو الذي تفوق رغم ما بذله علماء اللغة من جهاد مستميت بدأ من القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري، واستمر اليوم برعاية المجامع حفظاً لسلامة اللغة وصيانة لها من التلف. لكن الفترة التي تضخمت خلالها قضية اللحن أتاحت الفرصة للعمل على تنقية العربية من هذه الشوائب بمساعدة المادة اللغوية الفصيحة القديمة التي عملت على حماية لغة الخاصة من هجمات لغة العامة وما أصابها من لحن شنيع. وقد ظهرت الكتب القديمة والحديثة في تصحيح الهفوات (كتاب الدساقي الذي نشر في القاهرة في ١٣٣١هـ/١٩١٣م) مثلاً أخطاء الإعراب الذي تحدد موضوعه باللحن، وإن الوضع تفاقم لما تعرّت الحروف من الحركات. فعجز غير العربي عن تمييز الأفعال من الأسماء، فآل الأمر إلى تعليم النحو، إذ كان التحريف إلى جانب اللحن ينخر العربية منذ قرون، وطرأ التحريف على الكلمة بتغيير حروفها، أضف إلى ذلك الدخيل.

لكن ما قام به القدامى من جهود لم يشمل تحليل قضية اللحن من وجوهها كافة، بل اشتغلوا بوضع مطابقات بين الصواب والخطأ. ولم يقع اعتماد اللغة الشائعة في عصر معيّن ولا قوة الاستعمال الشائع. فقد اقتصر النحاة على تطبيق القواعد النحوية والصرفية لتبرير الوضع الخاطىء الذي كانت عليه كلمات عدة ملحونة، فزادت الشقة اتساعاً بين القواعد التي سنّوها وبين الواقع اللغوي. ومن باب التناقض أن يقال إن تلك التعقيدات وضعت فعلاً انطلاقاً من الأخطاء التي راجت في العربية، كما حددت في عصرهم خاصة درجة فصاحتها. لكن تلك القواعد كانت المعيار الذي مكّن من قياس الفاصل الموجود بين المظهر السليم والمظهر الخاطىء في اللفظة. ويعني الجهد المبذول لمكافحة اللحن أنه لا نقاش في وجوب احترام القواعد التي شكلت الأساس في صلاح اللغة، وكل ما خالفها، فينبغي اعتباره مصدراً للخطأ. فكانت لذلك الوضع مؤثرات على المتكلمين، منها أن القواعد اللغوية هي المسيطرة على حظوظ اللغة، في حين أن الاستعمال كان يسيّر الواقع اللغوي ولغة المتكلمين. لكن كان هدف النحاة يبتغي التنصيص على القواعد القارة مهما استغلقت على المفاهيم، وذلك التشدد لم يحمهم من الوقوع في اللحن والاتجاه إلى تقعيده أحياناً وإشاعته بين المتكلمين والكتّاب؛ وصادف أيضاً أن فتحوا الباب أمام الكلام الشائع فساعدوا على مكافحة التزمت النحوي الذي عاق تقدم اللغة[١٤].

(١٤) محمد عيد، «العوامل الطارئة على اللغة: دراسة لقضايا اللحن والتصحيف والتوليد والتعريب في ضوء علم اللغة الحديث،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٦٧ - ٨٠.

أمـا في الوقت الحـاضر، فقـد وقـع التلطيف بصـورة محـدودة متـواضعـة من التصلب التقعيـدي القديم دون التسـاهل في مبـدأ سلامـة اللغة وصيـانتها من كـل تحريف أو لحن أو دخيل؛ فوقع التغافل عن نسبة ضئيلة من الخطأ، وطرأ على الكلام تحويرات تخضـع للقاعـدة العامة للنمو اللغوي الذي لا تسيطر عليه الأحكام النابعة من الشخص، بل يعتبر في الميـزان قبول المتكلمين أو رفضهم الكلمة. وبما أن اللغة أداة متحركة وفي حركة دائمة، فإنها تميل إلى التجديد وتسير في خط دقيق يكون بموجبه التجـديد مـوزعاً، ثم ينتـظم بمفعولْ الاستعـمال في جهاز متلاحم. ورغم مـا كان من سلبيـات قديمـاً في معالجـة اللحن، فالمـلاحظ أن تصحيح الكلام «الملحون» كان دافعاً لتطوير العربية الفصحى. وقد فُهم طبعاً أن الإعـراب هو عمـل اصطلح عليه النحاة، فأتى اللحن لدعم تقعيد الإعـراب وتبريـر وجوده وبسـطه على الكلمات والجمل. واستناداً إلى القول المؤيد لبلوغ العربية منحنى كمالها إلى الحد الأقصى حوالى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، فإن اللحن بدأ يظهر فعلاً بعد تلك الفـترة. وذكر اللغـويون أن هـذه الدرجـة من الكلمة رسخت في الأمصـار وحدَّت من تـطوير اللغـة التي تحـولت عن الاستعـمال لتخضع للتقعيـدات من كل قبيـل. وإذا نظرنـا نـظرة حـديثـة إلى مؤلفـات «لحن العوام»، فإنه يمكن اعتبارها مساعـدة على تـطوير العـربية الفصحى بـأن يستمد منهـا الأصل للبحث في درجة انتشار الألفاظ الشائعة واستخلاص العبرة من ذلك في خصوص بقاء جانب منها يستعمله المتكلمون بيسر لأنه من طبيعة اللغة العربية[١٥].

وتوجد مظاهر أخرى في اللحن خاصـة بأخـطاء قراءة النصـوص، وتقرأ الكلمـة قراءة صحيحة أحياناً، من وجهة الحركات وبنيـة اللفظة من وجهـة الدلالـة، لكن المؤلف لم يقصد تلك الكلمة بالذات، وترتب على ذلك مـظهران همـا التصحيف والتحريف اللذان يبحث في أمرهما لكشف أخطاء متوقعة في نطق الكلمة عندمـا كان يعمـل بطريقـة الإملاء في المـاضي. وقد ارتبط الخطأ إما بإعجام الكلمات وإما بـالحركـات وإما بقلب الحـروف وإبدالهـا[١٦]. وقد حدد الكرملي هذين الخطأين مبيناً أن التصحيف يشكّل خطأ في القراءة ونقل الكلمة لتماثـل في الحـروف مع كلمـة أخرى وتنـوُّع في نقط الحروف، سـواء تغيرت الحـركـات أم لا. أمـا التحريف، فهو تشابه في الحروف من وجهة نوعها وحـركاتهـا وعددهـا وترتيبهـا، لكن الفرق موجود في الشكل[١٧].

وأضاف ابراهيم اليازجي خاصية أخرى، متحدثاً عن التحوير في كتابه **لغـة الجرائـد**، ويعني بذلك تغييراً يطرأ على الكلمة بخرق القواعد، كأن يزداد حرف بلا فائدة لفعل يتعدى من دونه: ينبغي تصير ينبغي على. . . وهذا باب يطول الحديث فيه، وهو خاص بـالصحافـة العـربية التي وإن استخـدمت الأساليب الفصيحـة في الكتابـة، فقد أدخلت أيضـاً الأساليب

---

(١٥) محمد عيد، «العوامل الطارئة على اللغة: دراسة لقضايـا اللحن والتصحيف والتوليـد والتعريب في ضوء علم اللغة الحديث،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٣٧ ـ ٣٩.

(١٦) المصدر نفسه، ص ٨٠.

(١٧) الكرملي، **نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها**، ص ٢١ و٢٩.

الأجنبيـة من طريق النقـل الذي شمـل المفردات والـتراكيب. وقد استخـدمت كلمات عربيـة فصيحـة في غير معـانيها، حتى أن اليـازجي اعتبر أن الأخـطاء في المفردات أخـطر شـأنـاً من أخـطاء الإعراب، نـظراً لانتشار ذلـك وتناقله من جيـل إلى آخر، عـلى أساس أنها مفـردات عربية أصيلة، ثم يتبين أنها محرفـة في مبناهـا ومعناهـا، خلافـاً لما يجـد من أخطاء في إعـراب الكلمات حيث يتيسر الـرجوع إلى القـواعد النحـوية والصرفيـة لتـلافي كـل خـطأ يكتشف في حينـه. وكما أشرنـا إلى ذلك عنـد الحديث عن وسـائل الإعـلام في الفصل السـابق، تبيّن أن اللغة الإعلامية تستند إلى مفردات خاصة بها فصارت الحاجـة ماسـة إلى إعداد معجم لـذلك الغرض. وقد عمل اليازجي على جمع ما أمكن من تلك الأخطاء، فسـاهم في النهضة بـاللغة الفصحى بردّها إلى مميزاتها القديمة، وحجته في ذلك كـثرة الأخطاء التي شـاعت بسبب انتشار الصحف في الـوطن العربي[18]. كـان غرض هؤلاء اللغـويين في مـطلع هذا القـرن متمثلاً في طموحهم إلى إحياء العربية من ركودها الذي دام قروناً وإحياء الـتراث الأدبي الذي تجمّـع في اللغة الفصحى[19]. وأحاط بهذه الروح الإحيائية جو من المناقشـات حول مستقبـل العربيـة، وقد تمثّل ذلـك في المناظـرات اللغويـة بمفهوم عصري. ولم يفتـح ذلك سبـلاً جديـدة في وجه العربية لأن الكلمات لم تعد تدل على مفاهيمها السابقـة، لكنه أتـاح الاستعداد للفـترة التاليـة التي أرادت إحيـاء اللغـة والعمـل الملمـوس في تلك السبيـل بتجـاوز مستـوى المنـاظـرات والحـوارات. ووازى تلك الحركـة ما قـام به اللغـويون المحـدثون من أعـمال تمثلت في وضـع الكلمات الجديدة لأشياء الحضارة الجديدة، وإشاعتها في الصحافة بغية توجيـه النظرة النـاقدة إليها، ثم فتح باب الاستعمال العريض أمامها. والملاحظ أن المتكلم لم يستوفِ ما للكلمة من دلالات ولم يستعملْ كل ما جد من مفاهيم إلا عند الحاجة إليهـا[20]. وفي هذا البـاب أيضاً، وقـع التفكير في سَنّ منهجيـة ملائمـة لتقييم الكلمات سواء كـانت شـائعـة أم نـادرة، وذلـك بالاستناد إلى المكتوبات المنشـورة أو المخطوطـة تحديـداً للدلالة الحقيقيـة المستعملة في الواقـع اللغـوي، ولـرسم كـل كلمـة درءاً لكـل تصحيف. ويمكن الـرجـوع إلى المصـادر التـاريخية والجغرافية والحضارية لايجاد تلك العناصر. فمثـلاً، يمكن أن تجد لفـظة حضاريـة شائعـة في المغرب أصلها في بعض جهات القطر أو في الأندلس، فتستعيد بذلك معناها الصحيح اعتماداً للوثائق المعجمية أو عمـلاً باصـطلاح دقيق شائـع[21]. لكن البدايـة تكون في تحـديد الميـادين المختلفة التي ينبغي كشفها في المؤلفـات القديمـة، حصراً لمختلف درجـات اللحن الذي طـرأ على اللغة وكثيراً ما استعملت لفظة تصحيف دلالة عـلى أخطاء القـراءة التي ألّفت من أجلها كتب عـديدة، وغـالبـاً مـا التبس التصحيف بـاللحن ذاتـه، وأضيف إلى كلمـة تصحيف في

---

(١٨) ابراهيم اليازجي، لغة الجرائد، ص ٢ ـ ٣.

(١٩) Gibb, *Arabic Literature*, pp. 11 et 159.

(٢٠) منـاظرة لغـوية أدبيـة بين الأسـاتذة عبـد الله البستاني، عبـد القـادر المغـربي وأنستـاس الكـرمـلي (القاهرة: ١٩٣٦)، ص ٧٠.

(٢١) عبد القادر زمامة، «تحقيقات لغوية،» اللسان العربي، السنة ١٠ (كـانون الثـاني/ ينايـر ١٩٧٣)، ج ١، ص ٨٥.

عناوين المؤلفات كلمة تحريف. الواقع أن ما يقع من تغيير يلحق النقط والحركات والحروف كما يلحق الاعراب. فحول هذه المحاور الأربعة يدور لحن الكلمة المكتوبة. وقد خصّ بعضهم «تصحيف» لتغيير النقط، و«تحريف» لما يقع من لحن في الحركات. لكن الواضح أن اللفظتين دلتا على ما ارتُكب من أخطاء في القراءة وما ترتب على ذلك من لحن. والفكرة التي رسخت أن كلمتيّ تحريف وتصحيف تدلان في آنٍ واحد على ما يطرأ من تغيير على النقط والحركات والحروف خلال إملاء دروس العلماء بالمساجد في حلقات الدرس. وفي هذا الصدد، فلا دخل للحن بل إن الأمر يتعلق بأخطاء الاعراب. ويبدو في الجملة أن التصحيف يرتبط بما يرتكب من أخطاء خلال قراءة صفحات المؤلفات في حين أن التحريف يهم أخطاء النطق الذي به تُميَّز الحروف من الوجهة الصوتية. ويعلل مجموع هذه الأخطاء بما توجد عليه الكتابة العربية من صعاب خاصة بها، مثلاً الحروف المتشابهة التي لا يميزها إلا نقط من ألوان مختلفة شرع في وضعها على الحروف أو تحتها بعد الانتهاء من وضع مصحف الخليفة عثمان، رضي الله عنه. وتفاقم الأمر لما بدأ نسخ الكتب وما تسبب فيه النسّاخ من أخطاء لضعفهم في اللغة. وتدخّل علماء اللغة في الأمر وقرأوا الكلمات اعتماداً لانتسابهم إلى مدرسة الكوفة أو البصرة، فوقع ضبط قوائم في الأخطاء التي ارتكبها العلماء أنفسهم. فتجمعت على النصوص المكتوبة، إذاً، أخطاء النسّاخ واللغويين والكتابة العربية ورسم حروفها، وكلها عوامل تنسب إليها ما وقعت فيه اللغة من لحن في كلماتها. وطبعاً اقترحت الحلول للتحري في صحة الكلمات، كأن تمتد الأسانيد في رواية اللغة ويؤكد على قرينة الفهم، ومراقبة ما يحيط المفردة من سياق. أما عن ميدان البحث، فقد اقترح حصره أولاً وبالذات في موضوع رسم الكلمات، ويرتبط ذلك بطريقة الكلام عند الناطقين بالعربية. لكن التحري امتد وجوباً إلى التعبير الشفوي الناجم عن قراءة النصوص. وحتى رواة اللغة، فقد نقلوها مشافهة معتمدين المكتوب من التآليف التي تجاوزت عصرهم كثيراً. وتجسم المجهود الشفوي في الرواية والحفظ وإملاء اللغة، فأنجر عن ذلك التغيير في الحروف (التحريف) أي في الكلمات، وتولّد عن هذه الحالة مفردات جديدة يمكن أن تكون لها قيمة دلالية معينة، كما يمكن ألا تعني شيئاً. ويمكن أيضاً أن تطابق القواعد النحوية والأوزان الفعلية والاسمية، كما يمكن أن تكون قد خرقت المبادىء التي قعدت عليها اللغة العربية. لكن تلك الظاهرة قدمت الحجة بوجود صلة وثيقة بين المظهر الشفوي والكتابي في رواية اللغة، وما ترتب على ذلك من وجهة البنية والدلالة التي تحتملها الكلمات[٢٢]. وكما ان ضبط قواعد النحو كان الشغل الشاغل للنحاة، فقد حاولوا أيضاً بصفتهم علماء في اللغة، مقاومة تيار اللحن فوضعوا قواعد لرسم العربية، وتقرر العمل بالنقط الملاصقة للحروف وكذلك إشاعة الحركات. وسنرى في فصل لاحق ما كان من مشاريع استهدفت إصلاح الكتابة العربية، وهو أمر ما انفك يثير البحث عن حلول لم يعمم أي حل منها لحد الآن، فيشمل الوطن العربي تماشياً مع تطور حركة الطباعة والنشر في العالم. وقضية تبسيط الكتابة العربية

(٢٢) عيد، «العوامل الطارئة على اللغة: دراسة لقضايا اللحن والتصحيف والتوليد والتعريب في ضوء علم اللغة الحديث،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٨١ ـ ٨٧.

أو تيسيرها وقع تأجيلها باستمرار، لأن الأمر يتعلق بما رسخ من عوائد كتابية تربت عليها الأجيال، وروح المحافظة على التراث التي دعت إلى الاحتفاظ بالأشكال التقليدية للحروف العربية. وكما هي الحال في لغات عدة، فلا وفاق بين النطق والرسم لأن الكتابة تخضع لنظام اصطلاحي يمثّل بموجبه عدد فونيمات اللغة. ولم يحاول العلماء القدامى إصلاح رسم العربية في جملته، بل عملوا على التخفيض من الفروق القائمة بين المظهر الشفوي والمظهر الكتابي، تثبيتاً لسلامة قراءة المصحف، فاقتصروا على ضبط نظام النقط والحركات. وكانت في ذلك الوقت الفرصة سانحة للقيام بالإصلاح المناسب بغية الحصول على نتائج حاسمة[٢٣]. وفي باب مثل باب اللحن، تعوزنا التطورات التاريخية التي مرت بها هذه الظاهرة والتي يمكن بفضلها الاتجاه إلى الإحاطة بأطراف هذا الموضوع الحيوي الآن، خاصة ان اللغة العلمية العربية التي هي بصدد التكون لا تتحمل مثل هذه العيوب لحاجتها إلى الدقة الصارمة. وإن مثل هذه العوائق من شأنها أن تصد الراغبين في تعريب المفاهيم العلمية الدقيقة التي تؤدي بحد أدنى من اللغة السليمة التي لا تقبل بالتعرض لمثل تلك التحريفات التي عاشها الماضي. وقد قام بعض اللغويين في الوقت الحاضر بالبحث في الموضوع. ويفيدنا التشديد على أخطاء الاعراب أيضاً التي تبعث الحيرة لإدراك فحوى التراكيب. وما يستخلص منها أن الألسنية الحديثة في مقدورها أن تواجه مثل هذه العناصر المشوشة على اللغة نموها السريع[٢٤].

٣ ـ حركة الدلالة في الكلمة

لقد أمكن تأريخ حياة الكلمة بمتابعة ما طرأ عليها من صور غيّرت من معانيها وحتى مظهرها وبنيتها، وبالتحري في الصورة التي انتقلت بها إلى لغات أخرى. ويتم الانتقال إلى لغة أخرى ضمن علاقة حضارية تجدّ بين أداتين للفكر، الأداة المانحة والأداة المتلقية. وبذلك يمكن العودة إلى إحياء التحولات الصرفية والدلالية التي مرت بها الكلمة المنقولة. وقد أقدمت مؤلفات عدة على مثل هذه الأعمال[٢٥]، وضبطت معاجم في اللغة العربية قوائم في الكلمات المعربة. مثلاً جمع دوزي (Dozy) الألفاظ العربية المستخدمة في اللغة الاسبانية واللغة البرتغالية التي اهتم بها أيضاً لين (George Lane). وما يلاحظ في هذه الأمور هي الحركة التي تطرأ على الكلمة منذ أن ظهرت في لغتها الأصلية، سواء كان ذلك خلال الوضع المعجمي أو عن دراسة المفردات. فيتضح لنا مظهر الاستعجام المتمثل في اقتباس مفردة عربية من طرف لغة أخرى، كما أن التعريب اللفظي يتبلور بالنظر في هاتين الطريقتين. وعلى هذا الأساس، يمكن تحديد قدرة العربية على استيعاب المفردات وما يجدّ من تفاعل بينها وبين

---

(٢٣) عيد، «العوامل الطارئة على اللغة: دراسة لقضايا اللحن والتصحيف والتوليد والتعريب في ضوء علم اللغة الحديث،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٣٩.

(٢٤) علّال الفاسي، «تعليق ونقد،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٨٨.

(٢٥) *Webster's Third New International Dictionary* (Chicago: G. and C. Merriam Co., 1976).

اللغات الأخرى، وعلى هذا الأساس «ظهر علم آخر هو علم الدلالتية العامة الذي يرى في السيمانتيك المرتبطة بلغة من اللغات مجرد حالة خاصة، بحيث أصبح اللغويون يشعرون بضرورة عدم الارتكاز في دراسة تطور التراكيب والاشتقاق على عوامل تختص بلغة ما في بلد ما»(٢٦). ويمكن لذلك التفكير في إعداد معجم تاريخي للكلمة العربية والكلمة من أصل عربي أو الكلمة المعرّبة حيث إن ما يقرره علماء المصطلح الحديث أن دلالة المصطلح هي الحقيقة العلمية، ولا يشترط في هذه الدلالة أن تتطابق مع الغنيمة اللغوية(٢٧)، وذلك بواسطة هذه التحليلات اللغوية المقارنة: مثلاً كلمة cake انتقلت من الفارسية إلى العربية، لكن أصلها من اللغة النرويجية القديمة ثم انتقلت إلى الألمانية القديمة ثم إلى الانكليزية. وعادت إلى العربية (كعك) في صورة ونطق إنكليزي، وهي تترقب أن تمر عليها عملية تعريبية وتردّها إلى أصلها الصحيح(٢٨). والتأريخ للكلمة وتطورها عبر العصور يمكن أن ينطلق من تحديدها، كما ورد في المعجم، وذلك استيفاءً لكل ما تتيحه من دلالات. ولتكن كلمة ندوة مثالاً على ذلك: لقد عرفت هذه اللفظة قبل الإسلام (دار الندوة هو المكان المخصص لاجتماع عدد من الأشخاص يتراوح بين ١٢ و٢٠ شخصاً، للتشاور والنظر في قضايا الساعة) وبذلك يتاح للباحث توضيح كل ما يحيط بالموضوع من تنظيمات خاصة بعقد الندوات يقوده إلى تحديد دقيق، موثوق تاريخياً، يلم باللفظة التي عاشت دهراً طويلاً(٢٩).

وقد مرت الأعلام في العربية بفترات تحويرية يمكن اعتبارها تاريخية حقاً. وأول شهرة كانت للرسول ﷺ الذي عُرف بالأمين. ولقب الصحابة أيضاً بشهرات عدة: فعرف عمر بالفاروق (لفظ سرياني يعني من يميز بين الخطأ والصواب). واشتهر عثمان بأنه ذو النورين لتزوجه من بنتَي الرسول ﷺ. أما ابن عم الرسول ﷺ، فقد عرّف الأمويون عليّاً بعد وفاته بأنه ذو التراب. وصارت كلمة مثل صحابي أو تابع ألقاباً منحها رفاق الرسول ﷺ ومن عاشر واحداً منهم. ولقب كل خليفة بشهرة رسمية خاصة في العصر العباسي. فكان الأول أبو العباس السفاح، وآخرهم المتوكل على الله. وبداية من سلطنة محمود الثاني، لقِّب الخلفاء العثمانيون بأمير المؤمنين وخليفة رسول الله عند تولي كل واحد منهم، وكان اللقب عندهم يطول ويضخّم كلما اقتربت السلطنة من نهايتها. وقد استعان كل خليفة برجل ثقة وعيّنه وزيراً (وكان في البداية يُعرف بالكاتب)، ولقّب بعدة صفات (ذو الرئاستين). وأمراء

---

(٢٦) عبد العزيز بنعبد الله، «الدلالاتية المقارنة في خدمة تاريخ الحضارة المقارن،» **اللسان العربي**، العدد ٢٣ (١٩٨٤)، ص ١٥٦ ـ ١٨٦. حول هذا الموضوع انظر: ناجية مراني، في: **اللسان العربي**، العدد ٢٨ (١٩٨٧)، ص ١٠٥ ـ ١١٧.

(٢٧) حامد صادق قتيبي، «أمثلة تحليلية للتطور الدلالي في الألفاظ المعربة،» **اللسان العربي**، العدد ٣٢ (١٩٨٩)، ص ٦٨.

(٢٨) عبد الهادي الفضلي، «تنقل الألفاظ،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٤٧.

(٢٩) أحمد المحلاوي، «الندوات: ماهيتها وأهدافها،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ص ٣٦٥.

الـولايات حصلوا عـلى إذن في التلقب بلفظة فـارسية الأصـل مثـل أستـاذ (الأستـاذ كـافـور الأخشيدي، أمير مصر)، وقد تحوّل اليوم إلى أُسْطى وعُـرف به الصنّـاع. ولما بـدأت السلطة العباسية تنهار، تلقب الولاة بولي الدولة، ركن. . .، فخر. . .، عضد. . .)، وتضخم عدد الألقاب كثيراً[٣٠]، وبذلك يتبين كيف أن التاريخ السياسي أو غيره من المواد يساعد على إدراك المادة المعجمية خاصة في ما يتعلق بالتعرف إلى الملامح المختلفة المحيـطة بكلمة معينـة، وربما يكون ذلك بادرة تعيد الكلمة إلى الشيوع.

وقد زعم بعضهم أن العربيـة اختصت بكثافتهـا الدلاليـة القويـة، فأدى ذلـك إلى أن فقدت بعض الكلمات قيمتها الحسية أحيانـاً. لكن التنوع في الأوزان منحنـا جملة من الأفكار القـابلة للتعبير: فَعَـلاَن للحركـة، فَعْلاَن للحـالة، أَفْعَـل للألـوان والعيوب البـدنية، فُعَـال للأمراض وفَعُول للأدوية، مِفْعَال اختص بوضع أسماء الآلة، فَعْلَلَة لحكاية الأصوات، فَعِيلة للأطعمة العربية. والملاحظ أنه حتى بالنسبة إلى الـوزن نفسه، يكـون النوع متحـركاً لفـائدة تلون المعاني، ويتيح ذلك وضع استعمالات أخرى محل التطبيق: يدل مِفْعَال على معانٍ أخرى كالمبالغة في العادة، مضياف. هذه القائمة ليست مستقصية طبعاً لكل الصيغ الممكنة التي على رأسها الأوزان الفعلية القائمة بدور لا يستهان به في نمو الـدلالة في الكلمات وتـطويرهـا. وقد عينّ ابن جنّي جيداً جـوهر الـدور الحاسم الـذي تقوم بـه الألفاظ التي ينبغي مـراجعتها عـلى الـدوام، تعبيراً عن الفكـرة طبق أحسن الأساليب. إن العـربية تخـول فعلاً التعبـير عن أدق الأفكار وأكثرها تنوعاً، لكونها لغة اشتقاق: مثلاً، الفرق بين الكِبَر والتكبّر ودلالتهما الفلسفيـة المتميزة في كل لفظة، وقد كتب مفادهما الأخلاقي ووردا في كتب الغزالي. واعتباراً لهذه الدقة في تلون المعاني، تشعّب أمر الـترجمة في مثـل هذه المـواضع، خـاصة إذا فقـدت الحركـات في الكتابة[٣١]. وبدأ مع الألسنية الحديثة وقوانين الصوتيات التي شملت اللغات كافة، بفضـل ما تمَّ من تجـارب وملاحـظات برهنت عـلى إمكان تحـوير الأصـوات لتنـوع الأجهـزة الصـوتيـة والـظروف الاجتماعيـة الجغرافيـة أيضاً، حسب بعض الأقـوال. كما أن هـذا التطور اللغـوي الصوتي وبالتالي المعنوي يعلّل بقوانين الـوراثة والانتقـاء الطبيعي حسب نـظرية داروين. وفي العربية كـما في غيرهـا من اللغات، تخضـع الكلمات لمميزات دلاليـة جديـدة فرضهـا الزمـان والمكـان. وبذلـك ليست اللفظة الفنيـة سوى مـرحلة في وضـع الكلمـة أو العبـارة، تستحق دراسة وصفية نوعية لها مكان في معاجم ما يولد من ألفاظ جديدة إذ إن المعاجم القديمة لم تُبدِ أي اهتمام بألفاظ اعتبرتها قليلة الفصاحة في عصرها. وحتى بعض أصحـاب المعاجم اعتـبروا المولَّدات في عصرنـا الحـاضر لغـة غـير فصيحـة، لكن مستعمليهـا تجـاوزوا هـذا المـوقف، فاستعملوا ما جدّ من ألفاظ في عالم السياسة تعلقت بالنظريات والحركات السياسية، وكـذلك

---

(٣٠) طه الولي، «الألقـاب عند العـرب والمسلمين،» **اللسـان العربي**، السنـة ٨ (كانـون الثاني/ ينـاير ١٩٧١)، ص ١٨٩.

(٣١) أحمد عبد الرحيم السايح، «من خصائص اللغة العربية،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٣٨ ـ ٤٠.

الأمر في الاقتصاد، كما أن وسائل الإعلام أعطتها الانتشار الواسع الذي يسّر لها البقاء في عالم الصحافة أولاً ثم لدى الجماهير العريضة التي أضافتها إلى قاموسها اليومي[٣٢].

٤ ـ مسائل في دلالة اللغة العربية

لقد اهتم علماء اللغة القدامى اهتماماً شديداً بقضية الترادف في العربية وأبدوا بشأنها آراء متضاربة. والملاحظ أن مثل تلك الكلمات كانت كثيرة رغم ما اتصف به معناها من الغموض، بسبب موقف بعض اللغويين في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، الذين لم يدركوا ما تميزت به معانيها من فروق، فعملوا بذلك على تحريف دلالاتها[٣٣]. وتلافياً لذلك اجتهد المعجميون في وضع معاجم مزدوجة اللغة بحيث ان هذا «التناظر» اللغوي من شأنه المساعدة على بلورة المفهوم إذ «ان المعاجم التي نستفيد منها بسرعة في قضية التعريب هي الموضوعة بلغتين اثنتين وقلما يستفيد المرء منها أكثر حين يعود إلى المعاجم المتعددة اللغات»[٣٤]. وقد حاول الكرملي تصنيف دراسة في هذا المنحى بدا أنها عسيرة الانجاز، فلم يستطع تقديم الشرح الدقيق الواضح لكل مرادف[٣٥]. ويوجد اللبس ذاته بصدد المشتَرك من الألفاظ التي ينبغي الحد من عددها، وكذلك الأمر في الأضداد، رغم ما أراده اللغويون من تقديم العون إلى الكاتب الراغب في بث أفكار عنّت له بما ندر من المفردات بحيث يمكنه استيفاء معانيها في ما يكتب[٣٦]. والمفروض أن المترادفات كثيرة في العربية، إذ وُجدت عشرات أو مئات المترادفات للتعبير عن المعنى نفسه، ويبدو لأول وهلة أنه ينبغي فض النزاع لفائدة المفردة الشائعة، لكن ذلك ليس بالأمر الهين. ولاتخاذ موقف حاسم، فقد كان الاتجاه في الماضي أن يقع الاحتجاج بالقرآن بحثاً عن اللفظة الفصيحة وانتقائها بين ما روي من أمثالها في لغات القبائل. وينبغي بعد ذلك القيام بعمل تمييزي والاهتمام بالكلمات الدالة على معنى فريد مصحوب بعدة تلونات، لكن لم يرد في لغات القبائل. وفي هذه الصورة، يكون قد تحدد ميدان الترادف ويؤكد زوال المعنى اللغوي والعجز عن حصر الدلالة الدقيقة لكل كلمة، لكن الترادف يبقى مصدراً لإثراء العربية. وفي ضوء ما تم الحصول عليه من نتائج في الألسنية، فقد صارت هذه الوفرة مشكلة عويصة تتطلب حلاً. وقد أوردت كتب اللغة والمؤلفات المعجمية هذه الظاهرة،

---

(٣٢) إبراهيم السامرائي، «الدلالة الجديدة والتطور اللغوي،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٧ ـ ١٢.

(٣٣) محمد السيد علي بلاسي، «الترادف والمشترك اللفظي والتضاد وأثر كل ذلك في نمو العربية،» **اللسان العربي**، العدد ٣٣ (١٩٨٩)، ص ١٠٥ ـ ١١٧.

(٣٤) التهامي الراجي الهاشمي، «معجم الدلائلية (مدعم بشروح)،» **اللسان العربي**، العددان ٢٤ ـ ٢٥ (١٩٨٥)، ص ١٥١.

(٣٥) أحمد العوامري بك، «بحوث وتحقيقات لغوية، القسم الثالث، مذ ومنذ من الوجهتين اللفظية والمعنوية،» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**، السنة ٣ (١٩٣٧)، ص ٢٦٩.

(٣٦) محمد الخضر حسين، «قرارات المجمع في هذه الدورة،» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**، السنة ٦ (١٩٥١)، ص ٩٧.

واستعرضت قوائم المترادفات لكل لفظة محورية: للأسد ٥٠٠ مرادف، وللحية ٣٠٠، وللعسل ٨٠، وللحجر ٧٠، وللسيف ٥٠. وقد اعترف بعض اللغويين بهذا الوضع واستنكره غيرهم، إلا إذا كانت لغات قبلية. وقد أعاد أبو هلال العسكري القضية إلى وضعها الحقيقي مبيناً أن المطابقة تكون بين تنوع الألفاظ وتنوع الأفكار، فربط بذلك الفكرة باللفظة، وإلا كان الكلام دون دلالة ومجرد حروف مصفوفة. وإذا كان الأمر على ما تبين من أن كل كلمة تكون دالة على مفهوم وتصور في ذهن قائلها أو قارئها أو كاتبها، فقد صارت المترادفات أمراً لا طائل من ورائه ولا فائدة ترجى منها. وقد استنكر الجاحظ الترادف وحدده بالفرق الموجود بين ما شاع من استعمالات لغوية عند القبائل. لكن نظرية الترادف بقيت، وتلقفتها المجامع (خاصة مجمع القاهرة)، وكان لها باب مخصص في الأبحاث اللغوية المعاصرة وشملت العمل الاصطلاحي، إذ «استحال التقلص المصطلحي إلى امتداد وانبساط وتشعب وانتشار بفضل المكانة التي أصبحت للغة الضاد منذ العصور الوسطى على الصعيد العلمي والحضاري»[٣٧]. وقد استنبط من ألفاظ القرآن انعدام هذه الظاهرة لأن الكتاب يحدد المعنى الدقيق الذي به أدرج للدلالة على معاني الآيات[٣٨].

أما قضية الأضداد، فتبدو أكثر تشعباً، وقد كانت موضوع خلافات متعلقة بتصور هذه الظاهرة المرتبطة في اللغة العربية بالغموض السائد في الدلالة، كلما اعترضتنا ما عُرف بالكلمات الأضداد. ولا فائدة من القول إن الكثير كُتب في هذه القضية وما جدّ في خصوص تدوين الأضداد. والواضح أن الأضداد ينتسب البحث في شأنها إلى علم الدلالة، لكن النحاة ورجال اللغة تكاتفوا، في الماضي، للبحث في هذا الأمر. وقد كان ضرورياً جرد الأمور المتصلة بهذه القضية وترتيبها، وتدخّل أهل الاستشراق في ذلك واستنجدوا بعلم التحليل النفسي، اعتباراً أن ظاهرة الأضداد تفيد في تعليل الاندفاعات النفسية اللاشعورية كالأعمال الطائشة والأحلام والحالات العصبية، متجاوزين بذلك المظهر اللغوي للقضية التي أثارها الاشتراك اللفظي الموجود في الأضداد، ومهتمين، بالأحرى، بالمظهر الاجتماعي الثقافي[٣٩]. لكن رغبة اطلاع اللغويين العرب على مكنون هذه الظاهرة بقيت في الماضي مستقرة على حالها، فاستكمل الباحثون في أوروبا المظهر الحركي للقضية على أساس ما جدّ من أبحاث تعليلية في اللغة العربية بصفتها أداة ناقلة للفكر بما تضمّنه من ظاهرة الشيء ونقيضه. فشرع علماء العربية في الاجتهاد بداية من آخر القرن الأول الهجري بغية تدوين اللغة منذ فجر القرن الثاني. وكانت المحاولات تشمل الموضوع الواحد أو تدوينه الغريب في القرآن والحديث، ثم اعتنوا بالكلمات الجديرة بالبحث المتعمق. وكان الأمر كذلك بالنسبة إلى الأضداد التي تميزت باشتراكها في تعارض معانيها. وبذلك بدا أن كلمات عدة دالة في

---

(٣٧) عبد العزيز بنعبد الله، «بين الترادف والتوارد،» اللسان العربي، العدد ١٨ (١٩٨٠)، ج ١، ص ٥.

(٣٨) عائشة عبد الرحمن، «من أسرار العربية في البيان القرآني،» اللسان العربي، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٢١.

(٣٩) *Bulletin d'études orientales* (1971), p. 135.

العربية قادرة على التعبير عن مدلولات عديدة في الوقت نفسه، لها دلالة مختلفة أو متناقضة. واستطاع اللغويون تسجيل هذا الازدواج اللغوي المعجمي أي المدوَّن، وغرضهم من ذلك الزيادة في ثراء اللغة على طريقة الفقهاء الذين ألّفوا من مجموع خلافاتهم تصانيف ضخمة في الفقه. والملاحظ أن الأضداد هي ألفاظ تتعادل في تعارضها الدلالي مع محافظتها على مظهر متماثل في الكتابة والشكل. وهي مشتقة من الأصل نفسه وتتضمن تناقضاً في معناها. والضد إنما هو عبارة عن تلاقي الأصل والوزن، ويشكّل وحدة دلالية مستمدة من المادة اللغوية المتجددة بالاشتقاق والمبتكرة للتعدد اللفظي الذي صار مصدراً للغموض واللبس. ويقع مشكل الأضداد أيضاً على صعيد ما وراء اللغة، إدراكاً للأبعاد الثقافية الاجتماعية. إذ إن بعض الكلمات، بالرجوع إلى أصولها، تصبح في اللغة وما وراءها في آن واحد، إحياءً لها، وبذلك تكون الأضداد ذات اعتبار قياسي للتعليل الثقافي والاجتماعي[٤٠].

وقد درس النحاة اللغويون في الوقت نفسه، وكذلك من اتجهوا إلى البحث في دلالة الألفاظ، مع الملاحظة أن التخصص لم يكن شائعاً في تلك العصور، ظاهرة الأضداد بصفتها صنفاً خاصا من التعدد اللفظي العربي، وقد حددوا القضية على صعيد الدلالة الخاصة بهذا الصنف من الكلمات، واعتبروها باباً هاماً من علم الدلالة يستحق النظر، ذلك أن المفاهيم في اللغات الساميّة تعبّر عن أشياء الحياة، ويعبّر عن الأفكار بواسطة العبارات المتأثرة في ما يبدو بالفكر اليوناني. وتقع الأضداد في مستوى الادراك الحسي لا الفكر المجرد. وقد تحدَّد الآن مكان البحث في الأضداد الذي كان العراق، وكان ذلك في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي). وبالفعل نجد ابن السِكّيت في النصف الثاني من ذلك القرن يوفق في السيطرة على الموضوع. وقد اجتهد في التمييز بين ما يطرأ على الدلالة من تلونات. كان حب الاطلاع قد دفع بعض اللغويين إلى طرق هذا الموضوع، ويبدو أن غيرهم قد أراد تقديم هذه القضية بمثابة ضعف كامن في العربية بالنظر إلى عدة لغات أخرى، كالفارسية. ومن دافع عن الأضداد اعتبر هذا الصنف إحدى فرائد اللغة، مع العلم أن السنيين لم يشاركوا في هذا النقاش. هذا، وقد اعتمدت الأضداد الواردة في القرآن الكريم في دعم تفسير الآيات تأكيداً لموقف المعتزلة وتقوية لما ادعوه من جهد مبذول يكاد يكون منفرداً لتحليل قضية الأضداد[٤١]. ويبدو أن اللغويين العرب أرادوا لا محالة منذ وقت بعيد تصنيف الكلمات رتباً، وكانت هذه العملية، المهمة الأولى التي أنيطت بعلم النحو. وقد ذكر سيبويه المراتب الثلاث للكلمات بحيث تكون الألفاظ مختلفة اختلاف معانيها، وهي مختلفة وتعبّر عن معنى متماثل (يعني المترادفات، وهي ألفاظ مثيلة اختلفت معانيها (أضداد)). ومن رأي قطرب، تلميذ سيبويه أن الخلاف بلغ أقصاه ومنتهاه في الأضداد دون أن يوضح ما أبداه من رأي. وقد حدد أبو الطيّب اللغوي الضد وقدّم أمثلة على ذلك، وميزه عن المختلف من الألفاظ (علم وجهل).

---

(٤٠) Jean Paul Charnay, *L'Ambivalence dans la culture arabe* (Paris: Éditions Anthropos, [1967]), p. 473.

(٤١) المصدر نفسه، ص ٣٩٧.

ومنذ عصر الخليل، تبنّى أهل اللغة وتلاميذهم ومن تولى بعدهم، نظرية وجود الأضداد، وقد استنكرها بعد مدة طويلة جمع من اللغويين على رأسهم ابن درستويه وأيّده في ذلك كثيرون إلى الآن، منهم المستعربون، في أوروبا. وقد استند ابن فارس إلى طبيعة اللغة العربية ليؤكد ظاهرة الأضداد وأهميتها التي توازي ما للمترادفات من قيمة، وقد رفض التشكيك في ما رواه الرواة من أضداد، وإلا وجب إنكار بقية ما دونوه في اللغة.

وقد تضافرت الأقوال على ظهور الأضداد في البصرة، ثم انتقل مبحثها إلى بغداد. ولا شك أن الاتجاه العلمي إلى البحث في مختلف المظاهر اللغوية قام بدور فعال لارتياد هذا الميدان أيضاً. وغرابة الموضوع هذا أدت إلى القول إنه استهدف إبراز نقائص اللغة العربية، تأييداً لموقف الشعوبية التي ربما اتخذت مبحث الأضداد سانحة للتهجم على ضعف العربية. هذا وقد استنكف أهل السنّة من البحث في موضوع الأضداد لقيام المعتزلة بالمحاجة فيه، ومن أهل التفسير على أضداد القرآن الكريم مر الكرام رغم أن دافع التفسير استوجب تعميق النظر في هذه الظاهرة اللغوية[٤٢]. هذا، وإن كتب من ناصب موضوع الأضداد العداء لم تصل إلينا، فتعذّر تحليل أقوالهم اعتماداً لما نقله الرواة فحسب. وقد كان عبد الرحمن بدوي من أشد المعارضين في العصر الحديث (بحثه في دائرة المعارف الإسلامية، أضداد). وقد أنكر وجود هذا الصنف اللغوي وأيّده في ذلك ما كان عليه الأمر من عسر، خلافاً لما وقع في المشترك الذي كان متوفراً في الألفاظ، في حين أن الضد كان من الكلمات النادرة التي ينبغي البحث عنها بالاستناد إلى قرائن النص. وقد أيّد بدوي موقف المستشرقين الذين عملوا بأقوال ابن درستويه المعارض لوجود الأضداد، ومن رأيه أنه من باب التناقض أن تدل الكلمة نفسها على الفكرة وضدها. وقد كان الرأي العصري المستخلص أن الألفاظ المبوبة في الأضداد تتصف بالوحدة الدلالية لأن معانيها الأخرى نادرة في النصوص فعلاً. وقد لاحظ جيس (Giese) فقدان الشواهد وأسانيدها (وهو أمر واضح عند ابن الأنباري) في الأشعار، خاصة في الشعر الجاهلي، إذ لم يجد فيه سوى ٢٢ كلمة من هذا النوع، ذلك أنه لا يمكن فعلاً الاستشهاد على الضد خاصة إذا اجتهدنا في تدقيق المعاني الأصلية لهذه الكلمات. ولا يكفي الاستناد إلى موقعه في الجملة فحسب دون البحث عن معناه الأصلي؛ ويمكن أن يضيف السياق معنى جديداً لكلمة عُرفت بأنها من الأضداد وكانت معزولة. وينبغي أن نلاحظ لا محالة أن اللغويين القدامى لم يشعروا بالحاجة إلى ذكر كل شواهدهم بغية التخفيف من تآليفهم، فساد التسامح في هذا الأمر إلى حد تضخّم معه صنف الأضداد وأضيف إليه المشترك بدافع العزة اللغوية. وقد فسر أصل هذه الظاهرة بصورة مختلفة. فمنهم من قال برجوعها إلى الإنسان الأول الذي كان له ذكاء بدائي مليء بكثير من المتناقضات، لكن هذه النظرية كانت واهية من أساسها. وقيل أيضاً إن العرب اقتبسوا الأضداد عن الأمم المجاورة فوجب أن تتضمن كل لغة دلالة معيّنة تجعل الأضداد في حالة مواجهة. ومن الأمثلة على ذلك باع وشرى ومعناهما التبادل في الاقتصاد الخاضع للمقايضة. وقد تحدد معنى كل فعل

---

(٤٢) اللسان العربي، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ١، ص ١١٢.

بعـد ذلك، ويبقي مـرتبطاً بـالمعنى الأصلي في آن واحـد. هذا، وإن الأفعـال يمكن أن تكـون أزواجـاً، فيكون الأول فعـل السبب والثاني فعـل نتيجته، ويمكن أن يتـولد من ذلـك كلمات أضداد بمفعول تداعي المعاني أو تداخل الأحـداث، أو لمجرد أن يكـون ذلك الأمـر ناتجاً من لبس في مشاعر الناس. ولم يتمكن علماء اللغة العرب من القيام بتحليل الدلالـة المقارنـة التي تتيحهـا الأضداد في اللهجـات القبلية المختلفـة الناتجـة عن التداخـلات والمجازات، بـل إن أغلب الأفكـار التي ظهرت حـول الموضـوع بحثت في أصل الأضـداد التي يعبّر عنهـا المفهـوم نفسه المتضمن فكرتين، واكتفت بذلك المبحث. ويظهر أن التعليل البديل ارتبط في ما يخص ظهـور الأضداد، بـاللفظة الـدالة عـلى شيء واحد الـذي يطرأ عليـه تغييرات تكـون بمثـابـة التناقضات الدلالية. فمثلاً، نجد كلمة الجَوْن تدل على السحاب الأبيض والداكن في الوقت نفسه، فرتّبها اللغويون بين مشترك الألفاظ الدالة على معنيين متناقضين. الواقع أن جون يدل على المدرك سحاب دون أية صفة أخرى. والمشاعر البشريـة تبعث على خلق الأضـداد، كأن يعبر عن التفاؤل والسخرية واستبعاد الشؤم كلها عوامل تـدفع إلى ذلـك (نقول بصـير ونريـد أعمى. . .). والمرغوب من البحث الآن هو أن يتركز على الأصل الموجود في معاني الأضداد، ونترك مؤقتاً ما يتضمنه من ملامح تاريخية دلالية، ذلك أنه لم يقع رفض هـذه الكلمات لكونها أضداداً، لكن أبديت بعض الاحترازات في خصوص وضعهـا. فمن طريق التـوسع المعنـوي والمجازي والتخلي عن معنى خاص في الكلمة، أمكن أن يلاحظ أن لفظين متماثلين يتناقضـان في المعنى، وهـو أمر محـدود في اللغة حتـماً. وبعد قـطرب، وهـو أول من ألّف في الأضـداد، ظهرت قوائم الأضداد في القرنين الثالث والرابع الهجـريين، وخضعت للتحقيق. ونجـد ابن الأنبـاري خاصـة يحدد المقـاييس التي تُعرف بهـا هـذه الكلمات، ذلـك أن الكلمـة المتضمنـة الازدواج في الـدلالة ينبغي أن تـطابق كلمة أخـرى من نـوعهـا (فعـل/ فعـل، اسم/اسم، نعت/نعت) ومن وزنها. ولا يمكن دمـج الكلمتين في دلالـة واحدة، إضـافـة إلى أن الكلمـة وضِـدها لا بـد أن تكون فصيحـة معروفـة، قد استعملهـا العرب في كـلامهم. ولا يمكن أن يكون المعنى الثاني مجـازياً أو مقلوبـاً. وقد أقصيت من الأضـداد كلمات عُدَّت منهـا من وجهة الدلالة، لأسباب صرفية إذ كانت تعتبر من الشـواذ (حرف عـين الفعل المجـرد). وبعد هـذه التصفية، يمكن القول إن الأضداد رُتبت ترتيباً مستحسناً، وصنفت في أربعـة أبواب: ألفـاظ فـريدة/أفعـال وعبـارات (تهيبت الـطريق وتهيبتني الـطريق). ويمكن الإشـارة في الأفعـال إلى (ظن) المعـبر في الوقت نفسـه عن الشـك واليقـين. وأخيـراً، رتبت «المتعلقـات» (رغب فيـه ورغب عنه). كل هذه الترتيبات هي نظرية طبعاً، فينبغي الاستعانة بمؤلفات الأضداد لمتـابعة ما قاموا به من تصنيف ومقارنة أعمالهم. وقد اقترح قطرب مجمـوعة من الأضـداد الحقة بمعنى أنها كـانت كلمات تناقض معنـاها في حـين أن غيرهـا كـانت عـلى تلك الحـال بسبب نشـوب خلافات في الأوزان الفعلية، مثلاً فعل وأفعَل، وقـد استثنى بعض اللغويـين الآخرين هـذين الوزنين من الترتيب، مثلاً ابن الأنباري وأبو الطيّب اللغوي. ووجدت ألفاظ من وزن واحـد ربطت الفعل بالفاعل أو المفعول وفرضت التبادل في القيام بالفعـل (فعيل = فعـل ومفعول). أمـا في وزن فعل = مفعـول (وفعول = فعّـال، تائب = تـوّاب)، يمكن أن نتمثـل بـ كـاتم = مكتوم. ووجدت أيضاً كلمات شائعة معناها مختلف في الظاهر، وغيرها كان معناه شائعاً لكنها

تختلف باختلاف السياق بزيادة حرف مثلاً (راغ عليهم، راغ عنهم) ومن الألفاظ المختلفات ما تعلّق بدلالة عددية: يعني الزوج في الوقت نفسه الواحد والاثنين، وهو أمر يعسر قبوله لما يتسبب فيه من اضطراب عددي، إذ لا يمكن الرضى بالتقريب في العد. ويبدو أن علماء اللغة أدركوا ذلك بعد قطرب فرفض أغلبهم هذا الشذوذ. وطبعاً وجدت الأضداد في لهجات القبائل، من ذلك ما شاع من كلمات في المثنّى لم يرج مفردها (القرنان)، وكذلك المشترك اللفظي الذي لم تخضع كلماته للضدية المطلقة، وكذا الألفاظ التي يشير شرحها خلافات، من ذلك معنى فوق الذي يفيد (دون) مع الصفات، ولا يفيد ذلك مع (الأسماء)، والأفعال ذات الدلالة الزمنية المختلفة (استعمال فعل، دلالة عن فعل تم أم لا). ويمكن استعمال الماضي مصحوباً بفكرة الزمن الحاضر، إبرازاً لما يترقب من أحداث قادمة، في حين أن العكس يحاول إحياء الماضي. وبذلك لا تستعمل هذه الأساليب توسعاً في المعنى أو تعبيراً عن الضدّية، بل جوازاً شعرياً. وعبارات التفاؤل أو الطيرة وردت في تأليف قطرب وكذلك عند النحاة الآخرين الذين ألفوا في الأضداد. وقد أضيفت إلى هذه المؤلفات، لأن معناها الثاني مجازي في حين أن المعنى الأول يرتبط بالواقع، وأن ذلك المعنى الثاني لا يمكن إدراكه إلا مرتبطاً بالأول، وهذا من شأنه أن يحرّف المقصد من معنى الضدية. وقد احتفظت الأوزان الفعلية (فعل، أفعل، تفعّل) بمعانيها التقليدية وما ارتبط بها من فوارق شاعت في اللغة، فترتب على ذلك أنه لا يمكن أن تتصف بأنها من الأضداد، خاصة وأنِ الأوزان كافة لا بد أن يكون لها مظهر دلالي وصوتي متفق للدلالة على الأضداد، ولم يكن ذلك شأن اسم الفاعل من افتعل وانفعل (مثلاً في صورة الفعل الأجوف والمضاعف). لا شك أنه يمكن الإشارة إلى وجود معنى التناقض في هذه الأوزان، لكن لا يشكّل ذلك كل المعنى. والأمر أكثر وضوحاً في الكلمات التي لها دلالة واقعية وأخرى مجازية، أي أن تتضمن الألفاظ الدالة على الظرف والمظروف (فمثلاً كلمة أمة تشير إلى الفرد الذي يكون قدوة، وجمع من الناس). الواقع أن الأضداد التي لها فائدة في البلاغة كثيرة نسبية، وترتبط بالأساليب البلاغية الشائعة، فيعسر بذلك البحث عن مظهر التناقض فيها وتمييزه عن المعنى المجازي. وقد رفض عبد الرحمن بدوي الذي أشرنا إليه آنفاً، هذه المميزات، كافة؛ فبيّن مثلاً في خصوص كلمة أمة أن قائدها وقدوتها الوحيد يساويهم جميعاً.

وقد رتبت عدة مقولات نحوية بين الأضداد كالأفعال اللازمة والمتعدية مثلاً (زال وأزال، وعدة حروف اختلف معناها). فمثلاً، يمكن أن تفيد (ما) على التوالي معنى النفي والسؤال والاستفهام والموصول، ويقع ذلك في سياق خاص كل مرة. وقد وضع التصغير أيضاً بين الأضداد لتعبيره عن الاحترام أو الازدراء، ويجب أن يكون معزولاً في هذه الصورة، في حين أنه يعبّر عن الشيء المصغر ويمكن تلوين هذه الفكرة بواسطة السياق. وكذلك الأمر بالنسبة إلى عدة أبيات شعرية وعبارات مقلوبة نادرة، كما أدرجت بعض الآيات القرآنية بين الأضداد، وأيضاً بعض أسماء الألوان (أحمر = أبيض للإنسان)، وبعض أسماء الأعلام (طه)[43]. وقد تبين عند تعداد الأضداد، أن ما أضفي عليها من شروح أدى إلى نشوب

(٤٣) المصدر نفسه، ص ٩٣ ـ ١٢٠.

خلافات في جوهر هذا الازدواج في الدلالة الذي لم يفصل بوضوح بينها، لكنه لم يطابق بين معانيها أيضاً.

وبهذا المعنى، فإن استقطاب الأضداد لا يؤدي إلى نظرة تركيبية ينتهي فيها تواجه الضدين. وخلافاً لذلك، فإن الفكر يدرك هذين الضدين دون صهرهما، وهو يعبر المسافة الفاصلة بينهما، ويقوم بحقنها بصورة متبادلة، ومواجهتهما بحيث يتطور الأمر لا بتجاوزهما والقضاء عليهما، بل بإنارة المناطق بينهما أو ما كان خارج دلالتهما(٤٤). وما يمكن قوله إن الأبحاث الخاصة في موضوع الأضداد يمكن تطويرها بتسليط التحقيق على ما سبق من تآليف في هذه القضية قديمها وحديثها. من ذلك أن مجلة المكتب نشرت بحثاً ثم وقع نقده ومفاده أن قطرب جمع حوله اتفاق علماء اللغة القدامى، وقد وافقوه على مفهوم الأضداد. وهو الذي حصرها في ١٦ نوعاً. وقد أيده خاصة ابن الأنباري والسجستاني، ثم أتى أبو الطيّب اللغوي وقام بترتيب الموضوع في نظرة شمولية، محدداً الشيء بنفيه، موضحاً أن ما اختلف عن الشيء الذي يتضمن ضداً، لا يمكن اعتباره ضداً له. والملاحظ أن البحث عن المعنى الأصلي في الأضداد لم ترفضه اللغة بل استوعبته كظاهرة من ظواهرها. وقد تبين في الوقت الحاضر أنه يمكن الإبقاء على ستة أنواع واقعية واعتبار العشرة أنواع المتبقية من غير الأضداد. وإذا كانت رغبة تدوين الأضداد في القرن الثاني الهجري مشوبة بالهواية نوعاً ما، ثم اعتُبرت في القرن الموالي بمثابة العمل الصالح بغية رفع ما كان من لبس في بعض الآيات القرآنية وحماية للعربية من النزعات الشعوبية في القرن الرابع، فإن اعتبار الأضداد اليوم كظاهرة فريدة في اللغة أمر واضح، وأنها كانت مصدراً لالتباسات متنوعة عند اللغويين القدامى الذين تشبثوا بوصف الضد بصورة رسخ معها اللبس، ولم يقبلوا بأن وجود الأضداد يمكن أن تعلله أسباب ذات طابع دلالي، فقد اعتمدوا شيوعها مقياساً لقبولها. وإذا كان قطرب قد ذهب شوطاً بعيداً في موضوع الأضداد ووفرتها، متغافلاً عن تحديد ما ضبطه منها، فقد جاء لغويون بعده توفرت فيهم شروط النزاهة العلمية المحققة لهذه الظاهرة، فقبلوا ألفاظ عدة على أنها من الأضداد ورفضوا البقية. لكن الأفكار المناوئة للعربية اعتبرت الأضداد ظاهرة ضعف في العربية دون أن توضح المعايير التي بها يمكن انتقاؤها، مع الاعتراف بأن القواعد الانتقائية كانت متقلبة؛ فمثلاً ينبغي في عرف القدامى إقصاء بعض الألفاظ التي كان لها معنى واحد والمحافظة على الألفاظ المتناقض معناها بحيث تكون خاضعة لمعيار الكلمة الفريدة المتضمنة معنيين متناقضين(٤٥). ويمكن القيام بجرد تحليلي لمؤلفات الأضداد، بادئين بكتاب قطرب الذي وضع تأليفه الذي دوّن فيه واستوعب الأمر مستقصياً الأضداد في اللغة، ترضية لقرائه وأشغالاً لهم. وقد غلبت مع ذلك الجيل الأسباب الدينية وقضت على كل شك في مادة تفسير الآيات القرآنية المعروفة بالمثاني. وقد ضبط أبو حاتم السجستاني قوائم محتملة من الأضداد. وكان

---

(٤٤) Charnay, *L'Ambivalence dans la culture arabe*, p. 442.

(٤٥) محمد ابراهيم الكتاني، «تحليل ونقد،» اللسان العربي، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ص ١٢١ - ١٢٦.

الاتجاه الذي جاء بعده يعمل على الدفاع عن سلامة العربية من هجمات الشعوبية المناوئة لها. وقد تيسر التدوين والجمع خاصة أنه قام على ما سبقه من أعمال، في حين أن عصر قطرب عاش ظهور الطابع العام لهذه الظاهرة، وقد شمل أصناف الأضداد كافة الموجودة في العربية. من ذلك أن ابن الأنباري من مدرسة الكوفة قد أسّس تأليفه على ما وجد من كتب سابقة، مضيفاً إليها الشواهد. وقد استهدف تبرير وجود الأضداد. أما أبو الطيّب اللغوي من الكوفة أيضاً، فقد اشتغل بمراجعة التآليف السابقة ونقدها، وأيّد ذلك بالشواهد. وقد جمعت الأضداد في القرن الرابع الهجري من المؤلفات الكثيرة لأسباب تعليمية، ودام الوضع على تلك الوتيرة حتى القرن الثالث عشر الهجري حين ظهر تأليف في الأضداد سنة ١٢٩٧ هـ. وقد عملت المحسِّنات البديعية على العودة إلى تأليف كتب الأضداد. وتمثّل العمل في ادراج الكلمات ذات الدلالة الضدية، أو أن يخصص لها فصل، كما فعل ابن قتيبة، أو كتاب كامل يجمعها. ويبدو أن الخليل بن أحمد (توفي سنة ١٧٠/٧٨٦) هو أول من أشار إلى أول لفظة من الأضداد في كتابه العين، ثم روى يونس بن حبيب (توفي سنة ١٨٢/٧٩٨) بعض الأضداد، وجاء دور الكسائي بعده (توفي سنة ١٨٩/٨٠٥). والواضح أن هؤلاء السابقين لم يذكروا عرضاً بعض الكلمات التي تناقلها المؤلفون بعدهم. من ذلك أن الفرّاء (توفي سنة ٢٠٧/٨٢٣) ضبط الألفاظ التي ميزها المؤلفون السابقون على أنها من الأضداد. وقد وصلتنا إلى عصرنا قائمة بالأضداد التي رواها أبو عمرو الشيباني (من الكوفة؟)، أو ربما عن أبي العلاء (من البصرة؟) ونما عدد الأضداد في تأليف أبي زيد الأنصاري (توفي سنة ٢١٥/٨٣١) وتنوعت. والواقع أن ثلاثة من اللغويين هم الذين عُرفوا فعلاً بهذا النوع من الكتب: قطرب (توفي سنة ٢٠٦/٨٢٢)، وأبو عُبيدة (توفي سنة ٢١٠/٨٣٠)، والأصمعي (توفي سنة ٢١٣/٨٣٣)، وقد وقع التعرف بهذه الصورة إلى ٢٣ تأليفاً في الأضداد منذ وفاة قطرب، تلميذ سيبويه، الذي سار في كتابه حسب تدرج دقيق. كان يبدأ بعرض المعنيين المختلفين، ويقدم الشواهد الشعرية أو الشواهد من الأمثال. ويذكر أحياناً معاني غير متضادة أو لا يتعرض لمعنى وحيد مشيراً إلى المشتقات. لكن اختلفت قيمة شواهده وكانت إما من الشعر أو من القرآن الكريم. أضف إلى ذلك أنه لا يقدمها بانتظام ولا ينص إلا على مظهر واحد من الدلالة. وكان يميل إلى ترتيب الأضداد على أوزانها: فعول مقابل فَعِل ومفعول، فَعِل فَعِيل مقابل فَعِل ومفعول. ولم يتردد في ذكر المصادر السابقة التي استقى منها الأضداد، مستشهداً بأقوال البدو ولهجات القبائل التي اقتبس منها بعض الكلمات ورتبها في الأضداد. وبدلاً من استيفاء الألفاظ المزدوج معناها على التوالي، واقصاء غيرها من صنفها، زاد في الشروح واستطرد استطرادات لغوية يمكن وجودها في كتب اللغة المعنية بها. وقد رتب في الأضداد ٢١٨ لفظة كرر منها خمس كلمات. وما نهجه من طريقة استيعابية للأضداد حملته على تضخيم عددها، وإن أمرها التبس عليه. فكان كل ذلك بمثابة النقائص الشنيعة، خاصة ان المؤلفات الموالية قد روتها. فقد وافق السجستاني على ٥٤ منها، وتمادى ابن الأنباري في ذلك، لكن ابن السِكّيت حذف منها ما يقرب من الثلثين (أي ١٥٦ ضداً مما ذكره قطرب). وبناءً على النص الذي رواه أبو محمد (؟) الذي شرح الشواهد، ورفض بعض الكلمات التي وصفت بأنها من الأضداد، وصحح ما كتبه المؤلف

قطرب من شروح، يمكن التأكيد أن كتاب قطرب كان موضوعاً لشروح هامة بصفته أول تأليف في هذا الموضوع. أما كتاب أبي عبيدة الذي وصلتنا منه نتف فقط جاء بها عدد من الأضداد المختلفة كأضداد المجاز والفأل ولهجات القبائل، فقد تميز بتنوع أضداده. وقد أكثر المؤلف من الشواهد تحديداً للمعنى، وكان يقحم شواهده ضمن النص خلافاً لما سار عليه قطرب. وقد أهمل أحياناً ذكرها أو أنه لم يذكرها إلا مرة واحدة. وقد اقتبس شواهده من القرآن والشعر والأحاديث والأمثال. ولم يجارِ قطرب في طريقته الخاصة بذكر المعاني الأخرى الخاصة بكل ضد التي لا تتعلق بالضدين معاً. لكن عمل كثيراً وأكثر من قطرب على جمع مشتقات الأضداد. وطبعاً لم يكن ما خلّفه أبو عبيدة من مخطوطته إلا مجالاً للفرضيات خاصة ان الأصمعي والسجستاني انتقدا ما قاله بصدد الشروح الخاصة بالألفاظ القرآنية. وكان كتاب الأصمعي (١٠٥ من الأضداد) نتيجة تدوين وجمع ما تفرق من الأضداد في الكتب المختلفة. ولم يكتشف خلال ذلك سوى خمسة أضداد جديدة (مقابل أحد عشر وجدها أبو عبيدة). وكان عمله بمثابة تدوين ما قاله اللغويون من أضداد. وقد كان أحد تلاميذه (ابن السِكّيت؟) راوية لأقواله في الأضداد التي ربما أضيف إليها ما قاله كتّاب آخرون جمعوا الأضداد مثل إبن العربي والشيباني وأبي زيد. والمحتمل أن كتاب ابن السِكّيت لم يكن إلا تأليفاً جامعاً من المرتبة الثانية مع وجود بعض الاختلافات، وهو مقتبس عما روي من أنه كتاب الأصمعي الذي سار على نهج شبيه بنهج التآليف السابقة، وقد كانت شواهده غير منتظمة ولا تتفق إلا مع معنى واحد من الاثنين الموجودين في الضد. وقد استشهد بالحديث مراراً وشرح منه أحياناً، واستشهد أيضاً بالأخبار. وكما فعل قطرب وأبو عبيدة قبله، فقد ذكر لهجات القبائل ومعاني الأضداد الأخرى ومشتقاتها، أكثر مما فعله أبو عبيدة. وقد روى أبو الطيّب اللغوي أن كتاب التوزي مقتبس عن تآليف أبي عبيدة وفيه أضداد وكذلك ألفاظ مشتركة. وقد استشهد بالقرآن الكريم وبالأشعار التي رواها دون اسم قائلها أحياناً. وأحياناً أخرى يشير إلى المصادر ويشرح الأمر، وكثيراً ما كان يذكر اسم الرواة. أما تأليف ابن السِكّيت (فيه ٩٤ ضداً) فهو في الواقع عبارة عن تأليف جامع لكتابي أبي عبيدة والأصمعي، ولعله كان مؤلفها في الواقع. وقد بدأ بذكر الأصل وما تضمّنه من معنى مختلف، ثم يذكر الشواهد. وقد ذكر أيضاً معنى واحداً للضد مصحوباً بشواهد متنوعة ومشتقات الكلمة وما تعلّق بها من معانٍ. وقد انضم ابن السِكّيت إلى هذه المنهجية التي سار عليها كتاب قطرب الذي شذّب ابن السِكّيت محتواه[٤٦]، وبداية من تأليف السجستاني، أحاط البحث بالأضداد والمقلوب من العبارات وقد ذكر ١٧٠ ضداً منها ١١٦ مقتبسة عن قطرب. واقتصر مجهوده الفردي على ذكر بعض الأضداد وزنها انفعل من الفعل الأجوف والمضاعف، وكذلك على وزن افتعل ووزن فعيل وفعول. وكان الشك يحيط ببعض الكلمات الأخرى، فرتبها على حدة، وتخلّص من البعض الآخر المختلفة أوزانه. وقد خالف منهجه ما سار عليه ابن

---

(٤٦) حسين محمد، «الأضداد في اللغة،» اللسان العربي، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ١١٧.

السِكِّيت الذي اقتبس ألفاظه من أبي عبيدة والأصمعي، لكن لا تختلف طريقته كثيراً عما سار عليه ابن السِكِّيت، حتى في سرد الشواهد، الذي لم يخالف فيه التآليف السابقة. لكن السجستاني تجنّب الاستطراد الذي من شأنه أن يبتعد به عن التأليف في الأضداد، فاهتم بالمشتقات ولهجات القبائل وأحياناً القواعد النحوية المتعلقة بالأضداد. وكان من عادة السجستاني ذكر الضد مرفوقاً بمعنييه، ثم يستشهد أو يذكر المعنى الأول والشواهد ويُتبعه بالثاني. وكثيراً ما استشهد بالقرآن الكريم وقلّل من الحديث والأمثال. وكان يذكر السند في تفسير القرآن الكريم، وكذلك في تفسير الأحاديث. وقد تميز تأليفه بالترتيب وفاق فيه ابن السِكِّيت مشككاً في صحة ما ذكره هذا الأخير من الأضداد التي رتب أوزان أفعالها عليها.
وقد تبيّن أنه نقد نفسه نوعاً ما، واعترف بجهله لدلالة كلمة معينة خاصة في صورة معاني الألفاظ القرآنية، دون أن يرعى ذمة بعض النحاة أو اللغويين الذين داخلهم الخطأ. وقد انطلق كتاب أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (٣٥٧ ضداً) كما هي الحال في تأليف السجستاني، من مقدمة بيّن فيها المؤلف ما قرره من جمع الأضداد التي دوّنت في الماضي ومر عليها النسيان، رغم الكتابين السابق ذكرهما اللذين خلّف منهما ٣٠ ضداً. وسار هذا الكتاب أيضاً على النهج نفسه، فذكر الضد ومعنييه وما ينبغي من شواهد مستمدة من القرآن الكريم والحديث والشعر والأمثال، وذكر السند والمصادر وما يلي من شروح مستقصية الموضوع.
وكانت تلك الشواهد شاملة الأضداد كافة باستثناء ما اقتبسه، أو الأضداد المعروفة كثيراً.
وعند ذكره تلك الأضداد، توسع في شرح قواعد اللغة والنحو، وما روي عن القبائل، ولم يتردد في نقد ما قدّمه قطرب وابن قتيبة. وروى آراء متناقضة فاه بها اللغويون واستنبط منها أفكاراً سليمة. وقد تعلّق نقده بما ارتبط من معنى وعلاقته المزدوجة بوزنين للفعل (فعل وأفعل)، وأضاف المعنى النادر، كما انتقد فقدان الشواهد. وخالف منهجه ما سار عليه السجستاني الذي اعتمد معلومات مقررة، وصحح ما ينبغي تصحيحه، في حين أن الأنباري اعتمد ما أكّده اللغويون دون إغفال غيرهم أو تخطئتهم، لكنه حذف كثيراً منها. وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية ان كتاب ابن الأنباري في الأضداد يبدو أكثر قيمة من التآليف الأخرى التي عالجت هذا الموضوع، وذلك بفضل ما ذكر من ألفاظ وما تنوع فيه من شواهد، وما انتقده بكثرة ودقة من خواص الأضداد، وما قام به من استطرادات نحوية اقتبسها عن شيوخ النحو المشهورين. وكان ينبغي أن تدخل تحسينات على الترتيب تفيد استغلال الكتاب بصورة مضمونة، خاصة في موضوع أضداد الألوان والحروف والأدوات النحوية وأشباه الأضداد، لأن كل المعلومات المتلعقة بهذه المسائل كانت متفرقة في الكتاب. وما قام به أبو الطيّب اللغوي (توفي سنة ٩٦٢/٣٥١) مثل أول محاولة نظمت بصورة متكاملة موضوع الأضداد. فقد ضبط فعلاً جرداً محققاً لما سبقه من تآليف. وبعد تجاوز مرحلة الجمع والتدوين، بدأت مرحلة النظرة الناقدة إلى الأضداد، وأدت بأبي الطيّب إلى تقرير تقسيم كتابه إلى قسمين، خصّص الأول للأضداد المرضية، وخصّ القسم الثاني بالأضداد المشكوك في صحتها (٣٢٠ لفظة، وهو العدد نفسه الذي وُجد تقريباً في تآليف ابن الأنباري). بدأ القسم الأول بحرف الألف، ورتب فصولاً رُتّبت كلماتها ألفبائياً على الحرف الأصلي. أما القسم الثاني، فقد رُتّب على أربعة فصول تضمّن كل فصل صنفاً من الأضداد. ويبدو أن

هذا العمل قد بلغ مرتبة مهمة من النضج لأنه انطلق من تنظيم دقيق منطقي. وقد تضمّن معاني الأضداد وما يوافقها من شواهد، ثم إنه استقصى الموضوع كاملاً. وقد شرح الشواهد وذكر مصادرها بما فيها المصادر المزدوجة. وكانت تلك المصادر من القرآن الكريم والحديث والشعر وأقوال الصحابة والبدو، وما دار من أحاديث يومية، والأمثال. ولم يعوز هذا التأليف أفكار المؤلف التي أنارت ما أحاط الشواهد من شروح، وقد تجاوز ما كان من الاتجاه الأدبي الذي سار عليه ابن الأنباري وزاد قيمة. لكن ما يلاحظ لفائدة هذا الأخير أن شواهده من القرآن الكريم تكررت، وكذلك تعليلاته النحوية. وقد رتب كتاب ابن الدهان ألفبائياً على الحرف الأول، ولاحظ مؤلفه أن من سبقه كان ينص على ما يجب حذفه من الأضداد وأغفلوا ما يجب ذكره. وقد حاول المؤلف عرض محاولة مختصرة عن الأضداد دون إحاطتها بجهاز من الشروح، بل اكتفى بذكر الضد مرفوقاً بمعنييه المتناقضين، ملفتاً النظر إلى الصور المشكوك فيها. ولنتعرض لكتاب الصاغاني (٣٣٧ لفظة) الذي اعتمد جميع الكتب التي سبقته والمؤلفة في الموضوع. فوضع تأليفه المقتضب ورتبه على الترتيب الألفبائي الحاضر. ويبدو أنه كان أول من قام بترتيب عام تخللته بعض الهفوات، للأضداد على أصولها، مغفلاً حروف الزيادة. وقد أدرج الألفاظ كافة دون استثناء، وسار على نهج بموجبه كان يقدم الضد بدلالتيه المتناقضتين، ويحذف الشواهد وبعض المشتقات والمعاني الإضافية... وكذلك ألّف عبد الله بن محمد قائمة في الأضداد واقتبسها عن قاموس الفيروزآبادي، وكذلك ما وجده من ألفاظ معناها متقابل دون أن يُرتِّب بين الأضداد، فرتبها على الحرف الأصلي الأخير اعتماداً لما سار عليه القاموس في ترتيبه وشروحه، وينطبق ذلك أيضاً على رسالة محمد المدني في الأضداد.

وقد ظهرت في بداية العصر الحديث قصائد في الأضداد، ولنذكر مثلاً كتاب الأبياري (توفي سنة ١٣٠٥/١٨٨٧) المؤلف حوالى سنة ١٢٩٧/١٨٧٩. وقد استهدف مؤلفه مساعدة الكتاب على ضبط أساليبهم، فاقتبس من القاموس وأورد كل الألفاظ المعبرة عن الأضداد، وحذف أحياناً المعاني الشائعة. هذا، ومن المعلوم أن الترتيب على الحرف الأخير لا يمكن العمل به في القصيدة بالنسبة إلى الحرف الأوسط والأول. وقد شرح المؤلف كتابه في تأليف لم يتممه عنوانه **الرونق على الدورق**، شحنه استطرادات، وقد استكمله الحلواني. وقد عالج هذا الأخير القصيدة، فأورد كل الشروح النحوية والعروضية، وكذلك التعاليق والهوامش. وراج أيضاً تأليف **منبه الرقّاد** مجهول مؤلفه، وهو عبارة عن قصيدة اختلفت قافية كل بيت من أبياتها، وهو موجه إلى المبتدئين، بخلاف التأليف السابق. وقد ابتدأه مؤلفه، كما فعل الأبياري بمقدمة. وهو من القصائد المطبوعة في محتواها ومعانيها التي كانت أحسن من السابقة، وقد رُتِّب فصولاً على الحرف الأخير، ثم على الحرف الأوسط. وخصّص القسم الأخير منها للاشتراك اللفظي الذي تتميز مفرداته بقلب حروفها. وقد سلك المؤلف طريقة تخالف منهج الأبياري، فعمل على عرض المعنيين المتناقضين لكل لفظة، دون أن يقفّي القصيدة على قافية واحدة، وذكر أيضاً المعاني الأخرى لكل كلمة. وأشار إلى المشتقات والروايات الواردة في حق الأضداد، وقد جمعها مع بعض الأخطاء جمعاً مستقصياً، لكن

هفواته كانت أقل مما يظهر في كتاب **الرونق على الدورق**.

وإضافة إلى التآليف الخاصة بالأضداد، فقد خصص اللغويون فصولاً لهذا الموضوع في كتب ذات صبغة عامة. فمثلاً خصص أبو عبيد (توفي سنة ٢٣٣ أو ٢٣٠؟) في كتابه **غريب المصنَّف** فصلاً للنظر في الأضداد التي اقتبسها عن شيوخه، وشكك في صحتها لما أضاف إلى ما ذكره ابن السِكّيت، مع أن رغبته تعلقت بالاختصار. وقد أورد هذا المؤلف أضداداً حقيقية عن الفأل وروايات القبائل وما أغفله المؤلفون من المقلوب، وألفاظاً على وزن أفعل. وذكر المصادر الخاصة بكل لفظة، وما تضمّنته من معنى مزدوج وما يمكن الاستشهاد به، شارحاً الشواهد ومعلقاً على الشروح وذاكراً المصادر في كل مرة. وقد احتل تأليفه موقعاً وسطاً بالنظر إلى كتاب ابن السِكّيت وأبي حاتم السجستاني، اللذين توفرت فيهما الشواهد، في حين أن كتاب الصاغاني لا شواهد فيه. وقد أورد ابن قتيبة ٢٧ ضداً في كتابه **أدب الكاتب**، وذكر أحياناً شواهد من الشعر. أما الثعالبي في **سر العربية**، فيبدو أن موضوع الأضداد في رأيه يقتصر على ثمانية منها فقط، نص عليها في فصل قصير جداً، واستشهد على اثنين منها لا غير، لكن يمكن اقحام ثلاثة فصول أخرى من كتابه، في باب الأضداد، وهي تتضمن على التوالي ٧ و٢ و٤ أضداد. ولا ننسى أن ابن سيده قد خصص في **المخصص** فصلاً ذكر فيه ١٠٠ ضد، واعتبر ذلك بمثابة كتاب قائم بذاته. ورتب الألفاظ في مقدمته إلى مختلف ومترادف ومشترك، وألحق بها الأضداد التي بيّن أن أصلها في لهجات القبائل والحجاز. واعتمد بالتساوي على كتب أبي عبيدة وإبن السِكّيت واختصر أقوالهما بصورة واضحة دون أن يغفل تآليف غيرهما. وقد حذف أسماء المؤلفين من كتابه وكذلك الشواهد، ولم يذكر الضد إلا مرة واحدة. لكن أبقى الشروح وزاد عليها، وأضاف عدداً من الأضداد لم يُسبَق إليها. كان عمله مختصراً، وقد استحق أن يرتب بين كتب الأضداد بفضل ما دبجه في المقدمة، وما ذكره من ألفاظ والصورة التي عالج بها الأضداد. فقد استهدف فعلاً توضيح هذه القضية من الوجهة النحوية والدلالية. فكان كتابه يقع بين التآليف المتخصصة وقوائم الأضداد. وكذلك السيوطي في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، نجده قد خصص في **المزهر** باباً للأضداد (ما يقرب من ١٢٠) على طريقة ابن سيده، لكن عمله كانت تنقصه الشواهد. وقد اعتبر السيوطي أن الأضداد تشكّل قضية لغوية تستحق جمع ألفاظها في المعاجم وفي كتب اللغة، التي نقل هو عنها. وقد خالف نوعاً ما سلكه المؤلفون السابقون في خصوص اقتباس الأضداد من الكتب المخصصة لها وذكر المعنيين المتناقضين. وبعد أن حذف الشواهد والشروح والمشتقات، حاول ترتيب ما أورده السابقون من أضداد، فكان عليه أن يكرر القول في مسائل عدة، ولم يفلح فعلاً في تصنيف قوائم الأضداد كما يجب.

وجملة القول، إن ظاهرة الأضداد تؤثر في الأفكار لما هي عليه من طابع خاص، ذلك أن اللفظة الواحدة ينبغي لها فعلاً أن تتضمن معنيين في آن واحد متناقضين أيضاً. وقد شعر المؤلفون في الماضي أن على الأضداد أن تكون من ذوات الكلمات المختلفة. وقد ضبط ابن سِيده قائمة في ذلك محاولاً تحديد مثل تلك الكلمات المتميزة المتناقضة أو الشبيهة بها بحيث تكون مدلولاتها متعارضة أو تكاد. ولكن، وترقباً لوجود أضداد بأتم معنى الكلمة، فقد وافق

القدامى على ما شاع منها حسب تصورهم إياها، في حين أن اللغويين المحدثين اعتبروا قائمة الأضداد القديمة بمثابة الظاهرة التي يتميز بها الفكر البدائي. وقد تبلورت المناقشات حول فكرتين متناقضتين في الضد، في حين أن ذلك اللفظ لا يقابله أي لفظ آخر مناقض له. وكان معارضو تلك الظاهرة يقولون إنها ناتجة من مفعول محدود للهجات قبلية اندثر أغلبها، وإنه إذا لاحظوا فقدان بعض الأضداد في إحدى تلك اللهجات، فإنهم ما يلبثون أن يتخلوا عن البقية مدّعين أن المعنى الأصلي لتلك الألفاظ لا يخولهم ترتيبها بين الأضداد التي ينبغي أن تتضمن المعنى ونقيضه. لكن الأصل أن تلك الكلمات لم تتحمل ذلك المعنى المزدوج، ويضيفون أنه ربما أضيف لها ذلك المعنى بعد مدة. وحتى وقوع هذا الاحتمال، فقد رفضوا جملة تسمية تلك الكلمات أضداداً، لأنهم يعتقدون أن الكلمة تتصف بالضدية منذ البداية ودون واسطة ولا دعامة دلالية معينة تكسبها صفة الأضداد المجسمة في التناقض. وخلافاً لذلك، فمن أكد في الصف المقابل وجود الأضداد، فقد كان شاغله متمثلاً في اكتشاف هذا الصنف من الألفاظ في العربية. فبحثوا عن الدوافع الظاهرة التي عملت على خلق الأضداد، فوجدوها مثلاً في اختلاف لهجات القبائل ودونوها في باب التسمية العامة التي تؤديها كلمة أضداد. وكان ذلك بالنسبة إلى ألفاظ الصنف كافة دون تمييز ودون محاولة ادراك نشوء الأضداد ودون إنكار وجودها أيضاً. والملاحظ أن هذه الظاهرة لا تختص بها العربية وحدها، وأن اللغة لا تستنقص بالبحث في هذه الظاهرة وإضفاء تسمية عليها، مثلها في ذلك مثل بقية المسائل اللغوية المطروحة على البحث. بقي أن نتعرض لعدد الأضداد الذي اختلف من عصر إلى آخر ومن مؤلف إلى آخر. والمعروف أن البداية في الأضداد وجمعها كانت مع قطرب، ونمت المسألة وتطورت وزاد معها عدد الأضداد، وطبعاً يرتبط ذلك بالاعتزاز الأصيل بقدرة اللغة العربية ووفرة مفرداتها. فكان أن جمع الرواة ألفاظاً كثيرة لم يقرر مصيرها في باب الأضداد بصورة واضحة، وان مفهوم الضد ذاته لم يتبينه اللغويون إلا كازدواج معنى الكلمة بسبب تصور الشيء في الواقع ومجازاً! لكن القضية بدأت تتبلور لما انتهى اللغويون من تدوين الأضداد وشرعوا في تبين مداها الدلالي وتحديده، فزاد بذلك وضوح تصور الازدواج المعنوي. ومن المؤكد أنه لا يمكننا في الوقت الحاضر الموافقة في كل ما ورد في صنف الأضداد من اللغويين السابقين. وما يقال، مثلاً، عن الخلافات الخاصة بشروح الألفاظ القرآنية والأشعار والأمثال. فقد شاع أنها لا تتضمن ألفاظاً ازدوج معناها بل أن تواجه مظاهر التفسير والشروح والإدراك هي التي حولت بعض الألفاظ القرآنية إلى أضداد. ذلك أن استبطان الواقع وتحليله طبق رغبة المتكلم والتعبير عنه بألفاظ متناقضة، كأن يقال سليم بدل ملدوغ، ومعافى بدل مريض، استهدف التأثير في السامع والايحاء له بصورة رائقة. ان المتكلم والسامع يشعران تماماً بالمعنى الأول للكلمة المزدوجة دلالتها، لكن الصورة الفكرية تفصل بين الواقع الخارجي والواقع المتصور. وقد رتبت إضافة إلى ذلك الكلمات التي اختلف معناها، في باب الأضداد خطأ، لكن يمكن ردها إلى وضعها اللغوي الأصلي بفضل تقديم المعنى الواقعي الدقيق لتلك الكلمات، وهذا يعني أنه في الإمكان التخلي عن درجات عدة في تصور الأضداد. والمقياس الذي بموجبه يمكن اقصاء كلمة معينة من باب الأضداد هو أن توحّد دلالتها سواء كانت واقعية أم ذهنية. وما يمكن قوله أخيراً أنه ينبغي أن يكون الضد

كلمة وحيدة تعبر عن صورة واحدة ودلالتين متناقضتين حقاً متعارضتين بحيث لا يمكن التوفيق بينهما في الدلالة(٤٧).

٥ ـ علم أصول الألفاظ (التأثيل) والترسيس

من أجل تطوير علم الدلالة في اللغة العربية، تجدّ من حين إلى آخر أفكار أصيلة تحاول التقدم بذلك العلم. لننشر أيضاً إلى مشروع معجمي آخر، يعنى بالمتواردات (فرنسي ـ عربي) وهو مبوّب على المواضيع، وقد صنفه الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله، المدير السابق للمكتب(٤٨). وقد عمل أحد خبراء المكتب (الأستاذ عبد الحق فاضل) في هذا الاتجاه أيضاً، فوضع نظرية مؤسسة على علم أصول الألفاظ، استهدفت البحث عن الأصل المعجمي للكلمات، كأن يبحث مثلاً عن أصل كلمة انكليزية في اللغات الأنكلوسكسونية، وأصل كلمة فرنسية في اللغة اليونانية أو اللاتينية... وبالاستناد إلى ما قلناه عن الاتجاه الرامي إلى تقرير العربية أصلاً لجميع اللغات(٤٩)، وانها اللغة الأم في اللغات الآريّة أو الهندو/أوروبية وكذلك في اللغات الساميّة، فقد بدأ الخبير المذكور ينشر فكرته منذ سنة ١٩٦٥، فحاضر بالرباط والدار البيضاء في المغرب الأقصى، بغية التدليل على أن العربية نمت وتطورت لما كان لها من حيوية، فخدمت بذلك الحضارات القديمة وساهمت في ازدهار الحضارة الإنسانية(٥٠). وقد اقترح كلمة تأثيل مقابل (Etymology) مع الملاحظة أن لفظة تأصيل شاعت وصارت لفظة متداولة يومياً، لتضمّنها فكرة عامة موجودة في كلمة أصل الذي هو جذرها. ثم إن كلمة أصل وتأصيل شُحنتا شحنات دلالية راسخة فلم يعد مقبولاً تحملهما دلالة جديدة، ينبغي ـ زيادة على ذلك ـ أن تتضمن معنى علمياً خاصاً بالألسنية(٥١). فكيف العمل في هذا الاتجاه اللغوي الذي يرمي إلى بلورة المفاهيم والاصطلاح على أسماء دقيقة معبرة عن تصورات جديدة؟

لقد اتضح أن البحث عن أصل كلمة أو مجموعة من الكلمات لم يعد اليوم المهمة الوحيدة التي تتكفل بها الألسنية، وخاصة علم أصول الألفاظ. بل على الباحث أن يتابع تلك المجموعة طول الفترة التي انتسبت فيها إلى لغة معينة، في جميع تفريعاتها وعلاقاتها

---

(٤٧) حسين محمد، «الأضداد في اللغة،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ١٣ ـ ٣٥.

(٤٨) انظر: **اللسان العربي**: العدد ١٨ (١٩٨٠)، ج ٢؛ العددان ٢١ ـ ٢٢ (١٩٨٣)؛ العدد ٢٣ (١٩٨٤)؛ العدد ٢٦ (١٩٨٦)، والعدد ٢٨ (١٩٨٧).

(٤٩) **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ أغسطس ١٩٦٥).

(٥٠) عبد الحق فاضل، «لمحات من التأثيل اللغوي،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ أغسطس ١٩٦٥)، ص ١٥.

(٥١) عدنان الخطيب، «أغناطيوس يعقوب الثالث: ظاهرة في المعجم العربي جديرة بالدراسة،» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**، السنة ٤٣ (نيسان/ ابريل ١٩٦٨)، ج ٢، ص ٤٦٤.

بمجموعات أخرى، دون التوقف أبداً عن التساؤل في خصوص شؤون ذلك العلم[٥٢]. ومثل هذه القاعدة هي التي يمكن اختيارها لتحليل تاريخ الكلمة القديمة، مثلاً كلمة (arsenal) كما وردت في الانكليزية والفرنسية، وهي كلمة عربية أصلاً لكنها فقدت مظهرها فعسر التعرف إليها دون إضافة عبارة مساعدة على ذلك (دار الأسلحة في مصر قديماً، ثم عوِّضت بكلمة أجنبية هي ترسانة التي يحق لنا في الظاهر ربطها بكلمة ترس، وهو ما يحمي المحارب من ضربات عدوة بالصورة نفسها التي تحمي فيها الترسانة البلاد من هجمات الأعداء)[٥٣]. وقد كانت ردود الفعل على مثل هذه التعليلات تتصف إما بالمتابعة الايجابية من طرف اللغويين في الأقطار العربية وإما أن توصف بأنها شروح تقريبية لا تستند إلى أسس علمية. وقد ألّف ذلك الخبير كتاباً بعنوان مغامرات لغوية جمع فيه مقالات نشرتها مجلة المكتب، أورد فيها مثل تلك الشروح المقامة على مجهود لغوي لا شك في قيمته خاصة انه يستند إلى توضيحات مستمدة من مقارنات بين اللغات وما يحدث من تداخلات بينها. وتسمية هذا المجهود علماً ربما يبدو أمراً سابقاً لأوانه لأن الارتفاع إلى ذلك المستوى يقتضي تعدد الأعمال والأبحاث التي من هذا القبيل وتراكمها على سبيل التجريب اللغوي المخبري، ثم يقع تجميعها والخروج بمبادىء منهجية للبحث في هذا الميدان، وأخيراً يمكن الحديث عن إقامة نظرية علمية. وقد اشتق من أثل، تأثيل (الصفة أثيل ستقابل دخيل، ويجسم ذلك في جملة من الأبحاث).

وعلم التأثيل هذا يعني التمييز بين أصل الكلمة والتأكد بالخصوص هل أن الكلمة الشائع عنها أنها عربية لم تكن من لغة أجنبية، هذا مع الاعتراف ان علم أصول الألفاظ أوروبي. فكان طبيعياً أن تهتم أوروبا به لاشتقاق لغاتها من لغات أولى. أما في العربية، فإن الكلمات الأجنبية قليلة ولا تشكل نسبتها سوى ٣ بالمئة من مجموع الكلمات. وقد وردت إحصائية ضبطها الأب رفائيل نخلة مفادها أن عدد الألفاظ الأجنبية في العربية يقدر بـ ٢٥٠٣ لفظة، أو ٣٠٠٠ على أقصى تقدير، وأوضح هذه الظاهرة بإطناب في كتابه **غرائب اللغة**. لكن أغلب هذه الألفاظ لم يعد معروفاً أو شائعاً. وربما أن عدداً منها أصله عربي اقتبس قديماً عن اللغة العربية[٥٤]. وقد جمعت ٩٨٢ كلمة من اللغة الآرامية انتقلت إلى العربية. وإذا اعتبرنا أن العربية هي اللغة الأم، فإنه يتبين لنا أن هذه الكلمات المشتركة بين الآرامية والعربية هي أولاً من أصل عربي، لأن الآراميين نزحوا من بلاد العرب إلى بلدان الهلال الخصيب (القرن الخامس عشر قبل الميلاد). ومن الطبيعي أنهم نشروا لغتهم، فتم التبادل بين اللغتين. ففي الشام والعراق، كان البابليون والآشوريون من أصل عربي وتأثرت لغتهم باللغة الآرامية. فإذا كانت المادة اللغوية تملك جذراً مشتركاً بين العربية والآرامية،

---

(٥٢) Walter von Wartburg, *Problèmes et méthodes de la linguistique* (Paris: Presses universitaires de France, 1946), p. 109.

(٥٣) علاّل الفاسي، «فعالية اللغة العربية،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ أغسطس ١٩٦٥)، ص ٢١.

(٥٤) عبد الحق فاضل، «علم الترسيس،» **اللسان العربي**، السنة ٥ (آب/ أغسطس ١٩٦٧)، ص ١٨ - ١٩.

فمن العسير الفصل في قضية أي اللغتين اقتبست عن الأخرى. وما لا شك فيه أن العربية بحثت عن عشرات الكلمات في اللغة الآرامية خاصة في المادة الدينية (اليمين = القسم، من الآرامية yimi). وعلى سبيل المقارنة، اليمين هي اليد اليمنى عند العرب تفاؤلاً، وفي الانكليزية نجد (omen) بالمعنى ذاته حيث انطلاق الطائر ومعه خبر سعيد وهو قادم من اليمين، ولعل كلمة (yimi) الآرامية منتحلة من يمين إذا تابعنا هذه التعليلات اللغوية(٥٥). وقد عرضنا لما قدمه الأب نخلة من كلمات مناسبة لتحليلها وردّها إلى جذورها العربية بفضل التأثيل بحيث يقع تعريبها ووضعها في المعجمية العربية بعد أن كانت مفردات تنسب إلى الآرامية(٥٦). إن هذه الطريقة المنتهجة في البحث عن أصول الألفاظ تحاول أيضاً طرح قضية مكاسب الأبحاث التي دارت في موضوع اللغات الحاميّة السامية، وذلك بالجمع بين الكلمات والقيام بمطابقات تتيح العمل بنظرية التأثيل المقارن: الدرب دربو في الآرامية، (the gate) في الانكليزية، هي كلمة من أصل عربي عرفت في الآشورية (دُور) والفارسية (دَرْ) والانكليزية (door)(٥٧). وهكذا ندرك أن الكلمات الأجنبية التي دخلت العربية تعود إلى أصل آشوري أو فارسي أو لاتيني أو حبشي. وما فعله الأب نخلة هو وضع قائمة بتلك المفردات التي كانت قبل ذلك مضطربة الجذر، إضافة إلى أنها وردت في كتابه على أوزان مختلفة وكانت مشتقة بصورة زادت من عددها (الهَنْدس، الهَنْدَسة، الهَنْدُوس). وقد استخرج ١٧ لفظة من خمسة جذور، ويضاف إليها كل الألفاظ الممكن اشتقاقها واعتبارها ألفاظاً أجنبية. وقد اختصت بعض هذه الكلمات الشائعة قليلاً بحرفة معينة (في الطب والأدوات)، ولا يمكن اعتبارها عربية لعدم استعمالها، مثلاً ألفاظ الحضارة في الماضي التي لم تعد شائعة في أغلبها. ويمكن القول انها دخلت العربية وغادرتها وبقيت بمثابة الشواهد في المعاجم، ولعل من المناسب التفكير في جرد الألفاظ المهجورة.

وبإخضاع هذه الألفاظ إلى طريقة التأثيل، يلاحَظ أن نصفها تأثيله عربي، وان ثلثها كله من أصل أجنبي، ويمثل ذلك ١ بالمئة من مفردات اللغة العربية التي بلغت ما يقرب من ١٠٠,٠٠٠ لفظة. والخطأ أن نستثني المتكلمين من غير البدو الذين لم يتكيفوا مثلاً بالحياة الزراعية وأدواتها وأشغالها. والملاحظ أن اليمن كان بلداً زراعياً خصباً استخدم لغة خاصة يمكن ألا تكون من أصل آرامي، كما أكد ذلك الأب نخلة الذي قام لا محالة ببحث رزين موضوعي بدأ بما كان من لفظ دخيل في القرآن الكريم. وفي الجملة، لا ينبغي التسرّع في إضفاء أصل أجنبي على لفظة حضارية مشتركة بين العربية واللغات الأخرى (خيمة: قيل إن أصل الكلمة من الحبشية، في حين أنه يقال بيت الصحراء من تأثيل عربي بحت لا مراء في ذلك). ويرى ليسيرف (Lecerf) أن كلمة بيت من اللغة السامية المشتركة هي الخيمة عند

---

(٥٥) عبد الحق فاضل، «دخيل أم أثيل،» اللسان العربي، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير، ١٩٧٠)، ص ١٨ - ٣١.

(٥٦) المصدر نفسه، ص ١٨ - ٣١.

(٥٧) المصدر نفسه.

الرحل، والمنزل عند المستقرين، والبيت الحرام عند الحجيج . . .»[٥٨]. الواقع أن ألفاظ الحضارة وفيرة في اللغة العربية، وكذلك الأمر بالنسبة إلى ألفاظ «البداوة» التي هي أكثر عدداً، ذلك أن رواة اللغة جمعوا الكلمات من البدو أول الأمر، وبالخصوص. وقد رفضوا لغة الحضر، حتى اللغة الشائعة عند القبائل القاطنة قريباً من الأمصار والثغور، فقامت بذلك مواجهة لغوية بين الحضارة البدوية وحضارة الأمصار، من ذلك ما اكتُشف من كتابات في بلاد العرب كافة[٥٩].

أما المظهر الثاني في علم أصول الألفاظ، فهو مجسّم في مدرك ولدت له لفظة جديدة مشتقة من رسّ، هي الترسيس ويقابلها بالانكليزية واللغات الأوروبية الأخرى (radixation) (من اللاتينية radix). والمنهجية المتبعة تحاول الرجوع إلى الأصل الأول كما كانت في بدائيتها، وتجاوز ذلك وتقصيّ الكلمات التي عبّر بها الإنسان الأول مروراً بمراحل التغييرات الطارئة على الكلمة. والمقصود هو إيجاد حلقات السلسلة، كما حصل في البحث عن منبت الإنسان والحيوان. ان اللغات الأوروبية لم تتجاوز مرحلة التأثيل، فلم تتمكن من القيام بأبحاث حول مفهوم اللغة الأم. وقد بدا من العلامات الأولى التي سيؤيدها البحث العلمي المركّز المتعمق أن معطيات جدّت في عصر ما قبل التاريخ أيّدت وضع العربية كلغة أمّ منذ ١١,٠٠٠ سنة، فكانت مرتبتها إذاً الأولى لا بالنسبة إلى اللغات الحاميّة الساميّة فحسب، بل أيضاً بالنسبة إلى اللغات الآرية. لا شك أن عدة كلمات عربية قد زالت كما كان الأمر بالنظر إلى بني الإنسان، لكن الجرثومة الأولى والخلايا ما فتئت تدب فيها الحياة، وقد تمخضت وحدات صوتية عدة عند حدوث التحويرات التي خضعت لها ألفاظ الحضارة، سواء تم ذلك بالعربية أم بغيرها من اللغات. وإذا كان التأثيل علماً أوروبياً خاصة، فإن الترسيس علم تختص به اللغة العربية. ولم تعمل اللغات الأخرى في هذا السبيل، إذ ليس لها الظروف النوعية التي مرت بها العربية فجعلتها قادرة على القيام بهذه المهمة، واكتشاف رسوس عدة في كلمات آرية، وأكثر من ذلك، في كلمات من المجموعة الحامّية الساميّة، محاولة في الوقت نفسه إقامة الصلة بين هذه الرسوس البدائية وألفاظ الحضارة العصرية. ومن الأمثلة على ذلك، كلمة نهر من الفرنسية القديمة (rivière) واللاتينية (ripa). فتطبيقاً لطريقة الترسيس، يمكن رد (ripa) إلى رسّة التي تقابلها ريف في العربية وهي الأرض القريبة من الماء (ساحل = ريف البحر). وبعد بلوغ كلمة ريف (rio بالاسبانية) التي تطابق (riviera) بالايطالية توسعاً في الدلالة، فقد تطور معنى ريف إلى الدلالة على الأرض المزروعة الخصبة، وهو موقع الأرض القريبة من الماء، ثم صارت تدل على جهة في البادية بأقطار المشرق. وكانت كلمة river تتضمن رساً وهو عبارة عن صوت هوائي فيه نفخ (هُو، أوُ، أوُ، أوُ، هَـوَاء، هَبَاء، هَبَاب، أبَـاب، آبْ ـ آلْ ـ رَالْ ـ رَافْ (وريف) ـ rivier - riviera - ripa - river - rive. تلك هي التحويرات الطارئة على هذه الكلمة منذ أن نطق الإنسان البدائي الناطق بالعربية هُوْ، أو،

---

(٥٨) *Encyclopédie de l'Islam*, vol.1 (1960), pp. 11 et 74.
(٥٩) فاضل، المصدر نفسه، ص ١٨ ـ ٢٠.

أو، أو،) إلى أن استعمل المتنبي كلمة ريف وشكسبير كلمة (river)[٦٠]. وبما أن هذه الأبحاث تتداخل فيها لغات أجنبية عدة، فقد صار لزاماً على اللغوي الأوروبي دراسة المعجمية العربية بصورة متعمقة استيعاباً لجذور هذه اللغة. وتشكّل فكرة الترسيس هذه أساساً لعلم آخر موضوعه البحث في نشأة اللغة، وسيترتب عليه دون شك إعادة النظر في بعض النظريات الراسخة ودعوة اللغويين من مختلف الأمم إلى دراسة العربية بكل متفرعاتها ليكون ذلك قاعدة متينة ننطلق منها لمراجعة فقه اللغة العالمي الذي ينبغي تخطيطه في مناهجه وطرقه، فيتاح بذلك لعلم الترسيس التقدم وتصحيح الاتجاه والتخلي عن الاضطراب، والسير في النهج القويم. ولم يعرض هذا التصور الجديد للعمل اللغوي لأسباب قومية أو دوافع أخرى، بل انه استهدف ما نطق به البشر في صحراء بلاد العرب في فجر الإنسانية، لأن تلك الأرض كانت بمثابة الملتقى للتبادل بين الحضارة والثقافات[٦١]. ولا شك أن العربية فقدت عدداً من الألفاظ التي عوّضتها مفردات أخرى رفضها اللغويون لاختلاطها باللغات الأجنبية أو أنها لم تعد تستجيب للحاجات الجديدة. وقد فُرض مبدأ صيانة اللغة لإفراطه اتجاهاً معيناً تسبب في اغفال جرد هذه الكلمات. وطبعاً لا يمكن أن تكون مثل هذه الاستنتاجات والافتراضات إلا محدودة القيمة في حقل البحث اللغوي القائم على مبادىء الترسيس المستمدة من التحريات اللغوية: آب = ماء في العربية القديمة جداً له المعنى ذاته في الفارسية، لَبْ بالفارسية تعني شفة، ووجد في العرب لُبّ، صوت يحدث عند الرضاع، ولبّ اللوزة، ولوزة لعلها صورة أخرى من لبّ التي صارت لَبّ بالفارسية. وعلى هذا النحو نجد عبارة لبيك كرد إيجابي على نداء، وذلك لدى انفتاح الشفاه، وهي مثنّى لَبّ وفعله لَبّى يُلَبِي، دلالة على الأمر. وكذلك بَلَى في صورة رد مثبت على استفهام. فهذه الكلمة ذات رس عربي انتقل إلى الفارسية وإلى عدة لغات أوروبية (lip بالانكليزية، lèvre وlabial بالفرنسية). وسمي القطر المعروف لبنان إذ كساه لون اللبن، وقد سماه الرومان والاغريق Levant اقتباساً لاسمه القديم لُبَان. . .

وينبغي التذكير بأن هذه الكلمات لم توضع وضعاً مقصوداً لذاته بل إنها ناتجة من أصوات بدائية نشأت منها أفكار جديدة بقيت بقاء الكلمات ثم تخصصت وأدت معاني قريبة أو متباعدة عن الدلالة الأصلية التي أمكن أن تكون قد اكتست معاني مجازية. فمثلاً يمكن افتراضاً واستناداً إلى أصول الكلمات المتوازية تشكيل مجموعة دلالية حول الوحدة الدلالية السابقة (لبّ) والقيام بذلك التنقيب اللغوي في لغات عدة، وذلك بعد أن تفرقت عناصر تلك المجموعة عبر المعاجم[٦٢]. ومن الواضح أن نظرية التأثيل وما يرتبط بها من ترسيس استمرت في ضوء مبادئها في التنقيب عن الكلمات التي تجمع تحت عنوان الدخيل أو الأثيل،

---

(٦٠) فاضل، «علم الترسيس،» ص ٢٠.

(٦١) المصدر نفسه، ص ١٨ ـ ٢٨.

(٦٢) عبد الحق فاضل، «الحمّال والحبلى والغلام والملح،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٤٤٩ ـ ٤٥٤.

أي أن التساؤل يحوم حول رسّها، أو للتدليل على أنه يمكن ردها إلى جذرها العربي لانتمائها إلى إحدى اللغات الأخرى. ومن التحليلات المستمدة مادتها من فقه اللغة المقارَن الذي ينبني على اللغات القديمة والحديثة، من ذلك ما نجده بخصوص «السم»: «مادة تسبب الموت بدخولها الجسم». أر: تدخل تحت مادة (س م) في المعجم العربي معانٍ كثيرة عجيبة متباينة ترجع إلى أثول لغوية مختلفة. ولعل أثل (السم) بالمعنى الطبي هو (الشم) لأنهم كانوا وما زال بعض العامة ولا سيما القرويين يعتقدون أن شم بعض الروائح يسبب المرض أو الموت للوليد الرضيع إنساناً كان أو حيواناً...»[63]. ومثل هذه المقارنات المعقدة تجد عند مبتكرها الحل بفضل وفرة المواد في المعجم العربي الذي يشكل لديه العمدة الموثوق بها، ولعل هذا الموقف يرتبط بقاعدة مبدأية تقول بأن العربية هي اللغة الأم وإنه يمكن رد المفردات الموجودة في باقي اللغات إلى رسوس عربية. وبالطبع هناك من يتساءل عن الإكثار من الاعتماد على الآرامية، ذلك يفرض قدم الصيغة «بحيث كانت موجودة في لغة الآراميين مذ غادروا المعربة فانسلخوا عن المجموعة الأعربية، وإن المعجم ـ أي العرب ـ ظل يحتفظ في ذاكرته بتأويل التسمية»[64]. وتشمل أيضاً التنقيبات التي من هذا القبيل تعليقات على بعض مواد المعجم وما تضمنه من معنى الازدواجية والتناظر في الشرح[65]. وقلب حروف الكلمة يمكن أن يكون بداية لاستنتاجات لغوية، كما في اللسان الذي سمي (نسالاً). «والمسألة هنا ليست مسألة استنتاج وحسب، فإن بعض اللهجات المغربية تسمي اللسان (النسال) فعلاً. وقد استغربت حين طرقت اللفظة سمعي أول مرة وحسبتها تحريفاً عامياً للفصيح، كما هو شأن الدارجات أحياناً، لكن التأثيل قادني إلى عكس هذا الظن أي إلى الاعتقاد بأن (النسال) هو إثل (اللسان) بالفصحى، وإذا بالفصحى هي المحرفة للكلمة... العامية!»[66]. وقد تطرّق البحث إلى أقوال المستشرقين المؤيدة اقتباس العربية كلمات من اللغات القديمة دون العكس[67]. ولا يكفي قرع الحجة بحجة مثلها خاصة في اللغة وقضاياها، فاتضح أن المجهود المبذول يستند إلى البحث في كتب اللغة زيادة على المعاجم، وإلا تترك المصادر في سبيل «المغامرات اللغوية» التي لا تنبني على أساس علمي سليم بحيث لا تعالج المسائل القائمة بالشطط والافراط في غمط مزايا اللغات الأخرى وفرض سيطرة العربية عليها، فذلك يعتبر من الأجحاف البسيط إضافة إلى رفض المنهجية العلمية لذلك.

وعلى ذلك، نجد صاحب النظرية يعترف بفضائل اللغات: «الآرامية لغة عظيمة خدمت البشرية وحملت مشعل الحضارة قروناً طوالاً، وحلّت محل البابلية فخلفتها كلغة دبلوماسية بين مختلف أقطار الشرق الأوسط. ونحن إذ نقول إنها اقتبست من العربية أو أنها بِنْتُ العربية لا نعني الحطّ من شأنها ولا تناسي فضلها. لكننا لا نؤمن بأن كل كلمة مشتركة بين اللغتين أثلها آرامي، ولا سيما الحضارية منها، والبابلية أقدم من الآرامية وأكثر مساهمة وابتكاراً في المضمار الحضاري، وهي مع ذلك مقتبسة من العربية وبِنْتُ العربية»[68].

---

(٦٣) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ١، ص ٢١.

(٦٤) فاضل، «دخيل أم أثيل».

(٦٥) دفع الله الترابي، «نحو التعريب في مجال العلوم والتكنولوجيا،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ص ٨٨.

(٦٦) عبد الحق فاضل، «الأنثى والنملة والنسناس،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ص ١٣.

(٦٧) عبد الحق فاضل، «مكة وحمورابي،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ص ١٢٢.

(٦٨) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ص ٣٥.

الفصل السادس

التعريب والأبحاث في النحو العربي

١ ـ نشأة النحو العربي

لقد أبدت الألسُنية رأيها في موضوع النواميس النحوية، وقدَّرت ما لها من قيمة في كل لغة. وقد ذكر أن النحو ليس علماً بل إنه يبغي تفسير المسائل اللغوية من الوجهة النفسانية، مما يتيح نقل الرسالة وفهم المتكلم. ثم إنه ينبغي وضع تلك المسائل خارج النحو القياسي والألسُنية المقارنة، وردّها إلى نحو إعلامي يُعتبر وسيلة لممارسة اللغة ممارسة عملية. أما القواعد النحوية، فهي تكيف العبرة لا بصفتها صيغة منطقية بارزة مطبوعة بمظهر شكلي اصطلاحي، بل كأدوات في خدمة الكلام الموضوع. والملاحظ أن ما يجدّ من خلاف بين النحو والمنطق يتمثل في أن المقولات النحوية والمقولات المنطقية يندر أن تكون متوافقة، ويكاد ألا تتطابق أبداً مقولات النحو ومقولات المنطق[1]. والواقع أن النحو عليه أن يمثل الكلام في حركته بكل اتفاقاته وتشعبه، وذلك بالنسبة الى كل لغة وارتباطاً بعنصرَي الاسم والفعل، وبواسطة الأدوات النحوية التي تكتسي قيمة معينة والمستعملة استجابة لحتميات نفسانية لغوية، وذلك بغية تقريب النحو من الواقع اللغوي المتمثل في اللغة الشفوية التي تتجاوز كثيراً الأنواع اللغوية الأخرى كافة. ذلك أنه لا يمكن تحديد ذلك الواقع في صور نسقية إذ إنه يمكن أن تجمع الفكرة حولها العناصر الضرورية لدراسة اللغة، وأن تربط خاصة بين العناصر الصرفية والعناصر الوظيفية[2]. وإذا نقلنا هذه المبادىء إلى واقع اللغة العربية، نجد أن الصرف الذي أثار خلافات حول العمل بما سنّه من تقعيدات، قد تمكّن لا محالة من ضبط عدة مبادىء ما زالت صالحة إلى الآن: فالكلمة لا يمكن قبولها أول مرة إلا إذا كان

---

(١) Joseph Vendryès, *Le Langage: Introduction linguistique à l'histoire* (Paris: A. Michel, 1950), p. 133.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣١، ٩٨، ١٢٨ و١٩٠.

منشؤها في البادية وبالصور التي شاعت فيها. وصار ذلك الاتفاق بمثابة القواعد الوضعية بعد أن أيدها الاستعمال تأييداً اعتبر كافياً. وحتى بعد قطع تلك المرحلة، لاحظ النحاة أنه لا يمكن ضبط اللغة بواسطة القياس وحسب[٣]. والصرف العربي تضمّن قواعد يسر بفضلها العمل اللغوي واستغل ذلك الشعراء والكتّاب للتلاعب بالمفردات والزيادة فيها أحياناً[٤].

وقد وضع بعض الدارسين النحو العربي في موضع وسط بين النحو الهندي الذي تميز بدقته وأصالته وتجاوز في ذلك نحو الاغريق، بفضل شهرة أحد علمائه بانيني (Panini) في أواسط القرن الأول قبل الميلاد. وقد سن النهج الذي سارت عليه الأبحاث اللغوية الهندية ـ الأوروبية المقارنة وبين نحو اليونان الذي تجسّم في تأليف عن فن القواعد اليونانية لديونيسيوس تراكس (Dionysios Trax)، قسم فيه الخطاب إلى ثماني مقولات، واقتبس عنه منهجه النظام النحوي اللاتيني[٥]. ونشأة تقسيم الخطاب إلى فعل واسم وحرف ينبغي البحث عنها في الفلسفة اليونانية وحتى في التصور اللاتيني النحوي. وعلى ذلك تمت المطابقة بين (ter-minus, syndesmos) وبين الحرف الذي يدل، حسب سيبويه، على عنصر في اللغة يستحيل تحديده تحديداً شكلياً، لكن يمكن تعريفه في حدود الوظيفة التي يقوم بها. فمثلاً «جاء لمعنى» هي التحديد الوظيفي الواسع الذي وصفت به الوظيفة الشاملة للحرف، لا جوهره[٦].

وبذلك يكون الحرف دالاً على فكرة ليست الفعل أو الاسم: فعل = rhema باليونانية، واسم = anoma، وهما مجرد صدفة في تسميتها[٧]. وقد وجدت بعض التصحيحات بحيث تبينّ أن النحو العربي لم يقتبس من النحو اليوناني سوى بعض عناصره. واتجه البحث في الوقت الحاضر عن نشأة النحو العربي في لغة الفقه خاصة، وإن القواعد اليونانية لا تتفق والنظام النحوي العربي[٨]. ثم إن التصور النحوي العربي لم يتأثر عميق التأثر بالنحو اليوناني لأن العربية تملك علامات إعرابية يشترك فيها الإعراب والصرف إذ إنهما لم يقصرا علاقاتهما على بعض الأمور المتماثلة في علامات الاعراب، بل إن تلك العلاقات عميقة الجذور فنجد موازاة كبيرة بين صيغ الفعل. وقد اعترف النحاة العرب أنفسهم بتلك الموازاة في ما وضعوه من ألفاظ[٩]. الواقع أن الذي وضع النحو العربي حسب الأقوال المشهورة لم يكن شخصاً

---

(٣) محمد الخضر حسين، **القياس في اللغة العربية** (القاهرة: المكتبة السلفية، ١٩٣٤)، ص ٤٨، ٤٧ و ٧٩.

(٤) A.J. Arberry, *Arabic Poetry* (Cambridge: Cambridge University Press, 1965), p. 21.

(٥) انطوان شال، «اللغة العربية في مرآة قواعدها القومية،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٧٥، وابراهيم مدكور، «منطق ارسطو والنحو العربي،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة) (١٩٥٣)، ص ٣٣٨.

(٦) *Revue d'études islamiques* (1972), p. 85.

(٧) شال، المصدر نفسه، ص ٧٩.

(٨) M. G. Carter, «Les Origines de la grammaire arabe,» *Revue d'études islamiques* (1972), p. 70.

(٩) Vendryès, *Le Langage: Introduction linguistique à l'histoire*, p. 139.

واحداً، بل توالى على استكمال هذا العلم ما نُسب إلى علي بن أبي طالب، ابن عم الرسول ﷺ من ابتكار في هذا الحقل صحبة أبي الأسود الدؤلي. وبذلك يمكن أن نتخلى عن الفرضية المطلقة القائلة بأن النحو العربي إنما هو صورة من النحو اليوناني خاصة، وإن التصورين يختلفان في جوهرهما. من ذلك أن واضع النحو العربي لو جارى تقعيدات النحو اليوناني لوجب عليه العمل بتصور اليونانيين للزمن، وكذلك طريقتهم في التحليل والتحديد والمصطلحات(١٠). وإذ قبلنا أن النحو عامة ظهر عند السريان، إذ اتصل نحاتهم بالاغريق والفرس ثم بالعرب خلال الفتح في بداية القرن السابع، فمن المتوقع أن اللغات اليونانية والفارسية والعربية قد أثّرت في السريانية التي اقتبست من اليونانية نواميسها النحوية رغبة منها في أن تصير لغة مقعّدة، ثم إنها اعتمدت النحو العربي كما كان في العصر الجاهلي لتشابه بناه وبنى السريانية(١١). ومن الصعب التصديق أن النحو تأثر تأثراً عميقاً بمثيله اليوناني، خاصة أنه كان قريباً جداً من التقعيدات اليونانية التي عبّرت أحسن تعبير عن البنى النحوية العربية. فقد كان كتاب سيبويه منسقاً تنسيقاً منطقياً يذكّر بما كان معمولاً به في المقولات اليونانية المتمثلة في تقسيم الأبواب النحوية إلى اسم وفعل وحرف، وما تضمّنه من تحديدات وقواعد وأمثلة. ويمكن التساؤل: هل إن مثل هذا التصنيف قابل أن يكون أمراً عادياً بالنسبة إلى عالم من طراز سيبويه، وهل أن الشخص الذي لم تكن له علاقة بالفكر اليوناني ينبغي أن يكون جاهلاً كل منهج منطقي؟(١٢). وعلى هذا الأساس وجد حتى من بين المستشرقين من يعزو وضع النحو العربي إلى الخليل، واستكماله من طرف سيبويه تلميذه. ويمكن أن ننسب السبب الذي وُضع من أجله النحو إلى علة دينية بحيث يكون النحو في اللغة العربية بمثابة الدليل لفهم القرآن الكريم. ولنذكّر بأن الخليل هو الذي صنّف الكلمات إلى مجرد ومزيد (ثلاثة حروف على الأقل وخمسة على أكثر تقدير). وقد شاركه سيبويه في وضع التمارين النظرية المتمثلة في طلب المعلم من تلميذه تطبيق القاعدة على مثال غالباً ما يكون مختلفاً موضوعاً لا يستند إلى أية رواية. وقد ساد في كتاب سيبويه العمل بالقياس بصفته قاعدة للمبادىء النحوية والصرفية(١٣). والنتيجة المتمثلة أمامنا الآن أن النحو العربي صنّف لأجل فهم الدين الاسلامي وصيانة القرآن الكريم من الخطأ واللحن الذي تسرّب عن طريق أفواج الأعاجم الداخلين في الاسلام، لتداخُل لغاتهم باللغة العربية، حتى ان قراء القرآن الكريم كانوا نحاة في آن واحد. وقد ضبط النحو العربي تقعيداته انطلاقاً من القرآن والحديث والشعر الجاهلي، ولم يحاول اعتماد أدب العصر الأموي، ولا ما تتيحه الألسنية المقارَنة من

---

(١٠) ابراهيم السامرائي، «الفصل والنظام الفعلي في العربية،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (بغداد)، السنة ٦ (١٩٥٩)، ص ٢٧٩.

(١١) زاكية محمد رشدي، «نشأة النحو عند السريان وتاريخ نحاتهم،» **مجلة كلية الآداب** (القاهرة)، العدد ١ (١٩٦١)، ص ٢١٥.

(١٢) أحمد محمد صبحي، «بين أصول التحديث وأصول التأريخ،» **مجلة كلية الآداب بجامعة طرابلس** (١٩٧٢)، ص ١٤.

(١٣) شوقي ضيف، **المدارس النحوية** (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨)، ص ٤١، ٣٥، ٥ و ٨٧.

إمكانات في ذلك العصر: مقارنة باللغة السامية وبالأحرى بلغات أخرى. بل إن النحو انغلق في أمثلة مصاغة تُستنبط منها القواعد، فلم يتمكن من الارتفاع من الخاص الى العام. ذلك أن القرآن الكريم كان بمثابة الكلمة والعقل والمنطق، وبذلك كانت اللغة العربية كاملة كمال خالقها وكمال المنطق الإلهي. وكان مبتغى النحاة أن يكشفوا عن أسرار العربية[14]. وكان منهجهم قائماً على الاعتقاد أن اللغة «مبنية نفسها بناء منطقياً وينبغي له أن يستدل على منطق هذه القواعد ويبرهن على أن كل كلمة أينما تقع في هذا المكان على أساس من المنطق السليم، وانطلاقاً من ظواهر استثنائية معينة يقيم النحويون العرب المتأخرون - باستدلال صارم - قاعدة لغوية مطلقة. وقد مثلت هذه القاعدة دوراً صغيراً في مرحلة النحو العربي المتقدمة لأنها غير عقلانية ولم تلائم حياة اللغة، بيد أن هذا الدور نما فيها بعد نمواً غير طبيعي وأصبح النحو علماً محتاجاً إلى استدلال ومعيار بدلاً من أن يكون علماً مفسراً وشارحاً»[15]. وأول من بدأ بجمع تلك الأسرار هو سيبويه طبعاً الذي دوّنها في تأليفه **الكتاب**[16]. ويغنينا عن الاطالة في الحديث عن تأثيره العميق في التفكير العربي اللغوي عامة ما أُلّف بعده في النحو، وكذلك ما أُلّف من خلاصات له أو بوحي منه. وإن كانت له مزية فهو ما بذله من جهد لمكافحة اللحن الذي بدأ يتفشى مع تكاثر الأعاجم المسلمين. «فيعمد سيبويه إلى استنباط قواعد نحوه وصرفه على أساس الأغلبية دون أن يحددها (وقد أنكرت عليه ذلك مدرسة الكوفة)، وطالب بالقياس عليها، واعتبر كل أسلوب عربي خارج عليها شاذاً أو لغية يجب إسقاطها من اللغة العربية كتابةً وحديثاً»[17]. ولا يمكن إغفال نشوء المدارس النحوية في أصقاع العالم الاسلامي بفضل ذلك التأليف، مثلاً في الأندلس والمغرب رغم أن علماءهما عرفوا النحو من مدرسة الكوفة أولاً وكتاب الكسائي، قبل أن يطّلعوا على ما حققته البصرة في هذا الحقل الذي تجسّم خاصة في ظهور تأليف سيبويه[18]. وقد تدارسه أهل المغرب بشغف كبير رغم أن مؤلفه لا يورد الحديث حجة بل قدّم القياس على كل ما سواه وفي الجملة، «فقد ظل الميل المغربي لمذهب الكوفة قائماً حتى بدت نظرية ابن حزم أولاً ثم جاءت الثورة الموحدية»[19]. وامتد أثر **الكتاب** أيضاً إلى نحو اللغة العبرية الذي ربط منهجه بمنهج سيبويه[20]. كما اعتبر **الكتاب** إسهاماً في بناء تاريخ علم اللغة في العالم لكون مؤلفه من أوائل الرواد في التقعيدات النحوية النظرية التي لها أبعاد فلسفية ومنطقية يمكن استغلالها في التكوين الفكري الشامل.

وإن كان لكتاب سيبويه هذا التأثير البالغ خارج الاطار العربي، فمن باب أولى أن

---

(١٤) شال، «اللغة العربية في مرآة قواعدها القومية،» ص ٧٦ - ٨٠.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٨٠.

(١٦) حنا جميل حداد، «حول كتاب سيبويه،» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ٦، العددان ٢١ - ٢٢ (تموز/ يوليو - كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٣)، ص ٧٩ - ٩٨.

(١٧) **اللسان العربي**، السنة ١٢ (١٩٧٥)، ج ١، ص ٧٦.

(١٨) انظر: حسين محمود حسين، «بين الكوفيين والبصريين،» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ٤، العددان ١٣ - ١٤ (تموز/ يوليو - كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨١)، ص ٧٦ - ٨٧.

(١٩) المصدر نفسه، ص ٨١.

(٢٠) المصدر نفسه، ص ٩١ - ١٠٦.

نواصل اليوم تدارسه وتسليط قواعد الألسنية المعاصرة على محتواه، بغية استنباط نظريات جديدة تخدم قضية تطوير اللغة العربية بعامة وقضية التعريب بخاصة، وهي التي تشمل تعريب اللفظ وتعريب التفكير أيضاً مما علق به من رسوبات الماضي ومن مخلفات التفكير الأجنبي الذي اعتبر في وقت ما أن العربية من اللغات غير الصالحة للمعرفة وتكاد تكون من اللغات الميتة. والمؤكد أن الكتاب أنقذ الفصحى بفضل إشاعة التقعيدات الضامنة لصحة الكلام العربي وفصاحته، ولم ينطلق نحو ذلك الهدف من عدم طبعاً، فقد كانت الدولة الأموية تعمل بعقيدة راسخة، في سبيل حماية العربية الفصحى، ترقُّباً لنشأة النحو العربي الضامن لكسب العربية على قواعد سليمة. وجاء النحو حوالى عام ٧٥٠ فشكّل في مرحلته الأولى صيانة تدرّج بها نحو العربية في النصف الثاني من القرن السابع، وهي الفترة التي ضُبط فيها القرآن الكريم ورسم العربية المقعد بموجب اصطلاح كتابي وقع الاجماع عليه، تلافياً لضعف الذاكرة الحافظة كتاب الدين ومتن اللغة. ثم بدأت المحاولات الأولى لوضع النظام النحوي المتلاحم الذي تجسّم في المرحلة الثالثة بظهور كتاب سيبويه[٢١]. وبعد أن تفوق الكسائي برأيه على رأي سيبويه، صار النحو العربي موضوعاً للدراسات الشكلية التي لم تعد لها علاقة بالنحو الوظيفي. ذلك أن الكتاب لم يَصُغْ نظرية نحوية مستقلة قائمة الذات، بل تضمّن مبادىء في البحث اللغوي ما تزال صالحة إلى اليوم وقابلة للتطبيق. وحتى في عصر ظهوره، فقد كان محل تحقيقات، مثلاً ما قام به المبرّد في مراجعة المسائل وتخطئة سيبويه في ذلك، كما أنه كان محل تقدير طبعاً. فقد انشغل مؤلفه كثيراً بالترتيب والتبويب أكثر مما عمل على توضيح المسائل وتحديدها، ويبدو أن المنطق العملي غلب عنده على المنطق النظري المجرد. لكن سيبويه انفرد بنظرية العوامل في حين أن المازني، مثلاً، ميزها كما ميّز الصرف عن النحو، فألف خصيصاً في الصرف ورتّب المسائل والصور القياسية والتمارين[٢٢]. وساد الكتاب منطق مؤلّفي الاغريق الذين بحثوا عن معاني الكلمات في سياق من العلاقات المنطقية[٢٣]. فكانت مبادىء حاسمة وبمثابة المبادىء العقلية التي سنّت درجات في سلامة اللغة (حسن، قبيح، مستقيم، محال) باعتبار تلك الصفات من أنواع السلوك اللغوي. يعني ذلك أن اللغة أفادت من نظام تام للبحث المجرد الخاص بالسلوك البشري الذي يمكن نقله إلى حقل اللغة لبناء نظرية نحوية قيّمة[٢٤]. فكان دور المخاطب حاسماً المحاورة والنقاش الدائر حول المفاهيم النحوية. وكما أن التساؤل حام حول إمكان تأثير النحو اليوناني في قرينه العربي، فقد طرح السؤال نفسه بخصوص العَروض اليوناني وما استفاده منه العَروض العربي، لكون النظامين يخضعان لمقاييس غير متعادلة من وجهة الكم. والملاحظ أن العَروض اليوناني يخضع لتكرار في المقاطع يتحدد بموجبه الايقاع. ويخضع العَروض العربي أيضاً للكمية المقطعية التي لا تحدد بمفردها الايقاع. ومن المعلوم مثلاً أن عدد البحور العربية محدد

---

(٢١) *Revue d'études islamiques* (1972), p. 93.

(٢٢) ضيف، **المدارس النحوية**، ص ٣٦٧.

(٢٣) Carter, «Les Origines de la grammaire arabe,» pp. 74-82.

(٢٤) المصدر نفسه، ص ٩٢.

في حين أن عددها في الشعر اليوناني غير محدد[٢٥]. وهناك مآخذ خاصة بكل من النظامين، وقد عرضت فعلاً مقترحات لإدخال التحويرات اللازمة على العروض العربي المتعلقة بدوائره والصورة التي بها يمكن تبسيطه[٢٦].

وقد تبلورت النظريات النحوية العربية حول مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة[٢٧]. وقد اعتُبرت أعمال مدرسة الكوفة مجرد تجميع للقواعد، مع الملاحظة انها اتسمت بأصالة في تخيل المسائل النحوية، وما امتازت به هو تدوينها الأشعار ونقلها الشواهد مشافهة عن البدو ثم روايتها وتدوينها. واعتماداً على كل ما تجمّع لدى شيوخها، حاولت مدرسة الكوفة وضع علم النحو كما تصورته واصطلحت لذلك على مسميات تخالف ما شاع في البصرة، واختصت بأفكار معينة في قضية العوامل والمعمولات[٢٨]. أما مدرسة البصرة، فقد استمدت قوّتها من واقعية صبورة محقّقة، فاختصرت النحو والتفسير في عدة تقعيدات مستقرة[٢٩]. وقد امتازت أيضاً بتشدد شيوخها الذين لم يدونوا في مؤلفاتهم سوى ما تفوه به الفصحاء من العرب[٣٠]. لكن مدرسة البصرة افرطت في استخدام الإعراب التقديري، وانفردت بعدة تعليلات نحوية أثقلت بها النحو وأضافت اليه جملة من المسائل والتشعيبات التي لا يرجى منها فائدة في ما يتعلق بسلامة العربية[٣١]. وخلافاً لما وقع بين الفقهاء من مناظرات وما نشب من نزاعات، فإن الكتّاب رفضوا الوقوف الى جانب البصريين أو الكوفيين. فمثلاً نجد الجاحظ رغم روح التفهم التي اتصف بها في كتبه، لم يعترف بأية أهمية لهذه النزاعات المجدبة، بل إنه عمل على ابداء سخريته احياناً من انتقال المناظرات الفقهية الى ميدان النحو واللغة. وقد رفض المعري من جانبه الاهتمام بما يؤول من مسائل، واعتمد القياس الذي لا يمكن التنكر له، إذ إن ذلك يعني انكار النحو برمته، كما قال ابن الأنباري.

وقد لاحظ طه حسين أن المعري قدَّم عرضاً للقضية اللغوية والنحوية العربية بأسلوب أدبي قصصي فريد، خاصة أنه عمل بالقراءات القرآنية واستشهد بالحديث واقتصر على ما يلزم في الإجازات الشعرية، وكأنه من العاملين على حفظ اللغة من اللحن[٣٢]. ومجمل القول

---

(٢٥) *Arabica* (1960), p. 226.

(٢٦) محمود شرف الدين، «جملة الموقع النحوي عند سيبويه،» **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ١، ص ٢٥، وعدنان ابو شرخ، «أسرار العربية لابن الأنباري،» **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ١، ص ٥٨.

(٢٧) محمود حسني محمود، «التنافس وأثره على النحو والنحاة،» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ٣، العددان ٧ ـ ٨ (كانون الثاني/ يناير ـ تموز/ يوليو ١٩٨٠)، ص ٥ ـ ٢٧.

(٢٨) ضيف، **المدارس النحوية**، ص ١٥٩ و١٦٩.

(٢٩) Charles Pellat, *Le Milieu basrien et la formation de Gāhiz* (Paris : Maisonneuve, 1953), p. 124.

(٣٠) ضيف، المصدر نفسه، ص ٣٦٧.

(٣١) ابراهيم السامرائي، «ألَنا مدارس نحوية؟» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ٦، العددان ٢١ ـ ٢٢ (تموز/ يوليو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٣)، ص ٧ ـ ٢٢.

(٣٢) **مجلة كلية التربية** (طرابلس) (١٩٧٢)، ص ٦٦٣، ٦٩٠ و ١٧٣.

إن النحو العربي بداية من سيبويه إلى ابن جِنّي، قد مر بعصر تم خلاله وضع نظام قـائم على القياس الخاضع لقواعد منطقية ربما كانت مفرطة إلى حد أنـه صار عسيـراً على النحـو التخلي عن ذلك الإطار القياسي الصارم أو محاولة تحويره، حتى قال الأب فليش إن النحاة العـرب لم يعودوا قادرين على تجديد مادتهم فقد استنفدوا ما يمكن أخذه من طـريقتهم، ثم إنهم انقضوا بعـد ذلـك عـلى تصنيف المختصرات والشروح وشروح الشروح[٣٣]، وعنـد بـلوغ العصر الحاضر، تبيّن أن ذلك التراث النحوي جدير بالمراجعة والتقييم والتجديد بحيث يحسن القيام بعمليات جرد إحصائية بصورة منتظمـة[٣٤]. وهذا يؤيـد النظرة القـائلة إن الفرق بـين الطرق المتوخاة في النحو اليوناني والنحو العربي المتباينـة تباينـاً كامـلاً، صار أمـراً لا جدال فيـه، لأن النحو العربي بدأ مع انتشـار الدين الإسـلامي وتمكين المسلم من قـراءة القرآن الكـريم قراءة سليمة والتفقه في الدين والقيام بفرائضه[٣٥].

٢ ـ تحقيق كتب النحو

كان الاهتمام بالدراسات النحوية منذ نشأة هذا العلم كبيراً كما بيّنا، ولضرب مثال على ذلك، يمكن أن نعود إلى العصر الفاطمي في مصر حيث كان الشغف بالنحو عظيماً. والسبب واضح، وهو ضرورة اتقـان العربيـة اتقانـاً جيداً لتـولّي المناصب السـامية في الـدولة بـديوان القلم. وقد سار في هذه السبيل ابن الحاجب الذي بدأ محرراً في ذلـك الديـوان. وقد احتـل النحو الصدارة في العصر الأيوبي وكان أول العلوم في العـربية اعتبـاراً لأن معرفـة النحو تيسر تصحيح ما تفشى من لحن في الكلام والكتابة، إضافة إلى الفوائد الدينيـة المرتقبـة والمتمثلة في فهم القـرآن والسنّة. وعنـد تولّي الأيـوبيين الحكم خلفـاً للفاطميـين كانـوا، وهم من أصـل كـردي، على أهبـة القيام بـواجب وقايـة اللغة من اللحن الـطارىء عليها. وكـان من عـادة امرائهم حضور دروس اللغة والفقه في المساجد. وقد حصل الكامل أحد أمرائهم عـلى إجازة في تـدريس النحو، وتفـوّق عليه أخـوه المعظّم، أمـير الشام في النحـو والقـراءات. واقتـدت الرعية بأمرائها، خاصة بالمعـظّم الذي أنشـأ مدرستـين في دمشق والقدس للتخصص في علم النحـو، وشغف بدراسـة النحو. وفي أحضـان هذا الجـو الذي كـانت تقدّر فيـه الدراسـات النحوية، ترعرع ابن الحاجب، وقيل إن والده كان حاجباً للأمير، وقـد ولد جمـال الدين أبـو عمـرو، المعروف بـابن الحـاجب، في صعيـد مصر، في ٥٧٠ هـ/١١٧٤ م، ودرس المـذهب المالكي وتفّقه في الدين، ورحل إلى القاهرة وحضر دروس اعلام اللغة والفقـه. وسافـر أيضاً إلى دمشق استكمالاً لدراسته وتدريس المذهب المالكي والقراءات. وقد أراد الدفاع عن أحـد مشايخه فتنـازع مع الأمـير وعاد إلى القـاهرة سنـة ٦٢٨ هـ/١٢٣١ م، وتولى مكـان الشاطبي

---

(٣٣) *Arabica* (1975), p. 19.

(٣٤) Henri Fleisch, «Observations sur les études philologiques en arabe classique,» *Orient* (1963), pp. 134-144.

(٣٥) شال، «اللغة العربية في مرآة قواعدها القومية،» ص ٨١.

تدريس القراءات بالمدرسة الفاضلية، وقد رأس مدرسة النحو في مصر فاتجهت بهذا العلم وجهة جديدة. ورحل إلى الاسكندرية وبها توفي سنة ٦٤٦ هـ/١٢٤٨ م. وكانت له مؤلفات وُصفت بأنها دسمة دون أن تكون كبيرة الحجم. وقد تميزت بجودة تحريرها وراجت خاصة في المناطق غير العربية. وكان أشهر كتبه **الكافية** في النحو، وقد درس فيه أغلب المسائل، وأضاف إليها شروحاً. وألَّفه شعراً وأهداه الى داوود ابن المعظّم، وشرحه في تأليف آخر سماه **الوافية**. وقد حاول ابن الحاجب في التأليفين الشعريين التخفيف من الصعوبات ووفق في تيسير المسائل النحوية. وكتبت على القصيدين شروح أخرى بالعربية والفارسية والتركية، فأتاح ذلك إضافة هوامش الى الشروح أفاد منها قصيد **الكافية** المصدر الأصلي والقصيد الذي تفرع عنه **الوافية**. وتمادى الشرّاح في العناية بالمصدرين (وقد ضبط حاجي خليفة قائمة فيها) لكنهما بقيا تأليفين أساسيين لدراسة النحو العربي. ومن أشهر الشروح ما كتبه رضي الدين الأسترابادي في **الكافية** التي راجت في كل الأقطار، خاصة في فارس التي أفادت كثيراً من هذا الكتاب، أكثر مما حصل في مصر والشام، خلافاً لما حصلت عليه كتب ابن الحاجب الأخرى من شهرة، لما كان لديه من حكمة وفلسفة ومنطق وقياس وروح المناقشة والتعليل والتقعيد، نشرها هذا النحوي في بلاد فارس بفضل كتابيه المذكورين، في حين أن الولع بالوضوح في التأليف ساد مصر في عصره. وما يمكن قوله هو أن ابن الحاجب استهدف تيسير دراسة النحو، فاختصر كتاب **المفصَّل** للزمخشري، وألف **الكافية** التي دلّ اسمها على اغناء المبتدىء عن الرجوع إلى مصنفات النحو الكبرى. وقد قسم **الكافية** على طريقة **المفصّل** الذي اقتبس مؤلفه مادته من كتاب أبي علي الفارسي **الإيضاح** المشبّه بكتاب سيبويه. وقد استقر تدريس **الإيضاح** في مصر بفضل ابن بري. وكان محل شروح عديدة، ودرّس بداية من القرن الرابع الهجري (القرن العاشر)، إلى أن ظهر ابن الحاجب وتأثر بما سبقه من كتب، حتى انه كتب شرحاً اضافة الى كتاب **الايضاح** و **الكتاب** لسيبويه (أسماه **المكتفي للمبتدي** بالنسبة الى شرح **الإيضاح**). وكان **الكافية** وأبوابه عبارة عن جملة مختصرة لتصنيفين في النحو هما **المفصّل** و **الايضاح**، وقد طرق المؤلف مواضيع عدة في الفعل والاسم والحروف وما يطرأ على ذلك في صور الاشتراك اللفظي. لكن ما كان من إيجاز مفرط في **الكافية** أساء إلى محتواها وجعل منها نصاً غامضاً عسير الاستيعاب. ومن ذلك ندرك تكرار شروحها (الستين). لا ريب في أن ابن الحاجب عرض المسائل النحوية عرضاً يسيراً لكنه لم يقم بعمله إلى منتهاه، فظهر الكتاب واللبس يكتنف مواده التي كان بعضها بمثابة الألغاز التي يعسر حلها، حتى على شارح مثل الاسترابادي الذي حقق لا محالة لغة الكتاب التي يتوقع ألاّ يفقهها المبتدئون. ويبدو أن ابن الحاجب قد شعر بهذا العيب فحرر الشرح الخاص بـ **الشافية** وهو كتاب في الصرف شرح في مصر من طرف ابن هشام (توفي ٦٧٢ هـ/١٢٧٤ م). وعلى ذلك النحو، استمر التدريس بالاعتماد على تأليفي ابن الحاجب إلى يومنا، على الأقل في الجامعات الإسلامية التقليدية. أما **أمالي** ابن الحاجب، فقد شملت مسائل نحوية عدة، وشروحاً لبعض الأيات والأشعار التي وردت في **المفصل**. وقد اتجه بها إلى تلاميذه، وكانت في صورة مناظرات فيض الخاطر. وقد شرع فيها بداية من ٦٠٩ - ٦١٦ هـ/ ١٢١٢ - ١٢٢٠ م في القاهرة، ثم اتمها في ٦١٧ - ٦٢٥ هـ/ ١٢٢١ - ١٢٢٨ م. ونشرت له رسائل أخرى في

العروض، والمؤنث الشائع، والعدد عشرة، ومبادىء الفقه...

وتنوع أعماله لعله ثمرة تفتّح مدرسة البصرة لتيارات الاعتزال ومؤثرات منطق أرسطو، الذي خوّل النحاة استيعاب مبادىء المنهج العقلي والقياس، وكان ذلك بتأييد من مدرسة الكلام. وقد تجنبت بذلك مدرسة البصرة اقتفاء أثر قرّاء القرآن الكريم الذين تعلقوا بالرواية والنقل. وقد تسربت مصطلحات الكلام إلى النحو، وطبعت طرقه بتيار فلسفي بدأ يظهر بصورة ملموسة منذ عصر سيبويه. وقد حدد ابن جني بوضوح العلاقة القائمة بين النحو وعلم الكلام. وبعبارة أخرى، لقد واكب النحاة حركة أهل المنطق وابتكروا النظريات وقعّدوا القواعد وضبطوا منهجية ساروا على هديها. وقد كتب ابن الحاجب في **الأصول** واشتهر بمواقفه التي خالف فيها النحاة الآخرين في مسائل عدة، بل إنه عمل أحياناً على تعجيزهم وافحامهم. وقد تميز في الجملة بآرائه المخالفة لآراء النحاة السابقين[٣٦]. فمثلاً قال إن كل كلمة تفيد العمومية تكون مبتدأ في الجملة الاسمية، وقد استمد تعليلاً لذلك من المنطق، في شكل أسئلة وأجوبة، مستخدماً ألفاظاً اقتبسها من الفلسفة. فكان يعرض الصور وما أثارته من اعتراضات، فيعمل على إبطالها الواحد بعد الآخر،إلى أن يصل إلى الحل. فقد استند إلى القياس للنظر في الصور النحوية والصرفية الشاذة وتبويبها ضمن الباب الخاص بها. ونظر أيضاً في مسائل التضمين محاولاً الكشف عن دلالاته الغامضة. لقد أيّد مذهب البصرة في النحو، فمارس الأفكار طبق تقعيدات علم المنطق وقواعد علم الكلام كما سنتها المعتزلة وكما شاعت في الفلسفة. وقد شاع النحو في مصر والشام، انطلاقاً من الرحلات العلمية المنظمة في العراق والواردة عليه. وبذلك تمكّن الطلاب من دراسة كتاب **الكتاب** لسيبويه لكونه جملة في نحو البصرة، وأساساً في نهضة النحو بمصر التي ساعدت ابن الحاجب على الدراسة المستفيضة للمسائل البصرية في النحو والدفاع عنها، عبر كتابه **الأمالي**، لكنه لم يكن مدافعاً غير متبصر بالأمور، إذ أثار اعتراضات حول تعليلات البصرة في بعض المسائل النحوية. وقد وقف إلى جانب مدرسة الكوفة لما عمل نحاتها على رواية اللغة مشافهة قبل اعتماد القياس والمنطق. وقد أكد أن قواعد اللغة لا تقبل الوضع المسبق المقعّد على القياس، بل إن النقل هو الفيصل في ذلك، ولا يمكن التأكد من صحتها إلا بعد روايتها. ومثلاً يكون رفع الفاعل ونصب المفعول من باب الاستنباط النحوي. ومع أنه عمل على اعتماد مبادىء البصرة، فقد أيّد مبادىء الكوفة إذا كانت حلولها أقوى. وقد أيد الاجتهاد في النحو كما هو الأمر في الفقه، فانفرد بعدة آراء في مسائل معينة: الأسماء الستة التي تُعرب تقديراً بالحركات حسب سيبويه، ويكون اعرابها بالحروف، فأعاد ابن الحاجب النظر في ذلك ورفض هذا الحل، موضحاً أن اعتبار أحد الحلين مقنع. كانت مثل هذه المناظرات النحوية تدور في حلب زمن الحمدانيين، فيتواجه خلالها أبو علي الفارسي وأبو سعيد السيرافي، وكان تلميذ الأول ابن جني، وتتلمذ ابن خالويه على السيرافي. واتجهت مع الفارسي إلى العمل بالقياس

---

(٣٦) *Encyclopédie de l'Islam,* vol. 2, p. 126.

ومتفـرعاتـه، فشعّب ذلك قـواعـد النحـو والصرف في حـين أن السـيرافي أراد اقحـام الأدب والشعـر واللغة في النحـو، تجنباً للعمـل بقـواعـد المنطق. لكن الفـارسي لم يتقـدم كثيـراً في «منطقة» القواعد النحـوية. فقـد شرح ابن الحاجب تـأليفه وتـأثر بـه **الايضاح**، واقتبس منـه محققاً ناقداً في **الكافيـة**، لا سيما في تبـويب الحلول في مسائـل النحو، بعـد تقييمها والتحـري فيهـا. فقد كـان من عادة ابن الحـاجب الموافقـة على الحلول بعـد مناقشتهـا تـلافيـاً لنسخهـا وانتحالها دون تحليلها. وفي الجملة، لم يعمل ابن الحاجب بنظرية معينة بل كان يضع تحريـاته على محك المنطق والعقل. وقال عنه ابن مالك، انـه كان من أنصـار **المفصّل** الـذي تلقاه عن شيخه الزمخشري الذي اعتبر من النحاة الذين ليسـوا من الصف الأول. فكان تلميـذاً بصيراً نفذ إلى نقائص **المفصّل** وذكرها في أماليه. ومن رأي ابن الحاجب أن الشـواهد عـلى القواعـد النحوية تقتبس من القرآن الكريم واللغة الفصحى لا غير، وكذلك من القراءات التي تشكل في نظره مصدراً أميناً بأسانيده المترابطة، إلّا في خصوص التجويـد (وما يليـه من مد وإشبـاع وتخفيف همزة. . .) بحيث يمكن ربط القارىء العربي الفصيح بالخليفة عثمان ومصحفه، قبـل تفشي اللحن بين العرب(٣٧).

وكتاب **الواضح في النحو** لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩ هـ كـان أول تأليف في النحو العـربي في الأندلس يقـع تحقيقه في مـا يبدو، وكـما جرت العـادة في هذه المادة، فقد اجتهد مؤلفه في جمع «أطراف النحو وسائر أبوابه، دون اغراق في الخلاف، أو تتبع للتعليـل، وألمّ فيه بالتصريف وما يتصل به من مختلف المباحث، وأوجز في براعة خلاصـة الدراسـات اللغويـة التي احتوت على بيان شاف لمخارج الحـروف»(٣٨). وإذا لم تكن الكتب النحويـة من النوع المـوسوعي، فهي من نوع المختصرات التي يراعي فيها مؤلفها أهم المسائل النحوية ويقدمها على غيرها(٣٩).

٣ ـ مسائل في النحو العربي

يبـدو أن تنظيم الـزمن في اللغة العـربية أكـثر دلالة ممـا هو عليـه في اللغـات السـاميّـة الأخرى. وقد مثّل الاشتقاق فعلاً دوراً كبيراً في تشكيل الصيغ الفعلية بداية من ألفاظ مجـردة أو محسوسة(٤٠). فخضعت الأفعال لتحويـرات ذات طابـع كيفي، شملت فروقـاً في الدلالـة. ولو بحثنا في عمق الفكر البشري عن تلك الفروق، لوجدنا أن الزمن يبدو للإنسـان من جهة كأساس فوقي لكل ما ينقضي وكل ما يتسرب، ومن جهة أخرى لبدا أساساً لكل ما ينشـأ وما

---

(٣٧) عبد العال سالم مكرم، «ابن الحاجب المصري وأثره في الدراسات اللغوية،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ١٦٢ و١٨٢.

(٣٨) **اللسان العربي**، السنة ١٢ (١٩٧٥)، ج ١، ص ٢٩١.

(٣٩) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ١، ص ٢٢.

(٤٠) محمود شيت الخطاب، «قادة الفتح الإسلامي: الأحنف بن قيس التميمي فاتح قاشان وخراسان،» **مجلة مجمع اللغة العربية (بغداد)**، السنة ١١ (١٩٦٩)، ص ٦٤.

ينتج[41]. وقد علّل ما يطرأ من تغيير داخلي على الفعل بواسطة الحروف الثلاثة المعروفة بحروف العلة، فمثلاً بالنسبة الى الفعل الأجوف، تمثلت المرحلة الأولى في الأفعال من نوع فَوَلَ، ثم جاء دور التسكين وفقدان الحركة بعد الواو والياء تخفيفاً وتيسيراً للكلام. ثم وقع إدغام الوحدة الصوتية في المرحلة الموالية (أصبحت الواو ضمة ممدودة، والياء كسرة، مع الإمالة في الصورتين بحيث تميل الفتحة إلى الكسرة والألف إلى الياء). ويبدو أن الفعل العربي انهى دورة تشكله قبل الوقوع تحت طائلة التحليل الصوتي والدلالي وتأثير البنى الفعلية في اللغات الأخرى[42]. وقد تميز الفعل الماضي والمضارع بفروق واضحة تجسمت في مظهر الفعل في الصورتين كليهما، لا سيما اتجاه مظهر المضارعة الزمني إلى البنية الاسمية، لأن شكل الكلمة (حركات) يمثل قيمة دلالية حاسمة. وفي صورة الفعل المعتل، يبدو أن ظاهرة الإعلال كانت متأخرة وهي تدل على معنى الحركة في صورتها الطبيعية: طال يعني الامتداد بصورة طبيعية في حين أن طوّل تدل على جهد ينبغي بذله. والثابت، لا محالة، ان المظاهر الزمنية في الفعل العربي غير متميزة كل التميز، ولذا ينبغي اعتبار عدة احتمالات في ما يعرف من ترتيب تقليدي للزمن في الفعل. ويدل الماضي عامة على الفعل في زمن انقضى في حين يدل المضارع على الفعل في زمن حاضر أو مقبل، لكن عدة استعمالات للمضارع لا تبرز الفروق بوضوح، وتتدخل بعض الأدوات لتأكيد المظهر الدقيق في مضارع بعينه[43]. هذا بإجمال في خصوص ما يعترضنا، مثلاً، في تدقيق معاني الفعل في الكلام العربي وجمله[44]. ذلك أن ما يطرأ من تغييرات على كلمة بعينها يؤثر بدوره في بنية الجملة والأسلوب الذي تكتب به سواء كان ذلك شعراً أم نثراً[45]. إن الفعل في اللغات الحاميّة الساميّة مثلاً، شكّل أصنافاً تعبيرية لا نهاية لها تتنوع بتنوع الشكل، فتعدد بذلك حجم الإمكانات المتاحة للمتكلم[46]، رغم ما توجد عليه الجملة الاسمية من طابع اختياري[47]. وعلى هذا الأساس صار من المفيد القيام بجرد البُنى الشائعة في الكتب ووضع إحصاءات للتواتر الخاص بالاستعمال الأعلى للجمل الفعلية[48]. الواقع أن الجملة في اللغات الحاميّة الساميّة متركبة من ألفاظ متميزة كالأفعال والأسماء، ينبغي أن تكون موضوعاً لأبحاث في البنى أكثر تطوراً حتى

---

(٤١) Henri Delacroix, *Psychologie du langage* (Paris: I. Alean, 1933), p. 359.

(٤٢) انظر: مصطفى النحاس، «التحول الداخلي في الصيغة الصرفية وقيمته البيانية والتعبيرية،» **اللسان العربي**، العدد ١٨ (١٩٨٠)، ج ٢١، ص ٣٩ - ٥٠. انظر أيضاً: محمد خليفة الأسود، «صيغة الفعل وبنيته،» **اللسان العربي**، العدد ٣٢ (١٩٨٩)، ص ٣٣ - ٤١.

(٤٣) *Encyclopaedia Britannica.*

(٤٤) محمد شيت صالح الحياوي، «نظرة في آراء مطروحة للمناقشة،» **اللسان العربي**، العدد ٢٣ (١٩٨٤)، ص ٨٣ - ١٠٠.

(٤٥) محمد يوسف نور الدين، «التطور اللغوي ونشوء العربية،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ص ١٣٥ - ١٣٧.

(٤٦) Antoine Meillet, *Les Langues du monde* (Paris: E. Champion, 1924), pp. 84-87.

(٤٧) **حوليات الجامعة التونسية** (١٩٦٦)، الجملة العربية.

(٤٨) ابراهيم السامرائي، **دراسات في اللغة** (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦١)، ص ١٦٠ و٤٥.

نتبين البنى المستعملة في مختلف أصناف التعبير(٤٩). وكما هو معروف، فالعربية لغة إعراب، وهو الذي يؤدي ما بين المعاني من فروق، ويعني ذلك أن الوظائف النحوية من فاعلية ومفعولية وإضافة وغيرها في الجملة ناتجة عن الإعراب. يضاف إلى ذلك أن القيمة الإعرابية للكلمة ووظيفتها تتأكد وتثبت بموقعها من الجملة لأن الكلمة الواحدة لا يمكن اعتبارها تركيباً ولو اعتبرت جملة من الوجهة اللغوية، إذ إن عنصر المؤالفة بين الكلمات رئيسي لإدراك البنية كاملة في التركيب. وطبعاً لا نذكر التركيب دون أن نربط ذلك بموقع الكلمة من الجملة وإذا كانت أساسية فيها أو من «الفضلة». فصار الإعراب بمثابة الأداة التي تكون في خدمة الجملة المتصفة بالمرونة والتقييد أو الحرية في التركيب حسب ما يراد منها(٥٠). وقد أسس سيبويه ترتيبه الجملة على أساس موقع الكلمات منها وما يحيط بها من دوافع نفسانية اجتماعية نابعة من المتكلم. ويترتب الباقي ضمن هذا السياق، فتتصف الجملة بالفعلية أو بالاسمية، وتكون أيضاً من نوع الجملة الموقع الواحد الذي تترك فيها بعض أجزائها لأنها تكون كافية بكلمة أو كلمتين، ولعل هذا النوع من الجمل المختصرة يساير ما تتطلبه الحياة المعاصرة من تعبير سريع مفهوم يدركه السامع دون عائق. وقد اتجهت الكتابة الآن الى الاختزال أكثر فأكثر(٥١). وتأيد هذا التيار حتى في التعليم اللغوي إذ وقع الالحاح على البدء بتعليم الجمل الاسمية البسيطة والانتقال إلى متممات الجملة على مراحل تدريجية؛ ولا مراء في أن مثل هذا الاتجاه يخدم قضية التعريب إذ ييسر التعليم اللغوي ومكاسب التصريف العملي لما يوجد من إمكانات من شأنها أن تخدم قضية اللغة العلمية التي لا تستند إلى الأساليب البلاغية كثيراً. والملاحظ أن الجملة الاسمية تدل على علاقة دائمة لا تقبل التجديد، بين المسند والمسند إليه، في حين أن الجملة الفعلية تزيد إلى فعلها وفاعلها اسم الفاعل أو اسم المفعول بصفتهما فعلين يتصفان بقيمة دائمة لا سيما أن التمييز بين الفاعل وتقديره يعسر مثلاً في الإسناد إلى المجهول (تكسر الزجاج وكسّر الزجاج)(٥٢). وفي الجملة، يمكن ربط الموضوع بقواعد الأسلوبية التي قدّم اليها النحو حلولاً نظرية وأيضاً عملية، مكّنت من تلوين التعبير بفضل ما توحيه الأزمنة الفعلية التي تركز على الفاعل كل الايقاع الايحائي للجملة(٥٣). بذلك أفاد الكتّاب من العناصر الصرفية والنحوية وتشكلت ذهنيتهم الجديدة ومسيرة فكرهم بموجب تلك العوامل المتاحة.

وما نبتغي من تعميق لتحليل مفهوم الجملة العربية ينسحب أيضاً على مفرداتها من أسماء وأفعال. فقد عدّ مثلاً الأب فليش أسماء من النوع الثنائي، فوجد ٣٧ اسماً. أما

---

(٤٩) مهدي المخزومي، «في النحو العربي: نقد وتوجيه،» **حوليات الجامعة التونسية** (١٩٦٦)، ص ٢٤١.

(٥٠) **اللسان العربي**، السنة ١٣ (١٩٧٦)، ص ١٠٨.

(٥١) شرف الدين، «جملة الموقع النحوي الواحد عند سيبويه،» ج ١، ص ٣٤.

(٥٢) عبد القادر المهيري، «مساهمة في تحديد الجملة الاسمية،» **حوليات الجامعة التونسية** (١٩٦٨)، ص ٧ - ١٦.

(٥٣) Louis Gardet, *La Cité musulmane: Vie sociale et politique*, études musulmanes; 1 (Paris: J. Vrin, 1954), p. 289.

اللغويون القدامى، فلم يوافقوا إلا على الجذور الثلاثية، محاولين ادماج الثنائيات في صنف ذوات الحروف الثلاثة إبرازاً لأسبقية الأحرف الأصلية الثلاثة[٥٤] للتعبير عن المعنى وتمييز الأفكار التي تدل عليها الأصول الثلاثية بفضل الحركات، وذلك ضمن اطار زمني معين[٥٥].

وقد أدى الأمر ببعض المستشرقين إلى المطابقة بين كلمات وردت في اللغات الساميّة (بغية البحث عن الأصول الثنائية) وبين مثيلاتها في اللغات الآرية. أما بقية الألفاظ، فقد نشأت بداية من جذور بحرفين تعود إلى ماضٍ سحيق جداً. وبالنسبة الى المعجم العربي الذي يتضمن أكثر من ١٠٠٠٠٠ كلمة منها ٤٠ كلمة ثنائية وبعض الأوزان والأصول الرباعية بنسبة ١ بالمئة في القرآن الكريم، صار عسيراً عدم التأكد بصورة قاطعة ان العربية تملك أساساً الأصول الثلاثية بعدد عظيم[٥٦]. وبذلك تكون الجذور الثنائية قليلة العدد جداً وقد انقسمت إلى مجموعات صغيرة (اسم نوع أب، اسم فعلي صه، اسم ظرفي إذ، وكذلك الإشارة ذا، الموصول من، الاستفهام من؟ حرف الشرط من، والضمائر). والملاحظ ان الاسم الفعلي هو مجرد أداة تعبّر عن حالة عاطفية، أما البقية فهي أدوات للربط ترتّب مع الحروف وقد اعترف اللغويون بطبيعتها الثنائية، ويمكن القول إن الثنائية الحرفية مظهر اعتبره بعض النحاة حقيقة في العربية وفي اللغة الأشورية البابلية (الأكادية)، وفي لغة جنوب بلاد العرب واللغة الحبشية. ويمكن رد عدة كلمات أخرى إلى النص القرآني بتواتر أعلى (وردت كلمة يد ٣٣ مرة في القرآن الكريم؛ ونجد أيضاً اسم، دم...) وقد ربطت هذه العودة إلى أصل بدائي في اللغة العربية بأصول ثنائية الحروف قاوم بعضها كل محاولة طارئة على تغيير أصواتها أو غير ذلك، مثلاً في صورة (دم) وتصغيره دميم، ويثنى على دميان أو دموان، ونسبته دموي، بينما اتجه المتحزبون الى تثليث الكلمات، إلى الاستشهاد بالنصوص لتأكيد عودة هذه الكلمة وغيرها إلى الأصل الثلاثي اعتباراً وأنها من الألفاظ المعربة، في حين ان البقية من المبني، لا سيما أنه من التكلف الاتجاه إلى تعليل آخر، والاقتراح مثلاً زيادة حرف ثالث مقدّر تصير به من أشباه الحروف وتسمّى أسماء مبنية. وما توخاه النحاة القدامى هو أن ترتب الأسماء المبنية مع بقية الأسماء قياساً أو عملاً بشيوعها. الواقع أن الأصول الثنائية تندمج في إطار التحول الاجتماعي اللغوي الذي تحوّل من مرحلة البدائية إلى مرحلة النضج، دون مناقضة مبدأ الأصول الثلاثية[٥٧]. ويندرج ضمن هذه التحولات ما لحق بتطور أسماء الأعلام منذ العصر الجاهلي حتى آخر العصر العباسي، مثلاً. لقد شكلت فعلاً أسماء الأشخاص والأماكن وغيرها تراثاً لغوياً وأدبياً وفكرياً عند الأمم، واجتهد النحاة العرب منذ عصر سيبويه في تحديد طابعها العام، وكذلك ما تميز به الاسم النوعي والعلم عامة. وقد حاول ابن دريد

---

(٥٤) عبد الهادي الفضلي، «الأسماء الثنائية في اللغة العربية،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٥٨.

(٥٥) السامرائي، **دراسات في اللغة**، ص ١٦٠.

(٥٦) عبد الحق فاضل، «فضل العربية على الحضارات القديمة،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ج ٣، ص ٢٢٤، و *Revue d'études islamiques* (1972), p. 44.

(٥٧) الفضلي، «الأسماء الثنائية في اللغة العربية،» ص ٥٨ - ٦٠.

في القرن الرابع الهجري (العاشر م.) شرح دلالة الاعلام في العربية، وافترض افتراضات بالنسبة الى عدد منها. وأسهم المستشرقون في ذلك، مثلاً نولدكه (T. Nôldeke) بالنسبة الى عدة أسماء في اللغات السامية، غراتسه (E. Gratse) بالنسبة الى أسماء النساء القديمة، وفتشتاين (J. Wetzstein) بالنسبة الى اسماء شاعت بجبل حوران، وهيس (J.J. Hess) لأسماء البدو في وسط بلاد العرب، وليتمان (E. Littmann) للأسماء الشائعة في مصر، فساهم كل هؤلاء بصورة هامة في تحليل هذه المسألة، وتواصلت الأبحاث إلى الآن. وقد كتب غابرييلي (E. Gabrieli) مقدمة تصدت لإحصاء المصادر التي كتبت في هذا الموضوع، لكن توقّف ذلك إلى سنة ١٩١٥، ثم ظهر كتاب في الأعلام العربية ألّفه كايتاني (L. Caetani). ومنذ عهد قريب، بدأ اللغويون العرب يكتبون أبحاثاً في الأعلام الحديثة لأن الماضي لم يخلّف كتباً هامة جداً، مع الاعتراف بوجود كتب في الطبقات والتراجم. وقد ضبط ابن دريد قوائم في الأسماء بكتاب **الاشتقاق**. وقام ابن الكلبي بتأليف مرجع **الأنساب** الذي نشره المستشرق الألماني كاسكه (W. Caske) سنة ١٩٦٧، إضافة إلى دواوين الشعر من نوع **المفضليات** التي في الإمكان أن نجد فيها من ٣٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ من أسماء الأعلام. والملاحظ ان كتاب ابن الكلبي تضمّن مقداراً كبيراً من أسماء الذكور بما في ذلك أسماء من رجال الدين، ومع ذلك يمكن أن نتبين أنساب عدة ترجع إلى أصل الأم. إن هذا العدد الهام من الأسماء يستحق البحث توضيحاً للميدان الذي يتعلق بعلم الأعلام، وهو أمر يمهد للنظر في الألقاب والكنى والنسب والانتماء القبلي والارتباط ببطن أو حي معين أو موقع نادر كالجبل والموطن أي مسقط الرأس، أو المهنة (الحجاج)، وبيوت الوزراء والولاة، خاصة في العصر العباسي، ويضاف عندئذ إلى الأسماء (دين، دولة، ملك). ولا تعترضنا هذه الأعلام في بنية تكون جملة اسمية، بل تستعمل أحياناً جملاً فعلية (مثلاً تأبط شراً) أو اسم قبيلة (تغلب، يزيد...) ويبدو أن هذه الأسماء ظهرت جنوب بلاد العرب في شكل أسطوري وارتبطت بأسماء الآلهة. وقد تشكلت بصيغ شائعة بهذه الجهة (شرحبيل). وقد طرأت تحويرات بعد ظهور الإسلام امتدت إلى الأسماء التي كانت من التوراة أو القرآن، وتم ذلك في القرن الأول، والثاني الهجري. وتكون هذه الأسماء في جزأين، عبد وأحد أسماء الله الحسنى. وظهرت كذلك أسماء من نوع آخر في العراق وفارس، وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري (القرن الثامن م.). وقد تميزت بلاحقة من اللغة الفارسية (سيب...ويه). وبدت بعض الأسماء من الشواذ لكنها لم تسيء إلى السلاسل الشكلية المعروفة التي كانت كثيرة. واكتسب بعض الأسماء شكلاً جديداً وأضافت دلالة التعظيم أو التصغير (فُعَيْل، فُعَال، فُعَالَة). ومن المعروف أن بعض الأسماء ألحقت بها علامة المؤنث تعبيراً عن الكمية في حين انها من جنس مخالف، ونجد العكس صحيحاً في بعض الأسماء المؤنثة (سهام). أما بعض الأسماء الأخرى، فهي تنتمي إلى الجنسين معاً. وبخصوص تعريف الأعلام، فهي معروفة ضمنياً، لكن توجد صور تعرف فيها صراحة (الفيصل). ذلك انها من أسماء الجنس دخلت باب العلمية. كما أنه توجد أسماء كثيرة منوّنة في حين أن اسماً مثل حسّان الذي لم تتبين الصورة التي بها اشتق (مشتق من حَسَن أو حُسْن؟) جعل النحاة يترددون بين ترتيبه في الأسماء الممنوعة من الصرف

أو مع الكلمات المعربة؟[٥٨]. وقد ساد الخلاف تعليلات النحاة لإعراب الممنوع من الصرف. وقد بقيت آثار التنوين بلهجة نجد، اعتباراً أن التنوين كان أساساً لظهور علم الصرف، وأنه من طبيعة الكلمة المعربة. وكان العكس نادراً، وقد دوّنته لا محالة كتب النحو[٥٩]. أما استخدام التصغير[٦٠] تعبيراً عن فكرة تحقيرية (استعملت صيغة فعيل في صور عدة) فذلك من طبيعة الشعر العربي في العهد الوسيط الذي زخر بالمديح والهجاء. وأغلب الدلالات المرتبطة بأسماء الأعلام العربية محددة، خلافاً لما يقع في اللغات الهندية الأوروبية. من ذلك وجود عبارات دينية في شبه جملة (إضافة تكون فيها الكلمة الأولى اسم شخص أو كلمة عبد المعوضة له تعبيراً عن اسم الإله: عبد يسوع، عبدالله، أو اسم الجد: عبد أمية). وهو أمر يذكّرنا بما كانت عليه الحالة في عبادة الأوثان في العصر الجاهلي. يضاف إلى ذلك استعمال الكلمات المشتقة من الحيوان، لا سيما المتوحش منها: أسد = أسامة = ليث. ولا يعدّ ذلك من قبيل الانتماء إلى رمز معين لا يتماشى وعادات المجتمع العربي. فقد تواجدت أسماء متنوعة في البيت نفسه، ولم يقع الاقتباس من الأعلام الأجنبية، ما عدا بعض الأسماء الفارسية والسريانية. أما عن الأسماء المؤنثة، فقد شاعت فيها ألفاظ مثل ظبي، أرنب وحتى عقرب، ولا ريب أن البدو هم الذين سمّوا بها. وأقل من ذلك ما اقتبس من أسماء، من النبات الشائك للرجال، وأسماء الأزهار والأشجار للاناث، لندرة الأعشاب في بلاد العرب. لكنها استخدمت كأسماء للوحدة وختمت بالتاء المربوطة. وكذلك الأمر في أسماء الكواكب والاجرام السماوية، والطبيعة عامة (بحر، فرات). وقد اتضح انه في مطلع هذا القرن، بقيت شائعة عدة أسماء من أصل غير بيّن شمال بلاد العرب، مثلا برد، عباية، ولو ان ذلك يدل على فكرة الاحتماء تقوم فيها الأسلحة والملابس بدور بارز (سنان)، وكذلك أسماء النقود (دنانير، جمع دينار، خاصة في فجر الإسلام)، وأسماء العبيد والحجر الكريم، وأعضاء البدن (فعيل أو فعيلة). وراجت أسماء تصف الطفل وأعماله (الحبيب)، ووضعه الاجتماعي (شريك)، أو الفأل (بشير، بشر) كما أن أوصافاً أخرى شملت المميزات البدنية والذهنية والروحية والأخلاقية وكان يقصد بها التفاؤل بأن يكسبها الطفل وتكون له خصالاً حميدة. وما اقتبس من أسماء من العصر الجاهلي والوحوش والأشجار والنباتات الصلبة أو الشائكة، والأحجار، وحتى بعض الأعلام المؤنثة الدالة على ذكور، استهدف حماية الطفل من القوى الخفية الكامنة في الطبيعة الجافة المعادية. فقد وقع التخلي في العصر العباسي عن اسطورة الجنون وتأثيرها. أما مشتقات تلك الأسماء خاصة من بعض الألفاظ (عمر، خلد، عيش. . .) فنزعت إلى صيانة حياة الوليد (سلم، سعد) الذي كان اسمه مجرد صدفة أحياناً، تتمثل في لقاء أو حدث يقع مع الولادة، أو خاصية بدنية، أو التضامن القبلي، أو اسم أحد العظماء. . . وما

---

(٥٨) فيبكا فالتر، «أسماء الأعلام العربية من القرن الجاهلي الأخير إلى العصر العباسي،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٢٠٨ - ٢١٠.

(٥٩) السامرائي، **دراسات في اللغة**، ص ١١٥.

(٦٠) *Studia Islamica* (1956), p. 20.

يمكن قوله في الأعلام إن مختلف المظاهر القائمة في الحياة الاجتماعية قبل الإسلام والمتمثلة في العصبية القبلية والقيم الأخلاقية ومثل القبيلة وما جد بعد ذلك من أحداث في بداية الإسلام، يمكن تكوين فكرة واضحة عن الدوافع التي أدت إلى تلك التسميات. فقد قضى الإسلام على عدة أسماء مستمدة من الآلهة، أو التي كانت تمس بوحدة الدين أو بالصفات الالهية. أما الأسماء التي شاعت بعد ظهور الإسلام، فقد استمدت من محيط الرسول ﷺ، وراج خاصة اسم عبدالله وعبدالرحمن بفضل المرات التي وردت في الحديث النبوي، كما سمّي بأسماء الأنبياء السابقين الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم. وقد لاحظ ابن دريد ان القاعدة العامة في تسمية الأبناء عند العرب هي أن يسمّوا بأسماء تناقض ما راج عند اعدائهم وعبيدهم فيسمّوا أبناءهم تفاؤلاً[61]. وكثيراً ما كان وزن فعلون الدال على المكان أو المعبِّر عن فكرة ما خاصة الاحترام، يستعمل في الأعلام الحسية والمجردة[62]. اما الواقع اليوم في الأسماء فهو التخلي عن الكنى والألقاب المطولة والاقتصار على النسبة أو الشهرة التي تلي الاسم الفرد وأحياناً يضاف اسم الأب تلافياً لكل لبس في تشابه الألقاب.

وقد نشرت مجلة المكتَّب أيضاً أبحاثاً حول الضمائر العربية وجذورها. فالضمير يعتبر كُلًّا لا ينفصم كما هي الحال في الذرّة، لكن ذلك لا يمنع من محاولة التطلع إلى ما اكتنفه من لبس في اللغات الساميّة عامة وفي العربية بالأخص، لأهمية النظر في هذه المسألة بالنسبة إلى التطور الشامل للعربية. فمن النحاة من رد أصلها إلى الهمزة لكونها تشكّل قيمة دلالية عامة يستدل بها على الأشخاص والأشياء[63]. وقد أطنب في الحديث عن تطور الضمائر الأستاذ عبد الحق فاضل الذي أشرنا إليه في الفصل السابق. فهي منفصلة ومتصلة تتركب من عناصر ثلاثة، الهمزة والميم (هم) والتاء. والمعروف، مثلاً، أن الهمزة الممدودة شائعة في المغرب كما هي الحال بالفرنسية والانكليزية (Ô)، وتعتبر بمثابة الوحدة الصوتية المخصصة للنداء (الهاء تتحول إلى ياء وتتنوع إلى أيُو، أيْ. . .). وتزاد حروف أخرى أو تعوض الهمزة (الهاء في نحن)، وتتضمن العناصر الثلاثة المذكورة. والهمزة تستعمل كما هو معروف حرف استفهام (أ. . .؟). وبداية من هذا الحرف المعتبر ضميراً بصورة عامة، يمكن احتمال الكشف عن أصل الحروف القائمة بمهمة الضمائر (أنا، هو من مخلفات اللغة البدائية). ذلك أن المتكلم كان ينطق ويقوم بالحركات المناسبة المعبرة عن حالة وجدانية دقيقة. والهمزة (I بالانكليزية، yo بالإسبانية، io بالايطالية، ego باللاتينية، wo بالصينية، û بالفارسية، o بالتركية. . .) موجودة في العربية في بداية الضمير والفعل المضارع والأمر، وبعض الأفعال المشتقة. وإذا صارت هاء، فالهمزة تكون أداة معبرة عن الانذار (ها أنا ذا) ويكون لها معنى هو (Who بالانكليزية، وهي (he بالانكليزية)، فيقع موقع الضمير المتصل. أما النون، فهي موجودة في ضمائر المتكلم والمخاطب nos = باللاتينية، tu بالصينية = أنت، man = أنا بالفارسية. ويبدو

(٦١) فالتر، «أسماء الأعلام العربية من القرن الجاهلي الأخير إلى العصر العباسي،» ص ٢١٠ - ٢١٥.
(٦٢) **اللسان العربي** (١٩٧٤)، ج ١، ص ١١٩.
(٦٣) **اللسان العربي**، السنة ١٣ (١٩٧٦)، ج ١، ص ١٠٦.

أن النون عبارة عن لجلجة طفل (نانا) يخاطب شخصاً مأنوساً لديه (في مصر يقال نينـه للأم، ننه بالفارسية). والهاء ضمير متصل بالفعـل والاسم والحرف يستخـدم مفعولاً بـه (ني متصل بالفعل: دعاني). وقد علل وجود النون النحاة اعتباراً لشيوعها، فبيّنـوا أنها ظاهـرة خصصت لحماية الفعل ووقايته من الكسرة، فسميت لذلك نون الوقايـة. وتلحق الكسـرة الاسم فتزيـل غيرها (داري) كما تنحي السكون. والمظنون أن حرف النون ينبغي أن يكون الضمير الحقيقي المتصل بالفعل (نساعـد) في حين أن اليـاء لم تكن سوى حـركة تقـارن بحرف النـون (نا) في الماضي، ونفي الفعل المضـارع. والمؤكد ان قلب الحـروف ظاهـرة داخلة في اللغة، فتتحـول النـون إلى ميم كما في سـوريا والعـراق، وتصير الهمـزة ياء وهـاء فتعـبّر عن فكـرة الاستفهـام الانذاري الذي يخاطب المتكلم السامع. ويؤدي التحليل اللغوي المقارن بالباحث المجتهد الى القول معبّراً عن رأيه الشخصي إنه، اعتماداً على ترسيس اللغات، وردّ التطور الدلالي الصرفي إلى العربية اللغة الأم، يمكن إقامة مطابقات بين اللغات السامية واللغات الهندية الأوروبيـة، على أن ما يعنينا في ذلك هو متابعة الرأي الذي يحاول تجديد النـظرة الى الضمائـر العربيـة وما يكتنفها من غوامض ينبغي العمل على توضيحها[٦٤]. بالفارسية يقابل نحن ما، وبالانكليزيـة my وme (aid me = أيدني). أما الضمـير الفارسي man (انـا)، فهو من أصـل عربي ممـاثـل للضمير العربي ويستعمل في الموصول، فينبغي اعتباره ضميراً عاماً (مثل النـون والهمزة) قـام مقام اسم الاشارة (تا، تان تحوّل الى ذا، ذان)، واستعمل ضميراً متصلاً في آن واحـد بآخـر المـاضي وبدايـة المضارع (تـا بالصينيـة = هو، كضمـير منفصل، تُـو بالفـارسيـة والايـطاليـة والفـرنسية، thu بـالسكسونيـة و thou بالانكليـزية. . .)[٦٥]. وهـو أيضاً العـلامة العـامـة في المؤنث، فيزول في الخطاب ويعوضه الهاء أو ينطق به في العامية العربيـة، والتركيـة والفارسيـة (مثل ما يقع في المفرد الغائب في الماضي)، لكن بتـاء ساكنـة أو بمد الفتحـة التي تسبق التاء، ويشمل ذلك جمع المؤنث السالم.

هـذا وتؤنث الأسماء في العـربية[٦٦] إذا كـانت من أسماء الجـماد وأسماء العـدد والأسـماء المشبهة بالمؤنث (سماء). ويبدو أن ذلك يعزى إلى فـترة من نظام الأمـومة سيـطرت على بـلاد العرب في فترة بعيدة من تاريخهـا. وقد أبـدى هذا الـرأي المستشرقون وأقـاموا نـظريتهم على وجود المؤنث في اسم العدد اذا كان الشيء المعدود مـذكراً. لكن رتّبت الأسـماء التي لا تخضع لقاعدة الجنس في الجنسين معاً في اللغات اللاتينية، خلافاً للعربية التي لها الخيـار في تذكـيرها أو تأنيثها لكونها أسماء دون جنس. وتضـاف التاء إلى الأفعـال والأسماء، فتبقى عـلامة قـديمة

---

(٦٤) انـظر: محمود أحمـد نحلة، «الضمائـر المنعكسة في اللغـة العـربيـة،» **اللسـان العـربي**، العـدد ٣٤ (١٩٩٠)، ص ٥٩ ـ ٧٨.

(٦٥) عبـد الحق فـاضـل، «أسرار الضـمائـر،» **اللســان العـربي**، السنـة ٥ (آب/ اغسـطس ١٩٦٧)، ص ٢٧٣ و٢٧٨.

(٦٦) ابراهيم السامرائي، «في التذكير والتأنيث: نظرة تاريخية في هذه المسألة،» **مجلة مجمع اللغة العـربية الأردني**، السنة ٩، العددان ٢٨ ـ ٢٩ (تموز/ يوليو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٥)، ص ١٣١ ـ ١٥٤.

جداً فقدتها عدة أسماء. وقد نطقت به عدة قبائل عربية بصور مختلفة، فقامت التاء بعدة وظائف بالكلمة نفسها (نسابة في المذكر والمفردة المؤنثة والجمع) وفقد الكثير منها بسبب ما طرأ من تغييرات لغوية على مر العصور. وقام حرف التاء بدور حضوري فعلي لكنه اختياري تكميلي في بعض الأسماء (نجم ونجمة). وهو يضفي معاني جديدة على الكلمة ويحورها (الهاجر والهاجرة). ويمدنا بدلالة جديدة في كلمة كانت بلا معنى قبل ذلك، فصارت التاء مندمجاً ضرورياً للكلمات (الأمسية). وهي قاعدة معمول بها في المصادر والأفعال المضاعفة ويمكن الاستغناء عنها أو حذفها (تعليماً). أما التاء المتصلة بالمصدر وأسماء الحرف، فهي تدعم معني الصفات (علاّمة). وحذفها يعني إضعاف الفكرة (ورقة اسم وحدة، واسم جنس، مثلاً يمكن استعمال يمانية ويمانيه في الجمع دون تغيير في حين أن الجمع المختوم بالتاء يدخل عليه عادة تغيير (كاتب، كتبة). وقد جمع النحاة دون تمييز استعمالات التاء التي تصير سينا في اللغات الآرية، فنقول باللاتينية amica و amicus، وبالايطالية amico، وقد عملوا على امتداد هذا الشذوذ الى اسم العدد (بين ٣ و١٠) فقلبوا رأساً على عقب قاعدة تأنيث الاسم دون الفصل بين وظيفة المؤنث ووظيفة الجمع. أما جمع الأسماء التي دون جنس في صيغة المؤنث، فقد عوملت المعاملة نفسها، فشملت القاعدة كل أسماء الجماد. الواقع أن التاء في الأعداد من ٣ إلى ١٠ علامة للجمع فوجب حذفها، وامتد ذلك إلى الأعداد المركبة أيضاً. ويبدو أن قضية المؤنث ترجع إلى ضمير (هو) الدال على المذكر والمؤنث الذي هو دون جنس، وذلك بالنسبة الى كل الأحياء، قبل أن تتحول الهمزة إلى هاء. ثم بدأ يظهر التميز بظهور (هي) للمؤنث (Ia باللاتينية) وقد سبقتها فترة من الغموض استعمل خلالها الضميران بالنسبة الى أسماء النوع في حين أن (هو) و (هي) استعملا دون تمييز في أسماء الجماد، لفقدان ضمير ثالث، مثلاً (it بالانكليزية). وشاع في الاستعمال التذكير والتأنيث في الأسماء، وقد رتبت الأسماء المختومة بالتاء في باب المؤنث. واذا أمكن زيادة (هي) الى الاسم، فإنه يؤنث، وكان ذلك بمثابة المشكل الذي حيّر النحاة العرب، وقد نزع الفيروزآبادي إلى استخدام التاء. أما بقية الأسماء، فتذكّر أو تؤنث إذا زيدت التاء إلى آخر الاسم أو استغنى الاسم عن هذا الحرف. ثم إن ما جدّ من تفاعل لغوي بين اللهجات القبلية أتاح للمتكلمين استعمال أحد الجنسين مع بعض الأسماء. وقد اعتبر اللغويون المحدثون (هو) ضميراً عاماً في المذكر. أما القدامى، فقد خيروا بين تأنيث أو تذكير المذكر في أسماء الجماد التي تخضع أحياناً للتأنيث في حين أنهم أنثوا بعض هذه الأسماء، وإن الاتجاه في الوقت الحاضر هو تفضيل المذكر في أسماء الجماد التي تخضع أحياناً للتأنيث في الجمع، وصار ذلك بمثابة الصورة التي تحتل المكانة الأولى[٦٧]. ولا علاقة في الواقع لأسماء النوع بالجنس كما هو معروف في الوضع الطبيعي، لأن الكلمة الدالة على المذكر يمكن أن تكسب هذه الصفة في النحو (حمزة اسم مذكر مختوم بعلامة التأنيث)، ومن المعلوم من جهة أخرى أن الفعل يؤنث مع الجمع كافة[٦٨].

---

(٦٧) عبد الحق فاضل، «التأنيث في العربية،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٢٣٤ ـ ٢٤١.

(٦٨) تمّام حسّان، **مناهج البحث في اللغة** (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٥)، ص ٢١٥.

وتوجد الضمائر في اللغات السامية منفصلة خاصة بحيث يظهر اللفظ المركَّب أصلاً في الضمائر. فمثلاً (هو = أو وآ، هي = أيْ وآ). والأمر أكثر وضوحاً في (أنت) الذي بلغ درجة رفيعة من وجهة الشيوع بصفة اسم اشارة وضمير عامة، وتركيبه آ، نا، تا، هو في شكله الأصلي على النحو التالي: بالفرنسية ent، بالفارسية end، ويكون آ ـ نا، شاع في بعض اللهجات آ ـ ني، ثم آ ـ نا ـ تا مرتبطاً بضمائر اخرى (أنت، أنتما). وكان تركيب الضمائر بمثابة الحل الذي وجد لتيسير التخاطب بين المتكلمين (مثلاً، يلاحظ اختلاف أسماء الشهور في العربية)، وذلك باستعمال ثلاث لهجات بالنسبة الى الضمائر التي آلت الى الاندماج في ما بينها (آ، نا، تا = أنت). وبفضل هذا التنوع يمكن تلوين المعاني (انا، آ يجلب الانتباه ويمثل نا الضمير). ثم ان التكرار يستهدف الجمع أو المبالغة في اداء الفكرة. وفي الجملة، فليست الصدف هي التي ادت الى نشوء هذه التركيبات في الضمائر، بل كان ذلك نتيجة جملة من الأوضاع اللغوية التي أتاحت تجميع الوحدات الصوتية (أنتما = ان وتما المتصل بالفعل، كتبتما عبارة عن وحدة صوتية معزولة). وتشتمل الضمائر المعزولة أي المنفصلة على عناصر مقطعية وحروف مزيدة، وهي متركبة من عناصر صوتية أساسية (آ، نا، تا). أما الضمائر المتصلة في الماضي والمضارع، فهي تستخدم المقاطع نفسها في حين أن الأمر اختص بزيادة الهمزة وحذف النون في الآخر. والواقع أن النحاة لم يعتبروا تلك الضمائر متصلة لأنهم لاحظوا في بعض الصور وجود ضمائر متصلة بالفعل ومتميزة، كما لاحظوا غيابها في صور أخرى (افعل، تفعل، فعل). وقد توصلوا إلى الحل الذي تمثّل في ايجاد الفاعل المقدر، فاغفلوا بذلك وجود الضمير في بداية الفعل والحركات الثلاث الأخيرة التي يمكن اعتبارها آثاراً للضمائر. ومن المحتمل أن الضمائر (آ، ها، نا) كانت عند العربي الأول ألفاظاً أصلية عامة مثلت في نظره أنواع اسم النوع كافة بحيث تخصصت مشتقاتها في التعبير. وقد حدد النحاة (تِلْك) في باب اسماء الاشارة في المؤنث القديم في حين أن (تَيْك) استخدم للتعبير عن مسافة متوسطة البعد. وقد ادى اختلاط الحركات واستبدالها وتحويرها إلى تعدد الضمائر. فكان لِزاماً أن يحدد الدور النوعي لكل ضمير بفضل تناوب الحركات (مثلاً فعلتُ، فعلتَ، فعلتِ) أو في الصيغة الممدودة (فعل وفعلا). وما نسب من وظائف في اللغة الفصحى اتضح في المعاجم خلافاً لما حصل بالنسبة الى اللهجات. والأمر واضح مثلاً في الضمائر التي بدأ بها الفعل، في صورة الإسناد إلى نائب الفاعل الذي يبدو أنه كان من مخلفات إحدى اللهجات ولحق ذلك الفعل في المضارع ثم في الماضي. ويمكن ملاحظة هذه البقايا في صور اخرى: حرف (ما) في الموصول ومعناه الذي، ولم يعد يقوم بمثل ذلك الدور في اللهجة لأن النفي يقع بواسطة وحدة صوتية أخرى (شي، ما قال شي) شملت عبارات النفي الأخرى التي تتضمن فعلاً متعدياً ولازماً وكذلك التراكيب غير الفعلية (موش عارف). وتعوض هذه الزيادة بكلمة (حاجة) (ما شافشي حاجة). الواقع أن علامات الاعراب المتصلة بآخر الفعل ليست إلا بقايا من هذا القبيل استقرت في ما طرأ من تغييرات على الهمزة التي تمثل حركتها بصوت صلب في بداية الكلمة والتي تتحول إلى إحدى العلامات في رسم العربية تمثلها الوصلة. وليست ضمة الفعل والفاعل في الواقع سوى ذات الصوت (أو) الموجود في اللغة البابلية (tarbitu = تربية)، واللاتينية (calamos كما في الأكادية)، واليونانية (Kalamos، كما في السريانية).

وأرفع نوعية تبدو ظاهرة في العودة إلى الضمة التي تتمتع بضارب نطقي هام في الجمل الاسمية والفعلية (مثلاً في المبتدأ والخبر، وفي صيغة المجهول، تقع الضمة على المفعول به). وتقع الحركات الأخرى على متممات الجملة تلافياً لكل لبس. ومثل هذا النظام الاعرابي موجود في اليونانية واللاتينية، وقد حدد لكل حركة دورها حسب العصور المختلفة. والملاحظ أنه لا يمكن فصل الفعل عن الفاعل أو نائبه الذي يمثله الضمير وترمز إليه احدى الحركات. ومع أن الضمير لا يلحق بالاسم، فقد جرت عادة الكلام على ضمه (صغير هو). وإضافة إلى ظاهرة شكل آخر الكلمات، يوجد الفارق في نطق الحركات المحدد لوظيفة كل واحدة منها، وهو المحور الذي يقوم عليه تدريس النحو الذي ينبغي تيسيره بعد مراجعة مناهجه ونقد المقررات في التعليم العام على ضوء ما جدّ من مشاريع اصلاحية في هذا الباب كما سنرى ذلك مفصلاً عند الحديث عن تبسيط التعليم النحوي. لكن ما يمكن قوله من الآن أنه يتحتم تغيير النظرة إلى هذه المادة الأساسية لا محالة في اكتساب اللغة العربية، وذلك باختيار ترتيب جديد لتلقين مبادئه، كأن يبدأ الاهتمام بباب المرفوعات: كان واخواتها وأسمائها المرفوعة، ثم المنصوبات تجسيماً للفارق بين جزءي المركّب المتضمن الاسم والمتممات في الجملة. وترتيب الضمائر المعروف وتقسيمها إلى ضمائر منفصلة وأخرى متصلة يمكن من بلورة القضية بخصوصها، فاعتبار الضمائر المتصلة بمثابة الخلاصة أو التكرار للضمائر المنفصلة (رأيت/ هو، تكتب رأيته). وفي صورة الجمع، تكرر نحن مرتين (أنا). وفي الفارسية، آنان = آن + آن، وهو موجود في المثنى، وحتى في الجمع المقدر، في عدة أشكال (آنْ، أيْنَ، أوْن، إيْن، أوْن). ويبدو أن الأسماء كافة كانت في المثنى والجمع بفضل دخول (آن) عليها، وهو سيخصص للمثنى في حين ان (أوْن) صار علامة الجمع لتعدد جموع التكسير المشتقة من المفرد أو من أوزان تميزت بعدد الوحدات الصوتية والحركات، كما جاء في **المجلة الآسيوية** لسنة ١٨٩٣. وحصل ذلك خاصة في الجمع السالم الذي قعدته التحويرات الاجتماعية المتمثلة في تأسيس الخلية العائلية. ومن هذه الأوزان، نجد أفعل التي تجمع بزيادة (آن) ان دلت على عدد من البشر (سودان، سود)، وهو نفسه الذي يشمل الأنواع الأخرى.

ويلحق بقضية الجمع التنوين الذي عمد بعض النحاة إلى توسيعه إلى الأفعال الدالة على التوكيد (إذهبن في الأمر = إذهب + ان). ونجد في اللغة السكسونية: bringan ورّد، beatan ضرب. وتوجد الأداة المتصلة نفسها (أن) في الانكليزية أيضاً. وقد ارتبطت هذه اللاحقة بنطق الكلمات، ويبدو أن تواتر (أن) نشأ عنه ما سمّي ظاهرة التنوين التي تحدد بها التنكير وإعرابه بالحركات الثلاث. وتتركب اللاحقة (أونا) في الرفع من أون + آ، وتصير ألفاً في صورة تسكين الحرف وفي المجرور: واقف + أين، وفي النصب واقف + آن. ووجد باللغة اليمنية المنقرضة آن التي هي اشارة في الفارسية، ثم صار هان وها بمثابة الحرف المقرر لهذا الغرض. ولعل اللغة الحميرية هي التي مرت بهذه المراحل التي جدّت فيها تغييرات صوتية، فكان حرف الميم أداة للتعريف بدل النون، وقد وقع الانتقال من أمْ إلى أنْ ثم أل. وفي اللاتينية التي كان فيها ما تؤدى به الاشارة أداة للتعريف في الأصل، لا تستعمل تلك الأداة

كما هي الحال في الفارسية، لكن تنوب عنها أدوات الاشارة وكذلك بعض المركبات (مثل illud، illid، illae). وقد ظهر حرف la في اللغات اليونانية اللاتينية أيضاً. وفي الأصل، أحاط التعريف والتنكير بأداة آنْ = أَلْ الذي هو ضمير بالفرنسية (la، elle، il)، وبذلك حصل دفع جديد في التغييرات اللغوية، مثلاً ظهور السين (calamus باللاتينية، kalamos باليونانية) بمثابة الحرف !!تمرر له عدة وظائف. فقد عوض التاء كما في اللاتينية (أُوْس = أُسْ = us) وقد كان (أوت) كما في جبروت أو ترتّل وترسّل. وفي كلمة الأس نجد ايْس ـ لَيْسَ، بمعنى الوجود والكيان. ويوجد حرف السين كذلك في اللغات اللاتينية (esse في اللاتينية) (se + فعل بالفرنسية). وتلك هي علامة الجمع والمفرد في الفعل الانكليزي في الغائب، وكذلك الأمر في is الذي ينبغي تشبيهه بـ as في الفارسية. أما الفعل المساعد في اللغات الهندية الأوروبية، فهو يشكل دعامة في الجملة الاسمية، خلافاً لما يقع في اللغات السامية. والأدوات الدالة على الحالة تستعمل في الفارسية بمثابة الضمائر المنفصلة وتتصل بالاسم أيضاً. ولا يقع استخدامها كلما نابت عنها الضمائر المتصلة، وكذلك الأمر في العربية إذ تتصل بالاسم أيضاً كمابالفعل وتصير ضرورية لتركيب الجملة الاسمية بصفة زيادة لغوية أساسية (ust بالفارسية) هي الضمير المتصل بين لفظتين، ويتحول إلى فعل أو يكاد، لكن يمكن العربية أن تستغني عنه، ويقع في آخر الكلمة، خلافاً لما يجدّ في اللغات الأوروبية. وتفقد المساعدات الفعلية طبيعتها المتصلة لازدواجها، دون أن تكسب خاصيات الفعل، لكن ذلك لا ينزع عنها مظهر الزمنية في التصريف ولا يمنحها القيمة التعبيرية الموجودة في الفعل. أما أفعال الوجود في الزمان والمكان، فقد أفادت بفضل ما جدّ من تيارات نزوح وتنقلات، من الأعراب الموجود في الجملة العربية، كما في الفارسية والانكليزية، وذلك بالقضاء أو التخفيف (بالسكون) من الحركات الاعرابية في آخر الكلمات، وذلك اختصاراً، فحذفت بعض الألفاظ (كي، الذي، أن) تقوية للخطاب، ولم يكن الأمر على ذلك النحو في الأكادية والأرامية واللغات الآرية التي يحتمل انحدارها من العربية بصفتها اللغة الأم التي عاشت في الصحراء، واقتصدت في التعبير طبق القانون المعروف في بذل أقل جهد لغوي ممكن. وقد أدت ضرورة الشكل باللغويين العرب إلى التساؤل عن نشأة الحركات، الناجمة عن الوضع الذي خلقه وجود حرفين ساكنين مثل ما وقع في اللغات الهندية ـ الأوروبية حيث يمكن مقارنة الضمائر بمثيلاتها في العربية: آ = مَنْ في الفارسية، I في الانكليزية، je في الفرنسية، io في الايطالية. وكذلك الأمر في الاشارة: هذا = this. وقد تنوع استعمال الهمزة جلباً للانتباه في النداء والاستفهام واستعمال الضمير. . . وللهمزة عدة تنويعات في اللغات الأخرى، وكذلك الأمر بالنسبة الى حروف أخرى (النون والتاء الذي تولّد عنه حتى)، و (أن) الذي صار (هذا، هنا، وحان حين). والضمير (ذا وذو) الذي استعمل بمعنى اسم موصول، والضمير انت الذي تطور إلى and في الانكليزية (ent و ont في الفرنسية) والسابقة anti، ante. والمظهر الوظيفي في اللغة هو الذي يحملنا على إبداء مثل هذه الفوارق، مثلاً في صورة الموصول الاسمي والموصول الحرفي. ومن المعلوم أن النحاة يطلقون «على أسماء الاشارة، وأسماء الموصول اسماً خاصاً هو «المبهمات»، لوقوعها على كل شيء من حيوان، أو نبات أو جماد، وعدم دلالتها على شيء معين منفصل إلا بأمر خارج عن لفظها، الموصول لا يزول إبهامه الا بالصلة واسم الاشارة لا يزول

ابهامه إلا بما يصاحبه من اشارة حسية أو معنوية»[٦٩]. والنوعان المذكوران من الموصول، وظيفتها الصلة بين (ما) السابق واللاحق لها، وهي وظيفة تنم عن تطوّر لغوي وتشعب في العلاقات القائمة بين المتحاورين. يضاف إلى ذلك أن الموصوف الحرفي يفيد الربط وأيضاً السبك أو أن يسبك ما بعده ويؤول مصدراً يقع موقع الاسم. ومثل هذه الأدوات الحرفية توسع من القيمة الدلالية للجملة، «فتأتي الحروف فتساعد الأفعال على النهوض ببعض الوظائف التركيبية التي تؤديها الأسماء. فالأفعال أو الجمل حين تؤدي وظيفة الأسماء بواسطة الحروف تكون قد حولت الى اسم، أو على الأقل اكتسبت قوة اسمية»[٧٠].

كل هذه المعلومات الواردة في خصوص الأدوات الطارئة على الاسم والفعل كالضمائر والاشارة والموصول تفيدنا في تعميق وظائف عناصر الجملة العربية. وهي بمثابة الآفاق المفتوحة التي تبدو حدسية، لكن قيمتها توجد خاصة في تحريك الألسنية العربية والمقارنة، التي تحتل العربية فيها الدور الأساسي، مع الاعتراف ضمنياً وصراحة أنها مجرد فرضيات يمكن أن تقام عليها الأبحاث العلمية الطويلة النفس، وانها من باب الاحتمالات في البحث اللغوي التي من شأنها أن تنحو بالعمل اللغوي مناحي غير متوقعة. والعمل على وضع طريقة تتبع عنها أفكار لغوية جديدة تبدأ عادة مجرد تخمينات ويمكن أن يستفيد منها الباحث في الضمائر العربية مثلاً؛ وما طرأ على اللغات من تحويرات في هذا الباب، وهي نتيجة تسمح على الأقل باعداد جرد لقضايا لغوية، كانت تترقب المراجعة والمناقشة عملاً بمقاييس جديدة، مثلاً مسألة التنوين والتعريف والتنكير وحركات الاعراب، والجنس والعدد[٧١]... وكذلك البحث في دلالة الحروف له ما يبرره في إطار الجملة العربية، والمبتغى هو الكشف عن «أسرار» الحروف في القرآن الكريم، أولاً، واستنباط الملاحظات المؤسسة على ما شاع منها في القرآن، تطلعاً إلى المظاهر الدلالية واللغوية والبلاغية التي تتيح فهم الألفاظ القرآنية خاصة أنها كثيراً ما التبس أمرها بالدلالات المعجمية المتعددة التي تتضخم كلما عنّ لنا شرح الحروف ومعانيها. وقلّ وندر أن نشرح الحروف المستعملة في القرآن الكريم شرحاً سليماً، سواء اعتبرت من الزوائد أو قدِّر حذفها أو وقع شرحها بواسطة حرف آخر، ذلك أن اعجاز بيانها يتحدى كل محاولة لشرحها وتفسيرها. وقد وقع الاستشهاد بما ينبغي على استعمالات الحروف المنفصلة أو المتصلة أو المركّبة، وكان موضوعاً لأبحاث ودراسات قام بها المفسرون، حادت بها عن طابعها الدال المعبّر، وعملت على مطابقتها بضرورات الاعراب أو شكليات البلاغة. فمثلاً اعتبر حرف الباء زائداً في عدة آيات من طرف المفسرين والنحاة لكونهم رأوا انه زيد، دلالة على المبالغة وتأكيد قوة الفكرة، وقد زيد إلى خبر ليس الباء في ٢٣ آية، مثلاً في قوله تعالى: ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ [سورة الغاشية: ٢٢]. كان ذلك رأي ابن هشام الذي استنبط منه قاعدة عامة. لكن لم يمنع وجود ذلك من أن التفسير كان شكلياً لم يتعلق بالمظهر

---

(٦٩) اللسان العربي، السنة ١٢ (١٩٧٥)، ج ١، ص ١٤٠.
(٧٠) المصدر نفسه، ص ١٤٢.
(٧١) فاضل، «أسرار الضمائر،» ص ٢٧٨ ـ ٣٠٥.

الدلالي، ورغم ذلك فقد وقع تناقل مثل تلك الأقوال على مر العصور، ولم يتدخل أي فكر محقق لجرد ما بالحروف القرآنية من معانٍ ينبغي مراجعتها والاضافة اليها. وقد ساد الرأي أن حرف الباء المذكور يعمل في الخبر الذي كان اعرابه النصب المقدَّر بفتحة مقدَّرة. لكن ما وجد في القرآن الكريم يمكن أن يؤيد الرأي القائل بإمكان الاستغناء عن حرف الباء، كلما تلا اداة النفي ما، فعل كان. وقد تناقض تأكيد النحاة القدامى هذا وتواتر استعمال حرف الباء الذي لم يكن حرفاً زائداً، بل رافق في الواقع خبر ما وليس. وما يستنبط من مختلف الآيات القرآنية المطابقة لهذه الصورة هو أن نستخلص القول إنه يمكن زيادة الباء لخبر النافية ما، دون وجود الفعل المساعد كان. وفي خصوص القيمة البلاغية لهذا الحرف الذي ينقض فعلاً النفي، لكن وقع حصره في معنى التوكيد، فإن للعربية عدة أساليب نوعية للتأكيد (اليمين، التكرار، أدوات التأكيد. . .) وينبغي أن نميز بين البنى الاخبارية والبنى الاستفهامية في خصوص خبر ليس. ويلاحظ استنباطاً انه في صورة التعبير عن فكرة اخبارية، يزاد حرف الباء إلى الخبر في صورة النفي الاستنكاري، وينفصل عن الخبر ضمن سياق دلالي مخالف. ويزول النفي واثباته في الجمل الاستفهامية اذا دخل حرف الباء عليها، ويتحول إلى إثبات نافذ دون نزاع ممكن. ولا يمكن القيمة الدلالية الموجودة في حرف الباء المتصل بخبر نفته ليس (وذلك في الآيات كافة دون استثناء) إلا أن تكون معبرة عن إثبات، باستثناء أي معنى آخر يؤديه الاستفهام (لوم، سخرية، ترقب، انذار). ذاك هو «سر» حرف الباء الذي حاول النحاة كشفه وأوّلوه إلى التوكيد فأبطلوا مفعوله على الخبر بواسطة اعراب تقديري أبطله وجود حرف الباء. وفي الجملة، فإن الجملة الاخبارية المسبوقة بأداة نفي (ما) والمتبوعة بكان وخبرها المنصوب الذي لم يسبقه حرف الباء، لا ضرورة له من زيادة الباء لأن النفي يشمل التركيب كله: (ما) + كان + اسمها + خبرها. واذا كان الخبر منفياً بما أو ليس، وزيدت له الباء، يكون نفيه مطلقاً في الجملة الاخبارية. أما في التراكيب الاستفهامية، فنجد: ليس + اسمها + الباء + الخبر، وهو عبارة عن فكرة مثبتة فاصلة. ويمكن استخدام هذا الاستدلال وتطبيقه توسعاً، على الحروف الأخرى التي اعتبرت حتى الآن بمثابة العناصر الزائدة في الجملة وعوملت على ذلك الأساس. وينطبق ذلك مثلاً على لا النافية الواقعة قبل الفعل (فعل القسم). ويعلل غيابها في الآيات القرآنية بحذفها تقديراً. فقد فكّر النحاة فعلاً أن حذف أحد العناصر يعني أنه غير ضروري لسياق النص الذي يمكنه التعبير عن الفكرة دون مساعدة حيلة الاعراب التقديري أو الحذف التقديري، بشرط أن يكون ذلك السياق ما للعبارة القرآنية من حبك في تركيبها. من ذلك أيضاً أن حروف الجر يمكن أن تنوب بعضها عن بعض حسب رأي بعض النحاة (عَنْ بدل في، وبدل أوْ) في حين أن كل حرف يدل على معنى دقيق موجود في الآية[٧٢].

فإذا فكرنا أن القرآن الكريم كتاب استكمل معانيه إلى أقصى حد من الاعجاز في

---

(٧٢) عائشة عبد الرحمن، «من أسرار العربية في البيان القرآني،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ١١ ـ ٢١.

الدلالة، فإنه يتعذر علينا القول بعد ذلك إنه يتيسر له قبول عدة تفسيرات أو أنه اقتبس من عدة لغات، كما طرأ على اللغة ذاتها منذ العصر الجاهلي. وبذلك في الامكان التدقيق في ما قدّمه القرآن الكريم لتنمية الامكانات التعبيرية في العربية، مثلاً الكتابة في جمل أصيلة: «سقط في أيديهم»، ويضاف إلى ذلك ما تُرجم من اللغات الأجنبية التي كان لها تأثير هام في تراكيب العربية التي تمادى تأثيرها إلى اليوم ويظهر في صورة تحوُّل الى المظاهر الدلالية النحوية. مثلاً «الكاف» التي تدل على التشبيه اضافة إلى معان أخرى مقتبسة عن تلك اللغات. فهي تستعمل تعبيراً عن السببية والتوكيد وبدل الاسم. أما عن مؤدّاها في العصر الحديث، فقد عرفت بالكاف التمثيلية (أنا ككاتب، استعمل هذا التعبير). فلم يعد ذلك مجرد تشبيه إذ إن أحد ألفاظه غير موجود لأنه قد تضمنته الفكرة. أما السببية، فقد وقع الاجاطة بها في المثال التالي: «الوالي، كأحد رجال السلطة...». ويمكن زيادة الكاف والتعبير عن التوكيد كما في الآية: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [سورة الشورى: ١١]، وزيد كالأسد = مثل... فيمكن اعتباره حالاً[٧٣]. ومن المعلوم أن لحروف الزيادة في الأفعال والمشتقات من الثلاثي والرباعي معاني دلالية صرفية. إنها من المعاني التي تتضمنها بنية الفعل الداخلية (حركة عين الماضي والمضارع تقرر ترتيب الفعل). ويمكن أيضاً زيادة حروف الى الأوزان المزيدة تشعيباً للفكرة[٧٤]. وتترتب على ذلك صعوبات في تنظيم جداول التصريف، فيتعارض ترتيبها رأسياً وترتيب النحو الذي أسس نظامه التوزيعي على خط أفقي، فأتاح له ذلك النظر في المعلومات النحوية، وأيضاً البحث في العلاقات القائمة بين المبادىء النحوية، تيسيراً لاستيعابها على أحسن وجه[٧٥].

ويرشدنا القياس اللغوي، الذي شاع في اللغات قديمها وحديثها، إلى ضبط المعاني ما يوزن على التقييدات الصرفية التي قعّدتها كل لغة لفائدة ما يجدّ بها من مفاهيم حاضرة ومقبلة. أما القياس النحوي فيعتبر من علل النحاة التي ابتكروها والتي تُعتبر بمثابة الصنعة التي تداولوها جيلاً بعد جيل لشرح الظواهر الطارئة على الكلمة والجملة من وجهة الاعراب. «فأما النحويون والصرفيون فقد برعوا في القياس إلى أقصى حد، فكل علمهم قياس. نظروا إلى الأعم الأغلب فجعلوه قاعدة وجعلوا ما جاء على خلافها شاذاً لا يصح لنا الاتيان بمثله، فالعرب لم تلتزم مثلاً نصب اسم إن ولا رفع خبرها ولا عطف المرفوع على المرفوع والمنصوب على المنصوب وهكذا»[٧٦]. والحديث عن القياس يقودنا إلى التذكير بصيغ العربية التي وردت في اللغات الساميّة، فأكدت فعاليتها إلى يومنا هذا في اشتقاق ما هي في حاجة إليه خدمة لقضية التعريب العلمي[٧٧]. وسواء

---

(٧٣) عبد الله كنون، «الكاف التمثيلية،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ١٣٠.

(٧٤) نور الدين، «التطور اللغوي ونشوء العربية،» ص ١٣١.

(٧٥) حسّان، **مناهج البحث في اللغة**، ص ١٩٢.

(٧٦) شاكر طوقان العيساوي، «القياس اللغوي وأهميته في تطوير اللغة،» **اللسان العربي**، السنة ١٤ (١٩٧٦)، ص ٢٦.

(٧٧) **اللسان العربي**: السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ١، ص ١١٩، و (١٩٧٥)، ج ١، ص ٦٣، وهارون =

كانت الكلمات قياسية أم شاذة أحياناً، فالمعروف أن منها ما له قيمة دلالية قائمة الذات، ومنها ما هي من الكلمات التي لا يستقيم معناها إلا ضمن التركيب كالحروف مثلاً. ومن الأدوات ما اعتبر كذلك في حين أننا كنا نعرفه من الأفعال (كاد، طفق، عسى. . .). وقد اقتصر العرب على استعمال الماضي منها، والسر في ذلك أن «المتكلمين العرب قصدوا إلى أن يصفوا الحدث قبيل حدوثه مباشرة، والتعبير عن مقاربة حصوله الوشيكة حتى ليظن القارىء أو المستمع أن الفعل قد حدث «فعلاً»، أو التعبير عن الحدث الذي يحدث في الحاضر، لكنه قد بدا منذ لحظات»[٧٨]. وفي الجملة، إن ابتكار الحلول لما طرأ من مسائل نحوية عند نشأة علم النحو وبعد أن نما، تمثّل في ما جدّ من تنافس بين مدرسة الكوفة وجمهور نحاة البصرة، وما جرّ ذلك من تأويل وحذف وتقدير مليء بالتناقضات. وقد تفوّق في أغلب المسائل علماء البصرة لجمهرتهم، على قلة علماء الكوفة. والحلول الممكنة للخروج بالنحو مما تردى فيه قروناً طويلة، أن تواجه وتكافح القواعد بالقرآن والحديث دون اعتبارات منهجية القدامى إلا إذا كانت سليمة، وتوخي الاعراب الواحد في اللفظ الواحد المركّب في الجملة الواحدة، وهو ما يقضي على الاضطراب.

٤ ـ خاصيات الإعراب

يرى جرجي زيدان أن ظاهرة الاعراب تميّز الحضارات القديمة التي كانت أدواتها التعبيرية خاضعة للإعراب. ولم تتمادَ اللغات التي تلت تلك الحضارات في استخدام الحركات الاعرابية. ويبدو أن الإعراب لا يخلد إلا في البادية وما يحيط بها، ويبقى على وضع من الصلابة الذي لا يدانى. وإذا حاول المتكلمون ضبط لغاتهم في جملة من التقعيدات، كما فعل العرب والألمان، فإنهم يعملون على الاقتراب من اللغة الأم والخروج بلغة تذكّرنا بالنسبة إلى العربية مثلاً، بمميزات اللغات الساميّة الباقية، وذلك رغم ما أعاقهم من خلافات في البُنى والحركات التي نطقت بها القبائل، وما كان من زوال الإعراب أو تطوره وانحرافه عن الصورة التي كان بها قبل الاسلام[٧٩]. وقد نظر ابن جني في قضية الإعراب وكان من رأيه أن الكلمات ليست إلا انعكاساً لما ظهر من أفكار. وكلمة إعراب من عرب بمعنى أفصح القول، تشكّل النظام الذي به يمكن تركيب الجملة، بفضل ما يطرأ من صور مختلفة على الكلمات، وما يتم من علاقات بين الألفاظ. فكان الاعراب بذلك بمثابة النداء لإقامة علائق بين الأقوال دون أن يتطرق اليها لبس أو غموض[٨٠]. وهي العلائق ذاتها التي يمكن أن تصل بين

= أحمد العطاس، «أضواء على صيغة «فعلون» في العربية،» **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ١، ص ١٧٧.

(٧٨) **اللسان العربي**، السنة ١٢ (١٩٧٥)، ج ١، ص ١٨.

(٧٩) جرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية** (القاهرة: دار الهلال، ١٩٥٧)، ج ٢، ص ٥١.

(٨٠) أحمد عبد الرحيم السايح، «العربية فلسفة وحياة،» **اللسان العربي**، السنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٧)، ص ٤٣ ـ ٤٥.

المفاهيم الثلاثة، ويضاف إليها المعنى وفكرة التقدير. والواقع أن الصلة وثيقة جداً بين الإعراب والمعنى الوظيفي الذي تضمّنه السياق والذي يسمح بتعيين الحركة الصحيحة. وتتحدد وظيفة الكلمة التي يمكن إعرابها بموقعها من الجملة والصورة التي توجد عليها، ولا يتحدد ذلك بمظهرها من وجهة الدلالة، هذا إذا كانت تلك الكلمة مطابقة لقواعد اللغة، ولو انعدم المعنى فيها(٨١). وتنير الفروق بين الوظائف نظرية العامل المؤسسة على البنى، وتوضح كذلك جهاز الإعراب التقديري وما اتصف به من دقائق، وذلك لمحاولة شرح هذه الظاهرة النحوية التي تتصف بغرابة ما(٨٢). وقد ألّف النحاة وأكثروا في تحليل المسائل النحوية واستقصائها، فأدى ذلك إلى سد امكانات تطوير المعايير النحوية بالنسبة الى المستقبل، حتى قيل إن باب الاجتهاد في النمو وقع غلقه. وهذا ما يميز تمييزاً عجيباً العربية لغة القرآن الكريم القريبة من لغة البادية، عن الاشكال المتوالية التي مرت بها هذه اللغة عبر التاريخ. وقد مرت تلك الأشكال بأطوار من الدعم أو التساهل في خصوص قواعد الاعراب الذي اعتُبر أحياناً بمثابة الزخرف الذي لا طائل من ورائه والمخصص لإضفاء طابع شبه فصيح على صنف من التعبير تجاوز فترة اللغة الفصحى بسبب ما تميز به شكله اللغوي الداخلي. وعلى هذا الأساس، صحّ الاقتراح القائل بأن التخلي عن الإعراب علامة ثابتة على ظهور اللغة العربية بعد مرور فترة الفصاحة بغير مظهرها الأول، لما طرأ عليها من تغييرات بنائية(٨٣). وقد ساد الاعتقاد مدة طويلة أن علامات الاعراب ليست سوى زوائد تضاف إلى الكلمات ثم وقع حذفها، فخلّفت آثاراً تجسدت في الحركات الاعرابية. وقد تأسست مبادىء النحو في الماضي على نظرية العامل التي شغلت النحاة طيلة أكثر من ألف سنة مئات الكتب بالمناظرات والخلافات، لكنها لم تُدخل في حسابها أن علامات الإعراب لا يمكن أن يكون لها مفعول يُذكر على المعنى، فإذا قدِّر لها أن تؤثر في السياق، فلا فائدة في افتراض وجود العامل والمعمول في الجملة. إن الألفاظ التي تكون محل نظر نحوي لها وظائف محددة في السياق: يسبق الفعل فاعله، ويسبق المبتدأ خبره، ويسبق اسم الإشارة الشيء الذي يشير إليه، ويسبق الموصول الجملة الصلة(٨٤)...

ولا وجود طبعاً لقضية الاعراب في اللغة العامية، وعلى كل حال فلا يمكن الاستدلال أن الاعراب كان موجوداً في لهجات بلاد العرب عند ظهور الاسلام، ومن باب احرى في لهجات البدو بعد الاسلام. وقد رحل اللغويون والنحاة إلى البادية وسمعوا ما شاع بين القبائل وما رسخ لديها من حركات إعرابية في صورتها الحية(٨٥). وبالنظر في ما جد من

---

(٨١) *Revue d'études islamiques* (1938), p. 62.

(٨٢) J. Fück, *Arabiyya* (Paris: Didier, 1955), p. 2.

(٨٣) حسّان، **مناهج البحث في اللغة**، ص ١٩٢ - ١٩٣ و ٢٠٧.

(٨٤) *Revue d'études islamiques* (1971), p. 183.

(٨٥) ابراهيم مصطفى، **إحياء النحو**، ط ٢ (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥١)، ص ٤٥، ٧١، ١٦٧ و١٩٤.

مقارنات بين الاسم والفعل المرتبط بالاسم، نلاحظ فقدان بعض العناصر التي تقع بعيداً جداً عن الاسم، ويظهر ذلك في اسم العلم ونحت اسمين[86]... لكن يلاحظ في اللغات الفاقدة الاعراب، وجود زوائد وعناصر تكون حروفاً تسمح بتوضيح الفكرة لكنها لا تكون دائمة تحت الطلب. وإضافة إلى اليونانية واللاتينية والألمانية، فإن العربية لغة معربة تفرض وجود تنوع في الحركات يتجسم في آخر الكلمات. والملاحظ أن تلك الحركات ليست علامات أو رموزاً تدل على الصورة التي يكون عليها الفاعل أو المفعول (مثلاً لا تسقط الحركات في آخر الكلمات اللاتينية عند ظهور السكون). أما الوقف في الخطاب، فهو يسمح للمتكلم بالاستغناء عن الحركات، بل بتسكين الحركة الأخيرة، وتبدو تلك العملية بمثابة الحالة الطبيعية التي كانت عليها اللغة أصلاً. ولا يُلزم المتكلم فعلاً بالشكل إلا لأسباب صوتية للوصل[87]، كما اعترف بذلك النحاة القدامى والمحدثون الذين ناقشوا مسألة السكون تعرّفاً إلى ما يقوم به من دور محتمل في تعويض إحدى الحركات. ومع ذلك، فليس السكون حركة، التي هي وحدة صوتية تتمتع بخاصيات ذاتية معينة معروفة بها في علم الأصوات. وعند طرح صيغة الحركة عن السكون، فمن الخطل في الرأي اعتباره حركة لأنه لا يفصل في النطق فعلاً ولأنه يمثّل إن صح القول، عكس الصوت، أي عكس الحركة الصوتية[88]. وفي الجملة، يمكن القول إن شكل آخر الكلام كان في الأصل حلاً للنحاة من التقاء الساكنين، في حين أن النحاة الأوائل لاحظوا ما طرأ على الكلمات من تغيير في أواخرها من وجهة شكلها، ففكروا أن ذلك الأمر مرتبط بالفكرة المعبّر عنها. والأمر واضح، مثلاً، في علامات الإعراب التي تمثلها بعض الكلمات من طريق حروفها لا بالحركات، وعلّل ذلك بتنوع اللهجات[89]. ويضاف إلى الاعراب الخارجي اللاحق بأواخر الكلمات، ما عُرف بالاعراب الداخلي المتعلق بالتغييرات النحوية التي تطرأ على الكلمة بواسطة الحركات، والتي تؤثر في البنية الفكرية في الجملة، فتضفي عليها مظهراً مقتضباً، وفي الوقت نفسه تدل تماماً على المظاهر المعنوية، خلافاً لما أبداه قدماء النحاة من أفكار. وإذا اعتبرنا أن الاعراب ضرورة منطقية في اللغة تسمح بتمييز مختلف أجزاء الخطاب وأنواعه، فإننا ندرك أن الشكل لم يعد عملاً آلياً لا دلالة فيه، بل إنه عمل وظيفي يحدد لحركة معينة الدلالة على معنى دقيق[90]. وبذلك يمكن القول بوجود تميز في الأدوار المخصصة لكل حركة من الحركات الثلاث، فالرفع رمز عن الإسناد، والجر يدل على الإضافة، والفتحة حركة خفيفة معتبرة في الخطاب. الواقع أن رفع المَسند والمُسند إليه يقف عند تدخل أداة تعمل فيهما بالنسبة الى الجملة الاسمية،

---

(٨٦) ابراهيم أنيس، **من أسرار اللغة** (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٦)، ص ٢٠٨.

(٨٧) كمال بشر، «السكون في اللغة العربية،» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**، السنة ٢٤ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ١٥٤.

(٨٨) أنيس، المصدر نفسه، ص ٢٥٣ ـ ٢٥٨.

(٨٩) أحمد عبد الرحيم السايح، «من خصائص اللغة العربية،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ص ٤١.

(٩٠) حسّان، **مناهج البحث في اللغة**، ص ٢٠٩.

فيتحقق بذلك الخلاف الشكلي[91] والمهم أخيراً، هو تمييز ما يكون بين الحركات المندمجة في الأوزان وتلك التي تؤدي قيمة دلالية بالحركات المميزة في الفاعل والمفعول. . . وبتغييرها، لا يكون تأثير ذلك في دلالة الكلمات حاسماً، كأن نقرأ نصاً على شخص أمي دون اعتبار للحركات الاعرابية، ولا يكون حاسماً خاصة في فهم الأفكار، وبذلك يمكن القول إن الصلة بين ما يوجد من دلالة في الكلمة وبين المظهر الإعرابي لها، لم تتضح كل الوضوح ويمكن التساؤل عن وجودها فعلاً.

٥ ـ القرائن النحوية

قلنا إن نظرية العامل كانت وما زالت مجالاً فسيحاً للأبحاث النحوية، وقد تجسدت العناية بالدراسات النحوية في الاجازة عليها، وتمثّل ذلك في موضوع القرائن النحوية، الذي تطرّق اليه البحث. وتمّ ذلك بالاشتراك بين ما تسلّمه المكتب من تحقيقات وإسهام الأقطار العربية منها الكويت التي أجازت على هذا المبحث الجديد بالعناية. ذلك أن ما يوجد من صلة بين نظرية العامل والإعراب التقديري والتخلي عنه من شأنه تيسير عدة قضايا نحوية، وبالتالي تيسير دراسة النحو على المعلمين والمتعلمين. من ذلك الاتجاه الرامي إلى تحليل إعراب بعض الجمل الخاضعة الى الاعراب المحلي. ثم إن الموضوع يتحدد في إعراب الكلمات المبنية أو المعتلة الفاقدة عادة حركاتها الإعرابية. وقد حاول النحاة القدامى حلّ القضية بتلك النظرية. ولأسباب تعليمية دراسية أشرنا إليها، ينبغي تدارس اللغة في عدة مستويات. فالمظهر الصوتي يتيح لنا ملاحظة ما للوحدات الصوتية من قيم متميزة، ويمكن انطلاقاً من الملاحظات الأولية تشكيل نظام صوتي مخصص، وذلك بالنظر في مختلف الأصوات ووضعها على محك التجربة. فإن كانت تلك الأصوات قابلة للتغيير في ما بينها، فسيترتب على ذلك تفريق بين المظاهر الدلالية في الوحدة الصوتية المحددة في الألفباء. أما النظام الصرفي، القائم على المعاني والبُنى والمعالجات المتعلقة بالمفاهيم التي يعبّر عنها بواسطة الأوزان، فإن الأفكار المتولدة عن ذلك تنقسم إلى أجزاء الخطاب وأجزاء التصريف، فيخولنا ذلك تمييز مختلف الأشكال التي تقبلها الكلمة. وعند هذا الحد من البحث، لا مفر من مراجعة التقسيمات النحوية التي ورثناها عن الأقدمين ومحاولة إيجاد توزيع جديد يقام على سبع مسائل: الاسم، الصفة، الفعل، التعجب، الضمير، الظرف، الأداة النحوية. ولكل واحد من هذه الأمور قدرة على التعبير عن معنى دقيق لما له من شكل. ويمكن ذلك المعنى، لنقل في الدلالة، أن يخضع لأي تغيير يصير شائعاً، مثلاً الفعل الذي ينتقل إلى صورة اسمية (يزيد)، أو الحرف المتحول إلى ظرف (منذ). . .

إن الاسم يعبّر عن الكائن والفكرة بفضل المصدر واسم الفاعل واسم المرة وعن النوع والزمان والكميات والتمييز والأسماء المبدوءة بميم والدالة على الزمان والمكان والأدوات

---

(٩١) أنيس، من أسرار اللغة، ص ٢٢٧.

والآلات. والاسم يقبل الجر ويتميز عن الضمائر والظروف. وهو يتميز كذلك عن الفعل لأنه يدل على الشيء في صورة المسند اليه. وبهذه الصورة يتميز عن الضمائر التي لا تقع أبداً مع الظروف في حالة إضافة، كما يتميز عن الصفات التي اعتبرها النحاة اسماء. فالصفة تختلف في الوقت نفسه عن الاسم والفعل، ويمكن أن تكون في حالة مسند ومسند اليه، فتبرر وجود جملة متركبة من المبتدأ والخبر. وبالتالي، فلا يبدو أن الاعراب حدد للصفة موقع المبتدأ في الجملة الاسمية لا غير، بل إنها نعت للفاعل أو المفعول، كما في الفعل الماضي أو غيره. وخلافاً للاسم، فللصفة أوزان عددها محدود وتخضع لقاعدة الشيوع. من ذلك ما نعرفه عن الكلمات الصفات التي تستخدم في صورة تعريبها ما يوجد من امكانات في الزوائد الصرفية كأداة التعريف ونون التوكيد والوقاية. ويضاف إلى ذلك وسائل التصريف في الأفعال المنصرفة في كل الصيغ والأزمنة، واستعمال الضمائر، وإعراب الأفعال. وخلافاً للاسم (المسند اليه) فإن النظام الصرفي في الفعل العربي (مسند) يستدل عنه بواسطة المظاهر الزمنية الثلاثة المعروفة وجملة من العناصر النحوية لها قيمة قرائنية تمكّن من التمييز بين الزمن الصرفي والزمن النحوي المركّب بفضل عناصر السياق. فالفعل الذي يتصرف، مثلاً، في الجزم كعلامة إعراب، له أوزان نوعية وضمائر وحروف مناسبة (قد، س، سوف، للمستقبل. . .). أما على صعيد الدلالة، فإن الفعل يدل على فكرة الحدث المستقرة في المصدر المستخرج من الجذر اللغوي، وكذلك فكرة الزمن المجسمة في الوزن الخاص الذي نجده في جدول التصريف. والعبارات الدالة على التعجب والمديح واللوم وعدة أصوات أخرى، تندرج ضمن لغة الوجدان الذي يعبّر بها المتكلم عن أحاسيسه، وهي لا تخضع لقواعد الاعراب، كأفعال التعجب، كما أنها لا تخضع للتعدي، بل ينبغي مقارنتها بأفعل التفضيل، لا سيما أن جملة التعجب تستخدم وزن (أفعل به) و(ما أفعله)، وهما من الأوزان التي لا تنضم إلى الأفعال أو الصفات، وكذلك ما شابههما من الكلمات التي لا توزن على الأوزان الفعلية ولا تدل على الزمان أو الفعل، بل يصحبها عدد من الحروف الخاصة بالجر، فلا يكون إلا من باب الاعتباط ترتيبها في قائمة الأفعال. أما أسماء الفعل التي اعتبرها القدامى من الأفعال (هيهات. . .)، فإنها تكون بالأحرى من العبارات العربية الأصيلة التي لا يمكن إدراجها بين الأفعال والأسماء ولا الصفات. ويصح هذا القول بالنسبة الى اصوات قارة في صيغتها ومعدومة الاشتقاق، وهي تُدرج أيضاً في لغة الوجدان. فمثلاً صوت (آه) أكثر تعبيراً بالنسبة الى المتكلم والسامع من لفظه المجرد الذي لن يكتسي إلا صيغة إخبارية بحتاً. وكل هذه الملفوظات قد استقرت في وضع خاص لغوي (أدوات التعجب وعبارات الوجدان) ولا تستخدم إلا قليلاً ما جادت به اللغة من زوائد لفائدة أقسام الخطاب. فالضمير واسم الاشارة والموصول يستدل عليها بواسطة حرف مبني سمّي ضميراً. وهو في حاجة بالنسبة الى كل صنف إلى اسم يعود إليه، أو إلى شيء يشير إليه، أو إلى جملة موصولة وضمير عائد. ويستخدم الضمير كما رأينا ذلك إما منفصلاً وإما متصلاً، ولا يمكن إلا أن يكون الطرف الثاني من علاقة قائمة على الإضافة، وبذلك يتميز عن الاسم. وتعددت، من جهة اخرى، الظروف بتعدد المعاني، فكانت للوجهة والزمان والمكان، والعدد والكميات وأسماء المصادر، والصفات، وبعض أسماء الاشارة وبعض الحروف. وظرفية هذه الألفاظ محل نزاع في الوقت

الحاضر، رغم أن القرائن النحوية تدل عن الفكرة في شكل جملة ظرفية لا سيما بواسطة الظروف، إما أصلاً وإما نقلاً. وقد عرفت تلك الظروف من الوجهة الصرفية وبسبب ما تعدد من استعمالات وظائفية خاصة بها (إذ، إذا، إذاً، متى، أيّان، حيث، أنّى). وتميزت عن الأسماء بعض ظروف الزمان والمكان، وكانت مبنية وعوملت وجوباً معاملة الحروف. فصارت أدوات تدل على الشرط والاستفهام. وقد أريد لها أن تكون في وضع الظروف تعبيراً عن توازي فعلين. ونتحصل على نتيجة وظائفية أكثر منها لغوية، بألفاظ ظرفية أخرى لها معنى الحروف. ذلك أن الأداة النحوية يمكن أن تكتسي قيمة أصلية أو تكون متمخضة عن نقل نحوي بداية من عبارة اسمية أو فعلية أو ظرفية. وللأداة موقع محدد كأن تتقدم حروف الجر الاسم، وكذلك الأمر بالنسبة الى حروف العطف والقسم والشرط والاستفهام. ويشترط في استخدام الأداة وجود كلمة ملاصقة لها متصلة أم لا، وذلك لكي تنشأ صلة بين كلمتين أو أكثر، وتكتسي معنى حددته القرائن، وذلك هو وضع إنّ والأدوات المماثلة لها، وأفعال القرب والشروع . . . ويمكن الحصول على هذه الأدوات كافة نقلاً عن الفعل، ولا يبقى لها إلا المظهر الزمني لفقدانها مظهر الفاعلية والمفعول لفعل بحرف أم لا، كما أنها فقدت حركتها الصرفية (مثلاً ليس فعل جامد لا ينصرف في كل صورة)، لأن الصلة لا يمكن إقامتها إلا بين المبتدأ وخبره.

وإذا كان على الاسم قبول الاشتقاق ومعه الصفة والفعل (قياساً أو سماعاً)، فإن أجزاء الخطاب الأخرى كألفاظ الوجدان والضمائر والظروف والأدوات النحوية عامة، لا تستخدم هذه الوسيلة، بل إنها تكون عبارة عن وحدات مستعملة أصلاً أو نقلاً (مثلاً صورة حرف ما الذي يستخدم على أنواع عشرة منفصلاً، ويكون ذلك بمثابة البُنى الخاصة باللغة). وأما المعاني المستدل عليها على الصعيد الصرفي، فهي مضبوطة في تقسيمات أساسية وأخرى يكون دورها تنويعياً في القرائن النحوية. وبذلك يشترك مع الفكرة المعبّر عنها قواعد الجنس والعدد والتعريف وتحديد الضمير . . . ومجموع هذه العناصر الموزعة على الصرف وما تقدمه الأوزان، وما يتجسم في الأمثلة المتعددة الشائعة، يتيح تحرير الاسم (النسبة والتصغير) والفعل يتحقق تغييره بزوائد تحدد الفكرة في السياق. أما بخصوص الكلمة المعربة، فإن المثال يشكّل الوحدة في مجموعة تمثلها الصيغة، وفي الكلمة المبنية، تشكل نون الوقاية والتوكيد وتاء التأنيث وألف المثنى، الحروف الثلاثة التي تمثّل المبنى بحيث تكون القواعد الدالة عنها المعنى. وتميز القيم الفاصلة بين هذين المظهرَين إذ تتحدد البنى باعتبارات متعلقة بالمظاهر المختلفة في اللغة. وبفضل طريقة المقارنة، تقام الفروق بين الألفاظ لفظاً لفظاً، فيمكن بذلك العمل على تلافي اللبس والقيام بالتصنيفات الدلالية المرغوب فيها كافة. وربما يكون وزنان من تركيب واحد ومعنى مختلف: فاعل يدل على الأمر واسم الفاعل. وعند استخدام القياس الصرفي، يمكن التمييز بين اسم الفاعل بزيادة أداة التعريف والأمر في كلمة فاعل. وبعد القيام بالتحديد الخاص بمختلف أوجه النظام الصرفي، يكتسي الاطار النحوي قيمته الكاملة بفضل القيم المتميزة. ذلك أن مقام على ما استدل من أفكار عبّرت عنها صيغ التأكيد والنفي والرجاء . . .، وتستند إلى الكلمات الوظائفية (مبتدأ، خبر . . .)، وكذلك إلى العناصر

الـدالة، سـواء كانت فكـرية أو حسيـة، مثلاً حـركة الاعـراب، المفعولات المـوجـودة ضمن القرائن. وتستغل كذلك جميع وسائل علم وظائف الأصوات والصرف، رغم أنه يعسر فرزها في مصنفات النحو القديمة، لا سيما العناصر الملاصقة للفكرة التي يعسر إدراكها حـرف (الواو الذي تصحبه فكرة العطف والمصاحبة). فتحتم الاستعـانة بـالقرائن اكتشـافاً للمعنى الـدقيق الذي أراده المتكلم، وأكثر من ذلك، ينبغي البحث عن الظروف المتشعبة التي قررت التعبـير عن الفكـرة التي لا يمكن إلا أن تكون وظـائفية، لأن المـظهر الـدلالي أو الوظـائفي لا يمكنهما المسـاعدة عـلى إيجاد المـظهر الإعـرابي إلا بـالـرجـوع إلى القـرائن. وفي الجملة، ينبغي عـلى الإعراب النظر في وظائف الكلمات ضمن القرائن، دون القيـام بأي بحث خـاص بالـدلالة.

وقد بين النحاة جيداً أن الاعراب فرع من المعنى، لكن أي معنى أرادوا؟ ولعل الجرجـاني هو الـذي بحث عن الحـل وسـماه «التعليق»، وبفضله يمكن المتكلم إنشـاء عـلائق بـين عنـاصر الجملة، وهو الأمر الذي يغنينا عن التذرع بنظرية العامل، مع الاعتراف بأن النحو هو عبارة عن مجموع العلاقات بين القرائن الفكرية التي لا حاجـة بها إلى الصلة في اللغـة العربيـة لأن العلاقة تنشأ بين اللفظين، إذ إن العناصر كافة تساهم في توضيح ما يـراد من العبارة. ويمكن تحديد الكلمة من وجهة النحو والوظيفة بفضل صورتها الصرفية (اسم، فعل. . .)، وحركتها الاعرابية، ورتبتها في الجملة. وتجسم كل هذه العناصر أهدافاً تعبيرية، ومن بـين ما تشتمـل عليه الحال والمستثنى والمفعـول معه والتمييـز والمفعول بـه والمفعول لأجله، والمفعـول المطلق، والمفعول الظرفي والمفعول فيه، ويضاف إلى ذلك المفعـولات الخمسة المعـروفة. وكـل مفعول منها يتحدد بدلالة دقيقة خاصة به، وإلا فإن المركّب فعل + فاعل لا يمكنه الحصول على معنى تكميـلي نوعي، مثـلاً التعديـة التي تشكّل عـلاقة نحـوية لا وصفـاً للفعـل الـذي وقـع عـلى المفعول، كما ورد في تعليلات النحاة القدامى، القائمـة على إعـراب المنصوب. ولعـل الفعل الـذي له مفعـول منصوب أو مجـرور يقع في وضـع صرفي لا يرتبط بـالبنيـة النحـويـة، لكن الملاحظ أن التطبيق من مشمولات النحو. لقد اشتمل معنى السببيـة على معنى الهـدف الذي يقصد إليه الفاعل، في حين أن ذلك يشكل نهاية تؤول إلى قيمة سببية (مـع المفعول لأجله)، فيستخـدم المضارع والحـروف بمعنى زمني، أو المضـارع وحتى بمعنى فضـائي. والمصـاحبـة في الفعل التي ينبغي تمييزها عن فكرة المشاركة التي تدل عليها الـواو بمعنى حرف عـطف واللفظة المنصوبة التي تليها. والظرفية تشكل أيضاً عنصراً فكـرياً معنـوياً وكـذلك التـوكيد والتحـذيد المعبّر عنهما بالمفعول المـطلق. أما الحـال[٩٢]، والمستثنى بأداة (إلا مـا شابههـا)، والتمييز الـذي يمدنا بفكرة توضيحية، والفكرة العامة الناتجة عن الكلمات المجرورة إضافة أو بحرف، والمبتدأ والبدل، كلها عناصر تنشأ عنها فكرة الـترابط في ما بينهـا وبين الألفـاظ التي تعود عليهـا. أما

---

(٩٢) نهاد الموسى، «تحقيق في الحال: هل تقع في العـربية نفيـاً؟» **اللسان العـربي**، العدد ١٧ (١٩٧٩)، ج ١، ص ٣٩ ـ ٧١. انظر أيضاً: فيصل ابراهيم صفا، «ضوابط حركة «الحـال» النحويـة،» **اللسان العـربي**، العدد ٣٢ (١٩٨٩) «كل ما في الأمر أن الحال لها في العادة موقع تال مباشرة لصاحبها، وأن مفارقتها لهذا الموقع مرتبطة بظهور صاحب الحال من غير لبس» (ص ٥٦).

العناصر الحرفية المتمثلة في الوزن وحركة الإعراب والربط والتلاصق والنظام والأداة والنبر، فهي تساعد على فهم السياق المعنوي. وبذا يكون لوزن الكلمة أهمية قائمة الذات في التطبيق النحوي والاطلاع على الوضع الإعرابي. كان الإعراب عند النحاة القدامى بمثابة الخبرة التي تحول التحري في حركة آخر الكلمة، فعمل ذلك المنحى على توجيه النحو إلى البحث في تلك الحركة وموقعها من الكلام. وتمخض عن هذه المنهجية اعتبار الحركات نتيجة نظرية العامل التي تفرعت الى عناصر كثيرة بلغت المائة. لكن لا يمكن الحركة الاعرابية وحدها أن تنوب عن الفكرة وعن الضمة والفتحة والكسرة خاصة ان الحركات الثلاث تستخدم في أوضاع نحوية مختلفة، وان الأسماء المبنية والجمل ذات الاعراب المحلي لا تُعرب بواسطة الحركة، وان بعض الكلمات لا تكون معربة الا بواسطة الحروف التي تقام مقام الحركات. وما يوجد من ترابط وتواصل يحتم وجود عناصر حرفية تساعد على تفهم الجملة وإقامة علائق بين كلماتها اسم الاشارة، الضمير العائد، تكرار الكلمة لأسباب بلاغية، ويمكن أداة التعريف أن تكتسي معنى (أي، كل، من للموصول...). ويقع تلاصق الكلمات جذباً (حرف العطف والكلمة المعطوفة، الفعل وفاعله، كلمتا الاضافة، المبتدأ والخبر...)، ويستثنى من ذلك تنافر الكلمتين لعدم تطابقهما من الوجهة النحوية. ثم إن ترتيب الكلمات علامة على السياق، وهو يحدد لكل لفظة موقعها الضروري للفهم (ضرب موسى عيسى)، فوجب الحفاظ على ذلك الترتيب (فعل وفاعل، جار ومجرور...). وما ضبط من أدوات للدلالة على الأفكار الصرفية العامة يجب أن يكون عنصراً حرفياً يوضح الاستعمال (إن للشرط، إلا للاستثناء). ولا يمكن التخلي عن النبر خلال القراءة وإلا فإنه يقع إهمال الفهم، ولا يمكن أن يكون إلا مترتباً على النطق والالقاء، إذ يقع أحياناً أن النبر يكون العنصر الدال الوحيد لا سيما إذا حذفت الأداة (في الاستفهام...). والواقع انه لا يمكن أي عنصر في النحو العربي الادعاء أنه قادر بمفرده على تقديم الشحنة الدلالية التي يتضمنها المبدأ النحوي، لأن العناصر الأخرى ضرورية للحصول على استعلام نحوي تام. وعلى كل لغة أن تتجنب اللبس، وعلى هذا الأساس يمكن التخلي عن واحد أو أكثر من القرائن إذا انعدم الغموض. وإذا خدم النحو في الماضي سلامة اللغة لضرورة الشعر والبلاغة التي كانت واضحة في القرآن، بفضل الإعراب الذي فقد لا محالة اليوم كثيراً من قيمته في التعبير الشفوي، فإنه يمكن القول الآن إن العناصر الأخرى قادرة على سد هذا النقص. وقد أقام النحاة منهجيتهم على التنوع الإعرابي وما يتبعه من تنوع في الفكرة حسب رأيهم، إلا أنهم لا بد أن لاحظوا عدد الصور الهام الذي أهملت فيه الحركة الإعرابية وكذلك قرينة الربط كالضمير العائد وتلاصق الكلمات وترتيبها (مبتدأ وخبر، فاعل ومفعول...)، وحذف الأداة كذلك. وقد استخدموا هذه النقيصة وتهافتوا على إشاعة وسائل الاعراب التقديري والتأويلي، وهي ظاهرة تخالف نظرية العامل التي كانت بدورها عاملاً في تشعيب القضايا النحوية. ويمكن أن نستخلص الآن أن القرائن النحوية الفكرية والحسية التي يتيسر إدراكها طبعاً تساهم كلها في اكتشاف القيمة النحوية للقواعد، وتعوض نظرية العامل التي أقامت تعليلها على الحركة الاعرابية فحسب، ففتحت الباب للتأويلات الشخصية في مادة المسائل النحوية. وكانت تلك النظرية تقوم أساساً على الحركات وفي المقام الثاني على الحروف في حين أن الحركة

الإعرابية ليست سوى قرينة من القرائن. وقد تمثّل رد الفعل في تعويضها باتجاه آخر لم يعترف للغة بطبيعتها الاجتماعية، بل اعتبرت مقياساً أقره العرف في العصر الحديث، لكن القدامى قالوا إنها ناتجة عن اصطلاح إلهي لصالح المتكلم الفاعل. وبالتخلي عن نظرية العامل في النحو، فقد بلغنا في آن واحد حد التخلص من ضغط الإعراب التقديري والإعراب المحلي(٩٣) في الجمل التي تدعم معانيها بالاستغناء عن الإعراب، لأسباب تنظيمية نحوية وبلاغية. وما يقال في النهاية، هو أن دراسة النحو ينبغي أن تقام على مجموعة من القرائن وكذلك على التخلي عن أحد العناصر، بغية التصريح بمنهجية جديدة علمية مدرسية(٩٤).

وكعادة اللغويين القدامى الذين هم نحاة في الوقت نفسه، فإن كثيراً ما نجدهم يحددون المفاهيم المحيطة بالمسائل النحوية، وذلك ما فعله ابن الأنباري عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله كمال الدين (أبو البركات) في كتابه **أسرار العربية**، وقد بيّن ابن الأنباري (توفي سنة ٥٧٧ هـ) في ما استعرضه من قضايا في اللغة العربية على الطريقة التقليدية المعهودة، وهو الذي أفاد من أقوال الكوفيين والبصريين في آن واحد، فقال إن الاعراب إنما هو ما يفرّق بين المعاني وإن الكلام هو بمثابة الحروف التي وقع التأليف بينها، دلالة على معنى معيّن، نجده يعترف للإعراب بصبغة علمية بحيث يُعرف النحو بعلم الإعراب، ومفاده «الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ وبه يوضح الخبر ويميز بين الفاعل والمفعول، وبين المضاف والمنعوت، وبين التعجب والاستفهام، وبين النعت والتأكيد، والإعراب يختص بالإخبار ويكون الإعراب في غير الخبر لأنّا نقول أزيدُ عندك؟ وأزيداً ضربت؟ فقد عمل الإعراب وليس من باب الخبر»(٩٥).

٦ ـ تيسير النحو العربي

لقد تكاثرت المقترحات حول مراجعة المقاييس التي بها يدرس النحو في المستويات كافة بحيث لا ينبغي اعتباره مادة مستقلة تخدم نفسها من الوجهة النظرية البحت، بل إن النحو والصرف جزآن متكاملان يضبطان قواعد اللغة ويجنبان المتكلم والكاتب الوقوع في الأخطاء التي تلحق المفردات كما تلحق التراكيب العربية. وبهذه الصورة، يشكّل النحو الاداة المثلى للمحافظة على سلامة اللغة وتبليغها دون شوائب إلى الأجيال الناطقة بالعربية. فكانت مقترحات التطوير والتحسين بلا عدد، وقد استهدفت الحيلولة دون استمرار حجج النحاة حاجزاً لاستيعاب المادة النحوية الصرفية على الوجه القويم، بعد تخليصها مما علق بها على مر القرون من شوائب منطقية متفلسفة. ومن الأفكار التي سادت أوساط الاصلاح النحوي تخصيص مادة نحوية للقرآن الكريم وطرح بعض المسائل الشائكة من مقرَّر المدارس (الممنوع من الصرف أو التنوين، الاعراب التقديري والمحلي الذي ينبغي استبداله بصورة إعرابية

---

(٩٣) انظر: جميل علوش، «الاعراب المحلي بين الفعل والجملة،» **اللسان العربي**، العدد ٢٨ (١٩٨٧)، ص ١٩ ـ ٢٤.

(٩٤) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ص ٢٤ ـ ٦٣.

(٩٥) أحمد مختار عمر، «الفارابي اللغوي،» **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ١، ص ٥١.

واحدة، حذف نون المؤنث، استعمال المخاطب في المذكر بصفته جنساً وحيداً للعدد، إثبات كل وقف على السكون). وبذلك يكون «التبسيط» عملاً مفيداً يقضي بفضله على كل ما يخالف طبيعة اللغة. وبهذا المنظار المجدد يكون النحو مهيأً لوصف الواقع اللغوي عملاً بمنهجية علمية جديدة، دون الوقوع في مسائل التأويل والبحث عن العامل كلما جدّت ظاهرة نحوية. أما بالنسبة الى التراث النحوي، فينبغي تهيئة أسباب العمل من أجل القيام بأبحاث تاريخية مختصة[٩٦]. ومنذ ١٩٣٨، عزمت لجنة تبسيط النحو والصرف والبلاغة التابعة لمجمع القاهرة على السير في هذه السبيل، وحذف الصور المؤوَّلة وجمع الصور المتشابهة وترتيبها في بُنى نموذجية واستعمال اصطلاحات واحدة يمكن ضبطها في معجم يتضمن المفاهيم النحوية المشروحة شرحاً دقيقاً[٩٧]. ويرافق هذا العمل طبعاً إطار خاص ببنية العربية تنفرد بها وتضع كيانها في الألسنية العامة كما في النحو المقارن للغات الساميّة وعلم النفس اللغوي والجمالية الشكلية الخاصة بالأغراض النحوية[٩٨].

وبالاعتماد على الأبحاث اللغوية المعاصرة وكشوفات فقه اللغة الحديث، يمكن أن يعوّل النحو العربي على الاستعمالات اللغوية. وبذلك تبرز عدة قضايا من خلال هذا الاتجاه الجديد خاصة أن النحاة القدامى قد أغفلوها. ولا يقصد من ذلك تأليف كتاب آخر شامل في النحو العربي يضاف إلى قائمة المؤلفات القديمة الكثيرة، ولو ان لهذا العمل ما يبرره إذا التزم المؤلف بالعدول عن توخي المنهج القديم التقليدي والا يعتبر الأفكار القديمة بمثابة الحقائق المنزلة التي لا تقبل المراجعة والمحاجة، بل عليه أن يصنف تأليفاً بحيث يعنى بنحو لغة حية. والمقصود بالذات تبسيط القواعد لما أحاط بتعليم العربية من صعوبات واجهها المعلمون والمتعلمون وأدى ذلك إلى الاخفاق في أن يكون التدرب على العربية مكسباً لغوياً شاملاً[٩٩]. ومع أن العربية اشتركت مثلاً مع غيرها في ظاهرة الاعراب (اللغات اليونانية واللاتينية والألمانية)، أو واجهت قضية الابدال الذي تجسم بداهة في الوصل المعروف في أغلب اللغات، فإن ما تمخض عنه الجهد النحوي هو تقديم المسائل الاعرابية وتأويلها بصور مختلفة، فأغرق ذلك النحو في أنواع كثيرة من اللبس والجزئيات العقيمة. وبذلك، كان النحو مجالاً لمنهجية غامضة أتاحت للعالم وضع القواعد القياسية مسبقاً في حين أن التعليم يتجاوز عمومية القواعد ويعدّ مبادىء فرعية ناتجة عن الملاحظة اللغوية وممارسة اللغة الشفوية. ولم يعتبر النحاة القدامى أن التطور اللغوي وما أحاط به من تطور اجتماعي بدأ في اللهجات. فكان مستحسناً لو ان النحو درس ما جد من خلافات بينها، لكنه استمر في تجاهل المناطق اللغوية باستثناء قبائل

---

(٩٦) *Revue d'études islamiques* (1930), p. 6.

(٩٧) انظر: جميل علوش، «تعليق على كتاب المعجم الوافي في النحو العربي،» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ٩، العددان ٢٨ - ٢٩ (تموز/ يوليو - كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٥)، ص ٢٤٧ - ٢٦٨.

(٩٨) عبد القادر المهيري، «كتاب علل التثنية لابن جني،» **حوليات الجامعة التونسية** (١٩٦٥)، ص ٥٤.

(٩٩) شوقي ضيف، **محاولات تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً**، الموسم الثقافي الثاني لمجمع اللغة العربية الأردني (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٤)، ص ٣٩ - ٦٧.

وسط بـلاد العرب ومـا روته من شـواهد قـديمة. فتضخم النحـو بكثرة القـواعد والاجـازات الشعرية والشواذ، ونظريـة العامـل الذي وصـل بين المعنى النحـوي والإعراب الـذي تجسمه الحركة أو مـا ينوب عنهـا. وقد شمـل الإعراب الـواحد، عـدة أدوات نحويـة لكنه لم يضف جـديداً إلى المعنى، بـل غذّى الخـلافات والافـتراضات حـول تشعّب بُنى العربيـة في حين أن القضية تظهـر في سوء المنهجيـة. وبذلـك يمكن القول إن الحـركة لا تحقق الإعـراب ولا تبرر إعراب المبني والمعتل في المرفوع والمجرور، وإعراب الجمل الدالة على المفرد، وتبرير ما يـوجد من شواذ. ذلك أنه توجد عناصر أخرى ترتبط بالقرائن، مثلاً الاسناد الذي ينشأ عنه علاقـة دلاليـة بين ألفـاظ الجملة (المفيدة، ولـو كـانت في كلمـة)، أو التمييـز والتعـديـة وضـدهـا، والـظرفية، والتـوكيد، . . . وهي تحـدد وجود المفعـول. كما ان المجـرور يتحـدد بـالحـرف أو بالاضافة، والتبعية في النعت والتوكيد والعـطف والبدل، والخـلاف المميز من وجهـة الدلالـة والإعراب (ما أحسن زيـداً في التعجب) و (ما أحسن زيـد في النفي). إن مثل هـذه القرائن منتشرة في البنية وينبغي أن تضاف إليها عدة عناصر كالنبر والنغمة والإعـراب. والربط بينهـا وبين الكلمات رفع كل لبس في النحو وعـوض العامـل ورتب المبادىء النحـوية! أمـا القرائن المعنوية فدورها وظيفي، فمثلاً المبتدأ معـرفة ويمكن تنكـيره عند اتقـاء اللبس (سلام عليكم) وعملية القلب بين المبتدأ والخبر لهـا شروطها التي تخـدم المعنى ويمكن الاستغناء عن الإعـراب (إن هذان لساحران). كما انه يمكن حذف بعض الأدوات (همزة الاستفهام، واو العطف).

إن العمل بهذه المنهجية في النحو من شأنه أن يعيد الاعتبار الى هـذا العلم، ويمكّن من مراجعة التراكيب أو الكلمات الشاذة التي ظهرت في القرآن الكريم وكأنها تعكس ما تجسّم من خـلافات لغـوية في لهجـات القبائـل، وعند تعليلهـا التعليل العلمي الشـافي قـد نتمكن من القضاء على التناقضات النحوية وتيسير هذا المبحث بغية فهم محتوى ما يُكتب، والوصول إلى وضـع نظام نحـوي واضح المعـالم دقيق القواعـد، والتخلي عن نـظريـة العـامـل والإعـراب التقديري أو المحلي.

الفصل السابع

التعريب وقضايا اللهجات

١ ـ اللغة المعيارية

لقد رسخ الشعور لدى اللغويين في الوقت الحاضر أن تطوير العربية الفصحى يستفيد من الأبحاث القائمة في العاميات المحلية، وذلك بفضل ما يجد من مقارنات ناتجة من المنهجية السائدة في علم اللهجات. فمثلاً، من المحاولات التي جدّت في هذه السبيل ما قام به مدير المكتب في سبيل تفصيح العامية المغربية ومقارنتها بعاميات الأقطار العربية. وبهذه الصورة يمكن تهيئة الأسباب لتقريب اللهجات والتخفيف من وطأة الخلافات النطقية والدلالية التي بعدت بينها، بحيث يمكن في مرحلة لاحقة صهر اللهجات الاقليمية في اللغة الفصحى. لكن ينبغي قبل ذلك، التحري في مظاهر الفصحى ذاتها والصور التي تستعمل بها الآن في بُناها الشفوية الشائعة. فقد كان المتكلم بالعربية في القرن الرابع الهجري (العاشر م) يُعرف بأنه ذاك الذي تدرب على استعمال حركات الإعراب في مواقعها واحترم قواعد النحو لتركيب الجمل الاسمية والفعلية، وهو الذي تجنب الألفاظ العامية عند انتقاء كلماته. وبذلك يكون الكلام السليم راجعاً إلى التدرب اللغوي، إلى أن صار عادة في الشخص يكسبها بدرجات متفاوتة[(١)]. على أنه ينبغي تمييز هذه العربية من العربية المتوسطة التي تميزت بالتخلي عن حركات الإعراب، وهي لا تزال خاضعة.للغات الغربية التي أثّرت بوضوح في تحول البُنى، وزودت العربية بأفكار جديدة وألفاظ مولدة، فترتب على ذلك إثارة مجهود عقلي ناقد عمل على مراجعة وضعية اللغة الفصحى ومقياس الفصاحة ذاته، وذلك بغية تحديث هذه اللغة وتكييفها بالحياة العصرية[(٢)]. فبقيت الفصحى مستعملة في الدراسات الأدبية ونقلت زاداً هاماً من المعرفة له قيمة ثقافية مؤكدة، خلافاً لما كانت عليه اللهجات.

(١) J. Fück, *Arabiyya* (Paris: Didier, 1955).

(٢) المصدر نفسه، ص ٩١ و١٩٣ ـ ١٩٤.

وقد برز وسط هذا المحيط اللغوي ما عُرف باللغة العربية الوسطى التي اعتبرت عاملاً عظيماً لتوحيد العرب، ذلك أنها كانت واسطة بين الآداب والحياة، وفية للأوزان الصرفية والقواعد النحوية التي قامت عليها اللغة الفصحى، لكن مفرداتها تكيفت بالعالم الحاضر(٣). كانت طرق البحث التي سلكها علماء اللغة في الماضي، متمثلة في اختيار الجهات المعروفة بقوة فصاحتها. وبذلك تمكنوا من تدوين زاد لغوي عظيم شكّل المادة الفصيحة التي أخضعوها لمعايير لغوية صارمة، واستعانوا برواة نزهاء، واستخدموا أساليب مارسوها طويلاً لتدوين العربية الفصحى(٤). قبل بدء الفتح الاسلامي (بعد وفاة عمر بن الخطاب، في ٢٤ هـ/ ٦٤٤ م)، كانت اللهجات القبلية مرتبطة بالفصحى لأنها كانت لغات البدو الذين صاروا في ما بعد سادة رواية اللغة الفصيحة التي أخلصوا لها(٥). ثم طرأت تغييرات على العربية بسبب اللحن الصادر عن المتكلم أو القارىء فنشأت هذه الظاهرة الغريبة عن الفصحى، فكان اللحن في مواجهة مع الاعراب. فتطورت فصحى البدو لما غزاها الدخيل الأعجمي، وبذل جهد في صيانتها من التحريف حتى تبقى متميزة بنظامها النحوي الشامل وقواعده الدقيقة المحكمة التي جعلت منه نحواً توفرت فيه التمييزات اللطيفة المفقودة أو يكاد في العامية الحديثة، كما زخر المعجم العربي بالألفاظ الخاصة بالأماكن والعصور وما ابتكره الكتاب، فبدت العربية لغة راقية غير مخصصة للحياة اليومية(٦). تلك كانت النظرة في القديم إلى وضع الفصحى. لكن ينبغي تحديد ذلك الوضع قبل الحكم على نجاعة الفصحى أو عدمها. وبلوغاً لذلك، لا شك أن مختلف ما جدّ من أسماء خصّت بها المراحل التي مرت بها الفصحى يفيدنا ويمكّننا من البحث عن صفاتها في العصر الحديث الذي صارت فيه اللغة وسيلة لتعميم الثقافة على الجماهير. ذلك أن على الفصحى القديمة أن تتنافس مع مظاهرها الأخرى التي تولدت عنها اعتباراً لامتداد ظاهرة الازدواجية السائدة في الوطن العربي، وكذلك تنافسها مع اللغات الأجنبية التي اجتهدت وما زالت في توسيع رقعة نفوذها بحيث تكون أداة ناقلة للحضارة والثقافة العالمية. وقد جدّ ما عرفناه عن احتكاك لغتين هما العربية ولغة أخرى، وتجسد الأمر في التعليم والثقافة عامة مع الملاحَظ أن هذه الثنائية اللغوية لم تنجح إلا عند عدد محدود من الأفراد، ولم تشمل الجماهير التي تمادت في أميتها ومعلوماتها القليلة التي تؤدّى بالعامية. وبذلك صار لزاماً على العربية أن تحدد نطاقها الثقافي التقليدي وموقعها بالنسبة الى اللغات الأخرى الواسعة الانتشار، وذلك بالمزج بين النتائج التي توصل إليها البحث في فقه اللغة والألسنية غير المتزامنة. إن المميزات المختلفة التي تحاول الاحاطة بمفهوم العربية الفصحى تفيد أن العربية التي أسيء تسميتها بالعربية المنتظمة التي تواجه اللهجات في المشرق والمغرب، تشكّل اللغة المتقنة التي يستخدمها الشعراء والكّتاب والعلماء

---

(٣) André Miquel, *L'Islam et sa civilisation VII^e-XX^e siècle* (Paris: A. Colin, 1968), pp. 193-194.

(٤) مجلة الألسنية الجزائرية (١٩٧١)، ص ٤٩.

(٥) *Revue d'études islamiques* (1969), p. 201.

(٦) Antoine Meillet, *Les Langues du monde* (Paris: E. Champion, 1924), p. 116.

والصحافيون. وقد قسمت العربية الحرفية إلى عربية فصحى استعملت منذ العهد الوسيط حتى أواسط القرن التاسع عشر، وعربية حديثة ناتجة عن تكييف الفصحى بالحياة المعاصرة[٧].

٢ ـ انتشار اللهجات

الأمر الثابت هو رسوخ العربية الفصحى رغم ما طرأ عليها من نوائب، لكنها لم تقدر على مواجهة ازدهار اللهجات المحلية، ومع ذلك فهي لم تسمح لها بتعويضها. وقد تفوقت وضعية التمازج اللغوي والثقافي دون المساس بلغة القرآن التي شملت ميادين تعبيرية قارة في الدين والتعليم والأدب المدون. وقد تنافس المظهر الفصيح والعامي في عدة ميادين أخرى خاصة في الوسائل السمعية البصرية كالاذاعة والتلفزة والمسرح والسينما. . . فتفوق عامل نشر التثقيف والتوعية الجماهيرية على الاعتبارات اللغوية. وتبين أن شمولية الثقافة لا تكون قراراً ثابتاً مستمراً إلا إذا كانت باللغة القومية التي صارت في مأمن من أن تكتسحها إحدى اللهجات التي تبدو في نشاط وحيوية مؤقتة، ولا تعتبر الآن إلا بمثابة المرحلة المؤقتة التي ستطغى عليها عملية تعميم الفصحى بفضل إشاعة التعليم والمعرفة بين أكبر عدد ممكن من الناطقين بهذه اللغة. والقناعة موجودة الآن، أن المستقبل هو للعربية الفصحى وحدها لأن اللهجة لا تبدو إلا كصورة أولية للغة في أبسط أوضاعها التي ستتجاوزها اللغة الفصحى بفضل ما يكون لها من انتشار متزايد يطغى على العاميات المحلية. وقد تركزت الجهود منذ العصر الجاهلي على تدوين وإقرار العربية الفصحى وتعطلت تلك الجهود عند نشوء العاميات المحرفة والتخلي عن الإعراب وظهور اللحن بعد انتشار الفتح في الأقطار الأعجمية، فأدى ذلك إلى التباس أزمنة الفعل مثلاً، واتضح الأمر بصورة جلية في المضارع، كما ان الجملة تحررت تراكيبها نوعاً ما في حين أن اللهجات الحديثة بدت مجمدة لها[٨]. فاستعجل العلماء الأمر وقرروا ضبط اللغة بالقواعد النحوية والصرفية لتجنيب العربية أقصى ما يمكن من العيوب وصيانتها من الانحرافات. لكن تمادت العامية في التقدم حتى اعتبرت بمثابة اللغة الحية، وكأن مظهرَي اللغة اتفقا على التعايش المؤقت، فكان من الأنسب البحث عن حلول لتقريبهما والتوفيق بينهما في مسائل خاصة بشكل الحروف لتصير كلمات معبرة وتجديد النحو. . . وما رسخ في الأذهان لا محالة أن مهابة العربية كانت تقضي بأن تبقى لغة للتثقيف لا مكان فيه للعامية[٩]. وقد اقتُرحت طبعاً حلول تقريبية عديدة في اتجاه «التفصيح» رغم الشعور بالبعد الفاصل بين مظهرَي العربية: «هل من الضروري أن نتمسك بجميع تلك القواعد التي وضعها أو دوّنها اللغويون منذ قرون عديدة؟ هل يتحتم علينا أن نصرف قوانا في سبيل نشر وتعميم جميع تلك القواعد والأساليب؟ ألا يمكن أن نختصر ونبسط اللغة الفصحى، ونشذبها تشذيباً معقولاً، يكسبها شيئاً من السهولة، من غير أن يفقدها ميزتها التوحيدية؟ أفلا نستطيع أن نطعم اللغات الدارجة باللغة الفصحى تطعيماً

---

(٧) *Bulletin d'études arabes* (1948), p. 208.

(٨) رمضان عبد التواب، لحن العامة والتصور اللغوي (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧)، ص ٥٩.

(٩) هنري فليش، «المستقبل للغة العربية الفصحى،» اللسان العربي، السنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٧)، ص ٨٦.

يبعدنا عن حذلقة علماء اللغة ورطانة عوام الناس في وقت واحد، فيوصلنا إلى فصحى متوسطة، معتدلة؟»[10]. كانت مثل هذه التساؤلات تدور بأفكار رغبت حقاً في صيانة الفصحى بإيجاد الحلول التي تقيها شر مواجهة العامية المتفوقة في القول والمتطرقة الى عدة ميادين في الكتابة. فإذا كانت اللهجات العربية في القديم بمثابة اللغة القبلية «الوطنية» وكانت مندرجة في اللغة الفصحى الكبرى القومية، فإن العاميات اليوم تشكل مزيجاً من كلمات فصيحة محرفة ومفردات أعجمية وأصول أخرى لا تعرف هويتها المعجمية. ولا يُنكر التفاعل الذي جدَّ والقائم بين العامية والفصحى، وينبغي التحري عن صور الاقتباس المتبادل بين المظهرين إضافة إلى تبادل التأثير بين العاميات ذاتها. ويمكن القول عموماً إن الطريقة التي حصل بها ذلك الأمر هي أن الفصحى اقتبست من اللهجات «صوراً متخالفة للصيغة الواحدة، وكلها صور فصيحة مقبولة في المعيار النظري المتعارف. ولكن تشكل الفصحى وتمثلها في النصوص كان لا يتسع لتلك الصور المتخالفة جميعاً بل يصطفي واحدة منها. وتحيا هذه الصورة الواحدة في الاستعمال، وتتحقق لها منزلة القبول من ذينك الوجهين: النظري والعملي»[11].

ولنذكر في هذا الباب ما أبداه أنصار العامية من أفكار تؤيد الكلام والكتابة باللغة البسيطة العامية، لغة الشارع والبيت، خاصة. ان الفصحى تشكّل لغة ثانية عسيرة لا تستعمل في الحديث، ولا يمكن التحصُّل عليها في مستوى محدود إلا بعد سنوات طويلة من الدرس والكتابة بالعامية، ولذا، لا يمكن نشر الثقافة في مناطق واسعة. وبالمقابل لا يمكن حرمان الأميين من التثقف. لكن نشر الفصحى لا يرتبط فقط باستيعاب قواعدها بل بقانون التدريب الطبيعي العام إذ إن تعلُّم اللغة يكون بالاستعمال والسماع أولاً، إذ على مدرِّس العربية العمل بموجب التزام «يحتم عليه أن يستعمل الفصحى في محاضراته وأن يشجع تلاميذه للسؤال والمناقشة بالفصحى إن كان الدرس ديناً أو فيزياء أو رياضيات أو جغرافيا»[12]. لكن العربية لا يتاح استعمالها إلا في المدارس والمواكب الرسمية. ثم إن القواعد لا تشكّل إلا أداة مساعدة على كسب اللغة ولا تغنينا عن استعمال اللغة، وهي لا تكتسي فائدة إلا إذا كانت الفكرة هي الموجهة والمسيطرة على شرحها وتعليمها، وهو أمر ما زال نادراً ندرة التمارين النحوية الحية[13]. وقد كانت المجامع في وضع يسمح لها بالخوض في هذه القضية. وقد لاحظ مجمع القاهرة منذ ١٩٤٧ أن العامية لا تشكّل مجرد تحريف للفصحى بل إنها تشكل لغة مستقلة تتضمن قواعد ومبادىء يمكن أن يكون التغافل عنها شذوذاً. وهذا لا يعني تأييداً لنشر العامية، بل إنه موقف علمي موضوعي تجاه ظاهرة لغوية منتشرة راسخة الجذور لا يفيد

---

(١٠) ساطع الحصري، **قضية الفصحى والعامية**، ص ٣٢.

(١١) سعيد الأفغاني، **حاضر اللغة العربية في الشام** (القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية العالية، ١٩٦٢)، ص ٢٢٧ و ١٦٠.

(١٢) محمد راجي الزغلول، «نظرة في حاضر اللغة العربية وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية،» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ٣، العددان ٧ ـ ٨ (كانون الثاني/ يناير ـ تموز/ يوليو ١٩٨٠)، ص ١٤٦.

(١٣) سعيد الديوجي، «حول ثورية التعريب،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (١٩٧٣)، ج ١، ص ٢٨٠ ـ ٢٨٢.

التنكر لها أو تجاهلها كما لا يغني فتيلاً الدعاية لتفويقها على الفصحى خاصة ان العامية لا بد أنها لغة انبثقت عن اللغة الأم بما توفر لديها من مفردات وتراكيب، وانها لم تنشأ من عدم، وهذا ما يحدونا إلى عدم نصرتها واعتبارها في الحقل الثقافي والفكري عامة قادرة على بث المعرفة لقلة إمكاناتها في المجردات.

أما موقف المكتب من ذلك بصفته مؤسسة تعمل على صيانة العربية وتطويرها في الوقت نفسه، فهو يتلخص في عدم اعتبار هذه الظاهرة العامية كياناً قائم الذات. فقد أنكر ما أبداه أنصار العامية من حجج وزعموا أنها لغة قريبة من الحياة تعبر عن عفويتها. والملاحظ أن آراء هؤلاء نظرية سلبية لأنهم لم يعملوا على تطبيقها في الواقع[١٤]. فإلى جانب العوامل الاجتماعية والسياسية التي اقترحها أنصار العامية، توجد عناصر قائمة على الواقع اللغوي الذي اكتسح الحياة الأدبية في الوطن العربي بعد الحرب العالمية الثانية. فقد ناصروا نظرية المضاهاة للواقع في اختيار المواضيع واللغة المستعملة في الروايات والمسرح في حين أنه لا يمكن وضع قواعد للهجات المائجة دوماً موجان الواقع ذاته، إضافة إلى الخلافات بينها التي تقضي على كل طابع لديمومة اللغة[١٥]. وعلى الصعيد العملي الفعلي، فهل يمكن تقرير تعليم العامية؟ وأية عامية تقرر للأطفال؟ عامية قطرهم أم عامية شاملة ينبغي ابتكارها؟[١٦]. لكن الأمر المقبول هو احتمال تغذية الفصحى بأفكار يعبر عنها بالعامية، ويتجلى ذلك في الكتابة الأدبية. وبذلك يكون تدارس اللهجة لأسباب جمالية وكظاهرة للحياة الشعبية ينبغي تجسيدها حتى لا يقوم حاجز سميك بين التعبيرات الفصيحة واللغة السماعية الشائعة بين جماهير المتكلمين. وقد مرّ طبعاً الوقت الذي كان فيه علماء اللغة القدامى منهم وحتى المحدثون، يستنكفون من اعتبار ظاهرة اللغة العامية موضوعاً للبحث اللغوي، لأن ذلك كان يؤدي بهم إلى التناقض، واتجاه الفصحى التقليدي الذي عمل على تجاهل العامية لكونها كانت لغة العوام، والفكرة السائدة في عصور الفصحى الذهبية أن اللغة الفصيحة ستصهر اللهجات في نظامها[١٧]. وربما كان هذا الشعور اللغوي له ما يبرره لأن الألسنية الحديثة استنتجت رأياً مفاده أن اللهجات تنتسب إلى اللغة الأم، فضلاً عن أن «واقع اللهجات العامية وطبيعتها حقيقة لا نستطيع أن نفرَّ منها، وإنما يجب أن نواجهها في شجاعة وأن نفكر كيف نُقرِّب بينها ما دام أهلوها جميعاً ينطقون لغة واحدة هي اللغة الفصحى التي انشعبت عنها وتفرعت هذه اللهجات»[١٨]. مع الملاحظة الهامة أن المتكلمين وهم أول من يهمهم الأمر، ميالون بطبعهم

---

(١٤) محمد أديب السلاوي، «الصراع بين الفصحى والعامية في الوطن العربي،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ٧٤.

(١٥) **الفكر** (حزيران/ يونيو ١٩٧٢)، ص ١٧ و٢١.

(١٦) Muhammad Rayhan, «Refuting the Opinion of those who Advocate Discarding the Arabic Language and Replacing Spoken Vernaculars in Books and Writing,»

اللسان العربي، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ص ٢٢.

(١٧) *Studia Islamica* (1972), p. 164.

(١٨) محمود حسني محمود، «اللهجات العامية إلى أين؟» **اللسان العربي**، العدد ٢٠ (١٩٨٣)، ص ٣٠.

إلى الوحدة اللغوية بصفتها أحد عوامل التكيف الاجتماعي الذي بث الطمأنينة النفسية بالانتساب إلى مجموعة لغوية معينة، وبذلك يصير مظهر الفصحى ومظهر العامية متكاملين في اللغة الواحدة المسيطرة بتراثها وعزتها والتي تعمل على تقريب العامية من مستواها أكثر مما تخشى من تفوقها عليها. وأكثر من ذلك، تقاوم اللغة الأم كسب اللغة الأجنبية إذا حافظت على نظامها وقواعدها، وإذا شعر المتكلم براحة نفسية عند استعمالها. وليس اتجاه التحزب إلى اللهجة سوى نتيجة للتوسع المكاني. ذلك أن تباعد الاتصالات اللغوية أكثر من تباعد المسافات هو الباعث على التفرقة اللغوية، لأن تقريب المسافة أمر ممكن بإنشاء وسائل المواصلات، أما تقريب الاتصالات البشرية فهو يتطلب طول نَفَس[19]. ولذا يتمثل العمل التوفيقي في البحث الاستقصائي للهجات العربية المختلفة من وجهة نشأتها وتطورها وتشكيلها تجاه اللغة الفصحى. ولم تتردد المجامع في التخطيط لهذه المهمة. فمثلاً حدد مجمع القاهرة بمناسبة ذكرى تأسيسه (١٩٣٢) في ١٩٦٢ ما ينبغي عليه القيام به بلوغاً لهذا الهدف، فقرر الاستفادة من النتائج الحاصلة في القراءات القرآنية ومفعولها على اللهجات وما يمكن استخراجه منها من كلمات فصيحة يبحث عن أصلها في السجل اللغوي، ويقع التخلي عن الكلمات الأخرى وردها إلى أصولها العامية في كل لهجة من اللهجات العربية. وقد بدت الخشية من جراء هذه الأعمال وما يرتقب لها من تأثير في الفصحى، ثم حل الاقناع والاقتناع محل تلك التخوفات خاصة أنها تمثل أبحاثاً لا مناص منها تؤيد النظرة الجديدة المتجهة إلى الظواهر اللغوية العربية. ثم إن ما ينبغي إحاطة ذلك بالضمانات العلمية الكافية قد تأكد حينما تحملت المؤسسات اللغوية مسؤولية السهر على تنفيذ وبلورة قضايا العامية[20]. وقد استهدف الباحثون في الواقع استخدام العامية للتدليل على صحة قواعد الفصحى التي لها الأسبقية دائماً في الأبحاث اللغوية[21]. وعلى هذا الأساس، وجب تعميق الأبحاث في العامية وربط ذلك باللغة الفصحى بغية تطويرها على أحسن وجه. فتمثلت القضية في جرد عام يشمل النصوص النثرية والشعرية بالعامية، والنظر في القواعد التي تسير عليها اللهجات ولو بصورة تقريبية لأن الواقع اللغوي ينفي عن العامية أن تكون لها قواعد بأتم معنى الكلمة أو أن تكون قارة قرار قواعد الفصحى، ويقع كذلك مراجعة معاجم العامية التي ألّف منها المستشرقون عدداً وافراً. ويمكن أيضاً البحث في العلائق الموجودة بين اللهجات واللغات الساميّة والبحث عما دخلها من كلمات معربة وإلى حد يقدّر حجم استعمالها[22]. فكان ذلك بمثابة البرنامج الذي تحقق جانب منه في الأبحاث الصوتية والمعجمية الحديثة التي قام بها

---

(١٩) André Martinet, *Éléments de linguistique générale* (Paris: A. Colin, 1969), p. 197.

(٢٠) **مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً (١٩٣٢ ـ ١٩٦٢) مجموعة القرارات العلمية من الدورة الأولى إلى الدورة الثامنة والعشرين**، ص ١٦ و ٥٠.

(٢١) محمد الخضر حسين، «الشعر البديع في نظر الأدباء،» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)** (١٩٥٩)، ص ٣٥.

(٢٢) رمسيس جرجس، «بعض الكلمات المنحوتة في اللغة العربية،» **مجلة مجمع اللغة العربية** (١٩٦١)، ص ٧٦.

اللغويون. ومما لوحظ صعوبة البحث في الوظائف الصوتية للهجات العربية. ذلك أنه ينبغي في بداية الأمر وجود معجم اللهجة المحلية وقواعد النحو والنصوص التي ترتب الكلمات حسب مقاييس دقيقة، وتدوَّن بها العلامات الصوتية الضرورية للنطق الصحيح. فالكتابة العربية صوتية تتواجه فيها الوحدات الصوتية، وهي تحتفظ بالحركات القصيرة والممدودة التي يمكن أن يميزها المتكلمون بصورها الصوتية كافة التي يفرضها تفصيل نطق الأصوات المختلفة المتوالية. لا شك في وجود تغييرات مقطعية لا علاقة لها بالنبر، من ذلك أن سرعة النطق في اللهجات المغربية لا تتجنب سلسلة المقاطع القصيرة، كما هي الحال في اللهجات العربية الأخرى. الواقع أن النبر ضعيف في أغلب العاميات العربية، ولا يوجد دليل على استقراره في موضع معين من الكلمة حتى يخيل إليك أن النبر للجملة أكثر منه للكلمة(٢٣)... وفي ضوء ما يتيحه لنا علم الأصوات وعلم اللهجات من معلومات متطورة مخبرية تغير من نظرتنا الى الظواهر القارة والعابرة في اللهجات، فإن مجمع القاهرة مثلاً اقترح العدول عن تركيز بحث اللهجات القديمة في كتب اللغة التي لم تتحدث عنها إلا عرضاً. ويبدو إن الاتجاه الحالي هو اعتماد ما وصل إليه تدرُّج الأبحاث في العامية التي قام بها علماء اللهجات في فترة حديثة بخصوص تطور العاميات العربية العصرية، حتى أن مثل هذه الأبحاث بدت ضرورية لقلة النتائج السابقة المانعة لكل تقدم سريع في هذا الباب. ذلك أن المؤسسات اللغوية حصلت الآن على ما يلزمها من مخابر وأجهزة مسجلة مصورة للأجهزة الصوتية بحيث هي في سعة من الامكانات التي تمكّنها من تطوير البحث إلى أبعاد جديدة غير مترقبة. وقد تبين أن عدة كليات عربية جهِّزت بالوسائل الفنية والعلمية اللازمة للاختبارات الصوتية ولا تعمل بكامل معداتها وعلى حجم ما ينتظر منها من مردود، في حقل التجريب النطقي والصور التي بها يمكن تفصيله. أما عن اللهجات القديمة وإنماء إدراك القواعد العامة التي تنمو في ضوئها العاميات المعاصرة، فيبدو أنه ينبغي ربط البحث في أمرها بمبادىء، منها أن فرق البحث تبدأ بالعاميات الحالية وتستقصي مضمونها طبق منهج للتحليل الصوتي الوصفي الذي يشمل الأوساط الناطقة بها كافة. وتتمثل المرحلة الموالية في إنماء تحليل القراءات القرآنية وتجنّب الاقتصار على ما ورد في الكتب من معلومات بشأنها. وأخيراً، ينبغي جمع المعطيات عن اللهجات واستخراجها من كتب اللغة والأدب تأهباً لمرحلة المقارنة والاستنتاج المتعلقة بالقواعد الصوتية الوظائفية التي تميز اللهجات عند فترة ظهورها وما طرأ عليها من تحويرات بعد الفتح. وتكون العاميات الحديثة طبعاً موضوعاً للبحث رغم أنها تطورت في ظروف منغلقة، وعلى صعيد محلي، فتميزت كل لهجة بخصائص نوعية ذاتية دون فقدان ما عرفته من خاصيات في القبائل. فلا يمكن أن تؤثر الخلافات بين اللهجات على بنية الكلمة واللغة، لكن ما اشتركت فيه العامية والفصحى ناتج عما انتشر من ظواهر قديمة في العاميات العربية(٢٤). وفي الجملة، لقد اختلفت الفصحى والعاميات من وجهة البنية، فكانت

---

(٢٣) Jean Cantineau, *Études de linguistique arabe* (Paris: Klincksieck, 1960), p. 120.

(٢٤) ابراهيم أنيس، **في اللهجات العربية** (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٦٥)، ص ١٠، ١٤، ٢٢٨ و ٢٣١.

الفصحى لغة تركيبية تستخدم وحدات صوتية متصلة في حين أن اللهجات لغات تفصيلية تحليلية تحررت وحداتها الصوتية. فهل كانت تلك اللهجات بمثابة المراحل اللغوية التي تزايد خلالها تدهور العربية؟ لقد شعر المتكلمون بذلك وحاولوا تصحيح ما في عامياتهم من بنى محرّفة وجمع كلماتها، فابتكروا بجهدهم اللغوي ما كانوا في حاجة إليه يومياً للتعبير عن مقاصدهم أكثر مما وجد في اللهجات من ألفاظ، وكان ذلك الجهد عاملاً على سدّ النقص في درايتهم باللغة الفصيحة[٢٥]. ومهما كان الأمر، فقد صار علم لهجات العربية من الوجهة التاريخية بمثابة الفصل الذي لا يستهان به في تاريخ الألسنية العربية[٢٦].

٣ ـ بعض مظاهر التداخل في اللغة العربية

لقد كانت التجارب اللغوية في العالم تؤول دائماً إلى التوحيد الادراكي واللساني النطقي حول اللغة الأم أو على الأقل حول اللغة القومية التي تتفوق على اللهجات الراسخة أو الطارئة، الاقليمية أو الجهوية أو المحلية الضيقة. ولا شك أن الصين على امتداد رقعتها الشاسعة، وفِّقت في توحيد لهجاتها المتكاثرة حول لغتها القومية. وقد كان العزم الثابت على الصعيد السياسي عاملاً حاسماً في التوحيد اللغوي الصيني الذي انطلقت منه اللغة الصينية الحديثة لتصير أداة ناقلة للعلوم، شأنها في ذلك شأن اللغات العالمية المعاصرة، وهو ما لاحظه مدير المكتب سنة ١٩٦٦ خلال رحلته إلى الصين. والملاحظ أن تغيير اللغة الصينية أثير على مستوى اللغة المشتركة الشائعة في الكلام التي تناقض اللهجات المحلية. أما عن مظهرها الكتابي، فقد وضعت المقاييس النحوية واللغوية بغية توفير فرص الكتابة والرفع من المستوى الفكري العام. ذلك أن الصينية خلافاً للعربية هي نتيجة انصهار اللهجات الذي شرع فيه منذ سنة ١٩١٩. وقد كان الجهد يرمي إلى تقريب اللغة الراقية من العاميات المنتشرة، عن طريق تحريض وتنبيه الشعور اللغوي الشعبي. فنشأ بذلك ما سمِّي الصينية الحديثة، ووافق ذلك صيانة التراث بصيانة الكتابة القديمة واللهجات الشائعة والكلمات الأجنبية الضرورية (من بينها كلمات عربية أدخلها التجار المسلمون). وقد اختارت هذه اللغة المشتركة العصرية طريقة النطق الشائعة في بيكين ولهجات الشمال التي وقعت دراستها دراسة عميقة مكّنت من تعميم اللغة الجديدة. تلك هي الطريقة الصينية المبتكرة في القضاء على عوائق انتشار اللغة القومية. وقد تجسد أيضاً هذا المجهود في إنجاز المعجم الصيني الموحد استجابة للضرورات العلمية والتقنية. وقد انتقى المفردات معجميون مختصون في وضع اللغة، في حين أن ألفاظ الحضارة وقع جمعها من أفواه الطبقات الشعبية. . . ويمكن القول بصدد هذه التجربة الصينية إنها عكست الاتجاه في توحيد اللهجات بالنسبة الى العربية التي عايشت تطور ونمو عاميات عديدة تعدد أقطار الوطن العربي. ولا مانع طبعاً من التأمل في توفيقها في مسلك التوحيد

---

(٢٥) *Revue d'études islamiques* (1969), p. 193.

(٢٦) *Revue d'études islamiques* (1965), p. 184.

اللغوي وتزويد العربية بثمارها. فاللفظة مهما كانت، ينبغي أن تكون لها جذور راسخة في المجتمع الذي عليه أن يعمل بها أو يرفضها. لكن الاحتياط من ربط اللغة بالقرارات ذات الصبغة الاجتماعية السياسية ضرورة حتى لا تكون اللغة أداة تلاعب لا تخضع لمقاييس مدققة، فكانت القواعد، إن أحسن استعمالها، بمثابة الدرع الواقي من كل التحديات المضرة بالاستقرار اللغوي. والحل الوسيط أن تعتمد لغة العامة في تغذية اللغة الفصحى إذ يبدو أن العفوية الموجودة في العامية تعبر بصورة دالة عن الواقع، على ألّا يكون ذلك الاتجاه بمثابة القاعدة الملزمة حتى لا تبث الفوضى التي تسيء الى اللغة الأصلية[٢٧]. ومن وجهة نظر فقه العربية، تطرح القضية في صورة مراحل التطور اللغوي التي تنتابه جملة من المؤثرات الموجبة والسالبة، منها ما انتاب العربية الفصحى من أطوار في فروعها العامية يمكن استغلالها لتنمية تلك اللغة أو الاحتياط لها إذا كانت من الأسباب المعطلة[٢٨]. ويبدو أن المعادلة القائلة بوجود العربية ويضاف إليها محصول العامية، فتترتب عليهما اللغة العربية الحديثة، هي من التعليلات التي خضعت لاتجاه مذهبي مستقبلي. فمنذ أقدم العصور، عايشت اللهجة اللغة الفصحى ولم يعق ذلك تطور لغة القرآن الكريم. وقد شملت الازدواجية لغات أخرى كاليونانية التي كان لها أداتان للتعبير خصّصت إحداهما للتعبير عن الوقائع المهمة وشاعت الثانية في الحياة اليومية العادية. لكن اللهجات اليونانية كانت قريبة من اللغة الأصلية التي كانت أقدم من اللغة العربية، فكانت لغة الفكر والحضارة القديمة. على أن العربية تكاثرت لهجاتها ولذا فما زالت تترقب تطهيراً وتنقية يساعدانها على الانطلاقة الصحيحة إلى مرحلة من النمو الكامل[٢٩]. وكانت الخشية تتمثل في توقّع ظهور اللبس في تعليل ما يجدّ من تداخل بين المظهر الفصيح والمظهر العامي لتشعب هذه الظاهرة ونظراً لاختلاف المستويات في السلوك اللغوي. وإذا ما وقع إغفال التمييز بين اللهجة القبلية واللغة الفصحى، فإن ذلك يطغى على قاعدة صيانة الفصحى من كل ما يداخلها من العامية المتعددة، علماً بأن تعددها يثير اتجاهات متباينة في حقل الأبحاث المقارنة بين الفصحى ولهجة قطرية معينة، إضافة إلى ما ينبغي من أبحاث لمكافحة اللهجات في ما بينها لاحتمال وجود فوائد تستغلها الفصحى في تطورها العلمي خاصة، كأن تقتبس ألفاظ الصنائع المحلية في تنمية الزاد العلمي وخدمة قضية التعريب. وبعد أن مرت فترة الاستشهاد التي تم خلالها جمع اللغة، تكوّن لدى اللغويين فكرة عن السليقة اللغوية، فاعتبروا أن العرب يملكون العربية بالفطرة بحيث يكون كل ما ينطقون به خالياً من كل عيب أو لحن. وبهذا المنظار، لاح لهم أن الخاصيات الصوتية العامية تبدو ظواهر فصيحة وعامية. وتمادوا في هذا الاتجاه إلى حد أنهم خصوا اللهجات بصفة الفصاحة، وان ما يميزها عن الفصحى ليست إلّا فروقاً، فأدى ذلك إلى التأثير في تشكيل الأوزان الصرفية والمسائل النحوية واللغة وما ترتب على ذلك في الدلالة من اختلافات في

---

(٢٧) عبد العزيز بنعبدالله، «معركة الفصحى والعامية في توحيد اللهجات الاقليمية لمواكبة الركب العلمي،» اللسان العربي، السنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٧)، ص ٣١٧ - ٣١٩.

(٢٨) *Revistad Instituto de Estudios Islamicos en Madrid* (1963-1964), p. 36.

(٢٩) *Bulletin d'études orientales* (1952), pp. 185-187.

الادراك الذي اختلف كلما نسبت الكلمة إلى قبيلة من القبائل[٣٠]. فمثلاً حافظت اللهجات على الهمزة في الحجاز في حين أن النحاة لم يتبينوا النبر في هذه المسألة. ذلك أن لهجة قريش لم تكن لغة متفوقة في حد ذاتها لكن وقع تبنّيها كأداة للتعبير، لأسباب سياسية اجتماعية وحتى اقتصادية، وتعميمها على بلاد العرب كافة[٣١]. ومن جهة أخرى، لا يمكن مقارنة العربية الفصحى والعامية باللاتينية واللغة الرومية في نهاية العهد الوسيط. وقد تأكد الرأي الآن أن تعميماً سريعاً للتعليم من شأنه أن يقضي على الفروق بين مظهرَي العربية[٣٢]. وقد كانت ظاهرة تفشي اللحن حافزاً على تدوين اللغة منذ القرن الثالث عشر الميلادي وما ألّف فيها خشية أن تكتسحها اللهجات. ثم ظهر المثل الاسلامي في القرن التاسع عشر وتمثل في موقف السلفية المؤيد للوفاء غير المشروط للأصول خاصة منها العربية الفصحى التي هي رمز لسيادة الإسلام، وموقف الحداثة الذي اصطبغ لا بالاسلام كمثل ثابت لا يتغير بل بالعالم الذي يعيش فيه المسلمون اليوم[٣٣]. لكن البداية في هذه اللغة كانت مع قريش التي نشأت بينها اللغة العربية المشتركة نتيجة انصهار لهجات القبائل الأخرى في بوتقتها. فكان ذلك الموقف اعترافاً برفعة اللهجة القرشية التي كان معيارها الفصاحة المختلف مفهومها باختلاف «لغات» القبائل. ويضاف إلى معيار الفصاحة معيار السليقة الذي أشرنا إليه. وقد بدت نجاعته في تغذية اللهجات بالتعابير، فصار قادراً بذلك على التقدم بالفصحى وإثرائها وتنمية زادها بالبنى السليمة التي يعتز بها ماضيها. فصار من هذه الزاوية متاحاً العمل على إحياء بعض الألفاظ والتعابير العامية خاصة منها التي تقبل الأوزان العربية، ويقع ضمُّها إلى المعجم، وهي بادرة من شأنها أن تخفف من اتساع الشقة الموجودة بين مظهري اللغة. هذا إذا قبلنا أن اللهجة إنما هي متولدة عن اللغة الفصحى، فوجب تحسينها ورفعها إلى مستوى الفصاحة وإعادتها إلى اللغة الأم[٣٤]. ومن رأي ابن خلدون أن قريش كانت بعيدة عن كل تأثير لغوي دخيل عليها، خلافاً لما كان عليه أهل اليمن الذين ربطتهم مبادلات من كل نوع مع الحبشة وفارس وبيزنطية. ويؤيد مطابقة اللغة الفصحى بلهجة قريش وجود الرسول بهذه القبيلة ونزول القرآن في هذه القبيلة، كما أن المواسم الشعرية كانت تعقد بسوق عكاظ، فتعاظم شأن هذه القبيلة لكونها صارت عاملاً للتوحيد اللغوي والثقافي دون أن يكون لها بالضرورة شعراء موهوبون. لكن من العسير قبول الرأي القائل بأن القرآن كتاب قرشي، لأن علماء اللغة تلقّوا رواية اللغة من قبائل مختلفة. وما طرأ على الحديث النبوي من تحريفات ينفي القول بأن قريشاً احتكرت لنفسها النزول خاصة وأنه نزل بسبع لغات كما روي. وتزيد قناعة الباحث رسوخاً عندما يتذكر أنه قد أعوز قريش الخلق الأدبي إلى أن ظهر فيها عمر بن أبي

(٣٠) مجلة كلية المعلمين (طرابلس) (١٩٧٠).

(٣١) *Studia Islamica* (1955), pp. 27 et 36.

(٣٢) Louis Gardet, *La Cité musulmane: Vie sociale et politique*, Études musulmanes; 1 (Paris: J. Vrin, 1954), p. 320.

(٣٣) *Étude pratique des hautes études* (1963-1964), p. 102.

(٣٤) علال الفاسي، «فعالية اللغة العربية،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص١٠، وعبد العزيز بنعبدالله، «المقدمة،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ٦.

ربيعة. وقد سَمت لغة قريش إلى مستوى اللغة القومية بمفهوم ذلك العصر، وهي لم تختلف مع اللغة الحميرية إلاّ في بعض الكلمات، بفضل الصفقات التجارية والقوافل التي كانت تمر بمكة في رحلة الشتاء والصيف والحج، فأمكن بذلك صهر اللهجات في مكة بتأثير قريش السياسي والديني والاقتصادي طبعاً. ولا شك أن بعض المخلفات من اللهجات الأخرى بقيت آثارها في القراءات، في القلب والابدال وما اتصل به من إعلال، وكذلك في خلافات الاعراب أو البناء، وفي زيادة الحروف أو حذفها، في فصلها أو وصلها بالإدغام، في طرق تفصيل النطق، في الاشتراك اللفظي والترادف والأضداد. وقد وقع الاعتراف بأن للقبائل حقاً متساوياً في الفصاحة، وبذلك يمكن ربط الفصحى بمصدر معين لا ينكر وجوده ويتمثل في الشعر الجاهلي(٣٥).

أما عند الانتقال إلى اللغة الحديثة، فيلاحظ أن روح المعاصرة قد بدت في الأعمال الأدبية، وارتبطت الأفكار المعبّر عنها بالعربية الوسطى بحوار كثيراً ما كتب بالعامية، رغم ما أبداه المعارضون المحافظون على كيان الفصحى من انتقاد لهذا الحل التوفيقي الذي اعتبره الكّتاب ايجابياً. وقد رأى بعضهم أن الاختلافات قليلة بين الفصحى والعامية، وهي أقل من الفروق الموجودة، مثلاً، بين الألمانية الأدبية التي نشأت في القرن السادس عشر وبين لهجاتها. صحيح أن التقارب بين مظهري العربية لم يكن سريعاً ولم يُبذل فيه جهد هام. ثم إن الافراط في استخدام العامية أدى إلى أن التفَّ حولها أنصار متحمسون اقترحوا التخلي عن الفصحى التي بدأت تعمّ مختلف الأوساط بفضل انتشار التعليم وما نتج عن ذلك من دعم في تفصيح وسائل الإعلام والنشر التي كانت تتجه إلى الجمهور بالعامية خاصة(٣٦). وإضافة إلى ذلك ينبغي مقاومة آثار هذه الازدواجية والتحريض على اعتبار العامية أداة معبرة في الأدب الذي يجب أن يتخذ له لغة عربية مشتركة يفهمها جميع القراء العرب. لكن المسرح تمادى مع السينما في استخدام العامية رغم ما أبداه الناقدون من اعتراضات وجيهة حفظاً لسلامة اللغة، معتبرين ان المسرحية عبارة عن وصف لحالة مأسوية يعيشها أشخاصها، وليست عرضاً للغة التي بها يتكلمون. لكن بعض كتّاب القصة والمسرح يدّعون أن العامية تقوم بدور الحياة الواقعية وما يسودها من حوار بين الناس يتطلب في بعض الصور استخدام عبارات حية دالة يوجد بها كذلك عدة كلمات بالفرنسية أو الانكليزية. والملاحظ إن عدة كلمات تشترك فيها الفصحى والعامية. للاحاطة بهذه الظاهرة، عمد بعض اللغويين إلى اقتراح «ترجمة» تلك الكلمات والعبارات المسرحية أو السينمائية أو القصصية إلى الفصحى(٣٧).

---

(٣٥) «نشأة اللغة العربية ومصادرها،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ص ٧٣ ـ ٧٩.

(٣٦) فولكهارد فيندور، «اللغة العربية الفصحى والعامية،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٢٨٦.

(٣٧) خليل عبدالله، «كيف نشأت اللغة في المجتمع البشري؟» **اللسان العربي**، العدد ٧ (١٩٧٠)، ج ١، ص ١٦٩ ـ ١٩٢.

ومن جهة أخرى، فعملية التفصيح هذه في الحياة العامة تخدم قضية مواجهة ما خلفته اللغات الأجنبية من أسباب أساءت إلى التثقيف العربي، فوجب العودة إلى القيام بعملية تثقيفية تعبّر عن قيم اللغة القومية. والبحث عن الهوية الثقافية القومية وضع النقاش القائم بين مظهرَي العربية في إطاره السليم الواقعي. وفي البداية لا بد من الاعتراف باستمرار روح التقليد اللغوي الذي أسيء فهمه والذي عمل على تعطيل التطور اللغوي. وذلك التطور إنما ينشأ بالاتصال بحركة الحضارة المعاصرة. لكن يمكن القول ان ما جدّ من تداخل بين الفصحى والعامية عمل على دعم التصلب اللغوي المذهبي حيث اصطدم احترام الماضي بما سلّط على الوطن العربي من ضغوط حصلت في الداخل أو قدمت من الخارج(٣٨). وكثيراً ما وقع الخوض في قضايا الازدواجية وقد دارت المناقشات (الرباط، ٣١ أيار/ مايو ١٩٦٨) بغية بلورة هذا المفهوم، فكان يبدأ بتعريف اللغة وتمييزها عن اللهجة، فهي جملة من الوحدات الصوتية التي تنشأ عنها صور دقيقة،أي أفكار. واللغة عمل اجتماعي نفساني عضوي وظائفي متشعب يشمل المتكلم والسامع المشارك في الكلام، ويتم بينهما تيار من الأفكار تستخدم فيها ألفاظ دالة. أما اللهجة فهي اللغة العفوية التي يعتبرها علماء اللغة اليوم لغة قائمة الذات شأنها في ذلك شأن اللغة الفصحى التي لا تتميز عنها إلا بفروق طفيفة. وقد فرضت الظروف استخدام اللهجة كلغة قومية رسمية إلى أن ظهرت العوامل الحاسمة التي حتمت اتخاذ لغة فصيحة كما وقع عند ظهور الاسلام بصورة حاسمة ألزمت لغة قريش كأداة لنقل الدين الجديد. وعلى صعيد محدود، واعتباراً لما يتضمنه اختيار اللغة في الحقل التربوي التعليمي في قطر ما من نتائج، فإن الطفل الذي نطق بعامية بلاده، ينبغي عليه أن يواجه بغتة لغة مكتوبة تختلف عن العامية التي يستخدمها بفطرته، فوجب عليه التدرب على اللغة الجديدة مع ما يكتسي ذلك الأمر من عسر، فطالب بعضهم بتعليم لغة البيت في المدرسة واغتنام الفرصة لتقريبها من الفصحى. وإذا اقتفينا هذه الظاهرة وتأملناها، فلا شك أننا سنكتشف أوضاعاً خاصة بكل قطر عربي. فقد تصير الازدواجية اللغوية ثلاثية (مثلاً في الجزائر الفصحى، اللهجة العربية، اللهجة البربرية، الفرنسية)، وقد تكون رباعية كما في المغرب (فصحى، لهجات، فرنسية وإسبانية). وما يشعب الأمر أن ذلك الوضع ساد وتمادى إلى فترات قريبة في التعليم والادارة. وعلى هذا الأساس، يعيش الطفل وضعاً لغوياً متشعباً. فهو يتعامل مع الازدواجية العامة المسيطرة (العربية والعامية)، والثلاثية اللغوية التي تُضاف إليها اللهجة المحلية. ثم إنه مطالب بتقبل الازدواجية القائمة بين العربية والفرنسية وتكون إحدى اللغتين هي المسيطرة حسب مقررات التعليم بحيث يكون التمزق(٣٩) الذي يمر به مزدوج الثقافة واللغة أمراً واقعاً يجعله يتشبث بلغته المنزلية رغم ما فيها من عيوب أو أن يتعلق باللغة الأجنبية ويعمل بقيمها الحضارية، فيكون بذلك ورغم إرادته خاضعاً لنظامين مختلفين وربما متناقضين بصورة واضحة في التفكير. وقد اعتبر الأجانب المقيمون في أحد هذه

---

(٣٨) André Miquel, *La Littérature arabe* (Paris: Presses universitaires de France, 1969), p. 101.

(٣٩) Albert Memmi, *Portrait du colonisé*, pp. 143-145.

الأقطار المغربية بمثابة مفترسي اللغة القومية بحيث ان ما يقتبس من الوجهة النحوية أو الدلالية من هذه اللغة أو تلك يعكس بدقة علائق القوة القائمة بين أمّتين[40]. الواقع أن القضية لا تتركز خاصة في عدد اللغات الملقنة بقدر ما تتجسَّم في الدور الذي ينبغي لها القيام به بصفتها لغات أساسية في التعليم أو لغات متممة للثقافة. ولذا وجب إيجاد الحل الملائم لقضية الازدواجية وفرض لغة وحيدة في التعليم على الأقل في بعض مراحله. أما عن الازدواجية الموجودة في اللغة العربية، فلا يمكن طبعاً استبدال الفصحى بإحدى اللهجات أو بمزيج منها وتعميمها في الأقطار العربية كافة، لأن ذلك القرار الاعتباطي الذي لا يرتكز على أية أسس علمية وجيهة من شأنه أن يكون معولاً لهدم الحضارة العربية التي توارثتها الأجيال ونمّتها. والحل القريب الممكن في واقع الفصحى هو العمل على بثها بالامكانات الموجودة كافة. وترسيخها لا يكون إلا في اللغة العربية الحديثة، كما صهرت لهجة قريش اللغات القبلية الأخرى. والعدول عن استبدال الفصحى القديمة بإحدى العاميات العربية الحديثة أمر مفروغ منه منذ أن ظهرت وتبلورت لغة عربية حديثة اعتُبرت بمنزلة اللغة الثالثة أو «اللغة الوسطى» بين الفصحى العتيقة والعامية، خاصة وأنها اقتبست تراكيبها من اللغة الأصلية وتغذت بالأفكار والألفاظ الشائعة في العصر الحديث، فأتاح لها ذلك الظرف الملائم على النمو والاتجاه إلى أن تكون اللغة القومية.

٤ ـ تفصيح العامية المغربية

لقد اقتنع المكتب أن لغة المغرب الأقصى هي أقرب فصاحة من المعيار المعروف المتفق عليه في هذا الباب. وما يبرر ذلك هو أن العامية المغربية لم تتأثر بما طرأ من تداخل على اللهجات الأخرى أو بغير اللغة العربية، ويعلل ذلك بأن البلاد لم يقع اكتساحها أبداً إلا عند انتصاب الحماية الفرنسية، وكان ذلك في مطلع هذا القرن. لقد فتحت القبائل العربية البلاد ووطنت اللغة القرشية دون أن يمسها لحن ما. وكانت النتيجة ضعف الفروق القائمة بين الفصحى والعامية المغربية، والأمر واضح في الألفاظ الشائعة الفصيحة التي يتعامل بها المتكلمون (قبائل زعير وشاوية). وحتى الكلمات التي لا تبدو أصولها العربية واضحة، فإن التدقيق في وضعها يتيح ترتيبها في فصيح الكلم. وقد بحث فعلاً[41] في تأثير الفصحى على تلك العامية التي تميزت أيضاً بكلمات وتراكيب بربرية محتملة. وقد لاحظ مدير المكتب أنه ينبغي النظر في أصول ذلك الزاد اللغوي والبحث عنه في قبيلة زعير العربية، من وجهة الدلالة مع مراجعة المعاجم القديمة والعامية، في الأمر. ومثل هذه القوائم تشكّل نواة للأصول العربية الموجودة في العامية المغربية[42]، خاصة أن هجرة العرب من الأندلس كانت

---

(٤٠) Jean Louis Payot, *Linguistique et colonialisme* (Paris: 1974).

(٤١) **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة) (١٩٥٥).

(٤٢) «واحات الفصحى،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٥١٣.

مصدراً للثراء اللغوي، فقدم بنو زيد وبنو سليم وغيرهم(٤٣). ودارت المناقشات حول ذلك المظهر الذي جعل لغة محلية تنمو وتقترب من الفصحى لما طرأ عليها من نمو لغوي جعلها تؤيد ضمنياً الفكرة القائلة بأن اللغة الفصيحة هي القادرة على التغلب على مظهر العامية فيها(٤٤).

انفتح المغرب على الاسلام وتقبّل اللغة العربية في بداية القرن السابع، فارتبط وثيق الارتباط بالدخول في الاسلام وكسب اللغة العربية. وقد رأى المستشرق الفرنسي برونو (Brunot) الذي عاش في المغرب ان ما كان من تأثير للعربية تجاوز كثيراً الموقع الذي احتلته البربرية وإن بقيت شائعة في الجبال، وتقبلت عدة كلمات عربية. ويكفي للتدليل على ذلك التذكير بما قامت به فاس من دور علمي حضاري حاسم، فكان العود إلى اللغة البربرية زمن الاستعمار محاولة فاشلة. وقد ذكر ذلك المستشرق ان اللهجة المغربية مستقلة عن الفصحى، فأثّر ذلك في المستعربين الفرنسيين المقيمين بالمغرب الذين عدلوا عن كتابة تلك اللهجة بالحروف العربية التي اعتبروها من أصل مشرقي غير قادرة على التعبير عن الالقاء وتفصيل النطق كما ينبغي في العامية المغربية. فعُزلت لغة القرآن الكريم واعتبرت لغة مشتركة في الآداب والأمور الدينية، وبدت بمظهر الظاهرة المنعزلة عن اللهجات العربية في نظر هؤلاء. لكن وجد من قال بأن العربية كانت نتيجة صهر لغات القبائل، وقد تجسمت في التراكيب القرآنية. الحقيقة أن الجرد المتقصي المرتب للغة ومفرداتها تم في القبائل العربية، وقام به كما هو معلوم رواة اللغة ـ وأكده ابن خلدون ـ بحيث تأثرت الفصحى عند اتصالها باللهجات المحلية كافة. وعلى فرض أن الفصحى لم تكن في حد ذاتها سوى لغة عليا اتقنها العلماء والشعراء، فلا يمكن قبول الحجة القائلة التي اعتبرت شاذاً كل من عمل على إبراز الخاصيات الأصيلة المميزة لكل لهجة ومقارنتها مقارنة منظمة بالفصحى لكونها تشكل المعيار والمصدر(٤٥). ولذا، قامت موازاة وثيقة بين اللهجات ومصدرها، فكان ذلك بمثابة الاعتراف بأسبقية الفصحى في البحث عن اللهجة المغربية. لكن كيف العمل لتفصيح العامية المغربية؟ إن المقارنة بين اللهجات المغربية ومادة المعاجم القديمة تبين أن تلك اللهجات حافظت على ما تميزت به لغات القبائل في بلاد العرب بعد ظهور الاسلام، من ذلك أن الفصحى أثرت في لهجة الشلحة(٤٦). وبمقارنة عينات من اللهجات في المغرب الأقصى في المدن والأرياف، نصل إلى وجود الشبه في درجات تطور الكلام. وقد تركز البحث الذي قام به مدير المكتب على عامية حاضرة الرباط التي تأثرت بالفصحى واللغة الأندلسية والبدوية، واتضح أن لهجة قبيلة زعير المستقرة في جهة الرباط متصفة بالصفاء ولعلها من أصل فصيح، وهو تأكيد ينفي ما

---

(٤٣) ابراهيم بركات، «الدارجة المغربية أفصح اللهجات العربية،» **اللسان العربي**، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ٣٣.

(٤٤) Ferdinand Brunot, *Introduction à l'arabe moderne* (Paris: 1950).

(٤٥) و/ المكتب: حصة إذاعية، ١٩٦٦/١٢/٤.

(٤٦) عبد الرحيم بدر، «الترجمة من العربية إلى العربية،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ٣٢.

جاء به ابن خلدون من أن هذه القبيلة من أصل بربري. وانطلاقاً من هذه الملاحظة، بدأت تتشكل فكرة وضع معجم للهجة المغربية وهو من الأعمال المجسدة لأحد مظاهر الحضارة المغربية(٤٧). وتيسيراً لأعمال الباحثين، نشرت قائمة بعلماء اللغة ومؤلفاتهم في المغرب، وكان بينهم لغويون من أصل أندلسي ساهموا في إعداد تآليف لغوية في القرن التاسع الهجري. واتفق الجميع على وجوب التعرف إلى التآليف الشرقية وتقييمها والاستفادة منها والعمل على تحسينها بإتمامها وتجديدها. ومن الأندلس كان من مشاهير اللغويين الجيّاني (توفي سنة ٦٧٢ هـ/ ١٢٧٤ م) الذي ألّف خمسة عشر كتاباً، والغرناطي (توفي سنة ٧٤٥ هـ/١٣٤٥ م) ومؤلفاته الاثنا عشر، وليون الافريقي الذي عاش في غرناطة ثم بفاس وأنشأ تعليم العربية بروما(٤٨). وحتى يمكن تفصيح اللهجة، فينبغي الانطلاق من أصولها الفصيحة، ويكون ذلك استناداً إلى أن أغلب العاميات من أصل فصيح. وسيتيح البحث الكشف عن أصول الكلمات العامية كما ستتضح دون شك التغييرات التي طرأت على الفصحى. هذا وإن العامية المغربية تأثرت بالعاميات الأخرى خاصة من الوجهة النطقية وطرق تفصيلها أكثر مما تأثرت بأصول معانيها. كما أن اللهجات العربية تأثرت بعدة لغات أجنبية تسببت فيها التسربات اللغوية من أصل فارسي وتركي وقبطي وبربري. فراجت الكلمات بمقادير مختلفة متنوعة بين الأقطار العربية(٤٩). وبغية إعادة العامية المغربية إلى المقاييس الفصيحة، تكون البداية من البحث عن الأصول الفصيحة وحتى الأجنبية الموجودة في تلك العامية، وإن العمل على فرزها وإحصائها قد مكّن فعلاً من عد آلاف الكلمات التي تستجيب لمعايير اللغة القياسية. واعتباراً للمؤثرات الأجنبية، فإنه يجدر التحري عند استخراجها من العامية بفضل البحث اللغوي المعجمي المقارن، وذلك للتمكن من مقارنتها بكل عامية من عاميات الأقطار الأخرى. ومثل هذه الأعمال تثبت نجاعتها لو كانت مسبوقة بمقارنة العامية المغربية بعاميات مغربية أخرى، وذلك لكي يمكن ترتيب نقط الاتفاق والخلاف بالنسبة الى المقياس الفصيح من جهة وبالنظر الى عاميات المغرب العربي من جهة أخرى، على أن يكون البحث بين كل لهجتين بغية ازدواج المقارنة. ويمكن أن نلاحظ بالخصوص أن القادمين من البادية يحاولون بدافع الطموح الاجتماعي، الاندماج في حياة المدن، والتخلص من خاصياتهم الاقليمية والمحلية اللغوية وغير اللغوية، واستبدالها بعدة وسائل نطقية كالقلب والابدال والحذف التي تطرأ على العامية المغربية اعتباراً للمعيار الفصيح. وعلى ذلك يمكن حساب قرينة الوفاق بمقارنة ما تشترك فيه لهجتان من معانٍ انطلاقاً من المعيار الفصيح. ويتدعم وجه المقارنة بإضافة عوامل واردة من العاميات المشرقية(٥٠). والنظرة المنقبة عن بنى هذه العامية المغربية

---

(٤٧) و/ المكتب: حصة إذاعية، ١٩٦٦/١٢/٤.

(٤٨) عبد العزيز بنعبدالله، «اللغويون أو علماء العربية في المغرب،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ٣، ص ٣٠٤.

(٤٩) الفاسي، «فعالية اللغة العربية،» ص ١٨.

(٥٠) «معجم الأصول العربية والأجنبية للعامية المغربية،» **اللسان العربي**، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ٣٦٨.

تؤكد اشتراكها والفصحى في الأصول والقواعد الصرفية، وهذه فرصة تيسر الطريقة التي بها يتم تفصيح اللهجة المغربية، ويرتبط هذا الشاغل بما كان من شواغل في العصر الجاهلي حيث عوضت العلاقات القائمة بين القبائل الخلافات اللغوية. لكن لم توجه منذ ذلك الوقت وفي العصور الموالية أية منهجية واضحة أو أي تصور قاد اللغويين إلى تجسيم هذا المشروع، وها إن الظروف اللغوية التي يخوضها الوطن العربي أتاحت العودة إلى طرح هذه القضية من جديد[٥١]. وقد جرت محاولات بحثاً عن أصول بعض الكلمات في المغرب، قام بها لغويون تعمقوا في البحث عن الأصل التاريخي للكلمة وما طرأ عليها من تحويرات عبر العصور والحضارات والأقطار، وقد وردت شواهد على ذلك في التآليف اللغوية، فكان ذلك بمثابة المساهمة في تصنيف تاريخ للمعجمية العربية[٥٢].

وقد ساهم المكتب مثل المؤسسات اللغوية الأخرى في القيام بأبحاث مقارنة في العاميات العربية، أسست على المعاجم القديمة (لسان العرب، تقويم اللسان لابن الجوزي)، والمعاجم الحديثة (الوسيط من إنتاج مجمع القاهرة)، واتخذت عامية الرباط مقياساً. وقد أشير إلى لهجات أخرى في بعض الصور إذ طرأت عدة كلمات على العامية الشائعة في هذه المدينة. ووضع معجم على الألفباء العربي وذكر به اللفظ كما هو مسموع في العامية المغربية من الوجهة الصوتية والدلالية ومعه رواياته الفصحى وما عُرف عنه من لهجات أخرى عند الاقتضاء[٥٣]. مثلاً: العربة (arma باليونانية؟، إبدال الباء ميما في اللغة التركية). وقد شاع هذا الابدال في بلاد العرب (مكة = بكة)، وعرفت العربة بأنها أداة نقل يجرها حصان، كما هي الحال في المغرب عامة (بالفصحى، العجلة). وعرفت بمصر باسم عربية الذي استعمل لفظة للعربة الملكية خاصة[٥٤]. والهدف المنشود من هذه المقارنات العامية التدليل على درجة القرابة الموجودة بين اللهجات العربية، لأن أصولها الفصيحة المشتركة تشكّل قاعدة جدية للقيام بتفصيح شامل، وبذلك نتمكن من تحويلها إلى عاميات بنّاءة صالحة للحديث بحيث تكون عاملاً من عوامل الالتحام والوحدة. وعملية التقريب هذه إنما هي أقرب من الفصحى مما لو اقتنعنا بتطبيقها على لهجة أو لهجتين دون تعميم، لكون تشريك اللهجات كافة من شأنه أن يتيح تفاعلها نحو التحسين والتوحيد في بوتقة الفصحى، في حين أن انفراد بعض اللهجات دون بعض بذلك الاتجاه، من شأنه أن ينحو بها إلى طلب التفوق باسم التفصيح والتوحيد. وقد وضعت قوائم في الأصول المشتركة للعاميات والموجودة بالفصحى، فأمكن القول بشيوع استعمال أغلبها في العامية بمعانيها

---

(٥١) أنور الجندي، «معجم الفصيح في العامية المغربية،» **اللسان العربي**، السنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٧)، ص ٣٥٧.

(٥٢) عبد القادر زمامة، «تحقيقات لغوية لكلمات مغربية،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ٢، ص ١٤.

(٥٣) عبد العزيز بنعبدالله، «نحو تفصيح العامية في الوطن العربي: دراسة مقارنة بين العاميات العربية،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ٢، ص ٥٢٩ ـ ٦٥٨.

(٥٤) المصدر نفسه، ص ٦٠٢.

الأصلية دون أن يطرأ عليها تحريف كبير[٥٥]. والحقيقة أن تفاعل اللهجات العربية كان أمراً واقعاً في العصور القديمة. فقد أدخل الفينيقيون لغتهم إلى شمال أفريقيا، ويمكن اعتبارهم من جموع الناطقين بالعربية، وكذلك الشأن مع البربر الذين قيل إنهم هاجروا من بلاد العرب فأفادوا من اللغة الفينيقية التي مكّنتهم من استعادة لغتهم الأصلية. وعلى ذلك، لم تنفك الأصول المشتركة للأقطار العربية تتغذى من مثل هذه المصادر. ويكفي لادراك ذلك التحري عن نتائج هذه المؤثرات المتبادلة التي تجسمت في وجود بعض الكلمات الفارسية والتركية والانكليزية والفرنسية والاسبانية. وقد دخلت تلك الكلمات الأندلس قادمة إليها من المشرق العربي، ثم تحولت إلى المغرب وأشعّت على لهجات أخرى. فكان العمل المجدي يتمثل في تقنية هذه العاميات تقريباً لها من اللغة الفصحى، وذلك رداً على ما قام به أنصار العامية من ادعاءات باطلة نادوا فيها بنشر اللهجات المحلية بدل الفصحى، خاصة أن الاستشهاد بالأصول المشتركة في العاميات العربية فاق كل مظاهر التحريف الأخرى. إن الدعوة إلى تفصيح العامية ما هي إلا اتجاه إلى العمل المنهجي القائم على الواقع اللغوي والاجتماعي السائد في الوطن العربي الذي يدعو إلى تساند الجهود في سبيل تطوير اللغة العربية وإنجاز التعريب الذي تواجهه عدة عوائق منها عائق العامية التي تستنقص من الجهود المبذولة في سبيل نشر العربية وإشاعة تعلّمها بين كل الفئات الموجودة في الوطن العربي، لأن التعريب لا يقتضي فقط نشر المعرفة العلمية والتقنية في التعليم وفي الحياة العامة، بل هو قبل كل شيء تركيز أسس اكتساب العربية لا كصنعة فقط بل الاتجاه بها إلى أن تصير سليقة كما كانت في الماضي، تثبت في الشعور اللغوي الفردي والجماعي رغم ما تجده من مقاومة العاميات المختلفة لها في كل قطر عربي. وبقدر ما تنتشر الفصحى بالأساليب المتاحة كافة في التعليم والادارة والحياة الاجتماعية، بقدر ما يتضاءل شأن اللهجات. وما يواجه الفصحى الآن هو واقع العامية الوطنية في حين أن الواقع اللغوي العربي العام أكثر تشعباً مما يُظنّ، وهو لا يطابق قطعاً الوضع السياسي الراهن. وقد قيل إن مشروع تفصيح العامية يتناقض والمبادىء التي رسمها لنفسه في البداية، لأن التوزيع الجغرافي الحالي يعني ضمنياً وجود عدد من اللهجات مثل عدد الأقطار، فيكون ذلك بمثابة الاعتراف بالاقليمية اللغوية[٥٦]. وقد استهدف المشروع أيضاً لاعتراضات قائمة على الموضوعية العلمية العربية التي أكدت التناقض بين القومية المشروعة وما يقوم به اللغوي الذي عليه قبل كل شيء أن يشتغل بالوقائع والانطلاق من معطيات علمية بحت، كتطور الظواهر والترابط الموجود بين اللغات المتعايشة كاليونانية واللاتينية، واعتبار المقاييس الجغرافية والتاريخية[٥٧]. وما يوجه من نقد لهذا العمل هو اقتصاره على اللهجة المغربية التي تتضمن في حد ذاتها عدة أصناف، دون أن يتم فعلا

---

(٥٥) «فهرس الأصول العربية العالمية،» اللسان العربي، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ٢، ص ٦٥٩.

(٥٦) عمر طاهر، «نحو تفصيح العامية في الوطن العربي،» اللسان العربي، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٢٩١.

(٥٧) *La Presse*, 8/5/1975

البحث المقارن بعاميات مغربية أخرى ودون استخدام معلومات جاهزة في علم وظائف الأصوات وقوانين الألسنية، بل وقع الاكتفاء بما جاد به المعجميون العرب قديماً الذي لم يعد يساير الواقع اللغوي الراهن. وما يمكن التساؤل عنه في هذا المقام هو وجود دراسات مسبقة عن العاميات المغربية وما يوجد من قرابة محتملة أو نظرية بين لهجات المغرب والعربية في العصر الجاهلي، والتطور في أصول الألفاظ في اللغة الفصحى وواقع الألسنية في اللغة العربية بالمغرب العربي، ثم التساؤل عما إذا كانت هذه المنهجية صالحة لموضوع هذه الأبحاث في العامية. وبالفعل، فالتأكيد أنه يمكن اكتشاف العربية الأولى في لهجة قطر عربي ليس إلا مبحثاً من باب الاحتمال الشبيه بالأبحاث اللغوية. وخروجاً من هذا النسيج من التناقضات، لا مفر من الاستناد إلى الكلام ذاته بما تضمنه من تفريعات عامية، وذلك بضم العربية الفصحى واعتبارها لغة من اللغات ولو كانت اللغة القرشية[٥٨]. وما يمكن الردّ عليه هو أن الاتجاه المنهجي يؤثر في ما يكون من آراء مبدئية تكون منطلقاً للبحث. ففي هذه القضية المتمثلة في تفصيح العامية، نجد مجهوداً فردياً يستند إلى تجربته الشخصية لاستنطاق اللهجات ومحاولة السير بها نحو «التفصيح»[٥٩]، وفي مقابل ذلك نجد المواقف المجردة التي تعتبر المبحث اللغوي مجرداً عن محيطه السياسي والجغرافي فتتجه به في تفريعات تتناقض وجوهر القضية المطروحة ومفادها أن تفويق الفصحى يتطلب عملاً ما تجاه العامية[٦٠].

٥ ـ مسائل في علم اللهجات المقارن

ويدعم ما سبق قوله أن تفصيح العاميات العربية لم يكتسِ بأية صورة كانت صبغة النظام اللغوي الحاسم، بل ما زال في بداية الطريق، هو عبارة عن ملاحظات تتيحها المقارنة بين اللهجات وتخص عدة ألفاظ «تاريخية» «يغلب استعمالها في أقاليم عربية دون غيرها تعريفاً بها ودعماً للتقارب بين اللهجات العربية، وهي تشكل مادة لغوية لاقتباس مصطلحات موحدة من الوطن العربي»[٦١].
هذا هو المحور الذي جمع حوله نواة من المقاربات اللفظية التي عبرت في أحقاب تاريخية معينة من الأقاليم العربية واستقرت بها وشاعت إلى يومنا هذا. وعلى هذا الأساس تمادت الأبحاث مستندة إلى السوابق اللغوية. فمثلاً في صورة لغة الأندلس التي نقّيت من الكلمات الأجنبية النادرة في اللهجة الأندلسية، عمل الأمويون على المثابرة على التوحيد اللغوي كما وحدّوا الميادين الأخرى. وقد هاجر أهالي الأندلس إلى المغرب والجزائر وتونس ومصر والشام ومعهم لغتهم القريبة من اللغة اليمنية والحجازية. ولا شك أن قرب المغرب من الأندلس كان عاملاً

---

(٥٨) *La Presse*, 3/6/1975

(٥٩) عبد العزيز بنعبدالله: «مظاهر الوحدة بين عامية بغداد وعامية المغرب الأقصى،» **اللسان العربي**، العدد ١٨ (١٩٨٠)، ج ١، ص ٧١ ـ ٧٤، و «العامية والفصحى في القاهرة والرباط،» **اللسان العربي**، العدد ٢٢ (١٩٨٣)، ص ٥٧ ـ ٧٢.

(٦٠) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ١، ص ٩ (فرنسي).

(٦١) عبد العزيز بنعبدالله، «التقريب بين اللهجات العربية: نماذج في المصطلحات الدارجة بالمغرب الأقصى،» **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ١، ص ١٣١.

حاسما في تطعيم اللهجة المغربية وصيانتها من تحريفات كادت تكون راسخة لو تباعدت الشقة، فبقيت متسمة بصفاء نسبي. هذا وقد شهدت المؤلفات القديمة على الأصل الفصيح لهذه اللهجة التي طرأ على عدد من كلماتها اللحن ورسخت رغم ذلك درجة فصاحتها، إذ ربما يعود أصلها إلى العصر الجاهلي. وقياساً على اللغة الفصحى، تشكلت قواعد أو خطوط لوضع العامية المغربية وهي اللهجة التي تأثرت أيضاً باللهجة السورية خاصة، لأن الشام كانت القطر الأصلي للأندلسيين من بني أمية. من ذلك أن الكلمات الأندلسية وصلتنا محرّفة في وزنها وبنيتها، فبدت شبيهة بمثيلاتها في اللهجة المغربية. ويبدو أن البحث المقارن بين اللهجة في الأندلس واللهجة المغربية يفرض نفسه. ذلك أنه ينبغي العود إلى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وملاحظة القرابة الموجودة بين الأصول الفصيحة والعامية المغربية. كان شيخ اللغة العربية بالأندلس الزبيدي، المولود بأشبيلية من أبوين من الشام (٣١٦ هـ/ ٩٢٩ م - ٣٧٩ هـ/ ٩٨٩ م). وقد ألّف كتاب **لحن العامة**. وقد عُرف بأنه إمام اللغة والإعراب ووحيد عصره في النحو. وقد وصفه المقرّي بأنه شيخ العربية في المغرب قاطبة، كما كان ابن دريد في المشرق. كما عرف عن ابن الجوزي أنه ألّف **التقويم**. كل هذه التآليف لا شك أنها تدعم العمل اللغوي المقارَن قصد تقريب الشقة بين العمليات العربية وتوضيح ما غمض منها. وقد جمع الزبيدي مائة كلمة تشهد بقرابة اللهجتين حيث ان اللهجة المغربية تنتسب إلى الفصحى بنسبة ٣١ بالمئة. وبذلك تشترك الفصحى وهذه العامية في ٣١ كلمة مقابل مئة شاعت في الأندلس وتباعدت بصورة هامة عن معيار الفصاحة[٦٢]. وتوجد كذلك كلمات شائعة في اللهجة المصرية مشتركة مع اللهجة المغربية مع فروق صغيرة في الوزن الشائع في القاهرة والرباط، احتساباً لتأثير اللغة التركية وطرق تفصيل النطق الخاصة بالتفخيم أو الترقيق. من ذلك استعمال الكسرة بدل الضمة، وهو أمر شائع في عدة أقطار عربية (مَالَكْ بدل مَالِكْ؟). وينطق حرف المضارع الأول بكسرة في القاهرة ويسكّن في الرباط. ويبدو أن ٣٥ كلمة من ٥٩ نشرتها **مجلة القاهرة**[٦٣]، من أصل مشترك في المغرب (الرباط) ومصر (القاهرة). أما الفروق فهي من وجهة الدلالة: أبو علي في القاهرة يدل مجازاً على الشخص الكريم الغني، في حين أن أبا علال في المغرب والرباط يدل على الشخص الفقير[٦٤]. وما يمكن ملاحظته عن تصور هذا التقارب بين عامية القطرين هو أن ذلك ربما يؤدي إلى الاعتقاد بوجود لهجة مشتركة لهما دون الأقطار الأخرى، لكن المعروف أنه حتى في القطر الواحد تتلون العامية بعدة خصائص محلية[٦٥]. فمثلاً، في مصر، لا تميّز العامية بين

---

(٦٢) عبد العزيز بنعبدالله، «تنظيمات ومقارنات حول: فصحى العامية بين المغرب والأندلس،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٥.

(٦٣) **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ص ١٩.

(٦٤) «الألفاظ المشتركة في العاميتين المصرية والمغربية،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٥٣٦.

(٦٥) عبد العزيز بنعبدالله، «الألفاظ المشتركة بين العاميتين بين مصر والمغرب،» **اللسان العربي**، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ٣٦٠.

الفعل والفاعل في العدد (وتطبق القاعدة أحياناً). ونمت اللهجة في هذا القطر بفضل ما ألّفه فيها التنوخي، فجعل منها أداة مرنة تقبلها القارىء عن طيب خاطر[٦٦]. وعلى هذا، ينبغي مواصلة السير وضبط وسائل للمقارنة بين أصول العامية المغربية وبعض اللهجات الشرقية.

واعتماداً على ما كان في الماضي من علائق وثيقة بين الشام والمغرب تجسمت على أرض الأندلس في العصر الاسلامي الأموي، لا بد أن التقارب بين اللهجتين انطلق من ذلك العصر فجمع بين الألفاظ المشتركة، وهذا ما يعلل تأثير اللهجة الشامية على اللهجة المغربية دون المرور من طريق السريانية[٦٧]، كما وقع لتلك العامية الشامية التي اختلطت بالنبطية أيضاً - إضافة إلى السريانية - بحيث أن اللهجة المغربية بدت أنقى من هذه الشوائب مما يسر تقبلها لهذا التمازج. وبالعمل على التنقيب عن هذه الأصول المشتركة، أمكن للمكتب إعداد معجم لها وقد وافق طه حسين على هذا المشروع، بوصفه رئيساً لمجمع القاهرة. وقد أدرك أهمية هذه المهمة ونجاعتها لإحياء اللغة الفصحى وتغليبها على اللهجات. ولبنان الذي شكّل قديماً مع سوريا بلاد الشام، نشر فيه أنيس فريحة معجماً للألفاظ العامية وكان غرضه من ذلك العمل على نشر العامية اللبنانية واعتبارها لغة حية في الحديث[٦٨]. وقد حلل برونو عامية طرابلس (الشرق) ورتّبها قبل اللهجة المغربية، مستنداً إلى القياس والتبسيط، مع ان القلب والابدال والحذف ميزت هذه اللهجة[٦٩]. وقد عملت هذه العامية فعلاً على حذف الزوائد تمكيناً للتعبير عن الأفكار والمشاعر، وبذلك صارت شبيهة بالعامية المغربية، خلافاً لما أبداه برونو من رأي ذاكراً أن لهجات المدن وأقل من ذلك البادية لم تقتبس الكثير من الفصحى قبل انتصاب الحماية الفرنسية بالمغرب. وفي خصوص المظاهر المشتركة الموجودة بين العامية المغربية والعامية الشامية، فإنه يمكن ملاحظتها في إسقاط الهمزة في أول الكلمة (إرِمْ = رْم) أو في وسطها (رأس = راس)، أو في آخرها (وضوء = وضو)، وفي الابدال بزيادة ياء (دَوَاه = دَوَايَا)، وحذف تاء المؤنث (مكتبة = مكتبه)، وقلب الثاء تاء، والضاد دالاً، وإبدال السين شيناً والعكس. وتبدل القاف همزة عند أغلب المتكلمين بالعامية الشامية (ويضاف إليها الكاف في المغرب) إضافة إلى عدة تحويرات تخضع لها الواو والياء في آخر الكلمة. فمثلاً يَسْخُو = بيَسْخَى (نحتاً لعبارة بدأ يسخو). ولا يظهر الصوت بـ في العامية المغربية التي تزيد الكاف أو التاء (كَيَأكُولْ أو تَيَأكُولْ). ويزاد في مصر الهاء (هايأكول) وبذلك يكون التاء والكاف حرفين في الحوار استشهاداً للشخص الحاضر خلال الحديث. وتستعمل اللغة الشعبية أحياناً الغين (غيأكول) الذي هو راء أصلاً (را - يأكول) المختصر لفعل رأى. لكن الخلافات بين اللهجتين موجودة، ومن عناصرها أن العامية المغربية تبقى أحياناً على الهمزة (إبليس، أمير) التي تحذف في اللهجة الشامية (أمير = مير) التي تحوّل الثاء إلى سين (حديث

---

(٦٦) محمد المبارك، **النثر العربي**، ص ٢٤٤ و٢٥٥.

(٦٧) عبد العزيز بنعبدالله، «نحو تفصيح العامية في العالم العربي: دراسة مقارنة بين العاميتين في المغرب والشام،» **اللسان العربي**، السنة ١ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٤)، ص ١٩.

(٦٨) **مجلة مجمع اللغة العربية** (١٩٤٨)، ص ١١٦.

(٦٩) بنعبدالله، المصدر نفسه، ص ١٢.

= حديس)، والذال إلى زاي (كذب = كزب)، والضاد إلى ظاء بتأثير من اللغة التركية خلافاً للعامية المغربية. أما حرف g من الآرامية، فيُبدَل غيناً في العامية الشامية، وقافاً في المغرب فيقترب بذلك من الصوت الآرامي، ويبدَل الميم نوناً في اللهجة الشامية في آخر الضمير المتصل، وتسقط الهاء في الغائب مفرداً وجمعاً بتأثير من الآرامية كذلك (ضربكم = ضربكن). وتوجد صور توافق بالقلب أو بالحذف الطارىء على الحركات: تحويل الضمة إلى فتحة في الأسماء ذات خمسة حروف غير المشتقة (عربون)، حذف الحركة الأولى أو الوسطى. أما صور الخلاف فإن اللهجة الشامية تبدل فتحة أداة التعريف كسرة، وكذلك في الأفعال (شرب، شرب). والقاعدة العامة في اللهجة المغربية تسكين الحرف الأول. والملاحظ أن الأوزان الفعلية تخضع في اللهجة الشامية لتحويرات، فتدل الكسرة في الحرف الأول من الفعل أنها بدل الضمة، وهو مظهر مجهول في المغرب، فتصير فَعَلَ امْفَعَلَ وهو وزن شائع في المغرب بمعناه الفصيح. وفي الأوزان الاسمية، فقد وزن المبالغة (فَعَّالَة، مِفْعَال، مفعيل، فَعْلَة) في اللهجة الشامية، وشاع وزن فَعَّالة في المغرب لا غيره. وتحولت أسماء الآلة (مِفْعَلَة. . .) فصارت مِفْعَايَة في اللهجة الشامية في حين أن المغرب حافظ على الوزن الفصيح وغالباً ما استعمل فَعَّايَة في الأفعال المهموزة والمعتلة. ويتحول أحياناً مفعال إلى مفعول في العامية الشامية، ويحافظ المغرب على الصيغة الفصحى ويبدو مع ذلك أن نقط الوفاق بين اللهجتين مرتفعتان. أما صور الخلاف، فهي متعلقة بالبحث عن تيسر النطق المحلي الراجع إلى صور من اللهجة القبلية، مثلاً التلتلة التي تعني كسر ياء المضارع، وبذلك يمكن التخلي عن الفرضية القائلة بوجود تأثير الآرامية أو التركية. ويبدو أيضاً أن العامية المغربية غير بعيدة كثيراً عن العاميات الأخرى مع اعتبار بعض الصلابة في نطق الحروف واستعمال السكون كثيراً وإسقاط حركات الاعراب، وهي ظاهرة تشترك فيها اللهجات كافة. وما يسجل بفضل البحث الاحصائي اللغوي المتعمق وجود عدد لا يستهان به من الكلمات المشتركة بين اللهجة المِغربية والشامية، اللتين تتجهان بالابدال الاتجاه ذاته (استعمال برّاً خارج البيت وَخَبَّطَ ضرب بعنف). لكن توجد عدة دلالات خاصة بكل لهجة (في الشامية فحب ووقح، في المغربية كحب وكحكح) وما يقرب من ٥٥٠ كلمة من العامية الشامية موجودة في الفصحى والعامية مع اختلاف في المعنى وتوحيده في المغرب، وقد عرفنا أن البُنى الفعلية والاسمية في اللهجة الشامية تتطور صرفياً بزيادة حرف في الأول أو الوسط (أكْبَرْ بدل كَبر). وان المغرب يزيد في الغالب الباء في بداية الفعل (بَجْلَس بدل جَلَس). وحتى في هذه الصورة يُنفى في بعض الأفعال المعنى الفصيح (استمادى = تمادى في الفصحى). ولا تعرف عدة أوزان أو إنها نادرة في المغرب بالنسبة إلى الأسماء (باكور)، وتشتق النسبة من الوزن (حُموقِي). أما التصغير، فيقتبس من الأوزان الفصيحة في اللهجتين (فُعَيْل فُعَيْلَة) منها أربعة أوزان من أصل سرياني تشترك فيها اللهجتان (فعُّولْ)، أو تختلفان (فعْلَةْ، جِبْلَةْ = جبل صغير، فعلون، زيدون) أو باستعمال الشين (خَرْبُوشْ). وقد شاعت هذه الأوزان في المغرب حتى في المناطق الناطقة بالبربرية. أما أسماء الأعلام، فقد اتخذت لها أوزاناً: فَعْلُو، فَعُو، فِيعُو. واشتركت اللهجتان أيضاً في الصفات والنعوت (فَعْلُون فَعْلَانِي). لكن اللهجة الشامية تخصصت في استخدام اللواحق التركية (جي، بسطاجي). وتواتر استعمال أفعل التفضيل في

اللهجتين وكذلك الكنى. وللاطلاع على هذه التفاصيل يحسن اقتفاء الوسائل التي بها استخدم النحت (بلا شيء = بلاش) والاتباع في اللهجتين. وقد استخدم القياس أيضاً، فاستبدل الحرف الأول من الكلمة الأولى بميم في الثانية، كما هو شائع في اللغة التركية (لا كتاب ولا متاب). وترتبت نتائج متعددة مماثلة على استعمال الاتباع في المغرب، فاستعمل قياساً عدد من قواعد الفصحى، كما عدة أوزان صالحة للاتباع توافقت في شيوعها من وجهة الدلالة والصرف، فاستخدمت أصوات الحكاية التي هي وحدات صوتية طبيعية وهو ما يؤكد ويؤيد وحدة الاستعمال في اللهجتين. وقد ضبط الأب نخلة قائمة بـ ٦٩ عبارة تشتمل على كلمة عين، كانت دلالتها متفقة في أغلبها مع ما يقابلها في العامية المغربية، رغم أن اللهجة الشامية أتاحت نقط اتفاق كثيرة مع العامية المغربية التي لم تتأثر بالسريانية، خلافاً لما وقع في اللهجة الشامية المتأثرة بالآرامية وبالسريانية خاصة، وكذلك بالفارسية منذ القرن السادس قبل الميلاد. وتعليل هذا الاتصال المغربي الشامي، تنقّل اللغة الفصحى وتطعيمها العاميات، إضافة إلى فترة الحضور الأموي في الأندلس التي أتاحت قيام علاقات مع بلاد الشام التي كانت منبتاً للغة الفينيقية ذات الأصل العربي والقريبة من لغات شمال أفريقيا.

والواقع أن الفينيقيين أنشأوا منذ سنة ١١٠٠ قبل الميلاد، أي قبل ثلاثة قرون من تأسيس قرطاجة في سنة ٨١٤ ق. م.، مدينة الأعراش، فتمكنوا بذلك من نشر لغتهم والاشعاع في أقصى المغرب. وما جدّ من تفاعل بين اليونانية والفارسية والتركية التي اقتبست من الفارسية آلاف الكلمات، والفرنسية، وبين اللهجة الشامية، اثر في اللهجة المغربية التي زودت بمادة لغوية هامة بصورة مباشرة. فترتب على ذلك انتشار كلمات من أصل فارسي (بابا، بازار، شاويش، نيشان...)[٧٠]. ولم تتصل اللهجة المغربية بالعامية الشامية فحسب، بل إن العلاقات بين المغرب وبلدان الخليج كانت قديمة. وقد أدرجت قائمة بالكلمات المشتركة بين اللهجتين مع وجود فروق في الحركات والاعراب، ودلالات متباينة في الكلمة نفسها وفي الكلمة المماثلة للأصل الفصيح. ففي الكويت تعني كلمة الأدب التربية وغرفة الاستراحة (المرحاض) عند استعمالها في العامية. لقد كان أول من استخدم عبارة الخليج العربي الجغرافي اليوناني سترابون (Strabon) (توفي سنة ٢١/ ٢٥ ميلادية)، ثم نقلها عنه بليني (Pline) (توفي سنة ٧٩ م.)، وانتشرت عند حلول الغزوة الرومانية في بلاد العرب. والواقع أن منطقة الخليج بما في ذلك خوزستان، التي سميت في الأصل عربستان، قد اتصلت بشمال افريقيا بفضل رحلات القوافل واليمنيين من حِمْير (ربما كانوا من أصل بربري؟)، وتم ذلك ألف سنة قبل الاسلام[٧١]. وتوجد عناصر أخرى تقوي فكرة التقارب بين منطقة الخليج والمغرب، مثلاً سمّي أهل فارس بالنوميديين. والفينيقيون الذين كانوا عرباً

---

(٧٠) «مظاهر الوحدة والاختلاف في عاميات المغرب والشام،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٥٢٧ - ٥٣٥.

(٧١) «العامية في المغرب والخليج العربي،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٥٤٥.

من كنعان أنشأوا صور وقرطاجة، وربما استقروا على سواحل الخليج قبل الرحيل إلى الشام. واللغة الفينيقية شبيهة بلهجات المغرب بصفتها امتداداً للغة الكنعانية. وتكلم الفينيقيون بلغتهم فشكلوا جمعاً متميزاً بالمغرب. وقد شعّت حضارة اليمن على حوض البحر المتوسط فجمعت بين الشومريين والبابليين والآشوريين والمصريين حتى أن ابن خلدون تحدّث عن عروبة جبال الأطلس علماً بتشابه الموسيقى في جنوب بلاد العرب والموسيقى البربرية كمظهر من مظاهر الحضارة المشتركة. وعند بلوغ الحركة التجارية والرحلات الذروة في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، سيطر العرب على البحار (الأحمر والمحيط الهندي) ثم تلا ذلك فترة من الركود ووقع غزو الخليج (من طرف البرتغاليين في القرن السادس عشر ثم غزوا المغرب سنة ١٥٧٨، ونزحوا عنه سنة ١٦٤٩). وبعد الحروب الصليبية عاد الأهالي إلى مقاومة الانكليز في الخليج والمغرب الذي حافظ على استقلاله حتى سنة ١٩١٢، ثم قاوموا الهولنديين، ورغم بعد الشقة بين المغرب وبلدان الخليج، فقد أتاحت عوامل أخرى كالأصل الكنعاني المشترك والتأثير الحِمْيري والمذهب المالكي ومصطلحات الفقه المستمدة من القرآن والحديث، والعلاقات التجارية، المحافظة على التراث المشترك. وما يستخلص من ذلك هو إرث اللغة العربية الكنعانية (بلاد الشام والخليج) وما تم من تأثير في المغرب تلا التأثير الفينيقي، فأدى ذلك إلى تماثل معاني الكلمات[٧٢]، رغم تأثر اللهجة الكويتية التي لا تستعمل كلماتها في المغرب والتي طرأت عليها بعض التحريفات. فنجد في الكويت والبحرين لفظة عامية وقع تفصيحها دمجانة، زجاجة زيت، وقد داخلها النطق اللاتيني الفرنسي dame-jeanne، ومن هذه الوجهة يمكن القول إنه يعسر التعرف على الأصل العربي لكلمات انتقلت إلى اللغات الأجنبية. فقد اقتبست كلمة بابوش من الفارسية، وينطق في الكويت (بابوج)، وهي كلمة قليلة الاستعمال إلا في بعض المدن، في حين اننا اعتقدنا أنها من أصل فارسي وراجت في المغرب في نطق خاص (بابوشه)[٧٣].

---

(٧٢) عبد العزيز بنعبدالله، «الوشائج العريقة بين الخليج العربي والمغرب الأقصى،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٢٣٨ - ٢٤٧.

(٧٣) «العامية في المغرب والخليج العربي».

المكتب الدائم لتنسيق التعريب
في العالم العربي
(جامعة الدول العربية)

٢٢ شارع المرابطين
الهاتف ٥٩ ـ ٣٤١ ـ ص. ب. ٢٩
الرباط

من الأمين العام للمكتب الدائم
إلى ....

يشرفنا أن نقدم اليكم موضوع هذا الاستفتاء راجين الاجابة عنه:

استفتاء
حول علاقة الاسلام باللغة العربية
أ ـ السؤال الموضوع:

هل هناك تلازم أو ارتباط ما بين انتشار الاسلام وانتشار اللغة العربية؟ وفي حالة الايجاب، ما هو مدى هذا التلازم أو هذا الارتباط؟

أسئلة إيضاحية

هل تناصرون الرأي القائل بوجود علاقة سببية بين الاسلام واللغة العربية وأنه لولا الاسلام لما تأتّى للغة العربية أن تنتشر في العالم كما أنه لو لم تكن اللغة العربية لغة القرآن الكريم، لما انتشر الاسلام؟ مهما كان جوابكم، هل يمكنكم أن تتفضلوا بالاستدلال على صحة رأيكم بواقع بيئتكم الاقليمية وبماضيها؟

هلاّ تلاحظون في بلدكم، بصفة خاصة، وفي البلدان الاسلامية بصفة عامة، أن الوعي الاسلامي والوازع الديني يترديان ويضعفان تبعاً لما يعتري لغة الضاد من قوة وضعف، وأن والعكس بالعكس؟

ما هو مدى تأثير الفكر الاسلامي من طريق لغة القرآن الكريم في اللهجات أو اللغات الاقليمية في الأقطار الاسلامية غير العربية أو لدى الجاليات الاسلامية في الأقطار الغربية أو الآسيوية؟

إذا كان هنالك تأثير ما للهجتكم الاقليمية في تعابيركم العربية المحلية، فما هي نسبته ومداه؟

ما هي المكانة التي يجب أن تحتلها العربية في بلدكم بالنسبة الى اللغات الأجنبية؟ وانتظاراً لجوابكم، تفضلوا بقبول خالص تحياتنا، والسلام.

الفصل الثامن

التعريب والعلاقات بين الدين واللغة والأدب

نظّم المكتب سنة ١٩٦٨ استفتاء في صيغة أسئلة (نصها مرفق) حول ما يمكن أن يقوم من علاقات بين الدين الإسلامي واللغة العربية، وذلك بمناسبة مرور أحد عشر قرناً على نزول القرآن الكريم، وقد خصصت المجلة عدداً لهذا الغرض (سنة ١٩٦٩). وزعت قائمة الأسئلة على وزارات الإعلام في الأقطار العربية والمجلات والصحف التي نشرت الأجوبة أيضاً. وقد شارك في هذا الاستفتاء أكثر من سبعين مراسلاً، كان أغلبهم من الأساتذة الجامعيين في الوطن العربي وفي أوروبا.

وقد استهدف هذا الاستفتاء أصلاً النظر وتحليل التفاعل المتبادل الموجود بين الإسلام والعربية بصورة يمكن معها تحديد المهمة المناطة بأداة التعبير في انتشار الدين، والبحث كذلك إلى أي حد أمكن الإسلام أن يساعد العربية بصورة حاسمة على الانتشار. وفي هذا المضمار أمكن إحاطة القضية المحورية المتمثلة في التداخل الموجود بين الدين واللغة، بسلسلة من العناصر المفسرة المعللة التي تطرح الأجوبة في الاتجاه الدقيق، الذي يتيح توجيه الحلول إلى المشاغل الراهنة المتعلقة بمصير العربية بحيث يقودنا ذلك إلى إيجاد النتائج التي من شأنها أن تساعد على إدخال تحسينات على اللغة بمساعدة الوازع الديني. وقد تمثل السؤال الرئيسي الخاص بالبحث عن العلاقة القائمة بين انتشار العربية ارتباطاً بانتشار الإسلام، في مناقشة موضوع خاص بالتفاعل بين الدين واللغة. الواقع أن العربية سبقت نزول القرآن الكريم كما أنها سبقت ظهور الإسلام، لكن ذلك الوضع لم يتجسم إلا في بلاد العرب. والثابت مبدئياً ان الدين دعم كثيراً من وضع هذه اللغة بحيث صارت لغة ذات اتجاه عالمي بعد ما كانت لغة توزعت لهجات بين القبائل، فكان الإسلام عامل توحيد لغوي من هذه الزاوية. وفي الجملة، كان الإسلام العامل الأول بعد نزول القرآن الكريم الذي خصص لغة قريش

بصورة رئيسية وجعل منها اللغة «الرسمية» التي استخدمت في ما بعد في نقل العلوم اللغوية والإسلامية. وانطلاقاً من هذه الوضعية القوية، اتيح للعربية الرسوخ في الأقطار التي انتشر فيها الإسلام. وبين هذين المحورين، انتظم التفاعل واستمر، فأقرّ العربية في أقطار يبدو أنها تهيأت لقبول الدين الإسلامي ولغته. ولا شك أن الإسلام كان لا محالة سينتشر ولو بلغة أخرى، لكن ربما كان له اتجاه آخر، وربما آل أمره إلى مواجهة محيطات جغرافية تاريخية غير التي اكتسحها. هذا من باب الافتراضات، لكن الصحيح أن مزايا العربية من فصاحة وقدرة بيانية قوّت متن الإسلام خاصة في أيام ظهوره الأولى. وما ترتب على ذلك أنه حيثما ظهر الإسلام واستقر طبع أثره على اللغات المحلية، لأنه قدم مصحوباً بفلسفة دينية جديدة ومذهب أخلاقي اجتماعي ثقافي جدير بالقبول. وإذا فرضنا أنه بعد ثلاثة عشر قرناً من الحضور الإسلامي والتعريب البشري، قد تقلصت رقعة العربية، فإن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة الى الاسلام الذي تمادى إلى اليوم في الانتشار دون الاستناد دائماً إلى اللغة العربية.

١ ـ انتشار الإسلام واللغة العربية

لقد تمثلت قوة العربية كأداة لانتشار الإسلام في وصف الأحداث والتعبير عن المشاعر الملتهبة، أما في موضوع العلاقات المنطقية فلربما كانت أقل دقة من اللاتينية مثلاً. لكن بما أن العربية كانت أداة جيدة للتعبير عن النظم الفلسفية الكبرى، فلا شك انها قادرة على التكيف بالفلسفة الحديثة. ذلك كان رأي أحد المستعربين من الدانمارك الذي شارك في الرد على أسئلة الاستفتاء. والواقع الحاضر يؤيد فكرة الترابط بين الدين والعربية لكونها «شريكة الإسلام في سموه ومقامه، وأن حركة التعريب لا يمكن فصلها عن حركة نشر الإسلام، لأن الكتاب المنزل جاء باللغة العربية التي بلغت مكانة أصبحت معها كل ترجمة دنساً لقداستها. ولهذا وجب على كل من اعتنق الإسلام تحصيل العربية»[1]. ومن المعلوم أن لغة الصحراء كما سمّيت العربية، لم تمد سلطانها على بلاد العرب كافة في العصر الجاهلي خاصة، وأن عدة لغات كالفارسية والحبشية والبيزنطية حاولت بسط نفوذها داخل تلك البلدان. وبفضل الإسلام تحولت العربية من لغة بدائية إلى لغة معبرة فرضت إشعاعها على الأرض العربية التي انبثق منها الدين الإسلامي، فقضت بذلك وشيئاً فشيئاً على الحضور اللغوي الأعجمي. ولا يمكن التأكيد طبعاً وبصورة جازمة أن انتشار الإسلام حصل فعلاً بفضل العربية فقط، بسبب وجود عوامل أخرى، مثل ما كان يعيشه المجتمع من ترقب نفساني روحي لحدث يُدخل تحسيناً مرموقاً على ما كان يتخبط فيه من تأخر وجهالة. وتجسم ذلك في ظاهرة الشغف والتوق إلى معتقد جديد أصيل يزيح عنه الظلمة ويمكّنه من إرضاء رغبته في الطموح إلى حياة أخلاقية أسمى مما وجد نفسه فيها، وكذلك كان الشعور نفسه يسود الأمم القديمة الأخرى التواقة إلى بلوغ مرتبة أرفع من الوجهة الروحية؛ وأدرك الجميع أهمية الأفكار الدينية التي بدأت تروج في بلاد العرب. وبذلك انطلق الإسلام من رغبة كامنة في اللاشعور الشامل المتواجد لدى بشر ذلك العصر، فلم يفتأ يغذي العقول

---

(١) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ١، ص ٥.

ويقنعها بسلامة مبادئه، فشاع في العربية زاد من الألفاظ والأفكار الطريفة أتاحت تصوراً روحياً فريداً مهيأً لتقبّل الرسالة الموحى بها إلى النبي المختار ﷺ. فكانت العربية، منذ البداية، أهم عناصر في الحضارة الإسلامية الناشئة، ونقلت اللغة الدينية للعرب ولغيرهم الناطقين بلغات أخرى الذين وجب عليهم بعد اعتناق الدين الجديد كسب لغته. ذلك أن كل «مسلم مهما تكن جنسيته ومهما تكن لغته شاعر لا محالة بارتباط أوثق بهذا المقوم الحضاري الأول الذي يجعل من الأمة الإسلامية مجموعة متراصة متكاملة بالرغم عن الآفات العابرة والعثرات النافرة التي وضعها الاستعمار في طريقها»[٢]. فرسخت العربية بدرجات متفاوتة في عدة أقطار إسلامية (الهند، باكستان، إيران. . .) استخدمت الحروف العربية التي ذاعت وشاعت شيوع الدين. فمثلاً استخدمت كنائس الأقباط في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) العربية لإلقاء المواعظ. ولا يبدو أن اللغة والكتابة العربية في طريق الزوال في آسيا وافريقيا بل إنها تشكّل لغة ثانية في الدراسة[٣]. ولا نجد إلا تركيا وحدها تتخلى عن الألفباء العربي لأسباب سياسية قاهرة، وها هي تحاول الرجوع إليه الآن، مع العلم أنها احتفظت به في المناسبات الدينية. هذا وقد كان تأثير اللغة العربية في عدة لغات لا فعلياً فحسب بل مؤثراً في بناها، كما وقع في الفارسية والسواحلية ولهجات موريتانيا (خاصة لهجة الحسانية)، ولهجات إريتريا[٤].

لكن جدّت أحياناً أسباب جعلت العربية تتراجع رغم وجود سلطة إسلامية، مثلاً خلال العهد العثماني في مصر حيث تعطل تطوير اللغة والثقافة العربية ولم تعودا إلى الظهور إلا في العصور الحديثة[٥]. والمؤكد أن الحظ الذي دفع بالعربية إلى الانتشار والاشعاع في أحقاب من تاريخها يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقرآن الذي شكل وجسّم المثل الإسلامية العليا، فكان بمثابة المرشد الروحي والدرع الواقي لكل ما عساه يلحق باللغة ويمس كيانها، لكونها صارت الأداة المعتبرة للعلوم الإسلامية، فلم يعد القرآن الكريم ظاهرة منعزلة عن اللغة بل كان مصدراً لنموها، ولم يعد لغزاً ينبغي التدليل على معانيه وتصوراته بواسطة الحجج المناسبة بل الدامغة، فصار، واقعاً تجسّم في الإنتاج الفكري الشاسع الذي ظهر على صعيد العالم الإسلامي، ومهما تنوعت اللغات واللهجات والمذاهب والنزعات الفكرية، فإن القرآن يبقى بمثابة السياج لما عسى أن يبث من شقاق روحي، فتحتم إذاً تدارسه وإمعان النظر في فهم معانيه والتعمق فيها[٦]. أما التساؤل عن إمكانية استبدال العوبية بلغة أخرى لدى ظهور

---

(٢) المصدر نفسه.

(٣) خليل العزيزي، «العربية إنما ازدهرت وانتشرت في ظل حضارة الإسلام،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ١٢٩، و«٣٥٠ مليون مسلم يكتبون بالحروف العربية،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٢٢٧.

(٤) أحمد عبد الرحيم السايح، «الإسلام اكتمل بجامعة اللغة ووحدة العقيدة،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٢٢٦.

(٥) عبد الوهاب البرسلي، «انتشار اللغة العربية مقياس للوعي الإسلامي،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٢٥٤.

(٦) عبد الرزاق البصير، «القرآن أقوى حصن لحماية اللغة العربية،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون =

الإسلام، فهو نقاش طابعه فلسفي. والملاحظ أن العربية قد استجابت لما هو مطلوب من لغة خصصت للوحي، فكانت اللغة المناسبة لنقل الفكر الإسلامي، لما اضفي عليها من قدسية بدايةً من نزول القرآن الكريم. فإذا كانت العربية كأداة ناقلة للإيمان قد تقدمت وارتبط رقيها مباشرة بمراحل النزول، فإنها كتعبير عن الحضارة الإسلامية لم تعد ملكاً للمسلمين وحدهم، مهما غلب عددهم(٧). وبذلك اكتست العربية صبغة الأداة العالمية لنقل الحضارة بجميع مظاهرها ومناحيها.

وقد شاركت الجامعة السورية (في دمشق وحلب) في هذا النقاش، وحددت ردها على الأسئلة التي تضمّنها الاستفتاء. وكان رأيها ان الإسلام والعربية مرتبطان ارتباطاً مباشراً بحيث يوجد تفاعل متبادل بين ازدهار الدين واللغة العربية، فتعينّ بذلك تعلّمها من باب الفرض المقدس كما شرح ذلك الإمام الشافعي. وإذا حصل تقاعس عن تعلّم تلك اللغة، فذلك من باب ترك الفريضة والتخلي عن أحد المبادىء التي أكد عليها الوحي القرآني، وقد لوحظ في سوريا فعلاً تقاعس في الدراسات القرآنية وأدى ذلك إلى انخفاض ما، في مكاسب اللغة العربية. وإنه من البديهي الآن أن نقول إن العلاقة السببية القائمة بين الإسلام واللغة العربية أمر لا مراء فيه، وإنه لا يمكن تقويمها بقيم وجدانية فقط وهي تلك القيم التي عملت على أن تحافظ تركيا على الدين رغم تخليها عن العربية. بل إن العلاقة بينهما يمكن بل يتحتم ردها إلى الشعور الديني الإسلامي الذي أمكن فعلاً أن يعايش لغة أخرى غير العربية ولو بصورة حبيسة، وإنه يتحرر من ربقته الأعجمية حالما وقع تأدية المشاعر الإسلامية في لغتها العربية التي ظهرت بها(٨). فتأكد بعد هذا أن تأثير الدين عظيم في كثير من عناصر الثقافة البشرية واللغة والفنون والأدب والأخلاق والسياسة والبنية والنشاطات الاجتماعية والقانون، إلى حد إنه لا يمكن إنكار وجود حضارة مستقلة في جملتها طبعها العامل الإسلامي(٩).

وقد ساهم مدير الثقافة بالجامعة في الاستفتاء أيضاً، فوقف موقفاً وسطاً ولم يربط بصورة مطلقة بين انتشار الإسلام والعربية، أو أن يتخذ موقفاً معاكساً ينفي الموقف السابق، فيؤول الأمر إلى استبعاد عنصرَي العلاقة، إذا وقع تَبني موقف من شأنه أن يقصي اللغة عن الدين أو العكس. كان القرآن مصدر الشرع الإسلامي، فأضفى على الدين، بما قعده الفقهاء، صبغة كونية عبرت عن تصوراتها بالعربية. وقد جنّب القرآن الكريم أيضاً اللغة،

= الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٢٤٩؛ عائشة عبد الرحمن، «القرآن دعامة الوحدة بين العروبة والاسلام يجب أن يأخذ القرآن المكانة الأولى في الدراسات الجامعية،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٢٥٩، وبهاء الدين الأميري، «خلود اللغة العربية وعالميتها كلغة للقرآن،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٢٧٤.

(٧) André Miquel, *La Littérature arabe* (Paris: Presses universitaires de France, 1969), p. 7.

(٨) محمد السرغيني، «الازدواجيات وتعدد اللهجات واللغات،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ١٠٧.

(٩) *Studia Islamica* (1953), p. 8.

التقهقر ومن باب أولى الانقراض، ووحد اللهجات لما أضفاه على ألفاظه من امتداد في الدلالة، وما توخاه من تعابير فريدة في أسلوبها، وما حفز عليه من عمل أدى إلى نشوء العلوم الإسلامية والقضائية واللغوية التي كانت مجهولة قبل ذلك في اللغة العربية. وقد تغذت اللغة دون أن يسيء ذلك إلى الشعور الديني أو اللغوي بل بالعكس، حتى ولو تضاءل الزاد اللغوي، وتقلص ما كان للغة من نشاط، فإن حصيلة تلك العلوم باقية بقاء الدين لارتباطها العضوي به[10]. فقد فتح الطابع الكوني للنصوص التشريعية الباب لوضع مبادىء جديدة استنبطت من قواعد الدين. وقد تأكد العمل على الإحاطة بتلك اللغة التشريعية تحديداً للتطورات الدلالية الممكنة. وعلى هذا الأساس صارت العربية لغة رسمية تدل على الصيغ القانونية باسم الدين الجديد. وعزل ما في اللغة من طاقة كامنة عما يوجد في الدين من قوة، يعني إضعاف الأساسَين اللذين يقوم عليهما جوهر العلاقة، كأن تنظم الحملات لتحوير القواعد اللغوية أو تبسيطها دون دراية سابقة بالنتائج المحتملة المترتبة على ذلك، أو تنظم الدعاية لفائدة نشر اللهجات وحصر اللغة الفصيحة في ميادين معينة تأييداً للحكم بعدم قابليتها لتأدية كل المعاني والدلالات الموجودة في الحضارة الإنسانية، ويؤول الأمر إلى عزل الشعوب الناطقة بالعربية عن الشعوب الإسلامية الأخرى بدوافع القومية المحلية الضيقة، كما تعزل تلك الشعوب عن تيارات الحضارة العالمية[11]. كان القرآن الكريم الكتاب المبين الذي أرشد إلى السبيل القويم، فتقمص بذلك دور النموذج الاستثنائي في اللغة وانفرد بذلك دون منازع، وذلك ليتفرغ إلى نشر القواعد الدينية وإيصالها إلى أبعد الأصقاع، فتحتم لذلك أن لا يكون محتواه محل نقاش لا طائل من ورائه، خاصة ان مادته اللغوية جديرة بالدرس الرصين المتعمق الذي يكون بمثابة الدعم والنصير للعربية ذاتها. فكان على القرآن أن يشحن بقدرة تعبيرية فريدة تتيح له بلوغ الضمائر كافة ومخاطبة العقول على أصنافها واستعداداتها المتنوعة. ثم إنه لا يمكن كتابته واستظهاره وتجويده وترتيله إلا بلغة لها كل الخاصيات الضرورية لهذا الغرض. لكن ينبغي اعتبار النتائج الاجتماعية اللغوية المتعلقة باستعداد الأشخاص لاستيعاب النص القرآني. ويبدو في هذا الخصوص استخدام لغة لها ما لها من الشاعرية وما أضفاه عليها القرآن من قوة تعبيرية عملت على بعث عدة مستويات إبلاغية، وإبراز ظاهرة ما تطور إلى قطيعة بين لغة نبيلة فصيحة ولغة الكلام، برزت في الثقافة الإسلامية العربية، فنشأ أدب مدوّن وأدب شعبي شفوي شاع بين طبقات من الناس لا ثقافة لهم إلا ذلك الزاد المتوارث[12].

ومن الوجهة الجغرافية يعتبر الإسلام عاملاً قضى على الحواجز التي كانت قائمة بين

---

(١٠) محمد طه النمر، «القرآن حفظ اللغة العربية ووحّد لهجاتها،» اللسان العربي، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ١١٦.

(١١) عز الدين الخطيب التميمي، «اللسان العربي شعار الإسلام،» اللسان العربي، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ١٣٥.

(١٢) Miquel, *La Littérature arabe*, p. 14.

الأجناس التي تجمعت حول عقيدة سماوية كونية تجاهلت الخصوصيات الاقليمية وشملت مفاهيم الاجتماع والاقتصاد والسياسة والأبعاد الثقافية كافة. ويمكن هذه الوحدة أن تشكل اليوم قوة إيجابية في خدمة الأهداف العالمية[١٣]. وتتسع فكرة المفهوم الإنساني للعالم أجمع، وهي بمثابة الاختيار الذي تبنته كل الأديان ومن بينها الإسلام طبعاً الذي يتمسك مبدئياً بأداة فريدة للتعبير تدعمت كلما اتسعت رقعة هذا الدين. وضمن هذا الاتجاه نشرت الإدارة الثقافية في الجامعة سنة ١٩٦٦ نشرية عن اللغة العربية بصفتها لغة عالمية. وما يذكر من أسباب لفائدة هذه النزعة الكونية مطابق للمشاغل التي أثارها الاستفتاء التي أجملت في أن العربية هي لغة الإسلام كتابة وكلاماً، وهي تنقل أدباً هاماً بالإضافة إلى ما وجد من موازاة بين تقدم الدين واللغة في أثره. شاعت في أقاليم لم تكن متوقعة قبل ذلك، وقد استخدمت لأغراض عديدة كالسياسة والحكم والدواوين والتجارة، فخلفت بذلك الأرامية[١٤]. لقد تبدت هذه النزعة العالمية في نقل المعلومات العلمية والثقافية المتجسمة في ظهور حضارة جديدة. ولنذكر في هذا الشأن ما كان من أمر تعريب الدواوين حوالى سنة ٨٧ هـ. (٧٠٦ م)، وما وجب على العربية أن تواجهه من امتحان احتكت خلاله بالقبطية في مصر والفارسية في العراق، والبيزنطية واللاتينية في الشام. وقد تحققت هذه المهمة في فترة قصيرة نسبياً، ومن هذه الزاوية ندرك إلى أي حد كانت العربية مدينة للإسلام الذي كان الدافع على إنتشارها، بإزاء ما تم للدين الجديد من فتوحات. ومما لا ريب فيه أن الفتوحات الإسلامية وسعت من رقعة نشاط العربية التي كانت قبل ذلك حبيسة بلاد العرب أو تكاد. كانت هذه البلاد تعيش طبق نظام الاقتصاد المنغلق المكتفي بذاته. وقد تحدث المؤرخ سترابو عن اليمن السعيد حيث نمت اللغة في بيئة رخاء. بدأ التدهور يحيط بها إلى أن ظهر الإسلام[١٥]. كانت العربية منتشرة بين اليمن والحجاز، تاركة بعض الآثار على تخوم فارس وبيزنطة والحبشة وبلاد ما بين النهرين. وقد حملتها الفتوحات إلى بلاد الصين شرقاً وإلى المحيط الأطلسي غرباً خلال القرن الأول الهجري. وكان العمل الفكري فرصة لاختلاط الأجناس، فمثلاً كان أول مؤلف في النحو من الأعاجم، نعني سيبويه الذي اشتهر بتأليف الكتاب وطبعاً احتلت العربية عند استقرار الفتوحات مواقع اللغة الفينيقية في قرطاجة ونوميديا، والنبطية شمال العراق، واللاتينية واليونانية في الشام، في حين انه وقع تعريب الفارسية بنسبة ٣٠ بالمئة من مفرداتها. ودون أن تكون العربية سبباً مباشراً في انتشار الإسلام، فقد يسرت الدعوة إلى الدين الجديد فكانت عاملاً أساسياً في هذا الغرض[١٦].

---

(١٣) السايح، «الاسلام اكتمل بجامعة اللغة ووحدة العقيدة،» ص ٢٦٦ ـ ٢٧٠.

(١٤) جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، الإدارة الثقافية، **العربية لغة عالمية** (القاهرة: الجامعة، ١٩٦٩)، ص ٤ و ١٤.

(١٥) رشاد دارغوث، «اللغة العربية نبتت وتطورت بمقتضى ناموس النشوء والارتقاء الطبيعي،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٢٥٠ ـ ٢٥٢.

(١٦) عبد السلام هارون، «لغة القرآن تحت القبطية في مصر والبونيقية في الشمال الافريقي والنبطية في العراق واللاتينية في الشام،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٢١٩.

لكن لا ضرورة للتأكيد بأن هذه اللغة كانت السبب المباشر أو غير المباشر في هذا التطور، لأن الدين يحمل في جوهره بذور انتشاره. فقد حافظت عدة أمم فعلاً على لغاتها ودخلت مع ذلك في الإسلام، وخلافاً لذلك حافظت عدة قبائل على انتمائها إلى المسيحية، كما إنها حافظت على عروبتها ولغتها العربية. واستمرت إلى اليوم على ذلك الوضع فشكلت جانباً من الأمة العربية التي قطعت عدة مراحل في اعتناقها الإسلام، واعتنقه قسم من أفرادها لكونهم كانوا لا دين لهم. كانت تلك الجموع بلا عقيدة فاعتنقت الإسلام، بعد أن أدرك أفرادها كنه الدين، وأولوا ما أولوا إلى أن حاد بعضهم عن مبادىء الدين الحنيف وشكلوا فرقاً ونحلاً زاغ بعضها عن الدين تماماً. ثم استقرت الأوضاع ولم يؤثر ذلك في ازدهار اللغة التي بدأت أوضاعها تتدهور بعد سقوط الدولة العباسية. ذلك أن اللغة تتطور تبعاً لقوانين خاصة بها، دون تداخل مع الشعور الديني الذي يمكنه الاتجاه إلى الأحسن والأفضل كما يمكن أن يتقهقر[17]. ثم إن نزوع الإسلام إلى العالمية ساعد اللغة على الخروج من طور الوضع المحلي الضيق إلى وضع الأداة المتفوقة على اللغات القبلية، وذلك بفضل ما صار لها من نفوذ أدبي ودون أن تنحّي اللهجات أو تحاول احتلال مكانها، بل كان الزمان يعمل عمله الانتقائي. وتحديداً للوضع وعلى فرض أن الإسلام لم يدعمه وجود القرآن الكريم، فلعل العربية كان ينالها ما نال اللغة اللاتينية لتصير لغة ميتة، وكثيراً ما قيل إن العربية كانت تبقى لهجة محلية لو لم يأتِ الإسلام. وبذلك ربما ترك المجال للهجات لتصير لغات قائمة الذات. لكن ظهور القرآن الكريم أدى إلى أن يصير نصه المعيار اللغوي الجديد المتجه إلى قلوب المؤمنين ومشاعرهم وأفكارهم وألسنتهم أيضاً[18]. لا شك أن العربية في بدايتها لم تكن لغة مرنة بالنظر الى ما كانت عليه اليونانية واللاتينية، كما أن قدرتها التعبيرية لم تكن مستكملة كما تبيّن ذلك في ما بلغنا من خطب تنادي للدين الجديد، لكن بفضل ما احتكت به من أقيسة لغوية أخرى صارت لغة الثقافة والحضارة ونقلت بعيداً رسالة القرآن الكريم. ويبدو الآن ان عامل القومية العربية هو الذي يقدر على مواجهة التحدي والدفاع عن سلامة هذه اللغة وإعادتها إلى مسالك الاختيار العالمي[19]. أما بخصوص هناتها التعبيرية، فلم تكن عنصراً حاسماً لكبح انتشار الدين، خاصة وأن العربية تكيفت سريعاً بالأوضاع الجديدة فقامت بدور قوة الاقناع المتحدة مع وضوح الرسالة التي تغذت مفرداتها بما هو ملموس ومعاش[20]. لربما أمكن العربية أن تنتشر قبل الإسلام خارج حدودها لو قام حكم سياسي واقتصادي متين وبسط سلطانه

---

(١٧) روكس بن زائد العزيزي، «الإسلام مهد السبيل لعالمية اللغة العربية كأداة علم وحضارة،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ١١٨ ـ ١٢١.

(١٨) محمد عادل الشريف، «العربية لغة خالدة لأنها لغة القرآن،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ١٢٤.

(١٩) عبد العزيز مطر، «لولا أن العربية لغة القرآن لكان مصيرها مصير اللاتينية،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٢٢٢.

(٢٠) محمد زنيبر، «بفضل الإسلام اكتسبت العربية مرونة خلاقة واصبحت لغة ثقافة وحضارة،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٢٧٥.

على الأقطار المجاورة. فربما رسخت اللغة دون أن يدعمها الدين الذي كان له الـدور الحاسم في دفع العربية وإكسابها القوة الروحية الضرورية التي عبرت بها القرون وبلغت إلينـا دون أن يمسها أي ضير يذكر.

ولا يفوتنا أن نقول أن العربية كانت تبحث عن هويتها قبـل ظهور الإسـلام، فحاولت امتصـاص ما نشب بـين لهجاتهـا من خلافـات صوتيـة ودلالية تجسـدت عند ظهـور الاسلام وبلورها القرآن الكريم بما قدّمه من نموذج لغوي فريد في أسلوبـه وكلماته. وفي الجملة، ليس هناك ارتباط آلي حتمي بين انتشار الاسـلام وانتشار العـربية، لأن كـل ناطق بـالعربيـة ليس مسلماً حتماً. كما أن اللغـة تقوم بـوظيفة اجتـماعية محـددة ولها أهـداف دقيقة. فمثـلاً، تشكّل الانكليزية اللغة الرسمية الثانية في الهند وباكستان، لكن لا يوجد إلا قلة من المعتنقـين الدين المسيحي. أجل، إن التوسع الجغرافي لـدين ما، يفـترض دعامـة لغويـة خاصـة به، وليست الحال كذلك بالنسبة الى لغة يمكن أن تنتشر دون أن تكون مشحونة بديانة معينة(٢١).

٢ ـ المواقف تجاه العلاقة بين الاسلام واللغة العربية

لقد طلب المندوبون الأفارقة خلال المؤتمر الخاص بالعالم الاسلامي المنعقد في مكـة سنة ١٩٦٥، من الأقطار العربية أن تمدهم بمـدرسين في اللغـةَ العربيـة، واقترحـوا أن يقوم بعض الطلبة الأفارقة بدراسة اللغة العربية في الأقطار العربية. وكانت وما زالت الحاجة الى مدرسي العربية ملحة في آسيا وأوروبا. فمثلاً، عزم باكستان لدى حصوله على الاستقلال على اختيار العربية لغة رسمية، بشرط أن يجد ما يكفيه من الأطر لتحقيق هذا المنهج، فكـان ذلك بمثـابة اتجاهات تعمل على السير بالعـربية إلى العمـل طبق وجهة عـالمية. فكـان يطلب من الأقـطار العربية ومن جامعة الدول العربية أن تساعد الدول الاسلامية عـلى ممارسـة العربيـة لوجـوب معـرفتها بفهم القـرآن الكريم(٢٢). ورغم هـذا العجز ومـا كانت عليـه العـربيـة من إشعـاع متواضع في تلك الأقطار، فلم تنفكّ تنشر الكتب في التفسير والحديث والأدب (في خـوراسان توجد كليـة للدراسات الاسـلامية)(٢٣). ومن المـواقف المعروفـة التي ما زالت تثـير المناقشـات الحـامية جـداً أن يقع الـدفاع عن قضيـة العاميـة التي يـطالب بعضهم بكتـابتهـا بـالأحـرف اللاتينية.

وقد علّق المفكر اللبناني كمال يوسف الحاج على الهيكلية وتطبيقها على العربية، فقال إن

---

(٢١) أحمد الضبيب، «ارتباط العربية بالاسلام تلقائي غير مفـروض على الشعـوب الاسلاميـة،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ١٦٠.

(٢٢) محمد فاضل الجمالي، «العربية بين حماتها وغزاتها،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثـاني/ ينايـر ١٩٦٩)، ص ٣٢.

(٢٣) عبد الرسول عبد النبي الفردان، «شعور المسلم بقداسة القـرآن يفسح المجـال لانتشاره،» **اللسـان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ١٥٥.

القول كان هو البداية (أي أن الكلمة صادرة عن الله) وتجسم ذلك في الإعجاز القرآني الذي يتيح إخضاع الزيغ لا إخضاع النموذج اللغوي خاصة في وضع العربية المتسم بقدسية أشاعها القرآن الكريم(٢٤). وفي الامكان وضع هذا النموذج المحدد في موضع أدنى يمكّن على الأقل المسلم غير الناطق بالعربية من حفظ بعض السُّوَر للقيام بالفرائض الدينية في حين أن السمو إلى أقصى مستوى يسمح بالقيام بتعريب الأمة تعريباً كاملاً، بعد أن كانت تتعامل بلغتها المحلية. وتوجد طبعاً مستويات وسيطة متنوعة، تتنوع من معرفة القرآن إلى التدرب على العربية، مروراً بالتخصص في الدراسات الاسلامية. والملاحظ أن عدم نشر العربية لم يؤثر في انتشار الاسلام إذا ما وقع تدارس مبادىء الدين والقرآن بالعربية، خاصة أن نقل القرآن إلى لغات أخرى أثار وما زال مناقشات طويلة، مع العلم أنه ينبغي أداء فريضة الصلاة بالعربية. وبالطبع فلا بدّ أن ينجم النزاع بين اللغة المحلية الوطنية وبين العربية، رغم ما كان من تأثير للدين عمل على إزالة بعض هذه اللغات. ولا ينتظر في الوقت الحاضر أن تدرس العربية في كل قطر إسلامي بصورة صافية وفي اتجاه متوازن دائماً(٢٥). والواقع أن بلاد العرب لم تقدر على نشر لغتها في العصر الجاهلي سواء عن طريق الغزو أو التجارة، بل وجب أن تترقب ظهور الاسلام ليتاح نشرها خارج أراضيها(٢٦). وإذا كانت العربية مدينة للاسلام بهذه السمعة، فقد صارت العلاقة الرابطة بين عنصريها ذات طابع تاريخي أكثر من ديني. فمثلاً يكفي أن نشير في الوقت الحاضر إلى المساهمة الكبيرة التي قام بها المسيحيون العرب في النهضة باللغة العربية لندرك مرة أخرى مدى قدرة اللغة على النهوض بفضل كفاءة أبنائها العاملين على تطويرها. وبالفعل، يبدو أن قيم القومية والوحدة العربية تتجه إلى تعويض القيم الدينية دون المساس بها، بل بالعكس يسود الشعور أنه بقدر ما يتاح للعربية من فرص للتطور الكامل، بقدر ما تكون أداة متطورة تستخدم لفائدة بلورة مبادىء الدين وإشاعتها بين مختلف الأجناس، ولهذا، ينبغي أن يكون للمرشد الديني معرفة جيدة باللغة العربية إضافة إلى العلوم الدينية التي يتفقه بها بتلك اللغة نفسها، وذلك لكي يتمكن من ربط العلاقة بين العلم والدين، والعلم ينطلق فعلاً من دراية باللغة تحيط بكنه المعرفة بكافة مشمولاتها(٢٧). وقد بدأت الآراء الموجبة تعوض الآراء السالبة في خصوص عناصر العلاقة القائمة بين الدين واللغة بحيث أصبح الشعور القومي عنصراً حاسماً للدفاع عن اللغة وصيانة مكاسبها الحضارية. وتمثلت هذه الظاهرة في بروز موقف جديد تجسم في الشعور

---

(٢٤) ياسين رفاعية، «اللغة العربية بين مؤيديها ومعارضيها،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٣٤.

(٢٥) ابراهيم عبد الرحمن محمد، «انتشار اللغة العربية قوة الاسلام السياسية والدينية،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٢١٤.

(٢٦) مصطفى الزرقا، «الفكر الاسلامي ولغة القرآن عنصر ثقافي نطعم به اللغة القومية،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ١٧٧.

(٢٧) ابراهيم حركات، «انتشار اللغة العربية كانت نتيجة للفتوح الاسلامية،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٢٧٨.

بالانتساب إلى قيم حضارية عربية إسلامية والاعتزاز بها والدفاع عنها. لكن لا مجال للعمل بالعناصر السالبة والمغالاة في وصف العربية بأنها أعظم لغات الدنيا بحيث تغنينا عن تدارس اللغات الأخرى وتعزلنا عن تيارات الحضارة المعاصرة. ولا شك أن الاتجاه الايجابي الأقوى يحتم العمل على تطوير العربية وجعلها قادرة على التعبير عن الفكر العلمي والتكنولوجي في أدق معانيه ومحاولة التخفيف من الاستناد المطلق على ما شاع في تلك اللغات من ألفاظ علمية متنوعة[٢٨]. وقد سبق للعربية أن شحذت قواها بالاتصال باللغات الساميّة التي هي فرع لامع منها، كما أنها مازجت لهجات اليمن وبلدان أخرى، فاستقت من كلماتها ما احتاجت خلال التيارات التي نقلتها القوافل عبر العالم السامي الذي نشأت فيه العربية وترعرعت في بلاد ساميّة قديمة وانعزلت عنها بعد ذلك إلى حدّ ما. وقد تمكنت العربية من نقل المعرفة الشائعة في العالم القديم وجملة من المعارف الخاصة بعبقريتها بفضل ما تجمع فيها من كلمات وفيرة العدد، فقد روى السيوطي أن العربية تتضمن ١٢٣١٣٧٨٠ كلمة. وعلى ذلك اعتبرت العربية عامل انتشار ورسوخ للعقيدة الاسلامية. ثم انه يمكن القول انه حيثما استقر الاسلام، فقد بذر نواة التعريب الكامل أو المحدود. وفي مقدورنا الآن بعد مرور هذه الفترة الطويلة من حياة العربية أن ننطلق من قاعدة مطلقة ونؤكد أنه لو لم يكن الإسلام، لما قدرت العربية على التمتع بمثل هذا الانتشار الذي حصلت عليه لحدّ الآن. وقد اعترفت اللغة بهذا الجميل فدعمت من جهتها الدين وتجهزت بما ينبغي من الأفكار والألفاظ للتعبير عن المفاهيم الضرورية للدين الجديد. فكانت لغة ساهمت بالقسط الأوفر في نشر الاسلام بتيسير صهر الأمم الاسلامية المختلفة في بوتقة الفكر الاسلامي. وقد كانت في حاجة إلى الدين الاسلامي لبلوغ مرحلة النضج والحصول على الاعتراف بوضعها كلغة ذات كيان قائم الذات، وبذلك فقد سلمت من التفكك الذي كان بالمرصاد لها، عن طريق تعدد اللهجات[٢٩]. وتمادى الباحثون في تحليل الرابطة القائمة بين الدين واللغة. وشارك في ذلك العلميون (كلية العلوم بجامعة عين شمس مثلاً). وما حصل من قناعة تمثل في القول أن تعلم العربية يشكل موجباً من الموجبات الدينية، وذلك ينطبق على الناطقين بها كما ينطبق على غيرهم، ذلك أنهم لما رضوا بالاسلام ديناً، فقد قبلوا في الوقت نفسه بأن يقع تعريبهم ورضوا بالعربية لغة لهم. وفي هذا الصدد لعله من المفيد التساؤل: لماذا اتجه الاسلام في بدايته إلى الناطقين بالعربية؟ ذلك أن هذا الدين كان دين الفطرة التي اتجهت أولاً إلى مؤمنين كانوا يعتنقون الدين وهم في محيطهم المتمثل في صحراء بلاد العرب التي ربما كان لها مصير آخر لو نطق القرآن في لغة أخرى غير العربية[٣٠].

---

(٢٨) زيد بن عبد العزيز بن فياض، «العربية لغة المستقبل لأنها لغة الانسانية،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ١٧٠.

(٢٩) عبد الله العقيل، «العربية كانت عوناً للإسلام على صهر الشعوب في بوتقة إسلامية الفكرة، عربية الأسلوب،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٢٤٥.

(٣٠) «التلازم واضح بين الإسلام واللغة القرآنية،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٢٦٣.

٣ ـ الشعور الاسلامي والشعور اللغوي

تعلق سؤال الاستفتاء أيضاً بتحديد الرأي بشأن ما يطرأ على الشعور الديني من تلونات تؤثر في العقيدة الاسلامية حسب الأقطار، وذلك ارتباطاً بما يطرأ على العربية من نهضة أو تقهقر. وتبين أنه يكون عسيراً القول بوجود علاقة مباشرة بين تقلبات الشعور الديني وتقدم العربية. ولنتذكر أن الفترة التي بدأت فيها النهضة العربية الحديثة في أواسط القرن التاسع عشر عاشت محاولات جدية لتحديث اللغة ضمن تعصير الفكر العربي المنطلق من القومية التي ربطت مصيرها بما يعيشه الوطن العربي من تطور يقوم فعلاً على الاتجاه بالدين إلى مسايرة العصر والحفاظ على جوهر مبادئه العقائدية وتخليصه مما علق به من شوائب. ولا شك أن القرن العشرين قد شوه القيم الروحية بصورة متزايدة حتى بدأ يتساءل عن ماهية تلك القيم وهل أن المعتقد يتمثل في قضية جماعية أم في الشعور الفردي؟ هذا وإن اللغة انطلقت من قواعدها القديمة لتتطور بسرعة معتمدة على ما في وسائل الاعلام من إمكانات في حين أن الدين كان موضوعاً لمناقشات ومواجهات كلامية دون أن يطرأ عليه تطور يذكر منذ القرن الماضي. وقد استقطبت الشعور الفردي والجماعي العام أسبقيات السياسة والاقتصاد وجاذبية الحضارة المعاصرة، فصارت عوامل تقدمت أكثر فأكثر على الاعتبارات الدينية البحت. وأكثر من ذلك، لقد تكاثرت النداءات لبعث شعور ديني جديد يؤيد التحفيز على بذل الجهد لفائدة التنمية الشاملة التي قدمت بمظهر الجهاد، وجدّت بعض الدعوات للتخلي عن الصوم لأنه يعوق مدة شهر أي جزء من العمر، النشاط الاقتصادي، كما مثلت الزكاة بما ينبغي أداؤه للدولة من ضرائب، واستدعي المسلمون في بعض الأقطار إلى عدم الربط بين عيد الأضحى والقضاء على ثروة البلاد من الأغنام. . .

وقد أكد ابن تيمية أن استعمال لغة أخرى غير العربية للحياة أو الدين مكروه في الاسلام، فصارت معرفة اللغة الفصحى بمثابة الفريضة الموجبة على كل من اعتنق الاسلام. وحتى في هذه الصورة لم يعد الشعور الديني يخضع لاعتبارات لغوية لا يمكن تطبيقها لشساعة الرقعة الاسلامية، فالمسلم في احدى القرى النائية بالهند أو الصين لا يتاح له طبعاً معرفة العربية باستثناء ما لقنه من سور وآيات من القرآن. ذلك أن الشعور الديني صار يرتبط بعوامل ذات صبغة اجتماعية وثقافية وتربوية، نوعيتها موجبة أو سالبة. لكن الماضي شاهد على خطأ هذا الموقف، لأن ازدهار العربية شرط لتيسير التفاهم وتحسينه، ولترسيخ مبادىء الدين بصورة ثابتة. وبذلك تتأكد العلاقة القائمة بين الاسلام والعربية لأن الشعور اللغوي عند الناطق بالعربية يحدد إلى حد بعيد شعوره بمبادىء الدين. وعلى ذلك الأساس تحمّس الأكراد والفرس للدين، فزاد تعلقهم بالعربية. ثم لما راجت الأفكار الخاصة بالقومية، بدأوا يتجهون إلى تفضيل لغاتهم القومية. ومن هذا المنظار يتأثر الدافع الأساسي الذي يؤيد الوفاء للدين، بالمحيط الاجتماعي والسياسي أكثر مما يتأثر بالمحيط الثقافي. وقد نمّت الأقطار الاسلامية روح الاصلاح التي اعتمدت الشعور الديني الاسلامي، تعلقاً بالثقافة العربية لأسباب دينية لا ترتبط بالدوافع الوطنية. وفي هذه السبيل، فقد استوعبوا المبادىء الدينية،

لأنهم تعرفوا عليها في لغتها الأصلية. والواقع أن العلاقات بين الفرس والعرب ترجع إلى ما قبل الاسلام، وقد كانت ذات صبغة سياسية عسكرية تجسمت في الأحلاف، وتجارية بفضل ما سار عليه القومان من تبادل في البضائع وما نظم من إعدادات كمحطات القوافل، وما جدّ من علاقات حضارية كقبول طلبة من بلاد العرب بمدرسة الطب في جنديسابور. كما عرفت بلاد العرب الأديان المختلفة الشائعة بفارس[31]، وقلدت الفرس في تدبير أمورهم. وأمدت الفارسية اللغة العربية بالأسماء الحضارية، دون الأفعال والحروف، وهي ظاهرة لغوية ملفتة للنظر خاصة وأنها كانت أسماء لأشياء قابلة للاستعمال الفوري. وبدل ذلك، تسمى الفرس بأسماء عربية، فكان ذلك التبادل اللغوي مؤثراً في بنية الكلمات العربية، كما أنهم استخدموا الحروف العربية في الكتابة وعوضوا بها الحروف الفهلوية. وبداية من القرن السادس الهجري (الثاني عشر م.)، بدأت العربية تتقهقر في فارس، لكن بقي ما اقتبس منها على أوزانها، ونطقها كان بالفارسية في حين أن ما جدّ من تداخل بين اللغتين استمر، في الميدان اللغوي البحت كما في الحقل الأدبي، فألفت الكتب الفارسية مستخدمة أسلوباً اتصف برواية الغرائب أو نزع الى التصوف، وذلك عملاً منها على المطابقة بين القواعد الأدبية الشائعة في اللغتين، وقد اقتبست الأمثال الفارسية مادتها من القرآن والحديث بحيث أن الأدب الايراني الحديث بنى مادته على ما تركه له التراث المشترك العربي الفارسي من ذخائر[32].

وقد وحّد الزعماء في الأقطار العربية الأمم التي قادوا مصائرها إلى الاستقلال حول قطب الدين واللغة، فقد ساد الاعتقاد أن إهمال القيم الروحية واللغوية مكّن الاستعمار من السيطرة على الوطن العربي. وفي المغرب ورغم أن الاهتمام بالعربية في التعليم والحياة العامة قد تضاءل زمن الحكم الاستعماري، فقد كان التعلق بالقيم الروحية الاسلامية درعاً حمى اللغة من التلف والاضمحلال في لغة الغاصب. وقد تأيد ذلك لأن العربية كانت تعبر عن وفائها للدين الذي تضاءل على مر العصور في صورته التقليدية ليحل محله الشعور الديني الواعي المبني على الايمان والاقتناع بأن الاسلام دين قويم خاضع لنواميس عقلية معبراً عنها في اللغة العربية. وقد أتيح هذا الوعي الكامل الدال على استيعاب المفاهيم الاسلامية لأنه كان عن دراية، بفضل ما كان من جهد مبذول في تدارس القرآن واستكناه معانيه والارتواء منها. ويضاف إلى ذلك وبعامل التطور الفكري الناطق بالعربية، ما بذله المؤمن في سبيل الحصول على قدرة التعبير عن شعوره الديني بفضل نماء شعوره اللغوي. لقد كانت العربية فعلاً في عصورها الذهبية مصدراً للخلق، ثم تهددها الاندثار بسبب ركودها وبقائها في مرحلة المجهود الحفظي الذي سخّرت من أجله الذاكرة دون إعمال العقل. فوجب بذلك

---

(٣١) محمد التونجي، «نظرة في الصلات العربية الفارسية حتى مطلع الاسلام،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ١٢٦.

(٣٢) محمد التونجي، «نظرة في الصلات العربية ـ الفارسية حتى مطلع الاسلام،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ص ١٥٩.

التمييز بين الشعور الاسلامي والمستوى الثقافي والعلمي الذي نزل إلى العدم أو يكاد منذ أن اكتسح غزو التتر العالم الاسلامي وتلاه الاحتلال العثماني. لكن الجهالة والأمية لم تسيطرا بصورة مطلقة، بفضل إشعاع القرآن وما يرتبط به من علوم نشرتها المساجد وحلقات العلم وحتى الكتاتيب. وفي الجملة، إن بقاء القرآن واتصافه بالاعجاز طبع الاسلام بطابع الاستمرارية والتماثل، فلم يقع الانشغال بالخاصيات المحلية ولا اعتبار المعطيات الجغرافية السياسية ليثبت هذا الدين مواقعه. إن هذه القدرة على الانسجام هي التي سمحت للأتراك بتولي الحكم بعد انهيار الخلافة العباسية، لأن الاسلام دام في صورة الايمان بوحدة الله، فخضع الأعاجم للعربية المعبرة عن هذا الدين، فعملوا بها في الصلوات وفي بقية فرائض الدين[٣٣]. وقد اصطدمت الصبغة التعميمية للدين منذ القرن التاسع عشر بحدة المشاعر القومية. حتى أن التساؤل حام حول احتمال تقيد كل أمة بلغة خاصة بها مع انتمائها في الوقت نفسه الى الاسلام. فكان ذلك بمثابة الطموح الذي تعارض والشعور بوجود الأمة الاسلامية. فقد استمر الاسلام على الدوام في النص القرآني وتحددت به العربية في مفهومها ومنطوقها. ذلك أن القرآن اتخذ له لغة معبرة كانت ملكاً قبلياً وجعل منها لغة مشاعة بين المسلمين كافة المؤمنين بدين التوحيد الذي تجسّم في وحدة اللغة ذاتها التي تخلصت من التفكك الموجود في اللهجات القبلية، فصارت بذلك خير أداة موحدة للتعبير عن دين التوحيد، وارتبطت ارتباطاً عضوياً بالفكر الاسلامي. فلم يعد ممكناً والحالة تلك مقارنة العربية باللغة اللاتينية مثلاً التي صارت فيه لغة ميتة بموت المملكة الرومانية، وذلك في الوقت نفسه الذي ازدهرت فيه العربية[٣٤]. ونجد من حين الى آخر أصداء من الالتفاف حول مبدأ الأمة الاسلامية، مثلاً في باكستان وغيرها، وهي الأقطار التي تجتمع في موقع ما وراء الوطن العربي. وما يقال هو أن الأقطار الاسلامية كما الأقطار العربية تتحد في اعتبار اللغة العربية أداتها الروحية الخالدة خاصة وأن غير العرب انضموا لهذه اللغة بفضل دخولهم في الاسلام. وفي باكستان حافظ الشعور الاسلامي على اللغة العربية طيلة قرون، فلم تتمكن الفارسية والأوردية رغم شيوعهما من تعويض العربية في الحقل الديني. لكن الاحتلال الانكليزي في الهند أدى إلى تشجيع اللغات المحلية وتعويض العربية بالانكليزية، فاقترح بعض المسلمين في الهند، تحت الضغط الناجم عن الوجود الانكليزي، كتابة الأوردية بالأحرف اللاتينية، خاصة وأن عدد الكلمات العربية في تلك اللغة تناقص بإطراد، فحد ذلك من تأثير العربية في باكستان بعد الاستقلال، وأدى الأمر إلى اعتبارها لغة ميتة أو تكاد. وتدهور الشعور الديني أعد العدة لظهور مزيج من الأفكار المضطربة حول الثقافة الاسلامية والفائدة منها في الحياة. وقد نتج من ذلك أن الأوردية توقف نموها لتوقف نهلها من العربية التي كانت تشتق منها كلماتها في

---

(٣٣) محمد بهجت الأثري، «عبقرية الفكر العربي وشموله يحدوان إلى خط منهج جديد في تدوين تاريخ الأدب العربي،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٧.

(٣٤) أنور الجندي، «الفصحى لغة القرآن،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٦٣.

الماضي، خاصة وأن اللهجات الهندية لا يمكن أن تقدم أية فائدة للأوردية وتعمل على تطويرها أو نماء زاد مفرداتها(٣٥).

وقد أكد شيخ الاسلام في السنغال أن النزعة العالمية التي يسير عليها الاسلام هي التي أتاحت انتشار العربية في الأصقاع كافة، وإلا فان العربية ربما بقيت لغة إقليمية. أما وإنها انتشرت بمثل تلك السرعة وعلى صعيد عالمي، وتطورت وسايرت بنى الأقطار الاسلامية، فقد مكنت من التعبير عن الشعور الديني وتخلصت من حدودها الاقليمية. وبذلك نجد أن السنغال حسب حساباً لها في أطوار تعليمه، فأشاع العربية بين المتعلمين المسلمين (٥٠٠٠٠ طفل درس العربية حتى سنة ١٩٧٩). وقد أهّل المعلمون إما في مدارسه وأما في الأقطار العربية، كما أشرفت على سير التعليم العربي الابتدائي هيئة تفتيش ومراقبة تطبيق المقرر الوقتي ترقباً لإعداد مقرر ابتدائي رسمي. ورغم ذلك فالنقص في النتائج واضح لقلة الكتب المدرسية والوسائل التعليمية. أما في المرحلة الثانوية، فالعربية مقررة كلغة حية يدرسها أساتذة متخرجون من جامعات القاهرة أو المغرب. لكن العيب التعليمي في هذه المرحلة أنهم يدرسون عن طريق اللغة الفرنسية بدل أن يتلقى التلاميذ اللغة مباشرة. وفي مرحلة التعليم العالي، يعدّ الطلاب الأستاذية في اللغة والآداب العربية(٣٦). هذا ومن المعلوم أن العربية تشكل اللغة الوطنية أو الرسمية في أقطار اسلامية غير عربية بافريقيا مثل السنغال ونيجيريا ومالي(٣٧)، وإلى جانب اللغة الأجنبية التي يقع التعامل بها في الداخل مع اللغات المحلية. فكانت العربية في هذه البلدان لغة الدين والسياسة التي أتاحت إبرام المعاهدات والأحلاف. وقد حاولت فرنسا عند استيلائها على تلك الأقطار السير في هذه السبيل فأنشأت مدارس فرنسية عربية، وكأنها تركيب جمع بين الذهنية القرآنية وروح العصر، وذلك بعنوان «الاسلام والسياسة الاسلامية الفرنسية المتوخاة بافريقيا الغربية الفرنسية»، كما ورد في أحد المؤلفات الفرنسية، الذي حلل هذا الموضوع بذلك العنوان. وقامت الطرق الصوفية بدور كبير في تعريب الأهالي بالسنغال (القادرية، التيجانية، المريدية)، وتمثلت بعض الأعمال الهامة في أسماء الأعلام للأشخاص والقرى والدوائر المحلية. أما بشأن تعريب أسماء السنغال، فإن النسبة في أسماء الأشخاص المعربة إلى حد آخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، تتراوح بين ٤٤ و٤٨ بالمئة، كما ورد في احصاء اعتمد الجريدة الرسمية (من سنة ١٨٧٨ حتى سنة ١٨٧٩)، وكانت تلك النسبة سنة ١٩٦٥ بما يقدر بـ ٦٩ بالمئة، وارتفعت إلى ٧٧ بالمئة سنة ١٩٦٦، وبذلك نستدل على اهتمام معتنقي الاسلام بالأسماء العربية(٣٨). وهذا يجرنا إلى

---

(٣٥) ابراهيم نياس، «اللغة الولوفية بالسنغال أصبحت بفضل القرآن أداة تثقيف وتربية،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ١٧٢.

(٣٦) من وثيقة سفارة السنغال بتونس ١٩/١٢/١٩٧٩.

(٣٧) نياس، المصدر نفسه، ص ١٧٢.

(٣٨) مالك أنجاي، «تأثير العربية في السنغال،» **اللسان العربي**، العدد ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ١٥٢.

الكلام عن هجرة العرب إلى امريكا الشمالية والجنوبية اللاتينية خاصة في خمسة أقطار منها. ذلك أن شعور هؤلاء المسلمين المغتربين من الوجهة الدينية غير متمحور بالنسبة الى المحيط العربي الاسلامي، وقد ضعف الشعور اللغوي ذاته، ذاك الشعور الأساسي للمحافظة على الرابطة بين عنصري العلاقة القائمة بين الدين واللغة، وهي الرابطة التي تزود المؤمن بزاده الايماني. والملاحظ أن الفكر الاسلامي في الأرجنتين مثلاً لم يعد له تأثير يذكر على الجالية العربية المسلمة هناك (حوالى ٤٠٠,٠٠٠ نسمة)، وآل ذلك إلى أن أفرادها لم يعودوا يستمدون عناصر تكوين الثقافة الاسلامية من اللغة العربية وبالأحرى من اللغة الاسبانية. وجدت محاولة ترمي إلى إيقاظ الشعور نحو الاسلام باستعمال الطرق ذاتها التي سلكها المبشرون تجاه مسلمي هذه الأقطار، وذلك بإيقاظ الاهتمام بتعلم العربية. وقد أنشأت الجامعة صندوقاً يتاح استخدامه لهذه الأغراض، بعد النظر في الواقع الاجتماعي الثقافي الذي يعيش فيه المهاجرون بأمريكا اللاتينية. ذلك أن مجتمعات هذه الأصقاع طفقت تبحث عن أصولها العميقة، فتساءل سكان الأرجنتين مثلاً عما إذا لم يكونوا من أصل عربي لكونهم هاجروا من إسبانيا. ومن المعلوم أن المعجم الاسباني يتضمن ما لا يقل عن ١٥ بالمئة من الكلمات العربية الأصل. إن طلب الأصالة هذا يندرج ضمن حياة الفروسية العربية الأصيلة[٣٩]. لكن لم يمنع كل ما عاق هؤلاء المهاجرين إن لَمَعَ بعضهم في مجال الشعر والأدب عامة، وقد عاش الأدب في الأرجنتين فترة من الازدهار الحقيقي منذ ما يقرب من ستة عقود[٤٠]. لكن توقف الهجرة في الوقت الحاضر آل الى توقف ذلك الرخاء الأدبي في بلاد الهجرة، كما تعطلت عدة مجلات أدبية عربية هناك، فتضاءلت الوسائل لنفخ حياة جديدة في الآداب العربية بالمهجر ونشر الدواوين والكتب العربية التي امتازت بمنحى خاص. لكن التشاؤم دب في جسم هذا الكيان الفكري لما ذكر من أسباب، «لم نعد ننتظر من الأدب العربي في الأرجنتين أن يتدفق بروائع تضاف إلى دفتر المجد الذي كتبت سطوره الأولى منذ ستين سنة تقريباً، بل أمسى قصارى أملنا أن تنبثق من نفسه قوة تمد في البقية الباقية من حياته التي تتلاشى يوماً فيوماً»[٤١]. وعلى ذلك يبدو بداهة أن بقاء العربية في دار الاسلام أمر لا مراء فيه، بل أنه أمر ضروري في حين أن واقع القومية يتعارض أو على الأقل يعوق هذا الطموح الذي يبدو مشروعاً. لكن بعض المحللين لم يغفلوا أن يعارضوا كل علاقة بين الاسلام وانتشار العربية، مؤكدين أن شخصية المسلم تؤثر أكثر مما تفعله اللغة لدعم أو إضعاف الدين. وقد ألحوا على القول أن العربية لم تكن سبباً مباشراً في انتشار الاسلام الذي لا يمكنه أن يفرض على المؤمنين به أن يعرفوا مسبقاً العربية. لقد فرض الكتّاب قطعاً معرفة العربية وتدارسها كعامل مساعد على وحدة الأمة الاسلامية، لكن الهدف الأسمى متمثل في جلب غير الناطقين بالعربية إلى حظيرة الدين

---

(٣٩) «نشاط البشنين في حقل اللغة العربية،» اللسان العربي، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ص xiv-xiii (بالاسبانية).

(٤٠) اللسان العربي، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ١، ص ١٣٩.

(٤١) جوهر الإسلام: (تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٣)، و (كانون الثاني/ يناير ـ شباط/ فبراير ١٩٧٤).

الاسلامي، ولهم الخيار في المحافظة على لغاتهم وتـدارس العربيـة أيضاً. ولا يتعلق إنكـار ما يوجد من علاقة ملزمة بين الضمـير الاسلامي والضمـير اللغوي بتقـدم العربيـة أو تأخـرها، خاصة وأن هذه اللغة ترتبط بالتراث القومي أكثر مما ترتبط بالدين الذي يشمـل لغات عـدة. وقد ثبت بالتجربة أن أمة من الأمم تقترب من العربية بقدر ما تتعلمها، ويشمل هذا الوضـع أكثر من ٣٥٠ مليونـاً من المسلمين الـذين يستخدمـون الألفباء العـربي في لغاتهم لأن القـرآن مدوّن بالحروف العربية. وعلى هـذه العناصر الثـلاثة يتمحـور ما سمي بـالعلاقـة بين الـدين الاسلامي واللغة العربية. وقد وعى وعياً حـاداً هذه العـلاقة، الأشخـاص الممارسـون للدين والعلماء من لغويين ومؤرخين في حين أن جموع الناطقـين بالعـربية لهم مجـرد الشعور بـالمهابـة المرتبطة بلغتهم، بحيث لنا أن ندرك موقف ابن تيمية حين ذكر ما مفاده أنه يطلق لفظ عـربي على كل من تكلم العربية، لأن دار الاسلام ما هي في الـواقع سـوى دار العرب. ثم أن مـا يحيط بالعربية من صعوبة تعلمها خاصة عنـد الأمم التي تتكلم بلغة أخـرى والتي تمادت عـلى ذلك الوضع بعد اعتناقها الاسلام، هو الذي حال دون نمو انتشار هذه اللغة. كما أن ما نتـج عن نظام التعليم المزدوج الذي استخدم العربية ولغة أخرى في الوقت الحاضر قلّل من فرص إشاعة العـربية ومنـع على المتكلمـين بلوغ مستوى متـوازن في اللغة الأجنبيـة كما منـع عليهم ممارسة اللغة القومية واستخدامها في التعبير. وبنفس المعيار اللغوي المـوّحد يـرفض كل خلط في اللغات وكذلك كل تفضيل لأية لهجة كانت، بغية تخلية المكان للغة الفصحى، ودافعه في ذلك أسباب فلسفية وعلمية واضحـة. ولذا وجب التسـاؤل إذا كان مـظهر القضيـة الثالث، نعني التعريب إثر مـا شاع من ثنـائية لغـوية وازدواجيـة (خلط بين الفصحى والعـامية) يمكن تحقيقه بواسطة لغة الحديث، وهل أن العامية قادرة على نشر العلم؟ وعند اتخاذ الفصحى أداة لغوية في المجـالات كافـة، هل يليق تحقيق التعـريب الجزئي (بـاستخدام الفصحى وإحـدى اللغات الأجنبية)؟ مع العلم أنه ينبغي رفض كل ارتجال وكـل شعور بـالانهزام، ويقع تـلافي ذلـك عند اختيـار الوسـائل والحلول التعليميـة اللائقـة والعمل بهـا دون تردد[٤٢]. وفي نـظرة مراجعة شاملة، يمكن القول ان هذا الاستفتاء أبرز ما يوجد من عـلائق متشعبة بـين الاسـلام واللغة العربية. وقد اقتبست أغلب الأجوبة حججها من أحداث المـاضي، وأكدت أن اللغـة القرشية لم تكن لتنطلق بتلك الصورة لولا معاضدة الاسلام لها بحيث يمكن القول ان العربية تطوّرت واتّسع انتشارها في ظلّ الاسلام. وقد حللت هذه النقـطة في الملتقى الخامس للفكـر الاسـلامي (وهران، ٢٠ تمـوز/ يوليـو ـ أول آب/ أغسـطس ١٩٧١)، واتضـح أن الفكـرة الراسخة التي تمخضت عامة وشاعت وبقيت أن الظاهرة القرآنية دفعت بالعربية دفعاً هائـلاً، فجعلت منها لغة تاريخية متميزة منتشرة في عدة مستويات مبنية بداية من لغة الواقع الاجتماعي الاقتصادي عند البدو، حتى لغة التصورات والسموّ الفكري التي لا تضاهى في تراثها، بعـد

(٤٢) أحمد كايد، «اللغة والثورة الفكرية في العالم العربي،» اللسان العربي، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص xxxii.

أن كانت لهجة قبائل البدو في العصر الجاهلي(٤٣). وكما هو معلوم، فقد دخلت عـدة مناطق في الاسلام دون أن تغير لغاتها أو تعرب أو تشعر بحاجة إلى ذلك، ومع ذلك فقد تلقت واعتزت بالتراث العربي لكونه أداة نابعة من القرآن ورمزاً للدين. فبقيت العربية في واقع الأمـر وسيلة للاندماج في الأمة والتجاوب الروحي مع افرادهـا. ذلك أن كـل التعاليم القـرآنية في الـدين القويم كالصلاة مطبوعة بطابع اجتماعي معين. فإن الفعل الفردي يزيـد ثوابـه لو وقـع داخل المجموعة لأنه يشكل فرصة جديدة تقرب بين الناس(٤٤).

وإن وجب على العربية القضاء على لغات أخرى، مدفـوعة بضرورة نشر الايمـان، وتـم ذلك عبر تفاعل مع لغات أخرى كان محورها مواجهة بين عدة قوميات لغوية طالبت بذاتيتهـا المتمثلة في أداة التعبير، فقد حافظت على الأقل على كيانها كلغة دينية في الأقـطار الاسلاميـة. وفي هذا الاطار تتخـذ العلاقـة بين الشعـور اللغوي والشعـور الاسلامي كـل قيمتها وتسمـو بالنقاش إلى مستوى العالم الاسلامي قاطبة. إذ يجب على هـذا العالم أن يحـدد العلاقـات التي يروم تقريرها والقائمة بين الاسلام وأداته التعبيرية. كانت هذه المشاغل موضـوعاً تنـاقش فيه المشـاركون في ملتقى وهـران السابق ذكـره، وقد أوصت احـدى لجانـه ابراز حقيقـة الايمـان الاسلامي بواسـطة وسائـل الاعلام، عـلى أن يكون ذلـك بصورة واضحـة مبلورة لا تشويهـا الأقوال الغامضة. بل ينبغي استخدام لغة عصرية قائمة في ذات الوقت على التفتح على العالم المعاصر وعلى الأصالة العربية الاسـلامية. وبـذلك يمكن عـرض الفكر والثقـافة الاسـلاميين عرضاً عميقاً يتيحه الاسلوب التقليدي كما يكون متصفاً بالجاذبية الأدبية الموجودة في الأساليب الحديثة التي تيسر بعث الاقناع بفضل ما تقدمه من براهين وأدلة والصورة التي بها تقود المؤمن إلى مسلك الايمان القويم(٤٥).

٤ ـ في الاعتبارات اللغوية

كان موضوع السؤال الثالث «المتشعب تشعباً عظيماً»، كما قال أحد المشاركين الأجـانب في الاستفتـاء، يتعلق بما كـان من تأثـير للهجة الاقليميـة على التعـابير العـربية المحليـة. من الواضح إن الاجابة ستختلف باختلاف الأقطار الناطقـة بالعـربية التي تتميـز بعاميـات نوعيـة تبادلت التفاعل مع الفصحى بنسب مختلفة. وما يستخلص من تحليل شامل للأفكـار المحيطة بهذه المسألة، واعتباراً أن انتشار الاسلام لم يتكافأ وانتشار العربيـة، لكون المتكلمـين بها أقـل من عدد المسلمين هو أن أغلب الأجوبـة اتفقت على القـول ان القرآن أثـر في لغات الأقـطار الاسلامية غـير الناطقـة بالعـربية تـأثيراً محـدوداً تمثل في المـظاهر الثقـافية وتجسم في عـدد من

---

(٤٣) Abdel Aziz Benabdallah, *Clarté sur l'Islam dans ses sources* (Rabat: Bureau de coordination de l'arabisation dans le monde arabe, 1969), p. 21.

(٤٤) جوهر الاسلام (حزيران/ يونيو ـ تموز/ يوليو ١٩٧٥)، ص ١٦.

(٤٥) عبـد العزيـز بنعبدالله، «لغـة القرآن وذكـرى نزول القـرآن،» اللسان العـربي، السنة ٦ (كـانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٥.

الكلمات العربية الأصيلة التي بقيت في تلك اللغات. فمثلاً حافظت الفارسية على قواعدها، فلا يميز الجنس ولا يعرب النعت. أما بخصوص اللهجات العربية، فنجد أن عامية الأردن تقترب كثيراً من الفصحى وتستعمل في الشعر في حين أن تأثير عامية مصر في الفصحى ضعيف لتأثرها بالألفاظ اليونانية وحتى بالمصرية القديمة. إلا أن الفارسية والتركية قبلتا كلمات عربية شاعت حتى في لغات البلدان البلقانية، عبر تركيا التي استوعبت أساليب أدبية عربية عدة وكيفتها بأدبها. والعمل على إثارة قضية العلاقة الوثيقة القائمة بين الاسلام والعربية يعني بداهة الاعتراض على تعميم استعمال اللهجة، ذلك أن الفصحى تشكل في نظر المشاركين في الاستفتاء اللغة المساعدة على معرفة الدين والدنيا. وبهذا المعنى يمكن القول ان الشعور اللغوي يتأكد بالحضور الديني. فقد تأثرت الأوردية والبنغالية في الهند بالعربية، في حين ان خصوم هذه اللغة ما انفكوا يطالبون عبثاً باستعمال اللغة السنسكريتية على الأقل في الكتابة. والبربرية لغة غير مشتقة من العربية في ما يبدو، لكنها استخدمت ألفاظاً عربية كثيرة طرأ عليها بعض اللحن، لأن البربرية لغة لا تكتب. ومن جهة أخرى، لا شك في وجود بعض الآثار التي لا تنكر لتأثير خفيف للبربرية على العامية بالمغرب. وهي لا تستحق أن تنهمك في انكارها أو القضاء عليها... وما هو ضروري هو أن يعمل المثقفون المغاربة (وليسوا بالضرورة أولئك الذين كدسوا المعارف بل أحسنهم ثقافة لا أكثرهم ثقافة) على الاقتراب بعاميتهم من العربية الفصحى الواضحة المبسطة دون أن تكون ضحلة...»[46] الواقع أنه ينبغي في بداية الأمر القيام بدراسة علمية للعلاقات القائمة بين العربية واللغات المحلية، قبل العمل على تحديد الحد الذي بلغته العربية في ادخال كلمات دينية وثقافية في لغات الأقطار الاسلامية. ورغم هذه النقيصة، فالملاحظ أن بإمكان الفصحى، بفضل الزاد الديني والثقافي الذي تمد به المسلم تحسين وضع اللهجات التي لم توحد لغاية الآن حتى في الأقطار العربية. قدمت سوريا مثلاً الفصحى على كل ما سواها في الميادين كافة، لكن عاميتها حافظت على عدة وسائل لتبقى لغة إبلاغ وبان ذلك في نحت الكلمات والقلب والابدال والاقتباس من التركية والفارسية.. وطبعاً إهمال الحركات. لكن التأثير الذي كان متوقعاً ومفعول هذه العامية على الفصحى يكاد أن يكون تافهاً، بسبب قوة انتشار الفصحى السليمة في مبانيها ومعانيها رغم ان استعمالها أقل مما كان في الماضي، لكن الشعور اللغوي الشعبي حافظ على مظاهرها في ذاكرته. ويمكن القول عموماً ان تأثير العربية الفصحى في المشرق وفي آسيا وأوروبا، اقتصرت مظاهره في ما يخص اللغات الوطنية على الكلمات القرآنية والتشريع الاسلامي، وذلك دون إغفال ما كان للعربية من مفعول على اللغات المحلية تجسد في بقاء الألفباء العربي في اللغة الفارسية والأوردية وإلى حد قريب في التركية. أما اللهجات العربية التي توفرت فيها كلمات عربية فصيحة طرأ عليها تحريف ناشيء عن العناصر الصوتية المحلية التي تغيرت من جهة إلى أخرى والتي يمكن فحصها من وجهة التحليل العلمي الدقيق، فإنه

---

(٤٦) الأثري، «عبقرية الفكر العربي وشموله يحدوان إلى خط منهج جديد في تدوين تاريخ الأدب العربي،» ص ٩.

يمكن توحيدها بفضل القرآن الذي كان ثمرة الالتحام للهجات القبلية القديمة التي انصهرت في اللهجة القرشية، وكأن التاريخ اللغوي يعيد نفسه هنا أيضاً. فقد وحد اللهجات بحكم الضرورة، وليس لنا من وسيلة إلا ترقب ظهور حتمية جديدة صادرة عن الانسان العربي الذي يجد نفسه في وضع يجبره على اللجوء والاحتماء بالفصحى والتخلي عن العامية التي تطورت تحت ستار تيسير اللغة وطبقاً لقانون بذل أقل جهد ممكن من طرف المتكلم، وهو من قوانين الألسنية المعروفة. وبالعودة إلى منبع اللغة ودراسة القرآن في كل المستويات، يفرض على العرب معرفة العربية الفصحى كجزء من شخصيتهم الأساسية. هذا ولم تؤثر اللهجات المعروفة أو التي لا يعرف أصلها في الفصحى إلا تأثيراً انتقالياً بسبب ما جد من تداخل بين لغات مختلفة، لكن الفصحى ما لبثت أن استوعبت ذلك كما وقع في النشاطات الدينية التي لجأ بعضها إلى استخدام العامية التي ستؤول يوماً إلى الانصهار في المقاييس التي تستند إليها الفصحى. وكل هذه الحركات الطارئة على الاسلام من جهة العاميات تفرض مسبقاً خضوعها إلى القرآن، خاصة وأن تأثيرها فيه بقي سلبياً في النواحي كافة. وما كان موجباً وحده لحد الآن هو تأثير اللغة القرآنية الرئيسي على كافة اللهجات الاسلامية، بما في ذلك اللغة القرشية التي تكلم بها أهل مكة زمن الرسول[٤٧]. ولا مجال طبعاً لتسمية لغات الأقطار الاسلامية باللهجات، لأن الفارسية والأوردية يمكن اعتبارهما على أقصى تقدير لغات وقع تعريبها نوعاً ما، فكانت بمثابة اللغات التي كانت تدور في فلك العربية بصفتها القوة الموجودة في جاذبية الاسلام. وفي هذا المعنى اقتبست الآداب المحلية الاسلامية مواضيعها من العربية، كما انها اقتبست منها المصطلحات الدينية والعلمية. وما دعم وحافظ على الوحدة الاسلامية الروحية هو ما كان من أفضلية في دراسة العربية بصفتها عاملاً من عوامل تواد المؤمنين. ولما استبدل الاتجاه الاسلامي (سياسياً) بالقومية الحديثة، بادرت اللهجات واللغات المحلية بتعويض الفصحى، فأكد ذلك الاتجاه المغرب الجديد الذي تعارض والاتجاه الاسلامي. وقد سرت موجة القومية إلى الأقطار العربية، فاتضح بذلك خطر تعميم العاميات التي لا يمكن أن تتحد أوضاعها إلا حول الفصحى. أما في الأقطار الاسلامية، فقد تغيرت الأوضاع بتغير الأقطار، فنجد المسلمين في الهند يتكلمون بلهجات متنوعة كان في الامكان توحيدها بفضل دراسة العربية. وتعايشت الأوردية والانكليزية في باكستان، فكانت الأوردية في الواقع ثمرة لمقتبسات من الفارسية والعربية اللتين تفاعلتا مع المحيط اللغوي المحلي. كانت العربية اللغة الشائعة في الدراسة قبل ظهور الانكليزية، وكانت تدرّس في المدارس الدينية (أكثر من ثلاثة ملايين طالب) والجامعات. فظهر اقتراح بتدريسها في صورة لغة مبسطة (على الطريقة المعروفة في اللغة الانكليزية الأساسية)، ثم تقرر أن تكون الأوردية والبنغالية لغتين رسميتين[٤٨]. هذا وقد اعتبرت دولة باكستان أن البلدان العربية غير مطلعة على ما قامت به

---

(٤٧) محمد جمال الدين عبد الوهاب، «المسلمون في باكستان تواقون إلى العربية فيجب تبسيط طرق تدريسها،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ١٥٤.

(٤٨) أحمد عبد الغفور عطار، «أعداء الإسلام يحاربون لغته،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ص ٢٠٦.

من جهود في مجال نشر العربية خاصة وأنه شاع عنها أنها لغة عسيرة حتى أن المثقفين في هـذه البلاد استنكفوا من تدارسها، مكتفين بقراءة القرآن دون تفسير مسبق لآيـاته(٤٩). أمـا النخبة المثقفة بالانكليزية، فقد اعتقدت أنه بفصل الأوردية عن العربية، فإن ذلك يكون عاملاً على توحيد مختلف الأجناس المتواجدة في البلاد. وقد دلت الأحداث الـدامية التي نشبت في شرق باكستان، بصورة واضحة أن لا عزة للأوردية بعد أن أبدت نكراناً لجميل العربية(٥٠). الواقع أن الأوردية هي لغة غرب باكستان، وقد اعترف بالبنغالية التي كـانت لغة المنـطقة الشرقيـة، لغـة رسمية تحت ضغط الأحـداث السياسيـة. وشرعت المشاريـع لإضفـاء صبغـة تقـوي في الحقيقة من الصفة الـرسمية التي كسبتهـا البنغاليـة، خاصـة وأن العزم المصرح بـه أن تكتب بالحروف العربية مثل الأوردية. لكن الانكليزية شكلت في الواقع الصلة المثلى بين الأهـالي، بسبب ما ظهر من شعور لغوي يبحث عن لغة الوفاق، وكان ناجماً عما ساد من فـوضى لغويـة ولبس بين لغتي باكستان. وتبين أن اتخاذ قرار بجعـل العربيـة لغة رسميـة كان بمثـابة الـرغبة الطوباوية. فلم تمنع الدولة الجديدة المنشقة عن الهند التـي عرفت باسم باكستان، الانكليزية والأوردية أن تكونا لغتي الدولة خلفاً للعربية، وقد انبثق ذلك القرار بدوافع سياسية وقوميـة. وفصلت الدراسات الاسلامية عن الدراسات العربية، وشاعت أعمال الـترجمة فـأغنت بصورة عمليـة عن معرفـة اللغة العـربية التي لا يمكن أن تـرسخ من جـديـد إلا بمسـاعـدة الاسـلام وبالعمل على تغذية حركة الآداب المحلية بصورة مباشرة(٥١).

وفي القارة الافريقية، تميز السنغال بمجهود في اتجاه تعميم العربيـة لأغلبية المقبلين عـلى تعلّمها من سكانه المسلمين، فكتبت عـدة أبحاث في لغـة الولـوف بالحـروف العربيـة، تلك اللغـة التي صارت بفضـل القرآن لغـة تثقيف وتربيـة. وقد اقحمت عـدة ألفاظ إسـلامية في معجمها كما عمل شعراؤها بقواعد العروض والأغراض الشعرية العربية. هذا ولم يبدأ تعليم الفرنسية في السنغال إلا منذ قرن ونصف (سنة ١٨١٦)، وكانت العربية شائعة قبل ذلك بمدة طويلة(٥٢). وتشبه لغه الولوف هذه العربية في أوزانها إلى حـد أن بعض الكلمات رغم ما طـرأ عليها من تحريف صوتي، حافظت على بنيتها الدلاليـة في العربيـة، وذلك بحـذف أو تحريف بعض الأحرف العربيـة (لا يوجـد في الولـوف ١١ حرفاً عربيـاً خاصـة من حروف من بـين الأسنان). فهي لغة معروفة بـايجاز حـروفها واختصـار كلماتها (زينب = نب، محمـود = مود، آدم = أد أو آدا)، والمـد في آخر اسم العلم دون اعتبـار للوقف، وإبدال الحـروف همـزة (أ، هـ، ح) في بداية الكلمة(٥٣). وقد أتاح الجهد الخاص الذي بذله العلماء في السنغال المحافظة

---

(٤٩) محمد يوسف، «العربية لغة القرآن والاسـلام،» اللسان العـربي، السنة ٦ (كـانون الثـاني/ ينايـر ١٩٦٩)، ص ١٤٥ ـ ١٥١.

(٥٠) نياس، «اللغة الولوفية بالسنغال أصبحت بفضل القرآن أداة تثقيف وتربية،» ص ١٧٤.

(٥١) انجاي، «تأثير العربية في السنغال،» ص ١٥٢.

(٥٢) الياس قنصل، «اللغة العربية تماشي الأمة العربية إلى الأمام لأنها جزء حي منها،» اللسـان العربي، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٨٢.

(٥٣) المصدر نفسه.

على هذه المفردات الضرورية لوضع معجم تام في لغة الولوف التي لكلماتها أشباه في العربية، وذلك تحديداً للألفاظ التي شاعت في عصر كانت خلاله المبادلات بين العربية وهذه اللغة مستمرة. وفي الجملة، ان التفاعل القائم بين اللهجات في الأقطار العربية والاسلامية وبين الفصحى لا ولم ينقطع أبداً، لكن قام باسم التحديث وتحت ستاره تيار قاوم ولا يزال، وجود العربية، فأدى ذلك إلى فتح الباب أمام الفوضى والارتجال، وتأييد رسوخ اللهجات والاعتراض على انتشار الفصحى. وتقدم العربية كلغة فوق القوميات لا يتعلق بها إلا نخبة معينة قادرة على السمو إلى النظام النحوي والصرفي المجرد واستيعاب أشكال الحرف العربي المتعددة، فلا يمكنها والحالة تلك المساهمة في إثراء الحضارة العالمية. وإذا ما قر العزم على استعمال الألفباء اللاتيني وتحويل اللهجة إلى لغة مكتوبة، فلا مفر من معرفة قواعد الفصحى للقدرة على الكتابة السليمة. وقد تأكد من الوجهة التاريخية انه يتحتم أن ترتبط النهضة الاسلامية بالتوحيد اللغوي، لكن الملاحظ منذ بداية القرن العشرين أن العامية باتصالها بلغة فصيحة تزايد انتشارها، تخلصت من الكلمات التي ينبذها الاستعمال اللغوي اليومي الشائع بين المتكلمين(٥٤). وهذه علامة على ما حصل من تقارب بين مظهري العربية التي لا يمكن النظر إلى لهجاتها كظاهرة لغوية سوية لأن تمادينا في استعمالها من شأنه أن يشكل رمزاً يصور ما نحن فيه من تخلف اجتماعي وحضاري(٥٥).

٥ ـ المسائل الأدبية

لقد كان الانتاج الأدبي في البلاد الاسلامية مزدهراً إذ توفرت له الشروط السياسية الاجتماعية لكي ينمو ويتطور ويحافظ في آن واحد على وحدته، بفضل تماثل التجربة الوجودية الأساسية، وبفضل الاهتمامات الفكرية الأساسية، وبفضل سيطرة بعض المبادىء على المبنى والمعنى(٥٦). ومن المعلوم أن النقل قام في القرن الأول الهجري بدور أساسي في التدوين اللغوي فمكّن من القيام بجرد الأدب بصورة اختلفت دقتها، دون إبداء الشروح الفلسفية والتاريخية التي تصاحب عادة هذه الأعمال، بل ترك للقارىء حق الاختيار وتكوين رأي وابداء ملاحظاته في هذا الصدد. أما الكتّاب المختصون فقد اتيحت لهم الفرصة للقيام بعمل شامل، لكن ذلك لم يتحقق. ويبدو أن اتصال الأدب العربي بالأدب الغربي الذي سار على منهج التقسيم التاريخي السياسي وتحددت مواقفه الكبرى في عصور أدبية متميزة، عمل على بعث روح المبادرة عند بعض مؤرخي الأدب في الأقطار العربية، فألّفوا تصانيف مدرسية في

---

(٥٤) محمد بن تاويت، «مظاهر التعريب،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٤٩.

(٥٥) Régis Blachère, «Moments tournants dans la littérature,» *Studia Islamica* (1955), p. 112.

(٥٦) الأثري، «عبقرية الفكر العربي وشموله يحدوان إلى خط منهج جديد في تدوين تاريخ الأدب العربي».

تاريخ الأدب العربي، مثلما فعله زملاؤهم بأوروبا وأمريكا. فكان ذلك العمل بمثابة المحاولة لترتيب المواضيع بحسب مميزاتها الخاصة. ذلك أن الأدب العربي يمتد فعلاً على مناطق شاسعة من العالم، ولا يسمح طابعه الخاص بتقسيمه إلى أحقاب سياسية و «مناطق نفوذ»، لأن ذلك يشكل عناصر ظرفية متموجة تخطِّىء النظرة الصحيحة التي ينبغي أن تكون لدينا في هذا الموضوع[٥٧]. والأدب العربي لا يتيح وضعه ربط العصور بصورة طبيعية، ولا يمكن ربط ما يطرأ من تغيير على التيارات الأدبية برهافة الأحداث السياسية إلا ربطاً إعتباطياً، ويؤول بذلك الأمر إلى إنشاء تبعية مصطنعة بين الحقلين. وبالتخلص من هذه التبعية التي تخضع التأريخ للأدب العربي إلى اتجاهات المدارس الأدبية الأوروبية، فإنه يمكن بداهة اقتراح وجهة جديدة بديلة وبفضل القرآن و «الأدب» النبوي، وهما يمثلان أثرين في قمة الأدب العربي، حافظت العربية على شحنات وجدانية وحيوية مكّنتها من البقاء كأداة للتعبير الأدبي. وهذه الفترة المزدهرة التي سميت خطأ عهداً وسيطاً من طرف مؤرخين عرب بتأثير من المنهجية التأريخية الغربية، هي في الواقع ما عرف بالعصور المظلمة التي سبقت عصر النهضة في أوروبا، فكان ذلك بمثابة التسمية التي شوهت الصورة الحقيقية التي ينبغي النظر بها إلى الأدب العربي، ومرد ذلك يبدو تاريخ سقوط بغداد (٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م)، فأدى ذلك إلى بقاء بعض الفترات في الظلام. هذا نوع من التساؤلات التي تجسمت في النظر إلى الأدب من الوجهة الجمالية يعبر عن مفاهيمه بواسطة لغة عربية متزنة قادرة على تأدية الصور الأدبية[٥٨].

وفي خضم غزو التتر، في القرن السابع هـ/ الثالث عشر م، ولد النويري واشتهر بكتابه **نهاية الأرب في فنون الأدب** (في ٣٠ جزءاً) الذي كان محل دراسة وتحقيق. وقد تبين أن هناك نوعاً جديداً من التآليف التي اكتست طابعاً موسوعياً. والموسوعات عبارة عن جمع للنصوص السابقة بعد أن أتى عليها الدهر وقضى التتر على جانب منها، وقد استهدفت تلقي التراث الأدبي وحفظه في التآليف الموسوعية. وقد تجسمت هذه الطريقة أول ما تجسمت في جمع القرآن في مصحف عثمان. وقد اجتهد النويري في جمع المكتوبات، ولولاه لما بقي جانب منها. وفي مصر المماليك وبمعزل عن غزوات التتر، وفي القاهرة (وفي الشام أيضاً)، نشأت الحركة الموسوعية وتجسمت خاصة في كتاب النويري. كان هذا المؤلف من هواة جمع الكتب خاصة إنه توظف بديوان قصر الأمير، فوجد خزانة كتبه تحت الطلب. ومع أن النويري لم يعمل إلا على تدوين ما سبق من تآليف، فقد أنقذ ما أنقذ من التراث الأدبي، مستهدفاً في الواقع تدوين جملة مطالعاته وسبكها في تأليف قابل للتداول بين القراء، مضيفاً إلى ذلك أشهر الأشعار التي قالها العرب في أي موضوع كان، إذ كان عارفاً بالشعر والعروض. .لكنه أغفل بصورة شنيعة ذكر مصادره، فأدى ذلك إلى امتناع الاطلاع على المراجع الأدبية والتعرف عليها. لكنه رتب مواده، خلافاً لما فعله الجاحظ الذي ألّف فعلاً كتباً من النوع

---

(٥٧) عبد الحليم الندوي، «من موسوعة الأدب واللغة: هل التعبير الجميل بلغة رصينة هو الأدب،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٣١٥ ـ ٣٣٢.

(٥٨) سعيد علوش، «مصطلحات أدبية معاصرة،» **اللسان العربي**، العدد ٢٩ (١٩٨٧)، ص ١٧٣ ـ ١٩٣.

الموسوعي فقدت كل ترتيب. لكن جاء النويري وآلف دون لبس بين المواضيع المطروقة واستوفى مادتها دون استطرادات طارئة عمل حتى على تنحيتها من المصدر الذي استقى منه، كما أنه تخلى عن المواضيع التي تبث النزاعات، مع الملاحظة أن تآليفه لا يخلو من هنات، كتخطئة اسماء الأعلام والألفاظ، والتمييز بين ما ألف وما استشهد به من كتّاب آخرين(٥٩). ويبدو أن نثره اتصف بأنه فني أكثر منه أدبي، فقد استعمل بكثرة ما سمي بنماذج شبه شعرية استوحاها من عبقرية اللغة العربية التي تأسس صرفها بقوة على تركيبات شكلية، وتأثر بذكرى المثل الأعلى للاعجاز القرآني، كما عمل طبق العادات الثقافية التي منحت الذاكرة المدربة إلى أقصى حد الدور الأول. وقد اختار النويري الشواهد الشعرية مصدراً للغة والأدب، مستهدفاً من ذلك أن القصيدة هي عبارة عن نص بمقاصد، ويشكل محتواها سلسلة من الأبيات المقفاة بقافية متوالية ـ وسار على ذلك الخط في خصوص الأمثال ـ فاعتبرها أيضاً مصدراً للغة في مختلف العصور، وقد رتبت وجمعت الأمثال أحياناً في أرجوزات اعتماداً للحكمة والأحداث التي عاشتها عامة الناس. وقد شكل كل ذلك المادة التي يمكن بها التحري عن أصالة اللغة. أما القصص التي تستند إليها الأمثال، فقد تميزت باستعمال الغريب فعكست ما اتسمت به الآداب العربية من صفات(٦٠).

وقد وقعت المؤالفة بين بعض المواقف في الأدب العربي القديم وبينت ما يوجد من علائق بين العربي ومعتقده. ذلك أن الاتصال بين المثل الدينية التي شرحتها الخطب في المساجد وبين السلوك الفردي تشكل مادة من المواد التي بحث فيها الأدب(٦١). ويرى جرجي زيدان أن الشعر والطرب أو الانشاد من أصل واحد، لأن الشعر لم يكتب إلا للإنشاد والغناء. والشعر العربي الذي تنوعت أغراضه وقع وزنه قبل أن يضع الخليل أوزانه على طريقة فريدة لم تتغير. لكن جدّت محاولات للتعبير في الوقت الحاضر عن طريق الأشعار الحرة، بدعوى أن الأوزان تحبس الفكر والمشاعر في قوالب جامدة. وقد اعترض المحافظون على سلامة اللغة على هذا الاتجاه وبرهنوا ان البيت الشعري بدون قافية لم يعد يشكل سوى كمية من الكلمات التي لا تفيد إلا سلسلة من الأصوات لا علاقة لها بمفهوم الأدب، كما شاع في القرن الأول من الهجرة، رغم ما طرأ عليه من تطور، لكن دون أن ينفصل عن قواعد الأدب العربي القديم. فقد شمل معنى التربية والتعليم والتأديب كما شمل أحسن التآليف في النثر والشعر التي عبرت عن أفكار تؤثر في الروح في صيغة جمالية، نوعية، إضافة إلى ما أحاط بكل ذلك من شروح ونقد وقصص وعلوم لغوية. . . والأدب هو كما عرفناه في القرنين الثاني والثالث هـ. والثامن والتاسع م. وكما عرفه النويري في عصره الذي كثرت فيه التآليف الجامعة التي شملت منتخبات من التآليف، رتبت وبوبت على المواضيع، بغية

---

(٥٩) Miquel, *La Littérature arabe*, p. 16.

(٦٠) *Studia Islamica* (1953), pp. 118 et 106.

(٦١) عبد الله يوركي حلاق، «الشعر العربي الأصيل،» اللسان العربي، السنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٧)، ص ٣١١ ـ ٣١٦.

الاستجابة لرغبة أصناف القراء. وقد اقتبس الكثير عن القدامى ولم يمتنع عن القيام بدوره كناسخ وفي ينقل النصوص بأمانة ويخطىء في ذلك أيضاً، ولا يقوم بأية بادرة فردية في تقديمها وتنسيقها. وقسم كتابه على تصور يمكن اعتباره عصرياً، فرتب خمسة أبواب تضمنت كل المواضيع التي كانت مطروقة في عصره (حياة الانسان والحيوان والنبات، الأحداث التاريخية منذ ظهور آدم. . .). والطريقة التي سلكها تمثلت في تأليف الفصل بعد مراجعة الكتب التي عالجت الموضوع، ثم يأتي على الشواهد في حينها، وينتقل من مصدر إلى آخر، فيزيد في حجم المعلومات ويغير من ترتيب ما اقتبسه من تلك الكتب، ويختصر بعضها. وإذا عمل المدني في **مجمع الأمثال** (أكثر من ٦٠٠٠ مثل) على رواية نص المثال وما أحاط به من قصص، والروايات المختلفة التي تناقلها المؤرخون والكتّاب والنحاة واللغويون، فقد انتقى النويري بين الأمثال أشهرها وأضاف إليها ما يناسب من شروح، وحذف التفاصيل اللغوية، مبرزاً المظهر الأدبي في ما نقله. فقد اختصر ما ورد من قصص في كتاب الأغاني، وانتقى منها عينات مميزة دون استطراد، وتجنب ذكر النصوص المشكوك في صحتها. وقد سلك السلوك ذاته مع كتاب الثعالبي **فقه اللغة**. وبذلك يبدو ممكناً الاحاطة بمفهوم الأدب بصورة أكثر وضوحاً، اعتباراً لوجهة الأسلوب الذي به تؤلف الأفكار، وتصوره يدق أو يتعمم ويخص كل المنتوج الشفوي والكتابي. ذلك ان الأديب ليس شخصاً قد كسب نبذة من كل علم بحيث أخذ من كل شيء بطرف فصار اتجاهه موسوعياً، بل المطلوب منه أن يكسب دراية عامة بمناحي الفكر واللغة. وقد تجاوز النويري هذا الحد كثيراً وأضاف إليه عدة مسائل من عنده، وبذلك عمل على الاستجابة لمقياس الفعل الأدبي. فقد تمكن من ترضية ما كان للقراء في عصره من أفضليات وفضول، فاجتهد في تزويق الأمثال والأبيات الشعرية بلمسات أدبية.

والحق أن مثل هذا التأليف الموسوعي ينبغي أن يكون سجلاً لكافة المعارف التي شاعت في عصره، ويقدم عنها نظرة شاملة كافية. فمثلاً تحدث النويري عن السماء وعن خلقها وصفاتها، مستشهداً بالقرآن، واسماء الملائكة والنار. . . واستشهد بالحديث بصورة جعلته ينسب إلى أهل الحديث والمحدثين، كما استشهد بالأشعار. وقد انتقى من النصوص أحسنها دون معالجتها، ذاكراً أحياناً بعض مصادره باسم المؤلف والعنوان، فأيد ما عرف عن ذوقه الأدبي.

وكان يختم الفصل دائماً بشواهد شعرية مناسبة للنصوص النثرية، استمدها بداية من العصر الجاهلي، ويزيد ويحذف منها حسب الصور. حتى أن كتابه اعتبر موسوعة شعرية تضمنت أحسن الأبيات، فخدم بذلك رجال الأدب الراغبين في تذوق الشعر الفصيح المستقر على قافية واحدة، ذلك الشعر الذي لم يعد يروق للشعراء الريّضين في عصرنا، إذ نزعوا إلى الشعر الحر.الذي أفقد قوة الايحاء في القصيدة كما أكد ذلك من اعترض على هذه النزعة.

فقد ارادت هذه الموجة الجديدة تجديد العروض مدعية أن التفعيلات هي التي يجب أن تؤسس عليها البنية الشعرية، وهي التي تسمح بتشكيل الأوزان إلى ما لا نهاية. والملاحظ أن **الموسوعة البريطانية** (١٩٦١) أكدت إن القافية تعتبر عنصراً جمالياً رغم ما تثيره من صعوبات في الاستعمال، والواقع أن الأساليب التي اتبعتها المدرسة الواقعية الفرنسية والرمزية الانكليزية ـ الأمريكية هما اللتان اثرتا في هذه النزعة في الشعر العربي التي تريد التحرر من القافية. وقد اعتبر الواقفون إلى جانب الشعر القديم ان القصائد في الشعر الحر هي بمثابة المواليد الميتة التي

لا تعبر إلا عن أفكار مشتتة دون مفعول دلالي. وقد وقع رفض الشعر الحر في مهرجان دمشق للشعر (٢٣ ـ ٢٧ أيلول/ سبتمبر ١٩٦١) لكونه من الأشياء التي تخلو من الوحدة الايقاعية الفنية، لابتعاده عن الوزن العروضي. وقد احتدت المناقشات بين الاتجاهين، فرتب المتحزبون للشعر القديم الفصيح التجديد في المواضيع والأفكار والأغراض قبل التفكير في تغيير مبنى القصيدة في حين أن محرري الشعر من القافية والوزن فضلوا القوة التعبيرية على سواها[٦٢]. وبالعودة إلى الأصل، وبمتابعة المراحل الدائرة للأدب العربي الذي تجسدت أعظم أحداثه في ظهور اللغة العربية المشتركة التي حملت رسالة القرآن، وقادت العراق إلى العصور الذهبية، يمكن ادراك مهابة العصور اللامعة في الأدب العربي وتقديرها حق قدرها، إلى أن يأتي الحكم العثماني ويحد من انتشاره. فقد صار الارتزاق من الأدب جزءاً من السلطة التي اهتمت إلى أبعد حد بالمحافظة على الثقافة العربية لأن زوالها يعني القضاء المبرم على الحركة الأدبية[٦٣]. وبعدما أصيب الأدب بنوع من القمع الذي كبح نماؤه وازدهاره، فمر بعصور الركود والتقليد، عادت أوصافه العروبية إلى سابق عهدها بداية من النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فكان أيضاً أدباً إسلامياً شارك فيه الفرس والأتراك والمسلمون الهنود[٦٤]. لقد كان الشاعر في العصر الجاهلي ينشد شعره دفاعاً عن قبيلته في سوق عكاظ، فكانت القصيدة التقليدية العربية قد رسخت أطوارها في ذلك العصر، وتطور الشعر إلى حيوية وحساسية القصائد التي ظهرت في شعر ابن الرومي، كما ان التعبير عن الحكمة في صورة أمثال خالدات كانت من خصائص شعر المتنبي، وكان المعري قد عبر عن العمق الفلسفي في نظرته إلى الحياة، فكان هؤلاء الشعراء بمثابة الثلاثي الذي مثل اتجاهات الشعر في العصور الزاهرة. وهذا ما يؤيد إلقاء نظرة جديدة على الشعر الحديث الذي حافظ على أصالته العربية وقوته التعبيرية في الوقت نفسه الذي تقدمت خلاله الحياة التقنية وسبقت الحركة الأدبية في تطورها. وعلى هذا الأساس يمكن مراجعة القواعد التي بها سير البحث في الانتاج الأدبي عملاً بمنهجية جديدة في النقد واعتبار المعنى الأول لهذه الكلمة، الخاص بتمييز المال الجيد والمزيف، الواقع أنه يمكن اعتبار الناقد الأدبي بمثابة الصائغ أو القاضي الذي يفصل في قيمة الأفكار والكلمات، ويزن استناداً إلى الأسلوب الصور التي بها يعبر عن المشاعر والفكر. ويقابل النقد في صورته السلبية القديمة التقريظ وما يوجه من مديح للمؤلفين الذين استجابوا لقواعد الكتابة كما يراها النقد. والنقد في المفهوم الأدبي يعني التحليل والشرح والتمييز وما سلطه القدامى من أحكام على المؤلفات، فابرزوا حسناتها ومساوئها. فاتفقوا بذلك مع النقاد المعاصرين الذين يرون أن النقد يعني تقييماً لمضمون الكتابة، ومقارنتها بأعمال أخرى. لكن الملاحظ أن النقد يفهم منه اليوم النظر في الأسلوب من وجهة التعبير عن الفكرة والتصور والتعبير عامة عن الشعور، ثم إبداء الحكم على ذلك. ولا يمكن تحديد كلمة نقد في المؤلفات

---

(٦٢) *Studia Islamica* (1966), p. 14.

(٦٣) Brawne, *A Literary History of Persia*, p. 8.

(٦٤) محمد رجب البيومي، «ملاحظات حول النقد الأدبي،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٢٤٤ ـ ٢٥١.

القـديمة، ويبـدو أن البحتري هـو أول من استعمله بمفهوم أدبي. والقيـام بعمليـة النقـد غـير واضح في حد ذاته، ولا نعلم أن الناقد يسلط حكمه على شخصه أو أن التحليـل الموضـوعي الذي يعتمد على خلفية ثقافية معينة هو الذي يتفوق متحرراً من كل رأي مسبق.

ويصعب الفصـل بين الاتجـاهين إذ إن تحـالفهما يمكن أن يفتـح آفاقـاً جديـدة وتجديـد الأدب، بخلق تـوازن يواجـه بـه الأحكـام المتسرعـة واستبـدالهـا بتقـديـرات بنـاءة يقـدمهـا الاختصـاصيون عـلى علم من وسائـل النقد وقـادرين حتى على الخلق الأدبي. ذلـك أن عـلى الناقد أن يكون له من الذكاء الحاد القائم على المطالعة المتواصلة ما يمكنه من التعبير عن أرائه مجردة عن اختياراته الشخصية، تلك الخيارات التي عطلت في الماضي وضوح الرؤية في النقـد الأدبي العربي. الواقع أنه ينبغي الاستناد إلى طبيعة فكرية متوازنة تتقبـل النتائـج التي وصلت إليها العلوم الانسانية دون أن يقع النـاقد في متـاهات المصـطلحات الغـامضة التي لا تنـطبق أحياناً عـلى أوضاع الأدب العـربي، أو أن يغفل عن العمـل بالمقـاييس الجماليـة الضرورية في النقد الأدبي. وقد ظهر ذلك الاتجاه في الماضي في البلاغة عند السكاكي والقـزويني، وغيرهمـا من النقاد الذين تأثروا بـالمبادىء العقـلانية فجعلوا من وسـائل الأسلوبيـة مناقشـات منطقيـة تاهت خلالها مهمة النقد وما يتصل بها من أنماط جمالية. فأرهقت البلاغة تحت وطأة الشروح الفلسفيـة. فكان زاد العلوم الانسـانية بمثـابـة الثقـافـة التكميليـة للنـاقـد في حـين إن بعض التصورات التقليدية للنقد ترى أن ذلك الـزاد الجديـد طارىء عـلى الأدب ويغرقـه في اللبس والغموض بحيث لا يمكن الناقد أن يستفيد منها فائـدة كاملة. لكن لا يمكن إخضـاع الأدب لمقاييس هذه العلوم وحدها أو أن يستخدم لأي اتجاه مـذهبي كان، وتبعـاً لذلـك لا يمكن أن يكون النقد سابحاً في مثل تلك الدوائر المذهبية، وإلا فقد موضوعيته(٦٥).

ولنطبق هذه الآراء ولو بصورة عامة على تصورات عباس محمود العقاد للنقد. لقد اتجه إلى التحليل النفسي، محاولاً التوفيق بين الميول النفسية والخاصيات المادية الجسدية، فقـد كان مولعاً بكتّاب مطلع القرن العشرين وأسلوبهم الواقعي وطريقة تحليلهم القصـة والشعر. ومن رأيه أن هناك ثلاث مدارس نقـدية، مـدرسة التحليـل النفسي، ومدرسـة البحث الاجتماعي ومدرسة الجمالية الأدبية، وقد فضل العقاد اتجاهات المدرسة الأولى على غيرها من الاتجاهات. وإذا اتصف الشعر الغزلي بما كان للقدامى من مواقف نحوه في خصوص مدح جمال المحبـوب وتصوير الهيام به، فـإن العقاد يـرى إن ذلك الغـرض عبارة عن تعبـير صادق للحب والحـالة النفسية التي يوجد عليها المحب، فعارض بذلـك موقف الاعجـاب والتفنن الشعري، وأعـاد الغزل إلى مصدره الأصلي الذي هو الحب مع اعتبار قيمته التعبيرية، ذلـك أنه يمكن الشـاعر أن يكون صادق الشعور دون أن يقدر عـلى التعبير عنـه بصورة بـارعة. ولا يمكن الخلط بـين صدق الشعور وصدق التعبير دون القضاء على المعيار الذي به يمكن المقارنة بين عدة قصائد.

---

(٦٥) أحمد محمد الحوفي، «الاتجاه النفسي في دراسات العقاد النقدية،» اللسان العربي، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ١٩٥ ـ ٢٠٦.

فقد كان لنرجسية أبي نواس مفعول قاد الشاعر، حسب العقاد، إلى الوقوع في ازدواج الشخصية وتحدي القيم السائدة في مجتمع ذلك العصر. لكن يعسر طبعاً موافقة العقاد على كافة آرائه لأن أبا نواس لم يكتب الشعر إرضاء لميوله فقط، بل أيضاً استجابة لرغبة هواة الشعر الظريف الذي تخلى عن تقاليد القصائد العربية. أما ابن الرومي، فقد تأثرت عبقريته بتشاؤمه واعتقاده في قدرة القوى الخفية في حين أن المتنبي اشتهر بشغفه بالتصغير رغم أنه تعلق بدنيا العظمة والعزة، واستخدم التصغير ترضية لغضباته وتخفيفاً لوطأة عجزه الذي حال دون سيطرته على الناس والأحداث، ولعله أراد بذلك أن يعكس شعره نوائب عصره في الميدان السياسي والاجتماعي، إذ كان عصراً مشحوناً بالأحقاد المكتومة والطموحات المتجلجلة. والملاحظ أن النقد لا يقتصر على النزعة النفسانية وحدها التي سار عليها العقاد بل عليه أن يستوحي منهجية متكاملة مستمدة من البعد الاجتماعي والفني. إن ما تم من تحليلات في الأدب المقارن كان له مفعول في أقطار مختلفة. فمدرسة الواقعية في فرنسا تطورت إلى البحث عن الحقيقة والطبيعة في إيطاليا، إلى آخر ما هنالك من تفاعلات بين الاتجاهات الأدبية العالمية.

الفصل التاسع

التعريب والقضايا الحضارية

لقـد كُتب الكثير عن الحضـارة الاسلاميـة عامـة التي تشمل أسـاساً الحضـارة العربيـة والحضـارات الأخرى التي تلونت بـالتصور الاسـلامي في مظاهـرها المختلفـة، فلا فـائدة من اجترار ما كُتب وما قيل عما كان من موجبات وسلبيـات في هذه الحضـارة، بل ينبغي الـتركيز على ما بُذل من جهود جـديدة طـريفة في سبيـل تسليط الأضواء بـواسطة اللغـة العربيـة على المظاهر الأساسية في الحضارة الاسلامية. ومن المعلوم أن مَؤتمر وزراء التربية العـرب (بغداد، ١٩٦٤) قـرر تصميم خطة لتحقيق مشروع المـوسوعـة العربيـة بمساعـدة الجـامعـة ومـنـظمـة اليونسكو[١]. فشاعت منذ تلك السنة فكرة إنشاء موسـوعة مغـربية أيضـاً تكون حلقـة ضمن الموسوعة العربية الكبرى، وكانت لها أصداء في الجزائر وتونس خاصة[٢]. كانت فعلاً أصـداء إيجابية جداً كما ذكر صحافي من السودان[٣]، لأن تلك الموسوعة المزمع إنجازها تقرر أن تشمل أقطار المغرب الأربعة (تونس، الجزائر، المغـرب، ليبيا). وقـد وجّه المكتب دعـوة رسمية إلى القـطر الليبي للمشاركـة في ذلك المشروع[٤] الـذي قُصد منـه وضع تـأليف موحـد يبحث في المظاهر الاقليمية الثقافية والاقتصادية والاجتماعية كافة. وقد أوصت اللجنة الثقافيـة بالجـامعة (المجتمعـة من ١٩٦١/١/٢١ إلى ١٩٦١/١/٢٨) بـإنجـاز مـوسـوعـة للوطن العـربي بعـد استشارة الخبراء في الأمر وبعد تدارس المشروع ومناقشة الفائدة منه[٥].

---

(١) عـائشة عبـد الرحمن، «مقـترحات حـول: التصميم العشاري لـموسوعـة المغـرب العـربي،» **اللسـان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني /يناير ١٩٦٩)، ص ٢٦٦ - ٢٦٩.

(٢) «رحلة الأمـين العام عبـد العزيـز بنعبدالله إلى العـواصم العربيـة: مقابـلات مع صحف عـربية،» **اللسان العربي**، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ٦٣، و «موسوعـة المغرب العـربي،» **اللسان العـربي**، السنة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ٧٣.

(٣) **الأيام**، ١٩٦٤/٨/٢.

(٤) «أنباء المكتب الدائم للتعريب،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٦٠٠.

(٥) **التربية الوطنية** (نيسان/ ابريل ١٩٦١).

وشرع المغرب الأقصى في تشكيل لجان عمل، تألفت من المؤرخين والجغرافيين والأدباء وكل المختصين القادرين على المساهمة في المشروع. وتم الاتصال، في الأقطار الأخرى، بالباحثين والدوائر العلمية تنسيقاً للجهود على الصعيد المحلي والمغربي. فمثلاً طلبت الخزينة العامة بالرباط مساعدة وزارة التربية لتصوير وثائق المركز المغربي للتوثيق في باريس. وصدرت التعليمات من الديوان الملكي[6] لتقديم العون اللازم للجنة المغربية بالموسوعة، وقدِّمت الأبحاث والوثائق الخاصة بأربع عشرة منطقة مغربية. أما تنسيق أعمال البحث، فقد تأسست على تقرير قدمه المؤرخ التونسي الراحل عثمان الكعَّاك (حافظ دار الكتب القومية سابقاً) الذي حدد تسع نقاط ينبغي العمل بها، للرفع من وضع الثقافة المغربية، كما عيَّن المواضيع الواجب طرقها، وقد دعي إلى الحضور إلى معرض الكتاب العربي[7]. والحق أنه اقترح وضع دراسة مستوفية عن المناطق الممتدة بين أقصى المغرب ومصر التي فضلت المساهمة في العمل الموسوعي العربي مع الفريق المختص بالقسم الشرقي من الوطن العربي. وتعنى الدراسة المذكورة بالتاريخ والجغرافيا والتراجم على اختلاف أصنافها والآداب العربية والتشريع الاسلامي، وذلك باستغلال الوثائق المنشورة أو المخطوطة الموجودة في أقطار المغرب أو في أقطار المشرق العربي أو في أوروبا، كما يمكن اعتماد الوثائق المودعة في الأحباس، وتم درس الامكانات في هذا الصدد خلال اجتماع عقد في الخزينة العامة في الرباط (١٤/١١/١٩٦٧) التي أودع فيها ما يقرب من ١٠,٠٠٠ مخطوطة بغية دعم الموسوعة المغربية بمخطوطات كانت تحت نظر وزارة الأوقاف. أما التحري عن محتويات مركز التوثيق في باريس، فقد أثبت أن عدة مخطوطات ووثائق ذات أهمية كبرى قد فقدت منه خاصة في ما يتعلق بالقطر المغربي، في حين أن مؤسسات أخرى عديدة تحتوي على نصوص هامة، مثلاً في إيطاليا وتركيا وأوروبا والشرق الأوسط، فتقرر توجيه الباحثين إلى تركيا لضبط قوائم الوثائق والمطالبة بقوائم المخطوطات من الأقطار العربية، والاتصال بمكتبة الأسكوريال في مدريد، وإحصاء المخطوطات في المكتبات العامة والخاصة، وتسجيلها في فهرس بغية استغلالها لفائدة الموسوعة المغربية. وشارك المكتب في ذلك، فحدد خطة عمل تعتمد جمع قوائم الوثائق المصورة وغيرها، الموجودة في البلدان الأجنبية. نجد مثلاً تاريخاً حافلاً للعلاقات التاريخية التي قامت بين أقطار المغرب والولايات المتحدة، وتوجد المخطوطات في مكتبة «الكونغرس» ومكتبة الأمم المتحدة[8]. وتبيّن أنه ينبغي توجيه من يتدرب على التوثيق في مركز باريس المذكور، إضافة إلى الاتصال بمراكز الوثائق الانكليزية الخاصة بالمغرب. وضبطت قائمة من هذا النوع فعلاً، وأرفقت بنصها العربي وقد تضمنت مؤلفات عامة عن المغرب، كانت فيها معلومات تاريخية وجغرافية وبشرية ولغوية وأثرية وإدارية وقضائية واقتصادية، وتألفت من ٣٤٨ كتاباً.

---

(٦) و/ المكتب: رسالة ١٤/٣/١٩٦٧.

(٧) و/ المكتب: رسالة ١٥/١٢/١٩٦٤.

(٨) و/ المكتب: رسالة ٣٢٥، ٣/٥/١٩٦٨.

واشتملت المواضيع في الموسوعة المغربية[9] على جميع النواحي التي وُجدت لها الوثائق الجيدة، ومسحت منطقة تبدأ بالنسبة الى المغرب من المحيط الأطلسي وجبال البرانس (البيرينه)، وشملت مناطق فرنسية وإيطالية تبعاً لما جدّ من فتوحات في العصر الفاطمي. وتعلقت أيضاً بالشخصيات في العصور المختلفة، وتقرر كتابة تراجم تامة مفصلة خاصة بحياتهم وما كان لهم من نشاطات ومؤلفات عن شيوخهم وتلاميذهم. وقدِّر تحرير التراجم من بضعة سطور إلى صفحتين، باستثناء الأسماء الشهيرة مثل ابن خلدون وابن رشد... وتضاف المصادر الى كل ذلك. وتقرر تخصيص مكان لدراسة اللهجات المغربية كاللهجة الأندلسية والليبية. فتعرَّف الكلمة بما يقابلها بالأحرف اللاتينية ويقدَّم المعنى بالشواهد المناسبة، وتُذكر الألفاظ الحضارية بدلالتها اللغوية والعلمية والحضارية، وتحدَّد مواضعها، فتُذكر الأماكن والتضاريس وتوصف وصفاً دقيقاً تُعتمد فيه المصادر، سواء كانت مواضع قديمة أم حديثة، وكذلك الشأن بالنسبة الى أسماء القبائل في العصر البربري والروماني والعصر الحديث، وطبعاً في العصر الاسلامي العربي. ولا مفر من توضيح المصطلحات النحوية بحيث تستخدم مبادىء النحو المقارن والنحو القار والنحو المتطور، كما تُذكر مبادىء علم اللهجات المقارَنة، فينصص على أصل اللهجة في الكلمات، سواء كانت بربرية أو عربية أو فينيقية أو لاتينية أو فارسية... أما «العلوم المغربية»، فينبغي أن تخصص لها أبحاث ترتب على الألفباء، وتعالج فيها التطورات، وتذكر مصادر تراجم العلماء. فمثلاً في التفسير ينبغي تدقيق مفهوم هذا العلم المستهدف شرح القرآن الكريم وفهم معانيه، وإنه نشأ في القرن الثاني الهجري، وإن أول مفسر مغربي كان ابن سلّام القيرواني... وبخصوص المعالم والآثار والفنون المغربية في العصور كافة، فإنه يتأكد وصفها وذكر المصادر حتى بالنسبة إلى الآثار المتداعية، لكن ورد ذكرها في القديم. وطبعاً يشمل هذا العمل الأدب المغربي، فتوصف الأغراض الأدبية وما استعمل من لغات. وأماكن الخلق الأدبي، وأسماء الأدباء... وتستخدم عناصر الأدب المقارن. هذا ويتبين أن الموسوعة المغربية لو تم إنجازها، لاستدعت مشاركة عدد لا يحصى من المختصين وآلاف من المراجع التاريخية في لغات مختلفة وكتب التراجم، والدوريات المتخصصة، والقواميس والموسوعات، وخاصة دائرة المعارف الاسلامية، وكذلك الوثائق المتنوعة التي جردتها لجنة مركزية في المكتب، واستخدمت لذلك عدة لغات منها الفرنسية والانكليزية والاسبانية والالمانية. وقد تيسرت عملية الترتيب بفضل الفهرس الاسلامي لأكسفورد، وهو عبارة عن جرد لـ ٥٠٠ مجلة استشراقية لفترة ١٩٠٥ ـ ١٩٦٥. وتم الاتصال بالمختصين في المكتبات في ألمانيا وإيطاليا. واتسع البحث عن الوثائق إلى عدة عواصم وحتى في الأقطار الافريقية، مثلاً في النيجر حيث تضمنت المكتبة العامة في هذا القطر مخطوطات عن العلاقات بينه وبين أقطار المغرب[10]. وتقرر ترقيم المواضيع لاسترجاعها عند

---

(٩) عثمان الكعاك، «مشروع الموسوعة المغربية،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ١٣٢.

(١٠) «أنباء المكتب الدائم للتعريب،» ص ٦٠٠.

الحاجة والتحري في غيرهـا. كانت للمنهجيـة في الترتيب من المـرونة بحيث أمكن تنميـة مادة المقالات حسب أهمية المـواضيع المـطروقة. مثـلاً، دُرس ابن سينا في فصـل الطب والفلسفـة والفلك، فاستخدمت الرموز المتنوعة بالنسبة الى كل جزء وقع طرقـه. وتحدد ضبط الفهـرس العام بغية إعداده بصورة علمية بحيث يشمل المصادر الفرنسية والانكليزيـة والاسبانيـة. وقد اتصلت لجنة الموسوعة المغربية بالسفارة الاسبانية في الرباط للحصول على المصادر الاسبانيـة، والحصول على إذن بتـوجيه خـبراء من المكتب للاطـلاع على المؤلفـات الخاصـة بالمغـرب[11]. وبإضافة اللغة الألمانية، يمكن استيفاء البحث في كل موضوع يتقرر طرقه، فتعينّ تشكيل لجنة للترجمـة لتعدد المصـادر بعدة لغـات، بما في ذلـك الوثـائق المصورة. هـذا، وكان لـزاماً عـلى المسؤولين تعيين لجنة لمراقبة الأعمال والتنسيق بينهـا. ذلك أن هـذا المشروع يقوم عـلى مبادىء ونظرية تقول بوجوب تخليص الثقافة المغربية وتحديـدها بـوضوح، وذلـك بإحيـائها ومـراجعة قيمهـا والبنى الخاصـة بها، ويتجسـد ذلك في إطـار هذه المـوسوعـة المغربيـة التي تنـدمـج في الموسوعة العربية العامة المقرر وضعها من طرف الجامعة كما أسلفنا. وقـد بدأ العمـل فعلاً في نطاق الموسوعة المغربية منـذ ١٩٦٥، إذ ضبطت عنـاصرها وطـرق العمل والقـائمة الأولى في المصادر العربية وباللغات الأخرى، وكذلك أسماء الخبراء القائمين على مراجعـة الأبحاث التي تقرر نشرها في دورية سنوية حسب تاريخ ورودها. وشملت في بـدايتها أقـطار المغرب ومصر دون السـودان، وامتـدت مسـاحـة العمـل من الاسكنـدريـة حتى المحيط الأطلسي[12]. وفي الجملة، تقرر أن تجمع الموسوعة المغربية ما أُلِّف في النطاق المحلي أو الـوطني المغربي بـاستثناء مصر التي تخلت عن المشاركة ضمن المجموعة المغربية[13]، في حين كان مـرتقباً الاستفـادة من خبرتها في هذا الصدد. وبذلك ستضفي تلك المـوسوعـة دفعاً جـديداً عـلى الأبحاث المغـربية وتفتح لها آفـاقاً أخـرى في مجال البحث عـلى اختلاف مـواده. وبالتنسيق بـين قوائم المصـادر وتيسيرها للباحثين، وبـربط الصلات بـين أجزاء الحضـارة المغربيـة بحيث لا تعمل وحـدات بحثها في زمر منفصلة، سيؤول الجهد إلى إبراز المشروع بصورة توفرت فيها الشروط العلميـة والعملية[14].

١ - شروط المشاركة في الموسوعة المغربية

يختار مؤلف البحث الموضوع الذي يريد تحريره، على أن يقوم المكتب بالتشديد على مـا ينبغي إبرازه، لتأصيل ذلك العمل خاصـة إذا تبين وجـود مخطوطـة لم تستغل قبـل ذلك ومن شأنها أن تجدد الموضوع بنقد ما سبق نشره حديثاً أو أُلِّف قديماً. وتسير لجنة مراجعة الأبحـاث

(١١) المصدر نفسه، ص ٦٠٠.

(١٢) الكعاك، المصدر نفسه، ص ١٢٣.

(١٣) و/ المكتب: رسائل ١٩٦٤/٦/٢٤ و ١٩٦٤/٦/٢٧.

(١٤) «مقابلات مـع شخصيات علميـة، مع الاستـاذ ابن عاشـور،» **اللسان العـربي**، السنـة ٤ (آب/ اغسطس ١٩٦٦)، ص ٣١٤.

على منهج يبدأ على أساس المصادر المستعملة، وتقرر المكافأة التي تسلم الى مؤلفيها على قاعدة الأسعار الدولية. وتتألف هذه اللجنة من جامعيين ومؤرخين ومختصين آخرين، مثلاً المسؤولين عن التوثيق في المكتبات الكبرى. ويتلخص دورها في اقتراح التحسينات والتصحيحات وما ينبغي سده من نقص في المقالات. وتم الاتصال بعدد من المستشرقين من الولايات المتحدة وإسبانيا وبالمهاجرين العرب في أمريكا(١٥). ويشرع في تحرير المقالات حسب فهرس يبدأ بحرف الألف الذي تقرر إنهاؤه لسنة ١٩٦٩. وعلى المشاركين إبداء قرارهم النهائي في خصوص اختيارهم البحث ضمن قائمة أبحاث وضعها المكتب، وقد تضمنت أشهر الأسماء من الأعلام، كما تضمنت أسماء المدن والقرى والقبائل ومواضيع ذات صبغة عامة خاصة بالمغرب الأقصى. وتنطبق هذه المنهجية طبعاً على الأقطار الأخرى، كما وقع الاتصال بمن وافق من الأجانب على المشاركة، مثلاً خصِّص بحث لابن حيّان ولمكتبة الأسكوريال(١٦). والمحتمل أن تسير الموسوعة على نهج دائرة المعارف الاسلامية والموسوعة البريطانية، وقد آل ذلك إلى التنسيق بين الأبحاث لأن عدداً من الباحثين اختاروا الموضوع نفسه، فوقع العمل على إرضاء طلبهم لكن مع تجزئة البحث إلى عدة تفريعات تطلبها، إضافة الى ذلك اختصاص كل فرد من المشاركين. فمثلاً في المقالة عن ابن رشد، تعينّ تقسيمها إلى بحث عن ابن رشد الفيلسوف وابن رشد الطبيب وابن رشد الفقيه. . . بحيث يكتب في شأنه حسب اختصاص كل باحث، فيتمخض عن ذلك دراسة شاملة متكاملة(١٧).

وعلى هذا يحرر المقال بغية تلافي كل النقائص المعروفة في الأبحاث، كالسهو عن نقطة والتوسع في البحث طبق ما ورد من مصادر أخرى لا يمكن الباحث بمفرده الحصول عليها، كالمخطوطات غير المعروفة أو غير المنشورة التي لا تستخرج من المكتبات إلا بإذن. وتقرر أيضاً التعاون مع أقطار أخرى في خصوص الاطلاع على المؤلفات الخاصة بالمغرب العربي، ووضع قوائم المراجع الخاصة بأقطاره، وتوجيه المتدربين إلى فرنسا(١٨). وبذلك يتاح استيفاء تلك القوائم في التراجم والعلوم والآداب والفنون، لأنه لا يعقل اعتماد بيرسون (Pearson) وإغفال بروكلمان (Brockelmann) الذي يُعتبر بمثابة المصدر التقليدي خاصة إنه وضع في طبعة جديدة كتابه G,A,L، كما لا يُقبل التغافل عمّا كُتب من أبحاث في دائرة المعارف الاسلامية بطبعتيها الانكليزية والفرنسية، خاصة إنه شرع منذ ١٩٣٩ في نقلها إلى العربية وبلغ عمل المترجمين إلى حرف التاء سنة ١٩٦٩. والملاحظ أنه وجب توزيع قوائم المؤلفات التي اشتملت على مراجع للدراسات العربية عامة قبل ضبط قائمة الأبحاث والأعلام، إذ من المتوقع أن تكون متضمنة تحليلات عن المغرب وأقطاره يمكن إغفالها إن لم يشر إليها، مثلاً كتاب حاجي خليفة **كشف الظنون**. أما عن قوائم الأعلام، فقد وجب إعطاء الشهرة وإتمامها بالأسماء

---

(١٥) «أنباء المكتب الدائم للتعريب،» ص ٦٠٠.

(١٦) و/ المكتب: رسالة ٣٧٣، ١٩٦٨/٥/١٧.

(١٧) و/ المكتب: رسالة ١٠٦٩، ١٩٦٦/١٢/٥.

(١٨) عبد الرحمن، «مقترحات حول: التصميم العشاري لموسوعة المغرب العربي،» ص ٢٨٩.

والألقاب والكنى طبق الألفباء: المقري يرتب في حرف الميم في حين أن اسمه المكنّى به أحمد بن محمد يجب ترتيبه في حرف الألف، ويرتبط هذا العمل بمراجعة كتب التراجم وكتب الطبقات[19]. هذا، وإن الموسوعة المغربية لا يمكن أن تؤلف إلا نتيجة الجهود القطرية المبذولة لفائدة إنتاج موسوعة محلية. فحتى سنة ١٩٦٩، لم تعدّ الجزائر وليبيا شيئاً في هذا الصدد في حين أن المغرب الأقصى أعدّ قائمة المراجع في أربع لغات واستغلها البّحاثون في حرف الألف. وقد نشرت خاصة المصادر بالإنكليزية والألمانية، ورُتّب إلى فقرات كل علم أو موضوع حضاري، فمثلاً ضبطت قائمة خاصة بابن خلدون ووصفت نشاطاته السياسية والفكرية، وأعدت لفائدة الباحث توضيحات تخص أحد مظاهر حياته[20].

٢ ـ إعداد المعاجم في التراجم

بدأ العمل في اتجاه الانجاز المقرر للموسوعة المغربية بإعداد معجم بالأعلام المغربية، ويكون ذلك بمثابة الإسهام في الأبحاث المخصصة لفهرس أسماء الأشخاص الذي اعتمد على ما نشر من مصادر أو ما كان منها مخطوط وأشارت إليها فهارس المكتبات العالمية. وقد أتيح للمكتب استخدام قوائم المخطوطات التي جردتها المكتبة العامة بالرباط ورتبتها على العصور، وتم ذلك في العربية والفرنسية والانكليزية والألمانية، وكان ذلك منطبقاً على المكتبات الرسمية الأخرى وكذلك ما وجد في المكتبات الخاصة. وضع معجم الأعلام هذا لفائدة أقصى المغرب، وتطلّب أربع سنوات عمل واستلزم إعداد ١٠,٠٠٠ جذاذة احتوت على المراجع وتاريخ كل مؤلف. وقد نشرت مجلة المكتب قائمة أولى لحمل الباحثين على إبداء ملاحظاتهم واستكمال المراجع، خاصة أن تلك القائمة لم تشكل سوى عُشر ما تقرر من أبحاث بالفهرس (حرف الألف)، وليست سوى قاعدة ضرورية لوضع الموسوعة المغربية[21] العمل بقائمة في المراجع عن آلة الموسيقى، شملت ما نشر من أبحاث في الموضوع، وأسماء المؤلفين فيه، وتواريخ تأليف الكتب وقوائم مكتبات المغرب. وقد اتّبع نظام معين في ذكر الأعلام، فأعطي الاسم والشهرة أو اللقب[22] وتاريخ وفاة المؤلفين بالسنة الهجرية والميلادية، والمصادر وقائمة تآليف المترجم له، فذكرت مثلاً ٣٦ كتاباً لابن حزم و٢٦ كتاباً للسان الدين بن الخطيب. ويبدو أن ما ذكره بروكلمان في خصوص ابن حزم لا يمثل سوى الثلث من جملة كتبه. وكنموذج على إعداد التراجم، يمكن ذكر صفات العلاّمة والرحّالة المغربي في القرن السابع

---

(١٩) المصدر نفسه، ص ٢٩٠.

(٢٠) محمد فاضل الجمالي، «العربية بين حماتها وغزاتها،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٣٣.

(٢١) عبد العزيز بنعبدالله، «معجم الأعلام البشرية والحضارية،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ٢٥٩.

(٢٢) انظر: «ابن حزم،» في: المصدر نفسه، ص ٩٣، و«ابن الخطيب،» في: المصدر نفسه، ص ٢٩٨.

عشر أبي سالم العيّاشي[٢٣]. والملاحظ أنه لا يمكن الاقتصار على الترجمة فحسب، بل يضاف إليها بحث في اتجاهات المؤلف عند تنقلاته حتى يستمد من ذلك خاصيات جديدة. ولا فائدة من هذه الأبحاث كلها إن لم تندرج ضمن العلائق التي قامت على الدوام بين أقطار المشرق والمغرب. وما وقع من تبادل العلماء ورحلاتهم وهم في طريق الحج، فكان بعض أعلام المغرب يلتقون صدفة بشيوخ المشرق العربي، وتتلمذ غيرهم على علماء مشارقة ورحلوا إليهم. كان يخرج من المغرب كل سنة وفد رسمي للحج، محمّلاً بالهدايا لملوك مصر والشام والحجاز واليمن. وقد حبس المغاربة في أقطار المشرق مساكن للطلاب المغاربة الخارجين إلى المشرق الذي رحل منه علماء إلى الجناح الاسلامي المغربي، فتقارب الجناحان على أساس التبادل الفكري والتزاور، ونُقل التراث الروحي الشرقي إلى المغرب، فدخل إليه المذهب الحنفي ثم المذهب المالكي الذي ساد أقطاره. وأمكن اليوم إعداد فهرس في الأشخاص من الرحّالين القادمين إلى أقصى المغرب أو الخارجين منه، وذكر ما عبروه من بلدان، والأماكن التي أقاموا بها، والشيوخ الذين درسوا عليهم، وما عاشوه من أحداث، وما أقاموه من علاقات...[٢٤]. كما تم وضع فهرس بأسماء الحِرَف التي بلغ عددها ٢١٨ حِرْفة في مدينة فاس وحدها. وبمراجعة تعريفها الدقيق المحدد لأسمائها، يلاحظ بعض التطور الطارىء على قيمتها الدلالية المتفقة في الفصحى والعامية: قزاديري من قصدير، كوّاي من كوّى، ويعني قديماً حرفة من كان يلحم أجزاء الآنية المتكسرة، مواكني في المغرب وساعاتي في المشرق. ووضع أيضاً معجم لأشهر النساء في التاريخ[٢٥]، وأعمالهن في محيط الأمير سواء كن من الأميرات أو من علية القوم، وما اشتهرن به في السياسة والعلم والتدريس. فمثلاً أنشأت فاطمة أم البنين بنت محمد بن عبدالله الفهري جامع القرويين في فاس (٢٤٥/٨٥٩)، وقد جاءت من القيروان. وتضمّن هذا المعجم أشهر الأعلام في افريقية للمقارنة بنسائها اللائي لم يبلغن المستوى الثقافي والعلمي الذي كان لنساء المشرق. فمثلاً كانت عائشة أم المؤمنين قد عملت على تصحيح أخطاء بعض الصحابة الذين رووا الحديث. وفي هذا الباب، قال إبن رشد مشيراً إلى كتاب أفلاطون **الجمهورية**، إن وضع المرأة في المشرق كان صعباً إذ لم تتمكن من إبراز ملكاتها على الوجه الأكمل[٢٦]. ويضاف إلى هذه المباحث القيام بتأريخ الأماكن المغربية (بعد أن اتفق على ذلك في اجتماع تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٩) بمساعدة السلطات المحلية في المغرب الأقصى[٢٧]. ويشمل التحليل المظهر التاريخي على مستوى المدن والقرى، كما يشمل المظهر الجغرافي والاقتصادي والبشري (مشاهير القوم)، والمظاهر الحضارية والفكرية والادارية المتنوعة.

---

(٢٣) محمد الأخضر، «العياشي أبو سالم،» في: المصدر نفسه، ص ٣٠٧.
(٢٤) المصدر نفسه، ص ٢٤٣ ـ ٢٦٥.
(٢٥) عبد العزيز بنعبدالله، «معجم أعلام النساء بالمغرب الأقصى،» ص ٣٢٠ و٣٢٧.
(٢٦) «مقدمة معجم المعاني،» ص ٣٢٧.
(٢٧) المصدر نفسه، ص ٣٢٨.

٣ - الأبحاث في الحضارة المغربية

لقد وقع العدول عن الاستمرار في إعداد الموسوعة المغربية بداية من ١٩٧١، لكن مجلة المكتب تمادت بإشراف مديرها في نشر مقالات عن الحضارة خاصة في المغرب الأقصى، ونشرت فهارس أو معاجم حضارية تاريخية (مثلاً عن علماء الرياضيات والأطباء)[٢٨]، ارتباطاً بقضية التعريب الفكري الحضاري الذي لا يمكن أن يبقى مقتصراً في الوقت الحاضر على التعريب الاصطلاحي والوضع المعجمي، إذ لا بد من النظر إلى القضية التعريبية نظرة شاملة تكتسي أبعاداً حضارية واضحة المعالم. وبهذا المفهوم يمكن اعتبار ما نجنيه من فوائد من تراث الحضارة العربية الإسلامية بمثابة الزاد المغذي لمواصلة السير على درب النهضة الشاملة، خاصة أنه يمكن القول إن أغلب القيم الحضارية البشرية متأصلة في الشرق القديم، وإن الحضارة المغربية تندرج ضمن ذلك الإطار الكوني، وضمن ما تتابع من حضارات قبل الإسلام على الأرض المغربية من أدناها إلى أقصاها. فلا مجال لإغفال التراث الفينيقي والروماني والبيزنطي، ولو ان ذلك لم يترك آثاراً عميقة في البربر الذين كانوا من أصل آسيوي غير افريقي وعاشوا دورة الحضارة الزراعية، بجوار العرب الكنعانيين الذين انسجموا معهم في المبادىء نفسها والمشاعر ذاتها، مما يّسر الالتحام بين الجنسين بعد الفتح العربي وازدهار حضارة جديدة لمعت خلالها أسماء عظيمة، كالإدريسي وابن بطوطة وابن خلدون والحاتمي وابن رشد الذي اكتشف الدورة الدموية الكبرى، وابن الخطيب وابن حزم وابن طفيل. . . وأسرة ابن زهر وما استنبطوه من نتائج إيجابية خاصة بتجريب أدوية جديدة. فاكتشف ابنهم الأمراض الصدرية والجهاز الهضمي، وقدّر أنه استبدل الطريقة التقليدية في الطب بطريقة تجريبية منطقية آلت إلى تصنيف الدراسات الطبية في ثلاثة أبواب (الصيدلة، الجراحة، الطب العام). ولا شك ان الحضارة بالمغرب الأقصى قد تطورت ضمن الحضارة العربية الإسلامية وعلى النمط الشرقي الذي وقع احياؤه بالأندلس في عصر الأمويين، عملاً بمعطيات جديدة راجعة إلى المحيط الجغرافي وما كان من تفاعل بين المغرب والأندلس دام ثلاثة قرون، من العصر المرابطي إلى العصر المريني. وقد انتقل التيار الحضاري من قرطبة بعد نزوح الأندلسيين إلى فاس ومراكش، بداية من القرن السابع هـ/ الثالث عشر. م. وتمادى في العصر السعدي، فنشأ عنه حياة أدبية وعلمية مزدهرة. وما ينبغي إبرازه في هذه الثمرة لفائدة النهضة الحديثة هو المنهجية العلمية والتقنية التي خدمت النهضة الأوروبية وآلت إلى ظهور حضارة جديدة، وكان ذلك لما أنجز من فوائد عن العلم العربي الذي نقل منه ٧٦ تأليفاً إلى اللاتينية. وقد ساهم المغرب الأقصى في ذلك الازدهار عن طريق مكتشفات جدّت في ميادين مختلفة. كما أن التطور العلمي كان لامعاً في الأندلس: برز ابن جُلجُل في الطب والزهراوي في الجراحة التي وضع أسسها العلمية التجريبية التي اعتمدت الأدوات. وفي هذا القرن بالذات نشأت في فاس مدرسة طبية، وامتدت هذه النهضة حتى القرن السابع الهجري، حيث

---

(٢٨) محمد ابراهيم الكتاني، «الكتاب العربي وقيمته بالمغرب،» **اللسان العربي**، السنة ٣ (آب/ اغسطس ١٩٦٥)، ص ١٨٤.

عرفت البلاد حرية فكرية لا مثيل لها تجسمت في الطب والصيدلة، وهما العلمان اللذان تدعّما بالمعرفة القادمة من الأندلس وقادها فريق من العلماء عملوا على تنمية الدراسات الطبية والفلسفية. . . وفي آخر الفترة المرينية، بدأت الحركة في التراجع في المغرب بعد سقوط غرناطة في نهاية القرن التاسع هـ/ الخامس عشر م، فتضاءل عدد العلماء. لكن لم ينقطع سيل المعرفة إذ إن الغساني أتى بترتيب جديد في النبات حسّن من تصنيفات الشرق في مجال الطب والصيدلة، فوضعت مصطلحات طبية جديدة. أما في الرياضيات، فقد بدا أن الأبحاث العربية اقتصرت على المكاسب اليونانية في هذا العلم. لكن ما أعده من قبل العلماء العرب ساعد على التعريف الدقيق بالخطوط المماسة والحلول لبعض المشاكل بواسطة حساب المثلثات، وتطبيق الجبر على حساب المثلثات والهندسة، كما ساعدت أعمال الخوارزمي (التي شرع في نشرها بداية من ١٨٣٦) المتعلقة بمعادلات الدرجة الثانية وتطبيقاتها على علم الفلك، العلماء المغاربة على المساهمة العملية في الأعمال العمرانية، مثلاً ما أدخل من تحويرات في أشبيلية في القرن الرابع هـ/ التاسع م، شارك فيها ما يقرب من ١٣٠ من العارفين بالهندسة المعمارية والفلكيين والرياضيين من المغرب. وفي علم الجغرافيا، لم يطرأ تقدم منذ بطليموس، إلى أن جاء الإدريسي وصحح ما ارتكبه العالم اليوناني من أخطاء، فوضع خريطة العالم. وأثّر كل هذا النشاط العلمي في الحياة الاقتصادية التي توحدت بين المغرب والأندلس وتجسمت في إنشاء مصانع الزجاج بفضل ما اكُتشف من طريقة لصنعه، كانت من ابتكار عباس بن فرناس. وظهرت مصانع الورق في العصر الموحدي، وخدمة المعادن، فآل ذلك إلى تنمية المبادلات التجارية مع أوروبا التي بدأت تطلّع على الطريقة التجريبية في اللغة العربية. وأسهم المغرب في نشأة الزبيدي الذي درس علي شيخ مغربي هو أبي عبدالله الفاسي (توفي في ١١٧٠ هـ/ ١٧٥٧ م) وألّف **تاج العروس**، وتمثّل إسهامه أيضاً في تزويد العربية بمفردات متنوعة جذورها عربية. وعلى هذه القاعدة، ينبغي تركيز الحضارة العربية واعتبارها متمخضة لا عن مواجهة بين المشرق والمغرب، بل ككيان له مظهران متكاملان، يمكنه السمو من المفهوم العلمي المحلي إلى التصور الإنساني الشامل. فبفضل الاتصالات المتنوعة التي تشابكت في العهد الوسيط، نما تبادل العلماء والرأي؛ فقد ذكر ابن خلدون ما اتسم به المشرق العربي من روح التقليد، في حين أن روح التجديد سادت المغرب. وإن أقصى المغرب الذي حافظ وحده على كيان مستقل بعد سنة ١٢٥٠، وكان يحتل موقع المفرق بالأرض الافريقية، أمكنه الإشعاع حتى بلاد النيجر، بفضل القوة الروحية الموجودة في الثقافة العربية الإسلامية. وكان للقطر المغربي في العصر المريني أعظم أسطول في البحر المتوسط (٦٠٠ سفينة)، وقد تبلورت هذه القوة في حضارته بمظهر الاشعاع الفكري والتأثير الاقتصادي. ولعل الحضارة المغربية التي اقتصر إشعاعها في القرن السادس عشر على حوض البحر المتوسط، قد دخلت أمريكا اللاتينية مع دخول البرتغاليين، وقد كانوا حملة الحضارة الأندلسية الواضحة معالمها في البرازيل مثلاً، في العمارة واللباس واللغة الاقتصادية والزراعية(٢٩).

---

(٢٩) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ١، ص ١٠٢ - ١١٧.

وبمثل هذه الأبحاث التي تستهدف استكناه الأوضاع القديمة للحضارة المغربية، كان في الإمكان إضفاء طابع غير مألوف على محتوى الموسوعة المغربية لو انه تقرر تحقيقها بصورة فعلية ولم تكن مجرد مشروع مسطر دون تنفيذ. وفي هذا النطاق، يمكن أن تكون الموسيقى موضوعاً لعمل تحليلي حضاري[٣٠]. ذلك أنها تشكّل لغة الروح وظاهرة فنية وعلمية أيضاً، ويمكن أن تقوم بدور هام في تكوين الشخصية عند الطفل والمراهق، وهذا ما يبرر وجودها في مقرر الدراسة. فهي صالحة لتأدية المشاعر بصورة لا يمكن مقارنتها بمنطوق الكلام. فقد كان علي درويش (١٨٨٤ ـ ١٩٥٢) رمزاً للموسيقى العربية المعاصرة. ولد في حلب، وعاش في مصر. فكان يتنقل بين التكايا (في العصر العثماني، كانت عبارة عن ملاجىء للمرضى والعجّز) حيث كانت تقام الفواصل الموسيقية لطريقة المولوية كل مساء. وهناك تعلّم المبادىء الأولى إضافة إلى دروسه الدينية وتعلّمه اللغة التركية. وقد عينَ على رأس الموسيقيين في إحدى التكايا، فكانت فرصة للتعمق في دراسة الموسيقى العربية والتركية. ورحل إلى استنبول استكمالاً لمعلوماته وعينَ أستاذاً للموسيقى، وعاد إلى حلب، فقام بأبحاث حول التراث الموسيقي العربي في الموشحات، وكتب ترقيمها، وألّف كتاباً لتعليم الموسيقى. ومن سنة ١٩٢٧ إلى سنة ١٩٣١، سافر إلى مصر لتدريس الموسيقى وتعرّف إلى المستشرق الانكليزي البارون درلنجي الذي دعاه إلى مساعدته في أعماله عن الموسيقى العربية، ودام ذلك حتى سنة ١٩٣٩. فكان يرافق البارون في رحلاته إلى شمال افريقيا، بحثاً عن المقامات الأندلسية. وقد شارك في أول مؤتمر للموسيقى العربية عقد في القاهرة في ١٩٣٢، وأثمرت مجهوداته إذ تمكّن من جمع ١٤ نوبة قديمة أندلسية، وتعني النوبة في الفصحى أن يعزف كل موسيقي القطعة على آلته بمحضر الخليفة. وأضاف إليها عشرين تتمة وكثيراً من الموشحات التي اشتهرت في الأندلس. وبهذه الطريقة يمكن إحياء التراث الموسيقي في مختلف أجزائه، كجزء من التراث الحضاري العربي الشامل، ويفيد أيضاً في تعريف أعلام الموسيقى العربية قديمها وحديثها، ويتم ذلك في سياق العلاقات الثقافية العروبية. أفلا يكون ذلك من المساعِدات على الحركة التعريبية الحضارية التي تمتد إلى النشاطات كافة، وتبرزها بغية العمل على إحياء القيم الثقافية العربية وسد الفراغات في التأليف الاحيائي الذي يمكّن الشباب خاصة من الاطلاع على المظاهر الحضارية واطوارها كما جدّت في التاريخ العربي الإسلامي؟ ومن الواضح أن الكتابة عن أحد مشاهير العاملين في الحقل الموسيقي العربي الذين كانوا من المجددين من شأنه أن يتيح ظهور الاستعداد الشبابي المغربي على هذا الصعيد، لكي يعمل على معالجة التراث الموسيقي الأندلسي الذي تجدر المحافظة عليه وإنماؤه، لأنه يشكل قطعة من التاريخ الحضاري الذي نزح من الأندلس وتسلمته الأقطار المغربية لترعاه وتضيف إليه. والموسيقى الأندلسية التي هي موسيقى أداء أكثر من أن تكون موسيقى سماع تستحق أن يُنقَّب

---

(٣٠) ابراهيم الدرويش المصري، «الموسيقى لغة الروح،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٢٦٦ ـ ٢٧٠.

في تاريخها ويُشرَح مضمونها حتى تفتح آفاقاً جديدة للموسيقى العربية[٣١]. فهي من أصل عربي مغربي، وقد ظهرت في بلاد ما بين النهرين، وتأثرت بالموسيقى الفارسية والبيزنطية، ثم رحلت إلى الأندلس على يد مولى أسود كان تلميذاً لإسحاق الموصلي الذي علّمه جميع أصنافها ثم ألزمه بالرحيل عن بغداد بعدما قدمه إلى الخليفة هارون الرشيد ومعه عود كان قد أضاف اليه وتراً حريرياً خامساً، نعني مطرب بغداد، زرياب[٣٢] الذي تجاهله مؤلف كتاب الأغاني، وقد رحل زرياب (توفي سنة ٨٥٢/٢٣٨) إلى مصر ثم تونس. وما سمع عن الترحاب الذي يلاقيه الفنان القادم من الشرق شجعه على الرحيل إلى الأندلس حيث استقبله الأمير عبد الرحمن بن الحكم في قرطبة التي اعترفت بمواهبه الأدبية والفنية. وقد أنشأ زرياب فيها معهداً للموسيقى واختار أحسن الأصوات في هذه الحاضرة، وعمل على تمرين المطربين الشبان، وعوّدهم على الأخلاق الدمثة والتلحين الجيد، فانتشرت طريقته في إشبيلية والمغرب وباقي بلاد المغرب. وقد اتقن الفن الموسيقي، وكذلك الشعر والفلك. وكان تأثيره في المجتمع الأندلسي حاسماً، في اللباس والطبخ والطيب. . . ، فاستقرت عادات جديدة في الحضارة الأندلسية. وقد تأثر بدوره بالحضارة المغربية وتفاعلت معه الموسيقى الدينية عند النصارى. ومن البديهي أنه فُقِدت عدة موشحات من تأليفه، لأنها لم تقم على بنية لغوية تسمح بحفظها من جيل إلى آخر، ونظراً الى فقدان الكتابة الموسيقية المرقمة. والواقع أن الموشحات يمكن أن تكون نصوصاً شعرية بالعربية الفصحى وقع تلحينها (كالقصائد المتزاوجة أبياتها، المثاني)، أو بالعاميّة من الزجل. وفي المغرب ولعَ الناس كبير بسماع الغرناطي (إنشاد غرناطة) في الجزائر، والمألوف في تونس، والملحون في المغرب، وكلها أغراض من الموسيقى الأندلسية تكيفت في هذه الأقطار. وهي موسيقى لها ايقاعات فريدة، بفضل استخدام الآلات. وقد اعترف الاختصاصيون كالبارون درلنجي بقيمة هذه الموسيقى في حد ذاتها، لكن يبدو أن تحليلهم لم يبدأ من الداخل، بل إنهم اعتمدوا محصولهم من الموسيقى الغربية أو تآليف الفارابي، في حين أنه كان ينبغي النفاذ إليها ومحاولة إدراك كنهها الباطن الصادر عن القطعة المسموعة. وليس ذلك بالأمر الغريب لأن المغاربة أنفسهم ورثة الفن الأندلسي لم يصلوا حتى إلى كشف تلونات الفن الأندلسي. ذلك أن السماع المتيقظ وحده يسمح بالتروي من المعنى الذي يحاول أحد المقامات التعبير عنه. من ذلك ان مقام العشاق يدل على الاندفاع نحو الحياة ومعه الابتهاج والنشاط الفياض، وكذلك التفتح على الغير كما ينبع الماء من العين. أما مقام المشرقي فهو عنوان اللطف والظرف والجمال، في حين أن مقام الأصبهان يحث على الصداقة والأمل والعفو، وأنواع التوسل والعطف كافة. ويشير مقام الرصد إلى الكبرياء والاعتزاز. . . وتوجد طبعاً فروق أخرى عبّرت عنها مقامات مناسبة هي جزء من الموسيقى الأندلسية، رغم ما اندثر من مصادر هذه الموسيقى. وجوهر القول إنه ينبغي إيقاظ

---

(٣١) محمد الفاسي، «الذوق العربي في الموسيقى الأندلسية،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٢٩٢ ـ ٣٠١.

(٣٢) سعيد الديوجي، «لغة الموسيقى كأداة للتعبير الفني: زرياب المتوفى سنة ٢٣٨ هـ،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٢٢٢ ـ ٢٣٠.

اهتمام الشباب بهذه الموسيقى وتحليل لحمة المشاعر التي يثيرها في أنفسهم كل مقام حتى يقع تنمية الثقافة الموسيقية لديهم واكتشاف مواهبهم. وقد انطلقت الموسيقى الأندلسية حقاً لما بلغت الحضارة الأندلسية الذروة، تلك الحضارة التي كثيراً ما دار الحديث عن مباهجها واعتهاد أحسن من أرّخ لها[٣٣]. وقد اقتضى واجب التعريب بها الحديث عن العلماء والكتّاب الذين ساهموا في ظهور الأدب في العهد الوسيط وبلغوا به أوروبا، فتأثرت هذه بأسلوب اتصف بثراء معانيه، وأمكنها بذلك التخلص من المواد الجامدة التي ضيقت عليها، لولا ما ألّفه ابن حزم، والشاعر ابن زيدون (١٠٠٣ ـ ١٠٧١)، والشاعرة ولّادة (توفيت سنة ١٠٨٧). وكلهم أثّروا في الشعر الاسباني، فظهرت القصائد الشعبية بلغة قشتالة، وكذلك أناشيد الشعراء الجوالين في جنوب فرنسا. وفي القرن الثاني عشر بالذات، قامت صناعة الورق في إسبانيا ثم في إيطاليا (حوالى ١٢٧٠)، فازدهرت حركة نشر الكتب وأُنشئت المكتبات. وبذلك أمكن التعريف بالمعارف الكبرى التي عاشتها الحضارة الأندلسية، فوجدت مؤلفات قيّمة نشّطت بدورها الحياة الثقافية، رغم ما بدأ يدب من وهن منذ القرن الخامس هـ/ الحادي عشر. فصارت الأندلس بعد ذلك رمزاً للجنة المفقودة، وظهرت أعمال البطولة والفروسية التي جسّمها عند النصارى الكمبيادور في الاسبانية القديمة، يعني البطل في اللغة الأندلسية، أو صاحب الفحص، وهو أيضاً السيد[٣٤]، الذي تبدى في مظهر حامي حمى بني هود بسرقسطة، ثم فاتح بلنسية. وقد هاجرت ٨٠٠٠ أسرة من قرطبة إلى فاس، وكان في هذه المدينة ٣٠٠ أسرة قدمت من القيروان[٣٥]. ومهما اكتسبت هذه الهجرة من أهمية عددية، فإن تأثيرها في المغرب لا ينكر، وقد تجسم ذلك التأثير في العمارة والفن الأندلسي المغربي الذي كان طابعه مبدأ من مبادىء العمل الذي كان ينبغي إبرازه في مشروع الموسوعة المغربية. وقد دار الحديث في هذا الموضوع في ندوة فلورانسا (١٤ ـ ١٦ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٧٢) التي كان موضوعها الحضارة المغربية، وتحدث عنها مدير المكتب مبرزاً وضعها في نطاق الحضارة والثقافة الافريقية وفي حوض البحر المتوسط، وكذلك مساهمتها في حضارة العالم الحديث[٣٦]. لقد كان الحوض الشرقي من البحر المتوسط بحراً «عربياً» في العهد الوسيط امتد إلى السواحل المغربية المتحدة تحت راية الموحدين. وتمكّن أقصى المغرب من المحافظة على ذاتيته ووحدته السياسية، وكانت رغبته دائماً الانضمام إلى المشرق[٣٧] رغم انه تحتم عليه قبول اختيارات أخرى فرضتها الجغرافيا، فكان عليه الاتجاه إلى افريقيا والشرق وحياض البحر

---

(٣٣) و/ المكتب، حصة إذاعية، ٢٠/٦/١٩٦٤.

(٣٤) زكي المحاسني، «من مآسي الفردوس،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٦.

(٣٥) Reinhart Dozy, *Histoire des musulmans d'Espagne,* vol. 1 (1932), p. 301.

(٣٦) عبد العزيز بنعبدالله، «الفن المغربي تعبير رائع عن مدارك الأجيال،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٢٤٠.

(٣٧) **Abdel Aziz Benabdallah, «Aspect andalou-maghrébin de la civilisation arabe,»** **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص XX-VII.

المتوسط والمحيط الأطلسي الذي مكّنه من ألاّ يبقى منعزلاً، فمنحه واجهة أطلسية خوّلته ربط علاقات من كل قبيل بأقطار بعيدة في أوروبا منذ القرن السابع عشر، منها السويد والدانمارك. ولا خلاف في أن الحضارة الأندلسية نفذت أيضاً إلى أمريكا الوسطى واللاتينية عن طريق الغزاة الإسبان. ويعسر لا محالة تحليل هذه الظاهرة الحضارية لأن المؤرخين القدامى تعلقوا بسرد أحداث السياسة والحرب أكثر مما تعلقوا بالتعرض لتحليل الوقائع الحضارية. أما عن القطر المغربي، فقد سيّر البلاد بدوافع روحية انبعثت منها أعمال التضامن مع المحتاجين، التي تجسمت في الأحباس كما تبيّن من مراجعة السجلات الخاصة بها التي أكدت أن المؤسسات الدينية والاجتماعية استفادت من الأراضي والعقارات الموقفة لمنفعة المعوزين والطلاب والمرضى. وكانت مدارس الطلاب خاصة محل عناية كبرى، فزوّدت بأموال من نوع معيّن إذ حددت المساجد قراءة تفاسير القرآن الكريم وحلقات دروس لهذا العلم، كما منحت الأسر الفقيرة والمحرومة مساعدات. وخصّصت في فاس وحدها أموال عظيمة لكثرة مساجدها (٧٨٥) وكان فيها ٤٢ مفأة و٤٣ حماماً[٣٨]. وتمثلت هذه المساعدة أيضاً في إنشاء المارستانات ودور العجزة. ذلك أن بلاط الموحدين لم ينفكّ منذ القرن الحادي عشر يستقبل الأطباء الأندلسيين منهم ابن زهر الذي حلل كما هو معلوم، جهاز الدورة الدموية عند الإنسان، أو مثل ابن طفيل أو أسرة بني زهر. لا شك أن علمهم من نوع الطب التجريبي، لكن تبينت نجاعته وازدهاره، وعمّ ذلك ميادين أخرى من معارف العهد الوسيط، لتكاثر المكتبات التي أنشأها الأمراء الموحدون. وقد أكد ماسينيون (Massignon) هذا الأمر لأن الطريقة العلمية انطلقت في الحضارة الغربية باللغة العربية وبفضلها[٣٩].
وتجسم ذلك في العلوم الأخرى، في الجغرافيا، مثلاً، والرحلات كالتي قام بها الإدريسي (ولد في سبتة في ١١٠٠) مؤلف «نزهة المشتاق» لفائدة ملك النورمان على صقلية روجر الثاني[٤٠].
وقد اعتبر المستشرق الايطالي آماري في كتابه **تاريخ المسلمين في صقلية** انه يحتل المرتبة الأولى في التآليف الجغرافية بالنسبة إلى العهد الوسيط[٤١]. ورحل عالم آخر هو ابن بطوطة (ولد في طنجة سنة ١٣٠٤)، وتلاه حسن الوزان (ليون الافريقي) الذي اعتبر كتابه في الرحلات ووصفها التأليف المنطقي الوحيد الأصيل الذي نُشر في أوروبا في القرن السادس عشر بخصوص الجغرافيا في أقصى المغرب، وبقي طيلة ثلاثة قرون المصدر الوحيد في ذلك أو يكاد[٤٢]، إذ إن مثل هذه الكتب يشكل المنبع الفريد للإطلاع على مناحي الجغرافيا الإنسانية القديمة.

---

(٣٨) بنعبدالله، «الفن المغربي تعبير رائع عن مدارك الأجيال،» ص ٢٨.
(٣٩) Benabdallah, Ibid., pp. vii-xx.
(٤٠) George Kirk, «A Building Surviving for the Islamic Period in Sicily,» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص xxi.
(٤١) Benabdallah, Ibid., p. xiv.
(٤٢) Louis Massignon, *Le Maroc dans les premières années du XVIe siècle.*

وقـد تأثـر الفن المغربي أيضـاً، وقبل كـل شيء، بالفن الأنـدلسي ثم المشرقي (الـتركي والفارسي) بمرتبة أقل. وهو يتطور الآن بدفع من وجهة شمولية تركزت في الجمع بين عناصره القديمة والحديثة. إن هذه الشمولية بين الفن الأنـدلسي والفن العربي المغـربي موجـودة أصلاً ودون شك في ما جدّ من التحام بين اللغة والفن العربي[٤٣]. ذلك أن المظهر الجمالي في الكلمة لا ينكر، كما أن ذلك موجود في الشيء الذي صنعـه الفن، حتى أن الفنون كـالعمارة والـرسم والنحت والموسيقى اعتبرت بمثابة التعبيرات الشعريـة التي تنوعت مـظاهرهـا، إضافـة إلى أن الوحدة الفنية موجودة في اللغة. وإذا ما حصل تفكـك في البنية، فـذلك لأن الفن العـربي لم يتـطور في إطـاره الأصـلي الأصيـل، بـل ارتبط مؤقتـاً بـأنمـاط عـابـرة لا تمت بصلة إلى الفن العربي[٤٤]. فالفن العـربي مزيـج من الفن الشرقي والفن الخاص بكـل قطر إسـلامي؛ فمثلاً وجد الزخرف الهندسي قبـل الفتح الإسـلامي، وظهر في الفن القبـطي والبربـري. وقد كـان الأغالبة في القيروان أول من عمل على إدخال الفن الشرقي إلى افريقيا، فجددوا أساليبه وبرز ذلك في جامـع عقبة بن نـافع في القـيروان الذي شـابه جـامعي دمشق والقاهـرة. وفي أقصى المغرب، جسمت فاس الحاضرة (أنشأهـا مولاي ادريس سنـة ١٩٢ هـ/ ٨٠٨ م) التي تم بها صهـر الفن المعماري الشرقي والمغـربي. ويوجـد مثلاً تقـارب بين الأسلوب المغـربي والمصري الفاطمي في النمط الهندسي والنحتي. كما اقتربت الأنماط المصرية والشـامية من النمط المغـربي مبتعـدة عن الأسلوب العـراقي. وإذا عـدنـا إلى عصر مـا قبـل التـاريـخ في المغـرب، عصر الكهوف، أي العصر البرونزي، فإن ما يلفت النظر هو المناظر عن الطبيعة التي تلتها فترة من رسـوم الحيوانـات، فقد وُجـد مـا يقـرب من ٣٥٠٠ نقش حيـواني عـلى الصخـور في جبـال الأطلس. ثم بدأ البربر يسكنون تحت الخيـام والتجمع داخـل القرى («القصـور» التي بدأت تشيَّـد لها الحصـون منذ فجـر التاريـخ)، فاتخـذ فنهم طابـع أشغال أهـالي الجبال والبـاديـة، واستوحى أشكاله من الهندسة والمشاهد الطبيعية، متخلياً عن الأشكال المنحنية المقوسة، وتميز الفن المغربي أيضاً بالطابع الفينيقي، مثلاً في خـدمة المعـادن والجلود والخزف الـذي شابـه ما يوجد منه في اسبانيا، والأصباغ والنسيج والأدوات الزراعية وآلات الملاحـة. ووقع التسـاؤل عن إمكانية تأثير قرطاجة بحيث أعدت العدة بفضل اللغـة الفينيقية، للغـة العربيـة التي وقع استيعابها بيسر منذ حلول الفتح العربي في المغرب، رغم أن بقاء الآثار الـرومانيـة في حواضر عدة استمر حتى القرن الخامس بعد الميلاد. ذلك أن البربـر خضعوا منـذ الفي سنة لتـأثيرات عدة أتت مع قرطاجة وروما والـواندال وبيـزنطة والعـرب. وما يلفت النـظر في رسوم فنهم، الأشكال الهندسية الدائمة (المربعات المتعانقة، الأشكال الخماسية. . .) مع أنه وقع التأكيد ان الفن البربري بدوي عائلي وحتى نسائي، فلا علاقة له بـالفن الإسلامي حسب هـذا الزعم. لكن عناصره المشكلة له تدل على وجود قيم فنية بدوية اقتبسها عن مثيلاتها العربية، فتحولت تلك المظاهر من حالة الترحل والنـزوح إلى حالـة من الاستقرار المثـالي. ولما أتـاحت الظروف

---

(٤٣) عفيف بهنسي، «الوحدة القومية من خلال اللغة والفن،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانـون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٧.

(٤٤) المصدر نفسه، ص ٢٢٨.

الجغرافية والمناخية والاقتصادية وغيرها التحولات، وجدنا السكن البربري يتحول من النموذج البدائي كثيراً إلى وضع البيت المسطح. ويبدو ان هذه الهندسة قابلة لأن تقارَن مع الهندسة المصرية في العصور الفرعونية. وقبل الفتح الإسلامي، تفوقت المؤثرات اليونانية الرومانية وتمثلت في الأقواس والأعمدة والحمّامات والجسور والقنوات والحنايا. . . وكانت واضحة في التماثيل الرخامية والبرونزية، فساعد ذلك على إثراء أنماط التعبير الفني. وتميز الفن البربري بسذاجته وصبغته الريفية، فلم يشبه في شيء الفن الحضري الذي تفوّق فيه الفن الإسلامي، وإن اتحدت الأساليب في الزخرف ووسائل نقش الحجر، فلم يعد الأمر كذلك في الأشكال الهندسية التي تغيرت من جهة إلى أخرى. وبظهور الإسلام في المغرب، كانت القيروان مركزاً لإشعاع الفن الإسلامي الذي تكيف في هذه الناحية معتمداً مبادىء الهندسة ليجد أنماطاً زخرفية ليست تشخيصاً للبشر. وخلفت فاس عاصمة الأغالبة بفضل ما أبداه مولاي إدريس الثاني من عناية، وتألقت حضارتها، حتى أن أمراء كثيرين حاولوا إنشاء مدن أخرى على شاكلتها. وتم التحام جديد للعلائق بين البربر والأندلسيين عندما استنجد أمير أشبيلية بقائد دولة المرابطين يوسف بن تاشفين. ومما ترتب على ذلك أن الفن الأندلسي احتل المكانة الأولى في المغرب، فصارت التجديدات المعمارية وفيرة، وتجسدت، مثلاً، في رفع الأسوار المحيطة بالمدن. وفي الجملة يبدو أن المرابطين استعانوا في آن واحد بالصناع من الصحراء والمهندسين الأندلسيين للقيام بأشغال كبرى، كمحراب تلمسان ومباهج جامع القرويين، فدل ذلك على أنهم أفادوا من الفن الأندلسي دون تشويهه. أما دولة الموحدين فقد طبعت هذا الفن بطابع خاص، وحسّنته وزادت فيه، فخلفت بذلك من سبقها وساهمت في توحيد عناصر الفن الإسلامي في المغرب. فقد تجسدت العمارة الموحدية في جامع الكتبية في مراكش ومنبره الشهير، وبرج حسن في الرباط، ومرصد إشبيلية، وقصبة الأوداية في الرباط. ولعل منبر الكتبية كان أحسن المنابر في المغرب، وربما في العالم الإسلامي. وفي خصوص قصبة الرباط، فقد شيّدها الموحدون، وقد تميزت بهندسة ذات طابع عسكري، لكن أبوابها لم تخصص للدفاع بل لحماية المدينة، فشكلت مداخل عادية لقصر أحيط بالأسوار. ومن جهة أخرى، لم تكون وفرة القباب لندرة الأخشاب الخاصة بل كانت دعامات للأقواس. كانت الأشكال المنحوتة متشعبة واضحة منوعة في آن واحد، وذلك من أوصاف الفن الموحدي الذي كان أقل كثافة وغزارة من الفن المريني الذي انشغل بتشييد المدارس التي كانت أيضاً رباطات، كما شيّد المساجد والزوايا المقببة والفنادق والمدارس الفخمة التي كانت رد فعل على النشاطات الدينية التي قام بها الموحدون، ذلك أن المرينيين اتفقوا مع الصوفيين على الدفاع عن مذهب السنة. وشكل المدرسة المرينية شبيه بالمسجد والبيت المخصص للطلبة. كما أن المباني الاجتماعية شيدت لفائدة المعوزين كالمارستانات والملاجىء والمساكن والميضآت والحنايا. وتم ذلك بفضل التعاون والانسجام القائم بين الفنان الأندلسي ومتانة البناء الذي تعلّق به الفنان المغربي. وقد كان الفن في العصر المريني حضرياً أندلسياً، خاصة في فاس التي خلفت مراكش في هذا المضمار. لكن الفن الأندلسي الظريف الرقيق بدأ يفقد من تألقه لأن شاغل السعديين الأكبر تمثّل في محاربة البرتغاليين قبل كل شيء. فكان الفن يعيش في الماضي خاصة، مع وجود علائق بين الفن التركي والفن الإسلامي في التطريز والنسيج والتسفير

بالجلد والتذهيب والأزياء. لقد فقد الفن المغربي الكثير من بساطته وتألق في تنوعه خلال ذلك العصر. وفي العصر العلوي، ظهر إلى جانب الهندسة الرسمية في المساجد والمباني العسكرية، الاهتمام الواضح بتشييد المساكن. فقد كان الفن الموحدي المقتبس عن الفن الأندلسي يشيد المنازل المحاطة باحتها بالأعمدة التي يمكن أن تتألف من دورين أو أكثر، وذلك في العصر المريني، لكن لوحظ تعطيل في تطور الأسلوب الهندسي في العصر العلوي الذي اقتصر على النماذج المعمارية التقليدية. ولا شك أنه كان ينبغي إحياء أسلوب البادية والجبل من طرف الفن الحضري، والمحافظة على أصالة ذلك الأسلوب، لكن الفن البربري فقد الكثير من رونقه القديم، لخضوعه لمؤثرات متنوعة.

بمثل هذه الأبحاث الحضارية، أمكن جمع العناصر الأولى التي كان يعتقد أنها ستشكل نواة الموسوعة المغربية لو قدِّر لها الظهور والإنجاز. لكن يبدو أن الأمر اقتصر على ما بُذل من جهود خاصة بأقصى المغرب. ومع ذلك تمادى الباحثون المحتملون في المطالبة بقوائم المصادر التي تمكّنهم من استكمال تنقيباتهم العلمية حول الموضوع الذي اختاروا البحث فيه، وكان مقرراً أن يتم الفراغ من هذه الموسوعة بعد العشرية ١٩٦٧ - ١٩٧٧، وتأكد أن تونس، مثلا، أعدت أغلب أبحاثها بحيث وُجدت حلقتان أعدتا لفائدة الموسوعة المغربية على الأقل بصورة مبدئية[٤٥]. لكن العمل العلمي الفعلي توقّف بداية من ١٩٧١ كما ذكرنا في أول هذا الفصل. ذلك أن إدارة المنظمة اعتبرت إن مثل هذه المهام خارجة عن نطاق المكتب لقلة إمكاناته البشرية والمادية، إذ من المعلوم أنه لا بد من التخصص أولاً في الأبحاث الحضارية وتاريخ مواضيعها قبل التفرغ لمثل هذه الأعمال. وقضية الموسوعة العربية الحضارية لم تتعطل فعلاً، وبقيت مشروعاً قائم الذات تجسّم الآن في إنجاز موسوعة عربية كبرى تكون الأساس لجمع التراث العربي الإسلامي. وقررت المنظمة في هذا السبيل «إصدار موسوعة حضارية عن الفن العربي الإسلامي، وذلك لتحقيق الهدف من إعادة كتابة تاريخ التراث العربي من وجهة نظر عربية وتصحيح مسارات البحث في هذا المجال. وتصدر الموسوعة في خمسة مجلدات تتناول معطيات الفن العربي في كل عصوره»[٤٦].

---

(٤٥) **اللسان العربي**، السنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٧)، ص ٢٦٩.

(٤٦) «أنباء المجلة،» **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ١، ص ٢٤٦.

الفصْل العاشِر

اللغة العَربيّة في العَالم

لا يمكن طبعاً الاحاطة بكل القضايا المتعلقة بالحجم الذي به انتشرت وتنتشر اللغة والأدب العربي في الأقطار المختلفة التي اختارت، لأسباب عدة، تدريس اللغة العربية في مقرراتها الجامعية أو الثانوية وأحياناً الابتدائية في مسالك تعليمها العامة والخاصة، فاعتبرتها لغة تراثية قديمة أو لغة حية فصيحة. وقد نصّ ميثاق جامعة الدول العربية على رعاية هذه اللغة كمقوم أساسي من مقومات الأمة العربية. وخوّل المنظمة العمل على نشرها في الأقطار الأجنبية، خاصة أنها قطعت شوطاً في هذا المضمار، فأنشأت معهداً لإعداد معلمين في العربية لغير الناطقين بها في الخرطوم، وعزمت على إنشاء مراكز للدراسات العربية في الجامعات الأجنبية، ومراكز ثقافية، ومدارس لأبناء المهاجرين العرب، كما أن مؤتمر ١٩٧٧ أكد ذلك، فكان حريصاً على استمرار الصلات الفكرية والروحية الموجودة بين الوطن الأصلي وبلاد الهجرة فأوصى بـ «تزويد هذه الجاليات بالكتب المدرسية والمدرسين والمعاجم المزدوجة اللغة ـ الاتصال المباشر عن طريق بعثات منظمة بهذه الجاليات لتعزيز روابط الانتماء للوطن العربي»[1]. وبهذه الصورة يكون العمل على انتشار العربية بين أبنائها في الخارج وبين غير الناطقين بها، مجهوداً مشتركاً بين أقطار المنظمة، منسقاً بينها. وقد أكد هذا المنهاج مديرها العام طارحاً القضايا: «وتعليم اللغة العربية هو صلب عمل المؤسسات التعليمية التي سوف تقوم عليها عمليات التعريب في البلاد العربية ذات الوضع الثقافي الخاص، وفي المدارس العربية العالمية التي تنشأ لأبناء الجاليات في المهاجر وفي حلقات تعليم اللغة العربية في المراكز الثقافية التي تنشأ وفقاً للخطط والبرامج التي يقوم عليها جهاز تنمية المجتمع»[2].

---

(١) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ٣، ص ٨٧.

(٢) محيي الدين صابر، «قضايا نشر اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية في الخارج،» **المستقبل العربي**، السنة ٥، العدد ٥٠ (نيسان/ ابريل ١٩٨٣)، ص ٦١. انظر: محمد المنجي الصيادي، «تعريب أبناء المهاجرين،» **المستقبل العربي**، السنة ٣، العدد ٢١ (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٠)، ص ٨٢ ـ ٩٠.

لتأخذ العربية حظها من الانتشار في الخارج(٣) وتتأهل لتكون أداة تخاطب وحوار في المجال (٤)، لا مناص من مراجعة الخطط السابقة التي لم يكن لها من الشمول وسعة النظرة التي تتجاوز العقبات وتعد للمستقبل.

من المعلوم أن تلقين اللغات يرتكز على مفهوم أداة التعبير الحية ذات السجلات المتعددة، وأن هناك وسائل للدربة على اكتساب المعرفة اللغوية تجمع بين مواد متعددة(٥) يحمل بعضها المتعلم على دافع الاتصال بعربية حديثة بأهلها، ولا يستثنى من ذلك الغرض المنفعي الاقتصادي(٦). وفعلاً ظهرت في أوروبا وفرنسا خاصة كتب لتدريس العربية تتقارب في قيمتها وأهدافها(٧)، كما أن المنظمة الثقافية العربية لم تتخلّف عن هذا الاتجاه فساهمت بقسط كبير في إصدار الكتاب التجريبي لأبناء العرب المهاجرين بداية للمتعلم والمعلم(٨)، فالمجموعات المتعلمة من أبناء العمال العرب حظيت فعلاً بهذا الاهتمام المتزايد لأن المهمة التي تشملهم ذات بعد ثقافي يريد مواجهة تيارات التغريب(٩). إذ إن التعليم اللغوي الصرف يتنافى وما يراد تضمينه من زاد ثقافي ضروري(١٠).

وبالطبع، فأول ما نبدأ به هو سبر السجل اللغوي الشائع وحصر المفردات والتراكيب التي تتجاوب ومستويات المتعلمين على مختلف أعمارهم لأن «المستعين بقوائم المفردات الشائعة لا بد أن يأخذ بعين الاعتبار التطور في الاستعمال اللغوي الذي يتأثر بتغير الأحداث، فقد شاعت في الصحف في زمن بريل (Brill) كلمات لم تعد مستعملة بنفس الكثرة»(١١). وسواء اتجه التعليم اللغوي إلى الناطقين بالعربية أم إلى غيرهم، فهو لا يتحقق إلا بشروط معروفة تشمل تأهيل المعلمين(١٢) وتهيئة

---

(٣) محمد ديداوي، في: **اللسان العربي**، العدد ٣٣ (١٩٨٩)، ص ٧ - ١٦ حيث يستعرض المؤلف العوائق التي تحد من انتشار العربية عالمياً ضمن بحثه: العربية الاعتبار القومي والبعد الأممي.

(٤) انظر: محمد ديداوي، «العربية كلغة دولية،» **اللسان العربي**، العدد ٣١ (١٩٨٨)، ص ١٨٧ - ١٩٨.

(٥) انظر: Ch. P. Bouton, *L'Aquisition d'une langue étrangère* (Paris: Klincksieck, 1974).

(٦) انظر: Norbert Tapiero, *Apprendre à communiquer en arabe moderne* (Paris: Klincksieck, 1979).

(٧) انظر: J.J. Schmidt, *L'Arabe sans peine* (Poitiers: Assimil, 1983).

(٨) **العربية لأبناء العرب المهاجرين** (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٧)، ج ٨: **كتاب القراءة**؛ ج ١: **دليل المعلم**، وج ١: **كراس التدريبات**.

(٩) أحمد عبد الحليم، «ندوة تعليم أبناء العمال العرب المهاجرين في أوروبا،» **المجلة العربية للدراسات اللغوية** (آب/أغسطس ١٩٨٣)، ص ١١١ - ١٢٣، انظر أيضاً: يوسف محمود، «منهج التعلم الجماعي للغات الأجنبية وعلاقته بتدريس اللغة العربية،» **اللسان العربي**، السنة ١٩ (١٩٨٢)، ج ١، ص ١٣٣ - ١٤٢.

(١٠) محمد عمايرة، «تعليم العربية لغير الناطقين بها: دراسة تحليلية في كتاب تعليمي،» **اللسان العربي**، العدد ٢٩ (١٩٨٧)، ص ١٠١ - ١٠٨.

(١١) داود عطية عبده، **المفردات الشائعة في اللغة العربية** (الرياض: جامعة الرياض، ١٩٧٩).

(١٢) عبد الكريم خليفة، «تأهيل أعضاء هيئة التدريب للتدريس بالعربية،» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة ٣، العددان ٧ - ٨ (كانون الأول/ ديسمبر - تموز/ يوليو ١٩٨٠)، ص ٥ - ٣١.

الطرق والأساليب الموصلة إلى الغرض بمساعدة الوسائل التعليمية المناسبة. وتتمثل أطوار التدريب في خلق الظروف التعليمية الملائمة، والتعريف بأهمية العربية، وسلوك طريقة تعليمية مباشرة، وأن يكون درس النحو ميسوراً، وان يدرَّب المتعلم على اكتساب التعابير التي تهمه[13]. والاحتياطات تكون أكثر دقة وتنوعاً ومرونة وتكيفاً بجموع المتعلمين إذا أرادت العربية الانتشار خارج حدودها بادئة بالأقطار الإسلامية والافريقية ذات النسبة المسلمة المهمة. وهنا أعدت العدة على الصعيد الافريقي، لما يوجد من تفاعل بين الحضارة العربية والافريقية[14]. وقد عُقد «الملتقى العربي الافريقي حول العلاقات بين اللغات الإفريقية واللغة العربية». وأوضح مدير عام المنظمة الغرض من هذا اللقاء قائلاً: «ان اللغة العربية هي احدى اللغات الافريقية. بل هي أكبر لغة افريقية انتشاراً، وهي تحاول أن تقيم العلاقات الثقافية التاريخية بينها وبين اللغات الافريقية في طريق تقوية تلك اللغات وتأصيلها»[15]. والمساعدان الرافدان لهذا الصنف التعليمي اللغوي يتمثلان طبعاً في الكتاب والمعجم الذي يتحمل كأداة مخصصة لغير الناطقين بالعربية «عبئاً أكبر إذ يحتاج. . . إلى معلومات أكثر تعرض بلغة أيسر»[16]. وخلال هذا العقد الأخير (١٩٨٠ ـ ١٩٩٠) ما انفكَّ الاهتمام يتزايد بهذا التعليم النوعي الذي تتوزعه عدة محاور، إذ إن نشر العربية[17] يبدأ بأبنائها في الخارج، ثم في الأقطار الإسلامية، وأخيراً في الأقطار الأجنبية. يرتبط بذلك ايلاء الكتاب التعليمي الأهمية الأولى[18]. ومن المقترحات الصائبة أنه «يجب على مدرس العربية كلغة أجنبية أن يكون على المام بلغة أجنبية، كما يفضل كذلك أن تكون لديه تجربة في ميدان تدريس اللغة الأجنبية»[19].

وبالممارسة وتنوع الخبرات تجمعت حصيلة من الفوائد القابلة للاستثمار وتحسين المردود

---

(١٣) عبد العلي، «طرق تعليم اللغة العربية الحديثة على مستوى البكالوريوس،» **اللسان العربي**، العدد ٢٥ (١٩٨٥)، ص ٣٩ ـ ٤٤.

(١٤) انظر: محمد المنجي الصيادي، «مدّ الحضارة العربية في القارة الافريقية،» **شؤون عربية**، العدد ١٢ (شباط/ فبراير ١٩٨٢)، ص ١٦٣ ـ ١٧٢. لا سيما التمازج اللغوي العربي الافريقي، ص ١٦٦.

(١٥) «الملتقى العربي الافريقي حول العلاقات بين اللغات الافريقية واللغة العربية،» **اللسان العربي**، العدد ٢٣ (١٩٨٢ ـ ١٩٨٣)، ص ٩ ـ ١٠، انظر أيضاً: علي القاسمي، «العلاقة بين اللغة العربية وشقيقاتها الافريقية وأثرها في تنمية الثقافة العالمية،» **اللسان العربي**، العدد ٢٤ (١٩٨٥)، ص ٥٣ ـ ٥٦، وأيضاً: أحمد العايد، «البحث في العلاقات بين اللغة العربية واللغات الافريقية،» **المجلة العربية للدراسات اللغوية** (آب/ اغسطس ١٩٨٤)، ص ٩ ـ ٣٧.

(١٦) علي القاسمي ضمن: **السجل العلمي للندوة العالمية الأولى لتعليم العربية لغير الناطقين بها، الرياض، ٢٦ ـ ٣٠ مارس ١٩٧٨** (الرياض: جامعة الرياض، عمادة شؤون المكتبات، ١٩٨٠)، ج ١: **المادة اللغوية**، ص ٢٠٨.

(١٧) محيي الدين صابر، «قضايا نشر اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية في الخارج،» **المجلة العربية للدراسات اللغوية**، السنة ١، العدد ١ (آب/ أغسطس ١٩٨٢)، ص ١٠ ـ ٣٢.

(١٨) «ندوة تأليف كتب تعليم اللغة العربية للناطقين باللغات الأخرى بالرباط، ٤ ـ ٧ مارس ١٩٨٠،» **اللسان العربي**، العدد ١٧ (١٩٧٩)، ج ١، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٦.

(١٩) فولديترش فيشر، «معالجة القواعد في كتب تعليم العربية لغير الناطقين بها،» **اللسان العربي**، العدد ٢٣ (١٩٨٤)، ص ٧٣.

التعليمي لإنجاح خطة نشر العربية. فبخصوص الكتاب مثلاً «يكمن الفرق الجوهري بين الكتاب المدرسي المخصص للعرب والكتاب المدرسي المخصص لغيرهم في أن الأول يستعمله تلاميذ ينتمون إلى الحضارة ذاتها ويتكلمون اللغة العربية التي يتعلمونها، أما الثاني فيستعمله طلاب ينتمون إلى الحضارة نفسها ولا يعرفون اللغة العربية»[20].

الحقيقة أن مثل هذا البرنامج الواسع الطموح لا يصدر عن مواقف ظرفية حينية، بل انه صادر عن تخطيط يرمي إلى تنمية الثقافة العربية الإسلامية في الخارج، عُقد له اجتماع تأسيسي في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩١ في تونس بإشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم[21]. كما أنشىء «جهاز التعاون الدولي لتنمية الثقافة العربية الإسلامية»، والمقصود من ذلك «هو تأكيد عالمية اللغة العربية وعلميتها والتنويه بمكانة الثقافة العربية الإسلامية ودورها في المحيط الدولي وبسط الثقافة العربية الإسلامية كوسيلة قادرة على تمهيد السبيل الميسر للوفاء بالالتزامات الروحية والقومية والحضارية، ومواصلة الدور التاريخي المجيد للأمة العربية في الارتقاء بحضارة الإنسان في سعيه لتحقيق السلام والعدل والرفاهية»[22]. هذه هي الخطوط العريضة التي تصطبغ بصبغة إنسانية عميقة الجذور والتي تروم نشر اللغة والثقافة العربية.

١ ـ لمحة عن الدراسات العربية

منذ انعقاد مؤتمر ١٩٦١، تقرر أن يضفى على مخطط نشر العربية في العالم صيغة حديثة موحدة بحيث لم يعد الأمر مجرد اختيار إضافي يلحق بنشاط كل قطر عربي وحسب مصلحته، بل تحدَّد عمل منسق على الصعيد القطري والقومي. فمثلاً، أنشأ معهد التعريب بالرباط مخبراً لتعليم اللغات خصِّص للتدريب على العربية لغير الناطقين بها المستقرّين في القطر المغربي، وجهِّز بالوسائل السمعية البصرية الضرورية. وقد تبادل التجارب والخبرات مع بعض الجامعات الأجنبية. وتبيّن أن مسألة تعليم الأجانب العربية لم تُدرس درساً ضافياً قائماً على منهجية دقيقة، باستثناء ما خاض فيه المستعربون المجتمعون في مدريد بإشراف منظمة اليونسكو، وبدعوة من المركز المصري للدراسات الإسلامية الموجود في مدريد. وأعدّ مشروع تطلّب مشاركة عدة مؤسسات عربية وأوروبية وأمريكية، وكذلك مساهمة دائرة اللغات باليونسكو. وكان المتوقع أن يتحقق هذا المشروع بـ «تسوية» الدراسات العربية الحديثة ووضعها في النهج السوي بحيث تعدّ العناصر المتخصصة المتمكنة في علم الألسنية وعلم

---

(٢٠) علي القاسمي، **اتجاهات حديثة في تعليم العربية للناطقين باللغات الأخرى** (الرياض: جامعة الرياض، عمادة شؤون المكتبات، ١٩٧٩)، ص ٩٩، وانظر تحليل محمد المنجي الصيادي لهذا التأليف في: **شؤون عربية**، العدد ٣٢ (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٢)، ص ١٩٢ ـ ١٩٧.

(٢١) **تخطيط التعاون الدولي لتنمية الثقافة العربية الإسلامية** (الاجتماع التأسيسي: ١٠ ـ ١٣ نوفمبر ١٩٨١) (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨١).

(٢٢) **جهاز التعاون الدولي لتنمية الثقافة العربية الإسلامية** (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٥).

النفس التعليمي الخاص بالعربية. ذلك أنه صار من الضروري حتى بالنسبة إلى غير الناطق بالعربية الذي يريد التخصص في ميادين أخرى بغية الوصول إلى الوثائق مباشرة، دراسة لغة القطر بصورة معقولة كافية، أو القطاع الذي يرغب في البحث فيه، على أن يكون ذلك التدريب على اللغة في صورتها الحديثة المعاصرة، في صورتها المكتوبة والمحكية في آن واحد(٢٣). وقد أحسن اختيار مدريد لأكثر من سبب، لأنها كانت موضعاً للدراسات الإسلامية ونقل العلم العربي في العهد الوسيط(٢٤). ثم إن الاهتمام بذلك لم ينقطع في إسبانيا، حتى أن البحث وإنتاج وترجمة التآليف والمعاجم استمر منذ أقدم العصور. فمثلاً نشر سنة ١٩٧٠ قاموس يحوي ٣٠٠٠٠ كلمة، وتضمّن عدداً كبيراً من المصطلحات العلمية والتقنية والقضائية والأدبية الضرورية في القرن العشرين. وقد اقترح المؤلف علاوة على ذلك، الدراسة المقارنة للمعجم العربي والاسباني المعاصر في اللغتين لتبين المفاهيم الحيوية في العالم الحديث(٢٥). الواقع أن الدراسات العربية الابتدائية كانت مقررة منذ بداية هذا القرن في الجامعات الاسبانية (مدريد، سرقسطة، إشبيلية، غرناطة). وقد عدّت تسعة مناصب لتدريس العربية سنة ١٩٦٩ في حين كان عدد الطلاب في هذه المادة ما يقرب من ٢٠٠٠ في القطر الاسباني. وقد درّست العربية في مراكز أخرى كالمدرسة الدبلوماسية والمجمع العسكري ومدرسة التجارة. وأعد مشروع لتعميم العربية في الثانويات، ونظّم المركز الاسباني في طنجة مقرراً لتعليم اللغة ومراكز بحث في العربية في مدريد وغرناطة وسرقسطة وقرطبة(٢٦). أما الطريقة المعمول بها في هذه المادة، فهي الطريقة المباشرة التي تشبه ما تقوم به الأم من تدريب لغوي في البيت لفائدة أبنائها. واعتبرت أحسن الطرق لمعرفة اللغة اليومية، مع التذكير بأن تدريس العربية في بداية هذا القرن تلخّص في تمارين النقل والتعريب ومحادثات بالعامية وتحديد مقرر آخر لدراسات التخصص. ذلك أن البحث عن الأصول العربية في المعجم، مثلاً، يتطلب فعلاً معلومات صرفية دقيقة. ويبدو أن طالبي العربية في إسبانيا يمكنهم التمرن على العامية في القطر المغربي (لغة منطقة الريف)، وذلك بعد أن يكونوا قد استوعبوا «العربية النحوية» التي يعسر تعلّمها إذا خلفت التدرب على اللغة العامية. وكان الدرس يشتمل أصلاً على شرح بسيط لصرف الفعل والعدد في الأوزان الصحيحة، وتؤجل الأوزان المعتلة إلى مرحلة موالية(٢٧). ونجد القناعة ذاتها عند المستعربين الألمان الذين يرون أن دراسة العربية الفصحى تشكل الأساس المنطقي للتدرب على اللهجات وتفهّم الحضارة. وفي المقابل يعتري تدارس العربية تقلبات ترتبط بأوضاع محلية معينة، مثلاً قرار معهد الترجمة

---

(٢٣) *Diogène* (octobre - décembre 1963), p. 131.

(٢٤) Asin Palacios, *Historia de Litteratura Arabigo-Española* (Barcelone; Buenos Aires: Editional Labor, 1982), p. 306.

(٢٥) F. Corrente, *Dicctionario Español-Arabe* (Madrid: Instituto Hispano - Arabe de Cultura, 1970), VII, Prologa.

(٢٦) الطاهر أحمد مكي، «الخط العربي: نشأته وتطوره،» **اللسان العربي**، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٥٧.

(٢٧) Asin Palacios, *Obros Escogodam* (Madrid: Filogia Arabe, 1946; 1948).

التابع لجامعة جينيف، الذي عزم على غلق القسم المخصص للعربية، رغم أنه أعدّ ما أمكن من المترجمين الذين قدّموا فوائد لا تحصى خلال عقد المؤتمرات الدولية المنعقدة في هذه المدينة، خاصة أن العربية صارت لغة في أهم المنظمات الدولية[٢٨].

وبالعودة إلى الماضي، يمكن تحليل ما وُضع من أهداف لدراسة العربية في الغرب، وذلك منذ إنشاء مدرسة الترجمة بطليطلة، التي أشرف عليها من سنة ١٢٥٢ إلى سنة ١٢٨٤ ألفونسو إل سابيو (Alfonso el Sabio)، ثم خلفه الأسقف ريموندو مارتين (Raimondo Martin) (١٢٣٠ ـ ١٢٨٦) الذي وضع معجماً لاتينياً عربياً نشر سنة ١٨٧٢. لقد استهدفت هذه المدرسة ترجمة التراث العلمي والفلسفي العربي إلى اللاتينية. كان النص العربي يملى بالعاميّة الاسبانية، ويتولى كتابته خبير في اللاتينية، ثم يستعان بالعرب الذين ما زالوا يقيمون بطليطلة، تدقيقاً لمعاني الكلمات والأفكار العربية. لكن النصوص المترجمة لم تكن ذات مستوى رفيع، فابتعدت بصورة متزايدة عن الأصل العربي. وتحوّل هذا النشاط مع ريموندو لول (Raimondo Lull) إلى الدين والفكر الإسلامي، فقرّر دير ميرامار مثلاً إجبارية تعلّم العربية. وقد اقترح في مجمع ١٣١١ تدريس العربية في جامعات أوروبا، وتم ذلك في أكسفورد وباريس وبولونيا. واهتمت إيطاليا في ما بعد بالعربية، وذلك بتحريض من البابا، لأنها كانت لغة كنائس المشرق التي أرادت روما ضمها إلى الكنيسة الرومانية، فتوحيد العالم المسيحي. وفي اسبانيا، تميزت طريقة التعليم بمطالبة الذاكرة ببذل جهد هام، لحفظ القواعد والمفردات. فأهمل المظهر الكتابي في العربية خاصة، ولم توجد مطبعة لها الحروف العربية حتى القرن السادس عشر، ولم تنشأ إلّا سنة ١٥٨٠ في روما. وبدأت المرحلة الثانية من الدراسات العربية مع فترة التوسع الأوروبي، فلم تدرَّس العربية كأداة ثقافية بل كوسيلة للسيطرة وطلباً لنتائج عاجلة نفعية، فبدأ الاهتمام باللهجات وبالفصحى التي أقبل المبشرون على تدارسها، وكذلك العسكريون والموظفون، كما وقع التحري في المذاهب الإسلامية من طرف فرنسا وإيطاليا (انتشار المذهب المالكي في شمال افريقيا) وإنكلترا (المذهب الحنفي في الهند)، وهولندا (المذهب الشافعي في أندونيسيا). وبانتشار الطباعة، طرأت بعض التحويرات التعليمية على دراسة العربية بعد أن ازدهر تدارس الطب العربي. وصار هذا التطوير فرصة للاطلاع على الغربي والشرقي، فلم يتوقف تعلّم العربية في الحد اللغوي بل تجاوزه إلى البحث في مسائل الأدب والتاريخ. وقد أنشىء قسم اللغات الشرقية في لايدن سنة ١٦١٣، وصار ذلك مركزاً كبيراً للاستشراق. وجمع ٢٥٠ مخطوطة عربية، وتجاوز ذلك الألف. ثم شاعت فكرة مفادها أن العربية ما هي إلّا لهجة متفرعة من اللغة العبرية. وفي آخر القرن الثامن عشر، أنشئت مدرسة اللغات الشرقية في باريس (١٧٩٥)، وأشرف على منصب تدريس العربية الياس بكتر (١٧٨٤ ـ ١٨٢١)، ثم محمد عياد الطنطاوي (١٨١٠ ـ ١٨٦١) الذي كلّف بالمنصب ذاته في مدينة سان بترسبورغ. أما في إنكلترا، فكان أحمد فارس

---

(٢٨) حسين محمد، «الأضداد في اللغة،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ٣، ص ١٣.

الشدياق (١٨٠٥ ـ ١٨٨٧) على رأس قسم العربية. وقد اتجه المستشرق الفرنسي دي ساسي (Silvestre de Sacy) (١٧٥٨ ـ ١٨٣٨) بالدراسات العربية إلى معرفة اللغة لا الدين، وأنشأ أحد تلاميذه مركزاً للدراسات الخاصة بالحضارة العربية في ليبزيغ. وتدرّج الاستشراق الاسباني نحو حمل الطلاب على التمكن من العربية تمكناً عميقاً. وصارت الأهداف المطلوبة من دراسة العربية بعد الحرب العالمية الثانية ذات طابع سياسي، وتكيفت بالظروف السائدة في تلك الفترة، وعملت على المزج بين المصالح الاقتصادية والأهداف الثقافية. من ذلك أن شركات النفط أخذت تدريس العربية مأخذ الجد ونشرتها بين موظفيها، فتخلى النشاط التبشيري عن جزء من أعماله لفائدة الظرفية السياسية الاقتصادية الجديدة. وتأكيداً لهذا الاتجاه، قدمت شركة آرامكو ومؤسسة فورد مساعدات للقيام بأبحاث تخص طرق تعليم العربية، واشتغلت بذلك بعض الجامعات الأمريكية، ولجنة الدراسات للشرق الأوسط، ومجلس الأبحاث الاجتماعية لتحسين طرق تعليم العربية، وكذلك مركز الدراسات للشرق الأوسط في جامعة هارفارد. وقد انعقدت ندوات للنظر مثلاً في المصطلحات النحوية العربية سنة ١٩٦١، بإشراف فني مالي قام به الخبراء من منظمة اليونسكو. وفي خصوص ما بذله الوطن العربي لنشر لغته، ينبغي ملاحظة فقدان كل تنسيق بين الأقطار العربية في شأن المقررات المحددة لدراسة العربية الموجهة لغير الناطقين بها. وتوجد عدة معاهد في الأقطار الأجنبية، ويُقبل بعض الطلاب الأجانب في جامعات الأقطار العربية. وما ترمي إليه هذه المؤسسات هو التعريف بالثقافة والحضارة العربية، ووصل الأجانب مباشرة بالواقع العربي المعاصر دون حصر الدراسة في الماضي فقط. ولا يمكن أن يفيد أشخاص عرب ـ لمجرد أن يعرفوا العربية لأنها لغتهم ـ هؤلاء الطلاب الأجانب إفادة ناجعة دائمة في كسب العربية، إذ لا يمكن هؤلاء العرب المتطوعين التدريس لكونهم غير مختصين في الطرق التعليمية. بل إنه ينبغي مساعدة بعض العناصر الموهوبة والعمل على استكمال تكوينها في اللغة والأدب، وقد حصل ذلك فعلاً في بعض الجامعات العربية، لكن بصورة محدودة جداً. وعلى ذلك، لا يمكن إلاّ أن تحصى مثل هذه العوائق التي تواجه الطالب الأجنبي الراغب في التأهل في اللغة العربية. وقد ثبت بالتجربة أن مادة النحو هي أقرب شيء إلى الطالب غير الناطق بالعربية، لما كانت عليه قواعدها من روح منطقية يدركها الفكر ويتيسر عليه استيعابها. لكن الصعوبات تظهر في التطبيق، ويتضح الأمر في كتب الدراسة التي يحبَّذ أن تستفيد وتتبادل المنفعة لو أحصيت مساوئها، وأمكن القضاء عليها بإيجاد حلول عملية. فمنذ أن رقّم بالاثيوس (A. Palacios) الأوزان الفعلية، أمكن تحديد الكلمة الأصلية والكلمة المشتقة لدى المتعلمين الأجانب، وطبّق ذلك في المعاجم بحيث ان رقم الوزن عوض الوزن ذاته. وهذا من الحلول التي يحسن تعميمها حتى على الناطقين بالعربية بحيث يمكن تخفيض ثلث حجم القواميس. من ذلك أيضاً أن جموع التكسير مسألة متشعبة محيرة لدى الطالب الأجنبي بسبب ما اتصفت به من حركة وما كان لصيغها من تنوع. وفي هذه الصورة أيضاً، يمكن ضبط قرائن التواتر لهذه الجموع كما هي مستعملة في الحياة اليومية، وترتيبها في جداول سهلة الحفظ. وفي الجملة، يحسن تقديم الدروس إلى الطلاب الأجانب في مستوى ابتدائي يخصص

لتمارين تفصيل النطق، وتركيب الكلمات، والتعرف إلى التعريف والتنكير وما يرتبط بهما من مسائل التنوين. ثم يمكن أن تشمل الدروس في مرحلة ثانية أنواع الكلمات والجمل (فعلية: تعليم الفعل الثلاثي الصحيح وإعرابه)، والضمائر، والكلمات المشتقة من الفعل التي تساعد على تركيب الجملة الاسمية (مع دراسة الجمع ثم المثنى)، والحروف. وفي درجة أعلى، تبدأ دراسة الأوزان الثلاثية المشتقة في الماضي والمضارع بصيغها كافة، ثم صيغة الإسناد للمجهول، والأفعال الشاذة، على أنه ينبغي الاشارة إلى مثل هذه الأفعال خلال الدروس السابقة. أما تعلُّم مفردات اللغة، فيجب أن يستهدف كسب التعبير الصحيح وفهم الحصص الاذاعية، فيكون ذلك فرصة للبحث عن قرينة التواتر في الكلمات الصحفية والاذاعية، والنصوص الأدبية المعاصرة، وكلمات الحياة اليومية. وفي البداية لا مفر من الاقتصار على اللغة المكتوبة، التي ليست اللغة الأدبية، بحيث يمكن إضفاء أهمية بالغة على اللفظة التي تحدد معناها، ويكون ذلك على نصوص تعكس الحياة الواقعية في الأقطار العربية، ويتعلق بالمفاهيم الملموسة إلى أن يأتي الوقت الذي يمكن فيه تعليم الكلمات المجردة. ولا يمكن بأية حال تزويد الطالب غير الناطق بالعربية بألفاظ لا تكون شائعة ولا يمكنه استعمالها فوراً. والتركيز على النصوص الفصيحة وجرد لغة الاذاعة المستمدة من نشرات الأخبار يؤدي إلى انتقاء الكلمات على أساس تواترها وشيوعها في اللغة اليومية الفصيحة، وكتابتها ترسخ بفضل شكلها ولو بصورة مؤقتة ويقع تدريجياً التخلي عن الحركات، وذلك بالاستناد إلى تقدم الطالب في الدراسة. ويمكن الاقتصار على وضع علامات الشكل الضرورية لفهم الكتابة (شدة، مدة، همزة، وصلة)، كما أنه يحسن الاصطلاح على رسم الكلمات كتابياً أو صوتياً (اَلْدَار أو الدَّار؟)، ويتخذ لذلك منهج قياسي في الكتابة العربية، دون إشغال الطالب بالزخرف الخطي الذي من شأنه أن يبعث اللبس في ذهنه. والملاحظ أن الكتب التي وضعها غير الناطقين بالعربية لم تعتبر فيما يبدو العامل الثقافي بل اقتصرت على المادة اللغوية، ولا فائدة ترجى منها إذا هي فقدت قائمة بالكلمات الجديدة. ولهذا يحسن إعداد كتب صالحة لهذا الصنف من الطلاب الذين يسارعون بالتخلي عن الدروس إذا انتبهوا إلى الشقة القائمة بين اللغة اليومية الشائعة ولغة الكتابة. واتخاذ مثل هذه الاتجاهات التدريسية العامة لا يمكن إناطته بالأفراد، بل إنه من مهام الجامعة ومنظمتها الثقافية خاصة، التي يمكنها ربط الصلة بالمنظمات الأجنبية كالمعاهد العليا والأقسام المتخصصة في الدراسات العربية وغيرها من الأجهزة التي تعنى طبعاً بتلقين العربية لغير الناطقين بها. والمقصود من هذه الاتصالات العمل على تحسين وضع العربية الفصحى في الأقطار الأجنبية، على أن تأخذ المنظمة مثلاً على عاتقها مهمة إعداد الأساتذة المتخصصين في هذه المادة. ومن شروط ذلك أن يكون المدرس المتخصص عارفاً بلغة الطلاب ومتمكناً من معلومات أساسية في الألسنية المقارنة، وذلك بغية ربط العناصر التي تشترك فيها العربية ولغة الطالب الأجنبي، ومساعدة المتعلم على القيام بالبحث عن نقط معينة تشترك فيها اللغتان أو تختلفان. وفي خصوص تعليم الصرف، فإنه ينبغي أن يصل الطالب إلى إدراك ما يطرأ من تغييرات في الكلمة بفضل التمارين المتدرجة المتنوعة، كأن تجسد له الفكرة الأصلية بواسطة السكون والأفكار المتفرعة

عنها بالحركات(٢٩). ولا شك أن التداخل بين العربية ولغة المتعلم سيحدث لا محالة، وإن تلك الظاهرة يمكن تعليلها بالاستناد إلى الخلفية اللغوية التاريخية التي جعلت العربية تتفاعل مع عدة لغات أخرى وتقتبس منها وتعطيها من مفرداتها. فمن المعلوم أن الاسبانية استوعبت عدداً من الألفاظ العربية في الميادين كافة، وأن ذلك الاقتباس بدأ يتضاءل ببدء الغزو المسيحي للأندلس، الذي ترتب عليه تنصير العرب المقيمين في اسبانيا الذين صاروا من رعايا الملك النصراني. كان هؤلاء «المغاربة» من المتنصرين المعربين الذين تحدثوا بالعربية والرومية أيضاً. وترتب على ذلك التداخل مع العربية الناتج بدوره عن التمازج البشري اللغوي أن ظهرت كلمات اسبانية لها مظهر الكلمات العربية (استخدام أداة التعريف). وقد طرأ عليها التحريف حين صهرها في اللغة الاسبانية (الساقية = أثيكَيا بالاسبانية) كما تغيرت أسماء المكان في القرى والحصون. . . (مدينة سليم = Medinaceli). وبلغ التحريف أيضاً الكلمات العربية ذاتها وكذلك الكلمات اللاتينية التي انتقلت إلى العربية (طليطلة = Toledo)، وبقي الأصل اللاتيني اليوناني أحياناً بحيث ان تلك الكلمات العربية التي تقبل الاشتقاق في الاسبانية يكون لها معنى من أصل لاتيني (Hiko dalgo = Hidalgo) = ابن خير = نبيل). واحتفظت الاسبانية ببعض الوسائل الأسلوبية والتراكيب العربية الصميمة (الله يحفظكم = Dios le ampare)(٣٠). وقد انتشرت مثل هذه الكلمات العربية الأصل الشائعة والمحرفة في الاسبانية، عدة تآليف للمستشرقين بالاثيوس، ودوزي (Dozy وPalacios) وللعرب كالأمير شكيب أرسلان ومحمد كرد علي، وفي اللهجات المغربية التي تفاعلت مع الحضارة الأندلسية. وجُمعت الكلمات الاسبانية جمعاً استقصائياً، وضُبطت أصولها العربية أو الأعجمية ومعانيها والمصادر العربية ومنها القرآن الكريم، وذلك بغية تحديد أصولها القديمة، ورغم ذلك أُغفل عدد من هذه الكلمات(٣١). كما أن الترجمة تسببت في التداخل بين العربية والانكليزية والفرنسية (against = contre)، نستعمل (ضد) في العربية الحديثة و(على) في الفصحى، مثلاً وضع الضمير قبل الفاعل، سلسلة من الكلمات المضافة. وقد فرضت الترجمة الحرفية غير المميزة استعمال الجمع بدل المثنى، وتلك وسائل شائعة في الصحافة ووسائل الاعلام عامة التي تعمل على نحت عبارات طويلة جداً يمكن تعويضها بأوزان مشتقة(٣٢). وبما ان التأثير الثقافي العربي بدأ في الأفول منذ القرن الرابع عشر، فقد أمكن القول ان ما بقي من كلمات عربية في الفرنسية مثلاً (٣٠٠) يشكّل زاداً لغوياً متكاملاً في جملته، يمكن تأريخه تأريخاً قريباً من الواقع. لكن تأثير العربية تمادى حتى القرن الثامن عشر

---

(٢٩) الطاهر أحمد مكي، «تيسير اللغة العربية للأجانب،» **اللسان العربي**، السنة ٥ (آب/ أغسطس ١٩٦٧)، ص ٦٤ - ٧٢.

(٣٠) عبد العزيز مطر، «علماء الأصوات العرب سبقوا اللغويين المحدثين في ابتكار نظرية التماثل،» **اللسان العربي**، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ١٥٥.

(٣١) عدلي طاهر نور، «كلمات عربية في اللغة الاسبانية،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ٣، ص ٧.

(٣٢) مطر، المصدر نفسه، ص ١٥٨.

عبر المعجم الايطالي والاسباني، وتغذى المعجم الفرنسي بذلك[٣٣]. وبهذا المفهوم من التداخل بين العربية واللغات الأوروبية خاصة، يمكن النظر في أوضاع بعض الدراسات العربية في العالم بصورة مجملة جداً، وتتبع ما خصص من مقام في المقررات التدريسية والبحثية للغة العربية. لكن مع ذلك، يحسن الإشارة إلى الدراسات العربية في البلدان الإسلامية التي تتخاطب بلغة أخرى غير العربية التي كانت اللغة المتفوقة حتى القرن التاسع عشر بفضل مكانة الشريعة الإسلامية في هذه الأقطار، ولم تضايقها اللغات المحلية التي كانت بصدد النشوء. لكن استعمال القانون الوضعي بدل الشريعة، اتجه بالوضع اللغوي وجهة أخرى امتازت فيها اللغة الأجنبية إلى جانب اللغة المحلية، إضافة إلى انتشار فكرة القومية القطرية، يضاف إلى ذلك ما نال القرآن الكريم من ترجمات محرّفة، فلم يعد أهالي تلك الأقطار في حاجة إلى العربية لفهم كتاب دينهم. وقد بدأت تركيا في منهاج تعريب لغتها ومجتمعها، فصارت اللغة العربية لديها بمثابة اللغة الأجنبية أو تكاد، وكذلك الأمر في ايران التي طغت عليها موجة الوطنية اللغوية وتجسمت في استبدال العربية بالفارسية. وفي باكستان، كان التفوق للانكليزية، وصار وضع العربية في تدهور جعل منها لغة اختيارية، ووقع التحريض على كتابة اللغات المحلية كالأردية والبنغالية. ويبدو أن «العقبة الكأداء في سبيل إحلال العربية محلها في التعليم والثقافة الإسلامية هي الطبقة المثقفة ثقافة أجنبية عصرية»[٣٤].

ومن نتائج ذلك الموقف أن الدراسات الإسلامية والعربية ذاتها تقدَّم بلغة أخرى غير العربية، رغم ما في اللغة الوطنية من كلمات عربية وقوالب معربة جاهزة تقدّر بنسبة ستين في المئة بالنسبة إلى الفارسية والأردية والتركية إلى حدّ ما. هذا، «ويلاحظ أن اللغة العربية تدرس في هذه المدارس مقرونة دائماً بالعلوم الإسلامية من التفسير والحديث والفقه، وربما نتج من هذا التلازم ان لم تكن آداب اللغة العربية مقصودة لذاتها، بل أصبحت اللغة العربية مجرد أداة لتحصيل العلوم الإسلامية»[٣٥]. أما المنهج الثاني فهو المتميز بعصريته الموضوعية التي تفرق بين تدريس العلوم الدينية الإسلامية والعلوم الأدبية واللغوية. ومن المقترحات الاصلاحية لهذا الوضع الذي تدهورت فيه أوضاع الدراسات الإسلامية العربية في الأقطار الإسلامية، أن تعطى العربية الأسبقية وتوحّد أشكال الكتابة بالحروف العربية، والشعور العام هو أن تقدِّم الأقطار العربية وبالأحرى منظماتها المتخصصة المساعدات الضرورية لتلافي الحالة التعليمية التي توجد عليها اللغة العربية. وفي هذا الصدد، لا مفر من مراجعة الأساليب التي بها تُلقَّن العربية. ويبدو أن الطريقة التي تلائم كبار طلاب العربية هي الطريقة «الواعية لضوابط اللغة التي أثبتت تجربتها أن الطلبة يستفهمون دوماً التغييرات الطارئة على الكلمات من الوجهة الاعرابية. وتلك الضوابط تساعد المتعلم الواعي لها على التقدم من المحاكاة المجردة إلى الخلق والابداع في التعبير إذا اصطدم بظروف لم يسبق له تجربتها من قبل»[٣٦]. وزيادة

---

(٣٣) «La Langue arabe une des grandes sources de la culture française,» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص xxxvi.

(٣٤) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ١، ص ١٣.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ١٤.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ١٨.

على المساعدة الفنية التربوية العربية المتمثلة في إيفاد الأساتذة والمرشدين المختصين في تعليم العربية لغير أهلها، ينبغي أن تقوم المنظمة بالاشراف على فتح مدارس تدرّس المناهج المحلية إلى جانب تعليم مركز للغة والآداب العربية مع استعمال أحدث الطرق في تلقين اللغات الحية.

٢ ـ الدراسات الإسلامية والعربية في اسكتلندا والولايات المتحدة

أنشىء منصب الأستاذية في هذه الدراسات في اسكتلندا في جامعة أدنبره؛ ويعود بنا هذا الحدث إلى سنة ١٢٠٠ حين عرف أول مستشرق اسكتلندي بتدارسه العربية في طليطلة، وتلاقى مع فلاسفة مسلمين ويهود، واشترك معهم في تحرير الترجمة اللاتينية والشروح بالعربية لبعض مؤلفات أرسطو. وخشية تهمة السحر والشعوذة، أهملت دراسة العربية، كما كاد أن يحدث لهذا المستشرق سكوت (Michael Scott) لدى عودته من إسبانيا. ونقل بعد ذلك خبر ترجمة رديئة للقرآن الكريم قام بها روس (Alexander Ross) (١٦٤٩)، من الفرنسية إلى الانكليزية، ملفتاً نظر القارىء إلى الفائدة من الاطلاع على القرآن الكريم وما هي مخاطر ذلك أيضاً. والواقع أن ما حصل من قلة اهتمام أو لامبالاة أو عداء نحو القرآن الكريم الذي يرمز للإسلام ورسوله، إنما تغذى من الذكريات التي تركتها في النفوس الحروب الصليبية بحيث استمرت الأفكار المشوهة الخاطئة التي شاعت حول الكتاب، ولغته تبعاً لذلك، مدة قرون كإحدى مخلّفات العهد الوسيط. والواقع ان ما كان للمسيحية من تخوفات تجاه تقدم الإسلام، عمل على ترويج هذه الأراجيف والافتراءات المرفوضة. وكان ينبغي انتظار سنة ١٨٣٠ ليقوم كارلايل (Thomas Carlyle) الذي لم يكن مستعرباً ولا مستشرقاً، بتصحيح الأقوال التي شاعت حول الرسول في محاضراته، بعد أن طالع ترجمة للقرآن الكريم قام بها سيل (George Sale) رغم ما لاقاه من عسر في إدراك كنه الآيات، بل إنه دعا إلى استعراض التجربة الروحية التي مارسها الرسول، وكانت تلك الفترة مناسبة لتوضيح المبادىء الإسلامية إذا قام بذلك الفلاسفة غوته وكانط ولايبنتس (Goethe و Kant و Leibnitz) فأسهموا بكتاباتهم وإعجابهم الايجابي تجاه النبي العربي ﷺ في مراجعة وتقييم الأفكار التي شاعت حول الإسلام. وبدأت فترة المبشرين الذين تعمقوا في تعلم العربية واطّلعوا على الإسلام، واشتهر منهم فالكونر (John Keith Falconer) (١٨٥٦ ـ ١٨٨٧) الذي نظّم بعثة إلى جنوب بلاد العرب، وكان يشغل منصب أستاذ العربية بكمبريدج التي اشتهر أحد أعلامها رايت (William Wright) (١٨٣٠ ـ ١٨٨٩) بتأليف كتاب في النحو العربي اقتبس كثيراً من مواده عن كاسباري (Caspari). فكانت تلك الفترة فرصة لإشعاع الدراسات العربية في اسكتلندا. وقد جاء بعد رايت، سميث (William Robertson Smith) (١٨٤٦ ـ ١٨٩٤)، واشتغل في أدنبره. ونظراً إلى أفكاره عن العهد القديم، فقد طُرد من اسكتلندا ونقل إلى كمبريدج. وألّف سنة ١٨٤٥ في النسب والزواج في بلاد العرب قديماً، ويُعتبر كتابه الآن مرجعاً حول علم الانساب الاجتماعي العربي. وفي اسكتلندا أيضاً، درس غِبْ (E.J.W. Gibb) (١٨٥٧ ـ ١٩٠١) التركية ونشر كتبا عن الشعر التركي. وكتب ميور

(W. Muir) في كلكتا عن حياة النبي محمد ﷺ، واقتنى كتباً كثيرة عن الإسلام لفائدة جامعة أدنبره التي دُرِّستْ فيها العربية كأحد فروع العبرية! وأنشىء منذ ١٩١٣ منصب مستقل للعربية درس في قسمه وتعلم غِبْ (H. Gibb) العربية إذ كان أستاذاً في أكسفورد وصار عميد الاستشراق الانكليزي. هذا وقد اتجه بل (Bill) إلى إبداء رغبته في تجديد الدراسات العربية بسن منهجية تحقيقية أراد تطبيقها على القرآن الكريم تماماً كالتوراة، للتدليل على أن نصه المركّب خاصة من آيات قصار، طرأت عليه تحويرات قبل أن يكون في صورته الراهنة. ويمكن طبعاً التساؤل عن مستقبل هذه الدراسات في اسكتلندا حيث أشارت بعد الحرب العالمية الثانية لجنة معينة للغرض، بتطوير التدريس في اللغات الشرقية في إنكلترا (مثلاً إحداث دكتوراه في تاريخ الإسلام). وقد أنشىء منذ ١٩٠١ مركز للأبحاث الافريقية في ضوء أن الإسلام سيكون الدين الغالب بأفريقيا في آخر القرن العشرين، فتحتم التنسيق بين نشاطات المعاهد المختصة ونشاطات هذا المركز، ذلك أن ما أكده المؤرخ الانكليزي المعروف توينبي (Toynbee) أنه منذ ١٩٤٠ بدأت تمتد إحدى الدوائر في الحضارة العالمية، فشملت الكيان الإسلامي الممتد من إفريقيا الغربية مروراً بالشرق الأوسط، حتى ماليزيا وأندونيسيا(٣٧).

لقد درس غِبْ (Gibb) في جامعة هارفارد (Harvard) التي دعا إليها سنة ١٩٦٠ لانداو (Rom Landau)، فقدّم محاضرة عن ابن عربي، وأنشأ منصباً لتدريس قضايا الإسلام والمغرب في سان فرنسيسكو. وقد كان يوجد في الولايات المتحدة خمسة مناصب للعربية منها واحد في جامعة برنستون (Princeton) أسسه فيليب حتي اللبناني الأصل، كما أن منصب هارفارد أنشأه الانكليزي غِبْ، وقد اعتُبر المستشرق على الوجه الأكمل إذ هو درس القرآن الكريم وأسلوبه وحقق في معانيه. وفي جامعة كولومبيا (Columbia) في نيويورك، ترجم القرآن الكريم ووقع تدارس العلوم الدينية والشرعية. لكن يعترف لانداو بأنه لا يوجد أساتذة في الولايات المتحدة من طراز المستشرقين في فرنسا أو إنكلترا، مثلاً آربري (Arberry) الذي كان أول من درّس العربية والفارسية في آن واحد في جامعة كمبريدج، وهو يعتبر أحسن من ترجم القرآن الكريم إلى الانكليزية. وأحصي سنة ١٩٦٩ عشرون مركزاً إسلامياً و١٧ جامعة أمريكية تدرّس العربية، وقد منحت ٩٠٠ مساعدة للطلاب المقبلين على تعلُّم العربية، بالإضافة إلى تعليمها في المدارس الدينية والعسكرية. ويدرسون أيضاً العربية في الجامعات الأمريكية في القاهرة وبيروت وطنجة، خاصة منهم المتجهين إلى الوظائف الدبلوماسية. وتشتمل مواد التعليم على اللغة والتاريخ والفلسفة والعلوم السياسية والاقتصادية الخاصة بالوطن العربي. وهي تتنوع بتنوع اهتمامات الطلاب، الذين كان منهم الراغبون في التعرف إلى ابن رشد بصفته شارحاً لأرسطو، كما تعلقت همتهم بمفكري الإسلام عامة وبالعلماء في الرياضيات والطب. ويوجد من الأساتذة من اشتغل في البحث في شؤون

---

(٣٧) الحاج مير، «الدراسات العربية والإسلامية في اسكوتلندا،» اللسان العربي، السنة ٧ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ٣٨٤.

البربر والقوافل، والمسائل التركية وبلاد العرب ومصر وباكستان. . .، ونشروا أبحاثهم في مجلة خاصة بالشرق الأوسط تصدر كل ثلاثة أشهر أو في مجلة خاصة بالعالم الإسلامي، إضافة إلى نشر الكتب، مثلاً، مقدمة ابن خلدون، ورحلة ابن بطوطة، وترجمة روايات الكتّاب المعاصرين مثل جبران خليل جبران، ومن الأساتذة من كان من أصل عربي(٣٨).

ويمكن القول إجمالاً إنه يوجد ما يقرب من ثلاثين جامعة قد سجلت العربية مادة في مقرراتها. ومنذ الستينيات نما الاهتمام بالدراسات العربية وأضفي عليها الطابع العلمي والتدريسي، فتميزت بعدة اختيارات، فإما أن يتقن الطالب قراءة الفصحى وكتابتها فحسب، وإما أن تعتبر في الحساب ضرورة دراسة اللهجات بدافع التفاهم والابلاغ على أن يأتي ذلك التدريب بعد اكتساب الفصحى، لكن مع المخاطرة بأن دائرة اهتمام الطالب ستقتصر في هذه الصورة على قطر عربي واحد لاهتمامه بعاميته المحلية. لكن دلت الأبحاث في الألسنية أن الكلام يحتل المقام الأول ولم تعد تشكّل الكتابة سوى جملة من الرموز التي تمثل الأصوات. والبحث عن الحل يكون في التوفيق بين معطيات الألسنية الحديثة وبين الواقع اللغوي العربي. فمثلاً، يدرس الطالب غير الناطق بالانكليزية هذه اللغة، شبيهة في ذلك بلغة الحوار في العواصم العربية (مثلاً لهجة القاهرة) التي تستخدمها الاذاعة والتلفزة والشباب الجامعي، والدافع إلى هذا الخيار اللغوي هو مدى قابلية فهم هذه اللهجة في المنطقة التي شاعت فيها. فوجب إذاً البدء باكتساب العامية المهذبة بحيث تكيف المستويات اللغوية بالمعطيات الثقافية. وينطلق التدرج من العربية الفصحى بصفتها لغة القرآن الكريم ليبلغ اللغة العربية الحديثة، لغة الصحافة والاذاعة، ولغة الحديث المعروفة بالعربية العاميّة المهذبة التي تستخدم بعض القوالب والقواعد والبنى الموجودة في اللغة الفصحى، فتشكّل المعبر الذي يؤدي إلى اكتساب الفصحى. فوجب لذلك التمييز بين هذه المظاهر المختلفة، العربية الفصحى والحديثة، والفصحى والعامية، وذلك لكي يعمل بمبدأ رئيس في تلقين اللغات الأجنبية، ألا وهو الانتقال من لغة الحديث إلى اللغة المكتوبة، أي من الصوت إلى الرمز المكتوب. فعلى الطالب تمييز الوحدات الصوتية المزدوجة، بواسطة الأزواج الدنيا (دم وذم، كلب وقلب. . .) قبل الشروع في الكتابة وتعلّم اللغة الفصحى، متبعاً التدرج المناسب لتعلّم الأصوات، ثم يقوم بالتمييز الصرفي. وقد أُلّفت الكتب لتوفير مستوى معيّن من التدريب الأولي في العربية الحديثة القياسية، لكنها أهملت المستويات اللغوية دون أن تتمكن من جعل تعليم العربية دراسة للغة حية تتيح للطالب الفهم أو المشاركة في الحديث، أو الاستماع إلى أغنية أو خطاب. فعندما يتحدث، لا يعيد ما في الحوار من فروق صوتية بل يكرر التراكيب الكتبية التي حفظها ربما دون فهمها فهماً كاملاً. وباتباع تدرّج يبدأ بالأصوات المأنوسة لدى الطالب وبالإقبال على التراكيب الاسمية قبل البنى الفعلية، وبتسبيق الضمائر الأكثر شيوعاً في الحديث، فإنه يمكن تقديم تراكيب إلى الطالب تعكس مظاهر الحضارة العربية، دون إرهاق ذاكرته، ذلك أن تقدّمه في هذه اللغة مرتبط بمعرفته الثقافة التي تنقلها

---

(٣٨) اللسان العربي، السنة ٦ (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩)، ص ٩٢.

العربية. وبهذا المعنى يمكنه استيعاب التراكيب بقدر ما تكون لديه دالة، وذلك منذ أول اتصال له بالعربية، يضاف إلى ذلك التمارين التعويضية والتحويلية لكي ترسخ المعلومات اللغوية الجديدة في ذهن الطالب غير الناطق بالعربية[٣٩]. هذه خلاصة بحث قام به سامي عيّاد حنّا، مدير مركز شمال افريقيا للدراسات العربية بجامعة يوتا (Utah) الأمريكية، والغرض منه قياس الأخطاء وإصلاحها في القراءة العربية. وقد رتّبت الأخطاء التي ارتكبها الطلاب الأمريكان، فكانت في الحركات أو الحروف، بزيادة الحرف أو حذفه أو تكراره. وما يمكن استخلاصه لتفادي ذلك في البحث عن وسائل تتمثل في تنمية القدرة على القراءة بالعربية بحيث يقع استدراج الطلاب العاجزين عنها داخل المجموعة إلى التدرب عليها ضمن فرق صغيرة أو فرادى، وهي وسيلة تضمن تحصيل القراءة السليمة. وفي الجملة، يبدو أن مصاعب الطلاب في القراءة العربية شبيهة بالصعوبات في اللغات الأخرى وهي غير ناتجة عن التعليم العادي. لكن يمكن التعجيل بالنتائج عند استخدام وسائل مكيفة تواكب ما للطلاب من مصاعب تواجههم في التحصيل على الدربة الكافية في القراءة باللغة العربية[٤٠].
وقد ذكر لانداو في محاضرة ألقاها بجامعة في سان فرانسيسكو أن الدراسات العربية والإسلامية في الولايات المتحدة تلاقي لدى طلبتها مصاعب جمة، لما يوجد من «احتكار» لها من طرف الجامعات الفرنسية والانكليزية، فأتاح ذلك لمستشرقين كثيرين من ذينك البلدين القيام بأبحاث متنوعة كانت لها أبعاد سياسية وغيرها. ولم يكن من حاجة، في البداية، أن يُقبل الباحثون في الولايات المتحدة على الدراسات العربية، لكن الاهتمام بالعالم العربي الإسلامي أخذ يتزايد رغم بعد الشقة، خاصة إن هذا البلد كان منشغلاً بعد الحرب العالمية الثانية بترتيب علاقته مع الصين والاتحاد السوفياتي وألمانيا. ثم إن الجاليات العربية والإسلامية كانت قليلة العدد نسبياً، فحدَّ ذلك من الأبحاث.

٣ ـ الدراسات الإسلامية والعربية في الاتحاد السوفياتي ورومانيا

التأم المؤتمر الثالث للمستعربين الروس (كل ثلاث أو أربع سنوات) من ٢٣ إلى ٢٨ حزيران/ يونيو ١٩٦٩ في أرمينيا، وقد انعقد المؤتمر الثاني في جورجيا، وشارك فيه ١٣٠ عالماً، وأعدّ المؤتمر الثالث بإشراف مجمع العلوم في الاتحاد السوفياتي ومشاركة جامعة ومجمع أرمينيا. فتفرّع إلى عدة لجان تخصصت في دراسة مسائل التاريخ والاقتصاد والأدب واللغات الساميّة... وألقيت محاضرات كثيرة عن الأدب العربي والسياسة المعاصرة (إحصاء أكثر من ألف كتاب وبحث في الاستشراق منذ المؤتمر الثاني). واشتملت الأبحاث الخاصة بالعربية على دراسة نحوية صرفية في اللغة، والتاريخ المقارن في العربية واللغات الساميّة، واللهجات العربية الحديثة، وطرق تعليم العربية لغير الناطقين بها. واكتست بعض الأبحاث طابعاً

---

(٣٩) سامي عياد ونجيب جرجس، «تدريس العربية كلغة حية في الولايات المتحدة الأمريكية،» اللسان العربي، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧١)، ج ١، ص ٢١٢.
(٤٠) اللسان العربي، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١.

دقيقاً، مثلاً المظاهر الزمنية في الفعل، ومقارنتها بالبنى الفعلية في اللغات الهندية الأوروبية. فتبين أن فعل «كان، يكون» يشكل وحدة نحوية لا وحدة صرفية، وهو ما يؤيد رأي النحاة القدامي. وقد شارك باحثون عرب (من سوريا) في البحث عن الكلمات في اللهجة السورية التي تعبر عن موقف المتكلم تجاه ما يقول وما هي نسبة الصحة في أقواله، فكان أول بحث من نوعه حاول فيه صاحبه تحليل وظيفة تلك الكلمات وذلك اعتماداً لما ثبت من نتائج في الألسنية الحديثة. وقدم بحث عن الكلمات العربية في الروسية، لما كان من انتشار للعربية في آسيا، وما خلفته من آثار على لغات بلدان الشرق، انتقلت إلى اللغة الروسية عبر كلمات عامة وعلمية[41]. ويوجد بمدينة لينغراد معهد للاستشراق بمجمع العلوم ومركز لإعداد المستعربين، تخصص في دراسة اللغة والأدب، خاصة اللغة اليمنية ولهجاتها الحديثة، وقد أشرف عليه المستشرق المعروف كراتشكوفسكي (A. Kratchkovsky) (توفي سنة ١٩٥١) وهو الذي أنشأ منصب تاريخ الأدب العربي من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين، ومنصب اللهجات القديمة والحديثة خدمة لأبحاث فقه اللغة والبلاغة في العهد الوسيط. وشرع بعد ذلك في أبحاث عن لهجات آسيا الوسطى واللهجات العربية الحديثة ووضع نظام نحوي لها، ونشر معجم عن لهجة بخارى ومعجم عربي - روسي[42].

أما الاستشراق في رومانيا، فقد كان حديث العهد بالنسبة إلى العربية، إذ تم إنشاء قسم اللغة والأدب العربي سنة ١٩٥٧، ووقع إلحاقه بمعهد اللغات الشرقية الذي كوّن عدداً من المتخصصين في هذا الميدان. فبالإضافة إلى تأهيل نظري، يتدرب الطالب عملياً على إحدى اللهجات العربية، ويتعين عليه استكمال ممارسته العامية بالإقامة في أحد الأقطار العربية. ويصنِّف هذا المعهد أيضاً كتباً لتعليم اللغة والأدب العربي القديم والحديث، واتسع نشاطه حتى أنه أمكن إعداد رسائل دكتوراه منذ ١٩٧١ حول نشأة اللغة الاجتماعية والسياسية في العربية الحديثة. ولنذكر أن رومانيا، وإن لم تُقم تدريساً في العربية على الصعيد الجامعي منذ القرن الماضي، كانت على اتصال بالعربية منذ القرن الثامن عشر. أما في الوقت الحاضر، فإن نمو الدراسات العربية صار مرتبطاً بنمو العلاقات العربية - الرومانية. وعلى سبيل التجربة، بدأت مدرسة متعددة اللغات في تعليم العربية في المستوى الابتدائي[43].

٤ - قضية الكتابة العربية

الواضح أن اللغة العربية الشائعة حالياً والمعروفة بأنها حديثة، في وضع يسمح لها بالانتشار، لكن ينبغي أن تهيأ لها الوسائل الكفيلة بمساعدتها على التطور المدروس المخطط

---

(٤١) كيفورك ميناجيان، «على هامش المؤتمر الثالث للمستعربين: الاستشراق في الاتحاد السوفياتي،» **اللسان العربي**، السنة ٨ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠)، ج ١، ص ٣٨١.

(٤٢) **اللسان العربي**، السنة ١٣ (١٩٧٣)، ج ١، ص ٢٣٤.

(٤٣) «المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،» **اللسان العربي**، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٢٥٦.

له. فإذا كان من الواجب أن يحافَظ على الكتابة القديمة المعروفة في القرآن الكريم، فيبدو أن التمادي في تعريتها من الحركات في النصوص المطبوعة من شأنه أن يشكل العائق الأكبر لتعلّمها على الوجه الأكمل بالنسبة إلى أبنائها، ومن باب أحرى بالنسبة إلى غير الناطقين بها.
ولم تعد تمثّل تلك الرعاية على الكتابة في صورتها التقليدية مجرد شغف بالتراث واحترام للغة، بل مغالاة اعترف بعضهم بأنها بمثابة العسف المترتب على الابقاء على وضع تقليدي. وعلى ذلك ينبغي إيجاد الوسيلة الكفيلة بوضع الحركات في الكتابة العربية تيسيراً لفرز الكلمات وضماناً لسلامة القراءة والفهم الصحيح للأفكار، وبذلك يمكن تعميم هذه اللغة ونشرها بين أبنائها والعمل على نشرها في العالم قاطبة، علماً بأن شهرة تيسر تعلّمها من أقرب السبل ستشكل الحافز ليُقبل على ممارستها غير الناطقين بها، لأن ذلك يشكّل الرهان في المواجهة القائمة بين الحضارات التي تروم أن تتجه إلى العالمية[٤٤]. إنه لموضوع يشغل بال المسؤولين على مصير العربية التي اتضح أن الأسلوب الذي بقيت تكتب به إلى الآن ما هو إلاّ الحاجز الذي منعها من الانتشار في أقطار العالم، وقد خاض بعض الباحثين في قضايا العربية، وفي مسائل تيسير الكتاب بمناسبة مشاركة المراسلين في الاستفتاء الذي نظّمه المكتب سنة ١٩٦٦.
ومجمل الأفكار المطروحة في ذلك الأمر أفاد على الأقل في تحديد الصعوبات التي تعترض المتدربين على الكتابة العربية، وتتلخص في تعدد أشكال الحرف الواحد، وتشابه الحروف، وافتقاد بعض الأصوات، وطبعاً انعدام الشكل التام في النصوص. ومن الآراء المعلّلة ذلك الوضع، أن ما تمّ من ترابط بين الكتابة الآرامية والنبطية والعربية لعله كان المعطل للكتابة العربية وتطورها، فبقيت في طور لا يقبل التقدم ولا يسمح، مثلاً، بانتساخ بعض الوحدات الصوتية في اللهجات الحديثة، ربما بسبب الطريقة الكتابية المختزلة المخولة تنويع المعاني عند تنويع الحركات[٤٥]. ولعله يحسن بنا أن نلقي نظرة على أصول هذه الكتابة لتفهُّم ما يمكن القيام به من إصلاحات وفي الوقت نفسه الإبقاء على طابعها التاريخي محافظة على المؤلفات القديمة.

روي أن الحروف العربية نزلت على آدم، وأن إسماعيل هو أول من كتب بالعربية. وقد انفرد ابن خلدون (توفي سنة ٨٠٨ هـ/١٤٠٦ م) بربط الحضارة بالكتابة العربية التي أفادت من الرسم السرياني، ولقنت في الأنبار في بلاد العرب، ثم تحولت إلى مكة وانتشرت في قبيلة بني أمية وقريش (علمت الكتابة بفارس في هرات). ويبدو لذلك أن الكتابة العربية قدمت من الخارج، لكن المؤرخين لم يتفقوا على موضع نشأتها بالتدقيق[٤٦]. ولعل في الألف الثالثة قبل الميلاد، هاجرت لأول مرة قبيلة عربية إلى بلاد ما بين النهرين وعملت باللغة والكتابة المسمارية، وذلك بغية معايشة الشومريين. وفي جنوب بلاد العرب، مرت الكتابة

---

(٤٤) Henri Fleish, «Arabe classique et arabe dialectical,» *Travaux et jours* (juin 1969), p. 51.

(٤٥) «L'Évolution sociale et politique des pays arabes, 1930 - 1933,» *Revue d'études islamiques* (1933), p. 501.

(٤٦) مكي، «الخط العربي: نشأته وتطوره،» ص ٤٣.

الثمودية بعدة مراحل قبل الاتصال بالكتابة النبطية، لكن لوحظت قرابة بين الكتابة الكوفية والآرامية أكثر من القرابة بين الكتابة الكوفية والحِمْيرية. وهكذا، تكون الكتابة الآرامية والعربية متقاربتين خاصة أن الحرف الآرامي متعدد الأشكال (تمّت عملية اكتشاف النقوش وأرخت سنة ٢١٠ ق.م. في سيناء، ثم سنة ٢٦٧ و٣٢٨). ويستخلص من ذلك أن الحرف العربي مشتق من الكتابات السابقة، وقد تجسم شكله في القرآن الكريم وانتشر في العالم الإسلامي. وروي أن الخطاطين أعدّوا في مسجد المدينة ثم وجهوا إلى مختلف أصقاع العالم الإسلامي. وقد طرأت تغييرات على هذه الكتابة، فتمثلت في وضع الحركات والنقط المميزة للحروف المتشابهة أشكالها، واكتست صبغة فنية. وكان أول نمط كتابي في الخط الكوفي ومن أقدم ما كُتب به وثيقة مؤرخة في سنة ٧٨٤، وقد تلون الكوفي إلى أنواع ثلاثة. ونشر الوزير ابن مقلة الخط النسخي بحيث امتاز الخط العربي بخاصيات فنية زخرفية، وارتبط بصلة لا تنفصم بالفن العربي حيث عبّر عن تصور علّل بدوافع دينية ووجدانية. وأدخلت تحويرات في فارس على الكوفي وتجسمت خاصة في التكثير من استخدام المدة. أما في تركيا، فقد حوّر خط الرقعة، واشترك هذا القطر مع فارس في اهتمام أمرائه بتعلّم الخط ونسخ القرآن الكريم، ولم يقلّ اهتمام الأندلس بالخط العربي (وُجد ٤٠٠٠ مخطوط بقرطبة سنة ٩٦١)، وتمادى ملوك النصارى بعد مرور قرنين (١٠٨٥) في العمل بالخط العربي، كما ان ألفونسو السادس سك العملة بالعربية. ونقلت عدة أشياء خلال الحروب الصليبية إلى أوروبا، وكانت تحمل نقوشاً عربية، فحُفظت في المتاحف، وزُخرفت بها الحراير، كما ان العرب المتنصرين بالأندلس عملوا الكثير لفائدة نشر ذلك الخط، فنقلوه عبر أوروبا، ويشهد على ذلك قصر إشبيلية الذي أسس سنة ١٣٥٤، وبذلك يمكن القول إن الخط العربي انتشر غاية الانتشار في اسبانيا، بفضل المصنوعات من خزف وأنسجة وزجاج. كما أن صقلية (من سنة ٨٢٧ ـ ١٠٩١) عُرفت بالخط العربي خلال حكم النورمان، في إيطاليا، وكذلك ألمانيا حيث شجع فريدريك الثاني (١٢١٥ ـ ١٢٥٠) محاكاة هذا الخط في العهد الوسيط وخلال عصر النهضة. وبذلك يمكن القول إن الخط العربي رحل عبر العالم ونقل معه ميزات فنية وزخرفية طريفة تأثرت بشحنات دينية لم تقف حائلاً دون استخدامه في الكنائس والتأثير في الرسامين بفضل أشكاله المجردة وما يقدمه من نظرة جمالية بحتة، وذلك بقطع النظر عن النص الذي يشكل دعامة الخطاط[٤٧]. وقد ثبت الآن أن ما انصهر من أنواع كتابية ساميّة قديمة تولّد عنها الخط العربي، ولهذا وقعت الآن العناية بالخطوط الشبيهة بالخط العربي تيسيراً لمقارنته بالأنماط الأخرى وبالتالي استكناه بنيته، فينبغي إذاً استقصاء النقوش، كالتي كشفت في الرقيم في بلاد العرب والتطلع إلى مهد النقوش القديمة في شبه جزيرة سيناء القريبة من البلاد النبطية (البتراء، تُعرف الآن بوادي موسى) لأن ذلك يعود بنا إلى سنة ١٨٥٠ ق.م.، وكذلك الأمر في شمال سوريا. ويبدو أن الكنعانيين هم أول من استخدم طريقة كتابة بحروف مجردة

---

(٤٧) عفيف بهنسي، «الحرف العربي وجولاته في العالم،» اللسان العربي، السنة ٥ (آب/ اغسطس ١٩٦٧)، ص ٧٨ ـ ٨٥.

استوحت أشكالها من الرموز المصرية واقتبستها من كتابة سيناء التي هاجرت إلى جنوب بلاد العرب (١٢٠٠ ق.م.) والسواحل الفينيقية. وأقدم كتابة عربية مستمدة من المسند اليمني المشتق من الخط الكنعاني (نقوش شمال بلاد العرب) الذي نشأ عنه الخط اللحياني والثمودي والصفوي. وتُقرأ الكتابة اللحيانية من اليمين إلى اليسار، وتكتب حروفها متفرقة دون حركات قصيرة أو ممدودة ولا نقط مميزة. وتوجد عدة نقوش تسمح بتتبع التغييرات الطارئة على الكتابة العربية التي حاكت الخط النبطي. وقد اكتشف في جنوب الحوران في الأردن نقش بالآرامية يبدو أنه من سنة ٢٧٠ ق.م.، كتب بخط نبطي، كما كشف عن نقش بالنمارة شرق جبل الدروز، قرب دمشق، الذي كان تعريفاً بالأمير الشاعر امرىء القيس، وكان منقوشاً بالحروف النبطية، واعتبر ذلك أقدم نص في الشعر الجاهلي. واكتشف سنة ١٨٧٩ نقش زبد إلى الجنوب الشرقي من حلب (٥١٢ ق.م.) كُتب بالعربية القديمة والسريانية واليونانية، وقد ساد الرأي أن النص العربي ربما أضيف في عصر لاحق لأنه لا يشكّل الترجمة الصحيحة لما كُتب باللغات الأخرى. واكتشف سنة ١٨٦٤ جنوب دمشق نقش باليونانية والعربية (مؤرخ سنة ٥٦٨ ق.م.) ويبدو أنه يشكّل أول نص كامل بالعربية في العصر الجاهلي. أما أقدم نص إسلامي، فقد عثر عليه بالفسطاط في القاهرة (٣١ هـ/٦٥٢ م) وهو مستوحى من القرآن الكريم، كما وجد نصان آخران بالقدس (٧٢ هـ/٦٩١ م) وبرقة (٨١ هـ/٧٠٠ م). أما الرسائل المخطوطة، فقد كُتب بعضها بيد الرسول ﷺ وهي موجهة إلى أمير الأقباط في مصر، وأمير البحرين، وملك الحبشة، ويبدو أنها صحيحة الأسانيد. وفي سنة ٤٠ هـ/٦٦٠ م، وجدت مجموعة من أوراق البردي كانت عبارة عن وثائق من نوع العقود التجارية التي تشهد على وجود كتابة ذات أشكال مدورة تخالف الخط الكوفي الذي تنوع في العصر العباسي إلى خمسين نمطاً، واستخدم حتى القرن العاشر هـ. (السادس عشر م)، ثم وقع التخلي عنه، وهو اليوم من أنواع الخط المطلوبة. ولعل مراجعة نظرية أسبقية الخط الكوفي على الخط النسخي عسيرة التحقيق لفقدان النصوص المكتوبة في العصر الجاهلي. ويبدو أن الفروق بين الكوفي والنسخي ذات طابع جغرافي، ذلك أن الكوفي شاع في الوثائق الدينية والنقوش (بلاد المغرب، الشام) في حين أن النسخي استخدم في المراسلات في مصر. وحتى فجر الإسلام، تعرَّت الكتابة من النقط والحركات، وهي ظاهرة اشتركت فيها اللغات الساميّة باستثناء اللغة الحبشية إلى أن ظهر أبو الأسود الدؤلي (توفي سنة ٦٩ هـ/٦٨٨ م) فكان أول من وضع نظام الحركات الذي وقع استكماله لتحديد العدد الكبير من الأخطاء والتحريف الطارىء في تجويد القرآن الكريم بالأخص، فمثلت الألوان والنقط المختلفة الحركات الثلاث، نقطتان = تنوين، قوسان يختلف وضعهما باختلاف الحركات = شدة. وحتى بداية العصر العباسي والقرن العاشر بالأندلس لم ينفك اللبس والخلط بين النقط النائبة عن الحركات ونقط الحروف يتزايد، ففكّر الخليل (توفي سنة ١٧٠ هـ/٧٨٦ م) في ضبط الحركات. لكن يمكن التساؤل عن النقوش التي سبقت هذا الابتكار الخليلي، وعن استعمالها الحركات أو العلامات النائبة عنها مثلاً (كان مصحف عثمان خالياً منها). وفي وثيقة مؤرخة في ٩١ هـ (٧١٠ م) لم ينقّط مؤلفها إلا كلمتين من نص طويل، ولم توضع نقط الحروف إلا قليلاً (مثلاً في نقش ٥٨ هـ/٦٧٨ م الموجود قرب الطائف). وبعد تفريغ الكتابة

العربية إلى عدة أصناف منها خط الحجاز المستعمل في المشرق والمغرب والأنـدلس بقي الرسم موحداً باستثناء مالطة التي استخـدمت مثل تـركيا الأحـرف اللاتينيـة(٤٨). ومما يـذكر في هـذا الخصوص أن اللغة المالطيـة ربما اشتقت من اللهجـات المغربيـة إلا أنها تأثـرت بالايـطالية ثم بالانكليزية فأصابها التحريف والتبديـل. وبدأوا يكتبـون بالحـرف اللاتيني في القـرن التاسـع عشر «وتـذكر بعض المصـادر أنهم بقوا يكتبـون بحروف عـربية كـوفية حتى سنة ١١٧٣ م، وقـد أدخلوا عـلى الحروف اللاتينية التي يصطنعونها إصلاحات مخصوصة لتصوير بعض المقاطع، إلا أن هجاءهم يختلف كثيراً عن الهجـاء العربي»(٤٩). وقـد وقع التنبيـه على مـا ينتظر العـربية الفصحى لـو انها استجابت لـدعوة تيسيرها إلى حد انحلالها في الأحرف اللاتينية شكلاً ومضموناً فلوَّح المتيقظون لصيانة العـربية المحافظون على سلامتها إلى أن مصيرها سيصير إلى ما آلت إليه المالطية(٥٠).

إن قضايا اللغة عامة، والكتابة خاصة، تُطرح على البحث كلما تأكدت الصعوبات التي يلاقيها غير الناطقين بالعربية عند الاقبال على تعلّمها. وقد اتفق المستعربـون على القـول إنها لغة منطقية التنظيم موضوعة طبق القواعد المعروفـة في اللغات الأخـرى، وإنها لغة لم يـطوِها النسيان بفضل إشعاعها عبر القرآن الكريم في العالم الإسلامي وإن حركـاتها ونقـطها المميـزة لحروفها التي بدأ العمل بهـا خلال المحـاولات التي جدّت عنـد تدوين المصحف عملت عـلى إضفاء مميزات خاصة بالعربية دون غيرها، لكن إلى الآن لم تقدر هـذه اللغة عـلى حل قضيـة الكتابة وحروف الطبـاعة، وذلـك على رغم مـا تراكم من مشـاريع اصـلاحية(٥١) تعلقت إمـا باستبدال الحرف العربي، وإما بصنع أشكـال جديـدة، أو باستخـدام شكل واحـد للحروف الحالية(٥٢). الواقع أن تطور الكتابة العربية كان في المـاضي ذا طابـع جمالي، واكتسى في بـداية القرن العشرين اتجاهاً جديداً واكب النهضة الحـديثة، وعـاشت تحولاً آخـر في مصر وسوريـا ولبنان. فقد جدّت حركة ناوأت الأشكال التقليدية منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، وتجسّمت في ظهـور أنماط كتـابة تـأثرت بتيـار الواقعيـة. ثم إن تزايـد استخدام آلات الكتـابة المتميـزة بحروفها المعيارية حمل على إهمال تمارين الخط(٥٣). وقد وقع التفكير في المحافظة على الحـروف الحـالية وإدخـال بعض التصحيحات عليهـا كأن يُعمـل بنظام رسم الحـرف اعتباراً للقـواعد

---

(٤٨) مكي، المصدر نفسه، ص ٤٤ ـ ٥٧.

(٤٩) محمـد بن تـاويت، «من عجـائب التصغير في بعض الكلمات،» **اللسـان العربي**، السنـة ١٦ (١٩٧٨)، ص ٧٤.

(٥٠) احسـان محمد جعفر، «مستقبل الكتـابة العـربية عـلى ضوء معـرفـة الحـروف العـربيـة والحـروف اللاتينية،» **اللسان العربي**، العدد ١٧ (١٩٧٩)، ج ١، ص ٢٤٤ ـ ٢٥٣.

(٥١) آخر ما ظهـر، العربيـة المعياريـة والمشكولـة ذات الشفرة العربية (العَمَ شَـع) من ابتكار معهـد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط، ١٩٧٩. والملاحظ أن المعيارية هي مجموعة من المحارف العربيـة التي تُمكّن من تأليف النصوص وشكلها شكلاً تاماً أو جزئياً أو تعريتهامن الشكل.

(٥٢) رشاد دارغوث، «هل اللغة العربية صعبة؟ كيف يمكن تيسيرها؟» **اللسان العربي**، السنة ٥ (آب/ أغسطس ١٩٦٧)، ص ٥٦.

(٥٣) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ١، ص ٦٣.

الصوتية(٥٤). وقد تكاثرت مشاريع تبسيط الكتابة العربية وكانت محل نقد، كأن يُعمل بالرأي القائل بفصل الحروف، وإن تشكّل في وسط الكلمة أو بواسطة أصوات المد، فيؤدي ذلك إلى تمطيط الكلمات في كتابة اليد أو في الطباعة، ولا شك أن هذه الوسيلة تحدّ من عدد الحروف المطبعية لكنها لا تقلل من تشعبها(٥٥). ومن رأي محمود تيمور أن الكتابة العربية منقوصة أساساً لتخلّيها عن الحركات، فتؤول القراءة إلى تمرين تخرق فيه قواعد النحو والصرف. وقد بدأت الطباعة والكتابة قبلها باستخدام الحروف عارية من الحركات إذ لا يعقل أن نفرض على كل من يكتب وضع الحركات. ومن رأيه أيضاً أن يستخدم الشكل المخصص لبداية الكلمة دون سواه بحيث يستعمل الحرف في وضعه بمطلع الكلمة لأنه يبدو أقرب إلى شكله الأصلي(٥٦). هذا ولا يليق أحياناً تقديم النصوص مشكولة إلى المثقفين كما يقع في المدارس، إذ يبدو هذا السلوك بمثابة استنقاص قدرة القارىء اللغوية واعفائه من بذل مجهود لغوي فكري بلوغاً للقراءة السليمة المعتمدة على القواعد. وقد ترتّب ذلك من الوجهة النفسانية، ورغم ما يبدو في الأمر من تناقض، فإن الطباعة ولّدت لدى طبقة المثقفين تصوراً خاطئاً مؤسفاً تمثل في عقدة الغلو التي نشأت بينهم تجاه الكتابة المشكولة(٥٧). فإن حاولت الكتابة العربية إعادة النمط المكتوب باليد فوصلت بين الحروف، فإن الاصلاح ينبغي أن يستوحي مادته من الطباعة كما هي جارية بالأحرف اللاتينية التي يفصل بينها، لكن الكتابة باللغة العربية ومحاولة إدخال الحركات في صلب الكلمة لم ينتج عنها سوى مضاعفة الفضاء المخصص عادة لتلك الكلمة(٥٨). وبذلك يمكن القول إنه تم «رومنة» الكتابة العربية، لكن النتيجة كانت سلبية لأنه لم يقع تكييف الخط العربي بما تتيحه الطباعة من إمكانات. ولعل هذا الاصلاح يكون ممكناً لو واكبه الخط الكوفي أو الخط العادي الذي ينبغي التخفيف من نقائصه وتقريبه من الكتابة المأنوسة(٥٩). ذلك أن التطبيق وحده يتيح الحكم على ما يعرض من مشاريع اصلاحية منها ما ظهر في المغرب في مجال إصلاح الطباعة الذي كان رائداً له الأستاذ أحمد الأخضر غزال، مدير معهد التعريب، والمتمثل في تطوير أنواع الخط العربي كالرقعي والكوفي والنسخي خاصة. وكانت قاعدته في ذلك التفريق بين فن الخط والكتابة بصفتها نظاماً من العلامات والرموز الدالة. ومن البداية لا يمكن التخلي عن الكتابة الحالية، كأن يُفصل بين الحروف على طريقة الكتابة اللاتينية بحيث يتمّ الاصلاح على أساس النظام

---

(٥٤) مجلة مجمع اللغة العربية (بغداد) (١٩٥٨)، ص ٣.

(٥٥) مجموعة البحوث والمحاضرات (١٩٦٦)، ص ٥٥.

(٥٦) مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)، السنة ٨ (١٩٥٥): كلمة منصور فهمي، ص ٩؛ كلمة ابراهيم بيومي مدكور، ص ١٥، وجلسة استقبال الأستاذين ابراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات، ص ٤١ و٣٦.

(٥٧) *La Revue du Caire* (avril 1952), p. 333.

(٥٨) سعيد الديوجي، «حول ثورية التعريب،» اللسان العربي، السنة ١٠ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣)، ج ١، ص ٢٨٠.

(٥٩) «L'Évolution sociale et politique des pays arabes, 1930 - 1933,» p. 501, et «Histoire des descriptions locales,» *Revue d'études islamiques* (1950), pp. 127 - 131.

الكتابي الراهن وضمن أشكال الحرف العربي المعمول بها. على أنه ينبغي التفريق بين الكتابة كفن زخرفي والكتابة في صورتها الوظيفية، وبذلك يمكن فحص أشكال الحروف ومعالجتها بصورة تواكب معها الضرورات المطبعية. والنتيجة أنه ينبغي توحيد أشكال الحرف الواحد، ووصل الحروف على خط مستقيم. أما الحركات، فقد اعتبرت «بمثابة حروف ولها محارف خاصة بها، وتوضع بجانب الحروف وليس فوقها أو تحتها. فأصبح عندنا نوعان من حركات الشكل: تلك التي توضع بعد الحروف التي ترتبط. . وأخرى توضع بعد الحروف التي لا ترتبط. .»[60]. ومن الوجهة الفنية، فقد نسقت حروف الطباعة في ١٠٧ علامات اعتباراً أن النصوص مشكولة شكلاً تاماً. ويسري الاصلاح على الكتابة على الآلة الكاتبة أو الرقانة بحيث انخفضت من ١٠٧ إلى ٨١ علامة، وكان التصميم الآلي مؤسساً على «تردد الحروف في الاستعمال وكذلك باعتبار أمكنة الحروف في ملامس المرقنات العربية الجاري بها العمل. ومن أوضاع الحروف المختلفة على ملامس هذه الآلات، استخرج جذع مشترك صمم الملمسان المذكوران (٤٤ و٤٦) على أساسه. ونتيجة هذه الدراسات هي أن الحروف الأكثر استعمالاً جعلت في الأوضاع السفلى الشيء الذي ينعدم في الآلات الجاري بها العمل»[61]. وتكمن الصعوبة في القدرة على اختيار أحد مشاريع الاصلاح وتنفيذها فوراً لخير الطباعة العربية ونشر الثقافة بواسطتها[62]. وما سار عليه هذا الاصلاح هو الابقاء فعلاً على جذور الأشكال الكتابية حتى لا تحدث قطيعة في التراث المكتوب. ويبدو أن تطور آلات الطباعة سيؤدي حتماً إلى تكييف الحرف العربي بها، والتنقيص من عدد الأشكال الذي هو ١٦٠ حالياً، دون أن تتكبد المؤسسات نفقات باهظة في صورة تعميم الحرف اللاتيني مثلاً[63]. وعلى هذا الأساس المتمثل في المحافظة على الحرف العربي الأصيل، تواصلت المقترحات الاصلاحية منها ما يؤكد إدخال الأصوات الأجنبية التي تعوز العربية (مثلاً u وتمثل بواو فوقه نقطة). وبذلك يمكن تحسين أساليب الشكل كأن يتفق على حذف السكون الزائد عن الحاجة إن اصطلحنا على أنه يعني فقدان الحركة، فينخفض الربع من مجموع علامات الكتابة، وحذف الحركة عند الوقف، والوصلة عند المدّ إلا في صورة وجود صوتية مزدوجة، وحذف الوصلة حفاظاً على الهمزة، وحذف الفتحة في تاء المؤنث والشدّة في الحروف الشمسية، إضافة إلى ميزات محلية قطرية في الكتابة، الياء بنقطتين في لبنان ودون نقط في مصر. هذا في الحذف، أما الزيادة فيقع وضع الألف المقدرة وكذلك الواو (هاذا، داوود). وفي المشترك والترادف يوجد من اللبس ما يحملنا على حذف بعض الأسماء (رزّ وأرز - شجرة). وموقع الهمزة من الكلمة فيكون على الألف في أول الكلمة ووسطها، وعلى السطر في الصور الأخرى[64]. ومن المعلوم أن علامات الوقف تساعد على الفهم وتبرز ما يريده المؤلف من تعبيرات دقيقة تكون بليغة

---

(٦٠) **اللسان العربي**، السنة ١٥ (١٩٧٧)، ج ٣، ص ٧٣.

(٦١) عم - ش ع، الرباط (مارس ١٩٦٩)، ج ٢.

(٦٢) أحمد الأخضر غزال، «رسم نموذجي بخط الرقعة لمشروع إصلاح الطباعة العربية،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٢١٨.

(٦٣) المصدر نفسه، ص ٩.

(٦٤) أحمد قاسم عبد الرحمان، «طريقة جديدة وعلمية في كتابة الهمزة في اللغة العربية،» **اللسان العربي**، العدد ٢٧ (١٩٨٦)، ص ٣٠٠ - ٣٠١.

دون أن يلجأ الكاتب إلى غريب الكلمات، فيكون بذلك قد فضّل المبنى على المعنى. وبهذه الاصلاحات الصغرى يمكن بالتدريج بلوغ الاصلاح الشامل المنشود في الكتابة العربية. فمن المهم مثلاً أن تُحلّ قضية الشكل قبل تغيير أشكال حروف الكتابة العربية(٦٥)، وقد وقع التفكير في إدراج الحركة ضمن الكلمة، وإضفاء الشكل الهندسي على الحروف. وكان هذا الاتجاه أساساً لبعض المشاريع الأخرى التي ظهرت في المغرب أيضاً. فمثلاً، بمجرد درجة شيوع كتابة الحروف والمدّ والشدة والهمزة والمدة والسكون دون الحركات، يمكن متابعة الصعوبات التي تعترض سبيل تطوير الكتابة العربية. والألفباء المقترح في هذا المشروع صوِّر في شكله العادي وفي صورة حروف التاج، وقد استهدف حذف نقط الإعجام (١٧) وتعويضها بعلامات صغيرة متصلة بالحرف الذي يكتسب بتلك الصورة بنية في الاتجاهين. ومن الصعوبات أيضاً حل مسألة الحروف المتشابهة في الكتابة والمختلفة صوتياً، وكذلك إيجاد حل لموقع الحركات من الكلمة خاصة أنها تفقد في الاتجاه العمودي ما تقتصده في الوضع الأفقي(٦٦)، على أنه يستحسن إقحام الألف والنون والياء في الحركات. وهو اقتراح، كما يبدو، قد زاد من تشعيب الأشكال بإضافة حروف التاج إلى الحروف المكتوبة. كانت هذه الفكرة قديمة وراجت في مصر باسم حروف التاج. أما عن الأشكال المنفصلة، فقد حققتها طريقة الأستاذ أحمد الأخضر غزال (وكذلك مقترح نصري خطّار) في الخط الكوفي، فكان المقترح يتمثل في وضع ٤٤ حرفاً ضرورياً للكتابة على طريقة التصوير. وقد كانت الأشكال متساوية الطول (باستثناء الألف والراء والزاء) مما يجعل القراءة عسيرة إن حافظ مؤلفها على أشكال فقدت رونقها واختلطت بينها نقط الاعجام وكذلك الحركات الموضوعة بين الحروف والمطولة للكلمات. ومن المعقول أن تنقل الحركات كلما دعت الضرورة إلى ذلك، حتى تحافظ على مظهرها كعلامات تكميلية، بل إنه ينبغي بالأحرى الاجتهاد في إعداد الحرف العربي لحاجات الطباعة الحديثة السائرة سريعاً إلى التطور المستمر(٦٧). وشاعت فكرة أخرى منذ ١٨٩٩ بفضل لطفي السيد رئيس مجمع القاهرة، ومفادها تخصيص الحركات في القيام بدور حروف أخرى. فكان ذلك المقترح أساساً انطلق منه اتهام الحرف العربي بالتقاعس والعجز عن مجاراة التطور الطباعي. وقد نظر مجمع القاهرة منذ ١٩٣٨ في عدة مشاريع، وشاركت في ذلك الادارة الثقافية في الجامعة في ١٩٥٦، خاصة في اجتماعات لجنة تبسيط الكتابة العربية. لكن المجمع لم يتخذ قراراً في شأنها إذ ليس في مقدوره تعميم ذلك على الوطن العربي، إضافة إلى أن بعضها قد شوّه شكل الحرف وقضى على طابعه الفني وزاد في تشعب القضية. وقد ظهرت مقترحات حذفت المظهر الاختزالي الموجود في الحروف العربية الذي به اكتسبت اقتصاداً وسرعة في الكتابة، وأدى ذلك إلى فصم عرى الصلات القائمة منذ ما يزيد على ألف سنة بين ما تجمّع من مؤلفات تشمّل التراث الثقافي العربي. ومن عيوب هذا الاتجاه اللبس بين الحركات والمد

---

(٦٥) دارغوث، «هل اللغة العربية صعبة؟ كيف يمكن تيسيرها؟»، ص ٥٧ ـ ٦٣.

(٦٦) «يحيى بلعباس،» **اللسان العربي**، السنة ٩ (كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢)، ج ١، ص ٢٢٠.

(٦٧) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ١، ص ٦٥ ـ ٧٢.

(محمد = موحمادون). واستهدف صاحب المقترح الفصل بين الحروف المشددة ووضع التنوين، كما فرض على القارىء الشكل التام مع توقّع ارتكاب الأخطاء. ويمكن التساؤل عندما ينشر في مجلة المكتب مثل هذه المشاريع، هل أن ذلك لا يعني أنه اتخذ موقفاً إيجابياً لم توافق عليه المجامع، في ما يتعلق بإصلاح الكتابة العربية، لأن الاكثار من تعميم هذه المقترحات على المطالعين ربما يبعث الحيرة والبلبلة في الأفكار الميالة بطبعها إلى كل ما هو جديد[٦٨]. وقد كانت النظرة الشمولية القائمة على البحث المدقّق مدار عرض قدّمه الأستاذ تمّام حسّان إلى مؤتمر ١٩٧٣، فشكلت جملة وخلاصة للمشاغل الخاصة بتحوير نظام الكتابة الذي ينبغي اخضاعه لقواعد الألسنية. فمن المعلوم أن هذا النظام ينبغي أن يمثل الوحدات الصوتية، لا الأصوات التي يمكن وصفها من طريق علم الأصوات التحليلي بحيث يجب أن يطابق بين العلامات والوحدات الصوتية واحداً واحداً. ولا يمكن أن يمثّل الرمز المركّب الوحدة الصوتية كما لا يمكن الرمز الكتابي أن يمثّل الصوت المركّب. ذلك أنه ينبغي معالجة الرموز بمظهرها الكتابي والصوتي. أما رموز الكتابة، فينبغي أن تتصف بالبساطة وتحدد إلى أقصى حد استعمال العلامات المميزة. وقد كانت الكتابة العربية مستوفية الشرط الأول لأنها تهتم بالحروف لا بالأصوات المعزولة المنفصلة. من ذلك أن لحرف النون عدة صور يفصل فيها نقطة لكن يدل عليه رمز كتابي واحد. وفي نطاق شكل نصوص مُعدَّة طبعاً للقراءة، لا غرو أن السكون الذي يرتبط بالوقف ينبغي أن يدل على فقدان الحركة، لكن لا يتبين ذلك في نص غير مشكول. وخلافاً للفرنسية والانكليزية، فليس للعربية علامة تدل على حرفين مختلفين، باستثناء التشديد. لكن الألف والواو والياء تقوم بعدة أدوار ووظائف، فتحمل الهمزة وتستعمل حروفاً ومدّاً. وقد ترتب على تشابه عدة حروف ووضع نقط لتمييزها، تزايد عظيم في عدد الأخطاء التي شاعت باسم اللحن والتحريف، وبقي البعض منها في الاستعمال اللغوي، بحيث صار سياق النص وقرائنه الدالة العمدة في القراءة دون شكل. وقد عكس الخليل القضية في العروض الذي أخضع لمتطلبات الايقاع بواسطة وجود الحركة والمدّ قبل الحروف، خلافاً لما ضبط من نظام خاص بالمعجم والصرف والكتابة. وفي الجملة، فإن الاصلاح الخاص بالكتابة العربية صار يعني العمل على مواجهة القضايا ذات الصبغة الاجتماعية والاقتصادية والنفسانية. فإذا طرأ اصلاح ما على أحد هذه المظاهر، فينبغي التفكير في ما ينجم عن ذلك من صعوبات قائمة الذات في الوقت الحاضر ومتمثلة كما قلنا في إهمال التراث وفصم الارتباط القائم بين الأجيال وبين التضامن الفعلي الذي يربط بين الأقطار العربية والإسلامية، ترقباً لنتائج محتملة ايجابية وسلبية ستترتب طبعاً على أي إصلاح يتقرر تطبيقه. لكن بعض التجارب قد وفّقت في مسعاها، كنجاح شيوع الحرف اللاتيني في تركيا، وقد قررت أندونيسيا ثم الصومال تطبيق الكتابة اللاتينية على لغاتها اعتماداً للصعوبات التي تلاقيها الطباعة بالأحرف العربية، وتم ذلك في الوقت نفسه الذي أعدت خلاله لجنة شكلتها الجامعة، نظاماً كتابياً مستوحى من الكتابة العربية، صالحاً للتطبيق على اللغة الصومالية.

---

(٦٨) المصدر نفسه، ص ٩٦ ـ ٩٨.

لكن سيل المشاريع الاصلاحية لم يتوقف، بل إن تصوير نماذجه كان يرفق بمحتواه النظري التقعيدي، ومن أهداف بعضها إعطاء شكل واحد للحرف الواحد وتطبيق ذلك على الطباعة والآلات والأشياء(٦٩). والمقصود من هذه المشاريع أنها ترمي إلى رفع طابع القدسية عن الحرف العربي، الذي ينبغي أن يخضع بقطع النظر عن ميزته الدينية والسياسية، بحيث تطرح قضايا الكتابة ومصاعبها المتمثلة في عسر القراءة والرسم السليم. وقد ذكر ابن خلدون ان الهمزة ينبغي اعتبارها حرفاً مستقلاً متميزاً بشكل وصوت خاص، رغم ما يطرأ عليها من تنوع في الكتابة، ويمكن وضعها على الألف القصيرة والممدودة، أكثر مما اتجه إلى القول بوضعها على الألف المقصورة، وذلك بغية كتابة الاسم والفعل المبني أو المعرب. وفي خصوص الألف الساكنة المنفصلة أو المحذوفة في بعض الكلمات (الله) فإنه يمكن اعتماد ما شاع من ذلك في الكتابة. وتوجد أيضاً قضية العمل على إنجاز الطبع السريع للمكتوبات، ويرجع ذلك إلى وجود كتابة غير صوتية، ونتيجته أزمة الخلق والنشر الأدبي. ولو أحصينا عدد الخطوط العربية لوجدناها قد بلغت الثمانين، ونتيجة ذلك ازدياد حدة قضية الكتابة وإلحاحها على المسؤولين ربطاً لها بقضية التطور العلمي واستخدام العربية أداة للحضارة العصرية. وتيسيراً لإيجاد الحلول القليلة النفقات القابلة للتنفيذ الفوري، يحسن التروي في الأمر بفرض الاصلاحات الجزئية الممكنة ضمن الوضع الكتابي المطبعي الراهن. فمثلاً: «لو بقيت الحروف بدون تنقيط حتى عهد الطباعة لخفف ذلك خمسة عشر حرفاً أي ستين نوعاً من الحروف المطبعية (البدائية والوسطى والنهائية والمستقلة). ولا بد من الانتباه إلى هذه الملاحظة في ابتكار الحروف الجديدة وذلك بفصل النقاط عن الحروف وليس بإلغائها. ثم بإضافتها بالآلة الطابعة»(٧٠).

تلك هي الوجوه المختلفة التي يمكن في نطاق هذا المبحث الإشارة إليها دون أن ندعي الإحاطة بها، فكيف استقصاء مسائلها والنفاذ إلى أعماق قضية الكتابة العربية؟ لكن يمكن تأكيد الترابط الموجود بين الجهد الواجب بذله للإلمام بها، كما أن الجهد العضلي الكبير يصرف أيضاً عند القيام بفعل القراءة، وهو يتجسم خاصة في إرهاق البصر الذي عليه أن يلمّ في نظرة واحدة بالكلمة وبنيتها ودلالتها بغية الحصول على شكل وظيفي وإدراك نسبي قابل للخطأ في كل مرة. وقد تطورت محاولات الاصلاح بتلافي ذلك الأمر، فأرادت تطوير الكتابة والطباعة. ولا شك أن الوطن العربي عرف المطبعة في فترة حديثة نسبياً: بدأت أول مطبعة في العمل في حلب سنة ١٧٠٦، وقد استخدمت ٢٢٢ رمزاً، ومن ثم، ارتفع هذا الرقم إلى ٩٠٠ بسبب الحروف المشكولة. وتطور العمل من التصفيف اليدوي كلمة فكلمة حتى استعمال الآلة المصففة (المرصفة وآلة السبك الحرفي). ومن المعلوم أن مجمع القاهرة كلّف بقضية تيسير الكتابة بقرار وزاري (١٩٤١/٢/٦)، فأتيح له النظر في مشاريع الكتابة بالأحرف اللاتينية، والحرف العربي المعياري المنفصل الموحد الشكل، وإدخال تنقيحات كاملة

---

(٦٩) و/ المكتب: براءة المشروع أودعت في ١٩٦٧/٥/٢، من ابتكار هاشم تابه.

(٧٠) ادريس بن الحسن العلمي، «المشتركة بين الفتح والكسر،» **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ١، ص ١٣٤.

أو جزئية على الألفباء. والملاحظ أن مبتكر كل مشروع جديد يعتمد ما سبق ويقدّر مزايا المشاريع ومساوئها محاولاً القضاء على المساوىء والخروج بفكرة جديدة يظن أنها قابلة للتنفيذ. فيتم الاصلاح المقترح في توحيد شكل الحروف، وفي وضع النقط والحركات، وفي اختلاف حجم الحروف. ويرى بعض الخبراء أن الأمر الأساس في الكتابة العربية يتمثل في الروابط التي تصل بين الحروف، والحركات، واتجاه الكتابة. أما نقط الاعجام وتعدد الأشكال، فهي تشكّل مظاهر ثانوية. وما يثيره أنصار الكتابة بالحرف اللاتيني هو فقدان حروف التاج التي عوضتها الآن الكتابة بالحروف البارزة، واختلاف ارتفاع الحروف وهو أمر موجود في لغات أخرى، وانعدام بعض الأصوات، وهو أمر ينبغي التحري فيه إذ لا يمكن العربية أن تستوعب الأصوات كافة المغايرة لأصواتها والموجودة في اللغات الأخرى إلى ما لا نهاية. وإذا راجعنا الأطوار التي مرت بها الكتابة العربية منذ أن ثبت اقتباسها عن النبطية أشكالها بفضل ما وجد من نقوش، وكذلك ما طرأ من تغييرات على الخط، وضبط اللغة بالنقط التي قامت مقام الحركات ثم بالجرات، وأيضاً قواعد النحو، فقد يتجه بنا الرأي إلى العمل بطريقة «طبيعية» تعود إلى الأصول وتخلص الحروف من كل الزخارف التي لا طائل من ورائها، محتفظة بشكل أصلي معتدل، ومستعملة الوصل بين الأحرف. وطبعاً لا مفر من توحيد الأشكال المكتوبة والمطبوعة، باستثناء التاء بشكلين والهمزة بدعامات ثلاث. والتجديد برز في هذا المقترح، في حذف النقط، وهو أول رأي من هذا النوع ظهر في الكتابة العربية، واستبدالها بسننات مميزة تقع ضمن الأحرف. أما الشكل فيوضع في صلب الكلمة بالنسبة إلى النص المطبوع ودون تغيير في النص المكتوب. والمقصود من تضافر، وربما تكامل هذه الآراء، العمل على تيسير الدربة على القراءة وإصلاحها بفضل الشكل والتطابق بين الكتابة والطباعة. ويستند المشروع إلى ٣٢ شكلاً حرفياً و٢٢ علامة للرسم (+ ١٢ لعلامات الوقف و١٤ للتعداد). ويعترف صاحبه بالصعوبات التقنية والنفسية التي تحول دون تطبيقه، كصهر الأشكال الجديدة والانقطاع عن العمل بالعادات الفنية المكتسبة في الخطاطة. لكن الاعتراض الذي يبديه الخطاطون خاصة سيتجه إلى الزوال لو تبنّت سلطات التعليم ذلك، خاصة أن قليلاً من الجهد سيتيح للخطاطين تجديد خياراتهم الفنية والاتجاه إلى تصور وسائل جديدة من شأنها أن تدخل تحسينات على الخط العربي[٧١]. والمقصود من كل هذه الأفكار هو العمل على بعث تيار من المقترحات الجادة العاملة على إدخال ما يجب من إصلاح على الكتابة العربية، بأن تُقحَم الحركات ضمن الكلمة، للتخلي عن الشكل التقليدي، لكن ذلك سيؤول إلى خلق مصاعب جديدة دون شك[٧٢]. لكن عصر الاعلامية فتح آفاقاً جديدة للطباعة العربية حيث ان التنضيد بالوسائل الالكترونية حافظ على جمالية الخط العربي: «إلا أن تعدد هذه الأشكال فوق الحد المعقول (الذي يسهل التعرف التلقائي على ماهية الحرف الواحد) وعدم توفر علامات التحريك (التي تضمن النطق الصحيح) يشكلان العائقين الأساسيين لمحاربة الأمية ورفع مستوى اللغة في

---

(٧١) اللسان العربي، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ١، ص ٧٣ ـ ٩٤.

(٧٢) المصدر نفسه، ص ٩٩.

المؤسسات التعليمية وضبط المصطلحات العلمية والتقنية بوسائل الاعلاميات وإنشاء بنوك المعطيات العربية»[٧٣].

والخلاصة، إن موقف المؤسسات العربية المعنية كالمجامع والمكتب، كان إلى جانب المحافظة على الطابع العربي للكتابة. ذلك أن ما وجّه من نقد للحرف وما كان له من تأييد أيضاً تأثرا بدوافع خارجة عن جمالية الكتابة العربية. والملاحظ ان العربية هي اللغة الوحيدة التي تملك الحروف ذاتها في الكتابة والطباعة، ولا إنكار لما يحدث من إرهاق بصري وفكري لتعدد الأشكال في الحرف الواحد. ولعل استخدام آلة السبك الالكترونية يشكل عاملاً يمكن به الاقتصاد في طول الكلمة إذ وقع اختصار الجرات التي تصل بين الحروف. وقد حافظت كتابة اليد على مظهرها الجمالي. وبفضل محاولات التوفيق بين الوسائل التي تتيحها الطباعة والمظاهر الجمالية في الكتابة، فإنه يمكن تجاوز مشاريع التجديد. وبالطبع لا مانع من الاستمرار في النقاش على أن تكون لنا القناعة بتضافر التاريخ والجمالية والمستقبل للمحافظة على ما في الحرف العربي من رونق وانسجام يخضع لقواعد هندسية دقيقة[٧٤].

ويرتبط بقضية الكتابة عامة وما يترتب على صعوباتها من تأثيرات سالبة على اللغة العلمية العربية وما ينبغي تحديده من قرارات في شأن استخدام الأصوات الأجنبية الضرورية في المعادلات العلمية، وكذلك قضية توحيد الأرقام في الوطن العربي، كلها مؤشرات تبيّن انشغال الرأي العلمي العام بوجوب إيجاد حلول دائمة لهذه المسائل قصد الاسراع بتحقيق التعريب العلمي في مختلف المجالات. فقد أشرنا إلى مقررات مؤتمر ١٩٧٣ في شأن تعميم الأرقام العربية وما يترتب على ذلك من فوائد تعفينا من ترجمة الجداول الرياضية وغيرها، وتلافي الأخطاء التي يتسبب فيها رسم الصفر في الأرقام الهندية (٠)، وكذلك تبني الرموز المتفق عليها على الصعيد العالمي[٧٥]. «وبالأخص الصفر الممثل بدائرة خالية من الزوايا وأن هذا التمثيل الذي يحوي الصفر هو الذي نقله العرب إلى أوروبا فأمكن به كتابة الرقم بالنظام العصري واشتقت منه كلمتا Chiffre, zéro واستنتجت منه أن علامة في المائة ٥٪ ما هي إلا تحوير ٠٥,٠»[٧٦]. فعلاً، لقد شاعت هذه الأرقام في أنحاء العالم كافة باستثناء أقطار المشرق العربي التي حافظت على الأرقام الهندية لأسباب تاريخية تراثية. ويبدو أن العرب، كما وضعوا هذه الأرقام، فقد وضعوا أيضاً الأرقام الغبارية المتلائمة مع الزوايا «وقد يعطينا انتشارها في دول العالم الكبرى عدة فوائد زمنية واقتصادية، ونحن في عصر التقنية الالكترونية، إذا ما عدنا إلى استعمالها بدل الأرقام التي نسميها بالهندية، وهذا ما يتحمس في الدعوة إليه كثير من اخواننا في المغرب العربي، اعتزازاً بأصلها العربي»[٧٧]. وإن كان أصلها عربياً، فقد اقتبس العرب أصولها من الهند حسب أكثر الاحتمالات، وأدخلوا عليها ما

(٧٣) «التوصيات المنبثقة عن مدرستي الألكسو الأولى والثانية،» **اللسان العربي**، العدد ٢٥ (١٩٨٥)، ص ٣٤٣.

(٧٤) **اللسان العربي**، السنة ١١ (١٩٧٤)، ج ١، ص ٩٥.

(٧٥) **اللسان العربي**، السنة ١٢ (١٩٧٥)، ج ١، ص ١٠٩ ـ ١١٥.

(٧٦) المصدر نفسه، ص ١٠٩ ـ ١١٥.

(٧٧) المصدر نفسه، ص ١٨٨.

يناسب ذوق الخط العربي وفنياته وما يجب من تنقيحات وتحويرات، أضفت عليها طابعاً عربياً صميماً؛ فلو لم تكن لها تلك الأصالة العربية لما عاشت إلى اليوم بذلك الاستقرار الـذي خدم الرياضيات والعلوم عامة خدمات جلّى[٧٨].

(٧٨) عبد العزيز بنعبد الله، «الأرقام العربية،» **اللسان العربي**، السنة ١٦ (١٩٧٨)، ج ١، ص٧.

خاتمة

إن مجرد التفكير في وضع خطة عمل للإحاطة بقضية التعريب في عموميتها على صعيد الوطن العربي، يبدو أمراً فوق طاقة الفرد الواحد، ومن باب أولى إذا ابتغى متابعة ما تحقق على صعيد الأقطار، وما طرأ على تلك المنجزات من تفاوت فرضته الظروف التاريخية والاعتبارات المحلية. لكن معايشة المؤسسات التي تمثّل دورها في تنشيط هذه الحركة الشاملة التي تدور كأكثر ما يكون الدوران في المغرب العربي بغية العمل على محو ما خلّفه الماضي من أوضاع تخلّف لغوي تجسّم في نفاذ اللغة الأجنبية إلى صميم الحياة اليومية، من شأنها أن تكون بمثابة التوجيه الذي استند إلى الوثيقة والاستجواب واستجلاء الأمور عبر الأبحاث التكميلية المنشورة وغير المنشورة. وقد كان من نتائج هذا الدفع التعريبي أن التأمت منذ أن حصلت الأقطار المغربية على استقلالها، ثلاثة مؤتمرات للتعريب انبثق عن أولها سنة ١٩٦١، مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط، أول مكان جمع خبراء الأقطار العربية في هذا الميدان، وكان المؤتمر الثاني قد انعقد في الجزائر (١٩٧٣)، في حين أن المؤتمر الثالث (١٩٧٧) اجتمع في طرابلس. وانعقدت ثلاثة مؤتمرات أخرى منها مؤتمرات في المغرب مقر المكتب (طنجة ١٩٨١ والرباط ١٩٨٨) في حين أن المؤتمر الخامس انعقد في عمّان (١٩٨٥).

أفلا يمكن القول، بعد ذلك، إن تجربة التعريب بما اكتسته من دلالات شاملة محددة مشحونة بأبعاد ثقافية وحضارية تعمّ الوطن العربي كافة، ركّزت رهان توفيقها على الأرض المغربية؟ ذلك أن أقطار المشرق قطعت أشواطاً في هذا السبيل وكسبت من الخبرة الاصطلاحية ما جعلها تسير بخطى موزونة تسابق ما يجدّ من مفاهيم علمية جديدة في المجالات كافة، مؤسسة عملها على خبرة سابقة قابلة طبعاً للمراجعة والنقد، لما طرأ عليها مثل كل عمل علمي من أطوار توالت خلالها المواقف الحماسية والأعمال المدروسة الرصينة. فكان على المغرب العربي أن يقيّم تلك النتائج ويضعها على محك المقاييس اللغوية والعلمية المتطورة دائماً، ديدنه في ذلك إرادة صلبة لا تني في استكمال مقومات شخصيته الحضارية التي تعبّر عن ذاتها بلغة عربية حافظت على كيانها وأدّت التصورات الثقافية الحديثة على أحسن وجه، ترقباً

لقيامها بالفعل العلمي الشامل الذي يستخدم لغة متطورة جاهزة مستجيبة لكل الطلبات. وهذا ما تجسّم في نشاط إحدى مؤسسات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، نعني مكتب تنسيق التعريب الذي تهيأ له القيام بمهام دقيقة مستعجلة تمثّلت في تنسيق قضايا التعريب ومنهجيته لأن ذلك هو الأسّ الذي يعد لوضع المصطلحات التي لا يمكن أن تكون بحال الحد الذي يقف عنده النشاط التعريبي العام. فما فائدة الانكباب على تصنيف المصطلحات إذا انعزلت عن الحركة الثقافية والحضارية الشاملة؟ أجل، إن المنظمة تعمل دائبة لفائدة تطوير اللغة العربية بصورة تجعلها في مأمن من كل تطوير تعسفي مشبوه. هذا من جهة، ومن جهة أخرى يعوّل المغرب والأقطار الأخرى، خاصة منها الافريقية التي اختارت العربية أداة تعبير وحضارة، على المؤسسات العروبية للاسهام في بناء كيان حضاري معرّب يشمل في جملة ما يشمل الأبعاد العلمية كافة التي تخوّلها التكيف مع متطلبات الحياة وما يتصل بها من عوامل تقنية متجسّمة في الحاجة إلى ما يكفيها من لغة علمية تعبّر بواسطتها عن مقاصدها الاقتصادية والتقانية والتنموية بصورة عامة. ذلك أن تحقيق التعريب في تلك الأقطار لا يتنافى ووجود أدوات لغوية أخرى تقوم بدور المساعد على تأدية المفاهيم العلمية الدقيقة العويصة التي لم تتمكن العربية من التعبير عنها وإشاعتها بحيث لا تترقب الأقطار المغربية أو حتى المشرقية وضع تلك المفاهيم من طرف المجامع ثم تنسيقها من طرف المكتب، بل تستخدم ما تحقق وضعه باللغات العالمية وتضيف إليها مقابلاتها العربية. وقد أثبت الواقع اللغوي والاصطلاحي أن العمل اليومي في المستوى الاعلامي والاجتماعي والاداري ليس له أن يترقّب التقنينات الاصطلاحية، بل إن الحاجة تفرض عليه إمّا الارتجال لمواجهة الانتاج العالمي في حقل من حقول الاختصاص، وإما الاعتماد على اللفظة العلمية الأعجمية التي تنفذ وتشيع بين مستعمليها وترسخ دون أن يمكن بعد ذلك تخطيها أو القضاء عليها، أو حتى استبدالها بالمقابل العربي. وما يمكن أن تواجه به هذه الاحتمالات هو الشروع فوراً في استخدام أدق الوسائل اللاسلكية وأسرعها والمبادرة بترويج المفهوم العربي العلمي المقابل لصنوه الأعجمي على الصعيد العربي والتحري في وصوله واستعماله الفعلي في التدريس ووسائل الاعلام. ولن يتجسّم مثل هذا المقترح إلاّ باتفاق جماعي يكون تتويجاً لجهود قطرية وجهوية وقومية عربية، علماً، مثلاً، باستعداد المنظمات العربية بداية من سنة ١٩٨٠ وتأهبها لاستخدام تسهيلات الأقمار الصناعية المجهّزة في بعض أقطارها لأغراض علمية وتربوية وثقافية. ألا يمكن أن تكون القضية العلمية هي المنطلق، ومن ثم تتسع الدائرة الاعلامية فتشمل الميادين الأخرى كافة؟ وما نجح، مثلاً، في الحصص أو الخدمات الاخبارية (نقل مواسم الحج) الدينية قابل من باب أولى لنقل المعلومات في حينها بحيث لا يمكن إلاّ أن يواكب أو يتبع الخبر كل انجاز علمي حضاري شامل. إن هذا الاتجاه إلى التجريد العلمي الذي يستند إلى الأجهزة والآلات المتطورة سيقضي بالتدريج وبعد أن يتأكد نجاحه وتقام الحجة على فعاليته الفورية، على كل ما ينشأ من اعتبارات ترجع إلى السلوك البشري الخاضع لمؤثرات الفكر والعاطفة والتقلبات النفسية، ويطهّر المفاهيم العلمية من كل الشوائب القطرية المحلية التي تريد، مثلاً، فرض أحد المصطلحات وتفويقه على كل ما سواه حتى ولو ثبتت مخالفته مفهوم المصطلح العلمي ومنطوقه. أما على صعيد المؤسسات اللغوية والعلمية، فلا

شك أن كل واحدة منها تعمل في دائرة اختصاصها، لكن ما يلاحَظ في هذا الباب هو تكرار أو توازي بعض الأعمال المعجمية بحيث لو طبِّق مبدأ التنسيق في جملته لأمكن تلافي العمل المكرَّر وتخصيص الجهود لارتياد ميادين علمية أخرى يعوز العربية كل مصطلحاتها أو بعضها. وبذلك يكون التضامن العلمي بين المنظمات العربية الجامعية والمجمعية والعروبية أقوى ضمان لدفع الحركة العلمية، وهو يتمثّل أيضاً في العمل على تنسيق مشاريعها الاصطلاحية تنسيقاً محكماً فعلياً، لأن فكرة التوحيد والتنسيق معترف بها، لكن ما يهم هو مراجعتها باستمرار والتحرّي في تصور التنسيق بحيث لا يكون ثمرة للمجهود الفرد الذي يقوم به المكتب بالرباط، بل إن تيسير أعمال هذه المؤسسة يحتم إشاعة الفكرة التنسيقية بين الأفراد والأجهزة العاملة لفائدة قضية التعريب حتى تحلّ محل التنافس وضياع الجهود وراء البحث عن الحلول التوفيقية التي تحاول التقريب بين وجهات النظر في حين أن المصطلح محل النقاش رسخ، مثلاً، في قطر أو في عدة أقطار. وفي هذا الصدد، ألا يمكن اعتبار الوطن العربي مناطق لغوية متقاربة المشاكل وموحدة الحلول؟ الأمر يبدو واضحاً في قضية اللهجات، فهناك منطقة الخليج وأقطارها العديدة الصغيرة، ومنطقة الشام بما فيها الأردن والعراق، ومنطقة افريقية مشرقية تضمّ مصر والسودان وليبيا، ومنطقة افريقية مغربية تضم أقطار المغرب بما فيها موريتانيا. أفلا يحسن بهذه الأقاليم من الوطن العربي، وهذا قول نظري طبعاً، أن تخوض قضاياها التعريبية متحدة، تيسيراً لما يدور من أعمال وما يبذل من جهود في مؤتمرات التعريب القادمة؟ وعلى هذا الأساس، لعلّ النتائج التي سيتوصل إليها كل مؤتمر مقبل للتعريب ستكون أكثر فعالية، لأن القضايا تجمعت في وحدات اقليمية متقاربة. من ذلك، مثلاً، أنه يمكنها تجميع الطلبات القطرية والاقليمية الواردة عليها في المجال الاصطلاحي واللغوي العلمي عموماً والاستجابة بصورة مؤقتة لها، ترقباً لما يقرّره مؤتمر التعريب القادم. إذ لا يمكن تعطيل رغبات المعربين من أفراد ومؤسسات وتثبيط عزائمهم، خاصة إذا كانت ملحّة مستعجلة. وإلاّ فما الفائدة من الدعوة إلى التعريب إذ كان لا يمكن اعطاء الرد المقنع الفعّال القابل للتطبيق الفوري على كل مطلب من هذا القبيل؟ إن عجلة العلم تدور بسرعة فائقة وعلى اللغة أن تتفاعل معها لتدلّل على القدرة الكامنة فيها، القابلة للتكيّف مع كل الأوضاع العلمية والتقنية الطارئة، التي لا تتحمل التأخير والانتظار مما قد يعني لدى الرأي العام العجز اللغوي المتمثّل في التأخّر عن مواكبة ركب الابتكارات العلمية. فمثلاً، أثير الجدل طويلاً حول ما لمكتب تنسيق التعريب من صلاحيات تخوّله التوحيد والتنسيق بالخصوص. لكن إذا اتجهت إليه الطلبات العاجلة، فهل يستجيب لها ويضع المصطلحات المطلوبة إن فقدت، أم أنه يتريّث ويحيل الأمر على السلطات ذات النظر، خاصة أن أقطار المغرب في أمسّ الحاجة إلى مثل هذه المساعدات التعريبية؟ طبعاً، إن نظامه الأساسي يحتّم عليه الاقتصار على العمل التنسيقي، لكن ألا يحسن به أن يتجاوب في حالات معينة وطلبات بعض الأجهزة فيعمل على تسديدها من أيسر السبل، متجاوزاً التراتيب الادارية المعمول بها في مؤسسات الجامعة. وهذا لا يمنع إعداد تلك الطلبات والصور التي وضعت بها وتقديمها إلى موافقة مؤتمر التعريب، وذلك لإخراجها من دائرة المقترح الخاص الذي أتاح لإحدى المؤسسات العلمية أو الصناعية خوض قضيتها التعريبية والنزول بها إلى أرض الواقع. والمظنون أن مثل هذا النشاط الاصطلاحي

المحدود الطارىء لا يمكن أن ينتقص من اختصاصات المؤسسات اللغوية والعلمية الأخرى اعتباراً أن العمل العلمي متكامل بغية بلورة المفاهيم العلمية ووضعها باللغة العربية على أدق ما يكون المفهوم وهو يندرج في العمل اللغوي العام بحيث تحاط اللفظة بما يجب من الايضاحات اللغوية والنحوية والصرفية وخاصة الدلالية. وأولى القواعد ألّا يُقبل أي لفظ غامض وألّا يُعمل بمفهومين اثنين محتملين يقابلان المفهوم الأجنبي. وثاني القواعد أن تضبط ضبطاً صارماً الصور الصرفية التي توزن عليها المصطلحات العلمية. وثالث القواعد أن تُبتكر عبارات تقبل الاعراب قدر المستطاع وتعدّ العدّة لتحويلها إلى ألفاظ تقنية متخصصة. وبهذه الصورة يمكن القول إن العمل التعريبي صار خاضعاً لمنهجية علمية ثابتة لا محيد عنها، وإن قبلت المراجعة والتنقيح، فذلك يكون عن قرار عروبي شامل يقصد به مسايرة التطور العلمي ويستهدف أقصى ما يمكن من النجاعة.

ومن المعلوم أن التفاوت في ما حققته الأقطار العربية في حقل التعريب حقيقة قائمة، وقد نجم عن ذلك اضطراب في الوضع الاصطلاحي انتقل إلى الكتب المدرسية، فكان ضرر التعريب المتعجّل بمثابة النكسة التعليمية، وكثر الحديث عن حسن نية أو عن سوئها، بأن وقع الربط بين تحقيق التعريب وانخفاض المستوى التعليمي. وتقويماً لهذا الرأي كثيراً ما استشهد أيضاً بمنجزات سوريا والعراق وغيرهما في مجال التعريب الذي كان عملا شاملاً امتد إلى المعاجم والتعليم والادارة ونواحي النشاط القطري كافة، وبالطبع وقع استثناء نشاطات عدة، لفقدان اللغة الاصطلاحية التي بها يمكن التعبير عن مفاهيمها، ولا يعني ذلك مثلاً اختفاء اللهجات، وتفوّق العربية في كل مجال، بل إن التعريب تجسّم في الحياة العامة دون أن تدعمه أية حركة تنسيقية تزيد من مفعوله ونجاعته. فقد تمادت سوريا في تقديم عدة دروس باللغة الأجنبية لأن الاختصاص العلمي الدقيق يفرض ذلك. لكن ضعف الطلاب في تلك اللغات حمل على التفكير في حذفها سنة ١٩٧١. أما في المغرب، فكان الحماس كبيراً لفائدة التعريب، ومع ذلك تمادت المقررات التعليمية في افساح جزء هام من محتواها إلى اللغات الأجنبية، ترقباً لما سيتحقق على الصعيد العربي من تقدم ملموس يتجه بالأقطار المعربة إلى تنسيق برامجها التعريبية. عمل المؤسسات العلمية العربية يتجسّم الآن لا في الإقناع بحتمية التعريب ولا حتى بتنسيقه لأن تلك الظاهرة إن كانت مستجدة قبل أول مؤتمر للتعريب الذي انعقد سنة ١٩٦١، فقد صارت اليوم أمراً مفروغاً منه أو يكاد، بل يتمثّل في العمل المستمر الدائب على التدليل على حيوية العربية وقدرتها على استيعاب كل المفاهيم العلمية المبتكرة دون استثناء، وذلك بتقديم الشواهد الملموسة التي لا تقبل القدح. وتبدو خطوط النشاط واضحة، وينبغي ابرازها في تأليف أو نقل المؤلفات العلمية الأساسية والكتب المدرسية خاصة للتعليم العالي والمرحلة الأخيرة من التعليم الثانوي، بما فيها الكتب الحضارية لأن التعريب لا يمكن أن يقتصر على الحركة المعجمية أو التعليمية، بل هو بالأخص خيار حضاري قبل كل شيء. ويمكن تجسيم ذلك مثلاً في توجيه الطلاب والأساتذة إلى اضفاء الصبغة الواقعية على الدراسة العلمية وربط المقررات والمواضيع بالواقع العلمي المحلي، فنتجنب بذلك الدروس النظرية البحتة خاصة في التعليم الثانوي، اضافة إلى وجوب اقحام

العلميين واللغويين في معركة التعريب المستمرة. وبهذا التصور لا تناقض بين المناهج القطرية وتوحيد اللغة العلمية العربية، بل إن ذلك سيزيدها ثراء ونمواً بما تستمده من الخاصيات المحلية من ألفاظ. ويبرز ذلك عند وضع المعاجم التي غلبت عليها الكثرة النسبية لتخصصها وتفريعها إلى عدة تقسيمات بحيث صار من يروم استخدامها بصورة ناجعة يكون من أمرها في حيرة، ذلك أن اللفظة إما أن يتضمنها المعجم اللغوي فتكون عامة وإما لا يتضمنها فتكون علمية دقيقة. وفي هذه الصورة يعسر على المترجم التنقيب عنها في معجم معيّن خاصة إذا جهل مأتاها، أهي من الرياضيات أو الفيزياء أو الكيمياء أو غير ذلك، وهنا صارت الضرورة لتصنيف المعجم العلمي والتقني العام ملحّة إلى درجة قصوى، فيا حبذا لو اعتنى مؤتمر التعريب المقبل بذلك، وفكرت المنظمة في وضعه في أقرب الآجال، خاصة إن المعاجم الفرعية شكّلت الآن مجموعة علمية متكاملة. وبهذا تتهيأ الفرصة للتحرّي في ما تراكم من قوائم مجمعية وقوائم فردية وبادرات ابتكارية متنوعة، وما يمكن استغلاله أيضاً في اللغة المحلية العلمية التي شاعت مفرداتها ورسّخت. وترويج مثل هذا العمل على الصعيد المدرسي والجامعي العربي كفيل بنشر اللغة العلمية العربية الموحدة التي تكون المنطلق للنهضة التقانية الشاملة التي يتحتّم علينا إخضاعها والتحكّم في مسيرتها بحيث تواكب القيم الحضارية العربية.

وفي الوقت ذاته الذي نحن فيه بصدد النهوض بهذه اللغة، لا مفرّ من التفكير في الصعوبات التي تعوق انطلاقتها الكبرى والتي سبق أن اتضحت معالمها في تقريب اللهجات من الفصحى بغية الوصول إلى لغة شائعة يومية مشتركة بين الأقطار العربية، وفي مراجعة المقررات القطرية في تدريس النحو والصرف والأدب ومختلف مواد العربية ووصلها بالنهضة العلمية، وتفويق الكيف على الكم بصورة تجعل المادة اللغوية عامة في خدمة الحضارة العربية القادمة، ولعل مساهمة العربية في الاستفادة من الامكانات الآلية الراهنة والمقبلة التي تمثّلت في معالجة المصطلحات عن طريق النظّامة أو العقل الالكتروني وبنك الكلمات وغير ذلك من الوسائل التقنية، ستساعدها على اكتساب الأبعاد العالمية التي بها تكون اللغات أداة حضارية راسخة الجذور في واقعها الحياتي والاجتماعي ومرتبطة بمصائر اللغات التي اتجهت إلى العالمية. وما يجب تيسيره في حقل التدرّب على اكتساب العربية من طرف أبنائها وغير الناطقين بها هو المهد لتحقيق ذلك الخيار العالمي. إذ لا يمكن بحال مواجهة الأجنبي الذي يروم تعلّم العربية بصعوبات هذه اللغة دون التفكير في قضية العرب المهاجرين، والصورة التي بها يمكن تعريب أبنائهم حتى لا يبقوا غرباء عن لغتهم الأم.

المَراجِع

١ ـ العربية

الكتب

اتحاد الأطباء العرب. **المعجم الطبي الموحد: انكليزي ـ عربي**. ط ٢. بغداد: [الاتحاد]، ١٩٧٨.

أحمد، أبو الفرج محمد. **المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث**. بيروت: ١٩٦٦.

أحمد، نازلي معوض. **التعريب والقومية العربية في المغرب العربي**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦. (سلسلة الثقافة القومية؛ ٦)

الأسد، ناصر الدين [وآخرون]. **ندوة حول «اللغة العربية ومواكبة النهضة الحديثة»**. عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٣. (الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة العربية الأردني)

الأفغاني، سعيد. **حاضر اللغة العربية في الشام**. القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٢.

أنيس، ابراهيم. **في اللهجات العربية**. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٦٥.

ــــــ. **محاضرات عن مستقبل اللغة العربية المشتركة،** ألقيت على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية، ١٩٥٩. القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٠.

ــــــ. **من أسرار اللغة**. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٦.

بدر، عبد الرحيم. **علم الفلك عند العرب**. عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٤. (الموسم الثقافي الثالث لمجمع اللغة العربية الأردني)

بن دريد، محمد بن الحسن. **الاشتقاق**. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. القاهرة: مؤسسة الخانجي، ١٩٥٨.

تخطيط التعاون الدولي لتنمية الثقافة العربية الاسلامية: (الاجتماع التأسيسي، ١٠ ـ ١٣ نوفمبر ١٩٨١). تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨١.

تيمور، محمود. **مشكلات اللغة العربية**. القاهرة: مكتبة الآداب ومطبعتها، ١٩٥٦.

جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، الإدارة الثقافية. **العربية لغة عالمية**. القاهرة: الجامعة، ١٩٦٩.

جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. **توصيات مؤتمرات وزراء التربية والتعليم العرب**. القاهرة: المنظمة، [د. ت.].

جعيط، هشام. **الشخصية العربية الاسلامية والمصير العربي**. ترجمة محمد المنجي الصيادي. بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٤.

الجليلي، محمود. **تجارب في التعريب**. عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٤. (الموسم الثقافي الثاني لمجمع اللغة العربية الأردني)

الجندي، أنور. **اللغة العربية ومواجهة اللغات الأجنبية**. عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٧. (الموسم الثقافي الخامس لمجمع اللغة العربية الأردني)

جهاز التعاون الدولي لتنمية الثقافة العربية الاسلامية. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٥.

جواد، مصطفى. **المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية العصرية**. القاهرة: المطبعة العصرية، ١٩٥٥.

الحاج، كمال يوسف. **فلسفة اللغة**. [بيروت]: دار النشر للجامعيين، [١٩٥٦].

الحاج صالح، عبد الرحمان. **تكنولوجيا اللغة والتراث العربي اللغوي الأصيل**. عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٤. (الموسم الثقافي الثاني لمجمع اللغة العربية الأردني)

حسّان، تمام. **اللغة بين المعيارية والوصفية**. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨.

ـــــ. **مناهج البحث في اللغة**. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٥.

حسين، محمد الخضر. **القياس في اللغة العربية**. القاهرة: المكتبة السلفية، ١٣٥٣هـ.

الحصري، ساطع [أبو خلدون]. **قضية الفصحى والعامية**.

حمادنة، سامي خلف. **بين العبادي والرازي في تاريخ العلوم الطبية ومصطلحاتها**. عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٥. (الموسم الثقافي الثالث لمجمع اللغة العربية الأردني)

خليفة، عبد الكريم. **دور التراث العلمي في نهضتنا الحديثة**. عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٥. (الموسم الثقافي الثالث لمجمع اللغة العربية الأردني)

ـــــ [وآخرون]. **دور المجامع اللغوية في الحياة العلمية الغربية المعاصرة**. عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، [د. ت.]. (الموسم الثقافي الثاني لمجمع اللغة العربية الأردني)

خليل، ياسين. **التراث العلمي العربي**. بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٨.

ـــــ. **الطب والصيدلة عند العرب**. بغداد: جامعة بغداد، ١٩٧٩.

ـــــ . **العلوم الطبيعية عند العرب**. بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠ .
الخياط، محمد هيثم. **تعريب العلوم الطبية**. عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٤ . (الموسم الثقافي الثاني لمجمع اللغة العربية الأردني)
داغر، يوسف أسعد. **مصادر الدراسة الأدبية**. بيروت: جمعية أهل القلم في لبنان، ١٩٥٦ .
درويش، عبد الله. **المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين للخليل بن أحمد**. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٦ .
الدقاق، عمر. **مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم**. بيروت: ١٩٧٢ .
دليل جامعة بغداد، ١٩٥٩ - ١٩٦٠ .
الدوري، عبد العزيز. **كتابة التاريخ عند العرب: الفكرة والمنهج**. عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٧ . (الموسم الثقافي الخامس لمجمع اللغة العربية الأردني)
راشد، رشدي. **تاريخ الرياضيات العربية بين الجبر والحساب**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩ . (سلسلة تاريخ العلوم عند العرب؛ ١)
الزاوي، الطاهر أحمد. **مختار القاموس مرتب على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير**. القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤ .
زيدان، جرجي. **تاريخ آداب اللغة العربية**. القاهرة: دار الهلال، ١٩٥٧ .
ـــــ . **اللغة العربية كائن حي**. القاهرة: دار الهلال، [د. ت.].
سارتون، جورج. **تاريخ العلم: العلم القديم في العصر الذهبي لليونان**. ترجمة محمد خلف الله [وآخرون]. القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٧ .
السامرائي، ابراهيم. **دراسات في اللغة**. بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦١ .
ـــــ . **المعاجم العربية القديمة**. عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٣ . (الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة العربية الأردني)
السجل العلمي للندوة العالمية الأولى لتعليم العربية لغير الناطقين بها، الرياض، ٢٦ - ٣٠ مارس ١٩٧٨. الرياض: جامعة الرياض، عمادة شؤون المكتبات، ١٩٨٠ .
سعيدان، أحمد سليم. **الرياضيات عند العرب**. عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٥ . (الموسم الثقافي الثالث لمجمع اللغة العربية الأردني)
سليم، محسن. **التعريب في لبنان: مشاكله وأبعاده**. بيروت: مطبعة سليم، ١٩٧١ .
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. **معرفة أحوال اللغة**.
الشريف، محمود. **ندوة حول دور وسائل الاعلام في إشاعة اللغة العربية الفصيحة**. عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني،١٩٨٧ . (الموسم الثقافي الخامس لمجمع اللغة العربية الأردني)
الشهابي، مصطفى. **المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث**. القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٥٥ .
ـــــ . **معجم الألفاظ الزراعية: فرنسي - عربي**. ط ٢ منقحة ومزيدة. بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٥٧ .

الشيّال، جمال الدين. **تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية**. القاهرة: [د. ن.]، ١٩٥٠.
الشيخ، رأفت غنيمي. **تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة**. بنغازي: دار التنمية للنشر والتوزيع، ١٩٧٢.
الصالح، صبحي. **دراسات في فقه اللغة**. بيروت: ١٩٧٠.
الصوّاف، محمد ظافر. **التقنيات الحديثة واللغة العربية**. عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٧. (الموسم الثقافي الخامس لمجمع اللغة العربية الأردني)
ضيف، شوقي. **محاولات تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً**. عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٤. (الموسم الثقافي الثاني لمجمع اللغة العربية الأردني)
ـــــ. **المدارس النحوية**. القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨.
عبد التواب، رمضان. **لحن العامة والتصور اللغوي**. القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧.
عبد الرحمن، عائشة. **لغتنا والحياة**. القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٩.
عبد النور، جبور وسهيل ادريس. **المنهل: قاموس فرنسي - عربي**. ط ٧. بيروت: دار العلم للملايين؛ دار الآداب، ١٩٨٣.
عبده، داود عطية. **المفردات الشائعة في اللغة العربية**. الرياض: جامعة الرياض، ١٩٧٩.
العتري، صالح. **دراسة عن العلاقات في الأصول والدلالات بين اللغات القديمة واللغة العربية**. باريس: جامعة باريس، ١٩٧٣.
العربية لأبناء العرب المهاجرين. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٧.
عطية الله، أحمد. **القاموس السياسي**. ط ٣. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٨.
العلايلي، عبد الله. **المعجم: موسوعة لغوية علمية فنية**. القاهرة: ١٩٦٣.
فروخ، عمر. **القومية الفصحى**. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٧.
فريحة، أنيس. **نحو عربية ميسّرة**. بيروت: دار الثقافة، ١٩٥٥.
القاسمي. علي. **اتجاهات حديثة في تعليم العربية للناطقين باللغات الأخرى**. الرياض: جامعة الرياض، عمادة شؤون المكتبات، ١٩٧٩.
الكرملي، انستاس. **نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها**. القاهرة: المطبعة العصرية، ١٩٣٨.
الكرمي، حسن. **المعجم العربي والتعريب**. عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٣. (الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة العربية الأردني)
المبارك، محمد. **عبقرية اللغة العربية: بحث في خصائص الكلمة العربية يكشف عن الصلات العميقة ما بين شخصية الأمة العربية ولغتها**. دمشق: ١٩٥٦.
ـــــ. **فقه اللغة: دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية**. دمشق: مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٠.
ـــــ. **النثر العربي**.
المجلس الأعلى السوري. دمشق: المجلس، ١٩٦٣.

مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً (١٩٣٢ - ١٩٦٢)، مجموعة القرارات العلمية في الدورة الأولى إلى الدورة الثامنة والعشرين. القاهرة: المجمع، ١٩٦٣.
مجموعة البحوث والمحاضرات لمجمع القاهرة، الدورة ٣٠ (١٩٦٣ - ١٩٦٤). القاهرة: مجمع اللغة العربية، [د. ت.].
محاضرات الندوة الاعلامية المشتركة (١ - ٣ نيسان/ ابريل ١٩٨٠). عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، [د. ت.].
مذكور، ابراهيم. **مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً: ماضيه وحاضره**. القاهرة: المجمع، ١٩٦٤.
مصطفى، ابراهيم. **إحياء النحو**. ط ٢. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥١.
مطلوب، أحمد. **حركة التعريب في العراق**. بغداد: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٨٣.
مظهر، اسماعيل. **تجديد العربية بحيث تصبح وافية بمطالب العلوم والفنون**. القاهرة: مكتبة النهضة، [د. ت.].
معجم الأرض.
معجم الحيوان.
معجم الرياضيات.
معجم فصائل النبات (فرنسي - عربي).
معجم الفيزياء.
معجم الكيمياء.
معجم النبات.
معهد الدراسات للتعريب. **العربية المعيارية المشكولة بالشفرة العربية**. ط ٢. الرباط: [المعهد]، ١٩٧٩.
المقدسي، أنيس. **الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث**. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٧.
مناظرة لغوية أدبية بين الأساتذة عبد الله البستاني، عبد القادر المغربي وأنستاس الكرملي. القاهرة: ١٩٣٦.
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. **الخطة القومية للترجمة**. تونس: المنظمة، ١٩٨٢.
مؤتمر التعريب، الجزائر، ١٩٧٣.
مؤتمر وزراء التربية والتعليم العرب، الرابع، صنعاء، ٢٣ - ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٢. القاهرة: جامعة الدول العربية، ١٩٧٢.
مونتاي، فنسان. **اللغة العربية الحديثة**. تونس: بيت الحكمة.
نخلة، أمين. **الحركة اللغوية في لبنان في الصدر الأول من القرن العشرين**. بيروت: مطبعة دار الكتاب، ١٩٥٨.
نصار، حسين. **المعجم العربي: نشأته وتطوره**. القاهرة: [د. ن.]، ١٩٦٨.

هارون، عبد السلام. **تجربتي مع التراث العربي.** عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٣. (الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة العربية الأردني)

الدوريات

آل سيني، محمد حسن. «المعجم الذي نطمح إليه.» **مجلة المجمع العلمي العراقي**: السنة ٣٩، آذار/ مارس ١٩٨٨.

ابراهيم، محمود. «تعريب العلوم الانسانية: قضايا ومقترحات.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ٢، العددان ٥ ـ ٦، أيار/ مايو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٩.

الابراهيمي، أحمد طالب. «الثورة الثقافية تعريب والتعريب ثورة ثقافية.» **الأصالة**: العددان ١٧ ـ ١٨، ١٩٧٤.

أبو الحب، جليل. «اقتراح حول التسمية العامة للكائنات الحية قائمة بالأسماء العامة للحَلَم.» **اللسان العربي**: العدد ١٢، ١٩٨٣.

ـــــ. «مصطلحات تركيبية للحَلَم والقُراد.» **اللسان العربي**: العدد ١٧، ١٩٧٩.

أبو سيدة، عبد الفتاح. «الحاسب الآلي والترجمة.» **اللسان العربي**: العدد ٢٨، ١٩٨٧.

أبو شرخ، عدنان. «أسرار العربية لابن الأنباري.» **اللسان العربي**: السنة ١٦، ١٩٧٨.

أبو عبده، محمد. «مشاكل التعريب اللغوية.» **اللسان العربي**: العدد ١٩، ١٩٨٢.

أبو غيدة، عبد اللطيف. «تقرير عن معجم المصطلحات الحديثة.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦.

أبو فارس. «دليل جديد على عروبة الأرقام المستعملة في المغرب العربي.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.

ـــــ. «مصطلحات أجنبية أصلها عربي.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.

أبو اليمن، عبد الرحيم. «اختلاف المفاهيم اللغوية بين الأمم، ما المجتمع مثلاً؟» **اللسان العربي**: السنة ١٠، ١٩٧٣.

الأثري، محمد بهجت. «الآلة والأداة في اللغة.» **مجلة مجمع اللغة العربية (بغداد)**: السنة ١٠، ١٩٦٣.

ـــــ. «عبقرية الفكر العربي وشموله يحدوان إلى خط منهج جديد في تدوين تاريخ الأدب العربي.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.

أحمد، فاضل حسن. «المختصرات المعتمدة في الهندسة والتكنولوجيا (انكليزي ـ عربي).» **اللسان العربي**: العدد ٢٥، ١٩٨٥؛ العدد ٢٧، ١٩٨٦؛ العدد ٣٠، ١٩٨٨؛ العدد ٣١، ١٩٨٨، والعدد ٣٢، ١٩٨٩.

ـــــ. «مصطلحات في برمجة الحاسبات الالكترونية.» **اللسان العربي**: العدد ٢٤، ١٩٨٥.

أركون، محمد. «وجوه ازدهار الفكر العربي في المغرب الاسلامي.» **الأصالة**: الأعداد ٥٤ ـ ٥٧، شباط/ فبراير ـ آذار/ مارس ١٩٧٨.

«استجواب مع معالي سفير الجمهورية العربية السورية حول قضايا التعريب في سوريا.» **اللسان العربي**: السنة ٢، آب/ اغسطس ١٩٦٥.
«استجواب مع معالي سفير الجمهورية العربية المتحدة.» **اللسان العربي**: السنة ٣، آب/ اغسطس ١٩٦٥.
«استجواب معالي سفير دولة الكويت بالمغرب.» **اللسان العربي**: السنة ٣، آب/ اغسطس ١٩٦٥.
«استراتيجية التعريب.» **اللسان العربي**: السنة ١٢، ١٩٧٥.
الأسد، ناصر الدين. «الأصالة والتجديد في الثقافة العربية المعاصرة.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
الاسكندري، أحمد. «افتتاح دور الانعقاد الثاني.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: العدد ٢، أيار/ مايو ١٩٣٥.
الأسود، محمد خليفة. «صيغة الفعل وبنيته.» **اللسان العربي**: العدد ٣٢، ١٩٨٩.
الأعرجي، محمد حسين. «الآلة والأداة للرصافي ومستدرك السامرائي.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٦٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٩١.
الأعظمي، معين الدين. «انتشار اللغة العربية.» **اللسان العربي**: العدد ٢٢، ١٩٨٣.
افسحي، محمد. «مكتب تنسيق التعريب: منجزات وأهداف (١٩٦١ - ١٩٩١).» **اللسان العربي**: العدد ٣٤، ١٩٩٠.
«الألفاظ المشتركة في العاميتين المصرية والمغربية.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
«الأمير مصطفى الشهابي.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
الأميري، بهاء الدين. «خلود اللغة العربية وعالميتها كلغة للقرآن.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
أمين، محمد شوقي. «قرارات مجمع اللغة العربية، أصول اللغة وتحقيق الألفاظ والأساليب.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
الأنباء: ١٩٦٥/٥/٣٠، و١٩٧٣/١/٢٩.
«أنباء المجلة.» **اللسان العربي**: السنة ١٦، ١٩٧٨.
«أنباء المكتب الدائم للتعريب.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩، والسنة ٢، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥.
انجاي، مالك. «تأثير العربية في السنغال.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
أنيس، ابراهيم. «النظامة الالكترونية تحصي جذور مفردات اللغة العربية.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
الأيام: ١٩٦٤/٨/٢.
أيوب، عبد الرحمن. «المفهومات الأساسية للتحليل اللغوي عند العرب.» **اللسان العربي**: السنة ١٦، ١٩٧٨.

«الباب الأول في: أقيسة اللغة وأوضاعها العامة: الاحتجاج بلفظ الحديث.» **اللسان العربي**: آب/ اغسطس ١٩٦٥.

باشا، منصور فهمي. «كلمات حضرات الأعضاء.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة): السنة ٦، ١٩٥١.

الباكستاني، مبارك. «الكلمات العربية في اللغة الادارية.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (دمشق): السنة ٢٩، نيسان/ ابريل ١٩٥٤.

بدر، عبد الرحيم. «ازدهار اللغة العربية رهن بتشبع الدولة بالروح الاسلامية.» **اللسان العربي**: العدد ٦، ١٩٦٩.

ـــــ. «الترجمة من العربية إلى العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٣، آب/ اغسطس ١٩٦٥.

بدوي، أحمد زكي. «معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (انكليزي - فرنسي - عربي).» **اللسان العربي**: العدد ١٧، ١٩٧٩، والعدد ١٨، ١٩٨٠.

البرسلي، عبد الوهاب. «انتشار اللغة العربية مقياس للوعي الاسلامي.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.

بركات، ابراهيم. «الدارجة المغربية أفصح اللهجات العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٤، آب/ اغسطس ١٩٦٦.

بشر، كمال. «السكون في اللغة العربية.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة): السنة ٢٤، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.

البصير، عبد الرزاق. «القرآن أقوى حصن لحماية اللغة العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.

البطانية، فارس فندي. «النحت بين مؤيديه ومعارضيه.» **اللسان العربي**: العدد ٣٤، ١٩٩٠.

البكري، عبد المجيد شوقي. «الكلمات القرآنية في اللغة الانكليزية.» **اللسان العربي**: السنة ٤، آب/ اغسطس ١٩٦٦.

بلاسي، محمد السيد علي. «الترادف والمشترك اللفظي والتضاد وأثر كل ذلك في نمو العربية.» **اللسان العربي**: العدد ٣٣، ١٩٨٩.

بلبع، عبد المنعم. «مصطلحات في علم التربة (انكليزي - عربي).» **اللسان العربي**: السنة ١٨، ١٩٨٠.

بن تاويت، محمد. «مظاهر التعريب.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.

ـــــ. «من عجائب التصغير في بعض الكلمات.» **اللسان العربي**: السنة ١٦، ١٩٧٨.

بن سلامة، عبد الرحيم. «مقارنات بين المصطلحات القانونية العربية والأجنبية.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.

بن العربي، الصديق. «معجم المعاني العربية المؤلفة خلال مائة عام، ١٨٦٩ - ١٩٦٩.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.

بن عزوز، أحمد. «معجم أحاديث الموطأ.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣، والسنة ١١، ١٩٧٤.

بن عمر، محمد صالح. «دراسة احصائية بالحاسب الالكتروني للجذور الواردة في «الصحاح» و«اللسان» و«التاج».» **مجلة المعجمية**: العدد ١، ١٩٨٥.

بن فارس، أحمد. «متخير الألفاظ.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.

بن فياض، زيد بن عبد العزيز. «العربية لغة المستقبل لأنها لغة الإنسانية.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.

بن مراد، ابراهيم. «مشاكل الترتيب المنهجية في المعجم العام العربي الحديث: تطبيق على المعجم الوسيط.» **مجلة المعجمية**: العدد ٣، ١٩٨٧.

بن ميلاد، محجوب. في: **الفكر**: حزيران/ يونيو ١٩٧٣.

بنزيان، محمد. «مصطلحات مولدة ومقترحة: المقابل العربي.» **اللسان العربي**: العدد ١٧، ١٩٧٩.

بنعبد الله، عبد العزيز. «الأرقام العربية.» **اللسان العربي**: السنة ١٦، ١٩٧٨.

ـــــ. «بين الترادف والتوارد.» **اللسان العربي**: العدد ١٨، ١٩٨٠.

ـــــ. «تاريخ التراث الطبي الاسلامي بالمغرب.» **اللسان العربي**: العدد ١٩، ١٩٨٢.

ـــــ. «تداخل اللغات وأبعاده الانسانية.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦.

ـــــ. «تطور الفكر العلمي ولغة التقنيات بالمغرب منذ العصور الوسطى.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.

ـــــ. «تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.

ـــــ. «التعريب واعتماد العربية الفصيحة.» **اللسان العربي**: العدد ٢٤، ١٩٨٥.

ـــــ. «التقريب بين اللهجات العربية: نماذج في المصطلحات الدارجة بالمغرب الأقصى.» **اللسان العربي**: السنة ١٦، ١٩٧٨.

ـــــ. «تنظيمات ومقارنات حول: فصحى العامية بين المغرب والأندلس.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.

ـــــ. «الدلالاتية المقارنة في خدمة تاريخ الحضارة المقارن.» **اللسان العربي**: العدد ٢٣، ١٩٨٤.

ـــــ. «رحلة الأمين العام إلى الشرقين الأقصى والأوسط.» **اللسان العربي**: السنة ٥، آب/ اغسطس ١٩٦٧.

ـــــ. «طبقات الأطباء بالمغرب الأقصى.» **اللسان العربي**: السنة ٣، آب/ اغسطس ١٩٦٥.

ـــــ. «العامية والفصحى في القاهرة والرباط.» **اللسان العربي**: العدد ٢٢، ١٩٨٣.

ـــــ. «الفكر الصوفي الاسلامي وأصوله.» **اللسان العربي**: السنة ٣، آب/ اغسطس ١٩٦٥.

ـــــ. «الفن المغربي تعبير رائع عن مدارك الأجيال.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.

ـــــ. «لغة القرآن وذكرى نزول القرآن.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.

ـــــ. «اللغويون أو علماء العربية في المغرب.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.

ـــــ. «المصطلح الصوفي العربي وأثره في المصطلح البوذي.» **اللسانِ العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.

ـــــ. «مصطلحات الحرف والمهن.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦.

ـــــ. «مصطلحات الخشابة والخشب.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦.

ـــــ. «مصطلحات السفانة والسفن.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦.

ـــــ. «مصطلحات النظم والمذاهب.» **اللسان العربي**: السنة ١٦، ١٩٧٨.

ـــــ. «مظاهر الوحدة بين عامية بغداد وعامية المغرب الأقصى.» **اللسان العربي**: العدد ١٨، ١٩٨٠.

ـــــ. «المعاجم الحديثة العامة والمختصة.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦.

ـــــ. «معجم الأعلام البشرية والحضارية.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.

ـــــ. «معجم أعلام النساء بالمغرب الأقصى».

ـــــ. «معجم الألوان.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.

ـــــ. «معجم البناء.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.

ـــــ. «معجم الحرف والمهن.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، ١٩٧٣.

ـــــ. «معجم الرياضيين بالمغرب الأقصى.» **اللسان العربي**: السنة ٣، آب/ اغسطس ١٩٦٥.

ـــــ. «معجم الزهور.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.

ـــــ. «المعجم الصوفي.» **اللسان العربي**: السنة ٤، آب/ اغسطس ١٩٦٦.

ـــــ. «معجم المرأة.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.

ـــــ. «معجم المعاني.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠، والسنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.

ـــــ. «معجم الملابس.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.

ـــــ. «المعجم المنزلي.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.

ـــــ. «معركة الفصحى والعامية في توحيد اللهجات الاقليمية لمواكبة الركب العالمي.» **اللسان العربي**: السنة ٥، آب/ اغسطس ١٩٦٧.

ـــــ. «المقدمة.» **اللسان العربي**: السنة ٣، آب/ اغسطس ١٩٦٥.

ـــــ. «من مظاهر الوحدة: التكامل بين شقي العروبة.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.

ـــــ. «المنظمة في مواجهة مشاكل التعليم العالي والبحث العلمي.» **اللسان العربي**: العدد ٢٤، ١٩٨٥.
ـــــ. «مؤتمرات التعريب ودورها في توحيد المصطلح العربي.» **اللسان العربي**: العدد ١٩، ١٩٨٢.
ـــــ. «نحو تفصيح العامية في العالم العربي: دراسة مقارنة بين العاميتين في المغرب والشام.» **اللسان العربي**: السنة ١، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٤.
ـــــ. «نحو تفصيح العامية في الوطن العربي: دراسة مقارنة بين العاميات العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
ـــــ. «الوحدة الأصلية بين اللغات مظهر لوحدة انسانية عريقة: نظرية طريفة تبرز أسس هندسة الوحدة.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
ـــــ. «وحدة اللغات.» **اللسان العربي**: السنة ١٦، ١٩٧٨.
ـــــ. «الوشائج العريقة بين الخليج العربي والمغرب الأقصى.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
بنلفقيه، لحسن. «فصائل نباتات الشمال الافريقي: مصطلحات نباتية في علم التصنيف.» **اللسان العربي**: العدد ٣٤، ١٩٩٠.
بهنسي، عفيف. «الحرف العربي وجولاته في العالم.» **اللسان العربي**: السنة ٥، آب/ اغسطس ١٩٦٧.
ـــــ. «الوحدة القومية من خلال اللغة والفن.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
بوحوش، عمار. «لغتنا العربية جزء من هويتنا.» **المستقبل العربي**: السنة ٤، العدد ٣٥، كانون الثاني/ يناير ١٩٨٢.
البوعبدلي، المهدي. «عبد الرحمن الأخضري وأطوار السلفية في الجزائر.» **الأصالة**: العدد ٥٧، أيار/ مايو ١٩٧٨.
بيهم، محمد جميل. «أعلام اللغة: أحمد فارس الشدياق.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
ـــــ. «تطور النهضة الثقافية في الشام والمجمع العلمي اللبناني.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
ـــــ. «كيف انطلقت النهضة الفكرية الحديثة.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
البيومي، محمد رجب. «ملاحظات حول النقد الأدبي.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
التازي، عبد الهادي. «الأرقام المغربية أرقام عربية أصيلة.» **اللسان العربي**: السنة ٢، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥.
ـــــ. «الشيخ الشبيبي معلمة من معالم العراق.» **اللسان العربي**: السنة ٤، آب/ اغسطس ١٩٦٦.

«التجربة السودانية في التعريب.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، ١٩٧٣.
«تحويلات وإصلاحات هيكلية للتعليم في تونس.» **حولية شمال افريقيا**: ١٩٦٧.
الترابي، دفع الله. «نحو التعريب في مجال العلوم والتكنولوجيا.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦.
التربية الوطنية: نيسان/ ابريل ١٩٦١، ونيسان/ ابريل ١٩٦٦.
ترزي، فؤاد حنا. «المعاجم العربية وضرورة تهذيبها وتطويرها.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (دمشق): السنة ٤٧، نيسان/ ابريل ١٩٧٢.
«تعديلات المجلس الأعلى السوري للعلوم.» **اللسان العربي**: السنة ٤، آب/ اغسطس ١٩٦٦.
«تعريب العلم بترجمة الانتاج الفكري والتقني الانساني.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
«تعريب وزارة التعليم.» **الشعب**: ١٥/٣/١٩٧٥.
«تعريب وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية.» **المجاهد**: ٢٦/١١/١٩٧٦.
«تعقيب على مشروع معجم الطيران المدني.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
«تعقيب على المصطلحات البريدية.» **اللسان العربي**: السنة ٩، ١٩٧٢.
«تعقيب على مصطلحات التشريح.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦.
«تعقيب على نقد المستدرك في التعريب.» **اللسان العربي**: السنة ١، حزيران/ يونيو ١٩٦٤.
«تعليق على كتاب تهذيب اللغة الأزهري.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (دمشق): السنة ١، أيلول/ سبتمبر ١٩٢١.
«تكريم الفائز.» **اللسان العربي**: ١٩٧٢.
«التلازم واضح بين الاسلام واللغة القرآنية.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.

التميمي، صبيح. «ظاهرة اقتران الأصوات وتنافرها.» **اللسان العربي**: العدد ٣٠، ١٩٨٨.
التميمي، عز الدين الخطيب. «اللسان العربي شعار الاسلام.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
«تنمية اللغة العربية ونشر الثقافة العربية الاسلامية في الخارج.» **اللسان العربي**: العدد ٢٤، ١٩٨٥.
«التوصيات المنبثقة عن مدرستي الألكسو الأولى والثانية.» **اللسان العربي**: العدد ٢٥، ١٩٨٥.
«توصيات الندوة الثالثة لتوحيد مصطلحات الألعاب الرياضية العربية.» **اللسان العربي**: العدد ٢٨، ١٩٨٧.
التونجي، محمد. «تعليقات فنية على الألفاظ الفارسية في معجم النبات العربي.» **اللسان العربي**: العدد ٢٧، ١٩٨٦.

ـــــ. «دور أساتذة اللغات الشرقية في قضية التعريب.» **اللسان العربي**: العدد ٢٠، ١٩٨٣.

ـــــ. «نظرة في الصِّلات العربية ـ الفارسية حتى مطلع الاسلام.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.

التونجي، عبد المنعم. «المصطلحات العلمية يجب أن تجمع بين البساطة والدقة.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.

تيمور، محمود. «الجديد في ألفاظ الحضارة.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.

ـــــ. «كتاب المستدرك في التعريب.» **اللسان العربي**: السنة ١، حزيران/ يونيو ١٩٦٤.

ـــــ. «المستدرك في التعريب.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: السنة ١٧، ١٩٦٤.

ـــــ. «المعجم السياحي.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: السنة ١٧، ١٩٦٤.

«٣٥٠ مليون مسلم يكتبون بالحروف العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.

الثورة: ١٩٧٨/١١/٢٤.

الجارم، عمر. «مصطلحات الأمراض النفسية والعقلية.» **اللسان العربي**: كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.

«جامعة موسكو ومعجمنا في الفيزياء والرياضيات.» **اللسان العربي**: السنة ٢، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥.

«جداول المعاجم الموحدة.» **اللسان العربي**: العدد ٣٤، ١٩٩٠.

«الجديد في المستدرك للتعريب.» **اللسان العربي**: السنة ٢، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥.

جرار، عادل أحمد. «قضايا تعريب الكيمياء ومشاكله.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ٢، العددان ٥ ـ ٦، أيار/ مايو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٩.

الجراري، عباس بن عبد الله. «مراحل التعريب الأولى في المغرب.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.

جرجس، رمسيس. «بعض الكلمات المنحوتة في اللغة العربية.» **مجلة مجمع اللغة العربية**: ١٩٦١.

جعفر، إحسان محمد. «اللغة الأكادية توأمة اللغة الفصحى.» **اللسان العربي**: العدد ٢٨، ١٩٨٧.

ـــــ. «مستقبل الكتابة العربية على ضوء معرفة الحروف العربية والحروف اللاتينية.» **اللسان العربي**: العدد ١٧، ١٩٧٩.

الجفال، محمود عبد الله. «مقاييس الفصاحة في القرن الخامس هـ.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ١١، العدد ٣٣، تموز/ يوليو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٧.

«جلسة الافتتاح لمؤتمر المجمع.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: السنة ٥، ١٩٤٨.

الجليلي، محمود. «صيغ المصطلحات الطبية العلمية.» **مجلة المجمع العلمي العراقي**: السنة ٣٤، تموز/ يوليو ١٩٨٣.

الجمالي، محمد فاضل. «العربية بين حماتها وغزاتها.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
الجندي، أنور. «الأمير مصطفى الشهابي وكتابة المصطلحات العلمية في اللغة العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٤، ١٩٦٦.
ــــ. «الفصحى لغة القرآن.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
ــــ. «المصطلحات العلمية في اللغة العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٤، آب/ اغسطس ١٩٦٦.
ــــ. «معجم الفصيح في العامية المغربية.» **اللسان العربي**: السنة ٥، آب/ اغسطس ١٩٦٧.
جواد، مصطفى. «دراسة المعجمات اللغوية: المصباح المنير.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (بغداد): السنة ٦، ١٩٥٩.
جوهر الاسلام: تشرين الثاني/ نوفمبر - كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٣؛ كانون الثاني/ يناير - شباط/ فبراير ١٩٧٤، وحزيران/ يونيو - تموز/ يوليو ١٩٧٥.
جوهر، حامد عبد الفتاح. «تقرير عن مشروع معجم الكيمياء العامة.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة): العدد ٥٢، تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٢.
الجيش: آذار/ مارس ١٩٧٤، وتموز/ يوليو ١٩٧٨.
الحاج مير. «الدراسات العربية والاسلامية في اسكوتلندا.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
حافظ، محمود. «تعريب التعليم العالي والجامعي».
ــــ. «مجمع اللغة العربية ولغة العلم.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة): العدد ٢٥، تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٣.
الحبابي، محمد عزيز. «لغة الصحافة.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة): العدد ٥١، أيار/ مايو ١٩٨٣.
الحبيب، محمود محمد. «مشاكل وصعوبات التعريب.» **اللسان العربي**: ١٩٧٩.
حداد، حنا جميل. «حول كتاب سيبويه.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ٦، العددان ٢١ - ٢٢، تموز/ يوليو - كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٣.
حداد، نبيل. «حول جهد معجمي منشود في الاتصال.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ١٢، العدد ٣٥، تموز/ يوليو - كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٨.
«الحرفيون من العلماء.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، ١٩٧٣.
حركات، ابراهيم. «انتشار اللغة العربية كان نتيجة للفتوح الاسلامية.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
حرير، سيد حامد. «تعريب التعليم الجامعي في السودان.» **المجلة العربية للدراسات اللغوية**: آب/ اغسطس ١٩٨٣.
الحرية: ١٩٩٢/١/١٩.

حسن، حامد. «كيف تفجرت طاقات اللغة العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
حسن، محمد عبد الغني. «لغة الصحافة في مصر منذ ظهور الصحافة في القرن الماضي.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة): العدد ٥١، أيار/ مايو ١٩٨٣.
ـــــ. «نظرات في دمية القصر وعصرة أهل العصر.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (دمشق): السنة ٤٨، نيسان/ ابريل ١٩٧٣.
حسن، محمد يوسف. «التسميات العربية للمعادن.» **اللسان العربي**: العدد ١٧، ١٩٧٩.
الحسني، مكي. «لغتنا العربية بين مجامع اللغة ووسائل الإعلام.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (دمشق): السنة ٦٥، نيسان/ ابريل ١٩٩٠.
حسين، رياض فايز. «لغة التعليم العالي في الجامعات العربية: دور الانكليزية في سباق التعريب.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ١١، العدد ٣٣، تموز/ يوليو - كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٧.
حسين، محمد الخضر. «الشعر البديع في نظر الأدباء.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة): ١٩٥٩.
ـــــ. «قرارات المجمع في هذه الدورة.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة): السنة ٦، ١٩٥١.
حسين، محمد كامل. «القواعد العامة لوضع المصطلحات العلمية.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة): السنة ١١، ١٩٥٩.
حسين، محمود حسين. «بين الكوفيين والبصريين.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ٤، العددان ١٣ - ١٤، تموز/ يوليو - كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨١.
الحسيني، اسحق. «في تعريب التعليم العالي الجامعي.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة): العدد ٥٦، أيار/ مايو ١٩٩٠.
الحسيني، جعفر. «نشاط المجمع السوري للغة العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
حصار، العربي. «انطلاق رائع للتعليم العلمي العربي يجب أن يعزز بفتح معاهد التخصص أمام المكونين بالعربية.» **اللسان العربي**: السنة ٥، آب/ اغسطس ١٩٦٧.
الحصري، ساطع [أبو خلدون]. «اللغة العربية واللغة اللاتينية: مقارنة تاريخية.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦.
ـــــ. «المعاهد التعليمية لغة التعليم.» **حولية الثقافة العربية**: السنة ١، ١٩٤٩.
حقي، اسماعيل. «تجربتان في التعريب.» **الأصالة**: العددان ١٧ - ١٨.
حقي، خير الدين. «وحدة المصطلح العلمي.» **اللسان العربي**: السنة ٣، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥.
حقي، ممدوح. «معجم المصطلحات العلمية.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.

حلّاق، عبد الله يوركي. «الشعر العربي الأصيل.» **اللسان العربي**: السنة ٥، آب/ اغسطس ١٩٦٧.
حمد، مناف مهدي. «المصطلح العلمي العربي قديماً وحديثاً.» **اللسان العربي**: العدد ٣٠، ١٩٨٨.
حمدي، كمال. «محاولة في البحث عن ايديولوجية اللغة.» **اللسان العربي**: السنة ٤، آب/ اغسطس ١٩٦٦.
الحمزاوي، محمد رشاد. «الصور واللواحق وصلتها بتعريب العلوم ونقلها إلى العربية الحديثة.» **اللسان العربي**: السنة ١٢، ١٩٧٥.
ـــــ. «في سبيل نهضة المعجمية العربية في القرن العشرين.» **مجلة المعجمية**: العدد ٤، ١٩٨٨.
ـــــ. «مشاكل وضع المصطلحات اللغوية أو تقنيات الترجمة.» **اللسان العربي**: العدد ١٨، ١٩٨٠.
ـــــ. «مكانة مخصص ابن سيدة من المعجمية العربية المعاصرة ومساهمة التراث العربي في تطوير العربية.» **حوليات الجامعة التونسية**: ١٩٧٢.
ـــــ. «المنهجية العربية لوضع المصطلحات: من التوحيد إلى التنميط.» **اللسان العربي**: العدد ٢٤ [د. ت.]، والعدد ٢٢، ١٩٨٣.
الحمصي، نعيم. «العدد في اللغة العربية.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٢، العددان ١١ ـ ١٢، تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٧.
«حملة محاربة اللفظ الدخيل في العالم العربي، قل ولا تقل.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
حمود، نور الدين. «المعرب والدخيل ضروريان لازدهار اللغة.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦.
الحموي، مأمون. «المصطلحات الدبلوماسية في الانكليزية والعربية.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٢٥، نيسان/ ابريل ١٩٥٠.
«حوار في العراق حول اللغة كأداة للتعبير في عصر التكنولوجيا.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
الحوفي، أحمد محمد. «الاتجاه النفسي في دراسات العقاد النقدية.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
حوليات الجامعة التونسية: ١٩٦٦ و١٩٧١.
حولية الثقافة العربية: ١٩٥١ ـ ١٩٥٢.
حولية شمال افريقيا: ١٩٦٢؛ ١٩٦٣؛ ١٩٦٤؛ ١٩٦٥؛ ١٩٦٦؛ ١٩٦٧؛ ١٩٦٩؛ ١٩٧٠؛ ١٩٧١؛ ١٩٧٢؛ ١٩٧٣؛ ١٩٧٤، و١٩٧٦.
الحياة: ١٦/٤/١٩٧٢.
الحياوي، محمد شيت صالح. «نظرة في آراء مطروحة للمناقشة.» **اللسان العربي**: العدد ٢٣، ١٩٨٤.

الحين، محمد جابر. «هجرة تغلب إلى أرض الجزيرة.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: السنة ١٦، ١٩٦٣.
الخاقاني، علي. «مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة.» **مجلة مجمع اللغة العربية (بغداد)**: ١٩٦٢.
الخاني، محمد جميل. «المعجمات الحديثة.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٢٣، كانون الثاني/ يناير ١٩٤٨.
خضر، ابراهيم. «التعريب تجربة ثورية علمية وقومية.» **الجامعة (الموصل)**: العدد ٧، نيسان/ ابريل ١٩٨٠.
الخطاب، محمود شيت. «تاريخ المعجم العسكري.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
ـــــ. «قادة الفتح الاسلامي: الأحنف بن قيس التميمي فاتح قاشان وخراسان.» **مجلة مجمع اللغة العربية (بغداد)**: السنة ١١، ١٩٦٩.
الخطابي، محمد العربي. «رسالة المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيسه، ١٩٦٢ ـ ١٩٧٢.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
ـــــ. «عن التعريب وقضاياه.» **اللسان العربي**: كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
ـــــ. «اللغة العربية والتطور.» **اللسان العربي**: العدد ١، حزيران/ يونيو ١٩٦٤.
«خطة تنسيق التعريب (١٩٦٩ ـ ١٩٨٣).» **اللسان العربي**: العدد ١٧، ١٩٧٩.
الخطيب، أحمد شفيق. «ملاحظات وأفكار حول ورقة عمل ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات.» **اللسان العربي**: العدد ٢٤، ١٩٨٥.
ـــــ. «وضع المصطلحات العلمية وتطور اللغة.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
الخطيب، عدنان. «اغناطيوس يعقوب الثالث: ظاهرة في المعجم العربي جديرة بالدراسة.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٤٣، نيسان/ ابريل ١٩٦٨.
ـــــ. «فقيد العربية الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٤٣، تموز/ يوليو ١٩٦٨.
ـــــ. في: **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ٩، العددان ٢٨ ـ ٢٩، تموز/ يوليو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٥.
ـــــ. «المعجم العربي.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٤، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥.
ـــــ. «المعجم الوسيط.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٣٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٣.
ـــــ. «نظرات في المعجم الوسيط.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٤١، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٦.
ـــــ. «وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الدورة السابعة والأربعين.» **مجلة مجمع**

اللغة العربية الأردني: السنة ٤، العددان ١٣ ـ ١٤، تموز/ يوليو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨١.
ــــ. «وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية (القاهرة) في الدورة ٥٤ (١٩٨٨).» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ١٢، العدد ٣٤، كانون الثاني/ يناير ـ حزيران/ يونيو ١٩٨٨.
ــــ. «وقائع مؤتمر مجمع القاهرة دورة ٥٦، ١٩٩٠.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ١٤، العدد ٣٩، تموز/ يوليو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٠.
الخطيب، محمد أنور. «منهج بناء المصطلح العلمي العربي.» **اللسان العربي**: العدد ٢٠، ١٩٨٣.
خليفة، عبد الكريم. «الألوان في معجم العربية.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ١١، العدد ٣٣، تموز/ يوليو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٧.
ــــ. «تأهيل أعضاء هيئة التدريب للتدريس بالعربية.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ٣، العددان ٧ ـ ٨، كانون الأول/ ديسمبر ـ تموز/ يوليو ١٩٨٠.
ــــ. «اللغة العربية أساس نهضة أمتنا ووحدتها.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ٨، العددان ٢٥ ـ ٢٦، تموز/ يوليو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٤.
ــــ. «معجم المالكي في الميزان.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
ــــ. «معجم موحد لألفاظ الحضارة.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ١٣، العدد ٣٦.
ــــ. «وسائل تطوير اللغة العربية العلمية.» **اللسان العربي**: السنة ١٢، ١٩٧٥.
خليل، رشاد محمد. «تكوين الفكر العربي قبل الاسلام كما تكشف عنه الدراسة اللغوية (الحلقات السابقة) والقسم الرابع والأخير.» **اللسان العربي**: العدد ٢١، ١٩٨٣.
ــــ. «تكوين الفكر العربي قبل الاسلام من اللغة.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦.
خليل، ياسين. «العلوم على مذهب العرب.» **مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد)**: السنة ٣١، تموز/ يوليو ١٩٨٠.
خميس، عبد الله. «لغة البادية.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
الخوري، جورج حبيب. «ملاحظات على المصطلحات الفلكية.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
الخوري، شحادة. «تعريب التعليم الطبي والصيدلي في الوطن العربي.» **اللسان العربي**: العدد ٣٠، ١٩٨٨.
ــــ. «تعريب التعليم العالي وصلته بالترجمة والمصطلح.» **اللسان العربي**: العدد ٢١، ١٩٨٣.
ــــ. «التنمية اللغوية ودور الاشتقاق فيها.» **اللسان العربي**: العدد ٣٤، ١٩٩٠.
ــــ. «اللغة العربية والتقدم العلمي والتكنولوجي في هذا العصر.» **اللسان العربي**: العدد ٢٦، ١٩٨٦.

الخولي، محمد علي. «العلاقة بين طول الكلمة وشيوعها في اللغة العربية.» **اللسان العربي**: العدد ٢١، ١٩٨٣.
دارغوث، رشاد. «اللغة العربية نبتت وتطورت بمقتضى ناموس النشوء والارتقاء الطبيعي.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
ـــــ. «هل اللغة العربية صعبة؟ كيف يمكن تيسيرها؟» **اللسان العربي**: السنة ٥، آب/ اغسطس ١٩٦٧.
الدجيلي، حسن. «تطور التعريب في العراق.» **اللسان العربي**: السنة ٣، آب/ اغسطس ١٩٦٥.
دروزة، محمد عزة. «محاولة في تقدير زمن استواء اللغة العربية الفصحى.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: ١٩٦٨.
دعوة الحق: نيسان/ ابريل ١٩٧١.
الدقاق، منذر. «الاتصال بحلقات التطور العالي يستلزم اتقان لغة أجنبية بجانب اللغة العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٥، آب/ اغسطس ١٩٦٧.
دك الباب، جعفر. في: **اللسان العربي**: العدد ٣٣، ١٩٨٩.
ـــــ. «مراحل نشأة الكلام الانساني.» **اللسان العربي**: العدد ٢٥، ١٩٨٥.
ـــــ. «نظرة جديدة إلى المعجم العربي، القسم الأول: مراحل تشكل نظام المعجم العربي واكتماله.» **اللسان العربي**: العدد ٢٦، ١٩٨٦.
ـــــ. «نظرة جديدة إلى المعجم العربي، القسم الثاني: المبادىء التي يقوم عليها نظام المعجم العربي والتسلسل الزمني لظهورها.» **اللسان العربي**: العدد ٢٧، ١٩٨٦.
ـــــ. «نظرية جديدة في دراسة بنية اللسان العربي، القسم الأول: تصريف الأفعال.» **اللسان العربي**: العدد ٣٢، ١٩٨٩.
دمشقية، عفيف. «أدوات التعريب المواكب ووسائله من منظور وحدوي.» **اللسان العربي**: العدد ١٩، ١٩٨٢.
ـــــ. «دور اللغات القومية في الدراسات العليا والبحث العلمي.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ٩، العدد ٢٧، كانون الثاني/ يناير ـ حزيران/ يونيو ١٩٨٥.
الدهان، سامي. «معجم الطحانة والخبازة والفرانة.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
الدواليبي، محمد معروف. «العرب والحضارة الانسانية.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
دوزي، رينهارت. «المعجم المفصل لأسماء الملابس عند العرب.» **اللسان العربي**: السنة ٥، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٧، والسنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
دوشق، مفيق حسن. «تدريس اللغة العربية لأغراض أكاديمية في ضوء الدراسات الأسلوبية الحديثة.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ١٥، العدد ٣٠، كانون الثاني/ يناير ـ حزيران/ يونيو ١٩٨٦.
دياب، وهيب. «عثرات الأقلام.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.

ديبـون، مصطفى. «لغـة الكيمياء وكيميـاء النفط.» **اللسان العـربي**: العـدد ٢٣، ١٩٨٤؛ العدد ٢٧، ١٩٨٦، والعدد ٢٨، ١٩٨٧.
ديتريش، ألبير. «دور العرب في تطور العلوم الطبيعية.» **اللسـان العربي**: السنـة ٦، كانـون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
ديداوي، محمد. «الترجمة إلى العربية.» **اللسان العربي**: العدد ٢٤، ١٩٨٥.
ـــــ. «طرائق الترجمة: مدخل إلى علم الترجمة.» **اللسان العربي**: العدد ٢٦، ١٩٨٦.
ـــــ. «العربية كلغة دولية.» **اللسان العربي**: العدد ٣١، ١٩٨٨.
ـــــ. «علاقة النظرية بالتطبيق أو نحو نظرية الترجمة.» **اللسان العربي**: العدد ٢٩، ١٩٨٧.
ـــــ. في: **اللسان العربي**: العدد ٣٣، ١٩٨٩.
الديوجي، سعيد. «حول ثورية التعريب.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، ١٩٧٣.
ـــــ. «الفكـر العلمي العـربي في شخص العبـاس بن فـرنـاس حكيم الأنـدلس.» **اللسـان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
ـــــ. «لغـة الموسيقى كـأداة للتعبير الفني: زريـاب المتوفى سنـة ٢٣٨هـ.» **اللسان العـربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
الراعي، علي. «الثقافة العربية والترجمة.» **العربي**: السنة ٢١، العـدد ٢٤٥، نيسان/ ابـريل ١٩٧٩.
«رجـال مجهولـون وراء مشروع عظيم.» **اللسـان العربي**: السنـة ١٠، كانـون الثاني/ ينـايـر ١٩٧٣.
«رحلة الأمـين العام عبـد العزيـز بنعبد الله إلى العـواصم العـربيـة: مقـابـلات مـع صحف عربية.» **اللسان العربي**: السنة ٤، ١٩٦٦.
رزق، سـالم. «معجم حـديث المعـاني لآلىء العـرب.» **اللســان العـربي**: السنــة ٣، آب/ اغسطس ١٩٦٥.
رشدان، محمد سليم. «اللغات الساميـة في مجال علم اللغـات.» **اللسان العـربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
رشـدي، زاكية محمـد. «نشأة النحـو عنـد السريـان وتـاريـخ نحـاتهم.» **مجلة كليـة الآداب (القاهرة)**: العدد ١، ١٩٦١.
الرفاعي، محمود فيصل. «ملاحظات عامة حـول مصطلحـات الخرسـانة.» **اللسـان العربي**: العدد ٢٧، ١٩٨٦.
ـــــ. «نهج جديد في التعريب لاصطلاحات العلوم الهندسية.» **اللسان العربي**: العدد ٢٢، ١٩٨٣.
رفـاعية، يـاسين. «حـركة التعـريب في المغرب العـربي.» **اللسان العـربي**: السنـة ٥، آب/ اغسطس ١٩٦٧.
ـــــ. «اللغة العربية بين مؤيديها ومعارضها.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
رندغرن، فيريتيوف. «علم اللسانيات العربية.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦.

رويمر، هانس روبرت. «الشرق الاسلامي في البحث التاريخي.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (دمشق): السنة ٤٧، نيسان/ ابريل ١٩٧٢.
زبادية، عبد القادر. «ملامح الحركة التعليمية في تمبكتو خلال القرن السادس عشر.» **الأصالة**: العدد ٥٣، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٨.
ــــــ. «مملكة سنغاي في عهد الأسبقيني، ١٩٤٣ - ١٩٥١.» **الأصالة**: العددان ٥٨ - ٥٩.
الزرقا، مصطفى. «الفكر الاسلامي ولغة القرآن عنصر ثقافي نطعم به اللغة القومية.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
ــــــ. «موسوعة الفقه الاسلامي.» **اللسان العربي**: السنة ٥، آب/ اغسطس ١٩٦٧.
الزغلول، محمد راجي. «نظرة في حاضر اللغة العربية وتطلّع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ٣، العددان ٧ - ٨، كانون الثاني/ يناير - تموز/ يوليو ١٩٨٠.
زلهايم، رودولف. «ثبت لأهم مصادر مراجع ترجمة عبد الله بن الزبير حسب الترتيب الزمني.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (دمشق): السنة ٤٩، أيلول/ سبتمبر ١٩٦٥.
زمامة، عبد القادر. «تحقيقات لغوية.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
ــــــ. «تحقيقات لغوية لكلمات مغربية.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
زنيبر، محمد. «بفضل الاسلام اكتسبت العربية مرونة خلّاقة وأصبحت لغة ثقافة حضارة.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
زهران، البدراوي. «من قضايا اللغة: وجوب تحليل البناء اللغوي من خلال مسرح الحدث الذي دار عليه.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة): تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٢.
زوين، علي. «العربية والمصطلح الدلالي.» **المنبر الجامعي**: ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٩.
سالم، شوقي. «المكانز العربية: مسائل فنية ولغوية - تخطيط لا غشاء، المكنز العام العربي للمصطلحات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.» **اللسان العربي**: العدد ٢٥، ١٩٨٥.
السامرائي، ابراهيم. «ألنا مدارس نحوية؟» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ٦، العددان ٢١ - ٢٢، تموز/ يوليو - كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٣.
ــــــ. «الجديد في اللغة والمعجم العربي الحديث.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (بغداد): السنة ١٣، ١٩٦٣.
ــــــ. «الدلالة الجديدة والتطور اللغوي.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
ــــــ. «الفصل والنظام الفعلي في العربية.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (بغداد): السنة ٦، ١٩٥٩.
ــــــ. «في التذكير والتأنيث: نظرة تاريخية في هذه المسألة.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**:

السنة ٩، العددان ٢٨ ـ ٢٩، تموز/ يوليو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٥.
ــــــ. «المقنع في الفلاحة.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ٦، العددان ١٩ ـ ٢٠، كانون الثاني/ يناير ـ حزيران/ يونيو ١٩٨٣.
السايح، أحمد عبد الرحيم. «الاسلام اكتمل بجامعة اللغة ووحدة العقيدة.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
ــــــ. «العربية فلسفة وحياة.» **اللسان العربي**: السنة ٥، آب/ اغسطس ١٩٦٧.
ــــــ. في: **اللسان العربي**: السنة ٤، آب/ اغسطس ١٩٦٦.
ــــــ. «اللغة الانسانية: نشأتها، فلسفتها، مفهومها، تطورها.» **اللسان العربي**: السنة ٩، ١٩٧٢.
ــــــ. «اللغة العربية بين اللغات السامية.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
ــــــ. «اللغة والمجتمع الانساني.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩، والسنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
ــــــ. «من خصائص اللغة العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
سبح، حسني. «تعريب علوم الطب.» **اللسان العربي**: العدد ٢٧، ١٩٨٦.
ــــــ. «حول معجم المصطلحات الطبية.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (دمشق): السنة ٣٤، كانون الثاني/ يناير ١٩٥٩.
ستيتية، سمير. «معالم جديدة للمنهج المقارن بين اللغات السامية: جوانب انثروبولوجية ونفسية واجتماعية.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ١٠، العدد ٣٠، كانون الثاني/ يناير ـ حزيران/ يونيو ١٩٨٦.
السر الحسن، تاج. «نبذة عن تاريخ حركة التعريب في السودان: المشاكل، تصوّر الحلول.» **اللسان العربي**: العدد ٢٧، ١٩٨٦.
السرغيني، محمد. «الازدواجيات وتعدّد اللهجات واللغات.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
السروجي، عبد الغني ماجد. «التعريب أهم وسائل تقدمنا العلمي.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
سعد الله، أبو القاسم. «من حضارة الشعر إلى حضارة العلم.» **الفكر**: السنة ١٧، العدد ٤، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
السعيد، محمد مجيد. «دور مؤسسات التعليم العالي في توحيد المصطلح وإشاعته.» **اللسان العربي**: العدد ٢٩، ١٩٨٧.
سعيدان، أحمد سليم. «في سبيل تعريب التعليم الجامعي في العلوم الطبيعية.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ٢، العددان ٥ ـ ٦، أيار/ مايو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٩.
ــــــ. في: **اللسان العربي**: العدد ٢٧، ١٩٨٦.

السكري، جابر. «المصطلح الكيميائي في التراث العربي.» **اللسان العربي**: السنة ١٧، ١٩٧٩.
السلاوي، محمد أديب. «الصراع بين الفصحى والعامية في الوطن العربي.» **اللسان العربي**: السنة ٣، آب/ اغسطس ١٩٦٥.
سليمان، ياسر. «التراث اللغوي العربي والدراسات اللغوية الحديثة.» **اللسان العربي**: العدد ٢١، ١٩٨٣.
سمّاك، محمد. «الجيل العربي الجديد يجب أن يكون موحد الثقافة ومعرفة حقيقة جوهر الدين ومواكبة الحضارة الحديثة.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
سمعان، خليل. «أسبقية العربية الفصحى على العامية.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
ـــــ. «القرآن والمعجم الصوفي.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
سنكري، محمد نذير. «تحقيق التحقيق لمعجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي.» **اللسان العربي**: العدد ١٧، ١٩٧٩.
ـــــ. «مصطلحات لأسماء نباتات المناطق الجافة وشديدة الجفاف والصحارى العربية.» **اللسان العربي**: السنة ١٦، ١٩٧٨.
«السوابق واللواحق، اقتراحات اتحاد الأطباء العرب.» **اللسان العربي**: العدد ٢٤، ١٩٨٥.
سويسي، محمد. «خواطر حول وضع اللغة العربية.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦.
السيد، عبد العزيز. «العربية لغة الحضارة والفكر والمعرفة.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
شال، انطوان. «اللغة العربية في مرآة قواعدها القومية.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
الشامي، علي. ««صراع العصبيات الحضارية»: المجتمع الجزائري في مواجهة التعريب.» **الباحث**: السنة ٣، العدد ١٤، تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٠.
شباط، أنيس. «من رسالة الطرق إلى القاموس التقني للطرق.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
شبوب، عثمان. «من اللغة تبدأ ثورة التجديد.» **الأصالة**: العددان ١٧ ـ ١٨، ١٩٧٤.
الشبيبي، محمد رضا. «توحيد المصطلحات.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة): السنة ٨، ١٩٥٥.
شرف الدين، محمود. «جملة الموقع النحوي عند سيبويه.» **اللسان العربي**: السنة ١٦، ١٩٧٨.
الشروق: ١٩٩١/١٢/٢٦.
شريط، عبد الله. «مشكلة اللغة والمجتمع.» **الأصالة**: العددان ١٧ ـ ١٨، ١٩٧٤.
الشريف، محمد صلاح الدين. «المعجم بين النظرية اللغوية والتطبيق الصناعي.» **مجلة المعجمية**: العدد ٢، ١٩٨٦.

الشريف، محمد عادل. «العربية لغة خالدة لأنها لغة القرآن.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.

الشطي، أحمد شوكت. «العربية لغة خلدها القرآن.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.

ـــــ. «كيف تبلور الفكر العربي في علم الطب.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.

الشعب: ١٩/٤/١٩٧٥؛ ١٥/٥/١٩٧٥؛ ٢٣/٥/١٩٧٥، و٢٩/١١/١٩٧٨.

شقلية، أحمد رمضان. «التعليم الجغرافي الجامعي.» **اللسان العربي**: العدد ٢٧، ١٩٨٦.

الشمام، محمد. «تاريخ المجامع اللغوية في العالم العربي.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦.

الشهابي، مصطفى. «ألفاظ الحياة العامة ومعجم الحضارة.» لمؤلفه محمود تيمور. **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٣٧، تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٦٢.

ـــــ. «انتحال الألفاظ المولدة وإقرار الصالح منها.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٤٠، تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٦٥.

ـــــ. «بعض المؤلفات الحديثة في المصطلحات العلمية.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٣٧، نيسان/ ابريل ١٩٦٢.

ـــــ. «جملة من المصطلحات النباتية.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٢٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٥١.

ـــــ. «خواطر في اللغة والمصطلحات.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٣، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٤.

ـــــ. «ضرورة توحيد المصطلحات العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٣، آب/ اغسطس ١٩٦٥.

ـــــ. «في المجلات.» **اللسان العربي**: السنة ٣، آب/ اغسطس ١٩٦٥.

ـــــ. «مدى النحت في اللغة العربية.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٣٤، تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٥٩.

ـــــ. «مشكلات العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٤، آب/ اغسطس ١٩٦٦.

ـــــ. «المصطلحات العلمية المعروضة على المؤتمر الرابع للاتحاد العلمي العربي.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٣٦، تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٦١.

ـــــ. «ملاحظات شتى على معجمات حديثة.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٤٣، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٨.

ـــــ. «ملاحظات لغوية واصطلاحية.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٣٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٢.

ـــــ. «نظرة في معجم عطية.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٢٥، كانون الثاني/ يناير ١٩٥٠.

ـــــ. «نظرة في المنجد.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٣٢، تموز/ يوليو ١٩٥٧.

الشهابي، يحيى. «المعجم الحضاري.» **اللسان العربي**: السنة ٤، آب/ اغسطس ١٩٦٥.

الشهريجي، محمد أحمد. «مصطلحات علم الوراثة والعلوم الوراثية (انكليزي ـ عربي).» **اللسان العربي**: العدد ١٧، ١٩٧٩.

شوقي، جلال. «علم الحركة في الفلسفة العربية: مفاهيمه وألفاظه.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.

صابر، عبد العظيم حفني. «المصطلح العلمي في التعريب.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: العدد ٥٠، أيار/ مايو ١٩٨٣.

صابر، محي الدين. «التعريب والمصطلح.» **اللسان العربي**: العدد ٢٨، ١٩٨٧.

ـــــ. «خطاب في ندوة اتحاد المجامع اللغوية العربية في موضوع تعريب التعليم العالي والجامعي في ربع القرن الأخير.» **اللسان العربي**: العدد ٢٤، ١٩٨٥.

ـــــ. في: **اللسان العربي**: العدد ٢٢، ١٩٨٣.

ـــــ. «قضايا نشر اللغة العربية والثقافة العربية الاسلامية في الخارج.» **المجلة العربية للدراسات اللغوية**: السنة ١، العدد ١، آب/ اغسطس ١٩٨٢.

ـــــ. «قضايا نشر اللغة العربية والثقافة العربية الاسلامية في الخارج.» **المستقبل العربي**: السنة ٥، العدد ٥٠، نيسان/ ابريل ١٩٨٣.

ـــــ. «كلمة الأستاذ محيي الدين صابر المدير العام للمنظمة في مؤتمر منظمة العمل العربية.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦.

صادر، حبيب. «لغتنا في خدمة الطب والعلم.» **اللسان العربي**: السنة ٥، آب/ اغسطس ١٩٦٧.

صالح، مخيمر. «الألفاظ العربية في اللغة التركية.» **اللسان العربي**: العدد ٣٢، ١٩٨٩.

الصباح: ١٩٦٩/٩/٦، ١٩٧٩/١١/٢١، و١٩٩٢/١/١٦.

صبحي، أحمد محمد. «بين أصول التحديث وأصول التأريخ.» **مجلة كلية الآداب بجامعة طرابلس**: ١٩٧٢.

الصغير، خيري. «تعليق على تعليقات على كتاب المقنع في الفلاحة.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ٧، العددان ٢٣ ـ ٢٤، كانون الثاني/ يناير ـ حزيران/ يونيو ١٩٨٤.

صفا، فيصل ابراهيم. «ضوابط حركة «الحال» النحوية.» **اللسان العربي**: العدد ٣٢، ١٩٨٩.

الصفار، ابتسام مرهون. «دراسة جديدة عن الزبيدي وكتاب تاج العروس.» **اللسان العربي**: العدد ٢١، ١٩٨٣.

صفوري، محمد حسين. «كلمة في تعريب العلوم.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ـ حزيران/ يونيو ١٩٨٥.

صليبا، أدي. «الدواعي لغنى اللغة العربية.» **المشرق**: السنتان ٢ ـ ٣، ١٥ آب/ اغسطس ١٩٠٠.
صليبا، جميل. «تعريب الاصطلاحات العلمية.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٢٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٥٣.
الصيادي، محمد المنجي. «تجربة التعريب في تونس.» **اللسان العربي**: السنة١١، ١٩٧٤. (بالفرنسية)
ـــــ. «تعريب أبناء المهاجرين.» **المستقبل العربي**: السنة ٣، العدد ٢١، تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٠.
ـــــ. «جهود جامعة الدول العربية ومنظماتها في حقل التعريب.» **شؤون عربية**: العدد ١٣، آذار/ مارس ١٩٨٢.
ـــــ. «قائمة مصطلحات الجغرافيا للمدارس الثانوية المستعملة بالقطر التونسي (انكليزي ـ فرنسي ـ عربي).» **اللسان العربي**: العدد ١٧، ١٩٧٩.
ـــــ. «مد الحضارة العربية في القارة الافريقية.» **شؤون عربية**: العدد ١٢، شباط/ فبراير ١٩٨٢.
ـــــ. «مسيرة التعريب في المغرب العربي.» **المستقبل العربي**: السنة ٢، العدد ٩، أيلول/ سبتمبر ١٩٧٩.
ـــــ. «المصطلحات التعليمية.» **اللسان العربي**: السنة ١٦، ١٩٧٨.
ـــــ. «من ملامح التطور الفكري في المغرب العربي.» **المستقبل العربي**: السنة ٢، العدد ١٢، شباط/ فبراير ١٩٨٠.
ـــــ. «نشر اللغة العربية في العالم.» **شؤون عربية**: العدد ٧، أيلول/ سبتمبر ١٩٨١.
الضبيب، أحمد. «ارتباط العربية بالاسلام تلقائي غير مفروض على الشعوب الاسلامية.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
طاهر، عمر. «نحو تفصيح العامية في الوطن العربي.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
الطائي، فاضل. «فعالية اللغة العربية في الحقل العلمي ولكن لا بد من لغة حية ثانية في البحث الجامعي.» **اللسان العربي**: السنة ٥، آب/ اغسطس ١٩٦٧.
طحان، ريمون. «اللغة العربية والبيانية.» **المشرق**: السنة ٦٤، تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٠.
الطعمة، سليمان هادي. «متخير الألفاظ.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
الطيب، أحمد. «ارتباط العربية بالاسلام تلقائي غير مفروض على الشعوب الاسلامية.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
طيمة، رشدي أحمد. «مفاهيم واصطلاحات في التربية وطرق التدريس.» **اللسان العربي**: العدد ١٧، ١٩٧٩.
الظاهر، محمد واصل. «المصطلحات الرياضية في اللغة العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٤،

آب/ اغسطس ١٩٦٦؛ السنة ٥، آب/ اغسطس ١٩٦٧، والسنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
«العامية في المغرب والخليج العربي.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
العايد، أحمد. «البحث في العلاقات بين اللغة العربية واللغات الافريقية.» **المجلة العربية للدراسات اللغوية**: آب/ اغسطس ١٩٨٤.
ـــــ. «اللغتان الأساسيتان الانكليزية والفرنسية والرصيد اللغوي العربي.» **مجلة المعجمية**: العدد ١، ١٩٨٥.
ـــــ. «مجلة المجلات في اللغة العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
ـــــ. «معجم الأطفال الأساسي المصور الثنائي اللغة.» **اللسان العربي**: العدد ٢٠، ١٩٨٣.
عايد، عبد القادر وعبد الله حسين. «مصطلحات تراثية في علم المعادن.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ٩، العددان ٢٨ ـ ٢٩، تموز/ يوليو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٥.
عباس، إحسان. «رسالتان على غرار الغفران والتوابع والزوابع.» **اللسان العربي**: السنة ٤، آب/ اغسطس ١٩٦٦.
عباس، حسن. «الحروف العربية والحواس الست.» **اللسان العربي**: ١٩٧٩.
ـــــ. «حول معاني حروف المعاني وأصول استعمالها.» **اللسان العربي**: العدد ٣٣، ١٩٨٩، والعدد ٣٤، ١٩٩٠.
عبد الله، خليل. «كيف نشأت اللغة في المجتمع البشري؟» **اللسان العربي**: العدد ٧، ١٩٧٠.
ـــــ. «ميزة البيان في نشأة الانسان.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
عبد التواب، رمضان. «تراثنا اللغوي في حاجة إلى التهذيب.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: العدد ٥١، تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٣.
«عبد الحق فاضل.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
عبد الحليم، أحمد. «ندوة تعليم أبناء العمال العرب المهاجرين في أوروبا.» **المجلة العربية للدراسات اللغوية**: آب/ اغسطس ١٩٨٣.
عبد الرحمان، أحمد قاسم. «طريقة جديدة وعلمية في كتابة الهمزة في اللغة العربية.» **اللسان العربي**: العدد ٢٧، ١٩٨٦.
عبد الرحمان، عفيف. «في قضايا المعجمية العربية المعاصرة.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ١٢، العدد ٣٥، تموز/ يوليو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٨.
عبد الرحمن، عائشة. «مقترحات حول: التصميم العشاري لموسوعة المغرب العربي.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
ـــــ. «القرآن دعامة الوحدة بين العروبة والاسلام، يجب أن يأخذ القرآن المكانة الأولى في

الدراسات الجامعية.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
ـــــ. «من أسرار العربية في البيان القرآني.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
عبد الرحمن، وجيه حمد. «اللغة ووضع المصطلح الجديد.» **اللسان العربي**: العدد ١٩، ١٩٨٢.
ـــــ. «منهجية وضع المصطلحات الجديدة في الميزان.» **اللسان العربي**: العدد ٢٤، ١٩٨٥.
«عبد العزيز السيد.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
عبد العلي. «طرق تعليم اللغة العربية الحديثة على مستوى البكالوريوس.» **اللسان العربي**: العدد ٢٥، ١٩٨٥.
عبد الكريم، سعد. «معجم الجيولوجيا.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: السنة ١٧، ١٩٦٥.
عبد المولى، محمد. «ملاحظات منهجية حول الدراسات الاجتماعية في الوطن العربي.» **اللسان العربي**: العدد ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
عبد المولى، محمود. «التحليل العلمي والنظر المعياري الشامل يجب أن يكونا أساس الفكر العربي الحديث المجرد من كل تبعية ثقافية.» **اللسان العربي**: العدد ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
عبد الوهاب، محمد جمال الدين. «المسلمون في باكستان تواقون إلى العربية فيجب تبسيط طرق تدريسها.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
عبده، داود عطية. «الأصل في الفعل الماضي سكون آخره.» **اللسان العربي**: العدد ٣١، ١٩٨٨.
عبيد، عبد اللطيف. «المعجم الفلاحي العربي.» **اللسان العربي**: العدد ١٧، ١٩٧٩.
عتر، نور الدين. «معجم المصطلحات الحديثة.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦.
العجيلي، عبد السلام. «مستقبل العربية كلغة عالمية رهن بمستقبل العرب.» **اللسان العربي**: السنة ٥، ١٩٦٧.
عز الدين، يوسف. «الأثر النفسي والاجتماعي في تعريب التعليم.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: العدد ٥٦، أيار/ مايو ١٩٩٠.
ـــــ. «المعجم الذي نريده.» **مجلة المجمع العلمي العراقي**: السنة ٣٨، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٧.
ـــــ. «المعجمات العربية وتوحيد المصطلح العلمي.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: العدد ٥٣، [د. ت.].
العزيزي، خليل. «العربية إنما ازدهرت وانتشرت في ظل حضارة الاسلام.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
العزيزي، روكس بن زائد. «الاسلام مهد السبيل لعالمية اللغة العربية كأداة علم وحضارة.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.

عطار، أحمد عبد الغفور. «أعداء الاسلام يحاربون لغته.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
العطاس، هارون أحمد. «أضواء على صيغة «فعلون» في العربية.» **اللسان العربي**: السنة ١٦، ١٩٧٨.
العقيل، عبد الله. «العربية كانت عوناً للإسلام على صهر الشعوب في بوتقة اسلامية الفكرة، عربية الأسلوب.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
العلم: -/٢/١٩٦٤؛ ٣/٢/١٩٧٧، و٢/١٢/١٩٧٨.
علوش، سعيد. «مصطلحات أدبية معاصرة.» **اللسان العربي**: العدد ٢٩، ١٩٨٧.
العمل: ١٥/١١/١٩٦٦؛ ٢٤ ـ ٢٥/٣/١٩٧٢، و٢١/١١/١٩٧٦.
علي، عبد الجبار محمد. «من أجل مفهوم أدق للاشتقاق.» **اللسان العربي**: العدد ٢٥، ١٩٨٥.
العلمي، ادريس بن الحسن. «الجديد من المستدرك في التعريب.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
ـــــ. «اللغة العربية في مواجهة التعريب.» **اللسان العربي**: العدد ٣٤، ١٩٩٠.
ـــــ. «مزالق التعريب.» **اللسان العربي**: السنة ٦، ١٩٦٩، والسنة ١٤، ١٩٧٦.
ـــــ. «المشتركة بين الفتح والكسر.» **اللسان العربي**: السنة ١٦، ١٩٧٨.
ـــــ. «مع المعجم الوسيط في طبعته الثانية.» **اللسان العربي**: العدد ٢٣، ١٩٨٤؛ العدد ٣٠، ١٩٨٨، والعدد ٣٣، ١٩٨٩.
ـــــ. «مع المعجم الوسيط في محاسنه.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦.
علوش، جميل. «الاعراب المحلي بين الفعل والجملة.» **اللسان العربي**: العدد ٢٨، ١٩٨٧.
ـــــ. «تعليق على كتاب المعجم الوافي في النحو العربي.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ٩، العددان ٢٨ ـ ٢٩، تموز/ يوليو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٥.
علي، محمد حسين. «مشروع المعجم المبسط.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
عمايرة، محمد. «تعليم العربية لغير الناطقين بها: دراسة تحليلية في كتاب تعليمي.» **اللسان العربي**: العدد ٢٩، ١٩٨٧.
عمر، أحمد عمرو. «المترجم: ما له وما عليه.» **اللسان العربي**: العدد ٢٧، ١٩٨٦.
عمر، أحمد مختار. «الفارابي الفيلسوف واضع أول معجم جامع.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
ـــــ. «الفارابي اللغوي.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦، والسنة ١٦، ١٩٧٨.
ـــــ. «معاجم الابنية في اللغة العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
ـــــ. «معاجم الابنية في اللغة العربية: المعاجم الكاملة.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
عنبر، محمد. «معجم المعاني.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.

العوامري بك، أحمد. «بحوث وتحقيقات لغوية، القسم الثالث مذ ومنذ من الوجهتين اللفظية والمعنوية.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: السنة ٣، ١٩٣٧.
«عوامل ذاتية وتاريخية ودينية.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
عياد، سامي ونجيب جرجس. «تدريس العربية كلغة حية في الولايات المتحدة الأمريكية.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
عيد، محمد. «العوامل الطارئة على اللغة: دراسة لقضايا اللحن والتصحيف والتوليد والتعريب في ضوء علم اللغة الحديث.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١، والسنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
العيساوي، شاكر طوقان. «القياس اللغوي وأهميته في تطوير اللغة.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦.
غازي، محمد فريد. «المعربات العلمية في اللغة العربية في العهد الوسيط.» **الفكر**: السنة ٥، شباط/ فبراير ١٩٦٠.
الغافقي، صبيح. «المكتب الدائم قلعة صامدة لحماية التراث الفكري للعالم العربي.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
غزال، أحمد الأخضر. «رسم نموذجي بخط الرقعة لمشروع إصلاح الطباعة العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
ـــــ. «فلسفة الحركات في اللغة العربية.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، ١٩٧٣.
ـــــ. «المنهجية العامة للتعريب المواكب.» (الرباط، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٧).
غلّاب، عبد الكريم. «التعريب: واقعه ومستقبله في المغرب العربي.» **الأصالة**: العددان ١٧ ـ ١٨، ١٩٧٤.
ـــــ. «رسالة المغرب اللغوية.» **اللسان العربي**: السنة ٥، آب/ اغسطس ١٩٦٧.
غلّاب، محمد السيد [وآخرون]. «المراكز الحالية والمقبلة لانتشار اللغة العربية.» **اللسان العربي**: ١٩٨٠.
الفاروقي، حارث سليمان. «المعجم القانوني: انكليزي ـ عربي،» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٤٠، تموز/ يوليو ١٩٦٥.
الفاسي، علال. «تحريف الدلالة.» **اللسان العربي**: السنة ١، حزيران/ يونيو ١٩٦٤.
ـــــ. «تعليق ونقد.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
ـــــ. «فعالية اللغة العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٣، آب/ اغسطس ١٩٦٥.
الفاسي، محمد. «التعريب ووسائل تحقيقه.» **الأصالة**: العددان ١٧ ـ ١٨، ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤.
ـــــ. «الذوق العربي في الموسيقى الأندلسية.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
فاضل، عبد الحق. «أخطاء لغوية.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
ـــــ. «أسرار الضمائر.» **اللسان العربي**: السنة ٥، آب/ اغسطس ١٩٦٧.

ـــــ. «أقاصيص لغوية: قط وبناتها.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
ـــــ. «الأنثى والنملة والنسناس.» **اللسان العربي**: السنة ١٣ و١٤، ١٩٧٦.
ـــــ. «تاريخهم من لغتهم العنقاء.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١؛ السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢، والسنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
ـــــ. «التأنيث في العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
ـــــ. «تعريب أم اقتباس؟» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ٢، العددان ٥ ـ ٦، أيار/ مايو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٩.
ـــــ. «تقديم الصفة على الموصوف.» **اللسان العربي**: السنة ٣، آب/ اغسطس ١٩٦٥.
ـــــ. «الحبال والحبلى والغلام والملح.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
ـــــ. «دخيل أم أثيل.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠، والسنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
ـــــ. «علم الترسيس.» **اللسان العربي**: السنة ٥، آب/ اغسطس ١٩٦٧.
ـــــ. «فضل العربية على الحضارات القديمة.» **اللسان العربي**: السنة ٣، آب/ اغسطس ١٩٦٥.
ـــــ. «قصص في اللغة العربية.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
ـــــ. «لمحات من التأثيل اللغوي.» **اللسان العربي**: السنة ٣، آب/ اغسطس ١٩٦٥.
ـــــ. «ما هو المكتب الدائم؟» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
ـــــ. «مستحدثات.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
ـــــ. «مكة وحمورابي.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦.
ـــــ. «نظرة معجمية سريعة.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
فالتر، فيبكا. «أسماء الأعلام العربية من القرن الجاهلي الأخير إلى العصر العباسي.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
فتوح، عيسى. «نظرة في معاجمنا اللغوية.» **اللسان العربي**: السنة ١٦، ١٩٧٨.
الفردان، عبد الرسول عبد النبي. «شعور المسلم بقداسة القرآن يفسح المجال لانتشاره.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
فرعون، صادق. «نواة المعجم الموسيقي.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٦٥، نيسان/ ابريل ١٩٩٠.
الفضلي، عبد الهادي. «الأسماء الثنائية في اللغة العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
ـــــ. «تنقل الألفاظ.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
ـــــ. «علم الأصوات الحيوانية عند العرب.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.

فكـار، رشدي. «مصـطلحات علم الاجتـماع وعلم النفس والانثروبـولوجيـا الاجتـماعيـة.» **اللسان العربي**: السنة ١٦، ١٩٧٨.
الفكر: شباط/ فبراير ١٩٦٠، وحزيران/ يونيو ١٩٧٢.
فليش، هنـري. «المستقبـل للغـة العـربيـة الفصحى.» **اللسـان العـربي**: السنـة ٥، آب/ اغسطس ١٩٦٧.
«فن البناء في آخر القرن التاسـع عشر.» **المشرق**: السنة ٢، العـدد ١، كانـون الثاني/ ينـاير ١٨٩٩.
«فهرس الأصول العربية العالمية.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
الفهري، عبد القادر الفاسي. «المصطلح اللساني: معجم انكليزي - فرنسي - عربي.» **اللسان العربي**: العدد ٢٣، ١٩٨٤، والعددان ٢٦ - ٢٧، ١٩٨٦.
«في إطار المعجم العلمي والتقني العام: معجم الكيمياء: ملاحظات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
«في طـريق انشـاء المجمـع العـربي المـوحـد: تكـوين لجنـة مجمعيـة في اطـار المكتب الـدائم للتعريب.» **اللسان العربي**: السنة ٣، آب/ اغسطس ١٩٦٥.
فيشر، فولديترش. «قرارات طبع المعجم.» **مجلة مجمع اللغـة العربيـة** (القاهـرة): السنة ٣، تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٣٦.
ـــــ. «معـالجة القـواعـد في كتب تعليم العـربيـة لغـير النـاطقـين بهـا.» **اللسـان العـربي**: العدد ٢٣، ١٩٨٤.
فيصل، شكري. «حركة التعـريب وصل بـين الماضي والمستقبـل.» **الأصالـة**: العددان ١٧ - ١٨.
ـــــ. «قضـايا اللغـة العربيـة المعاصرة.» **المجلة العـربية للدراسـات اللغـويـة**: السنـة ٢، العدد ١، آب/ اغسطس ١٩٨٣.
ـــــ. «قضايا اللغة العربية المعاصرة: بحث في الاطـار العام للمـوضـوع.» **اللسـان العربي**: العدد ٢٦، ١٩٨٦.
فيفري. «استشارات التعداد.» **اللسان العربي**: السنة ٢، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥.
فيندور، فولكهارد. «اللغة العربية الفصحى والعامية.» **اللسان العربي**: السنـة ١٠، كانـون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
القاسمي، علي. «إشكالية توحيد المصطلحات العربية: النظرية والتطبيق.» **اللسان العـربي**: العدد ٣٢، ١٩٨٩.
ـــــ. «إنها معـاجم تساهم في الـترجمة ونقـل التكنولـوجيا.» **اللسـان العـربي**: العـدد ٢٥، [د. ت.].
ـــــ. «ببليوغرافية المعاجم المتخصصة.» **اللسان العربي**: العدد ٢٠، [د. ت.].
ـــــ. «تخطيط السياسة اللغوية في الوطن العربي ومكانة المصطلح الموحد.» **اللسـان العربي**: العدد ٢٣، ١٩٨٤.
ـــــ. «ترتيب مداخل المعجم.» **اللسان العربي**: العدد ١٩، ١٩٨٢.

ـــــ. «التعابير الاصطلاحية والسياقية ومعجم عربي لها.» **اللسان العربي**: العدد ١٧، ١٩٧٩.
ـــــ. «العلاقة بين اللغة العربية وشقيقاتها الافريقية وأثرها في تنمية الثقافة العالمية.» **اللسان العربي**: العدد ٢٤، ١٩٨٥.
ـــــ. «علم المصطلح بين علم المنطق وعلم اللغة: العناصر المنطقية والوجودية في علم المصطلح.» **اللسان العربي**: العدد ٣٠، ١٩٨٨.
ـــــ. «ماذا نتوخّى في المعجم العربي للناطقين باللغات الأخرى.» **اللسان العربي**: العدد ٢٠، ١٩٨٣.
ـــــ. «مشاكل المترجم العربي في المنظمات الدولية.» **اللسان العربي**: العدد ٣٣، ١٩٨٩.
ـــــ. «المصطلح الموحد ومكانته في الوطن العربي.» **اللسان العربي**: العدد ٧، ١٩٨٦.
ـــــ. «نحو تطوير بنوك المصطلحات أداة للبحث المصطلحي والعلمي.» **اللسان العربي**: العدد ٢٨، ١٩٨٧.
ـــــ. «النظرية العامة لوضع المصطلحات وتوحيدها وتوثيقها.» **اللسان العربي**: العدد ١٨، ١٩٨٠.
ـــــ. «النظرية العامة والنظرية الخاصة في علم المصطلح.» **اللسان العربي**: العدد ٢٩، ١٩٨٧.
«قاموس فرنسي - عربي للمفردات الكهربائية.» **الأصالة**: العددان ١٧ - ١٨.
قبيسي، كمال عبد الله. «عملية التعريب ومستلزماتها في المجالات العلمية والتعليمية.» **اللسان العربي**: السنة ١٦، ١٩٧٨.
قتيبي، حامد صادق. «أمثلة تحليلية للتطور الدلالي في الألفاظ المعرّبة.» **اللسان العربي**: العدد ٣٢، ١٩٨٩.
قدور، أحمد محمد. «في الدلالة والتطور الدلالي.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ١٣، العدد ٣٦.
القرشي، خضر بن عليان. «تعريب العلوم ووضع المصطلحات.» **اللسان العربي**: ١٩٨٣.
«القسم الرسمي أعمال المجمع وقراراته في دور الانعقاد الثاني.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (القاهرة): العدد ٢، أيار/ مايو ١٩٣٥.
قلبي، محمد. «عينة للذين يؤمنون وبرهان للذين يشكون،» **اللسان العربي**: السنة ١٠، ١٩٧٣.
قنديلجي، عامر ابراهيم. «بنوك وشبكات المعلومات، نماذج عربية وأجنبية.» **اللسان العربي**: العدد ٢٥، ١٩٨٥.
قنصل، الياس. «الحياة في اللغة العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
ـــــ. «اللغة العربية تماشي الأمة العربية إلى الأمام لأنها جزء حي منها.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
القيسي، مجيد محمد علي. «مشروع مجمع اللغة العربية الأردني للرموز العلمية العربية.» **مجلة**

المجمع العلمي العراقي: السنة ٣٩، حزيران/ يونيو ١٩٨٨.
كايد، أحمد. «اللغة والثورة الفكرية في العالم العربي.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
الكتاني، إدريس. «دور اللغة في تنمية الطاقات البشرية وتجربة اللغات الأجنبية في البلدان الافريقية.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
ـــــ. «كيف فشلت تجربة الازدواجية في لغة التعليم بالمغرب العربي.» **اللسان العربي**: السنة ٣، آب/ اغسطس ١٩٦٥.
الكتاني، محمد ابراهيم. «تحليل ونقد.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
ـــــ. «الكتاب العربي وقيمته بالمغرب.» **اللسان العربي**: السنة ٢، آب/ اغسطس ١٩٦٥.
ـــــ. «نحو تحقيق كتاب ابن الجوزي: «تقويم اللسان».» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
الكتبي، زهير. «المخطوطات الايجابية في توحيد المصطلحات العلمية.» **اللسان العربي**: السنة ٤، ١٩٦٦.
كرد علي، محمد. «عالمان عربي وغربي».
الكرملي، انستاس. «التدريب على التعريب.» **المشرق**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٠٢.
ـــــ. «الكفل: تعريفه ووصفه.» **المشرق**: السنة ٢، العدد ١، كانون الثاني/ يناير ١٨٩٩.
الكرمي، سعيد. «اللغة والدخيل فيها.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ١، كانون الثاني/ يناير ١٩٢١.
الكعّاك، عثمان. «مشروع الموسوعة المغربية.» **اللسان العربي**: السنة ٣، آب/ اغسطس ١٩٦٥.
«كلمة الدكتور عبد الحليم منتصر.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: السنة ٢٤، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
كنون، عبد الله. «الصحافة وتجديد اللغة.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: العدد ٥١، أيار/ مايو ١٩٨٣.
ـــــ. «الكاف التمثيلية.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
ـــــ. «نظرة في منجد الآداب والعلوم.» **اللسان العربي**: السنة ١، حزيران/ يونيو ١٩٦٤.
الكواكبي، محمد صلاح الدين. «النحت والمصطلحات العلمية.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٣٩، تموز/ يوليو ١٩٦٤.
كوردر، س. بييت. «مدخل إلى اللغويات التطبيقية.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦.
كيليلو، محمد. «نظام فهرسة المكاتب.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
لبيب، الطاهر. «العجز عن التعريب في مجتمع تابع.» **المستقبل العربي**: السنة ٤، العدد ٢٩، تموز/ يوليو ١٩٨١.

«اللجان الثقافية للمكتب الدائم للتعريب.» **اللسان العربي**: السنة ٣، آب/ اغسطس ١٩٦٥.
اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا والبنك الاسلامي للتنمية. «مستلزمات بناء قاعدة معطيات للمفردات اللغوية العربية.» ١٩٨٩.
اللسان العربي: السنوات: ١، حزيران/ يونيو ١٩٦٤؛ ٣، آب/ اغسطس ١٩٦٥؛ ٤، آب/ اغسطس ١٩٦٦؛ ٥، آب/ اغسطس ١٩٦٧؛ ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠؛ ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١؛ ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢؛ ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣؛ السنة ١١، ١٩٧٤؛ ١٢، ١٩٧٥؛ ١٣ - ١٤، ١٩٧٦؛ ١٥، ١٩٧٧، و١٦، ١٩٧٨؛ الأعداد: ١٩، ١٩٨٢؛ ٢٢، ١٩٨٣؛ ٢٣، ١٩٨٤؛ ٢٤، ١٩٨٥؛ ٢٦، ١٩٨٦؛ ٢٠ و٢٧، ١٩٨٧؛ ٣١، ١٩٨٨، و٣٤، ١٩٩٠، و١٩٦٤؛ ١٩٧٩، و١٩٨٠.
ماسينيون، لوي. «محاضرة ألقاها المستشرق الفرنسي في مدرسة الحقوق العربية.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ١، أيلول/ سبتمبر ١٩٢١.
ـــــ. «المعاجم الأوروبية الحديثة ومدى ما تستفيده المعاجم العربية منها.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: السنة ٧، ١٩٥٣.
الماشطة، عبد المجيد. «معجم مصطلحات علم اللغة الحديث.» **اللسان العربي**: العدد ٢٤، ١٩٨٥.
المبارك، محمد. «التفاعل الحضاري في تكوين اللغة وتطويرها.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
المجاهد: ١٩٦٥/٨/١١؛ ١٩٦٦/٥/١٣؛ ١٩٧٢/٤/٢٢؛ ١٩٧٥/٥/١٧، و١٩٧٨/١١/٢٨.
مجلة الثقافة العربية: العدد ٢، ١٩٧٤.
مجلة كلية التربية (طرابلس): ١٩٧٢.
مجلة كلية المعلمين (الجامعة الليبية): السنة ٧، ١٩٧٠.
مجلة المجمع العلمي العراقي: السنة ٣٤، تموز/ يوليو ١٩٨٣.
مجلة المجمع العلمي العربي (دمشق): ١٩٦٧.
مجلة مجمع اللغة العربية الأردني: السنة ٩، العددان ٣ - ٤، ١٩٧٩، والسنة ٦، العددان ١٩ - ٢٠، كانون الثاني/ يناير - حزيران/ يونيو ١٩٨٣.
مجلة مجمع اللغة العربية (بغداد): ١٩٥٢؛ ١٩٥٥، و١٩٥٨ - ١٩٥٩.
مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق): ١٩٦٢ - ١٩٦٧، و١٩٦٩ - ١٩٧٠.
مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة): السنة ١٨، ١٩٦٥؛ العدد ٥١، أيار/ مايو ١٩٨٣، العدد ٥٣، شباط/ فبراير ١٩٨٤؛ ١٩٤٨، و١٩٥٣ - ١٩٥٥.
مجلة معهد المخطوطات العربية: السنة ١، أيار/ مايو ١٩٦١.
المجمع العلمي العراقي. «مصطلحات صناعة النفط.» **مجلة اللغة العربية (بغداد)**: السنة ٥، ١٩٥٨.

«مجمع اللغة العربية بالقاهرة.» **اللسان العربي**: السنة ١، حزيران/ يونيو ١٩٦٤.
المحاسني، زكي. «من مآسي الفردوس.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
«محاولة طرح صريح لمشكل العلاقات التربوية في المؤسسات التعليمية.» **المحرر**: ١٩٨٧/٧/١٦.
المحرر: ١٩٧٩/١/١١.
«محضر جلسة الافتتاح.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: السنة ٥، ١٩٤٨.
المحلاوي، أحمد. «الندوات: ماهيتها وأهدافها.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
محمد، ابراهيم عبد الرحمن. «انتشار اللغة العربية قوة الاسلام السياسية والدينية.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
محمد، حسين. «الأضداد في اللغة.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢، والسنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
«محمد كرد علي: حياته وآثاره.» **مجلة المجمع العلمي العربي (دمشق)**: السنة ٣٠، نيسان/ ابريل ١٩٥٥.
محمدين، محمد محمود. «رأي في تسمية الحركة العربية وأسباب هذه الحركة.» **اللسان العربي**: ١٩٨٠.
محمود، فناري أحمد. «أزمة اللسانيات في العالم العربي.» **المجلة العربية للدراسات اللغوية**: شباط/ فبراير ١٩٨٨.
محمود، محمود حسني. «التنافس وأثره على النحو والنحاة.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ٣، العددان ٧ ـ ٨، كانون الثاني/ يناير ـ تموز/ يوليو ١٩٨٠.
ـــــ. «اللهجات العامية إلى أين؟» **اللسان العربي**: العدد ٢٠، ١٩٨٣.
محمود، يوسف. «منهج التعلّم الجماعي للغات الأجنبية وعلاقته بتدريس اللغة العربية.» **اللسان العربي**: السنة ١٩، ١٩٨٢.
محيي الدين، عبد الرزاق. «العمل المعجمي بين علوم اللغة العربية.» **مجلة مجمع اللغة العربية (بغداد)**: السنة ٦، ١٩١٨.
ـــــ. «نشاط المجمع العلمي العراقي.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
مختار، محمود. «مجمع اللغة العربية والمصطلح العلمي.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: العدد ٥٣، شباط/ فبراير ١٩٨٤.
المخزومي، مهدي. «في النحو العربي: نقد وتوجيه.» **حوليات الجامعة التونسية**: ١٩٦٦.
مدكور، ابراهيم. «تقديم المعجم الفلسفي.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: السنة ١٩، ١٩٦٥.
ـــــ. «لغة العلم.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٤، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥.

ـــــ. «لغة العلم المعاصر.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ١٠، العدد ٣٠، كانون الثاني/ يناير ـ حزيران/ يونيو ١٩٨٦.
ـــــ. «المجمع في خدمة اللغة العربية.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: السنة ٨، ١٩٥٥، والسنة ٢٢، ١٩٦٧.
ـــــ. «المعجم العربي في القرن العشرين.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: السنة ١٦، ١٩٦٣.
ـــــ. «منطق أرسطو والنحو العربي.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: ١٩٥٣.
ـــــ. «مؤتمر مصطلحات الفلسفة وعلم الاجتماع.» **اللسان العربي**: كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
ـــــ. «نشأة المصطلحات الفلسفية في الاسلام.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: ١٩٥٣.
مدور، محمود رضا. «مصطلحات فلكية.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
مراني، ناجية. في: **اللسان العربي**: العدد ٢٨، ١٩٨٧.
المرصفاوي، حسن صادق. «تعريف أمهات الكتب في الفكر القانوني وتوحيد مصطلحاتها.» **اللسان العربي**: السنة ١٦، ١٩٧٨.
«المسابقة الرابعة دراسة حول القرآن والسنّة.» **اللسان العربي**: ١٩٧٣.
«مسابقة المكتب الدائم.» **اللسان العربي**: السنة ٨، ١٩٧١، و١٩٧٢.
المسعودي، ليلى. «علم المصطلحات وبنوك المعطيات.» **اللسان العربي**: العدد ٢٨، ١٩٨٧.
ـــــ. «قاعدة المعطيات المعجمية: المعربي.» **اللسان العربي**: العدد ٢٥، ١٩٨٥.
المشرفي، محمد محيي الدين. «مستقبل اللغة العربية بالمغرب الأقصى.» **الأصالة**: العددان ١٧ ـ ١٨، ١٩٧٤.
«مشروع دليل المصطلحات العربية الموحدة في العلوم الادارية.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
«مشروع النظام الأساسي لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
المصري، ابراهيم الدرويش. «الموسيقى لغة الروح.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
«المصطلح الكيميائي: مشاكله وحلوله.» **مجلة المجمع العلمي العراقي**: السنة ٣٩، آذار/ مارس ١٩٨٨.
«مصطلحات الاعلامية.» **اللسان العربي**: السنة ٨، ١٩٧١.
«مصطلحات الخرسانة.» **اللسان العربي**: العدد ٢٣، ١٩٨٤.
«مصطلحات سلكية ولاسلكية.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.

«مصطلحات علم الأمراض التي أقرّت في هذه الدورة.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: السنة ٥، ١٩٤٨.

«مصطلحات علم الجيولوجيا.» **اللسان العربي**: كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.

«مصطلحات العمل.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦.

«مصطلحات الفقه والقانون.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦.

«مصطلحات في علم أمراض النساء.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: السنة ١٦، ١٩٦٣.

«مصطلحات قانونية.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.

مطر، عبد العزيز. «علماء الأصوات العرب سبقوا اللغويين المحدثين في ابتكار نظرية التماثل.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.

ـــــ. «لولا أن العربية لغة القرآن لكان مصيرها مصير اللاتينية.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.

مطلوب، أحمد. «تعريب التعليم العالي في العراق.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ٨، العددان ٢٥ ـ ٢٦، تموز/ يوليو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٤.

«مظاهر الوحدة والاختلاف في عاميات المغرب والشام.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.

«مع الأستاذ ابراهيم الكتاني.» **اللسان العربي**: السنة ٤، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٦.

«المعاجم العلمية.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.

«المعاجم العلمية العربية.» **اللسان العربي**: السنة ١، حزيران/ يونيو ١٩٦٣.

«معاجمنا في الميزان: ملاحظات المجامع والمجالس العليا للعلوم والجامعات.» **اللسان العربي**: السنة ٤، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٦.

«معاهد التربية والتعليم، المدارس الثانوية، السنة الدراسية ١٩٤٩ ـ ١٩٥٠.» **حولية الثقافة العربية**: ١٩٥١ ـ ١٩٥٢.

«معجم الآلات والأدوات والأجهزة.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.

«معجم الأحجار والمعادن والفلزات.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.

«معجم الاذاعة والتلفزة لاتحاد الاذاعات العربية.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.

«معجم أسماء العلوم والفنون والمذاهب والنظم.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.

«معجم الأشغال العمومية.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.

«معجم الأصول العربية والأجنبية للعامية المغربية.» **اللسان العربي**: السنة ٤، آب/ اغسطس ١٩٦٦.

«معجم الأطعمة.» **اللسان العربي**: آب/ اغسطس ١٩٦٥، والسنة ٧، كانون الثاني/ ينـاير ١٩٧٠.
«معجم الرياضة واللعب.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
«المعجم السياحي.» **اللسان العربي**: السنة ٤، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٦.
«معجم طبي جـديد: مصـطلحات في أمـراض الأذن والأنف والحنجرة.» **اللسـان العـربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
«المعجم العـربي الألماني: منهـاجه ومـوضوعـه.» **اللسان العـربي**: السنة ١، حـزيران/ يـونيو ١٩٦٤.
«معجم الفقه والقانون.» **اللسان العربي**: السنة ٥، آب/ اغسطس ١٩٦٧.
«معجم الفقه والقانون في الميزان.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
«معجم الفنـون الجميلة والترفيهيـة والاذاعة والتلفـزة.» **اللسان العـربي**: السنة ١٠، كـانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
«معجم المصطلحات التقنية الاخراطيـة متعدد اللغـات.» **اللسان العـربي**: السنة ٧، كـانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
«معجم المصطلحات الصوتية (انكليزي ـ عربي).» **اللسان العربي**: العدد ٢٣، ١٩٨٤.
«معجم مصطلحات المجمع العلمي العراقي.» **مجلة مجمع اللغة العربية** (بغـداد): السنة ٤، ١٩٥٦.
«المعجم المصـور.» **اللسان العـربي**: السنة ٣، آب/ اغســطس ١٩٦٥، والسنة ٤، كـانـون الثاني/ يناير ١٩٦٦.
«معجم مفردات علم المصطلح (انكليـزي ـ فرنسي ـ عـربي).» **اللسان العـربي**: العدد ٢٤، ١٩٨٨.
«معلمة مركزة عن القبائل والمدن والقرى.» **اللسان العـربي**: السنة ٧، كـانون الثـاني/ ينايـر ١٩٧٠.
المغنم، محمـد. «مسألـة السوابق واللواحق وطـرق معالجتهـا.» **اللسان العـربي**: العدد ٢٤، ١٩٨٥.
«المفقود في اللغة العربية موجود في معاجم مرقمة.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثـاني/ يناير ١٩٧١.
«مقابلات مع شخصيات علمية، مع الأستاذ ابن عاشور.» **اللسان العـربي**: السنة ٤، آب/ اغسطس ١٩٦٦.
المقدسي، أنيس. «الكلام المـولد في معـاجمنا الحـديثة.» **مجلة مجمـع اللغة العـربية** (دمشق): السنة ٤٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥.
مكتب تنسيق التعـريب في الوطن العـربي. «نحـو إنشـاء بنـك الكلمات.» **اللسـان العـربي**: السنة ١٦، ١٩٧٨.
«المكتب الدائم في مشاريعه العربية والدولية.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.

«المكتب الدائم للتعريب في المؤتمر الثاني لمنظمة التربية والثقافة والعلوم.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.

«المكتب الدائم ينظم: الموسم العلمي لسنة ١٩٦٧.» **اللسان العربي**: السنة ٥، آب/ اغسطس ١٩٦٧.

مكرم، عبد العال سالم. «ابن الحاجب المصري وأثره في الدراسات اللغوية.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.

مكي، الطاهر أحمد. «تيسير اللغة العربية للأجانب.» **اللسان العربي**: السنة ٥، آب/ اغسطس ١٩٦٧.

ـــــ. «الخط العربي: نشأته وتطوره.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.

«ملاحظات حول المصطلحات الاعلامية الجزء ١: A. G.» **اللسان العربي**: السنة ١٦، ١٩٧٨.

«ملاحظات حول المعجم العسكري الموحد.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.

«ملاحظات المكتب الدائم للتعريب على قاموس المصطلحات البريدية.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.

«ملاحظات ومقترحات مجمع اللغة العربية بالقاهرة.» **اللسان العربي**: السنة ٤، آب/ اغسطس ١٩٦٦.

الملائكة، جميل. «استخدام اللغة العربية في التعليم العالي.» **اللسان العربي**: السنة ١١، ١٩٧٤.

ـــــ. «بعض القواعد التي سارت عليها لجنة وضع المصطلحات الهندسية.» **مجلة مجمع اللغة العربية (بغداد)**: السنة ١٧، ١٩٦٩.

ـــــ. «الصعوبات المفتعلة على درب التعريب.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ١٠، العدد ٣٠، كانون الثاني/ يناير ـ حزيران/ يونيو ١٩٨٦.

ـــــ. «في أساليب اختيار المصطلح العلمي ومتطلبات وضعه.» **اللسان العربي**: العدد ٢٤، ١٩٨٥.

«الملتقى العربي الافريقي حول العلاقات بين اللغات الافريقية واللغة العربية.» **اللسان العربي**: العدد ٢٣، ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣.

«الملف الثالث: انجازات المكتب في موضوعات قارة. . .» **اللسان العربي**: العدد ٣٤، ١٩٩٠.

مليس، زهور. «الزواج بالأجنبيات والأجانب وخطره على الأسرة.» **الأصالة**: العددان ٥٨ ـ ٥٩، حزيران/ يونيو ـ تموز/ يوليو ١٩٧٨.

ممدوح، حقي. «المثل المقارن بين العربية والانكليزية.» **اللسان العربي**: السنة ١١، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.

«المملكة المصرية: نبذة تاريخية.» **حولية الثقافة العربية**: ١٩٤٩.

«من خطاب الرئيس بومدين أمام اللجنة الوطنية لإصلاح التعليم في ١٩٧٠/٤/٢٩.» **الأصالة**: العددان ١٧ ـ ١٨، ١٩٧٤.

منتصر، عبد الحليم. «التراث العلمي العربي.» **مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: السنة ٢٤، ١٩٦٩.

ــــ. «المؤتمر العلمي العربي السادس، ١ ـ ٧ نوفمبر ١٩٦٩، دمشق.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.

المنظمة العالمية للملكية الفردية (ويبو). «مصطلحات الملكية الصناعية: انكليزي ـ فرنسي ـ اسباني ـ عربي.» **اللسان العربي**: السنة ١٦، ١٩٧٨.

«المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.

«المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: أنباء المنظمة.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦.

«منهجية وضع المصطلحات الطبية.» **اللسان العربي**: العدد ٢٧، ١٩٨٦.

المنوفي، محمد. «ظاهرة تعريبية في المغرب العربي.» **اللسان العربي**: السنة ١، حزيران/ يونيو ١٩٦٤.

المهدي، عبد الحميد. «تعريب التعليم في الجزائر ومشاكله.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.

المهيري، عبد القادر. «كتاب علل التثنية لابن جني.» **حوليات الجامعة التونسية**: ١٩٦٥.

«المواصفات القياسية العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٨، العدد ٢، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.

مواقف: العدد ١٥، ١٩٧١، والعدد ٣٦، ١٩٧٣.

«مؤتمر التضامن الاسلامي، الرياض، ٢٠ ـ ٢٦ آذار ١٩٧٦، مؤتمر التضامن الاسلامي حول التضامن في مجالات العلم والتكنولوجيا.» **اللسان العربي**: السنة ١٤، ١٩٧٦.

«مؤتمر التعريب الرابع (طنجة).» **اللسان العربي**: العدد ١٩، ١٩٨٢.

«مؤتمر توحيد المصطلحات العلمية.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.

«المؤتمر الثقافي العربي الثامن لإعداد المعلمين في الوطن العربي.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.

«مؤتمر اللغة العربية في الجامعات وواقعها ووسائل الارتقاء بها، ٢٦ ـ ١٩٨١/١٢/٣٠.» **اللسان العربي**: العدد ١٩، ١٩٨٢.

«المؤتمرات المتخصصة.» **اللسان العربي**: السنة ١٦، ١٩٧٨.

مؤسسة ايزو. «معجم مفردات علم المصطلح التي تقوم على ترجمتها المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس.» **اللسان العربي**: العدد ٢٢، ١٩٨٣.

«مؤسسة للتعريب والترجمة في دمشق.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.

الموسى، نهاد. «تحقيق في الحال: هل تقع في العربية نفياً؟» **اللسان العربي**: العدد ١٧، ١٩٧٩.
«الموسم الثقافي الثاني: انطلاقة جديدة لوحدة القطر العربي وبرهان آخر على قدرة لغة الضاد.» **اللسان العربي**: السنة ٣، آب/ اغسطس ١٩٦٥.
الموسوي، منان مهدي. «المعرّب والدخيل في اللغة العربية.» **اللسان العربي**: العدد ٣٤، ١٩٩٠.
مونتاي، فنسان. «اللغة العربية الحديثة.» **اللسان العربي**: السنة ١، حزيران/ يونيو ١٩٦٤.
ميناجيان، كيفورك. «على هامش المؤتمر الثالث للمستعربين: الاستشراق في الاتحاد السوفياتي.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
ـــــ. «مصطلحات العنفات.» **اللسان العربي**: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
ـــــ. «النحت قديماً وحديثاً.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
ناهي، بنا. «أساليب ومناهج صياغة اللفظ في التعبير العربي.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
«نتائج الاستفتاء حول اللغة العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٥، آب/ اغسطس ١٩٦٧.
النحاس، مصطفى. «التحول الداخلي في الصيغة الصرفية وقيمته البيانية والتعبيرية.» **اللسان العربي**: العدد ١٨، ١٩٨٠.
ـــــ. «عين المضارع بين الصيغة والدلالة.» **اللسان العربي**: العدد ٣٠، ١٩٨٨.
نحال، ابراهيم. «نقل أصناف التصنيف الحيواني إلى العربية.» **اللسان العربي**: العدد ١٨، ١٩٨٠.
نحلة، محمود أحمد. «الضمائر المنعكسة في اللغة العربية.» **اللسان العربي**: العدد ٣٤، ١٩٩٠.
«نحو استراتيجية جديدة للتربية في البلاد العربية.» **اللسان العربي**: السنة ١٠، ١٩٧٣.
النجم، عبد الوهاب وصباح صليبي الراوي. «المصطلح العلمي بين الترجمة والتعريب.» **اللسان العربي**: العدد ٣٢، ١٩٨٩.
«ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي (الرباط ١٨ ـ ٢٠ شباط/ فبراير ١٩٨١).» **اللسان العربي**: العدد ١٨، [١٩٨١].
الندوي، عبد الحليم. «من موسوعة الأدب واللغة: هل التعبير الجميل بلغة رصينة هو الأدب.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
«نشأة اللغة العربية ومصادرها.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
«نشاط البشنين في حقل اللغة العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
«نشاط المجامع والمكتب الدائم للتعريب.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.

«نشاط المجلس الأعلى للعلوم في سوريا.» اللسان العربي: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
«نشاط مكتب تنسيق التعريب.» اللسان العربي: العدد ٤١، ١٩٨٣.
نصار، حسين. «الاتباع في العربية.» اللسان العربي: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
«نظام التصنيف العشري لأكسفوزد من أجل العلوم الحراجية.» اللسان العربي: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
«نظرة في تطور المعجم العربي.» أبحاث: السنة ٢، آذار/ مارس ١٩٤٩.
«نقد النظام التعليمي الحالي بالمغرب.» المحرر: ١٩٧٨/٢/٢ - ١٩٧٨/٦/١.
النمر، محمد طه. «القرآن حفظ اللغة العربية ووحّد لهجاتها.» اللسان العربي: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
نور، عدلي طاهر. «كلمات عربية في اللغة الاسبانية.» اللسان العربي: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.
نور الدين، محمد يوسف. «التطور اللغوي ونشوء العربية.» اللسان العربي: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
نياس، ابراهيم. «الضاد الخالدة.» اللسان العربي: السنة ٥، آب/ اغسطس ١٩٧٣.
ــــــ. «اللغة الولوفية بالسنغال أصبحت بفضل القرآن أداة تثقيف وتربية.» اللسان العربي: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
هارون، عبد السلام. «لغة القرآن محت القبطية في مصر والبونيقية في الشمال الافريقي والنبطية في العراق واللاتينية في الشام.» اللسان العربي: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
ــــــ. «معجم ألفاظ القرآن الكريم بين المعاجم وكتب التفسير واللغة.» مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة): العدد ٥٣، شباط/ فبراير ١٩٨٤.
الهاشمي، التهامي الراجي. «كيفية تعريب «السوابق» و«اللواحق» في اللغة العربية.» اللسان العربي: العدد ٢١، ١٩٨٣.
ــــــ. «معجم الدلائلية (مدعم بشروح).» اللسان العربي: العددان ٢٤ - ٢٥، ١٩٨٥.
الهاشمي، محمد يحيى. «حاجتنا إلى التعبئة العلمية.» اللسان العربي: السنة ٧، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠.
ــــــ. «العرب والكشوف العلمية.» اللسان العربي: السنة ٥، آب/ اغسطس ١٩٦٧.
ــــــ. «نحن على مفترق الطرق.» اللسان العربي: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
هلال، عبد الغفار حامد. «اللغة بين الفرد والمجتمع.» اللسان العربي: العدد ٢٣، ١٩٨٣.
الهلالي، صادق. «تباين مصطلحات المعاجم العلمية وأثره على التعريب.» اللسان العربي: العدد ٣٠، ١٩٨٨.
ــــــ. في: اللسان العربي: العدد ٢٨، ١٩٨٧.
ــــــ. «ملاحظات حول المعجم الطبي الموحد.» اللسان العربي: العدد ٢٣، ١٩٨٤.

ــــــ ومحمد حكمت وليد. «مصطلحات العين وأمراضها (انكليزي - فرنسي).» **اللسان العربي**: العدد ٢٦، ١٩٨٦.
هليّل، محمد حلمي. «التصورية والدلالية: مقارنة في المنهج وفحص في صلاحية الاستعمال في مجال المصطلحية.» **اللسان العربي**: العدد ٢٩، ١٩٨٧.
ــــــ. «اللغويات التطبيقية ومعجمها.» **اللسان العربي**: العدد ٢٢، ١٩٨٣.
ــــــ. «المصطلح الصوتي بين التعريب والترجمة.» **اللسان العربي**: العدد ٢١، ١٩٨٣.
ــــــ. «المصطلح اللساني وقاموس اللسانيات.» **اللسان العربي**: العدد ٢٨، ١٩٨٧.
ــــــ. «المصطلحية في عالم اليوم.» **اللسان العربي**: العدد ٣٠، ١٩٨٨.
ــــــ. «نحو تعليم المصطلحيات والتدريب عليها: مشروع للعالم العربي.» **اللسان العربي**: العدد ٣٢، ١٩٨٩.
هنا لندن: كانون الثاني/ يناير ١٩٧٥.
«واحات الفصحى.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
الودغيري، عبد العلي. «قضية الفصاحة في القاموس العربي التاريخي.» **اللسان العربي**: العدد ٣٣، ١٩٨٩.
ــــــ. «اللفظ ومستواه الصوابي من خلال «موطئة الفصيح» لابن الطيب الشرقي.» **اللسان العربي**: العدد ٢٨، ١٩٨٧.
«وزارة التربية والتعليم السورية: تعديلات على معجم الكيمياء.» **اللسان العربي**: السنة ٤، آب/ اغسطس ١٩٦٦.
«الوضع والتعريب.» **مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)**: السنة ٢، كانون الثاني/ يناير ١٩٢٢.
الوعر، مازن. «تشومسكي.» **اللسان العربي**: العدد ٣١، ١٩٨٨.
ــــــ. «اللسانيات والعلم والتكنولوجيا: نحو تعريب موحد للسانيات التطبيقية العربية وبرمجتها في الحاسبات الالكترونية.» **اللسان العربي**: العدد ٢٢، ١٩٨٣.
«وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية (القاهرة) في دورته الخمسين (١٩٨٤).» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ٩، العدد ٢٧، كانون الثاني/ يناير - حزيران/ يونيو ١٩٨٥.
الولي، طه. «الألقاب عند العرب والمسلمين.» **اللسان العربي**: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
ــــــ. «تاريخ جامعة الدول العربية.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.
ــــــ. «ترجمة القرآن إلى لغات شرقية وغربية.» **اللسان العربي**: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.
ــــــ. «العلوم الطبيعية في القرآن.» **اللسان العربي**: السنة ٨، ١٩٧١.
«يحيى بلعباس.» **اللسان العربي**: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.
اليزبكي، توفيق سلطان. «قائمة مصطلحات تاريخ القرون الوسطى.» **اللسان العربي**: العدد ١٧، ١٩٧٩.

يوحنا، إدوار. «الراء في العربية: دراسة صوتية.» اللسان العربي: ١٩٧٩.
يوسف، محمد. «الألفاظ الهندية المعرّبة من مظاهر الوحدة.» اللسان العربي: السنة ١٠، ١٩٧٣.
ـــــ. «العربية لغة القرآن والاسلام.» اللسان العربي: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩.

ندوات

التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظّمها مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت: المركز، ١٩٨٢.
القومية العربية والاسلام: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظّمها مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت: المركز، ١٩٨١.

٢ ـ الأجنبية

Books

Allard, Michel-May Elzière. *Analyse conceptuelle du Coran sur cartes perforées*. I code, II commentaire. Paris: Mouton, 1963.
Arberry, A.J. *Arabic Poetry*. Cambridge: Cambridge University Press, 1965.
———. *The Koran Interpreted*. London: Oxford University Press, 1964.
Ballard, Michel. *La Traduction: De l'anglais au français*. Paris: Narthan, 1987.
Benabdallah, Abdel Aziz. *Clarté sur l'Islam dans ses sources*. Rabat: Bureau de coordination de l'arabisation dans le monde arabe, 1969.
Berque, Jacques. *Les Arabes*. Paris: Sindbad, 1973.
Blachère, Régis. *Dictionnaire arabe-français-anglais*. Paris: Maisonneuve et Larose, 1967. (Langue classique et moderne)
Bouton, Ch.P. *L'Aquisition d'une langue étrangère*. Paris: Klincksieck, 1974.
Brawne. *A Literary History of Persia*.
Brockelmann, Carl. *Précis de linguistique sémitique*. Paris: P. Geuthner, 1910.
Brunot, Ferdinand. *Introduction à l'arabe moderne*. Paris: 1950.
———. *La Pensée et la langue*. 3éme éd. Paris: Masseet, 1936.
Cantineau, Jean. *Cours de phonétique*.
———. *Études de linguistique arabe*. Paris: Klincksieck, 1960.
Cary, Edmond. *Comment faut-il traduire?* Lille III: Presses universitaires de Lille, 1985.
Charnay, Jean Paul. *L'Ambivalence dans la culture arabe*. Ouvrage publié par Jean Paul Charnay. Paris: Editions Anthropos, [1967].
Compton's Illustrated Science Dictionary. Cairo: 1970.

Corrente, F. *Dicctionario Español-Arabe.* Madrid: Instituto Hispano-Arabe de Cultura, 1970.
Delacroix, Henri. *Psychologie du langage.* Paris: I. Alean, 1933.
Djait, Hicham. *La Personnalité et le devenir arabo-islamique.*
Dozy, Reinhart. *Histoire des musulmans d'Espagne.* 1932.
———. *Supplément aux dictionnaires arabes.* Paris: Leyde, 1967.
Encyclopaedia Britannica.
Enciclopedia Italiana. 1949.
Encyclopédie de l'Islam. 1960.
Fagnan, E. *Avertissement additions aux dictionnaires arabes.* Beyrouth: [s.n., s.d.].
Fanous, Wadie. *Arabisch / Deutsches Technisches Wörter-buch.* Cairo: [n.pb.], 1967.
Faruq's Law Dictionary. Cairo: [n.pb.], 1970.
Fück, J. *Arabiyya.* Paris: Didier, 1955.
Gardet, Louis. *La Cité musulmane: Vie sociale et politique.* Paris: J. Vrin, 1954. (Études musulmanes; 1)
Gibb, Hamilton. *Arabic Literature.* London: Clarendon Press, 1963.
Grandguillaume, Gilbert. *Arabisation et politique linguistique du Maghreb.* Paris: Maisonneuve et Larose, 1983. (Collection Islam d'hier et d'aujourd'hui)
Hamza, Boubakeur. *Le Coran: Traduction nouvelle et commentée.* Paris: Fayard, 1972.
Hitti's Medical Dictionary. Beirut: [n.pb.], 1972.
Ibn Khaldûn. *Discours sur l'histoire universelle: Al Muquaddima.* Beyrouth: Commission internationale pour la traduction des chefs-d'œuvre, 1967.
Laponce, Jean A. *Langue et territoire.* Québec: Centre international de recherche sur le bilinguisme; Presses de l'université de Laval, 1984.
Lombard, Maurice. *L'Islam dans sa première grandeur.* Paris: Flammarion, 1961.
Mackey, William F. *Bilinguisme et contact des langues.* Paris: Klincksieck, 1976.
Marouzeau, Jules. *La Linguistique ou science du langage.* Paris: P. Geuthner, 1986.
Martinet, André. *Éléments de linguistique générale.* Paris: A. Colin, 1969.
———. *La Linguistique synchronique.* Paris: Presses universitaires de France, 1968.
Massignon, Louis. *Le Maroc dans les premières années du XVI[e] siècle.*
Meillet, Antoine. *Les Langues du monde.* Paris: E. Champion, 1924.
Memmi, Albert. *Portrait du colonisé.*
Miquel, André. *La Géographie humaine du monde musulman jusqu'au milieu du XI[e] siècle.* Paris; La Haye: Mouton, 1967.
———. *L'Islam et sa civilisation, VII[e]-XX[e] siècle.* Paris: A. Colin, 1968.

———. *La Littérature arabe*. Paris: Presses universitaires de France, 1969.
Miscelanea de Estudios Arabes y Herbraicos. Granada: Universitas Granada, [n.d.].
Monteil, Vincent. *L'Arabe moderne*. Paris: Klincksieck, 1960.
The New Medical Pharmaceutical Dictionary. Cairo: [n.pb.], 1970.
Palacios, Asin. *Historia de Litteratura Arabigo Española*. Barcelone; Buenos Aires: Editional Labor, 1982.
———. *Obros Escogodam*. Madrid: Filogia Arabe, 1946; 1948.
Payot, Jean Louis. *Linguistique et colonialisme*. Paris: 1974.
Pellat, Charles. *Le Milieu basrien et la formation de Gāhiz*. Paris: Maisonneuve, 1953.
Risler, Jacques C. *La Civilisation arabe*. Paris: Payot, 1955.
Roman, André. *Théorie et pratique de la traduction littéraire du français à l'arabe*. Paris: Klincksieck, 1981.
de Saussure, F. *Cours de linguistique générale*. Paris: 1964.
Al Sayyadi, Mohammad Mongi. *Al-Gamiyya al Khaldûniyya: La Première association nationale moderne en Tunisie (1890-1958)*. Tunisie: M.T.E., 1975.
Schmidt, J.J. *L'Arabe sans peine*. Poitiers: Assimil, 1983.
Souriau, Christine. *Les Classes moyennes au Maghreb*. Paris: CNRS, 1980.
Suzuki, D.T. *Essais sur le bouddhisme zen.*
Tapiero, Norbert. *Apprendre à communiquer en arabe moderne*. Paris: Klincksieck, 1979.
La Traduction: De la théorie à la didactique. Travaux et recherches. Études présentées par Michel Ballard. Lille III: Presses universitaires de Lille, 1984.
Vendryès, Joseph. *Le Langage: Introduction linguistique à l'histoire*. Paris: A. Michel, 1950.
Walter, Henriette. *Dictionnaire des mots étrangères*. Paris: Larousse, 1991.
Wartburg, Walther von. *Problèmes et méthodes de la linguistique*. Paris: Presses universitaires de France, 1946.
Webster's Third New International Dictionary. Chicago: G. and C. Meriam Co., 1976.
Wehr, H. *Supplement Zum Arabischen Wörter-buch für die Schrift spracshe der Gegenwart*. Weisbaden: O. Harrossowitz, 1959.

Periodicals

L'Action: 4/9/1974.
Afrique-Asie: no. 117, septembre 1979.
Annuaire de l'Afrique du nord: 1969; 1975; 1980, et 1984.
Annuaire de l'école pratique des hautes études: 1966-1967.
Arabica: 1954; 1960; 1963; 1964; 1968; 1970; octobre 1972, et 1975.
«L'Arabisation de l'orient sémitique.» *Revue d'études islamiques:* 1938.

Benabdallah, Abdel Aziz. «Arabisation rationnelle de l'enseignement et de l'administration.»

اللسان العربي: السنة ٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩. (بالفرنسية)

———. «Aspect andalou-maghrébin de la civilization arabe.»

اللسان العربي: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.

Blachère, Régis. «Moments tournants dans la littérature.» *Studia Islamica:* 1955.

Bulletin de la Associaciones Española d'Orientalistas: vol. 1, 1965.

Bulletin d'études arabes: mars-avril 1946; septembre-octobre 1948, et février 1949.

Bulletin d'études orientales: 1947-1954; 1952, et 1971.

Carter, M.G. «Les Origines de la grammaire arabe.» *Revue d'études islamiques:* 1972.

Confluent: no. 47, janvier-mars 1965.

Dialogue: no. 265, 1 octobre 1979.

«Des Difficultés d'ordre linguistique culturel et social que rencontre un écrivain arabe moderne spécialement en Egypte.» *Revue d'études islamiques:* 1936.

Diogène: octobre-décembre 1963.

Dozy, Reinhart. «Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes.» *Journal Asiatique:* vol. 8, 1846.

Études: 1964.

«L'Évolution sociale et politique des pays arabes, 1930-1933.» *Revue d'études islamiques:* 1933.

Fleisch, Henri. «Arabe classique et arabe dialectical.» *Travaux et jours:* no. 12, juin 1969.

———. «Observations sur les études philologiques en arabe classique.» *Orient:* 1963.

Grandguillaume, Gilbert. dans: *Maghreb-Machrek:* avril-juin 1980.

«Histoire des descriptions locales.» *Revue d'études islamiques:* 1950.

Al-Istiqlal (Rabat): 14 et 21 mars 1959.

Jeune Afrique: no. 119, 28 janvier 1963; no. 334, 4 juin 1967; no. 341, 7 décembre 1969, et no. 239, 7 avril 1973.

Kirk, George. «A Building Surviving for the Islamic Period in Sicily.»

اللسان العربي: السنة ٨، كانون الثاني/ يناير ١٩٧١.

«La Langue arabe une des grandes sources de la culture française.»

اللسان العربي: السنة ١٠، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣.

Lecomte, Gérard. «Réflexions sur un vocabulaire technique en formation;

contribution à la connaissance de l'arabe moderne.» *Orient:* vol. 5, 1961.
Marquet, Y. «Sabéens et ikhwàn al-safa.» *Studia Islamica:* 1966.
Mélanges de l'institut dominicain d'études orientales: 1956.
Le Monde: 4/12/1980.
«Notes sommaires sur la formation des noms abstraits en arabe et l'influence des modèles grecs.» *Revue d'études islamiques:* 1934.
Orient-Occident: 1978.
La Presse: 30/10/1969; 6/1/1972; 8/5/1975, et 3/6/1975.
La Presse de Tunisie: 13/2/1972; 3/9/1974, et 3/4/1975.
Rayhan, Muhammad. «Refuting the Opinion of those who Advocate Discarding the Arabic Language and Replacing Spoken Vernaculars in Books and Writing.»

اللسان العربي: السنة ٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٧٢.

«Le Réforme de l'enseignement supérieur.»

الجزائر: ١٩٧١.

«Le Réformisme orthodoxe des salafia et les caractères généraux de son orientation actuelle.» *Revue d'études islamiques:* 1932.
Le Renouveau: 5/1/1992.
Revistad Instituto de Estudios Eslamicos en Madrid: 1963-1964.
Revue Africaine: 1931.
Revue du Caire: avril 1952.
Revue d'études islamiques: 1930; 1933; 1938; 1965; 1969; 1971, et 1972.
Revue de l'institut des belles lettres arabes: no. 20, 1972.
Revue du monde musulman: vol. 10, janvier 1910, et 1924.
Revue tunisienne des sciences sociales: décembre 1971.
«Sciences sociales, sociétés arabes.» *Peuples Méditérranéens:* nos. 54-55, janvier-juin 1991.
Skalmowshi, Wojciech. «A Note on Distribution of Arabic Verbal Roots.» *Folia Orientalia:* no. 7, 1964.
Le Soir: 18/1/1971.
Souriau, Christine. «L'Arabisation au Maghreb.» *Annuaire de l'Afrique du nord:* 1984.
Studia Islamica: 1953; 1955-1956; 1966, et 1972.
Travaux et jours: nos. 31, avril-juin 1961; avril-juin 1964, et avril 1969.

Dissertations

Al Sayyadi, Mohammad Mongi. «L'Enseignement de la langue arabe en Tunisie.» (Thèse, Paris III, 1972).

Conferences

Actes du 5ème congrès de l'association internationale de linguistique appliquée, Montréal, août 1978. Québec: Presses de l'université de Laval, 1981.

La Langue arabe et l'Afrique, traduction du message adressé par le B.P.A. à l'O.U.A. à l'occasion de son 9ème congrès.

فهرس ٧

(ب)

(ت)

(ج)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

الدكتور محمد المنجي الصيادي

- ولد بتونس
- درس بمعهد الدراسات العليا وكلية الآداب بتونس والرباط
- يحمل درجة دكتوراه من جامعة باريس ودكتوراه المرحلة الثالثة (١٩٧٢)
- يحمل درجة دكتوراه الدولة في الآداب والعلوم الإنسانية من جامعة باريس (السوربون الجديدة ، ١٩٧٦)
- باحث جامعي في قضايا اللغة العربية المعاصرة والتعريب والترجمة وقضايا الفكر في المغرب العربي
- نشر له بالفرنسية : الجمعية الخلدونية (١٨٩٦ - ١٩٥٨) التي حصلت على جائزة البحث العلمي لمدينة تونس (١٩٧٣) . تعليم اللغة العربية بتونس (١٨٨١ - ١٩٧٤) .
- نقل من الفرنسية عدة دراسات منها :
  - اللغة العربية الحديثة ، فانسان منتاي
  - العرب ، جاك بيرك
  - الإسلام وحضارته ، أندري ميكال .

طبعة خامسة
مزيدة ومنقحة

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» شارع ليون
ص. ب: ٦٠٠١ - ١١٣ - بيروت - لبنان
تلفون: ٨٠١٥٨٢ - ٨٦٩١٦٤
برقياً: «مرعربي»
تلكس: ٢٣١١٤ مارابي. فاكسيميلي: - ٨٦٥٥٤٨ (٩٦١١)
٤٧٨١٣٠٣ (٢١٢ - ١)